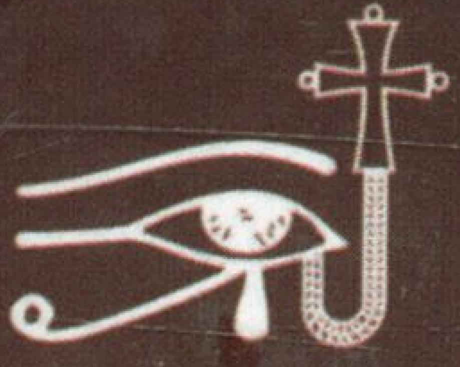


جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى

موسوعة الأنبا غريغوريوس ٢٠

العذراء مريم
حياتها ، رموزها ، ألقابها ، فضائلها ، تكريمها ، ظهورها ، ومعجزاتها

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

جمعية
الأنبا غريغوريوس
أسقف البحث العلمي

موسوعة الأنبا غريغوريوس



العذراء مريم
حياتها ، رموزها وألقابها ، فضائلها ، تكريمها ، ظهورها ومعجزاتها

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمي

الكتاب : ٢٠- العذراء مريم ، حياتها ، رموزها وألقابها ، فضائلها ، تكريمها ، ظهورها ومعجزاتها .

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس .

إعداد : الإكليريكى منير عطيه .

الجمع والناشر: جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى .

٢١٦ ش. رمسيس بالعباسية ت : ٢٦٧٤٩٢٥٠ - ٢٤٨٣٣٣٦٣.

الموقع على الأنترنت : www.Anba-Gregorios.com. .

المطبعة: شركة الطباعة المصرية- العبور- ت: ٤٦١٠٠٥٨٩

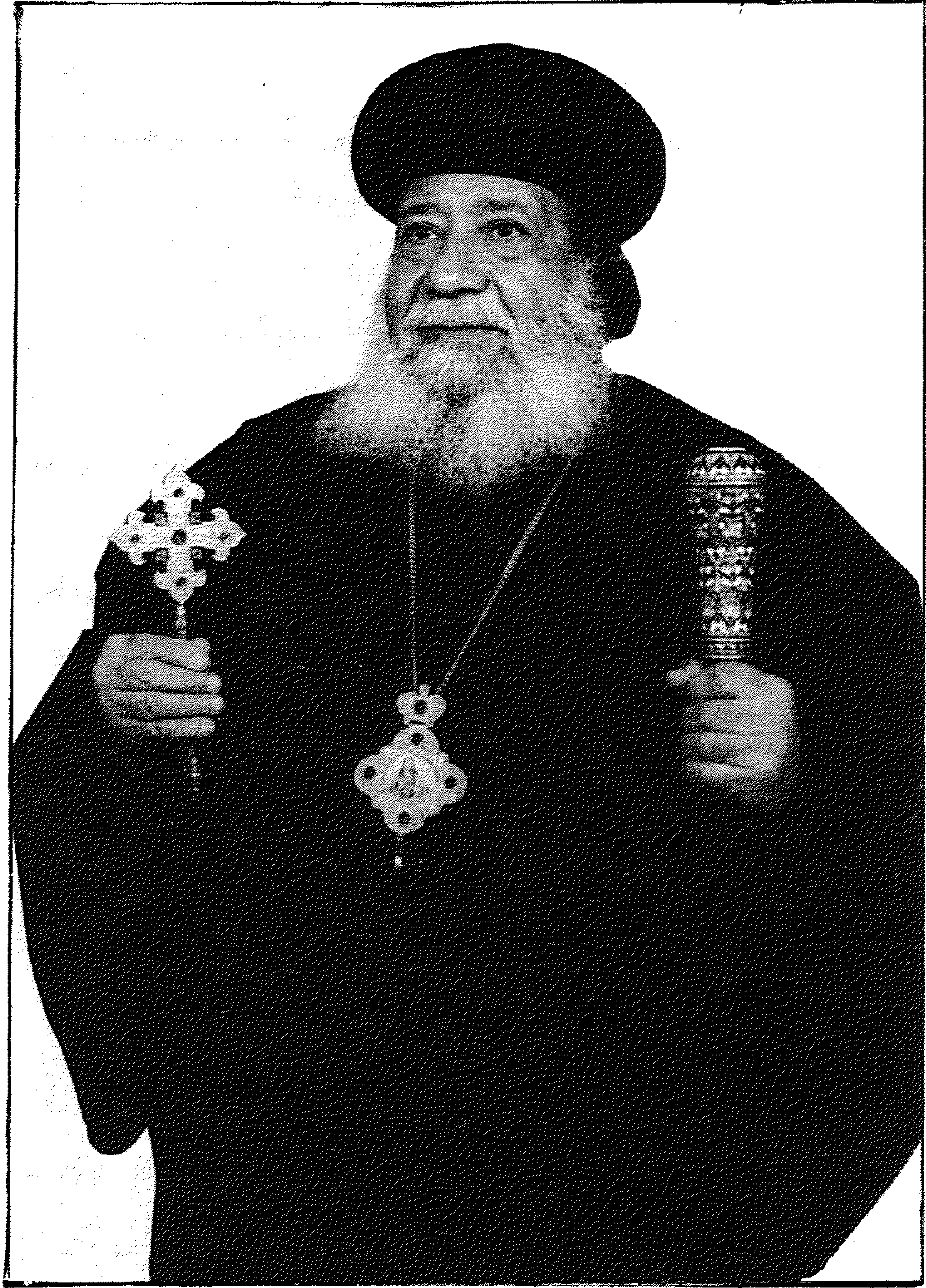
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٤٧٩٦ / ٢٠٠٧ .



إيقونة العذراء مريم الملكة
بريشة الفنان الدكتور إيزاك فانوس



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء العشرون من موسوعة الأنبا غريغوريوس ، وقد سبقه تسعة عشرجزءاً ، كان الجزء الأول فى اللاهوت المقارن ، والثانى فى اللاهوت الأدبى، والثالث فى الرهبنة ، والرابع فى الدراسات الفلسفية ، والخامس فى اللاهوت الطقسى، والسادس فى لاهوت السيد المسيح ، والسابع فى سرّى التجسد والفداء ، والثامن فى الجزء الأول من أسرار الكنيسة السبعة ويشمل المعمودية والميرون والقربان والتوبة وسر مسحة المرضى، والتاسع فى الجزء الثانى من الأسرار ويشمل سرِّى الزيجة والكهنوت. والعاشر فى الكنيسة الأرثوذكسية وعقائدها ، والحادى عشر فى الحياة بعد الموت والمجيء الثانى ، والثانى عشر فى الكتاب المقدس وطرق دراسته ، والثالث عشر مقالات فى الكتاب المقدس وإجابات على أسئلة ، والرابع عشر فى تفسير إنجيلَى متى ومرقس، والخامس عشر فى تفسير إنجيل القديس لوقا ، والسادس عشر فى تفسير إنجيل القديس يوحنا ، والسابع عشر تأملات وتعليقات على سفر أعمال الرسل وبعض رسائل القديس بولس الرسول، والثامن عشر عن الشهادة والإستشهاد وشخصيات كتاب مقدس وقديسون ، والتاسع عشر عن الله والوجود والكونِ وطبيعة الملائكة . .

هذه هى الثمرة العشرون وهى من نتاج العَالِم والمُعلم والحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس ، الذى قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث :

" حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين " التكريس والعلم "... وكان العلم يشغل كل وقته .. بهذا التكريس للخدمة ، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفاً فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة ...

" كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم..كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس ، ومن هو مختص بالعقيدة ، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره.. ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معاً.. وفى الواقع كان معلماً قديراً.. له معلومات كثيرة .. هو موسوعة من المعلومات .. كان مثلاً من الأمثلة التى لاتتكرر كثيراً فى العلم الكبير ... " .

وسنفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل الوصايا العشر والخدمة والخدام والإكليريكية ومعهد الدراسات والتربية الكنسية وأقوال الآباء والمباحث المتصلة بالأسرة والشباب والمجتمع وكذلك الموضوعات التاريخية وسنفرد أجزاء تجمع الإجابات على الأسئلة فى الموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة ، بعد

تبويبها ، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها .

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث ، أدام لنا الرب حياة قداسته ، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا أباً وراعياً ، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعا بكامل الصحة والعافية ، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته .

الإكليريكـــــــــى
منـــير عطيـــة

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر
البابا أثناسيوس الرسولى

إليك ياسيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية ، لأنها من وحيك وإلهامك ، وبفضل توجيهك وإرشادك ، وثمرة لكفاحك وجهادك !

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً !

ومنك تعلّمنا كيف يكون الوفاء للحق ، والاستمساك بالتقوى ، والحرص على وديعة الإيمان .

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات ، فكان تعليمك سليماً كل السلامة ، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة !

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين ، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة ، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك ، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك !

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك ، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت ، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك ياسيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى !

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك ، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك ، تقديراً لتاريخك ، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان ، يا حامى الإيمان !

من ابنك
غريغـوريـــــوس
باخوم المحرقى ــ وهيب عطا الله

رؤيا طوبانية

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

نمت الساعة ٢,٣٠ بعد منتصف الليل وفى نهاية هذه الليلة وربما فى وقت أيضا مبكر من صباح اليوم التالى (الجمعة) الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٨٣ رأيت العذراء الطاهرة القديسة مريم فى لقاء طويل . وكان لها معى حديث .. وكان منظرها منظر أم ، مرتدية ملابس عادية... وبالطبع كانت هى العذراء مريم بعينها ، الغريب أن العذراء كانت معى طبيعية جداً، ورافقتنى فى المسير وتحدثت معى أحاديث نسيتها ، غير أنها كانت أحاديث روحية، ومع أنها قضت معى وقتا طويلا إلا أننى نسيت حديثها كله، ولا أذكر شيئا منه، إلاّ أننى كنت فى حالة روحانية تقوية غير عادية وكنت سعيداً معها.. وأذكر جيدا أننى استيقظت من الرؤيا فإذا هى الساعة ٨,٤٥ صباحا ، وكنت سعيدا سعادة روحانية غامرة جعلتنى مشتاقا جدا إلى الصلاة ، واحتقار أباطيل العالم والرغبة العارمة والأشواق الملتهبة نحو السمائيات ، وواصلت الصلاة أمام صورة العذراء وأنا واقف أمامها أكلمها بضراعة وابتهال ودموع أن تغفر لى غباوتى: كيف لم أنتهز الفرصة لأسألها أسئلة كثيرة عن السماء والسمائيات ، وصرت أطلب إليها بإلحاح أن تتفضل فتزورنى أيضا وتوالى الظهور لى، وتعطينى فرصة لأن أسألها عن أمور كثيرة ، وأن تتفضل فتقبلنى تحت رعايتها .. أذكر أننى صافحتها باليد، كيف لم أركع أمامها ولم أطامن ؟ لماذا لم أقبل يدها ... قلت مرارا اغفرى لى يامريم ، ياسيدتى ، أيتها الحمامة الحسنة ... كم من مرة ظَهرتِ لى فعلا كحمامة لتشعرينى أنك مهتمة بى ، وأننى تحت رعايتك. لاتنسينى ياسيدتى – رافقينى ياأمى ، كلمينى يامريم، حدثينى عن السماء . أنا مشتاق للإنطلاق من هذا العالم ، لأكون هناك قريبا أكثر من السماء والسمائيين .. أريد أمثال لقاء الليلة ، ولأشبع ولأرتوى . سيدتى اذكرينى وساعدينى ، ورافقينى دائما .

ولكنى لا أنسى بعد أن استيقظت ، سعادتى بالعذراء ومحبتى لها واحترامى لها وتوقيرى ، وفى ذهنى وشعورى أنها كانت تحدثنى كأم حانية وصرت مشتاقا كثيراً إلى أن أراها ثانية وأقدم لها الإحترام اللائق بها كوالدة الإله .

كنت سعيدا بأمى العذراء مريم وبوجودها معى ولقائها معى وقتا طويلاً ، ألهبنى روحانية ورفعنى إلى السماء، وصرت مشتاقا جدا إلى مغادرة الأرض والانتقال إلى السماء ، زهدت حقا فى العالم حتى فى الخدمة الدينية والإلتقاء بالناس .. صار قلبى ملتهبا بالشوق إلى السماء وإلى السمائيين. صرت أردد وأردد، أريدك ياسيدتى أن تظهرى لى وأن تكلمينى وأن تعلمينى وأن تفتحى ذهنى وتبصرينى .. أريد أن أراك كثيرا وكثيرا، لا مرة بل مرات .. أنا فى حاجة إليك لأنك أنت أمى ، أنت أمى يامريم، لاتبخلى علىّ ياأمى بظهورك لى ، وحديثك معى ، ولقائك بى ، إذا كانت رؤياك جعلتنى احتقر كل شىء ، واشتاق إلى الانطلاق إلى السماء بهذا القدر ، حتى أننى زهدت حتى فى الخدمة الروحية ، زهدت فى الوعظ والكلام مع الناس .. وصرت مقتنعا بأننى أنا فى حاجة ماسة إلى أن أتتلمذ وأسمع وأرهف السمع ممن يكبروننى روحا ونفساً وعقلاً ومعرفة ، وأعنى بهم العذراء مريم والسمائيين أيضا من الرسل والقديسين ... صرت مشتاقا أن أراهم وأتكلم معهم وأنصت إليهم لأفهم أكثر عن معنى الحياة ، وصرت مشتاقا أن آخذ وأتلقى عنهم وعليهم شيئا من خبراتهم الروحية على قدر قامتى ... يارب لاتحرمنى من نور وجهك ، ولاتحرمنى من الأبدية السعيدة ، اجذبنى وراءك أكثر فأكثر .. أريد أن أتبعك دائما ، وأن أكون دائما سائرا فى نور وجهك ، بغير انحراف أو عوج ، مستقيما دائماً فى اتجاهى وليس لى طلب ولاهدف ولاغرض ولانهاية إلاّ أنت .. أنت وأنت فقط ... ماذا تريد يارب أن أفعل .. ماذا تريد يارب أن أعمل ... ماذا تريد يارب أن أصنع .. صحح أخطائى وتولى أنت شئونى ودبرّ حياتى .. مر بما تريد، وافعل ماتأمر به .. إن سمحت لى أن أعيش بعد، فلتكن حياتى كلها نافعة ، مثمرة ، منتجة ... لتكن حياتى تدور كلها حول محور واحد، هو أنت لا غيرك ... اطرد من قلبى ومن شعورى نهائيا ذاتيتى وأنانيتى وآنيتى ... أريد أن أفنى فيك ، فلا يبقى منى شىء ... أريد أن تملأ كل قلبى وحواسى حباً لك ، وحبا لك أنت وحدك ، ومن خلال محبتى لك أرى الناس ... ولا أرى نفسي .. لأنها تكون قد غاصت فيك ، وفى محبتك ، فلا يبقى منها شىء خارجاً أو داخلاً ... وإذا كنت أطمع فى البقاء ، فهو البقاء فيك ومعك .. لاتفارقنى ولاتتركنى ... لاتتركنى لنفسى ... وإنما غطينى واسترنى واحمنى وضمنى إليك ، حيثما تريد .. اتبعك أينما تمضى ... أنا عبدك وابن امتك لا أريد فى السماء غيرك ، ومعك لا أريد شيئا على الأرض. إننى لا أكره أحدا من الناس ، ولكننى أريد أن تكون محبتى لك أولا ، أكثر من نفسى ومن الناس ... وإذا أحببت بعد ذلك الناس ، أو أحببت نفسى ، فمن خلال

محبتى لك ... لأن من أحبك أولاً أحب الناس فيك ، لأنك خلقتهم على صورتك ومثالك... ومن أحبك أولا أحب نفسه أيضا ، لأنه يرى فى نفسه محبتك التى أحببته بها ، إذ خلقته على صورتك ومثالك ... يارب ، أنا لك ، فهل تقبلنى ، وهل تقبل عطيتى ، لست أريد شيئا لنفسى ، أريدك أنت وحدك ، لا مطمع لى فى شىء ، بعدك أو قبلك ، أنت لى كل شىء ، كل شىء ... امنحنى أن أكون صادقا فى عطيتى فلا أكون كاذبا دون أن أشعر ... امنحنى هذا الشرف أن أكون محرقة لك ، أُحرق كلى فى نار محبتك ، فلا يبقى منى شىء لنفسى ، ولايبقى منى شىء لأحد آخر.. يمكن لغيرى بعد أن أحترِق فى محبتك أن يأخذ من رماد محرقتى .. لكنى أريد من كل قلبى– إذا كنت حقا صادقا مع نفسى – أن أكون لك بالكلية ، أريد من كل شعورى – إذا كنت حقا صادقا مع نفسى – أن أفنى فيك ، وأضيع فيك ، وأغوّص فيك ، وأدخل إليك فيك ، وبعد أن أحترق أو أذوب أو أفنى ، سوف لا أفنى بل سأبقى فيك ولكن بعد أن يكون ظلامى قد تحول إلى نور ، وضعفى وفتورى إلى نار ... وحينئذ يمكن أن أرى ، فتتغير رؤيتِى للأمور لأنه سيصير الناظر ليس هو أنا ... إنما أنا فيك وأنت فىّ... هل أريد كمالاً فى الرؤيا أعظم من هذا ؟ هل أطمع فى نور أكثر بهاءً وجمالاً أكبر من هذا ؟ هل أصبو إلى حرارة فى الروح أشد من هذا ؟

ياسيدى ، ياربى ، ياخالقى ... اقبل منى هديتى ، وهى عطيتك ... إننى برغبتى أُسقط رغبتى أمامك ... إننى بمشيئتى أُسقط مشيئتى أمامك ... إننى بإرادتى أُسقط إرادتى أمامك ... أكثر من هذا يامخلصى .. أريد مشيئتك لا مشيئتى أريدك أنت ولا أريد نفسى ... أريد أيضا أن تكشف لى ذاتك .. حتى أرى ذاتى فأبغضها أمام بهائك.. اكشف لى ذاتك .. فأخجل من نفسى أمامك ... اكشف لى ذاتك فأحبك أكثر وأرغب فيك أكثر وأذوب فى محبتك أكثر ، ولا أندم على أننى وهبتك ذاتى .. ارحمنى ، واقبلنى إليك واعطنى أن أكون حقا سائرا فى طريق السماء بغير عوج أو انحراف ... فى اتجاه واحد مستقيم مخلص وأمين ودقيق ... امنحنى أن أكون فى ركاب السائرين إليك .. وأن أكون فى موكب الذين يتبعونك ... وأن أحمل الصليب وراءك ... لا لأحمل عنك فهذا شرف لاأستحقه ولا أقدر عليه ... إنما محبة فيك أسير وراءك فى درب الصليب فلا يجذبنى طريق آخر .. أنت هو طريقى وأنت حياتى .. معك وإليك وفيك ومنك كل كيانى. أنت الحق كله ، ولا أريد غير الحق .. امنحنى حقا أننى بحق أحب الحق بكل كيانى .

حياة العذراء مريـــــم

❖القديسة حنا والبشارة بميلاد مريم العذراء .
❖ميلاد العذراء مريم .
❖لماذا تأخر ميلاد العذراء .
❖عيد دخول العذراء طفلة إلى الهيكل .
❖العذراء مريم طفلة فى الهيكل .
❖مريم العذراء فى التجسد .
❖العذراء مريم الخادمة الأولى لسر التجسد .
❖كأس الألم فى حياة العذراء .
❖العذراء المتألمة .
❖العذراء مريم فى خطة الخلاص .
❖عيد العذراء حالة الحديد .
❖نياحة العذراء مريم فى ٢١ طوبة القبطى .
❖عيد صعود جسد العذراء .

القديسة حنة والبشارة بميلاد مريم العذراء (١)

نحن فى عشية الحادى عشر من هاتور، ولعلمكم أنه حسب تقويمنا القبطى هو تذكار نياحة السيدة حَنة أم العذراء مريم .

ولهذا السبب فإن إنجيل عشية هذا اليوم، وهو المأخوذ من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل معلمنا مرقس البشير ، يذكر عمل المرأة التى سكبت الطيب على رأس المُخلص فى بيت سمعان الأبرص ، وهذه المرأة فى الواقع هى مريم اخت لعازر . وهى قصة تختلف عن قصة المرأة الخاطئة، التى ذرفت الدموع على رجلىّ المخلص، وسكبت أيضا على جسده الطيب وكانت فى بيت سمعان آخر، هو سمعان الفريسى ، فلا نخلط بين القصتين وبين الواقعتين .

القصة التى قرأناها الليلة هى قصة مريم اخت لعازر، سكبت الطيب ، طيب الناردين الغالى الكثير الثمن على رأس المُخلص ، ولم تكن هناك دموع كدموع المرأة الخاطئة، لأن مريم هنا سكبت الطيب على رأس المخلص مبتهجة ومتهللة، وتكريماً لسيدها الذى أقام أخاها من بين الأموات ، وكان لعازر أحد المتكئين أو أحد الجالسين إلى المائدة، ويبدو أن سائر التلاميذ انساقوا إلى منطق يهوذا ، فتذمروا جميعا على المرأة لأنها سكبت هذا الطيب الغالى الثمن وقالوا لماذا هذا الإتلاف ، كان يمكن أن يباع هذا الطيب بأكثر من ثلاثمائة دينار ويُعطى للفقراء . وما كان يهوذا يشفق على الفقراء كما قال يوحنا وهو زميله بين الإثنى عشر، قال يوحنا: " قال يهوذا هذا لا لأنه كان يبالى بالفقراء ، بل لأن الصندوق كان عنده وكان يحمل ما يلقى فيه " (يوحنا٦: ١٢)، وهذا تقرير مؤلم من يوحنا عن يهوذا ، أما مخلصنا له المجد فدافع عن المرأة وعن صنيعها وقال لا تزعجوا المرأة، لاتزعجوها إنها صنعت بى صنيعاً حسناً، لأن الفقراء عندكم فى كل حين، أما أنا فلست عندكم فى كل حين ، مشيرا بهذا إلى صعوده إلى السماء التى منها نزل، وقال إن هذه المرأة بصنيعها هذا ضمخت جسدى لتكفِّننى (مت٢٦: ١٢) ، وهذا هو الإنجيل الذى يتلى فى عشية أحد الشعانين ، وكان يسوع المسيح يتهيأ للآلام، لذلك هذا السبت سمى بسبت لعازر، هذا الفصل بعينه أيضا يتـــلى،

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل – بأم المصريين بالجيزة ، فى مساء الأحد الموافق ١٩/١١/ ١٩٨٩م – ١٠ هاتور ١٧٠٦ ش .

فى الأول من بشنس وهو عيد ميلاد السيدة العذراء ، وكأن الكنيسة بإختيارها لهذا الفصل تلوّح إلى العذراء مريم أنها صنعت بى صنيعا حسنا وحيثما يكرز بالإنجيل فى كل العالم يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها .

كنيستنا تختار هذا الفصل فى عشية عيد ميلاد العذراء مريم وعشية أعياد العذراء مريم ، ومع أن القصة هى عن مريم اخت لعازر، لكن إختيار هذا الفصل من الكنيسة فى عشية عيد ميلاد العذراء مريم، وفى سائر المناسبات الخاصة بالعذراء مريم ، كأنها تلوّح أن هذه هى المرأة التى لم تسكب طيباً على جسد المخلص وإنما سكبت حياتها ، فما من أحد خدم المسيح كما خدمته العذراء مريم . لأنها قبل الحبل به وأثناء حمله وأيضا طوال مدة رحلته على الأرض هى الخادمة الأولى لسر التجسد ، والآباء الرسل الذين كتبوا الأناجيل رجعوا إلى مريم العذراء باعتبارها المصدر الأول الذى منه أخذوا ، كذلك قال القديس لوقا فـــى إنجيله :

" إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، من الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة " (لوقا١: ٢، ٣)، من الذى كان منذ البدء معايناً وخادما للكلمة ؟ العذراء مريم، هى أول مرجع رجع إليه القديس لوقا .

ولكن لماذا يُتلى هذا الفصل أيضا فى عشية تذكار نياحة حنة أم العذراء مريم ؟

لابد لنا فى هذه المناسبة أن نتكلم كلمات قليلة عن هذه المرأة الفاضلة القديسة التى أثمرت هذه الثمرة الصالحة المباركة وهى التى أنجبت العذراء مريم .

والمعروف عن القديسة حَنَّة HANNAH أنه معترف بقداستها فى الشرق والغرب. واسمها بالعبرانى חַנָּה معناه (حَنَان – فضل – نعمة) . وكانت كأسمها حنانا وفضلاً ونعمة . كانت القديسة حنه حزينة لأنه لم يكن لها ولد أو ثمر ، وكان هذا يُعد عاراً خصوصا فى تلك الأيام، حتى أليصابات قالت " لينزع عارى بين الناس" (لو ١: ٣٥)، عندما بُشر زوجها بميلاد يوحنا المعمدان ، وكان هذا العار مصحوباً بلعنة ، لذلك كان حزنها شديداً ، ويذكر التاريخ عنها وبعض آباء الكنيسة وخصوصا القديس ابرآم السريانى، الذى يروى صلاة هذه المرأة التى رفعتها إلى الله بحزن ودموع، وقالت لله أن الطيورتفرخ والحيوانات تلد وأنا محرومة من أن يكون لى ثمر ، أنا مقطوعة ، لا ثمر لى ولافائدة لى، وأخذت تُصلّى بحرارة وبحرقة قلب أن يستجيب الله دعاءها وأن يعطيها إبناً أو إبنة ، فظهر لها الملاك جبرائيل ، دائما جبرائيل المبشر ، الملائكة كل واحد منهم له إختصاص، ودائما جبرائيل هو المبشر، هو الذى بشر دانيال، وهو الذى بشر زكريا، وجبرائيل هو الذى بشر العذراء مريم ، وأيضا بشر

يوسف النجار وقال له " يايوسف ابن داود لاتخف أن تستبقى مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس" (مت١: ٢٠)، وهو جبرائيل الذى ظهر ليوسف فى حلم وقال له خذ الصبى وامه واهرب إلى أرض مصر، وأيضا فى منطقة الدير المحرق وهى آخر محطة لرحلة العائلة المقدسة ، هناك فى ذلك المكان فى جبل قسقام ظهر أيضا الملاك جبرائيل ليوسف وأمره أن يعود إلى أرض فلسطين مرة أخرى، فهذا هو الاختصاص لجبرائيل وهو الثانى بين رؤساء الملائكة، الأول ميخائيل والثانى جبرائيل ومعناه جبار الله .

ظهر جبرائيل لحنة فى البيت بعد أن أنهت صلاتها، وكفف دموعها وقال لها أبشرى أنك ستحبلين بإبنة يكون عن طريقها خلاص العالم . يالها من حكمة الله فى بعض الأحيان عندما الإنسان يصبر، لو كان الله يستجيب فى الحال لطلب هذه الإنسانة أو غيرها، لو كانت أليصابات وزكريا استجيبت صلاتهما فى شبابهما المبكر وأعطاهما الله إبنا، هل كان سيكون يوحنا المعمدان ؟!! طبعا لا.. سيكون إنسان آخر، ولكن لله فى المواعيد قصداً ، فشاء الله أن يستجيب صلاة زكريا ودعاء أليصابات فى الوقت المناسب ولو أنه بعد زمن طويل، لكى يكون هذه العطية الصالحة هو يوحنا المعمدان الذى هيأ الطريق أمام سيده فكان هو الـــ (ⲡⲣⲟⲇⲣⲟⲙⲟⲥ) الجارى أمام سيده .

وهكذا أبطأ الله فى الإجابة على صلاة حنة وصلاة يواقيم ، ولكن فى الوقت المناسب أعطاهما العطية الصالحة التى لا نظير لها فى عالم الإنسان ، أعطاهما هذه الهدية السمائية ، هذه الإبنة التى عن طريقها كان خلاص العالم . مريم هى التى حملت بالمسيح ، النور أشرق من مريم ، مريم هى الباب الذى منه دخل الله إلى العالم ، وهذا معنى " أنت هى الباب " لأنها المدخل ، منها دخل الله إلى العالم متجسداً ولابساً صورة الإنسان .

فهذ الفصل الذى يتلى هو فصل مريم اخت لعازر التى سكبت الطيب على رأس السيد المسيح، والمسيح قال أنه حيثما يكرز بالإنجيل فى كل العالم يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها .

والكنيسة لإختيارها هذا الفصل تلوَّح إلى العذراء مريم ، حتى فى هذه العشية التى نحتفل فيها بنياحة حنة أم العذراء مريم، يتلى علينا هذا الفصل لأن حنة هى التى ولدت العذراء مريم.

فى نفس الوقت الذى كانت تصلى فيه حنة كان يواقيم فى البرية، عقد صوماً أربعين يوما يطلب أن يعطيه الله نسلا ، وظهر له الملاك جبرائيل وهو فى البرية

وبشره بأن صلاته قبلت ودعائه أُستجيب وأن امرأته حنة ستحبل وتلد إبنة يكون عن طريقها خلاص العالم .

هذه المرأة القديسة ، نعم قديسة وعاشت كل حياتها كما نعلم من السنكسار، ومن كتب الكنيسة ومن تاريخها ، أنها عاشت طوال حياتها امرأة قديسة بكل مفهوم الكلمة من قداسة . فى تعبّدها وفى فضائلها وفى أعمالها الصالحة وفى الخيرات التى صنعتها وأعمال الرحمة بالمساكين، ونذرت هذه السيدة قائلة : الإبنة التى تعطينى أو الإبن ، أقدمه لله وبرت بوعدها ، فبعد أن أرضعت العذراء مريم المدة القانونية وهى ثلاث سنوات ، ياليت السيدات يأخذن فى فكرهن هذه النقطة ، المدة القانونية للرضاعة للطفل ٣ سنين ، موسى أمه أرضعته ٣ سنين ، صموئيل أمه أرضعته ٣ سنين ، العذراء أمها أرضعتها ٣ سنين ، وعندنا نص فى الكتاب المقدس فى سفر المكابيين ، الأم تقول لولدها : " ارحمنى ياإبنى أنا الذى حملتك فى بطنى تسعة أشهر وأرضعتك ثلاث سنوات " (المكابيين الثانى٧: ٢٧) . ووجدنا فى مصر القديمة نص لبتاح حتب فى مصر القديمة " اعلم ياإبنى قدر أمك أنها حملت أوساخك وكان فمك فى ثدييها ثلاث سنوات " .

هذه هى المدة القانونية التى يجب أن الأم ترضع طفلها فيها، وهذا لخير الطفل حتى ينشأ صحيحاً سليماً وأيضا ذكياً، تبين أن الطفل الذى ترضعه أمه يكون أكثر ذكاءاً ، فضلا عن أنه يتمتع بدفء العاطفة التى تربطه بأمه، وأيضا لخير المرأة لأن هذه الرضاعة مفيدة لجسم المرأة وأجهزتها ، فيرجع الرحم إلى وضعه الطبيعى ، إذا كان قد اختل ، وأيضا تقى المرأة من السرطان ، هذه الأبحاث الجديدة التى توجد فى الكتب والمراجع الطبية تقول بإرضاع المرأة لطفلها لايقل عن ثلاث سنين. اليوم المجر وهى دولة شيوعية، المرأة العاملة تُعطى ثلاث سنوات أجازة بمرتب كامل، لماذا ثلاث سنوات؟ لأنها هى المدة القانونية للرضاعة .

وتحتفل الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر وأقاليم الكرازة المرقسية فى اليوم الحادى عشر من شهر هاتور، بذكرى رقاد القديسة حنه أم العذراء الطاهرة مريم، وانتقالها إلى عالم الخلود .

ففى الشرق يحتفل الرّوم الأرثوذكس والكاثوليك بعيد إنتقالها إلى عالم البقاء فى اليوم الخامس والعشرين من شهر يوليو (تموز). وأما فى الغرب فيحتفلون به فى اليوم السادس والعشرين من نفس الشهر (يوليو ــ تموز) . ونعنى بالغرب، على الأخص الكنيسة اللاتينية، والكنيسة الأنجليكانية الأسقفية وتوابعها فى بريطانيا وكندا وغيرهما.

وللقديسة (حَنَّة) عند الرّم الأُرثوذكس والكاثوليك عيد آخر يحتفلون فيه بها وبزوجها القديس (يواقيم) فى التاسع من شهر سبتمبر (ايلول) .

ولقد بنى الامبراطور جستنيان (JUSTINIAN) الأول (٤٨٣–٥٦٥) أول كنيسة باسم القديسة (حَنّة)، فى مدينة القسطنطينية، فى عام ٥٦٥ لميلاد المسيح . وأما رفاتها فاستقرت فى روما فى القرن الثامن، بكنيسة القديسة ماريا الأثرية St. MARIA ANTIQUA .

ولقد زاد الإهتمام بعيد القديسة (حَنَّة) فى الغرب منذ القرن العاشر. وفى العصور الوسطى صار الإحتفال بعيدها شعبياً. وقد أصدر الحبر الروماني غريغوريوس الخامس عشر (١٦٢١ – ١٦٢٢) براءة بجعل هذا العيد عَامّاً وإجبارياً. والآن يحتفل بهذا العيد، باحترام خاص، فى كندا، وفى بريطانيا، إذ يعتبرونها شفيعة وحامية لهم .

ميلاد العذراء مريم

وُلِدَت العذراء القديسة مريم من أبوين قديسين متعبدين لله ، سالكين فى جميع وصايا الرب بتقوى ومخافة وورع .

أمّا والدها فيدعى يواقيم ومعناه بالعبرانية (يهوه يُقيم) وأمّا أمها فتسمّى (حَنّة) HANNAH ومعناه بالعبرانية (حنان) :

وكانت(حَنّة) إمرأة فاضلة وعفيفة وطاهرة، اشتهرت فى زمانها بالتقوى والاحتشام وكانت تعيش مع زوجها البار(يواقيم) فى هدوء وسلام ووئام، غير أنه كان ينغصها أنه لم يكن لهما ولد يحمل اسمهما، وقد كان العقم فى ذلك الوقت عاراً، وكـــان الناس يعيّرون المرأة العقيم بأنها ملعونة ومغضوب عليها من السماء. ولعل هذا هــــــو ما قصدت إليه أليصابات عندما حملت بالقديس يوحنا المعمدان بقولها (هذا هو الفضل الذى صنعه الربِ معى، إذ عطف علىَّ كى ينزع عنى العار بين الناس)(لوقا ١: ٢٥)، وماعبَّرت عنه حَنّة أم النبى صموئيل، إذ كانت هى الأخرى عاقراً، وقد عَيَّرتها بذلك ضرّتها وغير ضرّتها، (فصلّت إلى الرب وبكت بكاءً، ونذرت نذراً وقالت : ياربَّ الجنود، إن أنت نظرت نظراً إلى مذلة أمتك، وذكرتنى، ولم تنسَ أمَتك، بل رزَقت أمتك زرِع بشرِ، فإنى أعطيه للربِّ كلّ أيام حياته) (١.صموئيل١: ١٠، ١١) .

وظلّت (حَنّة) عاقراً، ومرّ على زواجها عدد من السنين ولم ترزق نسلاً، فحزنت حزناً شديداً، وشرعت تصلّى إلى الله بحرارة ومرارة .

ويقول القديس افرآم السريانى (٣٠٦-٣٧٣م) فى ميمر له (بينما كانت (حَنّة) تندب نفسها فى كل وقت قائلة : أى شيء تساوى حياتىِ من الدنيا، مع تجردى من الثمر؟ وهوذا البهائم والطيور وكل المخلوقات ترزق نسلاً، أمّا أنا فلم أرزق، الويل لى أنا، وعظيم هو حزنى وألم قلبى . أسألك، أيها الإله الدائم وحده، الذى سمع صوت سارة زوجة أبينا إبراهيم، وأعطاها إسحق بعد الكبر، وسمع لراحيل وأعطاها يوسف وبنيامين... أن تسمع صوت دعائى، أنا المسكينة الخالية من النسل، وتعطينى زرعا يُسرّ به قلبى، لأنى صرت مرذولة بين أهلى وعشيرتى، سيما بَعْلى (يواقيم) الحزين القلب كثيراً. وها أنا أنذر بين يديك يا إلهى أنَّ النسل الذى تعطينى لا أدعه يمشى على الأرض حتى أقدمه لهيكلك المقدس ، وكانت القديسة (حَنّة) تقول هذا الكلام وهى تبكى بكاءً مراً ... وفيما هى تصلى، ظهر لها الملاك جبرائيل بنور سماوى، وقال لهـــا :

يا حَنّة إن الله سمع لدعائك وصلواتك . وها أنت ستحبلين وتلدين إبنة مباركة، وسيكون لها الطوبى فى جميع الأجيال، وفي كل أقطار المسكونة، ومنها يولد الخلاص من أسر إبليس، لآدم وذريته . فأجابت (حَنّة) الملاك جبرائيل وقالت : حيّ هو الربُّ، لو أننى رزقت بمولودة كما قلت لى ، لسوف أقدمها قرباناً للرب الإله، لتخدمه كل أيام حياتها فى هيكله المقدّس ... وأمّا (يواقيم) زوج حَنّة فكان قد ذهب إلى البرية وبنى لنفسه مظلة، وعكف صائماً مدة أربعين يوماً يّصلى إلى الله، فظهر له الملاك المبشر جبرائيل وبشره بأن امرأته (حَنّة) ستحبل وتلد إبنة تدعوها مريم تقر عينيه وتسر قلبه ويحصل بسببها الفرح والسرور للعالم أجمع. فعاد إلى بيته وأخبر زوجته(حَنّة) بالرؤيا فصدقتها، وحدثته بما أعلمها به الملاك نفسه، ففرحا معاً فرحاً عظيماً، وقالا : ليكن اسم الرب مباركا ثُمّ أولما وليمة كبيرة، وقدّما لله قرابين الشكر لعزته) .

وتعيّد الكنيسة للبشارة بميلاد العذراء مريم فى السابع من مسرى وتعيّد له كنيسة الروم الأرثوذكس والكاثوليك فى التاسع من شهر ديسمبر (كانون أول) .

وحبلت (حَنّة) كقول الملاك، ثم بعد تسعة أشهر وضعت الطفلة المباركة وسمتها مريم מִרְיָם MIRYAM وتعيّد كنيستنا بميلاد العذراء مريم فى اليوم الأول من شهر بشنس وتعيد له كنيسة الروم فى الثامن من شهر سبتمبر (أيلول) .

وبرّت (حَنّة) بوعدها، ووفت بنذرها، فما إن بلغت مريم العذراء الثالثة من عمرها – وهى فى العادة مدة الرضاعة – حتى حملتها إلى الهيكل لتكون خادمة للرب فى بيته. وكانت الأم (حَنّة) تزور إبنتها من وقت إلى آخر تحمل إليها هداياها من طعام ولباس إلى أن بلغت العذراء الثامنة من عمرها فتوفيت أمها ، وكان الأب يواقيم قد سبقها إلى العالم الآخر منذ سنتين، أى عندما كانت العذراء مريم فى السادسة من عمرها، وبهذا أمست العذراء مريم فى الهيكل يتيمة الأبوين، وظلت هناك فى بيت الرب إلى أن صار لها إثنا عشر عاماً .

والمعروف عن (حَنّة) أم العذراء مريم أنها بعد أن ولَدت العذراء مريم، فتح الله رحمها فولدت بنتاً أخرى دعتها هى الأخرى باسم(مريم) وهى التى عُرفت باسم (مريم الأُخرى) (متى٢٧: ٦١)، (٢٨: ١). وقالت حَنّة: مريم الأولى (وهى العذراء) صارت من نصيب الله، أمّا مريم هذه فقد صارت من نصيبى. ومريم الأخرى هذه، وهى أخت العذراء مريم الصغرى، هى التى عندما كبرت تزوجت برجل يسمى حلفى أو كلوبا . وقد كان من عادة بعض اليهود أن يكون للواحد منهم اسم عبرانى أو آرامى ، واسم آخر يونانى .. فكان حلفى هو اسمه الآرامى ، وكلوبا هو اسمه اليونانى... هذه مريم

الأخرى، وأخت العذراء الصغرى هى التى عُرفت أيضاً باسم مريم زوجة كلوبا . قال الإنجيل (وكانت واقفات عند صليب يسوع ، أمه ، وأخت أمه ، مريم زوجة كلوبا) (يوحنا١٩: ٢٥) وهي التى ولدت من كلوبا أو حلفى أولاداً هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، وبنات أيضاً، قال الإنجيل إن اليهود قالوا عن المسيح " أليس هذا هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أو ليست أخواته جميعا عندنا ... ؟ " (متى١٣: ٥٥، ٥٦) ، (مرقس٦: ٣) .

والواقع، أنّ هؤلاء لم يكونوا إخوة أشقاء للرب يسوع، وإنما كانوا أولاد خالته مريم زوجة كلوبا، كما كانوا أيضا أولاد عمومة ، ذلك لأنّ كلوبا أو حلفى هو أيضاً شقيق ليوسف خطيب العذراء مريم على مايروى القديس أبيفانيوس أسقف سلامينا فى قبرص (نحو ٣١٥-٤٠٣)م عن القديس هيجيسيبوس HEGESIPPUS من آباء القرن الثانى (كتاب الرد على الهرطقات ٧٨: ٧) وكذلك يقول يوسيبيوس المؤرخ إن يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا لم يكونوا إخوة أشقاء للرب يسوع من أمه العذراء مريم، ولكنهم كانوا له أولاد خؤولة وعمومة (يوسيبيوس – تاريخ الكنيسة ، الجزء الثالث ، فقرة ١١)، (فقرة ٢٢: ١-٨) ، (الجزء الرابع : فقرة ٢٢: ٤، ٥) ولذلك عُرفت أخت العذراء مريم فى الإنجيل بأنها (مريم أم يعقوب ويوسى) (متى٢٧: ٥٦) أو بأنها (مريم أم يعقوب الصغير ويوسى) (مرقس١٥: ٤٠) أو بأنها (مريم أم يعقوب) (مرقس١٦ :١) ، (لوقا٢٤: ١٠) أو بأنها (مريم أم يوسى) (مرقس١٥: ٤٧) .

لماذا تأخر ميلاد العذراء[١]

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

نطالع من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل معلمنا متى البشير بركاته علينا آمين :

" وفيما كان يسوع فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص ، تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكىء ، فلما رأى تلاميذه ذلك تذمروا قائلين لماذا هذا الإتلاف ، لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء ، فعلم يسوع وقال لهم لماذا تزعجون المرأة ، فإنها قد عملت بى عملا حسنا، لأن الفقراء معكم فى كل حين، وأما أنا فلست معكم فى كل حين ، فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدى إنما فعلت لأجل تكفينى ، الحق أقول لكم حيثما يُكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يُخْبَرُ أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها "(مت٢٦: ٦-١٣) والمجد لله دائما..

أيها الأبناء بمناسبة صوم العذراء مريم الطاهرة النقية البتول قرأنا هذا الفصل الذى يروى أنه فى بيت سمعان الأبرص امرأة سكبت الطيب على رأس المخلص ومسحت قدميه بشعرها . هذه المرأة هى مريم اخت لعازر، وهناك قصة أخرى لامرأة أخرى ذكرت فى الإنجيل لمعلمنا لوقا البشير الأصحاح السابع ، هذه المرأة الأخرى وصفت بأنها امرأة خاطئة وأنها سكبت الطيب على رأس المخلص ، وكانت تبكى بدموعها ، وكان ذلك أيضا فى بيت رجل اسمه سمعان ، لكن سمعان هنا هو سمعان الفريسى .

وهنا لابد أن نميز بين القصتين أو الواقعتين ، القصة التى تلوناها الآن هى قصة مريم اخت لعازر ، أما المذكورة فى الأصحاح السابع من إنجيل لوقا فهى قصة المرأة الخاطئة ، إمرأة ساقطة ، وهذه قصة وتلك قصة أخرى ، وأيضا سمعان ، سمعان فى هذه القصة الحاضرة سمعان الأبرص ، أما سمعان الذى دَعَى المسيح ودخلت إلى بيته هذه المرأة الخاطئة هو سمعان الفريسى، هذه تفرقة لابد أن نقولها لنميز بين الواقعتين.

فى قصة المرأة الخاطئة فى لوقا ٧ كانت المرأة تبكى ، تستغفر المسيح ، وتطلب الغفران عن خطاياها ، وقد منحها المسيح هذا الغفران إذ أدرك أنها حقيقة تائبة وأنـــها

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء بالقصيرين – مساء الأحد ١١ من أغسطس ١٩٩١م ٥ من مسرى ١٧٠٧ش .

من فيض إحساسها بخطيئتها ، جاءت إلى هذا البيت بيت سمعان الفريسى عندما علمت أن المسيح مدعو لهذا البيت ، جاءت لتستغفر وتطلب الغفران عن خطاياها ، وهذا هو السبب فى أن سمعان الفريسى قال فى نفسه لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه إنها خاطئة .

أما المرأة الأخرى فهى مريم اخت لعازر وفى سكب الطيب على رأسه لم تكن هناك دموع وإنما كانت هذه المرأة وهى مريم اخت لعازر جاءت لتحتفل بالمسيح الذى أقام أخاها من بين الأموات، فكتعبير عن حبها وعن شكرها للمسيح له المجد الذى أقام أخاها من بين الأموات، سكبت الطيب على رأسه . أقول هذا لنميز بين القصتين وحتى لانخلط بين هذه وتلك .

هذه القصة الواردة فى الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى ، قصة مريم اخت لعازر التى سكبت الطيب على رأس المخلص ، رأت الكنيسة أنها تتلى فى عشية كل عيد من أعياد السيدة العذراء مريم .

فى عشية أول بشنس وهو عيد ميلادها وكذلك فى الأعياد الأخرى، والكنيسة بتلاوة هذه الواقعة من إنجيل متى كأنها تلوّح إلى العذراء مريم من خلال تلاوة هذه القصة ، قصة مريم اخت لعازر . وقد قال المسيح له المجد فى تعقيبه، لاتزعجوا المرأة فإنها صنعت بى صنيعاً حسناً، لأن الفقراء عندكم فى كل حين أما أنا فلست عندكم فى كل حين . وبهذا يشير إلى فترة وجوده بالجسد على الأرض أنها وجود مؤقت، لرحلة الخلاص والفداء وبعد ذلك يترك هذا العالم إلى السماء التى منها نزل .

لكن سيدنا له المجد لم يكتف بأن يدافع عن هذه المرأة وهى اخت لعازر، ويقول : لاتزعجوا المرأة فإنها صنعت بى صنيعا حسنا ، إنها سكبت الطيب على جسدى لتكفننى، وكان هذا فى الواقع فى الأسبوع السابق على الصلب ولذلك يتلى فى عشية أحد الشعانين ، فاعتبر هذا العمل وهو سكب الطيب على رأسه وعلى قدميه تكفين مسبق، مشيراً بهذا إلى أن الصلب سيقع بعد ستة أيام، لكن قال تصريحاً فى غاية الأهمية، " حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها " . فكان هذا أمراً من المسيح له المجد أن مافعلته مريم اخت لعازر يُذكر فى الأناجيل ، وهذا مالاحظناه فقد ورد فى إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وورد أيضا فى إنجيل يوحنا فى الأصحاح الحادى عشر الذى يروى قصة إقامة لعازر من بين الأموات ويشير إلى مريم هذه التى سكبت الطيب على رأس المخلص ، وهى مريم اخت لعازر. لكنه بقوله حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يذكر أيضا بما فعلته هذه

المرأة إحياءاً لذكرها . يعتبر هذا التصريح الإلهى بمثابة أمر لأن تُذكر ليست فقط هذه المرأة، ولكن أن يُذكر أيضا القديسون، ولذلك هذا أحسن رد على الناس الذين يقولوا لماذا نحتفل بأعياد القديسين ؟ لأن هذا أمر إلهى من المسيح له المجد أننا نحتفل بأعياد القديسين تكريماً لأفعالهم وجهادهم فنذكرهم بالخير، كنوع من الوفاء لهؤلاء الذين صنعوا الخير وأيضا ذاقوا آلاماً من أجل المسيح . نحن لا نعبد القديسين كما يَدَّعون ، لا .. نحن نعبد الله ولكننا نمجد القديسين مقدمين لهم الوفاء، وأيضا ليكونوا أمثلة ونماذج أمام الشباب وأمام الناشئين ، هذه تحية لابد منها ، هذا تكريم لابد منه . ونحن نرى أنه لهذا السبب الدولة بصفة عامة عندما تكرّم العلماء، والذين صنعوا شيئا عظيما من أجل الدولة يُكرّمون، وتُذكر أسماؤهم وأيضا يمنحون جوائز تقديرية وجوائز تشجيعية ، هذا ليس فقط إكرام لهؤلاء العلماء، وإنما تشجيع للشباب الناشىء ليعلموا أن هؤلاء موضع تقدير وهذا يحفز همم الشباب للعمل الصالح . كذلك الكنيسة حينما تذكر القديسين وتمجدهم وتشكرهم ، من حقهم علينا أن نمجدهم وفاءاً وقياماً بالواجب نحو الذين صنعوا الخير من أجل المسيح ، والكتاب المقدس يقول: "انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم " .

ولهذا السبب تجدون أننا فى القداس الإلهى فى مطلع المجمع الذى نذكر فيه أسماء القديسين ، نقول هذا الكلام فى القداس الإلهى بإستمرار " لأن هذا هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك، تفضل يارب أن تذكر جميع قديسيك الذين أرضوك منذ البدء أباؤنا البطاركة .. والأنبياء والرسل والمبشرين والمعترفين " إلى آخره، من أين أتينا بهذا التعبير ؟ هذا الأمر هو الذى جاء فى كلام المسيح عن مريم اخت لعازر، حينما قال لأنه حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يُخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها .

أيضا كما قلت أن الكنيسة إذ تتلو هذا الفصل فى عشية أعياد القديسين مع العلم أن هذا الكلام عن مريم اخت لعازر، لكن الكنيسة تلوّح بهذا على مريم العذراء التى سكبت ليست طيبا ، وإنما سكبت حياتها ، ليس هناك أحد آخر خدم المسيح كما خدمته مريم العذراء ، ولا واحد من الآباء الرسل، لأنها هى التى عانت واحتملت منذ البدء، ليس أحد آخر بين القديسين خدم المسيح وتعب معه تعباً متواصلاً منذ بدء التجسد وما قبل التجسد ، كمثل ماعملت السيدة العذراء ، فمن الواجب علينا أن نفى وأن نقدم الوفاء للعذراء مريم، وأيضا لكى يكون عندنا الاحساس بأنه يجب أن نكرّمها ليس فقط تنفيذاً لأمر المسيح، إنما أيضا تشجيعا للشباب من الجنسين أن يجدوا فى العذراء مريم

تلك الأمثولة وذلك المثل الأعلى الذى يقتدون به فى مسيرة السائرين فى طريق السماء.

هنا فى حياة العذراء مريم يلفت نظرنا فى تأمل لا يفوت علينا، أولا أنها وُلِدَت بعد فترة طويلة من الزمن، كان أبواها يواقيم وحَنّة أمها، حَنّة باللغة العبرانيةَ وحنان بالعربى ، ويواقيم بالعبرانى تعنى يهوه يقيم أى الرب يقيم .

كان أبواها بارين، هذه شهادة التاريخ ، كانت أمها قديسة وكان أبوها أيضا، كانا قديسين ، ومع ذلك ظلا عاقرين مدة طويلة ، سنوات طويلة لماذا ؟ هل لمجرد العقم؟ أو كانت مقصودة !! ظلت حَنّة عقيماً والعقم كان فى الأزمنة القديمة عاراً، وكانت المرأة العقيم تعيش ذليلة النفس وحزينة ، لأن عدم الإنجاب يعتبر غضباً عليها من الله، ومن جهة أخرى أنها امرأة غير مثمرة ، وهذا يحط من مكانتها أمام زوجها وأمام جيرانها، حتى أن أليصابات عندما حبلت وهى فى سن الكبر، فى سن يزيد عن التسعين قالت : " هذا هو الفضل الذى صنعه الرب معى إذ نزع عارى بين الناس " ، لأن هذا كان عاراً على المرأة أن تكون عقيمة، وتعتبر هذه علامة غضب إلهى عليها، وأيضا أكيد أنها تصنع مشكلة بينها وبين زوجها ، لدرجة أن تفتر المحبة بينها وبين زوجها، وفى بعض الأحيان يتزوج زوجها امرأة أخرى مثل حَنّة أم صموئيل فكانت أيضا عاقراً، وزوجها تزوج واحدة أخرى اسمها فننة ، وفننة كان لها أولاد فكانت فننة تُعيِّر حَنّة أم صموئيل لأنها ليس لها أولاد . كل امرأة عندها غريزة الأمومة ، ترغب فى أنها مجرد أن يتم الزواج أن يكون لها إبن .

على الرغم أن حَنّة أم العذراء مريم كانت امرأة بارة وقديسة ، وأيضا يواقيم نفسه إنما يذكر التاريخ أن الإثنين ظلا سنوات طويلة بلا ثمر وبلا نسل، واستمرا يصليا صلوات طويلة إلى الله، ويذكر المؤرخون أن حَنّة أخذت تصلى سنوات طويلة ونذرت نذراً لله أنه إذا أعطاها إبنة أو إبناً فإنه يكون نذيراً للرب، وأنها تقدمه للهيكل ليكون خادماً . كذلك يواقيم يُذكر عنه أنه فرض على نفسه صوم أربعين يوم، وذهب إلى الصحراء وصنع لنفسه مظلة، أى عكوف تام على الصلاة من أجل أن يعطيه الله نسلاً. فشاء الله فى وقت معين أن يستجيب، فظهر الملاك جبرائيل وهو دائما الملاك المبشر، فبشر حَنّة وقال لها إن دعاءك قد أُستجيب وأنت ستحبلين وتلدين إبنة يكون عن طريقها خلاص العالم ، وفى نفس الوقت ظهر الملاك جبرائيل ليواقيم فى الصحراء وبشره بأن حَنّة زوجته ستحبل وتلد إبنة يكون عن طريقها خلاص العالم ، فرجع يواقيم إلى بيته

وأخبر حَنّة إمرأته أن صلواتهما استجيبت وأنها ستحبل وتلد ، قالت له أيضا ظهر لى الملاك جبرائيل وبشرنى ، ففرحا معا وذُكر أنهما أولما وليمة لهذه البشارة .

ولكننا نسأل: لماذا الله أخّر الميلاد على الرغم من أن الإثنين قديسين؟ وعلى الرغم من أنهما متزوجين من سنوات طويلة؟ أكيد أن هذا مقصود، مقصود أن تأتى مريم فى هذا الوقت بالذات، لماذا؟ لو كانت ولدت مريم قبل ذلك قد لايكون الوقت المناسب لكى تكون هى العذراء التى تحمل بالمسيح. لأن الخلاص أو مجىء المسيح من السماء له موعده فى التدبير وفى الحكمة الإلهية ، كما قال الكتاب المقدس فى غلاطية ٤ " لما تم ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين.."(غلا ٤: ٤، ٥)، " لما تم ملء الزمان " بمعنى أن الزمان لمجىء المسيح مرتب من السماء، بأنه يأتى فى وقت معين يشاءه الله لخلاص البشرية ، لذلك المرأة التى تتشرف بأن تحمل المسيح الكلمة الإلهى فى أحشاءها، كان لابد أن تولد فى وقت معين سابق مباشرة على التجسد الإلهى، فلو كان ميلادها قبل ذلك ما كانت مريم هى التى تحمل بالمسيح .

ونفس الموضوع فى ولادة يوحنا المعمدان، فالله يستجيب فى الوقت المناسب، لأننا نلاحظ أن مجىء أصحاب المهام الإلهية يكون فى الوقت المناسب .

فالعذراء لها مهمة معينة ورسالة معينة أن تكون هى المرأة التى يتجسد منها المسيح لأن التجسد له زمن معين فى التدبير والحكمة الإلهية، فكان لابد أن المرأة التى تتشرف بأن يكون التجسد منها تأتى فى وقت مناسب يكون سابقا على نزول المسيح من السماء .

فبعد مدة الرضاعة وهى ثلاث سنوات لا بد أن تُوفى حَنّة النذر بأن تقدمها إلى الهيكل لتقيم فى بيت النذيرين . وكانت أمها من وقت إلى آخر، وفى المناسبات تذهب إليها تقدم لها احتياجاتها من أكل أو كسوة أو شىء من هذا القبيل، وفى سن ست سنين مات أبوها يواقيم ، وعندما كان سنها ٨ سنين ماتت أمها وأصبحت يتيمة من الأب ومن الأم . لماذا يارب مريم وهى المفروض أنه عن طريقها خلاص العالم، وسيدنا له المجد سيأخذ من دمها الجسد الذى يكون للاهوت ستاراً وحجاباً، لماذا مريم تعانى من اليتم هذه المعاناة ؟ هى حكمة الله .

ولكن لعلكم تُقدِّروا الأزمة النفسية لبنت فى هذا السن يتيمة لا أب لها ولا أم ، وعندما بلغت السن ١٢ سنة لاتجد أحد يأخذها ، وكان اختيار الله ليوسف بأن أفرخت عصاه وأخرجت براعم، كيف أن العصا بعد أن جفت تُخرِج هذه البراعم؟ إنها معجزة

لتكون علامة من السماء على أن يوسف الذى اسمه مكتوب على هذه العصا هو الرجل الذى اختارته السماء ليكون هو الشخص الذى يأخذ مريم فى كنفه ورعايته .

وأيضا ليكون من ضمن ألقاب مريم " عصا هرون " لأنه كما حدث مع عصا يوسف وعصا هرون سيحدث مع مريم بالرغم أنها بتول تلد الكلمة مقيم السماء .

وكان يوسف شيخاً كبيراً وقوراً ، وهذه حكمة الله لكى تكون مريم بالنسبة له كابنة، فشاء الله أن يكون يوسف هو الإنسان المناسب الذى يأخذ مريم فى كنفه ورعايته . وكان لابد احتياطاً أن الآباء الكهنة يعقدوا عقد زواج رسمى ، وهذا نوع من الزواج الذى نسميه الزواج البتولى .

وهذا ما قال عنه الكتاب المقدس فى سفر (حزقيال ٤٤: ٢) " هذا الباب يكون مغلقاً لا يُفتح ولايدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " وكما قال آباء الكنيسة أن هذه نبوءة عن العذراء مريم أنها تظل بتولاً كل أيام حياتها، وهى المعروفة بالعذراء بالألف واللام ، فكل بنت غير متزوجة نسميها عذراء لكن مريم نقول العذراء بالألف واللام .

وهنا سؤال نسأله لماذا شاء الله أن مريم العذراء تعانى هذه الطفولة المعذبة ؟ أنها لم تستمر فى كنف والديها إلاّ ٣ سنين، وبعد ذلك ذهبت الهيكل وبعد ذلك مات أبوها وماتت أمها وظلت يتيمة حتى سن١٢سنة وبعد ذلك أخذها يوسف، لا شك أن هذا كان فيه ألم كثير وعذاب ، طفلة تحرم من الأب والأم، وكلنا نعلم مركز الأب والأم بالنسبة للطفل ، هذه الإنسانة التى من المفروض أنها سيكون عن طريقها خلاص العالم ، لماذا لم يبق والديها ؟ ماهى الحكمة ؟ لابد أن الله له حكمة أن مريم تعانى هذه العذاب ، عذاب الحرمان من الأب والأم وتظل تعيش هذه الطفولة اليتيمة حتى كبرت ، ولايكون لها أحد تعتمد عليه أو تستند إليه ، وبهذا كانت شبيهة بالعليقة التى رآها موسى أو العليقة شبيهة بمريم ، فالله ظهر فى العليقة، إنه ساكن السماوات والأرض إنما نزل فى العليقة، ونزول الله ليس كنزول الإنسان، فعندما ينزل الله من السماء فهو لا يُخلى السماء من وجوده ، لأنه مالىء السموات والأرض، فبينما كان المسيح فى السماء كان على ركبتى العذراء مريم، وبينما كان على ركبتى العذراء مريم كان فوق الكاروبيم فى السماء ، فكلمة نزل من السماء لا بمعنى أنه أخلى السماء من وجوده، ولكن بمعنى أنه أصبح له وجود على الأرض . وأيضا بالنسبة لفهم الإنسان نقول الله نزل، لأن الإنسان يعلم أن الله ساكن السموات، فعندما يصير له وجود على الأرض يكون نزل بهذا المعنى، نزل بالنسبة للإنسان ، لكن بالنسبة لله ، الله لاينزل .

فنزول الله فى العليقة كان رمزاً للنزول الأعظم الذى حدث فى التجسد . ولماذا الله نزل من السماء ؟ لأن الخطيئة أذلت الإنسان وطرد الإنسان وصار الإنسان منفياً من حضرة الله ، وهذه مذلة أعظم مذلة ، فالله شاء بالتجسد أن ينزل ليُخلص الإنسان من هذه المذلة ، ونزول الله فى العليقة بمنظر النار المتوهجة، تشرح لنا لماذا العليقة لم تحترق ؟ لأنها ليست ناراً عادية ، **فكانت بهذا رمزاً للعذراء مريم** ، ولذلك نقول عليها العليقة، العليقة شجرة صغيرة، ليست شجرة كبيرة ، وأغصانها رخصة ورخوة لا قدرة لها على أن تنتصب بل تتعلق على غيرها من الأشجار المجاورة، العليقة رمز للعذراء مريم ؟ نقول: " العليقة التى رآها موسى النبى فى البرية، والنيران تشتعل فيها ولم تمسسها بأذية، مثال أم النور مريم حملت جمر اللاهوتية، وهى عذراء ببكورية "، فالعليقة كمريم التى عانت اليتم من طفولتها ولم يكن لها إنسان تعتمد عليه لا أب ولا أم ولا قريب، عانت مريم هذه المعاناة التى يندر أن يعانيها طفل آخر ، هذا عذاب لأن الطفل يحتاج فى هذا السن الصغير إلى الأب وإلى الأم وخصوصا إلى الأم ، وبعد سن ١٢ سنة أخذها رجل عبارة عن جدها تقريبا أو فوق التسعين سنة ، هذه المعاناة مقصودة ، " أبى وأمى قد تركانى وأما الرب فقبلنى" ، فالاحتمال الذى احتملته من أجل الله سيُحسب لها ، ستكافىء عنه، هناك أمور كثيرة يبدو أن مريم عانت كثيراً واحتملت الكثير، فى أرض مصر تحملت الكثير من البلايا والمتاعب والاضطهاد، كثيرا ماطُردت، ولذلك انتقلت من مكان إلى مكان بمحطات سميت محطات العائلة المقدسة .

مريم تعبت كثيراً جدا ، لايوجد أحد أبدا لا من الشهداء ولا من القديسين ، ولا من الآباء الرسل احتمل مع المسيح كما احتملت العذراء مريم !! وهذا ماجعل لها دالة قوية وشفاعة كبيرة لأنها احتملت كثيراً .

إن مريم احتملت هذه الطفولة المعذبة وهذا اليتم المقصود، لكى نقول العذراء مريم ليس لها أحد تعتمد عليه لا أب ولا أم ولا قريب، ، فيكون الاعتماد على الله وحده، فكانت بهذا شبيهة بالعليقة، العليقة فوقها النار الملتهبة وهو الرب نفسه الذى حماها وعطف عليها وقواها وكان خير سند لها، لكى نتأمل، ونحن عندما نجد أنفسنا فى تجارب وفى آلام، الإنسان يتذمر على الله ويقول ماذا عملت يارب ؟ لماذا سمح الله بذلك ؟ لماذا ؟ نعترض على الله ؟؟ الله يجعل العذراء مريم أم المخلص تتحمل هذه الأشياء لكى يكون هذا تعليم لنا نحن ، لانتعلم إن لم نتألم .. فالآلام عن طريقها نتعلم أشياء كثيرة، فإذا رأينا التجارب لانتذمر على الله، بل إذا احتملنا التجربة واحتملنا الألم يُحسب هذا فضيلة، يُحسب هذا بر أمام الله ، لانريد فى علاقتنا مع الناس أو مع الله أن

نتذمر أو نجدف على الله، لاتنظر للآخرين وتقول لماذا أنا ؟ انظر للست العذراء كنموذج، إذا كان هناك تجربة ويوجد ألم وصبر على هذا الألم ، هذا الصبر يحسب له فضيلة، وهذا ما قاله الكتاب المقدس فى رسالة يعقوب " طوبى لمن يحتمل التجربة لأنه متى تَزَكّى ينال إكليل الحياة الأبدية الذى وعد به الرب للذين يحبونه "(يع١: ١٢). متى تَزَكّى، أى متى تطّهر ، التجربة لاتجعله يُجدف ، بل طهرته ونقته مثل أغصان الشجر، الكرّام أو الجنايني لابد أن يشذّبها، فالآلام يأولادنا لها فوائد، وكما قال يوحنا ذهبى الفم "ما من تجربة إلا وتحمل وراءها إحدى البركات ". هذا بالنسبة للإنسان الذى يهوى التجربة لكى يتعلم منها شيء ويستفيد، ويوجد إنسان يتذمر ويقارن بينه وبين الآخرين ، ويعتبر أن الله يعاكسه، بدلا من أن أبحث عن سبب رسوبى يقول ربنا هو سبب الرسوب ، التجارب تمحص الإنسان ، وتجعله يتزكى وينال إكليل الحياة الأبدية ، متى تَزكى، متى تَنقى، متى استفاد من هذه التجربة ينال إكليل الحياة الأبدية الذى وعد به الرب للذين يحبونه ، وهذا يكون برهان لمحبة الله ، أن الإنسان لايتذمر ولايكفر ولايغضب من الله، إنما يقول أنا مستحق لهذه التجربة وأنا أتعلم منها ، والتجربة ترفع ترمومتر الحياة الروحية بيننا وبين الله .

عيد دخول العذراء مريم طفلة إلى الهيكل

فى اليوم الثالث من شهر كيهك عيد دخول العذراء طفلة إلى الهيكل بعد أن أتمت مدة الرضاعة وهى ثلاث سنوات، وهذا هو الترتيب الذى ننادى به لبناتنا ولسيداتنا أن الطفل ينبغى أن يرضع من صدر أمه ثلاث سنوات .

فموسى النبى أرضعته أمه ثلاث سنوات، وصموئيل النبى أرضعته أمه ثلاث سنوات وهاهى العذراء مريم أرضعتها أمها ثلاث سنوات . وهذا ما نص عليه الكتاب المقدس فى سفر المكابيين الثانى الأصحاح السابع تقول الأم لإبنها " ارحمنى أنا التى حملتك فى بطنها تسعة أشهر وأرضعتك ثلاث سنوات " . ووجدنا وثائق ونصائح " حتب " فى مصر القديمة أيضا تؤكد هذا المعنى، أن الأم ينبغى أن ترضع طفلها من صدرها ثلاث سنوات " اعرف ياإبنى قدر أمك أنها حملت أوساخك وكان فمك فى ثدييها ثلاث سنوات". نقول هذا الكلام توكيداً لهذه المسألة التى ينبغى أن نلح عليها دائما، أن الطفل ينبغى أن يرضع من صدر أمه ثلاث سنوات . وهذا حق طبيعى لأن لبن الأم ليس له نظير أبدا ، إنه غذاء ودواء للطفل ، فلبن الأم كما يقولون الآن فيه مناعة لاتوجد فى لبن آخر، ودرجة الدفء فيه لاتوجد لها مثيل فى لبن آخر. ثم أنه يتمشى مع سن الطفل ، حين يكون الطفل صغيراً جـداً يكون اللبن خفيفا على قدر ماتحتمله قدرته وصحته ، وكلما نما الطفل يزداد لبن الأم تركيزاً من الناحية الغذائية، واتضح أيضا أن لبن الأم يجعل الطفل أكثر ذكاءاً من أى لبن آخر، إلى جانب أن عملية الرضاعة من صدر الأم تنفع الأم نفسها، فأولا عملية سحب اللبن من صدرها بهذه الصورة التى يقوم بها الطفل، تكون بمثابة مساج أو تدليك لأجهزة المرأة، فتعود إلى وضعها الطبيعى. الأمر الثانى أن الأم التى ترضع طفلها من صدرها تنجو من مرض السرطان. لأن إحتجاز اللبن الذى يتكون طبيعيا مهما أنكرت المرأة إحتجازه يسبب مرض السرطان بصدرها ، بالضبط كالبول إذا لم ينزل يحدث بولينا ، والبراز إذا لم ينزل يحدث تسمم ، وهذا مانسميه وظيفة الإخراج فى الجسم، فاللبن إذا لم يأخذه الطفل وهذا حقه الطبيعى، وهو غذاء ودواء فإنه يضر المرأة نفسها، لأنه يسبب لها سرطان وهذه حقيقة أصبحت مقررة .

-----

(١) محاضرة بكنيسة مارمرقس بامبابة – الجيزة – مساء الخميس ١٢ من ديسمبر ١٩٩١م – ٢ من كيهك ١٧٠٨ ش

فالعذراء مريم رضعت من أمها ثلاث سنوات، وبعد ذلك قدمتها إلى الهيكل كنذيرة، لأنها نذرت لله نذراً بعد فترة عقم طويلة، وهذه مسألة لها حكمتها عند الله ، لأنه كان لابد أن العذراء تولد فى وقت معين، لأن تدبير العناية الإلهية أن التجسد له زمن " لما حان ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من امرأه تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس " لما حان ملء الزمان. لما كمل الزمان، فتدبير العناية الإلهية اقتضى أن التجسد يأتى فى وقت معين، لذلك كان لابد أن مريم تأتى فى الوقت المناسب، لو كان الله استجاب لصلوات أمها حَنّة وأبيها يواقيم بعد الزواج مباشرة كان الجنين لا يكون هو مريم . إنما لابد أن مريم تولد فى وقت معين مناسب سابق لعمل التجسد الإلهى ، لذلك شاء الله أن يتأخر عن إجابة يواقيم وحَنّة إلى هذا الوقت بالذات ، بعد سنوات طويلة من العقم ، وكانت حَنّة تصلى وتبكى بدموع وتطلب من الله أن يرفع عنها هذا العار، لأن المرأة إذا لم تلد أو لم تنجب فإنها تحسب نفسها عقيما، وتحسب نفسها أنها غير مثمرة وأنه لافائدة منها . فكانت هذه دائما مرارة المرأة كانت ولازالت ، لكن كل امرأة تلد هذا يرفع رأسها أمام زوجها وأمام أهلها وأمام الناس جميعا ، أو كما قالت أليصابات عندما بُشرت بيوحنا المعمدان " نزع عارى من بين الناس " فكان هذا عار .

فحَنّة كانت تصلى وتطلب بحرارة أمام الله أن يعطيها نسلا، وكذلك يواقيم حتى أنه بعد فترة طويلة من العقم نذر صوماً أربعين يوما، ذهب يواقيم إلى الصحراء فى خلوة تامة وصام أربعين يوما ، ظهر له بعدها الملاك جبرائيل وهو دائما الملاك المبشر ، وبشره بأن حَنّة زوجته ستحبل وتلد إبنة، عن طريقها يكون خلاص العالم، ففرح فرحا عظيماً لايعبر عنه ، لأن هذه ليست إبنة عادية ولكن ستكون خادمة لسر التجسد، وعن طريقها يتم خلاص العالم بميلاد المسيح منها. كذلك فى نفس الوقت كانت حَنّة فى البيت تصلى وظهر لها الملاك جبرائيل وبشرها بأنها ستحبل وتلد إبنة يكون عن طريقها خلاص العالم ، فلما رجع يواقيم إلى البيت وأخبر حَنّة، فرحت وسمع أيضا من زوجته أن الملاك بشرها ، فكانت الفرحة أعظم وأعظم حيث اجتمع الإثنان على هذه الرؤيا، رؤيا الملاك جبرائيل قوة الله وجبار الله ، بشرهما الإثنين معا بهذا النبأ العظيم، ليست هذه إبنة عادية وإنما إبنة يكون عن طريقها خلاص العالم، واسمها يبقى مدى الأجيال وإلى الأبد .

وهكذا شاء الله أن تنال مريم هذه الكرامة وبرّ الله بوعده، وحبلت حنة وأنجبت هذه الإبنة وأرضعتها ثلاث سنوات، وبعد ذلك كان عليها أن تبر بنذرها وتحمل طفلتها إلى

رواق النذيرين بالهيكل ، لأن الهيكل به القدس الذى يدخل فيه الكهنة للتبخير وللصلاة وأيضا قدس الأقداس الذى يدخل إليه رئيس الكهنة مرة فى السنة، لكن بالنسبة لأماكن الإقامة للكهنة وغيرهم كان هناك عدد من الأروقة أحدهما رواق للرجال وكان يسمى رواق إسرائيل ، يقف فيه الرجال للصلاة ، ثم رواق للنساء تقف فيه النساء للصلاة،

والرواق الثالث هو رواق الكهنة، لأن الكهنة كانوا ٢٤ فرقة، وكل فرقة من الكهنة عليها الخدمة لمدة ١٥ يوم فى السنة، فكان الكهنة يقيموا هذه المدة وينامو ويستريحوا ويأكلوا فى رواق اسمه رواق الكهنة .

أما الرواق الرابع كان اسمه رواق الأمم وهم الناس الذين من غير اليهود وليسوا من جنسهم، ولكن يميلوا للعبادة اليهودية فخصصوا لهم مكان سموه رواق الأمم .

هذه الأربعة الأروقة التى فى الدار الخارجية وهى خارج القدس وقدس الأقداس .

بالنسبة للأطفال النذيرين ، الأولاد والبنات الصغار لأنهم يقيموا إقامة دائمة وسنوات، فخصصوا لهم مكان اسمه رواق النذيرين ، مثل صموئيل وكانوا عشرات بل مئات الأطفال الأولاد والبنات الصغار كانوا يقيموا إقامة دائمة .

فالعذراء مريم وهى طفلة بعد الثالثة من عمرها، أقامت فى بيت النذيرين ، كانت أمها وأبوها يحضرا فى المناسبات ويلتقيا بها ويقدما لها ما يلزمها ويحضرا لها الكسوة أو طلباتها وإحتياجاتها . واستمرت مريم فى الهيكل حتى سن ١٢ سنة .

مريم العذراء
لماذا تَيتّمت منذ طفولتها ؟
أليس لتكون هى العليقة التى لا سند لها غير الله وحده (١)

إنّ فى حياة العذراء الطاهرة مريم أموراً كثيرة تستثير التأمل، ويبدو فيها واضحاً تدبير الله وحكمته. فمريم العذراء، وهى التى اتّخذ منها المسيح جسده، وقد صاغه من دمها ليكون للاهوته ستاراً وحجاباً ، فهى ذات مهمة فى تدبير الخلاص، ففى كل خطوة من خطوات حياتها مايقتضى أن نستخلص منه العبرة والعظة، ومانتعلم منه الهدف والحكمة .

إنَّ مريم العذراء جاء الحَبَلَ بها وميلادها متأخراً سنوات عن زواج أبويها يواقيم وحَنّة . لقد ظل الإثنان عقيمين فترة طويلة . وفى الوقت الذى رآه الربُّ مناسبا لميلادها، جاء الملاك جبرائيل ليبشر أبويها يواقيم وحَنّة بالحبل بها ، ويعلنهما عن دورها الذى عَيّنه الرب لها فى تدبير الخلاص الذى وعد به آدم وذريته، ونزل من السماء لتحقيقه (لما تم الزمان) (غلاطية٤: ٤) .

لكنَّ هناك أمراً يستوقف النظر ، هو أنَّ العذراء مريم نذيرة للرب من بطن أمها. والنذر جاء من منطوقٍ فم أمها، وكان برغبتها ومطلق حرّيتها، ولم تكن فى ذلك مقهورة أو مجبرة (فَصلّت إلى الرب وبكت بكاءً، ونذرت نذراً وقالت : يارب الجنود، إن أنت نظرت نظراً إلى مذلة أمتك، وذكرتنى، ولم تنس أمتك، بل رزقت أمتك زرع بشر، فإننى أعطيه للرب كل أيام حياته) .

ولما ظهر لها الملاك جبرائيل بنور سماوى، فيما هى تصلى، وقال لها : (ياحَنّة إنَّ الله سمع لدعائك وصلواتك . وها أنت ستحبلين وتلدين إبنة مباركة، وسيكون لها الطوبى فى جميع الأجيال، وفي كل أقطار المسكونة، ومنها يُولد الخلاص من أسر إبليس، لآدم وذريته. أجابت حَنّة الملاك جبرائيل وقالت: (حيٌ هو الرب . لو أننى رزقت بمولودة كما قلت لى، لسوف أقدمها قربانا للرب الإله، لتخدمه كل أيام حياتها فى هيكله المقدس ...) .

----

(١) كُتب فى ١٨ من أغسطس ١٩٩١م – ١٢ من مسرى ١٧٠٧ ش .

وحبلت حَنّة كقول الملاك ، ثم بعد تسعة أشهر وضعت الطفلة المباركة وسمتها (مريم) .

وبرّت حَنّة بوعدها، ووفت بنذرها، فما إن بلغت مريم العذراء تمام الثالثة من عمرها – وهى مدة الرضاعة القانونية كما جاء على فم إحدى الأمهات تخاطب إبنها، على ماورد فى الكتاب المقدس: " يابُنى إرحمنى أنا التى حملتك فِي جوفها تسعة أشهر وأرضعتك ثلاث سنين" (٢. المكابيين٧: ٢٧) – حتى حملتها حَنّة إلى الهيكل لتكون خادمة للرب فى بيته، وقد أقامت مريم فى رواق النذيرين من الأطفال ... وكانت أمها حنة تزورها من وقت إلى آخر تحمل إليها هداياها من طعام ولباس إلى أن بلغت العذراء مريم الثامنة من عمرها فتوفيت أمها، وكان أبوها يواقيم قد توفى قبل أمها بسنتين، أى عندما كانت العذراء مريم فى السادسة من عمرها . وبهذا أمست العذراء فى الهيكل يتيمة من الأبوين فى الثامنة من عمرها. وظلت هناك فى بيت الرب إلى أن بلغت الثانية عشرة من عمرها، وهى سن البلوغ للفتاة، والتى ينبغى فيه للفتاة أن تغادر الهيكل. (لا تلامس شيئاً من الأقداس ، ولاتدخل القدس) (سفر اللاويين١٢: ٤) ، (اللاويين١٥: ١٩، ٢٠) .

وهنا نقف لنتأمل دقة الموقف وصعوبة القرار بالنسبة لمصير مريم العذراء، هذه الصبية الصغيرة وفى هذه السن، سن الثانية عشرة من عمرها . إلى أين تذهب هذه الصبية عند خروجها من الهيكل ؟ إنها يتيمة من الأب ومن الأم، وليس لها بيت تذهب إليه، ولا أحد ترجع إليه كما يمكن لفتاة فى مثل سنها .. ؟

ولقد وقع الكهنة فى حيرة من أمرها، إلى أين تذهب، وإلى من يّسلّمونها ليتولى أمرها... ولابد أن تكون هى نفسها قد وقعت فى أزمة نفسية .. لقد صارت منفردة، وليس لها أهل يأخذونها عندهم ، وليس لها بيت تعود إليه ...

ولقد قال بعض الآباء إن ملاكا من السماء أوعز إلى (زكريا) فى حلم أو رؤيا أن يجمع عصى رجال المدينة التى تنتسب إليها مريم، وأعنى بها بيت لحم . وكان من عادة كل رجل أن يحمل فى يده عصا يحمى بها نفسه من الكلاب والحيوانات وممن يعترضه من الأعداء وقطاع الطرق . فجمع زكريا الكاهن عصى الشيوخ والشباب من قرية بيت لحم ووضعها حسب أمر الملاك فى الهيكل، وحدث فى اليوم التالى أن العصا المكتوب عليها اسم يوسف النجار، أفرخت كما أفرخت عصا هرون من قبل (فأخرجت براعم وأزهرت وأنضجت لوزا) (سفر العدد١٧: ٨)، (العبرانيين٩: ٤) . ولهذا السبب دعيت (مريم) فى طقوس الكنيسة (عصا هرون) . وزاد على ذلك أن

حمامة بيضاء جميلة جاءت واستقرت على رأس يوسف ، فكانت هذه أيضا علامة أخرى على أن مشيئة الله قد اقتضت أن يكون يوسف هو الرجل الذى كان عليه أن يتسلم مريم لتكون فى كنفه وتحت حماه ومسئوليته . وكان يوسف فى ذلك الوقت فوق التسعين من عمره ، لأنه كما يروى السنكسار إنّ يوسف قد مات عندما بلغ ١١١ سنة، وكان للرب يسوع فى الجسد ١٦سنة (السنكسار تحت يوم ٢٦ من أبيب)، وإذن فقد كان يوسف يوم ميلاد المسيح، أو بالأحرى يوم تجسده ، ابن ٩٥ سنة . وعلى ذلك يكون سن يوسف عندما أخذ مريم إلى بيته نحو ٩٤ أو ٩٣ سنة .

وحرصاً على سمعة العذراء مريم رأى الكهنة وجوب عقد زواج رسمى بين يوسف ومريم .

وكان فى ذلك الإجراء عين الحكمة، لأنه إن حبلت العذراء . وهى فى بيت يوسف دون أن يكون بينها وبين يوسف عقد زواج رسمى ، أجاز ليوسف أن يجمع على مريم الشيوخ ويرجمونها بالأحجار (سفر التثنية ٢٢: ٢٠، ٢١) ولكن يوسف كما يروى الإنجيل (إذ كان يوسف رجلها باراً، ولم يشأ أن يشهر أمرها، أراد أن يخلى سبيلها سراً . ولكنه فيما كان يفكر فى ذلك، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : (يايوسف بن داود، لاتخف أن تستبقى مريم امرأتك لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس) (متى١: ١٩، ٢٠) .

وهنا نتأمل ونتساءل : لماذا كان لمريم العذراء وهى التى سيتخذ الرب منها جسده، هذه الطفولة البائسة التى عانت فيها ظروفاً قاسية أليمة، روحياً ونفسياً وبدنياً.؟ إنها كطفلة لم تعش طفولة زمانها.. فهى لم تعش مع أمها غير مدة الرضاعة وهى سنوات ثلاث، بعدها ذهبت بها أمها إلى الهيكل وعاشت بعيدة عن أمها، محرومة من دفء عاطفتها، وليس أقسى على الطفل من حرمانه من حضن أمه . فحضن الأم للطفل هو غذاؤه الروحى والنفسى والجسدى . إنّ حضن الأم للطفل هو غذاء ودواء .

ثم إنّ مريم ببقائها فى الهيكل حُرمت من العودة إلى أمها نهائياً، ففى سن الثامنة صارت يتيمة من أبويها . وظلت فى الهيكل حتى بلغت الثانية عشرة من عمرها . فلم تنعم بحضن أمها غير سنوات الرضاعة، ولم تعد إلى أمها بعد ذلك بسبب وفاة أبويها... ولَمَّا تزوجت، أخذها رجل عجوز يزيد على التسعين من عمره بينما كانت هى صبية فى الثانية عشرة ، وكأنها بالنسبة له إبنة أو حفيدة، وهو جدها .

هذه الملابسات البائسة التى عاشتها مريم فى طفولتها، ولازمتها كل حياتها إلى يوم وفاتها جعلتها حقاً شبيهة بالعليقة التى رآها موسى فى البرية عندما كان يرعى

غنم يثرون حميه كاهن مديان ... (فنظر وإذا **عُلَيَّقَة تَتَوَقَّد** بالنار وهى لاتحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم : لماذا لاتحترق العليقة؟ ورأى الرب أنه قد مال لينظر، فناداه الله من وسط العليقة . وقال: موسى، موسى . قال: هاأنذا . فقال: لا تقترب إلى ههنا . اخلع نعليك من رجليك ، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب . فستر موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله . فقال الربُّ إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم... إنى علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم..)(سفر الخروج٣: ١-٨) .

أما العليقة فهى شجرة صغيرة، أو قل هى شجيرة أغصانها رخوة، ولاقدرة لها على أن تنتصب بذاتها، فتتعلق على مايجاورها ...

ولهذا رأت الكنيسة فى مريم **العذراء أنها أيضا كالعليقة لأنه لم يكن لها أب أو أم أو أحد تستند إليه أو تعتمد عليه، فكانت شبيهة بالعليقة التى رآها موسى النبى فى البرية .. والعليقة تتوقد بالنار وهى لاتحترق،** وهكذا مريم العذراء حل فيها الله الكلمة ولم تحترق مع أن الله (إلهنا نار آكلة) (العبرانيين ١٢: ٢٩) (من منا يسكن فى نار آكلة . من منا يسكن فى وقائد أبدية) (إشعياء ٣٣: ١٤) .

ثم إن الله من فوق العليقة قال لموسى: إنى قد رأيت مذلة شعبى .. وسمعت صراخهم.. إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم .. وكان **هذا القول الإلهى لموسى إرهاصاً ومقدمة وإعلانا للنزول الأعظم بالتجسد الإلهى (قد رأيت مذلة شعبى .. فنزلت لأنقذهم)** وهاهو النشيد الكنسى عن القديسة مريم العذراء .

العليقة التى رآهـــــا	موسى النبى فى البرية
والنيران تشتعل فيــها	ولم تمسسها بأذيــــة
مثال أم النور طوباهـــا	حملت جمر اللاهوتيــة
تسعة أشهر فى أحشاها	وهى عذراء ببكوريــة

العذراء مريم طفلة فى الهيكل

فى اليوم الثالث من شهر كيهك القبطى (ويقابل الثانى عشر من شهر ديسمبر – كانون أول) تحتفل الكنيسة المقدسة بدخول العذراء مريم إلى الهيكل وهى طفلة، أكملت الثالثة من عمرها، لتنضم إلى زمرة الأطفال النذيرين فى المكان المُعَّد لهم فى الدار الخارجية، خارج القدس وقدس الأقداس .

والمعروف أن (حَنّة) أم العذراء مريم كانت عاقراً ومر على زواجها عدد من السنين ولم ترزق طفلا من زوجها يواقيم، فكانت لذلك حزينة حزناً شديداً، فقد كان العقم فى ذلك الزمان عاراً، وكان الناس يعيّرون المرأة العقيم ويعتقدون أنه مغضوب عليها من الله. فشرعت (حَنّة) تصلّى إلى الله بحرارة ومرارة كما فعلت حَنّة أم صموئيل(١.صموئيل ١: ١–١٦)، وقالت فى صلاتها: (أسألك، أيها الإله الدائم وحده، الذى سمع صوت سارة زوجة أبينا إبراهيم وأعطاها إسحق بعد الكبر، وسمع لراحيل وأعطاها يوسف وبنيامين ... أن تسمع صوت دعائى ، أنا المسكينة الخالية من النسل، وتعطينى زرعا يُسَرُّ به قلبى ... وها أنا أنذر بين يديك يا إلهى أن النسل الذى تعطينى لا أدعه يمشى على الأرض حتى أقدمه لهيكلك المقدس ...) وفيما هى تصلى ظهر لها الملاك جبرائيل بنور سماوى ، وقال لها : ياحنة ، إن الله سمع لدعائك وصلواتك . وها أنت ستحبلين وتلدين إبنة مباركة، وسيكون لها الطوبى فى جميع الأجيال، وفى كل أقطار المسكونة، ومنها يولد الخلاص من أسر إبليس، لآدم وذريته . فأجابت (حَنّة) الملاك جبرائيل وقالت : حيٌّ هو الرب ، لو أننى رُزقت بمولودة ، كما قلت لى ، لسوف أقدمها قرباناً للرب الإله لتخدمه كل أيام حياتها فى هيكله المقدس ..

وحبلت (حَنّة) كقول الملاك جبرائيل، ووضعت بعد تسعة أشهر، طفلة وسمّتها (مريم) MIRYAM ، وأرضعتها من ثدييها لمدة ثلاث سنوات ، وهى مدة الرضاعة القانونية التى يجب أن تحرص عليها كل أم ، كما فعلت سارة مع إسحق إبنها، وكما فعلت حَنّة أم صموئيل النبى، فقد جاء فى الكتاب المقدس على فم أم أحد شهداء المكابيين تخاطب ابنها: ارحمنى أنا أمك التى حملتك فى بطنها تسعة أشهر، وأرضعتك ثلاث سنوات (٢.المكابيين ٧: ٢٧) .

وبرّت (حَنّة) بوعدها، ووفت بنذرها، فلما أتمت فطام إبنتها (مريم)، جاءت بها إلى الهيكل لتكون خادمة للرب فى بيته . وكانت حَنّة تزور إبنتها من وقت إلى آخر تحمل

إليها هداياها من طعام ولباس ، إلى أن بلغت مريم الثامنة من عمرها فتوفيت أمها، وكان أبوها (يواقيم) قد توفى وكانت مريم فى السادسة من عمرها . وتُعَيِّد الكنيسة لذكرى نياحته أو وفاته فى السابع من برمودة وهكذا أمست مريم العذراء فى الهيكل يتيمة من أبويها . وظلت هناك فى بيت الرب إلى أن اكتملت لها إثنتا عشرة سنة .

وقد وجدت مريم نعمة عند الكهنة وعند جميع الذين رأوها فى الهيكل من الشعب ، منذ طفولتها المبكرة فقد كان كل الناس يحبونها ويلمسون حياتها السمائية لدى تطلّعهم إلى وجهها النورانى .

قضت مريم العذراء تسع سنوات من حياتها بعد فطامها، عابدة فى الهيكل تُصلى وترتل وتسبح وتنشد الأناشيد الروّحية، وكانت تصوم فى هذه السن المبكرة وتعطى الفقراء والمساكين طعامها المخصص لها، فكانت الملائكة تّشفق عليها وتأتيها بطعام سمائى .

ولما أدركت (مريم) سن البلوغ تشاور الكهنة فى مصيرها حيث أنه لا يجوز لها أن تقيم فى الهيكل بعد هذه السن ، فأوعز الملاك فى رؤيا الليل إلى زكريا الكاهن أن يجمع عصيٍّ رجال المدينة التى تنتمى إليها مريم الصبية ، وأن يكتب على كل عصا اسم صاحبها . وصنع زكريا ما أمره به الملاك . وفى اليوم التالى لوضعها فى الهيكل أفرخت العصا المكتوب عليها اسم يوسف النجار ، وأخرجت براعم . فتبين الكهنة بهذه المعجزة مشيئة الله فى أن تكون (مريم) من نصيب (يوسف) النجار وهو عندئذ شيخ فوق التسعين من عمره، فقد مات يوسف ابن ١١١ سنة فى حين كان السيد المسيح فى السنة السادسة عشرة لتجسده (السنكسار تحت اليوم ٢٦ من أبيب) . فكانت عصا يوسف النجار التى أفرخت شبيهة بعصا هرون التى وضعها موسى النبى فى الهيكل مع عصيٍّ جميع أسباط إسرائيل، وكتب على كل عصا اسم صاحبها ، وكتب اسم هرون على عصا لاوى. (فوضع موسى العصيّ أمام الرب فى خيمة الشهادة . وفى الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة ، وإذا عصا هرون لبيت لاوى قد أفرخت ، أخرجت فروخاً وأزهرت زهراً وأنضجت لوزا. فأخرج موسى جميع العصيّ من أمام الرب إلى جميع بنى إسرائيل ، فنظروا ، وأخذ كل واحد عصاه) . أما عصا هرون، فحفظت فى داخل خيمة الشهادة وقال الربُّ لموسى: رُدَّ عصا هرون إلىَّ ، أمام الشهادة لأجل الحفظ ، علامة... ففعل موسى كما أمره الرب . كذلك فعل) (سفر العدد ١٧: ١-١١) .

من أجل هذا لقبت العذراء مريم فى تسابيح الكنيسة وطقوسها بأنها (عصا هرون) لأنَّ عصا (يوسف) النجار أفرخت فكانت علامة إلهية على إختيار يوسف لمريم . ثم لأن عصا هرون أيضاً ترمز إلى العذراء مريم ، فالعصا الجافة لاتفرخ ولاتخرج براعم ، لكن عصا هرون أفرخت من قبيل المعجزة ، لتكون علامة من السماء على إختيار هرون ، للكهنوت ، دون جميع أسباط بنى إسرائيل هكذا (مريم) ولدت المسيح وهى عذراء . الأمر الذى لايمكن حدوثه عادة ، ولكنه حدث لمريم العذراء وحدها من دون جميع النساء .

وشاء الرب بالإضافة إلى ذلك أنَّ حمامة بيضاء جميلة جاءت واستقرت على رأس يوسف النجّار، فكانت علامة أُخرى لتوكيد مشيئة الله فى أن يكون يوسف النجار هو المختار الذى يحقٌ له أن يأخذ مريم إلى حماه وإلى بيته .

على أنه حرصا على سمعة العذراء مريم التى سيأخذها (يوسف) إلى بيته رأى الكهنة وجوب عقد زواج رسمى بين يوسف ومريم . وكان هذا التصرف عملاً حكيماً بمشورة الله وتدبيره ، حتى متى حبلت العذراء مريم ، دون أن يكون بينها وبين يوسف عقد زواج رسمى، فلا ترجم كما أمرت الشريعة أن ترجم المرأة فى هذه الحالة بوصفها زانية (يوحنا٨: ٥) ، (اللاويين٢٠: ١٠) ، (التثنية٢٢: ٢٢) .

وقد شهدت نصوص الإنجيل على أن يوسف زوج مريم رسمياً ، ومريم زوجة ليوسف رسميا ، وإن كانا فى الحقيقة قد عاشا معاً كأب عجوز فى نحو التسعين من عمره مع إبنته وهى صبية فى الثانية عشر من عمرها .

قال الإنجيل للقديس متى (كان يوسف رجلها باراً) (متى١ :١٩) . وكلمة (رجلها) تعنى (زوجها) ، فهى باليونانية ἀνήρ αὐτῆς (ANER) وبالقبطية Ⲡⲉⲥϩⲁⲓ (PECHAI) وبالإنجليزية HER HUSBAND وبالفرنسية SON ÉPOUX أى أنَّ كلمة (رجلها) تدل على الإقتران بالزيجة، وليس مجرد الخطبة .

ثمّ إنّ الإنجيل المقدس يروى أنّ (يوسف) رأى علامات الحمل ظاهرة على مريم فارتبك وهو يعلم أنَّ هذا الحمل ليس منه ، وكانت الشريعة تبيح له أن يجمع على مريم شيوخ المدينة ويفضح أمرها فيحكمون عليها بالرجم ويضربونها بالأحجار حتى تموت، لكن (يوسف) إذ كان رجلا باراً (لم يشأ أن يشهر أمرها، أراد أن يخلى سبيلها سرا) مكتفيا لبرارته وتقواه، بأن يطردها من بيته خفية دون أن يرجمها (ولكنه فيما كان يفكر فى ذلك، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : يا يوسف بن داود، لاتخف أن تستبقى مريم امرأتك، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس ، وستلد إبنا

وتسمينه يسوع ، لأنه هو الذى يُخلّص شعبه من خطاياهم . وقد كان ذلك كله ليتم ما قاله الرب بفم النبى القائل : "ها إنّ العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعى اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا). فلما نهض يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب ، واستبقى مريم امرأته " (متى١: ١٩-٢٤) .

وهكذا نرى نصوص الإنجيل ناطقة بأن مريم زوجة يوسف ، وليست مجرد خطيبه، أو مخطوبة، ولو أنها بالفعل لم تعرفه ولم يعرفها معرفة الرجل لزوجته . ولهذا حرص الإنجيل على أن يقول (ولم يعرفها حتى ولدت الابن) (متى١: ٢٥) وذلك توكيداً لهذه الحقيقة أن العذراء مريم ولدت يسوع المسيح وهى عذراء بكر لم يمسها يوسف قبل أن تلد المسيح يسوع . وبالطبع لم يمسها من بعد .

أمّا وصف الإنجيل للعذراء مريم بأنها خطيبة ليوسف، فللدلالة على أن يوســـف – وإن كان زوجاً رسمياً لمريم بموجب العقد الرسمى بينهما فى الهيكل على يد الكهنـــة – لكنه لم يمس مريم بالفعل، وإنما كانت معه كإبنة أو خطيبة ، لا كزوجة .

قال الإنجيل للقديس لوقا وهو يروى حادثة الميلاد وظروفها التى اضطرت معها العذراء مريم – وهى حامل – لتسافر من الناصرة بإقليم الجليل إلى بيت لحم فى إقليم اليهودية (فذهب الجميع لتسجيل أسمائهم، كل واحد فى مدينته . ومن ثمَّ ذهب يوسف أيضا من مدينة الناصرة التى بالجليل إلى مدينة داود المسماه بيت لحم التى باليهودية ، إذ كان من بيت داود ومن عشيرته، ليسجل اسمه مع مريم (خطيبته) التى كانت حبلى. وفيما كانا هنالك حان موعد ولادتها، فولدت ابنها البكر، وقمَّطته وأضجعته فى مذود، إذ لم يكن لهما مكان فى الفندق) (لوقا٢: ٢-٧) .

فعلى الرغم من أنَّ العذراء مريم كانت حاملاً وعلى أهبة الوضع والولادة، مع ذلك وصفها الإنجيل بالنسبة ليوسف بأنها (خطيبته)، وذلك توكيداً على حقيقة بتوليتها وبكارتها، وأن يوسف لم يمسها كزوج، وإن كانت هى زوجته بموجب العقد الرسمى الذى عقده الكهنة فى الهيكل، لكنها كانت بمثابة (خطيبته) .

كذلك قال الإنجيل للقديس متى (أمّا ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا : كانت أُمّه مريم مخطوبة ليوسف ...) (متى١: ١٨) .

والمعنى واضح فى جميع النصوص الإنجيلية أنَّ يوسف عاش مع مريم، وهى فى بيته، لا كزوجٍ مع زوجته، بل كخطيب مع خطيبته ، فهى زوجته رسماً واسماً، وخطيبته فعلاً وعملاً .

مريم العذراء فى التجسد – وسبب التجسد (١)

أيها الأخوة والأبناء سمعتم السنكسار الذى تلى علينا فى هذا الصباح ، المعجزة العظيمة التى أجراها الله فى عهد البابا إبرآم الثانى والستين من بطاركة الكرازة المرقسية ، وفى عهد الخليفة المعز الفاطمى ، وهى المعجزة الكبيرة معجزة نقل الجبل المقطم ، انتقل من مكانه من منطقة تسمى تل الكبش إلى المنطقة التى تسمى الفسطاط، بزلزلة عظيمة إنهلع لها قلب الخليفة وسقط هو وجنوده مخشيا عليهم، وقد أثبتت الحفريات أن الطبقات التى على الجبل تختلف عن الطبقات التى تحت الجبل . مما يدل على هذا الإنتقال الذى حدث، ولقد إحتفظت الكنيسة تخليدا لهذه المعجزة العظيمة ، التى كانت لها تحدى بقوة المسيح ومحاولة إثبات خطأ الوعد الذى وعد به ، " إن كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل " (مت١٧: ٢٠). وانتقل الجبل وتخليداً لهذه المعجزة . احتفظت الكنيسة فى طقوسها بصوم الثلاثة الأيام التى صامها البابا إبرآم الثانى والستون من بطاركة الأسكندرية ومعه الاكليروس ومن عرف من الشعب. وأضيفت هذه الثلاثة أيام على صوم الميلاد، صوم الميلاد قبل القرن العاشر من الميلاد كان أربعين يوماً ، ولكن إبتداءً من القرن العاشر أى من أيام البابا ابرآم الثانى والستين لأنه كان فى القرن العاشر ، صار صوم الميلاد ٤٣ يوماً ، فهذه الثلاثة أيام المضافة على الأربعين هى تخليداً لمعجزة نقل جبل المقطم والتى بسببها صام البابا ومرافقوه هذه الثلاثة أيام حتي يحقق الله وعده وينقل الجبل .

فصل الإنجيل الذى تلى علينا اليوم، هو القسم الثانى من الأصحاح الأول من إنجيل معلمنا لوقا . فى الأحد الأول من الشهر الكيهكى يتلى القسم الأول الذى فيه البشارة بالحبل بيوحنا المعمدان ، وفى هذا اليوم الأحد الثانى يقرأ فيه الفصل الخاص ببشارة العذراء مريم بالحبل الإلهى. بمخلص البشرية الذى توقعته الأجيال، وإذا كنتم قد تنبهتم إلى الفصل الذى قرأ علينا من رسالة مار بولس الرسول إلى رومية ، تجدون أن الرسول يشرح السبب الذى من أجله أراد الكلمة أن يتجسد ، وشاء الله فى ملء الزمان أن ينزل لابساً صورة إنسان والسبب الأساسى الذى ذكره مار بولس الرسول وهـــو

---

(١) عظة ألقيت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بشارع الأمير شبرا مصر . فى صباح الأحد ١٦ من ديسمبر ١٩٧٩ .

يمثل إعتقادنا المسيحى، السبب الأساسى الذى من أجله جاء المسيح إلى العالم هو خلاص البشرية . لأنه بعد أن أخطأ الإنسان الأول وفى صلبه أخطأت البشرية كلها، وصار الجنس البشرى كله محكوما عليه بالموت ، وطرد آدم وطرد معه نسله الذى جاء من صلبه فيما بعد من فردوس النعيم ، وأصبح مصير الإنسان هو هذا الطرد من الحضرة الإلهية ، وما كان يمكن أن يكون هناك نصيباً بعودة الإنسان إلى الفردوس ، إلا إذا كَفّر الإنسان عن خطيئته تكفيراً يُرضى العدل الإلهى ، فالله كما هو عظيم فى رحمته، هو عظيم فى عدله ، فإذا كان الله أعطى الإنسان وصية وتوعده بالموت ، فلما أخطأ الإنسان ما كان يمكن أبدا أن يسقط الأمر الإلهى. السموات والأرض تزول أما كلام الله فلا يزول ، فالحكم الذى صدر على الإنسان كان لابد أن ينفذ لأن الله هو الذى أصدر هذا الحكم، وجلاله يمنع أن لايصدر الحكم الذى توعد به علّى آدم. وإلاّ ضاعت هيبة الإله وزالت كرامته وأمكن أن تسقط كلماته، فكان لامفر من أن حكم الله يقع على الإنسان، ولكى يفتدى الإنسان من هذا الحكم كان لابد من فادى يكون بديلا عن الإنسان، لكن لابد لهذا الفادى أن يكون ثمن فدائه عظيماً وغالياً يعادل كرامة الله ذاته ، ومَنْ منَ البشر يمكن أن يقوم بهذا العمل، لأن البشر كائنات محدودة، ولأن الإنسان هو الذى أخطأ ، فكيف يمكن أن يكون الإنسان الذى أخطأ فادياً لنفسه ؟ لابد إذن أن يكون هناك فاد آخر ، ويكون فدائه غاليا وثمنه عظيما عظمة الله ذاته، فمن هو هذا الفادى ؟ ومن كان يمكنه أن يقوم بهذا العمل ؟ لذلك ظلت البشرية تفتش عن هذا الفادى حقبة طويلة، ترك الله الإنسان لعله هو يجد منفذ لأمر خلاصه آلافاً من السنين فلم يجد ، ونزل آباؤنا القديسون إلى الجحيم بعد موتهم لأنهم ما كان يمكنهم أن يدخلوا إلى الفردوس المغلق فى وجه الإنسان . نزل آدم ونزل إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وصموئيل وداؤد، جميعهم نزلوا إلى الجحيم. أما الفردوس فكان مغلقاً فى وجوههم من يوم أن طرد الله آدم من الفردوس ، وأقام الكاروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة، لئلا يمد الإنسان يده فيأكل فيحيا إلى الأبد والإنسان محكوم عليه بالموت. وظلوا جميعا منتظرين أن يقوم أحد بهذا الخلاص فلم يجدوا، وشاء الله أن تبقى البشرية هذه الآلاف من السنين حتى يقتنعوا بأن الخلاص ليس منهم ، وأنه لم يكن فى مقدورهم أن يتموا هذا الخلاص، وحينئذ أراد الله أن يُظهر فى الخلاص أيضا رحمته ، وأراد أن يُظهر فى الخلاص محبته لجنس البشر، أراد أن يجمع بين عدله وبين محبته، عدله يقتضى الموت لجنس الإنسان ، ورحمته لاتشاء أن يترك الإنسان فى هذا الهلاك والدمار، فخلصت ذراعه بنفسه كما يقول إشعياء النبى ، خلصت ذراعه بنفسه ولم يكن

هناك مخلص فنزل الرب من السماء ، لبس صورة الإنسان، اتحد بطبيعتنا ، استتر فى جسمنا، وفى هذا الجسم ذاق الموت بالجسد نيابة عن الإنسان فكان هو بدلا من الإنسان، ولما كان لاهوته متحدا بناسوته فأصبح دمه دماً يرضى العدل الإلهى لأن له القيمة الأبدية . اللاهوت المتحد بالناسوت أعطى للفداء قيمته الأبدية ، ولولا اتحاد اللاهوت بالناسوت لكان الفادى لايفدى إلاّ شخصاً واحداً كما يقول الرسول بولس ، لكن اللاهوت المتحد بالناسوت لأن قيمته أبدية، لهذا كان دم المسيح ليس دم إنسان إنما قيمته قيمة الله ذاته، ومن هنا أمكن للرسول بولس أن يقول : كنيسة الله التى إقتناها بدمه ، فكيف اعتبر الدم دم الله والله ليس له دم ؟ اللاهوت ليس له دم . لكن هذا الدم المنهمر والمنسكب والمُهرق من ناسوت المسيح لأنه متحد بلاهوته، فصار الدم بطبيعة هذا الإتحاد دم الله. وصارت قيمته قيمة أبدية لانهائية. قيمة الله نفسه ومن هذا كان فى دم المسيح الكفاية لتغطية ولغفران جميع خطايا البشر، بغير إستثناء ، قيمته قيمة أبدية. هذا الدم الإلهى الذى انسكب من الصليب كان فيه الترضية للعدل الإلهى وفى هذا إلتقت رحمة الله بعدالته، فالعدالة إقتضت لابد من الموت .. نعم ، لأن كلام الله لايسقط على الأرض، فالموت نفذ فى هذا الفادى، لكن من هو هذا الفادى ؟ هو الله نفسه . وقد لبس جسدا، وليس لأحد حب أعظم من هذا أن يموت أحد من أجل أحبائه(يو١٥: ١٣)، أنتم أحبائى. موت المسيح برهان حبه الأزلى الأبدى للإنسان. الله الذى جعل مسرته فى بنى آدم، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .

إذن من أجل هذا جاء المسيح ، ولهذا قال الرسول لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولودا من إمرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى ، لما جاء ملء الزمان، لما كَمُلَ الزمان، لما حان الزمان، لما امتلأت البشرية إيمانا بحاجتها إلى المخلص، شكرا لأن لكل شيء عند الله مواعيد، خصوصا التدبيرات الإلهية، اليهود من جانب آمنوا أنه ليس فى مقدورهم أن يُخَلَّصوا من غير هذا المخلص. ولذلك فإنهم قدموا الذبائح الحيوانية، إبتداءً من آدم قدم الذبيحة لأنه من جلد هذه الذبيحة صنع الله أقمصة وألبس آدم وحواء . وقدم هابيل الذبيحة من الحيوان ، وقدم نوح الذبيحة من الحيوان وقدم إبراهيم واسحق ويعقوب وكل الآباء قدموا الذبائح إعترافاً منهم بحاجتهم إلى الفداء ، وإلى الدم المسفوك من أجلهم ،غير أنه ما كان يمكن لدم الحيوان أن يكون وسيطاً بين الإنسان وبين الله . فالحيوان أصغر قيمة وأقل قيمة من الإنسان، كيف يقف موقف الشفاعة والوساطة بين الإنسان وبين الله . إذن لم يكن دم الحيوان أبداً هو هذا الوسيط، إنما كان الوسيط الحقيقى لم يأت زمانه بعد . ولذلك النبى بلعام قال " أراه

ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريبا " (العدد٢٤: ١٧)أراه بالنبوءة، أراه بالمستقبل البعيد، وعنه تحدث يعقوب وهو يبارك أولاده قال: "دان حية على الطريق... لخلاصك انتظرت يارب " (تك ٤٩: ١٧، ١٨) ، هؤلاء الأنبياء القدامى انتظروا الخلاص وقال عنهم الرسول نظروا المواعيد من بعيد وحييوها وصدقوها ، وحينما دخلت العذراء الطاهرة بعد الأربعين يوماً من ميلادها للسيد المسيح ، إلى الهيكل لتقدم التقدمة التى أمرت بها الشريعة بعد أن تطهر المرأة النفساء حمله سمعان على ذراعيه وقال: " الآن ياسيد اطلق عبدك بسلام لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نوراً تجلى للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل " (لو٢: ٢٩-٣٢) . وحَنّة بنت فنوئيل وهى أرملة نحو أربعة وثمانين سنة تلازم الهيكل ، وقفت تسبح مع المنتظرين الفداء من إسرائيل، إذن كان هناك المنتظرون هذا الفداء ، كانت البشرية كلها تنتظر هذا الفداء وهذا مايقوله الرسول بولس فى البولس الذى قُرأ علينا الآن : يقول " إن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطيئة كما هو مكتوب ليس بار ولا واحد ... الجميع زاغوا وفسدوا معا " (رو٣: ٩-١٢). وأعوزهم مجد الله فلا اليهود ولا اليونانيين ، ولا اليهود ولا الوثنيين، لا هؤلاء ولا أولئك صنعوا برا أو أمكنهم أن يخلصوا كلهم ، كلهم أثبتوا حاجتهم إلى هذا الفادى وإلى هذا المخلص . من أجل هذا جاء المسيح ، ويقول القديس أوغسطينوس وآباء الكنيسة أجمعين إن البشرية كلها قد فسدت والفساد دخل إلى طبع الإنسان ، وما كان يمكن أبدا أن يصلح هذا الفساد إلاّ أن تتغير الطبيعة كلها . مثل لوح الزجاج عندما يكسر ، لاينفع فيه إصلاح ، فالإصلاح يقتضى أن تغيره كله ، وهذا ما صنعه المسيح أعطانا بدمه خليقة جديدة ، لذلك نحن فى المعمودية نخلق من جديد خليقة جديدة ، وهذا هو معنى الميلاد الثانى ، لا يقدر أحدا أن يدخل ملكوت الله إلا بالميلاد الثانى " ينبغى أن تولدوا من فوق " (يو٣: ٧)، ينبغى أن تولدوا من الماء والروح ، ومن دون أن يولد الإنسان هذا الميلاد لايمكن ولايقدر أن يرى ملكوت الله لأن الفساد دخل إلى طبيعة الإنسان ، فما كان يمكن أن تصلح إلا بأن تتغير كلها .

جاء المسيح من أجل أن يفدى الإنسان ، ومن أجل أن يهبه هذه الطبيعة الجديدة ، طبيعة الرب من السماء .

من هنا جاء الملاك جبرائيل يبشر العذراء مريم ويقول لها : أنك ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياه . وعرفها من هو هذا المولود منها ، فقال لها " القدوس المولود منك يدعى ابن الله " (لو١: ٣٥)، كلمة قدوس لاتقال عن إنسان، الإنسان يقال عنه قديس إنما كلمة قدوس لاتقال إلا عن الله " نظير القدوس الذى

دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة " (١بط١: ١٥) ، والملائكة فى السماء حينما يسبحون الله يقولون " قدوس قدوس قدوس " . فلما كلم الملاك العذراء قال لها : " القدوس المولود منك يدعى ابن الله " ، وابن الله ليس بمعنى أن الله يلد !! ولكن لأنه فيه رأينا الله غير المنظور ، فهو ابن الله من هذه الوجهة ، بمعنى أنه صورة الله غير المنظور، الله غير المنظور صار منظوراً، فهذا المنظور هو صورة غير المنظور، هو ابن الله بهذا المعنى . القدوس المولود منك يدعى ابن الله . بشرها الملاك بهذا الميلاد، إن العذراء مريم تناقشت مع الملاك ليس عن شك كما شك زكريا ، وإنما خوفا على بتولتها لأنها كانت قد نذرت هذه البتولية ، ولأنها أحبت وعشقت حياة التبتل منذ أن كانت طفلة فى الهيكل . وأرادت أن تعيش كل أيام حياتها مقدسة جسداً وروحاً ، ولذلك كان هذا الزواج الذى بينها وبين يوسف من نوع ذلك الزواج البتولى ، الزواج البتولى الذى أول من عرفه آدم وحواء حينما كانا فى فردوس النعيم، والذى فيما بعد عرفه بعض القديسين كالبابا ديمتريوس الكرام وعدد آخر من الشخصيات ، لأن مريم ما كان يمكن أن تدخل بيت يوسف إلاّ إذا كان هناك عقد رسمى يربط بينهما، وقد ارتضت الحكمة الإلهية ذلك حتى إذا ظهر الحمل المقدس لا ترجم مريم بموجب الشريعة . ولذلك فإن اليهود لم يعترضوا على هذا الميلاد ، ولذلك كانوا يقولون نحن عارفين بأبيه وأمه ، فكان يوسف فى وضع الأب وإن لم يكن أبا على الحقيقة للسيد المسيح . إنما كان فى وضع الأب، كان أباه فى الوضع لا فى الطبع، ونفس العذراء مريم عندما كان المسيح سنه ١٢ سنة وكانوا يذهبوا كل سنة لكى يحجوا إلى الهيكل ، وحدث أن المسيح تأخر فظنوه بين الرفقة (مسيرة الحج) ولما لم يجدوه رجعوا مرة أخرى إلى أورشليم وبحثوا عنه، فوجدوه فى الهيكل بين المُعلِّمين يسمعهم ويسألهم، فمريم العذراء قالت له أين كنت يا إبنى؟ أبوك وأنا كنا نطلبك معذّبين. فقالت عن يوسف أبوك ، ولكن طبعا كلمة أبوك هنا بإعتبار الوضع لا بإعتبار أنه أب على الحقيقة ، فالمسيح ولد من العذراء الطاهرة ولم يكن هناك زرع رجل، وكانت الحكمة تقتضى أن المسيح يولد من عذراء حتى لا يرث الخطيئة الأصلية لأنه هو الفادى الذى سيحمل خطيئة العالم، وكان لابد من أن يكون بريئا من الخطيئة الأصلية، لهذا جاء المسيح من عذراء وطوبتها أليصابات بالروح القدس ، وقالت لها : " من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ ، لأنه منذ سمعت صوت سلامك ارتكض الجنين بإبتهاج فى بطنى فطوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب " (لو١: ٤٣-٤٥) . فكون العذراء مريم لم تشك فى إمكانية أن يتم لها هذا الحَبَل، بطريق معجزى لم يسبق له مثيل فى الوجود ، دل على أن العذراء

مريم كان لها إيمان غير عادى فاق إيمان زكريا رئيس الكهنة . رئيس الكهنة شك ولذلك عاتبه الملاك بقوله: " تكون صامتا... لأنك لم تصدق كلامى الذى يتم فى حينه " (لو ١: ٢٠)، على الرغم من أن قصة زكريا لم تكن الأولى من نوعها، فقد سبقتها قصة إبراهيم وسارة ، إبراهيم ولد اسحق وهو فى سن المائة وكانت سارة فى سن التسعين من عمرها ، فما كان يليق برئيس الكهنة أن يشك ، وكانت هناك سابقة كسابقة إبراهيم وسارة، وكذلك سابقة ميلاد صموئيل النبى إذ كانت أمه عاقرا . زكريا شك وهو رئيس الكهنة أما العذراء مريم فآمنت فكان إيمانها أعظم ، كانت فى درجة روحانية أعلى من رئيس الكهنة ، لذلك قالت لها أليصابات بالروح القدس " طوبى للتى آمنت أن يتم لها ماقيل من قبل الرب " ، لم تكن أليصابات هى التى نطقت، إنما كان الروح القدس هو الذى نطق على لسانها ، إذن كانت العذراء فى درجة غير عادية من الإيمان وما كان يمكن لمريم أن تصل إلى هذه الدرجة الإيمانية ما لم تكن حياتها السابقة على هذه البشارة حياة إيمانية مرتفعة . وهذا هو البرهان على حياتها الروحية المرتفعة أن الملاك حينما حيّاها قال : " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " المشحونة بالنعمة ، إذن لم تكن مريم إنسانة عادية إنما كانت قديسة طاهرة عاشت كل حياتها فى الهيكل قربانا طاهراً ، أحبت البتولية وأحبت حياة القداسة، والاتحاد بالله ، كانت روحانيتها روحانية مبكرة بالنسبة لطفوليتها ، لذلك حينما إختارها الله ، إختارها لأنه وجد فيها ما ليس فى أية إمرأة أخرى، ولذلك كما سمعتم المزمور الذى تلى علينا الآن : " اسمعى ياإبنتى وأميلى سمعك ... فإن الملك قد اشتهى طهرك " الملك قد اشتهى طهرك ، إذن المسيح حينما إختار العذراء لكى تكون أماً له ، إختارها لأنها طاهرة، وليس العكس أن المسيح اختارها فصارت طاهرة ..لا .. هى كانت طاهرة ولذلك إختارها المسيح . لذلك يظهر كرامة مريم لا من حيث فقط أنها صارت أماً لله ، ولكن من حيث أنها كانت عملياً فى حياتها وإرادتها ، كانت فتاة مقدسة أحبت الله وأحبته كثيراً ، ولذلك إنجيل عشية هذا الأحد يقول: " قد غفرت خطاياها لأنها أحبت كثيرا. وقال لها إيمانك قد خلصك " فكأن الكنيسة بإختيارها لهذا الفصل تلوّح إلى العذراء مريم ، أن إيمانها قد خلصها ، وأنه لهذا الإيمان ولهذه القداسة إختارها الله لهذه المهمة .

فلتشملنا شفاعتها وبركتها وليعود الله عليكم هذه الأيام بخير وله الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

العذراء مريم الخادمة الأولى لسر التجسد[1]

فى الأول من شهر مسرى المبارك ، وبه يبدأ الصوم المعروف بصوم العذراء مريم، ومدته خمسة عشر يوما، وفى اليوم السادس عشر من مسرى، تحتفل الكنيسة بعيد صعود جسد العذراء مريم محمولاً على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة إلى السماء .

وهذا الإنجيل إنجيل عشية الثانى من مسرى، يتحدث عن مريم التى سكبت الطيب على رأس المخلص، هذه مريم اخت لعازر، وكان ذلك فى بيت سمعان المسمى سمعان الأبرص وهى غير حادثة المرأة الخاطئة التى دخلت بيت سمعان الفريسى .

هنا وليمة أُقيمت للمسيح له المجد وفاءاً وشكراً على أنه أقام لعازر من بين الأموات، فمريم اخت لعازر كانت فرحة وتريد أن تعبر عن إمتنانها وشكرها لسيدنا يسوع المسيح الذى أقام أخاها من بين الأموات . أقول هذا الكلام حتى لانخلط بين هذه القصة التى فى بيت عنيا، وبين القصة الأخرى التى كانت فى بيت سمعان الفريسى التى أشار إليها الإنجيل فى الأصحاح السابع من إنجيل معلمنا لوقا .

إذن مريم هنا هى مريم اخت لعازر، والمسيح له المجد أكرم صنيعها وشكرها ودافع عنها، وقال حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يُخبَرُ بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها .

تقرأ الكنيسة هذا الفصل فى مناسبات خاصة بأعياد العذراء مريم، وكأنها تُلوّح وتريد أن تنقل المؤمنين من مريم اخت لعازر، إلى مريم العذراء التى سكبت ليس قارورة طيب غالى الثمن إنما سكبت حياتها خدمة لسيدها .

العذراء مريم كلها من أولها إلى آخرها كل تاريخها وكل حياتها، سكبت هذه الحياة، قدمت هذه الحياة كلها ، لايوجد شيء فى حياة مريم العذراء لنفسها أو لغيرها ، وهذا هو السبب لماذا يتلى هذا الفصل فى هذه المناسبة، كأن الكنيسة تُلوّح وتشير إلى العذراء مريم، لأن المسيح أمر حيثما يكرز بالإنجيل فى الخليقة كلها يُخبَرُ بما فعلته هذه المرأة إحياءا لذكرها. وهذا، أحسن جواب نجيب به على الذين يقولوا لمـــــــاذا

-----

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالدقى – فى مساء الأحد ٧ من أغسطس ١٩٨٨ م – أول مسرى ١٧٠٤ ش .

نحتفل بأعياد القديسين ظناً منهم أن هذا يتعارض مع عبادتنا للمسيح، حاشا.. إنما الإحتفال بالقديسين مأمور به لأننا إذ نحتفل بالقديسين وخصوصا مريم العذراء، إنما نقدم مايجب علينا من وفاء إزاء ماقدموه فى حياتهم من أعمال صالحة ومن أعمال بارة ، واحتمال وصبر من أجل المسيح . وأيضا لكى يكون فى هذا قدوة تقدم للصغار والشباب، حتى يتمثلوا ويتشجعوا ليمضوا فى طريق الفضيلة حينما يروا الكنيسة تحتفل وتهتم بإحياء ذكرى القديسين ، مثل الدول عندما توزع جوائز تقديرية أو تشجيعية للناس الذين قدموا أعمالاً أدبية أو فنية، ويعتبر هذا وفاء بهؤلاء الناس الذين قدموا خدمة لبلدهم، وخدمة للأدب وخدمة للفن وخدمة للعلم ، فى نفس الوقت تشجيع للشباب الصغير ليعلم أن الدولة إنما تُكرِّم الذين يتميزون ويبرزون في خدمة الأدب والعلم والفن وغيره .

هكذا الكنيسة لابد أن تُكرِّم القديسين وتحيى ذكراهم، من جهة وفاءاً لهم واحتراماً وتقديراً لخدماتهم التى يؤدوها، ولكن أيضا فى هذا تشجيع للشباب وتشجيع للصغار حتى يتمثلوا بهؤلاء الناس، ويعرفون أن هؤلاء وإن كانوا قد اضطهدوا وتألموا لكن مع ذلك لهم كرامتهم، وأن الذى أمر بتكريمهم هو المسيح نفسه .

لذلك عندما نصلى فى مجمع القديسين، نقول: " هذا هو أمر ابنك الوحيد يسوع المسيح أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك "، نقولها فى مطلع المجمع، من أين جاءت كلمة "هذا هو أمر ابنك الوحيد يسوع المسيح" ، جاءت من هذا الإنجيل لأنه قال حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يُخبَرُ ، أى يجب أن يُخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءا لذكرها، هذا أمر من المسيح، لذلك نحن فى المجمع نقول " هذا هو أمر ابنك الوحيد يسوع المسيح أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك " .

وهنا العذراء مريم التى سكبت طيب حياتها خدمة لسيدها، منذ اللحظة الأولى التى وُلدت فيها العذراء مريم ، لانعرف عن العذراء مريم إلاّ أنها الخادمة الأولى بلا منازع ، الخادمة الأولى لسر التجسد. كل حياتها، ماذا صنعت العذراء مريم؟ إلتصقت بالمسيح ولذلك نحن لانعرف بتاتاً أن نعلق فى الكنيسة صورة العذراء وحدها أبداً ، فى الفن القبطى العذراء دائما مع المسيح، لاتصور العذراء وحدها أبدا، لهذا الارتباط الذى ارتبطت به بالسيد المسيح ، ودائما الوضع المفضل أن العذراء تصور والمسيح فى حجرها ، ولذلك نقول فى التسبحة " أنت الذى فى حجرك الملائكة تسبحه " ، فالعذراء مريم كأنها مركبة ، هى مركبة الكاروبيم لأن الله جالس على مركبة الكاروبيم،

فالعذراء مريم مركبة شاروبيمية، فدائما تصور فى الكنيسة والمسيح جالس على حجرها وهى على يمينه " قامت الملكة عن يمينك بثوب موشى بالذهب " .

العذراء مريم من بدء حياتها هى للمسيح ، ولذلك جاءت فى الوقت الذى شاء الله أن يتخذ جسدا ويظهر بين الناس. لما حان ملء الزمان، هذا تعبير الكتاب المقدس " لما حان ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس" وهنا ابنه ليس بمعنى أن الله يلد كما يفهم بعض الناس خطأ، ابن هنا بمعنى التجلى، تجلى الإله ، الله غير المنظور صار منظوراً وهذا المنظور صورة لغير المنظور، هذا معنى كلمة ابن، وليس بمعنى الولادة كما فى عالم الإنسان أو فى عالم الحيوان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس ، فى الوقت الذى فيه شاء الله وهذا بحسب تدبيره أن يظهر فيه للعالم، هو الوقت الذى شاء فيه أن العذراء مريم قبل ذلك فى زمن معين تولد، وهذا يفسر لنا فى حكمة التدبير الإلهى أن أبويها يواقيم وحَنّة كانا عاقرين لأن كل شىء له موعد، لله فى الأوقات حكمة، فيواقيم وحَنّة أخذا يتضرعان إلى الله أن يعطيهما نسلا والله تمهل فى الاستجابة لأن له قصد أن مريم تولد فى وقت معين، لكى تتهيأ أيضا لهذه المهمة، وهى أن يُؤخذ منها الجسد الذى يتخذه المسيح له المجد ويتلبس به ويظهر فى العالم .

فظل كل منهما عاقراً، فعقد يواقيم صوماً من أربعين يوماً، وذهب إلى مكان فى الصحراء ليتعبد ويخلو إلى الله ، خلوة روحية مقدسة يطلب من الله فيها بإلحاح أن يعطيه نسلاً، فظهر له فى نهايتها الملاك غبريال أو جبرائيل الذى هو دائما من إختصاصه البشارة ، فهو الذى بشر دانيال ، وهو الذى بشر العذراء، وهو الذى بشر يوسف ..

فهنا ظهر الملاك غبريال أو جبرائيل إلى يواقيم، وبشره بأن امرأته ستحبل وتلد إبنة يكون عن طريقها خلاص العالم ، وتم هذا وحملت حَنّة وولدت العذراء مريم ، مريم معناها سيدة أو المحبوبة ، هذا الاسم الجميل كانوا دائما يميلون إليه العبرانيين ، فولدت مريم، وكان يواقيم وحَنّة من كثرة رغبتهم فى النسل نذرا نذراً، أن الإبن أو الإبنة الذى يعطيه الرب لهما إستجابة لصلاتهما يقدماه لله ، كان دائما فى الهيكل يوجد مقر للأولاد والبنات النذيرين أو المنذورين ، فى أحد الأروقة فى الدار الخارجية ، ومعنى كلمة رواق كما نقول اليوم خوروس ، أو صف أو مكان .

وأعتقد أنكم تتذكرون قصة صموئيل النبى عندما كان طفل صغير وعالى الكاهن، (القصة المعروفة المذكورة فى سفر صموئيل) .

عاشت العذراء مريم فى الهيكل فى هذا الجو الروحانى جو العبادة والصلوات، والترنيم ولم يخدش حياءها كلمة نابية أو أى شيء، فنشأت فى هذه البيئة الجميلة وحدث أن أبوها توفى وكان سنها ست سنين ، وأمها توفت بعد ذلك بسنتين وهى فى سن الثامنة من عمرها، أصبحت العذراء يتيمة من الأب والأم لكن بقيت فى الهيكل، أقصد الرواق الخاص بالأطفال إلى سن البلوغ، وعادة فى الشرق الأوسط يكون سن البلوغ للبنت ١٢ سنة ، فبقيت العذراء مريم إلى سن ١٢ سنة فى الهيكل ، بعد ذلك كان لابد أن تخرج ، فلا يسمح لها بأن تبقى فى الهيكل بعد سن البلوغ، فاحتار الكهنة فى أمرها وهى بنت يتيمة لمن يسلموها بعد موت أبوها وأمها، فصلوا فكانت الاستجابة رؤيا رآها زكريا ، هذه الرؤيا بموجبها يجمعوا العصىَّ الخاصة بالرجال التى تنتمى إليهم مريم وهى بيت لحم، لأنها هى أصلا من بيت لحم، وإن كانت سكنت فى الناصرة هى ويوسف ، بيت لحم على بعد من أورشليم نحو ساعة ونصف، فهى قريبة من أورشليم ، فجمع العصىِّ ، وكان فى القديم كل رجل يحمل عصا لكى يحمى نفسه من الكلاب، كانت هذه علامة من علامات الرجولة حتى الجيل الماضى ، الآن لايوجد إلتزام بهذا الموضوع، وأصبح رجال الدين فقط الذين يحملوا العصا .

وكما حدث فى القصة الخاصة بهارون عندما جمعوا عصىَّ الأسباط الإثنا عشر، وعصا هارون أفرخت وأخرجت براعم . كذلك حدث بالنسبة للعذراء مريم، أن العصا المكتوب عليها اسم يوسف أفرخت وأخرجت براعم ، هذه معجزة وعلامة على إختيار يوسف، ولذلك عندما نحيىَّ العذراء نقول لها : ياعصا هارون ، فكانت هذه علامة من السماء على اختيار يوسف ليكون هو الذى يأخذ مريم وأن تكون مريم فى حماه .

والله من فضله أضاف علامة أخرى، أن حمامة بيضاء جاءت واستقرت على رأس يوسف ، فأخذوا من هذا علامة أخرى على أن يوسف هو الإنسان الذى تشاء السماء وتريد السماء أن يكون هو الذى تنتقل مريم إلى بيته . لكن إحتياطاً وتحوطاً قالوا لابد أن نعقد عقد رسمى لأنها ستنتقل إلى بيته، فالكهنة أمسكوا بيد يوسف وبيد مريم وباركوهم ببركة الزواج الرسمى ، لذلك أخذها يوسف إلى بيته، لأنه لا يمكن أن يأخذها إلى بيته وهى ليست له رسمياً، ففعلا هناك عقد رسمى بين يوسف ومريم . وهذا هو الذى حماها من أن تُرجم، لأنه لو ولدت دون أن يكون هناك عقد رسمى لكانت تعد زانيةً وفى هذه الحالة تطلب الشريعة بأن تُرجم . فحكمة الله الكبيرة جدا أنه يرتب أن يُعقد عليها عقد رسمى . والدليل على أن هذا العقد رسمى أن الكتاب يقول : " يوسف رجلها إذ كان بارا " (مت١: ١٩)، كلمة رجلها هذه معناها زوجها، فهو كان

زوج رسمى، والملاك أيضا عندما ظهر ليوسف وقال له : " لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك" (مت١ :٢٠) ، فهى امرأته أى زوجته رسميا ، فالنصوص التى فيها كلمة امرأتَك، امرأتك: هذا من الناحية الرسمية، لكن فى لو ٢: ٥ ، عندما أمر الإمبراطور أو الملك أوغسطس قيصر بالاكتتاب يقول : " ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حُبلى" (لو٢: ٥) ، هنا لايوجد تعارض، كلمة مخطوبة هنا لاتتعارض مع كونها زوجة رسمية ، مريم كانت بتول وظلت بتول كل أيام حياتها . فالزواج كان من النوع الذى نسميه بالزواج البتولى ، ماهو الزواج البتولى ؟ أى أنه زواج حقيقى فيه عقد رسمى ، ولكن يكون كل منهما بتول ، مثل البابا ديمتريوس الكرام الذى ظل متزوج مع امرأته ٤٧ سنة قبل أن يختار للبطريركية، لأنه فى القديم كان الوالدين يفرضوا على الشخص الزواج حتى إذا كان رغب البتولية . فالذى حدث أن البابا ديمتريوس الكرام بعد أن تزوج كشف لزوجته رغبته فى أن يعيش بتولاً، فأجابته أنها أيضا تريد ذلك ، فإتفقا الإثنان على أن يعيشا كأخ مع اخته، البابا ديمتريوس الكرام الثانى عشر من بطاركة الكرسى المرقسى كان بتولا وكانت أيضا امرأته بتول .

أيضا القديس يحنس كاما، وأيضا الراهب أمونيوس عاش ١٨ سنة مع امرأته والإثنين بتوليين، وبعد ذلك اتفقا على أنه يذهب للدير وهى أيضا تذهب إلى دير للنساء. بعد ١٨ سنة من الزواج البتولى .

فيوسف كان رسميا زوج لمريم وهذا وقاها من أن تُرجم، لكن فى الوقت نفسه كانت العذراء مريم بتول، ولذلك عندما نزل لها الملاك وقال لها : ها أنت تحبلين، قالت له: "كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا " !! والكلمة اليونانية والقبطية تفيد أنه " لا أعرف وسوف لا أعرف " ، بالقبطى تعنى " لا أعرف ولا سوف أعرف " ، يعنى البتولية الدائمة ، ومن ناحية أخرى ياأولادنا يوسف كان فى هذا الوقت نحو ٩٥ سنة تقريبا أو ٩٣ أى فوق التسعين، وهى بنت صغيرة سنها ١٢ أو ١٣ فى هذه الحدود فهى تعد حفيدة، والمعروف أن يوسف عندما مات كان سنه ١١١ سنة، فى هذا الوقت كان سيدنا له المجد وقت نياحة يوسف سنه فى الجسد ١٦ سنة ، المسيح عاش معه حتى سن ١٦ سنة فى الجسد، إذن وقت ولادة المسيح كان سن يوسف ٩٥ سنة ، ولذلك ياأولادنا موضوع بتولية العذراء هذه حقيقة، والكتاب المقدس قال: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل" (إشعياء٧: ١٤)، ولذلك مريم تحمل لقب العذراء بالألف واللام، يعنى دائما عذراء، حتى فى القبطى نقول العذراء كل حين ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲥⲛⲏⲟⲩ ⲛⲓⲃⲉⲛ أى دائمة البتولية .

وقال العلامة أوريجينوس: " من تقاليد الكنيسة سلّم إلينا بتولية العذراء مريم من الحقائق التى تسلمناها من الآباء ". يعنى .. حقيقة بتولية العذراء مريم حقيقة واضحة، أولا من الكتاب المقدس، نفس العذراء تقول عندما قال لها الملاك " تحبلين وتلدين" قالت له: " كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا " . مع العلم أنها كانت فى بيت يوسف، فكيف يكون هذا مالم يكن هذا فى عزيمتها، ولذلك أيضا قال القديس باسيليوس الكبير " إن المسيحيين لا يطيقون أن يسمعوا عن زواج العذراء مريم، لأنه حقيقة مقررة وصلت إلينا من التقليد "، إن العذراء كانت وستظل بتولا كل أيام حياتها. ولذلك هى دائمة البتولية دائمة العذراوية ، العذراء دائما كل حين، العذراء بالألف واللام أى العذراء دائما ، ولذلك نحن غير محتاجين بالنسبة للعذراء مريم إلا أن نقول العذراء، لأن كل بنت غير متزوجة تسمى عذراء، لكن العذراء بالألف واللّام لاتقال إلا عن مريم لأنها دائمة البتولية ، أى عذراء باستمرار، هى عذراء دائما ، ولذلك أيضا يرى الآباء أهمية ما قاله الكتاب المقدس أو الوحى المقدس على فم حزقيال النبى " هذا الباب يكون مغلقاً لايفتح ولايدخل منه إنسان، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " (حزقيال ٤٤: ٢) .

فالمسيح خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة ، من هذا الذى يجرؤ بعد ذلك أن يقول غير ذلك، فالعذراء مريم كان عندها الاستعداد والرغبة كاملة لأن تعيش فى البتولية كل أيام حياتها منذ طفولتها الأولى، وأيضا يوسف كما قلنا أنه كان رجل مسن وكان سنه ٩٥ سنة تقريبا فى الوقت الذى ولد فيه المسيح .

فهذه حقيقة تسلمناها وتؤيدها الكتب المقدسة، والنصوص الإلهية، ونصوص الآباء أن العذراء كانت ودائمة البتولية باستمرار كل أيام حياتها .

عندما ظهر الملاك للعذراء فى بيت يوسف ، فى مدينة الناصرة فى الجليل، أعلمها الملاك "هوذا أليصابات من بنات جنسك" ــ بعض الناس يفكروا أن العذراء كانت قريبة لأليصابات ، العذراء من سبط يهوذا، وأليصابات من سبط لاوى ، ولايوجد قرابة بين الإثنين ــ " أيضا حبلى، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرة " بمجرد أن سمعت مريم العذراء كلام الملاك، يقول الكتاب أنها فعلا ذهبت إلى بيت زكريا فى القرية التى يسموها اليوم "عين كارم" ، وقضت هناك ثلاثة شهور ، معنى ذلك أنها حضرت ميلاد يوحنا المعمدان .

وعندما رجعت إلى الناصرة إلى حيث كان يوسف مقيم، لأنه كان نجاراً فى الناصرة ، فرأى عليها علامات الحمل، فكإنسان معذور أن يشك فيها ، وقع يوسف فى

هذه التجربة، يقول الكتاب المقدس: " إذ كان باراً لم يشأ أن يعلن أمرها" لأنه لو أعلن أمرها معنى ذلك أنه يدعو شيوخ المدينة ويحكم عليها بالرجم . فالكتاب المقدس ينسب إلى يوسف أنه كان رجلاً باراً فبدلا من أن يحكم عليها المجمع ويرجمها، لأنه يعلم أن الحمل ليس منه ، فأراد أن يخلى سبيلها سراً، أى يطردها من بيته بدون إعلان السبب لينقذها من أنها ترجم ، فظهر له الملاك جبرائيل فى حلم ، وقال له " لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس" ، ولأنه كان رجلاً باراً صدق ماقاله الملاك ، وبعد ذلك جاء وقتها للوضع فوضعت، ومعروف أن سيدنا له المجد كما خرج من القبر والقبر مغلق بسلطان لاهوته، وكما دخل إلى العلية وأبوابها مغلقة، هكذا خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة ، هذه الثلاث نقط مقترنة ببعضها وهذه لايمكن أن تحدث إلا للمسيح وحده ، وبسلطان لاهوته ، من غير الممكن أن يحدث أن يولد طفل وتظل أمه عذراء ، فكون المسيح يخرج من بطنها وختوم البكارة مصونة ، مثل دخوله إلى العلية وأبوابها مغلقة ، ومثل خروجه من القبر والقبر مغلق .

ولذلك فيه بعض الصور مع الأسف تجد الملاك يفتح القبر، هذه صورة غربية وليست صورة قبطية أرثوذكسية أبدا ، رئيس الملائكة ميخائيل نزل بعد قيامة المسيح ليفتح القبر ليعلن أن القبر فارغ ، ليس هو الذى يفتح القبر ليخرج المسيح ، المسيح خرج بسلطان لاهوته، ولذلك مريم المجدلية عندما ذهبت لطيباريوس قيصر وأرته البيضة، وقالت له عندما يكون الجنين مُلقح ينقر البيضة ويخرج منها ، وهذا دليل على أن المسيح كان حياً وهو فى القبر، وبسلطان لاهوته خرج من القبر والقبر مغلق، وهذا هو السبب فى عيد القيامة ومابعد القيامة أن الأقباط والمسيحيين عموما يأخذوا البيض الملون باللون الأحمر فى عيد القيامة ومابعد القيامة . المسيح خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة، وهذا ما قصده الكتاب المقدس عندما قال " هذا الباب يكون مغلقاً لايدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " .

فالعذراء مريم احتفظت ببتولتها وبكارتها، وعندما طمأنها الملاك أن هذا الحمل لا يتعارض مع احتفاظها ببكارتها، قالت له ليكن لى كقولك ، فمضى من عندها الملاك .

بعد ذلك ولد المسيح له المجد وحدثت قصة المجوس الذين ذهبوا إلى هيرودس وسألوه أين هو المولود ملك اليهود، فإنا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له . فانزعج هيرودس وجمع رؤساء الكهنة وسألهم أين يولد المسيح ؟ قالوا له فى بيت لحم، لأنه هكذا مكتوب "وأنت يابيت لحم لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك

يخرج المدبر الذى يرعى شعبى إسرائيل" . فقال هيرودس للمجوس اذهبوا فتشوا عنه ومتى وجدتموه تعالوا لأذهب أنا أيضا واسجد له . وهنا تظهر حكمة الله الذى جعل النجم يتقدمهم ويختفى عندما يدخلوا إلى أورشليم ثم يظهر بعد أن خرجوا من أورشليم مرة ففرحوا فرحاً عظيماً جداً، ويتقدمهم النجم ووقف حيث كان الصبى فى بيت لحم فى مذود البقر ، ثم قدموا هداياهم ذهباً ولباناً ومراً ، بعد ذلك يقول الكتاب المقدس أن المجوس الذين جاءوا من إيران ، أُوحى إليهم فى حلم أن لايرجعوا إلى هيرودس ، بل يذهبوا إلى بلادهم من طريق أخرى، وهذا يدل على أنه فى الإمكان أن الوثنيين يتلقوا الوحى، وهذا ماحدث لبعض الشخصيات العظيمة التى لمعت فى تاريخ الإنسانية مثل سقراط ، أفلاطون ، زرادشت الذى تنبأ عن المسيح، كونفشيوس وغيرهم، كل هؤلاء الأشخاص نفوسهم إذا صفت من الممكن أن يتلقوا نوعا من الوحى، ليس الوحى قاصر على إبراهيم واسحق ويعقوب وحزقيال وإشعياء ودانيال ... ، إنما ممكن أن يكون فى شعوب أخرى، لأن هؤلاء كلهم خليقة الله ، المهم قال الكتاب أوحى إليهم فى حلم أن لايرجعوا إلى هيرودس بل يذهبوا إلى بلادهم من طريق أخرى .

وفعلا أطاعوا هذا الوحى وذهبوا إلى بلادهم ، فلما سمع هيرودس استشاط غضباً فأصدر الأمر بقتل جميع الأطفال فى بيت لحم وتخومها أى ماحولها، من إبن سنتين فما أقل بحسب الزمن الذى تحققه من اليهود .

هنا ظهر الملاك ليوسف وقال له خذ الصبى وامه واذهب إلى أرض مصر ، فدخل إلى أرض مصر عن طريق الفرما وهى على بعد ٢٠ كيلو من العريش الحالية الموجودة الآن، وبعد ذلك إلى تل بسطا ، وهى على بعد ٢ ميل من الزقازيق، ثم بلبيس وسمنود ... إلى أن وصلوا المعادى، وركبوا المركب إلى الأشمونين ثم إلى دير جبل الطير ومير ثم جبل قسقسام، وأقيم عليه فيما بعد الدير المحرق، وبعد ذلك أيضا تلقى يوسف أمر من الملاك جبرائيل يقول له : " قم خذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل . لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى"، فرجع . وفى عودتهم أخذوا المركب من أسيوط (على بعد ٤٠٠ كيلومتر من القاهرة) ، رغم أن أسيوط أبعد من الدير المحرق (على بعد ٣٢٧ كيلومتر من القاهرة) ، لكن أسيوط كانت أقرب ميناء للسفن فى هذا الوقت من الدير المحرق .

وفى العودة ذهبوا إلى عين شمس والمطرية ثم إلى كنيسة العذراء التى تسمى الآن كنيسة أبى سرجة ، ويُظن أن المدة التى قضتها العائلة المقدسة فى مصر ٣ سنين

ونصف، وبمدة الذهاب والإياب تقدر بأربع سنوات . لأن عندنا نصوص تشير إلى ذلك، ثم رجعوا بعد ذلك إلى الناصرة المكان الذى كان يعيش فيه يوسف .

فالمسيح فى طفولته عاش مع العذراء مريم، هذا مجال واسع للتأمل ، كيف كانت العذراء ترى المسيح ؟ ، كيف كانت العذراء تشرُف بأن فى حضنها ملك السموات والأرض ، وماذا كانت تراه ؟ ولابد أنه حدثت حوادث كثيرة مثل ماحدث فى مصر فى المطرية وغير المطرية، لابد أنه كانت هناك أمور كثيرة جدا ، ولذلك لوقا الرسول عندما أراد أن يكتب الإنجيل قال : " قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق" من الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ، من كان أكثر واحد معاين للكلمة ؟ العذراء مريم كانت أكثر وأقرب واحد فى المعاينة وأيضا كانت الأولى فى تتبع كل الحياة، ولذلك هى المصدر الأول لكل رحلة السيد المسيح على الأرض قبل الخدمة وأيضا رحلة العائلة المقدسة إلى مصر ، وبدون استطراد لأن هذا للمنفعة ، أن البابا تاؤفيلس الثالث والعشرين من بطاركتنا بعد إعلان المسيحية كإحدى الديانات المعترف بها، بدأ فى رحلة ومعه عشر أساقفة من الإسكندرية حتى اسوان، وكان ينشىء كنائس، وعندما ذهب إلى جبل قسقام الذى أقيم عليه فيما بعد الدير المحرق ، استمر سهران ولم ينم تلك الليلة يصلى طول الوقت، فظهرت له العذراء مريم وقالت له لماذا جئت؟ ، قال لها: كنت أتمنى من زمن أن أحضر إلى المكان الذى سمعت عنه ولم أره، فأنا أشكر الله أنى تمكنت أن آتى إلى هذا المكان الذى تقدس بوجود سيدنا وبوجودك ياسيدتى، ثم قال لها أنا أفكر أن أدشن هذا المكان كنيسة ــ يقصد المغارة التى أقامت فيها العائلة المقدسة، والتى أصبحت حاليا الهيكل للكنيسة الأثرية الموجودة حاليا بدير المحرق ــ قالت له كيف تدشن بيتاً دشنه ابنى بنفسه ؟ فخجل البابا من هذا التعبير ، قال لها إذن نعمل إحتفال ، قالت له لكن إياك أن تضيف إلى هذا المكان شيئا. لأنه رمز لتواضع ابنى الذى هو ملك السموات والأرض ارتضى أن يسكن فى هذا المكان ، فلا تضيف إضافات فى المبنى ، ولذلك بقيت المغارة حتى الآن، لو دخل كاهن لابس برنس إلى الهيكل وهناك شماس واقف، لابد للشماس أن ينحنى من ضيق المكان، ولذلك لم يستطع ولم يجرؤ أحد بعد ذلك أن يضيف شيئاً خصوصا للهيكل ، طبعا الحوائط الأخرى أضيفت فيما بعد، لكن الهيكل هو المغارة نفسها كما هى، حتى أن أحد رؤساء الدير نسى هذه القصة فرأى أن المذبح ضيق وفكر أن يهده ويكبره ، وعندما إبتدأ أحد الأشخاص أن يهد حجر المذبح ، وهو الحجر الذى جلس عليه سيدنا، شلت يد هذا

الشخص الماسك الفأس وصرخ ، ومن يذهب إلى هناك يرى مكان ضربة الفأس موجودة حتى الآن .

المهم أن البابا ثاؤفيلس الثالث والعشرين انتهز الفرصة ليسأل العذراء عن تفاصيل رحلة العائلة المقدسة ، طبعا كانت هناك طرق رسمية، لكن لأن العذراء كانت فى حالة هرب فاختطوا طريقا آخر غير الطرق الرسمية العادية بين فلسطين ومابين أرض مصر، فقصت له العذراء بالتفاصيل عن المحطات التى مروا عليها والتى خطتها العائلة المقدسة حتى وصلوا لأرض مصر، ثم من مصر حتى وصلوا إلى أرض فلسطين ، وأمرته بأن يكتب هذا الكلام ، وفعلا فى اليوم الثانى كتب تفاصيل هذه الرحلة، وهى تُعَدُ المصدر الأساسى الذى نعتمد عليه تاريخيا فى رحلة العائلة المقدسة، والمحطات التى مرت بها، لأنها من فم العذراء نفسها .

إذن سيدنا له المجد استمر فيِ الناصرة وتربى فيها، وفى طفولته ذهب إلى الكُتَّاب لأنه دائما كان المجمع ملحق به كتّاب، وفى الوقت نفسه اشتغل صبى نجار مع يوسف، ولذلك نحن فى الإنجيل مرة يقولوا عن المسيح أنه نجار، ومرة أخرى أنه ابن النجار، وهذا صحيح لماذا ؟ لأنه بعد أن مات يوسف كان سيدنا له المجد له فى الجسد ١٦ سنة، فاشتغل نجار لكى يعول العذراء حتى سن الثلاثين ، وهذا يعطى شرف إلى أصحاب الحرف والأعمال اليدوية، ويقال فى التقليد أن المائدة التى أكل عليها المسيح الفصح كانت من صنعه .

كانت العذراء مريم تتبع المسيح فى كل مكان لأنها لم يكن لها أحد آخر، ولذلك لما دُعى إلى العرس فى قانا الجليل ، كما جاء فى الأصحاح الثانى من إنجيل يوحنا يقول "ودعيت أم يسوع هناك وتلاميذه" ، لم يأت ذكر ليوسف لأن يوسف كان قد مات وسن المسيح ١٦ سنة وكان سنه ١١١ سنة عندما مات . فالمسيح هو الذى كان يتولى شئون مريم، وكانت مريم تتبعه دائما فى مدة خدمته حتى عند صلب المسيح كانت العذراء واقفة عند الصليب ، كانت العذراء يمين المسيح ، ويوحنا الحبيب كان على الشمال . ففى إنجيل يوحنا يقول هذا الكلام، وهو الإنجيل الذى تجدوا فيه كلمات المسيح السبع، فإنجيل يوحنا جاء فيه هذا التعبير" يايوحنا هوذا أمك "، وقال لها " هوذا ابنك ". فأخذها يوحنا إلى خاصته، والمعروف أنها بقيت فى بيت يوحنا نحو ١٤سنة، وهذا هو السبب أن يوحنا لم يغادر أورشليم حتى نياحة العذراء مريم، فظل يكرز فى منطقة أورشليم ولكن لم يغادر أورشليم .

كانت العذراء فى هذه الفترة تذهب إلى القبر المقدس بعد قيامة سيدنا وكانت تصلى هناك، وكان معها عذارى جبل الزيتون، وبهذه المناسبة نقول أن العذراء مريم أنشأت نظام العذارى وهو النظام السابق على الرهبنة .

رهبنة البنات جاءت فى القرن الرابع، وأول من صارت أم للراهبات وكونت نظام الرهبنة بالزى المُعَّين هى اخت الأنبا باخوميوس الكبير أب الشركة، لكن قبل ذلك كان البنات اللائى يملن إلى التبتل يسموهم العذارى ، حتى أن البابا ديمتريوس الكرام عندما صار بطريركا أرسل امرأته إلى خوروس العذارى ، كان لهم فى الكنيسة مكان اسمه خورس العذارى، فنظام العذارى هو السابق لنظام الرهبنة بالشكل المعروف، وأول من أنشأه العذراء مريم ، فهى رائدة العذارى، كانت هى وعذارى جبل الزيتون يذهبن إلى القبر المقدس وكانت هناك تصلى وتصوم ولذلك نعرف أن الصوم المعروف بصوم العذراء، أول من صام هذا الصوم العذراء نفسها . ثم بعد ذلك الآباء الرسل صاموه وفى نهايته ظهر لهم جسد العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة .

العذراء كانت تمارس الصوم من طفولتها، ويذكر التقليد أنها كانت وهى طفلة تعطى طعامها للفقراء وتظل هى صائمة ، فكانت الملائكة تشفق على العذراء مريم وهى طفلة فكانت تأتيها بطعام . حتى القرآن قال : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً .

كذلك لما كَبُرت كانت تصوم ، فهذا هو منشأ صوم العذراء أنها هى التى بدأت هذا الصوم، وكانت معها عذارى جبل الزيتون، ولذلك اليهود تضايقوا منها جدا واضطهدوها إضطهاداً شديداً جداً . وفى مرة قرروا أن يحرقوها بالنار، فاختطفتها سحابة ومضت إلى حيث متياس الرسول أحد السبعين الذى أختير ليكون من بين الإثنى عشر. وكان متياس الرسول مسجوناً فذهبت العذراء وبصلاتها حُل الحديد وذاب، وهذا مصدر فكرة عيد العذراء حالة الحديد الذى نحتفل به فى ٢١ بؤونة، وحتى اليوم فى الدير المحرق يحتفلوا به لمدة أسبوع كامل من يوم٢٠يونية إلى ٢٨يونية ، الذى يقابل ٢١بؤونة، وعندما ذاب الحديد خرج متياس الرسول وكل المسجونين من السجن، وهذا الأمر قاد رئيس المدينة والشعب كله بأنهم يؤمنوا بالمسيح .

بعد ذلك رجعت العذراء مريم إلى أرض أورشليم مرة أخرى، ثم حدث أن المسيح له المجد ظهر لها وقال لها أن حياتها ستنتهى . وقال لها أنت تحملتى كثيراً جدا من أجلى وأنا سآخذك على سحب السماء وأذهب معك إلى المكان الذى أقمنا فيه أكبر مدة طويلة فى أرض مصر، وهو جبل قسقام حيث الدير المحرق ، لم يكن وقتها الدير

المحرق . فأخذ العذراء مريم والآباء الرسل على السحب ومضى بهم إلى جبل قسقام ودشن الكنيسة بذاته ، ولذلك هذه الكنيسة بحسب تقاليدنا وبحسب تراثنا هى الكنيسة الوحيدة التى تفتخر أن المسيح دشنها بنفسه ، ومذكور فى التقليد أن ميخائيل رئيس الملائكة وجبرائيل كانا يحملان الوعاء الذى منه نثر المسيح الماء على هذا المكان فتدشن وتقدس وهذا اليوم كان ٦ هاتور . ويقع فى نوفمبر وبهذه المناسبة جاءت ملكة الحبشة وذهبت إلى منطقة جبل قسقام وأخذت من تراب الدير المحرق ونقلته بالجمال وبنت به كنيسة أكسوم فى الحبشة الذى تعد مثل الفاتيكان عند الكاثوليك . وتعد أكثر الكنائس قداسة ، لأنها بنيت من تراب الدير المحرق وفرضت الملكة على الأحباش صوما لمدة أربعين يوما ينتهى فى ٦ هاتور . هذا الصوم غير معروف عندنا إنما فى الحبشة معروف ويسموه صوم قسقام، ويعتقد الأحباش أنهم يحفظوا فى هذه الكنيسة تابوت العهد ، الذى أخذته الملكة بلقيس عندما تزوجت سليمان الحكيم وصنعت بدلا منه تابوت آخر وتركته فى أورشليم، فالأحباش يؤمنوا أن عندهم التابوت الحقيقى الأصلى، الملكة بلقيس ملكة الحبشة أنجبت من سليمان الحكيم منيليك، منيليك هو رأس العائلة الملكية ولذلك أخذ لقب امبراطور الحبشة ، لقب الأسد الخارج من سبط يهوذا .

العذراء فى مصر :

بعد أن ولد المسيح وزاره الرعاة والمجوس وبعد أن قطع هيرودس الأمل فى عودة المجوس إليه لإخباره عن مكان ولادة الصبى واعتزم قتل الأطفال من ابن سنتين فما دون ، ظهر الملاك فى حلم ليوسف وأمره أن يأخذ الصبّى وأمه ويهرب إلى أرض مصر، وكان سنّ المسيح بحسب الجسد فى ذلك الوقت سنة وثمانية شهور وسبعة أيام فرحلت العائلة المقدسة إلى مصر وصحبتها السيدة المدعّوة سالومة، وكان دخولها مصر فى يوم الإثنين ٢٤ بشنس ومرّت بالفرما ثم بسطة ثم بلبيس ثم سمنود، ووادى النطرون ثم الأشمونين ثم جبل قسقام المعروف بالدير المحرق ثم دير درنكة بأسيوط ، ثم عادت ومرّت بمدن من بينها عين شمس وهى المطرية حيث الشجرة المعروفة بشجرة العذراء التى استظلت بها ثم الفسطاط أى مصر القديمة حيث كنيسة القديس سرجيوس المعروفة بأبى سرجة ثم رجعت العائلة المقدسة إلى أرض إسرائيل وقـــــد

قضت العائلة المقدسة بمصر مدة تزيد قليلا على ثلاث سنوات ونصف وقد تبلغ أربع سنوات " (١)

العذراء فى الناصرة :

سكنت العذراء فى الناصرة مع ابنها الحبيب والشيخ يوسف البار الذى كان يعمل كنجار ، وقد مارس السيّد بنفسه هذه المهنة وكان يتردد معهما إلى الهيكل فى أورشليم كل سِنة فى العيد ، ولما بلغ الثانية عشر من عمره ، ذهب معهما وهناك بقى فى وسط المُعلِّمين يسمعهم ويسألهم وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه ومن أجوبته ومن أروع مانقرأ بعد ذلك أى بعد عودة المسيح مع أمه ويوسف أنه " جاء إلى الناصرة وكان خاضعا لهما " (٢) .

ولما بلغ السيد الثلاثين من عمره وبدأ خدمته الجهارية كان يوسف قد مات ولذلك نقرأ أنه لم يُدْعَ إلى عرس قانا الجليل مع السيد المسيح وأمه الطاهرة (٣) وتعيّد الكنيسة بذكرى نياحته فى ٢٦ أبيب من كل عام .

وقد تبعت العذراء ابنها، وكانت واقفة عند صليبه مع المريمات ولما رأى السيد مرارة نفسها وأنه قد تمت فيها نبوءة سمعان الشيخ حين قال لها متنبئاً عن آلامها بسبب موت ابنها (وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيف) (٤) أوصى بها تلميذه الذى كان يحبه يوحنا وأمره أن يعتبرها أماً له ، وأوصاها أن تعتبر تلميذه إبناً لها (فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً قال لأمه يامرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك.. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته " (٥)

------

(١) وفى مصر حدثت معجزات كثيرة منها أن الأصنام تحطمت لدى مقدم السيد المسيح إتماما لقول النبى " هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه (إش ١٩: ١) .

(٢) (لو ٢: ٥١) .

(٣) راجع (يو٢: ١، ٢) .

(٤) (يو١٩: ٢٦، ٢٧) .

(٥) (لو ٢: ٣٥) .

العذراء فى بيت يوحنا :

ظلت العذراء فى بيت يوحنا ومع ذلك كانت تتردد على القبر المقدس دوماً حيث تصلى وتتضرع إلى ابنها أن يُقرّب موعد رحيلها من هذا العالم الزائل .

وبعد أن احتملت من اليهود متاعب وإضطهادات جمّة بسبب ترددها على القبر المقدس وبسبب تضرعها .. تآمر اليهود على حرقها فَحُملت بسحابة نورانية إلى حيث متياس الرسول الذى كان مسجوناً، فبصلاتها سالت السلاسل وكل الوثق الحديدية واستحالت سائلة كالماء وخرج ومعه جميع المؤمنين .. وبسبب هذه الأعجوبة العظيمة التى صنعتها البتول قد آمن الوالى وجميع أهل المدينة بالسيد المسيح واعتمدوا من القديس متياس ثم رجعت العذراء بعد ثلاثة أيام إلى أورشليم ثانية ..

كأس الألم فى حياة العذراء [1]

العذراء أُختيرت لتكون الخادمة الأولى لسر التجسد، ولكى تكون السماء الثانية الملكة أم الملك ، هل كان هذا الإختيار اعتباطا أو نوعا من المنحة التى لا أساس لها غير أن الله أمر فصار ؟.. لا ... ليست هذه سياسة الله أبدا ، أبدا ، إذا كان المُخرج لرواية قبل أن يسند الدور لهذا الإنسان أو ذاك ليقوم به، لابد أن يكون أولا مطمئنا إلى كفاءة هذا الإنسان، ليقوم بالدور قبل أن يسند إليه الدور . فكيف يسند الرب هذا الدور لمريم إلا وهو يعلم أن مريم يمكنها أن تقوم بهذا الدور، فليس الموضوع اعتباطا ولا هو من قبيل الأمر، ولا لأن مريم يمكن أن تقوم بدور كان يمكن أن تقوم به أى امرأة أخرى ، لا .. لولم تكن مريم مستحقة لهذا الشرف لما أسند الرب إليها هذا ، خصوصا وأن دور مريم ليست مجرد امرأة حملت وولدت، إنما امرأة من شبابها اصطبغت بالألم وشربت من الكأس التى شربها المسيح ، شربت الألم ، ليس فقط فى طفولتها اليتيمة وماعانته، وما لم تره ربما طفلة أخرى، انفردت مريم منذ طفولتها بألم اليتم، ولكن ليس اليتم وحده، إنما عندما اختيرت وظهر لها الملاك وبشرها بالحمل الإلهى، منذ هذه اللحظة أيضا بدأت مريم تعانى، عانت الشكوك فى طهارتها وعفتها ، حتى يوسف الذى يعرف طهارتها اضطر أن يشك فيها، لأنها بعد أن ظهر لها الملاك وبشرها، وبعد أن حملت ذهبت إلى بيت أليصابات وقضت هناك ثلاثة شهور، وحضرت ميلاد يوحنا، لأنه فى هذا الوقت كان الشهر السادس لأليصابات، وعندما رجعت إلى بيتها فى الناصرة ورأى يوسف علامات الحمل، كرجل وكإنسان شك فيها من أين هذا الحمل ؟ فهو يعرف جيدا أن هذا الحمل ليس منه، ولولا كما يقول الإنجيل أن الرجل كان باراً لما قرر فى نفسه أن يُطلق سراحها سرا حتى لايفضح أمرها، لأن الشريعة كانت تبيح له فى هذه الحالة، أن يجمع عليها شيوخ المدينة وأن يقضى عليها بالرجم، لأنها وقعت فى هذا الخطر المحظور، لكنه لأنه كان باراً لم يرد أن يفضحها فأراد أن يخلى سبيلها سرا، هذا يعتبر فضيلة فيه، لكن بالنسبة لمريم هذه الإنسانة الطاهرة النقية

---

(١) عظة ألقيت بكنيسة العذراء ومارمينا العجائبى بفاقوس ۰ فى صباح الجمعة الموافق ١٦ من أغسطس ١٩٨٥م – ١٠ من مسرى ١٧٠١ ش .

التى يعلم الله طهارتها، كيف كان وضعها من الداخل وهى تحس أنها متهمة ومتهمة من أقرب الناس إليها، هنا بدأت حلقة جديدة من حلقات الآلام فى حياة مريم ، الإتهامات والظنون والشكوك، وليس هناك أَمَرُّ عند بنت عفيفة طاهرة بكر من أن تتهم فى طهارتها ، هذا هو سلاحها ، هذا هو رأسمالها ، هذا هو مجدها، ليس هناك أبدا شيء يجرحها أكثر مما يجرحها شرفها الذى مس، والذى حدث يجعل كل إنسان له عقل يكون معذوراً أن يتهمها .

وظلت مريم فى وضع الإتهام كل أيام حياتها ، وربما إلى اليوم يصب عليها اليهود الإتهامات ويتهمونها فى طهارتها ، وأقل مافيها ماكان يقوله بعض اليهود عن المسيح، هانحن عارفون بأبيه وأمه وكأن يوسف هو أبو المسيح ، هذا هو أقل مايمكن أن يكون من إتهام يصيبها بالألم . أن يعتبر ميلاد المسيح من يوسف وأنها تزوجت ، وهى لم تتزوج ولكن هذا أقل ما فى القضية من إتهام . إنما مريم عاشت كل أيام حياتها فى هذا الإتهام . من الذى يصدق ؟ وبعد ذلك عاشت مريم تعانى مع المسيح، حينما جاء ميعادها لتلد، كان أوغسطس قيصر أصدر أمراً أن يكتتب كل المسكونة، كل واحد يذهب إلى مدينته التى ولد فيها لكى يكتتب ، لكى يسجل اسمه فى البلد التى هى مسقط رأسه ، ومريم كانت من بيت لحم ومن بيت داود، ويحدث أن مريم فى الوقت الذى فيه ستلد المسيح، تضطر على الرغم منها أن تركب حماراً، وأن تسير من الناصرة إلى بيت لحم، وياليتها وجدت هناك مكان، وهى فى هذه اللحظات الصعبة الحرجة لم تجد مكان فى الخان ، لم يجدوا فى الخان مكان فاستضافها الحيوان وولد المسيح فى مذود البقر ، لماذا هذا كله؟ لماذا لم يتأخر أوغسطس قيصر فى الميعاد؟ لو كان أحد فينا لتذمر، لماذا لايأتى الاكتتاب إلا فى الوقت الذى فيه مريم كمل زمانها لتلد ؟ ألكى تتعذب أكثر وتتألم أكثر ؟ لماذا لم يتدخل الله ليُسّهل مهمتها ؟!! هذه مهمته هو، لكن لكى تعرفوا أن الله لايحابى كما نحن نتصور، ليس لأن الشخص مع الله ودائما يتعبد ويّصلى ويصوم تكون كل حياته سهلة، الله يعطينا مثل ونموذج، لايوجد إنسانة ممكن أن تكون فى وضع مريم، ومع ذلك سمح الله بأن تعانى مريم هذه المعاناة وهذا أيضا لخيرها الأبدى، لكى تصطبغ بصبغة الألم وتشرب من الكأس، وتعانى مع المسيح فتكون مشاركة له ، مشاركة مع المسيح فى آلامه ، ولدت مريم وظهر النجم للمجوس وقادهم إلى أورشليم ثم اختفى ليذهبوا ويوقظوا اليهود الذين لايدرون بولادة المسيح وكأن اختفاء النجم مقصودا ليعرف الملك وكل الشعب وترتبك المدينة كلها على سؤال المجوس، أين هوالمولود ملك اليهود أننا أتينا لنسجد له؟، هيرودس الرجل السفاح الذى

قتل أمه واخته، هل يقبل أن يولد من يأخذ منه الملك ؟ جمع هيرودس رؤساء الكهنة وسألهم أين يولد المسيح ؟ قالوا له فى بيت لحم، الإجابة كانت جاهزة، بحسب تعاليم الكتاب المقدس لأنه هكذا مكتوب " أما أنت يابيت لحم إفراته وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل " (ميخا٥: ٢) فقال هيرودس للمجوس ، اذهبوا ابحثوا عنه بالتدقيق فى بيت لحم، ومتى رأيتموه تعالوا وقولوا لى لكى أنا أيضا أذهب وأسجد له، قال هذا عن خبث . فخرج المجوس من أورشليم فظهر النجم ، ففرحوا فرحا عظيماً، وسار النجم حتى وصلوا حيث كان الصبى. وبعد أن قدم المجوس هداياهم أوحى إليهم فى حلم،أن لايرجعوا إلى هيرودس. بل يذهبوا إلى بلادهم من طريق آخر. وفعلا أطاعوا ما أوحى به إليهم ورجعوا إلى بلادهم . وهذا يدل على أن الناس الغير المسيحيين وغير المتدينيين بديانة إلهية ممكن أن يكون لهم نوع من الوحى، وهيرودس استمر ينتظر وعندما لم يعود المجوس استشاط غضبا . وأمر بأن يقتل الأطفال من ابن سنتين فأقل. يارب ماهو ذنب الأطفال الأبرياء ١٤٤ ألفا يقتلوا بسبب المسيح ؟ . لماذا لم يقود النجم المجوس على بيت لحم مباشرة حيث المسيح ؟ ... ثم يظهر الملاك ليوسف ويقول له خذ الصبى وامه واهرب إلى أرض مصر وكن هناك حتى أقول لك ، وخرجت الصبية مريم ولم تكن وصلت إلى سن ١٤ سنة ، خرجت فى جنح الظلام هى ويوسف هرباً من هيرودس، وتصور شعور الإنسان وحالته النفسية من الداخل عندما يكون فى حالة هرب .

المعاناة النفسية التى عانتها نتيجة المطاردة، لأن هيرودس أرسل عشرة جواسيس وراءهم ليمسك المسيح ويقبض عليه ويقتله . وفى الطريق كانت العذراء معها الذهب الذى قدمه المجوس والمعاناة من قطاع الطرق واللصوص، وقابلهم إثنين من اللصوص رأيا الذهب فسال لعابهما لكى يأخذوه، وفعلا هجما على مريم الصبية الصغيرة على الحمار، ومعها الطفل الإله يسوع، ولحكمته لم يحمها المسيح ولم يدفع عنها شرا، وأخذوا اللصين الذهب وأيضا ما أمكن من هدايا المجوس للمسيح ، قال أحد اللصين إلى الآخر، نحن بلغنا من القسوة ومن الجفاء وعدم الضمير، أنه لم يكفينا ماصنعناه وسرقناه، فنهجم على هذه الصبية الصغيرة وعلى طفلها، وكان يوسف رجل عجوز ، ليس فى قدرته أن يدفع لصين أقوياء، فطلب أحدهما من الآخر أن يرد الذهب للعذراء، واختلفا الإثنان معا وتغلب واحد على الآخر وردا الذهب إلى العذراء، وسيدنا له المجد نظر للعذراء وأخبرها أن هذان اللصان سيصلبان واحد عن يمينه والآخر عن يساره، وصاحب القلب الرحيم هو الذى سيعلن توبته على الصليب، ويقول: اذكرنى يارب متى

جئت فى ملكوتك . فالعذراء لم يكن طريقها سهل، ثم دخلوا أرض مصر وكلما ذهبوا إلى منطقة تتحطم الأوثان كما قال إشعياء النبى فيقوم كهنة الأوثان والشعب يضربوهم ويطردوهم من المكان ، فيذهبوا إلى مكان آخر فيحدث ماحدث فى الأول وتتحطم الأوثان ويطردوا منها وبهذا انتقل المسيح والعذراء مريم فى كل أرض مصر فى محطات مختلفة ، كل هذا نتيجة الطرد من مكان إلى آخر فكان هذا بركة لبلادنا ، اتخذ المسيح شر هيرودس تبريراً لأن يدخل بلادنا وأن يباركها ، واتخذ شر الكهنة الوثنيين الذين كانوا يطردونهم من مكان إلى مكان، ويضربونهم تبريراً بأن ينتقل من محطة إلى محطة فى كل أرض مصر ، العذراء كانت تهان وتطرد وتضرب والمسيح لايدافع عنها ، ليس لأنها معه يعفيها من الآلام .. لا .. لأنه أيضا يريد أن يعطيها الأجر والأجر يعطى على قدر التعب، فتركها لتساهم معه، وتحمله على كتفيها وتسير به من مكان إلى آخر، تصوروا شعور الإنسان المطرود والمضطهد والمذل، تصوروا شعور بنت فى سن ١٤ سنة كم عانت حتى وصلت إلى جبل قسقام الذى قام عليه فيما بعد دير المحرق ، وأقاموا فى غرفة هناك هى التى أصبحت هيكل الكنيسة الأثرية، أطول مدة ممكنة وهى ستة شهور وعشرة أيام، وهناك رأى يوسف حلماً أن الملاك جبرائيل يخبره أن يرجع إلى أرض فلسطين لأنه قد مات الذين كانوا يبتغون قتل الصبى، أربع سنين قضتها العائلة المقدسة فى مصر ، لِمَا لَمْ يقضِ الله على هيرودس من أول لحظة، ومن قبل أن يقتل الأطفال، هذا هو تفكيرنا باستمرار، فلان متعب ، سيء، قاسى، نطلب أن الله يميته ، هذه ليست سياسة الله، لو كانت هذه سياسة الله، كان مَنْ مثل هيرودس بلعته الأرض من زمن طويل ، وكان مات فى اللحظة التى حاول فيها أن يمس المسيح بأذى، بل الرب تركه، ولم يتدخل الله ليقتله ، لأن الله أب يعطى فرصة للإنسان لعله يتوب . الله لما حكم على الفلسطينيين أن بنى إسرائيل يخرجوا من أرض مصر، وكانوا يقدروا أن يصلوا لأرض الميعاد فى يومين فقط ، وفعلا إثنين من أرض مصر بعد أن عبروا البحر الأحمر استطاعوا أن يصلوا الأرض التى وعدهم بها الله فى يومين فقط ، ولكن بنى إسرائيل استمروا أربعين سنة فى سيناء، لماذا ؟ يقول لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا ، يعطى فرصة للأموريين وهم الفلسطينيين أربعين سنة أخرى ، لأنه إله وأب وخالق، كلنا خليقته، لايريد أن يفنى الفلسطينيون بل يعطيهم فرصة أربعين سنة لعلهم يتوبوا. هذه سياسة الله ، وفى نفس الوقت يؤدب بنى إسرائيل فى أرض سينا، ويربيهم تربية معينة ويهذبهم لكى يصلحوا لأن يدخلوا أرض كنعان ، العذراء عانت كثيرا من منزل إلى منزل، فى منطقة المطرية تطرق الأبواب

تطلب أن تأكل من أجل الطفل، ولكن الشيطان يسبقها إلى هناك ويغلقوا الأبواب فى وجهها، ولايوجد أى مصدر آخر للأكل هذا هو الذل الذى لاقته مريم . لو أحد منا عاش هذا الذل لصرخ لماذا يارب كل ذلك؟ أنت تستطيع أن تنهى هذا كله ، كان من الممكن أن لاتكون هذه الرحلة وتقضى على هيرودس، هذه ليست سياسة الله ، وفى مره مريم طرقت الباب فأجابتها السيدة أنا عجنت العجين وسأخبز، فقالت لها مريم هل تسمحى لى أن أساعدك حتى لا آكل خبز الكسل، فوافقت السيدة وقد تكون سيدة عجوز، فأخذت العذراء قماط السيد المسيح ولفته على المجور وبدأت تقطع العجين الذى ملأ الدور الأرضى وابتدأت تملأ الدور الأعلى، والعجين لايريد أن ينتهى، صاحبة البيت قالت لها ياسيدتى هذا الخبز كله ماذا أعمل به؟ أنا أعيش هنا لوحدى ، يكفى هذا، فرفعت العذراء القماط فجف المجور، وأصبح هذا الشارع بسبب هذه السيدة التى فتحت الباب أمام العذراء يسمى شارع البركة فى المطرية .

أريد أن ترجع أفكاركم للخلف وترى ماذا حدث للعذراء من متاعب، فتتحملوا المتاعب ولايظن أحد أنه مادام يُصلى ويصوم لاتقف العقبات أمامه ، لأن هذه المعاناة سيكون لها أجر ، وسيكون عنها جزاء لأنه بقدر التعب يكون الجزاء .

انظروا بعد ذلك حياة المسيح كلها ، يوسف كان رجل عجوز ومات ، مات عندما كان سيدنا سنه ١٦ سنة فى الجسد، وعاشت العذراء منفردة، وبدأ المسيح له المجد يعمل نجاراً ، خصوصا بعد أن مات يوسف حتى سن الثلاثين، وكان عمله هذا شرف للعمل ولو ننتقل بسرعة إلى الأسبوع الأخير، إلى الآلام وإلى الصلب، انظروا قلب الأم عندما المسيح يسلمه الخائن يهوذا وهو أحد تلاميذه ، وكل التلاميذ الآخرين أيضا يهربوا ، إذا كانت إمرأة بيلاطس عندما رأت حلماً أرسلت إلى بيلاطس وهو فى عمله وقالت له: إياك وهذا البار فإنى تعذبت كثيرا فى حلم من أجله، إمرأة بيلاطس تعذبت كثيرا فماذا كان حال العذراء مريم ؟! وماذا كانت فيه من الألم والحزن الذى يقطع قلبها ، هى أم وليس لها غير المسيح من الناحية الجسدية أو من الناحية الروحية، لايوجد غيره، ماهو شعورها ؟ ماهو حالها ؟ ومقدار ماعانته بعد الحكم عليه؟ وما عانته فى طريق الصليب حتى وقفت تحت الصليب ؟ ونظرت له ونظر إليها وسلمها إلى يوحنا وأخذها يوحنا إلى بيته .

أنا رأيت صورة فى فينيسيا لفنان من القرن الثالث عشر ، أعتقد أنها أجمل صورة رأيتها فى حياتى، صورة المسيح فى القبر والعذراء واقفة ، وكيف نجح الفنان فى أن يصور العذراء فى أصعب حالات الألم وأصعب لحظة من لحظات الحياة، ليس فقط

لأنه ابنها ، بل وحيدها وعائلها، ماهو مصيرها بعد صلب المسيح ؟ وماذا سوف تعانى من اضطهاد ومتاعب ؟، من اليهود الذين يصبون عليها جام الغضب والاضطهاد والآلام . ضع أى واحد منا فى هذا الموقف ، فالفنان نجح نجاحا ممتازاً بأن يصور العذراء والألم على وجهها وعينيها تآكلت من البكاء ، ووضعها شيء صعب جدا ، أنا وقفت أمام الصورة حوالى ثلث ساعة وكان ممكن لولا الاستعجال أن أستمر ساعة وساعتين أمام هذه الصورة .

كيف نجح المصور والفنان فى القرن الثالث عشر ، أن يصور العذراء فى أصعب فترة فى حياة الأم الوحيدة المنفردة التى يموت ابنها ووحيدها وعائلها ؟ وماذا سيكون مصيرها من بعده وهى بنت يافعة ؟. لم تكن مريم فى هذا الوقت أكثر من ٤٧ سنة أو ٤٨ سنة .

أريد أن أكتفى بهذا، ولكن أريد أن أقول الكلمة التى قالها سمعان الشيخ " وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيفا "، أى سيف سوف يطعنك فى قلبك من الداخل ؟ طبعا هنا يشير إلى سيف الألم .

الخلاصة لماذا ترك المسيح العذراء ولم يتدخل ليخفف آلامها ؟ ليس فقط ليعطيها الأجر الذى هى تستحقه، ولكن ليقدم فيها نموذجاً للفضيلة، ونموذجا للإنسان الذى يتعب من أجل المسيح . كما أمهل الله أيوب ليقدم فى أيوب نموذج للصبر . كل الناس الآن يقولوا صبر أيوب . أيوب صار مثلاً للصبر فى العالم كله وفى التاريخ كله ، لأن أيوب كان فعلا مملوء بالفضيلة ولكن كانت الفضيلة غير ظاهرة . فهذه فرصة لإظهار فضيلة أيوب ، فضيلة إستمساكه وإيمانه وتدّينه وتعبده للإله وإحتماله .

فالمسيح ترك الظروف كلها تأتى ضد العذراء ، ولم يتدخل للتخفيف عنها ، لكى تعانى معه وهذا له جزاءه، ولكن أيضا لإظهار فضيلة مريم ، هل سمع أحد كلمة قالتها مريم فى كل التاريخ لا فى الإنجيل ولا غير الإنجيل ، لم ينسب إلى مريم فى كل هذه الظروف خطأ ، أو أنها شتمت شتيمة أو تضايقت ، إمرأة أيوب قالت له بارك ربك ومت ، فأجابها تتكلمين كلاما كإحدى الجاهلات ، الخير من الله نقبل والشر لانقبل !! مريم هل حدث منها شيء فى كل هذا ؟ أبدا كانت صامتة متحملة لأنها جعلت نصيبها من نصيب الرب . " الكأس الذى أشربها أنا " شربتها مريم معه والصبغة التى اصطبغ بها، مريم اصطبغت بها معه، لم تفترق عنه. ولذلك ياأولادنا دائما العذراء مع المسيح، فى تقليد الكنيسة خصوصا كنيستنا القبطية والأرثوذكسية بصفة عامة، لايمكن أن نصور العذراء وحدها ، أقول هذا الكلام لأنه يوجد بعض الصور، العذراء بمفردها ،

فى الفن القبطى لم يحدث أبدا أن العذراء تكون لوحدها أبدا، العذراء لاتنفصل عن السيد المسيح ، مصيرها مصيره فارتبطت به فلا إنفصال . بإستمرار على ذراعها الشمال لكى تكون هى على اليمين ، لكن الوضع الأفضل أن يكون المسيح فى حجرها.
" أنت الذى فى حجرك الملائكة تسبحه " لماذا ؟ لتكون هى بالنسبة له المركبة وهو جالس عليها . أنت الجالس فوق الكاروبيم ، جلس على مريم فكانت مريم هى المركبة الشاروبيمية هذا هو الوضع المفضل، دائما فى كنيستنا العذراء تضع المسيح على حجرها لكى تكون هى بالنسبة له مركبة . فلا إنفصال أبدا بين العذراء والمسيح، ارتبطت به وارتبط به مصيرها، لذلك حتى جسدها أخذه، وهذا ما نحتفل به فى اليوم السادس عشرة من مسرى . نعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم جميعا الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين .

العذراء المتألمة (١)

إنجيل القداس فى هذا الصباح يتكلم عن الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف (يو١٠: ١-١٦)، والمعنى أن خدمة النفوس وخدمة الله تحتاج إلى بذل وإلى تضحية وإلى معاناة للآلام ، ورسالة ماربولس الرسول إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس فى هذا الصباح أيضا . يقول الرسول " أما أنت فقد تبعت تعليمى وسيرتى وقصدى وإيمانى وأناتى ومحبتى وصبرى وإضطهاداتى وآلامى... أية إضطهادات احتملت ومن الجميع أنقذنى الرب وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون " (٢. تيموثيئوس ٣: ١٠-١٢) .

ويشرح الأبركسيس الذى سمعناه الآن منظر مؤثر إنتهى ببكاء، فيه الرسول بولس يقول للكهنة والأساقفة فى أفسس " والآن أنا أذهب إلى أورشليم مقيداً بالروح لا أعلم ماذا يصادفنى هناك، غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلا أن وثقا وشدائد تنتظرنى ولكننى لست أحسب لشىء، ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعيى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله " (أعمال٢٠: ٢٢-٢٤) .

ونحن الآن نستقبل فى يوم الأحد إنشاء الله عيد صعود جسد العذراء إلى السماء، وبه نختم صوم العذراء، كلنا نطوّب العذراء ونشيد بمدحها . لكن هل عاشت العذراء حياة رخوة ؟ أى نوع من الحياة عاشتها العذراء مريم ؟ هناك الجانب المشرق ، ظهور الملائكة فى حياة العذراء فى البشارة والميلاد، وميلاد السيد المسيح منها، وتحية أليصابات المملوءة روحانية ، والتى فيها نطقت بالروح القدس بالكرامة التى نالتها مريم العذراء " من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ " وهى نفسها مجدت الرب وقالت "منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى " هذا هو الجانب المشرق فى حياة العذراء، ولكن هناك جانب آخر كان لابد منه ولا مفر وهو جانب الآلام ... " جميع الذين يعيشون فى التقوى فى المسيح يسوع يضطهدون " وقد عاشت العذراء حياة مضطهدة متعبة لاحقتها الآلام منذ الصغر. حُرمت من أبيها ومن أمها ، أولا من أبيها وهى فى السادسة من عمرها، وثانيا من أمها وهى فى الثامنة من عمرها ، فأصبحت يتيمة، وفى الهيكل لم يكن لها أحد يسأل عنها ، كانت أمها وأبوها يأتيان إليها فى كل عيد ، لأنها نذيرة الرب، مرة فى عيد الفصح فى كل سنة يأتى أبوها وأمها إليها، فلمـــــــا

----

(١) عظة ألقيت صباح الجمعة ٢٠ /١٩٧٦/٨م ، بكنيسة الأنبا فريج بدير الأنبارويس بالعباسية .

أصبحت يتيمة أصبحت محرومة وهى طفلة صغيرة من عطف الأب والأم .

عاشت إذن حياة ضيقة منذ طفولتها المبكرة، وكانت الحيرة يوم أن بلغت الثانية عشر من عمرها، وكان لابد أن تخرج من الهيكل ولكن لمن تعطى ؟ ومن هذا الذى يأخذها ؟ ومن هذا الذى يضمها ؟ إلى أن تدخلت السماء ، والملاك ظهر لزكريا رئيس الكهنة وأمره بأن يجمع عصىَّ شيوخ سبط يهوذا وشبابها ، ويكتب على كل عصا اسم صاحبها ، وفى اليوم التالى كانت العصا المكتوب عليها اسم يوسف قد أفرخت بمعنى إخضرت وأورقت وأزهرت زهوراً وأوراقاً وبراعماً . تدخلت السماء بهذا الأسلوب وحَلَّ الإشكال ، وجاءت إرادة الله واضحة فى أن يكون يوسف هو الذى يأخذ مريم إلى كنفه ، وأحاطتها إرادة الله حتى تنتقل فى أمان إلى بيت يوسف ، عقد الكهنة عقد زواج رسمى على يوسف وعلى مريم على الرغم مِن أن مريم كانت تعشق البتولية ، ولابد أنها كانت فى ذهنها متحيرة ، لماذا الظروف تضَيِّق عليها بهذا الشكل .

وعلى الرغم أنها تعتزم البتولية لكنها تضطر إلى هذا النوع من الزواج ، لأنه لم يكن هناك مفر من أن يعقد لها عقد رسمى على رجل ، يأخذها إلى كنفه، لم تكن مريم تدرك ما أدركته فيما بعد ، لكن كطفلة فى الثانية عشر من عمرها لابد أنها تضايقت داخلها. كيف على الرغم من ميلها إلى التبتل، ومن رغبتها فى أن تحفظ عفافها كاملا، تضطرها الظروف راغمة فى أن تتزوج ؟ هذه ضيقة نفسية مرت بها مريم ، وبعد ذلك مريم تنتقل إلى بيت يوسف، ويجيئها الملاك ويبشرها ويطمئنها أن الحَبَل لن يتم بما يتعارض مع رغبتها فى التبتل ، لأن الروح القدس هو الذى يحل عليها وقوة العلى تظللها، وبذلك أقنعها بأن هذا الحمل لايتعارض مع إحتفاظها ببكارتها وبتولتها، ولكن كانت هناك مشكلة أخرى، مشكلة ماذا يدور فى عقل يوسف، حينما يرى علامات الحمل ظاهرة على مريم ، وكل إبنه وكل شابة وكل فتاة فى مثل هذا الموقف، يمكنها أن تشعر بالضيقة وبالألم وبالحرج، وبالموقف الصعب الذى إضطرت إليه مريم. كيف يمكنها أن تشرح الأمر ليوسف، كيف يمكنها أن تبرر ذاتها، هل يمكن أن يقبل عذرها؟ هل يمكن أن يصدق قصتها؟ هل من الممكن أن يصدق أمر لم يسبق إليه ولم يحدث قبل ذلك ، كانت هذه ضيقة أخرى عانتها مريم . كيف؟ أيمكن أن تقنع يوسف ، وأن تحكى له وأن تبرر موقفها ؟ . أخيراً يتدخل الملاك ، ويظهر فى حلم ليوسف ، ويقنعه بأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ، " ولاتخف أن تأخذ مريم زوجة لك " لاتخف... معنى ذلك أن يوسف كانت تغلى فى نفسه أفكار، وهذا أمر طبيعى ومنطقى، حتى قال الكتاب أن يوسف إذ كان باراً لم يشأ أن يطلق سراحها وأن يخلى سبيلها، لم

يشأ أن يشهرها، لم يشأ أن يشهر أمرها، برارة يوسف دفعته أنه لايشهر أمرها ، ولكنه فى ذاته شك فيها ، ولذلك أراد أن يطلق سراحها سرا ، هذه فضيلة يوسف ، وإنما هو شك فيها ولولا ذلك ماكان يقول الكتاب " وإذ كان يوسف رجلها بارا لم يشأ أن يشهر أمرها ". أى أمرها أصبح فيه سمعة رديئة ، وهو من برارته لم يشأ أن يسيء إلى سمعتها ، فأراد أن يكتفى فقط بأن يطلق سراحها ، أن يتركها لحال سبيلها ، انظروا فى أى وضع كانت العذراء وهى اليتيمة ، حتى الرجل الذى شاء الله أن يربطها به بهذا الرباط المقدس، حتى هذا الرجل شك فيها، وأكثر من شك بل لعله أيقن . والكتاب المقدس يذكر له هذه الفضيلة ، أنه لم يرد أن يشهر أمرها، كأن أمرها أصبح شيئا محققا بالخطأ والفساد ، ولذلك كان فضلا منه أن يطلق سراحها سرا حتى لاترجم ، وحتى لايعرف الناس قصة الفضيحة التى سقطت فيها مريم ، هذا هو الوضع المؤلم ، كلنا ننظر لمريم من الناحية المشرقة ولانفكر في قدر ماعانت مريم من آلام، ثم بعد ذلك حملت وأقنع الملاك يوسف بأن هذا الحمل أمر إلهى ، ولذلك أبقى على مريم فى بيته ، ثم تأتى ساعة الميلاد للسيد المسيح ، وكانا يسكنان فى الناصرة ، ولكن يجيء الاكتتاب وبالأمر يذهب كل واحد إلى قريته التى ينتسب إليها، فكان لابد أن يذهبا إلى بيت لحم، ثم يجيئها المخاض وهى فى بيت لحم ، لماذا لم تلد مريم فى الناصرة، كان على الأقل تكون مستقرة ولكن يأتى إليها المخاض والآلام والأوجاع وهى فى غربة ولاتجد حتى المكان الذى تنام فيه فى هذا اليوم، أعتقد لايوجد أحد مهما كان فقيراً عانى ماعانته العذراء . أى بنت وأى سيدة ولدت إبنها فى ظروف قاسية جافة مثل هذه الظروف التى ولدت فيها العذراء مريم إبنها الإلهى . لماذا هذا كله ؟ فكروا معى لماذا هذا كله، حتى ميلادها للمسيح وهو ملك السماء والأرض، لاتلده فى مكان هادئ فى مكانها وفى بيتها، تشاء الظروف أنه لابد أن تذهب مريم وهى حامل ومثقلة بحملها فى أيامها الأخيرة، وتسافر وتركب على حمار من مكانها إلى أن تصل إلى بيت لحم وهناك لاتجد مكان . لم تجد مكان إلا المذود الذى تأكل فيه البهائم لتضع فيه مولودها، فكروا معى لو أحد منا رأى هذه الظروف كلها ، هل هى ظروف عادية ؟ بل هى ظروف آلام غير عادية، لايوجد أحد فى الدنيا ولد فى مثل هذه الظروف ، لايوجد أم فى الدنيا ، ممكن أن نقول نتحدى إذا وجدت إمرأة أو إذا وجدت إبنة طاهرة كمريم وتعانى الظروف التى عانتها مريم فى الحمل وفى الوضع .

وبعد أن وضعت إبنها يجيء الإضطهاد من هيرودس ، ثم التشتيت ، انظر يجيء الملاك ويقول " خذ الصبى وأمه واهرب إلى أرض مصر" يخرجا هرباً بالليل ، وكثير

من الأحداث تحدث ، تصوروا ظروف إبنة فى الثالثة عشر من عمرها، وتهرب فى الليل وهى تعلم أن هناك من يتعقبها ، وأن هيرودس أرسل وراءهم عشرة جواسيس ، انظروا هذا كله ...

وهم فى الطريق يتعرض لهم اللصين اللذان صلبا على يمين المسيح وعلى شماله ، فيطمعا فى الذهب الذى قدمه المجوس، ويهجما عليهم ويأخذا الذهب منهم، وأحد اللصين بعد أن تمت السرقة يؤنبه ضميره، ويقول لأخيه اللص الآخر نحن بلغنا من القسوة ومن الجفاف أننا نعتدى على هذه الإبنة الشابة الصغيرة وعلى هذا الإبن . لم نجد إلا هؤلاء ، كم سرقنا وكم خطفنا وكم نهبنا !! ضميره يؤنبه ويختلف مع زميله ثم بعد مناقشة طويلة بين اللصين ينتصر أحد اللصين على زميله ويرجعا هدايا المجوس للعائلة المقدسة مرة أخرى، ومُخلّصنا له المجد ينطق بهذا التصريح ويقول لها: " هذان اللصان سيصلبان، أحدهما عن يمينى والآخر عن يسارى. صاحب القلب الرحيم سيكون عن يمينى ، وصاحب القلب القاسى سيكون عن يسارى " .

وهكذا تحركت العائلة المقدسة فى ظروف غير عادية ، فى إضطهادات مرة ، الجواسيس وراءهم الذين أرسلهم هيرودس، والعائلة المقدسة تسير فى وسط الصحراء، فى أماكن وفى مواضع لايعرفوها، كيف يسيروا ؟ كم من تجارب كثيرة مرت بهم؟ كم من مرة اشتاقوا أحيانا لكوب من الماء ؟ أحيانا يجدوا وأحياناً كثيرة تغلق الأبواب فى وجوههم ، والشيطان كان يحرك الناس ضدهم ، وكان المسيح بيده المباركة يرسم على الأرض دائرة فينبع منها ماء ، حدث هذا عدة مرات، فى تل بسطه بجوار الزقازيق عندما أنبع المسيح نبع ماء ، وفى المطرية أيضا وفى مواضع أخرى متعددة ، وهذه تعطينا فكرة عن مقدار ما عانت العذراء فى هذه الرحلة من مطاردة ، حالة نفسية مضطربة، هروب مستمر، وعدم قدره على الاستقرار فى مكان واحد، كانوا يتحركون فى كل يوم من مكان إلى آخر ، فى ظروف غير عادية حتى وصلوا إلى منطقة دير المحرق ، ثم ظهر لهم الملاك غبريال مرة أخرى ليوسف ، ويقول له " ارجع إلى أرض فلسطين لأنه مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى " ويرجع فى نفس الطريق مرة أخرى ، آلام متواصلة ، أوجاع ، إضطهادات ، مضايقات من كل نوع .

بعد ذلك نستطيع أن نقدّر ماعانته العذراء فى الناصرة فى تربيتها للمسيح ، وحياة القسوة التى عاشتها كإمرأة مع نجار، والمسيح نفسه أيضا كان صبى لهذا النجار، إلى أن بدأ المسيح خدمته ، وكون الكنيسة وأخيرا إنتهى الأمر بأن يُصلب المسيح .

انظروا ظروف العذراء عندما يؤخذ إبنها ، وحيدها ، عائلها ، كل رجائها ، التى تعلقت به والذى احتملت من أجله الآلام، يؤخذ ليصلب ، انظروا العذراء وهى ترى المسيح فى طريق الصليب ، وتراه يقع ثلاث مرات من شدة الإعياء ويتلطخ وجهه بالدماء، وإكليل الشوك فوق رأسه، وجسمه كله مضروب بالجلد ، ومضروب بالقصبة، وفى أشد حالات الإعياء، نزف الدم ونزف الماء من جسمه، كل هذا رأته العذراء فى طريق الصليب ، ورأت سيدها وإبنها معلقا على الصليب ، كما نقول فى القطعة فى صلاة الساعة التاسعة " أما العالم فيفرح بقبوله الخلاص، أما أحشائى فتلتهب بالنار عند نظرى إلى صلبوتك، الذى أنت صابر عليه من أجل الكل يابنى وإلهى"، هذه صورة لم تبرز بوضوح فى الأناجيل، ولكن تقدروا أن تتصوروا شعور الأم، شعور خيبة الأمل، شعور الحزن والضيقة ، شعور الاضطهاد ، كل هذا الإحساس الذى تحس به الأم نحو إبنها، حينما تراه على هذا الوضع الأليم . وهى بعد ذلك ليس لها أحد آخر غيره ، انظروا كيف تتحمل إنسانة تعيش فى مثل تلك الظروف وكيف تفكر، كيف يكون عقلها وكل رجاءها يصلب وتبقى هى لوحدها ، حتى التلاميذ تركوها وهربوا كلهم ماعدا يوحنا الذى تبعه من بعيد ، تصور الوضع الذى كانت فيه وإحساسها وشعورها أنها ستترك وحيدها ، وهى إمرأة لا صديق لها بعد أن مات يوسف ، والمسيح الآن يموت على الصليب ، تصور شعورها وإحساسها فى هذه اللحظة المرة ، وهى ترى كل رجاءها على هذه الصورة المؤلمة .

وفى آخر لحظة تدخل المسيح وقال ليوحنا " خذ هذه أمك " وقال لها " خذى هذا إبنك " وأخذها التلميذ إلى خاصته من هذه الساعة .

وكأن هذه الوصية المقدسة إلى العذراء مريم بأن تحتضن الكنيسة كلها ، وأن تكون هى أم المؤمنين، تحنو عليهم وتصلى لأجلهم وتشفع فيهم ، ونحن بدورنا لنا هذه الأم التى تشرفنا بنسبتنا إليها ، فإذا كان المسيح أبونا ، والعذراء أمنا .. فهى أقرب الأقربين إلى العرش الإلهى .

وإذا كان الرسل فى الأيام الثلاثة بعد صلب المسيح ، أغلقوا العُلِّية يقول الكتاب "وأبوابها مغلّقة " وهناك فرق بين مُغلقة وبين مُغلّقة ، أى هم الذين غلقوها بسبب الخوف من اليهود ، هؤلاء التلاميذ الذى كان منهم بطرس الرسول وهو شيخ كان هذا حالهم ، من كثرة الخوف غلّقوا الأبواب، فماذا كانت حالة العذراء وهى إمرأة وحيدة؟!

رأيت صورة فى فينيسيا ، فى قصر اسمه قصر الطرقات . لم أرى صورة فى حياتى بهذه الروعة، العذراء فى قبر المسيح وهى ترى ابنها يدفن ، لم أرى فى حياتى

أبدا صورة بهذا الشكل الذى يوضح عينى العذراء من كثرة البكاء ومنظر وجهها وحالة الأمومة الممزقة فى أقسى لحظة من لحظات الحياة ، كل هذه الأمور نريد أن نفكر فيها ، لنعلم قدر ما فى حياة القديسين من آلام وإضطهادات ومتاعب .

وحتى بعد أن قام المسيح من بين الأموات وصعد إلى السموات ، لاحقتها إضطهادات أخرى، إذ أصبحت المسيحية هرطقة فى نظر اليهود، وأصبح هناك إضطهاد على المسيحيين وعلى الرسل ، وأضعاف هذا الإضطهاد كان على مريم لأنها فى نظرهم أنها السبب فى كل هذا ، ولذلك عانت العذراء معاناة شديدة بعد صعود المسيح إلى السماء ، وظلت باستمرار تذهب إلى قبر المسيح وهناك تُصلى، ومن كثرة الآلام التى تحملتها أن السيد المسيح ظهر لها، وقال لها أنا أعلم مقدار تعبك من أجلى، ولكن فى كل مكان أنت ذهبتى معى فيه سيكون هناك كنيسة على إسمك إكراماً لك ، لأن اسمك سيظل معروفا فى السماء وعلى الأرض إلى الأبد ، وأنا سآخذك الآن إلى المكان الذى قضينا فيه فى مصر أكبر مدة ممكنة، وحملها على السحب ومعها الملائكة ورؤساء الملائكة ومعها الآباء الرسل، إلى المنطقة التى أصبح فيها فيما بعد الدير المحرق ، ودشن المسيح له المجد بنفسه الكنيسة الأثرية ، وهى أول كنيسة بنيت فى مصر من القرن الأول الميلادى على اسم العذراء مريم ، وهى الكنيسة الوحيدة فى العالم التى تفتخر بأن المسيح دشنها بنفسه ، ويذكر التاريخ والسنكسار أن رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال أمسكا بوعاء الماء الذى منه رش المسيح الماء على الكنيسة ليدشنها ويقدسها بنفسه ، ولذلك لما أتى البابا ثاؤفيلوس فى القرن الثالث ، وأراد أن يدشن الكنيسة ، ظهرت له العذراء فى تلك الليلة وقالت له لماذا أنت جئت ؟ فقال لها : أنا جئت لأدشن الكنيسة فقالت له : (كيف تدشن بيتاً دشنه ابنى بنفسه) قال لها : أنا أريد أن أعمل من هذا المكان كاتدرائية عظيمة ، فقالت له إياك أن تمد يدك ، إن رغبة إبنى أن هذا المكان يظل على صورته المتواضعة إلى يوم مجيئه الثانى، ليكون الدليل والعلامة على تواضع إبنى وهو ملك السماء والأرض ، إرتضى أن يسكن فى هذه المغارة المتواضعة التى أصبحت هى الكنيسة .

كل هذا رأته العذراء وأراد المسيح أن يشجعها، إلى أن أراد أن ينهى آلامها ، وفعلا جاء بنفسه ليأخذ روحها ، وجاءت معه الملائكة ورؤساء الملائكة ، وهذا شىء طبيعى ، الملائكة مع المسيح فى السماء فعندما ينزل المسيح من السماء ، تنزل معه الملائكة ورؤساء الملائكة، وحضر الآباء الرسل جميعا ماعدا توما ، الذى كان لايزال فى بلاد الهند . ولقصد إلهى تأخر توما ، تسلم سيدنا له المجد روح العذراء ، وكانت

فى ذلك الوقت قد بلغت ٥٨ سنة وثمانية أشهر و١٦ يوم ، لم يشأ الله أن تعيش أكثر من هذا، ولم تنجو العذراء من الإضطهاد حتى بعد موتها ، فعندما خرجوا بالتابوت ليدفنوها أراد اليهود أن يمنعوا الدفن ، لأنه فى رأيهم أن هذه المرأة أو هذه الفتاة لايليق أن تدفن ، بل من شدة غيظهم وبغضهم وكراهيتهم لها ، أرادوا أن تطرح على الجبال وأن تأكلها الوحوش، وحتى إلى اليوم يشتم اليهود على العذراء بأقطع الألفاظ ، التى تتعارض مع شرفها ومع طهارتها ، كل هذا يعطينا صورة عن الآلام التى تحملتها العذراء مريم والإضطهادات التى عانتها وكل ذلك من أجل المسيح . إننا نتذكر دائما العذراء التى نمجّدها والتى نكرّمها والتى نتغنى بفضائلها، أما الجانب الآخر من حياة العذراء مريم، كثيرا ماننساه وقد لانفكر فيه، جانب الآلام التى تحملتها العذراء وعاشت فيها ، لكن هذه الآلام لا تنسى أمام الرب ، بل تعتبر الثمن الذى به يُشترى الإكليل ، وتتحول الجروح من أجل المسيح إلى لآلىء فى إكليل المجد الذى يعطى للقديسين المجاهدين .

وأنا أريد أن أقول كلمة، ما هو تاريخ الإنسان ؟ تاريخ الإنسان هو تاريخ آلامه ، الآلام هى التى تصنع التاريخ ، ومن دون الآلام يمر الإنسان مروراً عابراً فى هذه الحياة ولايترك أثراً ، كل الآباء الذين صنعوا التاريخ ، وكتب عنهم التاريخ طويلاً ، هم الآباء الذين احتملوا ، وهم الآباء الذين تألموا ، وعلى قدر ماتكون السفينة قوية تكون حمولتها، ومن هنا كانت آلام القديسين أضعاف مضاعفة عن آلام غير القديسين، ولذلك يقول الله " لايدعكم تجربون فوق ما لاتستطيعون " فهذه الاستطاعة متغيرة بالنسبة للناس ، هناك من يتحمل وهناك من لايتحمل. ومن يتحمل أكثر يأخذ آلام أكثر، ولكن هذه الآلام لاتقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا .

بركة العذراء الطاهرة تشملنا جميعا ولإلهنا المجد والكرامة آمين .

الذين يعيشون فى حياة التقوى
لا تخلو حياتهم من الآلام [1]

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

" قد جزنا فى الماء والنار وأخرجتنا إلى الراحة "(مز٦٦: ١٢) ما أكثر إنطباق هذا المزمور الذى سمعناه الآن ، والذى أُختير ليكون مقدمة ورباطا للإنجيل المقدس، ما أشد إرتباط معانى هذا المزمور بهذا اليوم، الواحد والعشرين من شهر طوبة، الذى فيه تُعيِّد كنيستنا المقدسة بإنتقال روح العذراء الطاهرة مريم إلى الأخدار السمائية .

قد جزنا فى الماء والنار وأخرجتنا إلى الراحة، ليس عاديا أن ينظر الإنسان إلى سيرة العذراء مريم، فإنها على الرغم من تقواها وقداسة سيرتها، وشهادة السماء عنها إنها ممتلئة نعمة، وإن لها مجداً من الداخل، لأن نساء كثيرات نلن فضلا أما هى ففاقت عليهن جميعا ، وعلى الرغم من أنها شَرُفَت بأن صارت للمسيح النازل من السماء سماءً ثانية، ومركبة كاروبيمية جلس عليها، على الرغم من هذا الشرف وهذه الكرامة التى رأتها أليصابات المرأة العجوز، فحسبت نفسها أنها ليست أهلاً لأن تسمع صوت كلامها، فقالت "من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ " نقول على الرغم من هذا كله ، عجيب أن نرى هذه الطاهرة المقدسة عانت فى حياتها آلاما مبرحة ، عاشت حياة كلها ضيق ، لم تجد راحة بل جازت فى نار بعد نار وفى ألم بعد ألم ، هل كان يسيراً على طفلة تتيتم فى طفولتها، فيموت أبوها وهى فى السادسة من عمرها وتموت أمها وهى فى الثامنة من عمرها ، وتعيش فى الهيكل على صدقات المحسنين، وحينما تبلغ الثانية عشرة من عمرها يُحار الكهنة فى أمرها، من هذا الذى يتولى أمرها ؟!! وكأنها من سقط المتاع ليس لها أحد من أقربائها يهتم بها أو يرعاها ، ولما رأت السماء أن تكون فى كنف رجل، كان هذا الرجل فى مثل سن جدها ، فتاة عذراء فى الثانية عشرة من عمرها، تتزوج برجل شيخ فتكون له كأنها بمثابة إبنة أو حفيدة ، وحينما يأتيها الملاك ويبشرها بالحَبَل المقدس ، يشاء الله أن يصدر الإمبراطور أوغسطس قيصر أمراً بالإكتتاب، وأن يكتتب كل إنسان فى مدينته أو قريته التى ولد فيها ، فكان علـــــــى

---

(١) عظة صباح الأحد الموافق ٢٩ من يناير ١٩٨٧م – ٢١ من طوبه ١٦٩٤ بكنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوى – بدير الأنبا رويس – العباسية مصر .

مريم وقد إكتمل حملها، وأشرفت على الولادة أن تذهب فى هذا الوضع، وهى فى أشد حالات التعب، كان لابد أن تذهب إلى بيت لحم، ولما كان الأمر عاماً، وفى مثل هذه الأوقات يكون الزحام على أشده، فالعذراء على الرغم من أنها حاملة برب المجد فى أحشائها، لم يشاء الرب لها أن تجد حتى فى هذا الأمر راحة ، لم تجد لها مكانا ، لم تجد أحد يضيفها ، فدخلت فى الخان فى مكان حقير، وحتى فى الخان لم تجد لها مكاناً، وجاءت ساعة المخاض فلم تجد مكاناً تضع فيه وليدها فوضعته فى مذود البقر .

أرجو أن لا نمر ببساطة على هذه الأحداث ، أرجو أن يتأملها كل واحد منكم، ويضع نفسه فى هذا الوضع، ليرى كم تكون حالته وكم يكون تذمره . واحدة لا ذنب لها فى هذا الحمل، لماذا الله يسمح بأن يحدث الإكتتاب فى هذا الوقت؟ ولماذا يسمح بأن تضيق أمام العذراء السبل؟ فلا تجد مكاناً، ولماذا لايهيئ الربّ لها راحة ؟ إكراما لإبنها فى أحشائها وإكراما لها وهى إمرأة قديسة ، لماذا ؟ لماذا تضيق عليها الطرق هكذا ؟ لو كان أى واحد ألا يعترض!! كل واحد يقول: أمثال هؤلاء الأبرار تتهيأ أمامهم الطرق، والرب يُعِّد أمامهم الطريق، فلماذا تعامل العذراء هذه المعاملة ؟، ولماذا لايستقر بها الأمر حتى تضطر إلى أن تخرج ليلا هاربة بوليدها إلى أرض مصر مطرودة، وتعيش شريدة يزعجها الخوف من هيرودس، الذى أرسل وراء العائلة المقدسة عشرة جواسيس، يراقبونها فى كل مكان ليقبضوا عليها، حتى يمكنه أن يقبض على المسيح ويقتله . ولا نريد أن نطيل الحديث إنما يمكنكم بالمخيلة أن تتصوروا هذه الرحلة الطويلة، وماعانته العذراء فى هذه الرحلة من صنوف التشريد والإضطهاد فى كل مكان ذهبت إليه، وكانت تتحطم الأوثان أمام رب المجد يسوع المسيح ، فكان الكهنة الوثنيون والشعب، يخرجون وراء هذه المرأة ووليدها ليضربوهم ويطردوهم ويشتموهم ويهينوهم، وهكذا من مكان لمكان نحو ثلاث سنوات ونصف، قضتها العائلة المقدسة فى مصر بدون استقرار، لم تستقر، لم تجد راحة ، لاتكاد تبقى فى المكان بضعة أيام حتى تطرد إلى مكان آخر، وليس لهم المورد ، ليس لهم إمكانية المعيشة، كيف يجدون طعامهم، كانت تطرق الأبواب ، تسأل خبزا لها ولوليدها، وكانت تعرض أن تخدم كخادمة حتى تأكل خبزها بعرق جبينها، كم من مرة ضاقت بها السبل فلم تجد كأس ماء، لولا أنه من وقت إلى آخر كان المسيح له المجد يخط بإصبعه على الأرض، فينفجر نبع كالنبع الذى إنفجر فى المطرية، وفى مسطرد، وفى بعض بلاد محافظة الشرقية ، إنما لماذا هذا كله ؟ لماذا هذه الآلام؟ وأخيرا رجعت العائلة المقدسة

بعد أن عانت ماعانت ، من مشاعر الألم والإضطهاد، والتشريد والضرب والإهانة والتعذيب، وأخيرا رجعت العائلة المقدسة إلى الأرض المقدسة .

وهناك فى الناصرة عاشت عيشة متواضعة ، عيشة أسرة فقيرة ، يرعاهم عامل نجار عجوز هو يوسف ، ومع ذلك لم تطل حياته طويلا فمات يوسف، وكان على المسيح وهو شاب أو صبى أن يواصل المسيرة وأن يعمل أيضا نجاراً ، كان فى قدرته وبسلطانه أن لايضطر إلى هذه المهنة، ولكنه لم يستخدم أبدا سلطان لاهوته لشيء يعود عليه مادياً أو جسمياً، وإنما أراد أن يشاركنا وأن يشارك أفقر الفقراء أساليب الضنك والضيق، والعوز والعمل والكفاح والنضال، من أجل لقمة العيش كما يعانيها أى إنسان فى هذا الوجود، كأن المسيح لايملك شيئا، وفعلا جعل نفسه فى هذا الوضع، حتى لقد قال مرة إن للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له مكان يسند إليه رأسه ، وإذا كان هذا هو الوضع بالنسبة لرب المجد يسوع المسيح، فكم كان الوضع بالنسبة للعذراء مريم ، إنها عانت معه ، عانت معه كل هذه الظروف القاسية ، عانت معه الفقر، لم تستفد شيئاً مادياً من وضعها كوالدة الإله ، لم تستفد شيئا، بل على العكس عانت الكثير من الظلم والإضطهاد، والذل الذى عاناه المسيح لمقاومة الشيطان وكل جنوده، عانت معه وتألمت معه، جزنا فى الماء والنار .

جازت معه فى الماء والنار، وهذه عبارة أيضا جاءت فى نبوءة سمعان الشيخ، الذى عندما رأى المسيح طفلا على ذراعيها فى الأربعين يوما من بعد ميلاده، قال لها: " وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيف " نعم جاز فى نفسها السيف، لاسيف ولا إضطهاد واحد، بل إضطهادات كثيرة، ولعل أعظم تلك السيوف ألماً هو تعليق إبنها مظلوما محكوماً عليه ظلماً وعدواناً وشراً وحسداً، محكوما عليه بأن يكون رئيس المجرمين، يعلق بين إثنين من المجرمين .

ولابد أن العذراء عانت فى طريق الآلام، وفى طريق الصليب رأت إبنها وحبيبها وعائلها وعمودها وملاذها وملجأها الذى لاتعرف أحداً سواه ، حاملا الصليب وعلى رأسه إكليل من شوك، ويتصبب الدم والعرق من كل جسمه، ويسقط تحت الصليب ثلاث مرات، يسقط تحت الصليب من المعاناة ومن شدة الضعف ، ضعف الجسد، ومع هذا كله لايشفق أحداً عليه وإنما يُضرب ويُجلد ليحمل الصليب مرة أخرى، كل هذا تراه العذراء وترى أن كل هذه الجلدات على جسمها هى، وعلى وجهها ، هذه الطعنات فى قلبها، وبعد ذلك تراه يُدَق فى يديه المسامير وتُدَق فى قدمه، كم كانت العذراء فى قمة الألم، وترى المسمار ليس فى جسد إبنها وحده إنما فيها هى أيضا .

ثم تراه مرفوعاً على الصليب فى صورة مؤلمة، تراه معلقاً وتراه أيضا يموت، وتراه يعطيها وصية الوداع أن تتخذ من يوحنا إبنا لها، وأن يتخذ يوحنا منها أماً له ، كل هذا تأملوه وتأملوا مشاعر الأم فى أقسى حالات الآلام، ثم ماذا يكون شعورها من جهة مصيرها هى، إذا كان هذا مصير المسيح إبنها فماذا يكون مصيرها من بعده، وماذا ستعانى من اليهود وليس لها أحد غيره ، كيف عاشت العذراء هذه الأيام الأليمة، وكيف رأته يموت على الصليب، وكيف رأته أيضا يُطعن فى جنبه ، يطعنه قائد المائة المشرف على عملية الصليب ليتأكد من حقيقة موته ، كم كانت هذه الطعنة فى قلبها ، ثم أنزلوه من على الصليب وأودعوه فى القبر، وقبرت معه آمالها وأحلامها، وهى بشر ربما لم تكن تدرك تماما أن وراء الموت القيامة، ولكن تأملوها فى كل هذه الأحوال، وتأملوا نفسيتها وليضع كل منا نفسه فى هذا الوضع، ليرى كم عانت العذراء، ثم ماذا عانت فى الثلاثة أيام قبل القيامة، وبعد القيامة لاشك أنها إنتعشت وإرتفعت معنوياتها، وشعرت أن آلامها قد تبدلت إلى مجد ، لأن ابنها قد قهر الموت وانتصر على الموت ، وأصبح إله القيامة، ولكن بعد قيامته وبعد صعوده إلى السماء، بدأت سلسلة جديدة من الآلام، لأنها البقية الباقية التى تُذَكِّر اليهود بالمسيح ، المسيح الذى أتعبهم وأقلق مضاجعهم ، المسيح الذى ضايقهم والذى حاربوه، وأخيرا لم يقدروا عليه، قام من بين الأموات وصعد إلى السماء، وأتباعه ينتشرون فى كل مكان يكرزون به، هو غير موجود أمامهم ، ولكن العذراء موجودة ، يمكنكم أن تتصوروا كم صبوا عليـــها إضطهادات ومظالم ومتاعب وضيقات كثيرة ، وهى المرأة الغضة الرقيقة، لقد عانى التلاميذ وهم رجال ماعانوا، لكن العذراء كانت آلامها أعظم ، كانوا فى حياة المسيح يتهمونها بأنها عاهرة، ولازال اليهود الأغبياء حتى يومنا هذا يقولون عن العذراء هذا الكلام ، كل هذا ضعوه فى أذهانكم ، ضعوه فى إعتباركم ، لتتحققوا أن العذراء على الرغم من كرامتها، وعلى الرغم من مجدها، وعلى الرغم من تقواها، وعلى الرغم من النعمة التى فيها، وعلى الرغم من أنها صارت أماً لله ، على الرغم من هذا كله ، هذا كله لم يعفها أبدا من نصيبها فى الآلام، بل كان هذا كله سببا فى أن آلامها تكون أعظم من آلام أى إمرأة أو أى إنسان آخر . لأنها صارت هى هذه الإنسانة المسئولة عن هذه الجريمة فى عرف اليهود، وكانت العذراء تذهب إلى قبر إبنها وهناك تصلى، ورأى اليهود حتى فى هذه العملية الهادئة إزعاجاً لهم، فأرادوا أن يمنعوها، وظلت المضايقات كثيرة حتى تنهدت العذراء وطلبت من المسيح أن يضع حداً لحياتها ، وأن يريحها، وقد استجاب المسيح صلاتها، وأرسل لها الملاك جبرائيل يبشرها بإستجابة دعائها، وأن

أيامها قد قاربت على الإنتهاء، وأنها ستصعد روحها إلى السماء لتنعم هناك بالفردوس، وبرّ المسيح بوعده وكان الرسل يعلمون بالوقت الذى حدده المسيح لهذا الحدث الهام، واجتمع الرسل واجتمع عذارى جبل الزيتون وهن صاحباتها من الذين اتخذونها رائدة لهن، وقائدة لهن فى البتولية والحياة العذراوية النقية الطاهرة المقدسة ، اجتمع هؤلاء وأولئك حول سرير العذراء، وهى مريضة مرضاً خفيفاً ينذر بنهاية حياتها، وبغتة يظهر نور عظيم وإذ بالمسيح نفسه فى مجده، ومعه ملائكته ورؤساء ملائكته يتجلى فى المكان، ويظهر المسيح ويطيب قلب العذراء مريم ، يطيب قلبها بإنتهاء آلامها ويتسلم بيده الطاهرة روحها ويعطيها لرئيس الملائكة ميخائيل ويصعد هو إلى السماء محفوفاً بالملائكة ورؤساء الملائكة، فتصعد روح العذراء إلى السماء فى مكان الكرامة، وأوصى المسيح الرسل بأن يكفنوا جسدها بما يليق، وأن يدفنوها بالجشمانية القريبة من بستان جثسيمانى، الذى شهد صراع المسيح وآلامه فى ليلة آلامه، وخرج الرسل بالتابوت وفيه هذا الكنز الثمين جسد سيدتهم وملكتهم، ولكن اليهود الذين ضايقوها كل حياتها، لما عرفوا أنها ماتت، لم يهن عليهم أن تدفن دفن إنسان عادى، بل تجمهروا وأرادوا أن يختطفوا الجثة وأن يطرحوها على الجبال، وأن يحرقوها بالنار، وبلغت الحماسة بواحد من هؤلاء أنه أمسك بالتابوت وهو خارجا محمولاً على أيدى وعلى رؤوس الرسل القديسين، بلغت الحماقة والحماسة بهذا الإنسان أنه مد يديه ليختطف التابوت، ولكن ملاك الله ضربه بسيف فإنقطعت يداه وإنفصلت من جسمه . فصرخ من قسوة الألم وقال " أنا المسكين، أنا الشرير، أنا المفلوج ، الذى كنت متروكاً مريضا ثمانية وثلاثين عاما، والمسيح شفانى، وقال لى ها أنت قد عوفيت فلا تعد إلى الخطيئة من جديد لئلا يصيبك ماهو أسوأ، وقد عدت إلى ماهو أسوأ، اغفروا لى سامحونى ، صلوا من أجلى " وتقبل الرسل وصلوا من أجله واستشفعوا بالعذراء مريم، وبدالتها تقدم القديس بطرس وأوصل جسم الرجل بيديه فرجعت يداه إلى وضعها الأول من جسمه ، كان هذا الرجل هو (ثاوفينا) كما يحدثنا البابا كيرلس الأول عمود الإيمان، الرجل المفلوج ، لاحظوا أن المسيح لما شفاه لم يقل له " مغفورة لك خطاياك " كما قال للمفلوج الثانى ، لأنه يعرفه بل قال له " ها أنت قد عوفيت فلا تعد إلى الخطيئة من جديد لئلا يصيبك ماهو أسوأ " وقد أصابه ماهو أسوأ، عاد إلى الخطيئة، هذا هو الرجل الذى تعرض للعذراء مريم ولجثمانها ليمنع الجثمان من الدفن .

أيها الأخوة والأبناء قصدنا من هذا السرد السريع لحياتها المجيدة، أن نبين أن الذين يعيشون فى حياة التقوى، لا يتصوروا أن حياتهم تخلو من الآلام، بل ربما على

العكس قد تكون لهم آلام أشد وأقوى من آلام الآخرين، لكن فرق بين آلام وآلام ، فرق بين من يتألم لخطاياه وبين من يتألم من أجل المبادئ ، من أجل مبادئ الإنجيل ومن أجل الله ومن أجل المسيح ، فرق بين من يتألم كنتيجة ، وكرد فعل لأفعاله هو، ومن يتألم كإنتقام وظلم واقع عليه من الشياطين ومن الأشرار، فرق بين تلك الآلام وبين هذه الآلام ، هذه الآلام الأخيرة لها أمجاد، وعلى قدر الألم وعلى قدر التعب وعلى قدر الإحتمال يكون الجزاء المبارك ، فالذين يتألمون مع المسيح ويعانون معه فى آلامه من أجله ومن أجل مبادئه، ومن أجل الخير الذى يصنعونه فى هذه الحياة.لهم طوبى ، طوبى لمن يحتمل التجربة لأنه متى يتزكى ينال إكليل الحياة . جزنا فى النار والماء وأخرجتنا إلى الراحة، جازت العذراء الآلام وخرجت إلى الراحة، وهكذا نحن إن تألمنا من أجل المسيح ، إن عشنا فى الحياة الدنيا نحمل كأس الآلام ونحمّل الصليب الذى قال عنه المسيح، من يحمل صليب المسيح على كتفه وعلى ظهره، من يحمل هذا الصليب له كرامه وله مجد ، وعلى قدر الآلام تتحول الآلام إلى لآلئ فى إكليل المجد الذى سوف يحظى به ، تتحول الآلام والجراحات إلى لألئ لإكليل مجده، لذلك أكثر الذين تألموا هم أكثر الذين سيتمجدون .

جزنا فى الماء والنار وأخرجتنا إلى الراحة . إذا كنا قد سردنا آلام العذراء أو بعضا منها، فيمكنكم أن تتصوروا أنها على قدر ما إحتملت من الآلام وقد بلغت القمة فى الإحتمال، على قدر الكرامة والمجد والجلال الذى تتمتع به فى السماء، وعلى قدر الدالة التى تكون لها أمام إبنها الوحيد .

لذلك نضرع بشفاعتها وسؤالاتها ودالتها وقربها ومكانتها، أن يعطينا الرب رحمة، وأن يعطينا غفراناً لخطايانا، وأن يتمم مسيرتنا فى الحياة بسلام، له الاكرام والمجد إلى الأبد آمين .

العذراء مريم فى خطة الخلاص[1]

(مرقس ١: ١٦-٢٢)

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

فصل الإنجيل الذى تلى علينا الآن من الأصحاح الأول من إنجيل معلمنا مرقس البشير، وفيه نرى هذه الدعوة المقدسة، التى دعى الله بها أربعة ممن أصبحوا من تلاميذه الإثنى عشر، كان ماشيا على شاطىء بحر الجليل وهو بحر طبرية أو بحيرة جنيسارت . رأى سمعان واندراوس أخاه يلقيان الشبكة فى البحر، إذ كانا صياديً سمك فقال لهما يسوع تعاليا اتبعانى فأجعلكما صياديٍّ بشر ، يقول الإنجيل فتركا فى الحال شباكهما وتبعاه، وبالمثل يروى الإنجيل أن هذه الدعوة أيضا وجهها إلى تلميذين آخرين، رأى يعقوب ابن زبدى ويوحنا أخاه المعروفين بابنى الرعد بوانرجس ، كانا هما أيضا فى السفينة يُصلّحان شباكهما، ففى الحال دعاهما فتركا أباهما زبدى فى السفينة مع الأجراء وتبعاه .

وهنا سؤال كيف بهذه السرعة استجاب هؤلاء الآباء الرسل الأربعة دعوة المسيح ، هل كان ضعيفي الفكر أو سريعى الإنقياد، حتى أنه بهذه السرعة توجه الدعوة إلى الأربعة فيستجيبون لها فى الحال، هل هذا نقص فى العقل أو نقص فى الإرادة ؟ لا... إننا نعلم أن هذه الدعوة بهذه الصورة التى سجلها الإنجيل كانت مسبوقة بمقدمات، فهؤلاء الأربعة إبتداءً كانوا من بين تلاميذ يوحنا المعمدان، ويوحنا المعمدان رجل كان يفهم مهمته جيدا، وكان يفهم أنه هو المرسل ليُعد الطريق أمام سيده، فهو الذى تتلمذ عليه هؤلاء التلاميذ أولاً، وهو الذى مهد أذهانهم وأعد قلوبهم ليفهموا من هو الآتى، ومن هو هذا الذى شهد عنه قائلا " فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه " . والذى شهد عنه قائلا : " أنه حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم " .

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء مريم ومارمينا العجائبى بفاقوس شرقية – فى مساء الخميس ١٥ من أغسطس ١٩٨٥م – ٩ من مسرى ١٧٠١ ش .

وفى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا، يروى يوحنا وهو أحد هؤلاء الأربعة كيف أنه قبل أن يدعوه المسيح هذه الدعوة مع يعقوب، كان واقفا هو واندراوس، فسمعا يوحنا المعمدان معلمهما يشيرإلى المسيح قائلا: " هذا هو حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم ". وأنهما تقدما إلى المسيح وطلبا إليه أن يبقيا معه ذلك اليوم، وقضيا معه ذلك اليوم فى البيت، وكان أحدهما اندراوس وهو أخو سمعان بطرس الذى رآه المسيح عندما قدمه إليه اندراوس، وقال له المسيح أنت سمعان ابن يونا أنت تدعى صفا الذى تفسيره بطرس ، إذن هؤلاء الأربعة وإن ظهر فيما سمعناه الليلة من أنهم استجابوا هذه الدعوة بسرعة، لم يكن ذلك كما يبدو نتيجة تسرع أو اندفاع أو ضيق فى الأفق، أو نتيجة سرعة إنقياد أو عدم تبصر وعدم تروى، وإنما استجابوا لهذه الدعوة بعد تمهيد طويل، بدأه يوحنا المعمدان نفسه، بإعتباره المُعلم الذى تتلمذ عليه هؤلاء التلاميذ الأربعة قبل أن يذهبوا وينضموا إلى المسيح .

هذا التمهيد من جانب يوحنا، إلى جانب الوقت الذى قضوه مع المسيح قبل ذلك، وهم يرونه يصنع المعجزات، كان كل هذا تمهيداً مناسباً ، فلما جاء الزمن الذى يوجه فيه المسيح الدعوة رسميا، ليكونوا من بين تلاميذه الإثنى عشر استجابوا فى الحال ، وهذه بينة على سياسة الرب أنها ليست سياسة سرعة . سياسته فى الطبيعة، وسياسته فى كل الكون لاتبنى على اللحظة العاجلة، وإنما سياسة طويلة المدى، ولذلك فإنـــــها سياسة حكيمة ومحكمة، ولابد أن تكون هى السياسة الناجحة .

سياسة ناجحة فى تدبير الأمور، إن بولس الرسول الذى هو شاول كان معاصراً للمسيح، ولابد أنه سمع عنه ولابد أنه سمع عن معجزاته إن لم يكن قد رآها بالفعل، ولكن طوال حياة المسيح على الأرض لم يأت بولس ليصبح تلميذاً للمسيح ، تأخر بولس، ليس كل الناس من طينة واحدة، وليس كل الناس يأتون إلى الرب من طريق واحد، وليست طريقة الجذب وطريقة الدعوة التى توجه إلى الناس طريقة واحدة، هناك أناس يأتون إلى المسيح متأخرين فى الزمن ومع ذلك تصل إليهم الدعوة ، وقد يستجيبون لها إستجابة غير عادية، تفوق كثيرين ممن يتقدمون عنهم فى الزمان فى قبول الدعوة .

لم يوجه المسيح الدعوة إلى بولس إلاّ بعد صعوده إلى السماء فظهر له وهو فى طريقه إلى دمشق، وهو فى قمة الغيرة ضد تعليم المسيح، ولكن كان هناك نمو باطنى فى قلب وفى ضمير هذا الرجل، جعل دعوة المسيح إليه فى ذلك الوقت بالذات دعوة تقبل ولا ترفض، بل تقبل بالإتضاع الشديد، مع الإحساس بالإثم الذى جعله كل أيام

حياته يشعر بخطيئته، مما حفظ لبولس إتضاعه، فكان دائما يقول أنا الذى أتلفت كنيسة الله، ولذلك اندفع بحماسة بالغة لخدمة الإنجيل، باسلوب فاق الرسل حتى أنـــــه سمى بثالث عشر رسل المسيح .

هنا سؤال، ألم يُعِدّ الله البشرية بالمسيح عندما قال لآدم وحواء أن نسل المـــــرأة يسحق رأس الحية ، هذا وعد وجه من الله إلى آدم وإلى حواء، ولكن كيف تأخر تحقيق الوعد آلاف السنين، متى ظهر المسيح فى الجسد ؟ كانت للمسيح له المجد ظهورات عبر الزمن، من أيام آدم إلى أن اتخذ جسداً من العذراء مريم ، كانت له عدد من الظهورات فى صور مختلفة سبقت مجيئه الواضح ، الذى عرف بالتجسد ، وهذا هو الذى قاله الإنجيل " كان فى العالم والعالم لم يعرفه " ، كان فى العالم قبل أن يتخذ من جسد العذراء جسداً يتحد به ، كان له ظهورات سابقة، مثل صورة ذلك الذى سمعه آدم وحواء فى الجنة ماشيا عند هبوب ريح النهار ، فهذه أول صورة للتجسد قبل التجسد فى جنة عدن حينما سمعاه يمشى ، له مشية إنسان وفى مشيته صوت، سمعا صوت الرب الإله ماشيا. وظهر لإبراهيم يقول الكتاب المقدس . وظهر له الرب عند بلوطات ممرا، وظهر لإبراهيم فى ملكيصادق وأدرك إبراهيم أن هذا إنسان، ولذلك قدم له العشور وطلب منه البركة، فإبراهيم وفى صلبه الكهنوت اللاوى طلب البركة من ملكيصادق، ومن كان ملكيصادق؟ قال عنه الكتاب المقدس بلا أب بلا أم بلا نسب بلا بداءة أيام وبلا نهاية حياة، هو الأزلى الأبدى، من هو؟ وظهر ليعقوب فى صورة إنسان وصارعه، وليرفع معنوياته لأنه كان قد وصل إلى الحضيض خائفاً من أخيه عيسو ، جعله ينتصر عليه ، فكان فى هذا إستجابة لصلاته بالنصر الذى يعطيه الرب إياه، لكن خاف عليه من الغرور فلكزه لئلا يظن أن هذا النصر من قبل قوته ، فلكزه فصار يخنع كل أيام حياته، وأدرك يعقوب بأن هذا ليس إنسانا ولا ملاك، ولذلك قال له لاأُطلقك إن لم تباركنى، فقال له يسمى اسمك إسرائيل ، و" إيل " معناها الله و" إسرا " معناها صارع أى " صارع الله " إذن من الذى ظهر ليعقوب ؟ ولذلك سمى المكان فنوئيل أى الله ترآى . وظهر ليشوع بن نون فى صورة رئيس جند، وعندما اقترب إليه ليسأله عن هويته، قال له اخلع نعليك لأن الأرض التى أنت واقف عليها أرض مقدسة، وهى العبارة التى قالها الله فى العليقة لموسى ، إذن لايمكن أن يكون هذا الذى ظهر ليشوع هو رئيس ملائكة أو ملاك، إنما هو الرب يسوع المسيح فى صورة رئيس الجند .

وهكذا تعددت الظهورات السابقة على التجسد، ولكن مع ذلك تحقق الموعد كما أراده الرب، " نسل المرأة يسحق رأس الحية " ، عمل الفداء جاء متأخراً فى الزمان لماذا ؟ لماذا لايفى الله بوعده فى الحال وهو قادر على ذلك ؟ إنها سياسته لا نراجعه فيها، سياسة لا نفهمها ولا ندركها بعقولنا لأنها سياسة ناضجة لاتأتى بالسرعة، وإنما تأتى مدروسة مبنية على أسس قويمة، تبدو لنا مجهولة ولكننا نحن نثق بأن تدبيرات الله محكمة .

لذلك جاء التجسد من مريم متأخراً آلاف السنين قدروها بـــ ٥٥٠١ أو ٥٥٠٨ ، على أى حال لماذا هذا التأخير ؟ لأن الله منذ أن نطق بهذا الوعد صار يُعِّد لتحقيق هذا الوعد، ولايُعَدُ هذا إهمالاً من جانب الله أو نسياناً إنما الوعد بدأ فعلا يتحقق، ولكن لابد أن كل شيء يأخذ وقته، وكما يتكون الطفل فى تسعة أشهر فى بطن أمه، ولايصير إلى كمال الرجولة إلاّ فى الثلاثين، لماذا كل هذا ؟ هذه سياسة الله فى الكون ، سياسة بطيئة لكنها ناضجة ولأن تدبيرات الله دائما، تكون من خلال أشخاص يُعَّدون ليقوموا بدورهم فى تحقيق هذا التدبير .

وأول وأهم إنسان فى تحقيق هذا التدبير هى الأم ، الأم التى تصير صاحبة الشرف الملكة أم الملك، الأم الطاهرة النقية التى تستحق أن يؤخذ من دمها الجسد الذى يتحد به الله ، كم ينبغى أن يكون هذا الدم طاهرا الذى يتكون منه هذا الجسد الذى يتحد الرب به .

لم تكن إذن مريم إنسانة كأى إنسان، والله فى تحقيق تدبيره له أن يختار الوعاء المناسب، والآلة المناسبة حتى يكون تحقيق التدبير كاملا غير مشوب ولا ناقص. من هى الإنسانة التى تُشّرف هذا الشرف وتستحق هذه الكرامة، لابد أن تكون كلها طاهرة ونسيجها كله طهارة ونقاء .

سموت يابتول فى العذارى على كل الأنام علا وفقت
خلقت درة لاعيب فيـــــها كأن مثلما شئت خلقـــــت

درة ، نعم درة ، درة يتيمة ، يتيمة بالمعنيين بالمعنى المادى والمعنى المعنوى ، يتيمة لأنها فعلا شاء الله أن تصير يتيمة من أبويها فى الثامنة من عمرها . مات أحد أبويها حينما كانت سنها ست سنوات، ومات الآخر حينما صارت ثمانى سنوات فصارت فى سن الثامنة من عمرها يتيمة بلا أب وبلا أم ، لماذا يارب ؟ لماذا لاتكرم هذه الطفلة ؟ لماذا تعيش يتيمة وهى التى أنت هيأتها لهذا العمل لماذا ؟ حينما نرى أن طفلاً تُرِك بعد موت أبويه كلنا نستاء ونشفق عليه، وننظر نظرة إشفاق على هذا الطفل

اليتيم، وبعضنا ربما يعترض ويقول لماذا ؟ لماذا يحرم هذا الطفل أو هذه الطفلة من أب وأم ويعيش يتيما !! أهذا أيضا يحدث للإبنة التي يكون عن طريقها خلاص البشرية، لماذا هذا ؟ لماذا تترك مريم يتيمة ؟ " أبي وأمي قد تركاني أما الرب فقد ضمني" ، حتى لايكون الفضل بعد ذلك لأب أو لأم بالجسد ، وحتى لاتعتمد مريم في حياتها على أب أو على أم إنما تعيش في الله ومن أجل الله منقطعة له ومعتمدة عليه .

منذ الثالثة من عمرها قدمتها أمها نذيرة، فعاشت مع الأطفال النذيرين في أحد أروقة الهيكل في بيت النذيرين ، فلما صارت يتيمة من الأبوين لم يتركها الله ، تعلمت الطهارة ، عاشت في جو العبادة والصلاة والصوم، عبقرية مبكرة لطفلة عرفت الصلاة وعرفت الترنيم وعرفت الصوم وعرفت العطاء فكانت الملاكة تشفق عليها وتأتيها بطعام آخر، غير الطعام الذي يطعم به الأطفال الآخرون .

لم يتركها الله وإنما رعاها ، تركها أبوها وأمها ولم تتركها السماء ، كيف يتركها!! والسماء تعدها لهذه الرسالة، ولكي تكون الوعاء الطاهر النقي، الذي يسكن فيه الرب فتصير مريم هي التابوت العقلاني ، فتصير هي السماء الثانية التي سكن فيها الرب ، فكانت مريم منذ ميلادها بين الصلاة والعبادة والترنيم، ولم تخرج من الهيكل إلا في الثانية عشر من عمرها ، وهي السن التي لايجوز لإبنة أن تبقى في الهيكل لأنه سن البلوغ ، في كل هذه الفترة كانت مريم تعيش في جو القداسة والنقاء والطهارة، لم يخدش حياتها ولا طهارتها منظر أو كلمة أو صوت يشينها أو يلوثها، فصارت غير ملوثة نقية، لذلك من ضمن أسماء العذراء نقية ، أو عفيفة، أو عفة ، أو برتينيا ، أو بتول ، أو مختارة ، أو ملكة ، كل هذه أسماء للعذراء .

نقية نعم نقية ونقاوتها كاملة، وهذا يشرح لنا لماذا تأخر التجسد على الرغم من أن الوعد أُعطي لهذا؟ حتى تولد الإنسانة المناسبة ليتحقق بها وفيها التدبير الإلهي .

ولذلك فإن الملاك حينما أتاها قال " سلام أيتها الممتلئة نعمة" وهنا الممتلئة تعني مملوءة حتى النهاية ، وكأن الوعد انتظر حتى تكون مملوءة بالكامل قبل أن يتجسد المسيح نفسه ، وهذا هو الذي رشحها لهذا الشرف ، قبل أن ينزل المسيح إلى أحشائها، قبل أن ينزل اللاهوت إليها كانت هي ممتلئة نعمة ، ممتلئة فضيلة ، ممتلئة نقاء ، وهذا هو الذي زكاها بأن تصبح الملكة أم الملك، ولذلك فإن المزمور يقول أيضا " كل مجد إبنة الملك من داخل " ، بنت يتيمة ماهو مركزها في الحياة ، فقيرة، ومعدمة ، ولم يكن لها أحد ، تحير الكهنة في أمرها، من يستلمها ، من يأخذها ، تحيروا في أمرها حتى رأى رئيس الكهنة في رؤيا أن يجمع عصيّ شيوخ وشباب القبيلة التي تنتسب إليها

مريم، والبيت الذى تنتسب إليه وهو بيت داود، وذلك لحفظ الأنساب، فجمع رئيس الكهنة العصىِّ ووضعها فى الهيكل، فإذا بالعصا المكتوب عليها اسم يوسف تفرخ ، أى تخرج براعم، فعرفوا أنها علامة من السماء، أن هذه اليتيمة كانت تحت رعاية الله الكاملة ، وأن إرادة الله شاءت أن يأخذ يوسف هذا الشرف، أن يكون هو الرجل الذى يأخذ هذه اللؤلؤة كثيرة الثمن، ليصونها ويحفظها لمهمتها التى من أجلها وجدت ومن أجلها عاشت. الله سياسته طويلة وتأخذ آلاف السنين لماذا ؟ لكى تتهيأ الأذهان ، ويتهيأ الفكر، ويتهيأ الناس ويتهيأ الأشخاص المناسبين، ويقوم كل منهم بالدور المنوط به .

وكان دور مريم أنها الإنسانة المختارة لكى يتجسد الله منها، يأخذ الجسد منها ويظهر به فى العالم . ومن هنا كانت مريم هى الباب الذى دخل منه الله إلى العالم ، الله ساكن السموات دخل إلى العالم من مريم . فكانت مريم هى البابّ ، أنت هى الباب العقلى، الباب الروحانى، الباب السماوى، النور أشرق من مريم كما نقول فى التسبحة، فكانت مريم هى المنارة والمنارة حاملة النور، ليست هى النور بل حاملة النور .

نعمة ربنا يسوع المسيح تشملنا جميعا وله الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

عيد العذراء حالة الحديد

في الحادى والعشرين من شهر بؤونة القبطى يحتفل الأقباط بعيد من أعياد العذراء مريم ، يُسمَّى بعيد (العذراء حالة الحديد) . وفى صعيد مصر، وخصوصا فى دير العذراء بالمحرق ، له إحتفالات كبرى يقصد إليها عشرات الألوف من المسيحيين والمسلمين، تمتد من اليوم العشرين إلى الثامن والعشرين من يونية (=٢١ من بؤونة) .

وللعذراء القديسة مريم سبعة أعياد ، نذكرها فيما يلى :

١- عيد البشارة بالعذراء، أى بشرى الملاك جبرائيل لوالدها يواقيم بحبل أمها (حنّة) بها . ويقع هذا العيد فى ٧ من شهر مسرى القبطى(=١٣ من أغسطس – آب).

٢- عيد ميلاد العذراء مريم من أبويها يواقيم وحَنة، فى مدينة الناصرة ، ويقع فى اليوم الأول من شهر بشنس (= ٩ من مايو – ايار) .

٣- عيد دخول العذراء مريم إلى الهيكل ، وهى فى الثالثة من عمرها ، لتكون بين النذيرين والنذيرات، ويقع فى الثالث من شهر كيهك (=١٢ من ديسمبر – كانون أول).

٤- عيد نياحة العذراء مريم ، أو وفاتها وانتقالها من العالم الحاضر بعد رحلة حياتها على الأرض ، ويقع فى اليوم ٢١ من شهر طوبة (=٢٩ من يناير – كانون ثان) .

٥- عيد صعود جسد العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة . ومع أن صعود جسدها تم فى اليوم الثالث لوفاتها أى فى يوم ٢٤ من طوبة ، لكن الكنيسة تحتفل به فى يوم ١٦ من مسرى (=٢٢ من أغسطس – آب)، وهو ختام الصوم المعروف بـ (صوم العذراء) وهو اليوم الذى برّ فيه المسيح له المجد بوعده إلى الرسل القديسين ، بأن أراهم جسد العذراء ، لأنهم لم يكونوا قد رأوه بعيونهم يوم صعوده على أجنحة الملائكة ، وإنما الذى كان قد رآه هو القديس توما الرسول وحده .

٦- عيد العذراء حالة الحديد، ويقع فى اليوم ٢١ من شهر بؤونة (=٢٨ من يونية – حزيران). وقد تم فيه إنقاذ القديس متياس الرسول من السجن فى مدينة برطس ، وذلك بصلاة العذراء مريم ، التى بلغ من قوتها واقتدارها وفعالياتها أنه بها ذاب الحديد فى كل المدينة وانقلب سائلاً كالماء ، فسقطت السلاسل والأغلال وكل القيود والأقفال ، واستحالت سائلاً ، فخرج جميع المسجونين ومن بينهم القديس متياس الرسول .

٧- عيد ظهور العذراء فى الزيتون – بالقاهرة – ويقع فى ٢٤ من برمهات (= ٢ من أبريل – نيسان) . وقد أضافت الكنيسة هذا العيد رسميا ، وسجل فى السنكسار تاريخ

هذا الحدث الجليل، فى حياتنا وفى حياة الكنيسة وفى حياة الشرق الأوسط ، إننا تشرفنا بهذا الظهور العظيم ، الذى لابد أن يكون بشيراً أو نذيراً لأحداث هامة خطيرة تقع أو سوف تقع فى الشرق الأوسط وفى العالم بأثره .

لماذا كان يوم ٢١ من بؤونة عيداً ؟

يروى القديس كيرلس أسقف وبطريرك أورشليم (٣١٥ - ٣٨٦)م، من الآباء الكبار فى القرن الرابع قصة ما وجده فى مكتبة الكنيسة الأولى فى أورشليم وهى المعروفة بــ (علية صهيون) وهى أيضا (بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس) (أعمال ١٢:١٢) الذى اجتمع فيه المسيح له المجد مراراً مع تلاميذه ، وفيها أكل الفصح معهم، وفيها غسل أرجلهم، وفيها سلم إليهم سر المائدة المقدسة، وفيها أقام التلاميذ بعد صلب سيدهم ، وفيها ظهر لهم بعد قيامته المجيدة مرات ، وفيها أقاموا بعد صعوده الإلهى إلى السماء صائمين مصلين إلى أن حل الروح القدس عليهم من السماء (مرقس ١٤ : ١٥)، (لوقا٢٢: ١٢)، (يوحنا١٣: ٤-٣٨)،(١٩:٢٠-٢٩)، (لوقا٢٤: ٣٣-٤٩)، (أعمال الرسل١: ١٣-٢٦)، (٢: ١-٤) .

ذلك أن اليهود أساءوا معاملة العذراء مريم ، واضطهدوها ، وأهانوها . ولقد كانت تمضى إلى قبر المسيح، ومعها صاحباتها من عذارى جبل الزيتون ممن اتخذن العذراء مريم رائدة لهن، يصلين ويرتلن معها التراتيل الدينية ، وقد كان كل هذا مما لم يرض عنه قادة اليهود، فقرر الكهنة ورؤساء الكهنة أن يطردوا العذراء مريم من أورشليم ، وأن ينفوها إلى إحدى البرارى البعيدة ... وبينما هى فى حيرة من أمرها إذا بالمسيح له المجد يظهر لها ويطمئنها ويعزيها ، ويعلن لها أن القديس متياس الرسول الذى كان أحد الرسل السبعين ثم ضم إلى الإثنى عشر بعد القيامة المجيدة بدلاً من يهوذا الإسخريوطى (أعمال١: ٢٣-٢٦)، صار يكرز بالإنجيل فى مدينة (برطس) وتوابعها، وهو الآن فى حاجة إليها هناك لتصلى عنه وتنقذه من السجن، وتكون واسطة لهداية ملك المدينة وأهلها إلى الإيمان بالمسيح، ونبذ عبادة الأوثان ... ففرحت العذراء بذلك، فأعد لها المسيح له المجد سحابة نورانية حملتها إلى مدينة (برطس) حيث القديس متياس يوجد سجيناً، وألقت بها السحابة فى مكان بالمدينة المذكورة ، فرأت امرأة عجوزا علمت منها بأن القديس متياس كرز بالإنجيل فى المدينة، وأجرى الله على يديه معجزات كثيرة ، فآمن بالمسيح عدد من الأهالى ، فاستشاط الملك غضباً وأمر بأن يعتقلوا متياس ويسجنوه، وأن يعتقلوا معه ويسجنوا من آمن بدعوته وانحاز إلى ديانته.

وقالت المرأة العجوز للعذراء مريم إنها حزينة لما حدث ، وكانت ترجو لولدها أن يتم شفاؤه على يَدَّى القديس متياس ، فطمأنتها العذراء بأنَّ ولدها سيُشفى بقوة الرب يسوع المسيح . فلما سمعت العجوز اسم المسيح نصحت العذراء مريم أن تخفض صوتـــها ولا تنطق بهذا الاسم فى العلن لأن ذكر هذا الاسم ممنوع بأمر ملك البلاد .

الحديد يذوب بصلاة مريم

فأجابت العذراء قائلة : من هذا الذى يستطيع أن يُخفى هذا الإسم العظيم ؟ إن كان أحد يظن أنه يقدر على أن يطفىء نور الشمس ، لن يمكنه أن يهزم قدرة المسيح واسمه ذا الجلال .. وقالت العذراء للعجوز أن تأتى إليها بابنها، غير أن العجوز طلبت إلى مريم أن تتفضل بزيارتها لتحل بركتها فى بيتها ، وبمجرد أن وطِئت أقدامِ العذراء بيت العجوز صرخ الشيطان الذى كانِ يسكن الولد المريض ، وولّى هارباً ، فشفى الصبى ، وفرحت العجوز فرحاً عظيماً.. ثم دعتها العذراء مريم أن تصحبها إلى حيث السجن الذى يُقيم فيه القديس متياس الرسول ومن آمنوا بالمسيح بكرازته. وهناك صلت العذراء مريم صلاتها الشهيرة القوية الحارة بدموع وبحرارة وبدالة .. وفى تقليدنا أن هذه الصلاة علّمها إياها سيدنا يسوع المسيح نفسه فذاب الحديد والصلب وكل ماهو من معدن الحديد والصلب والنحاس، وبكل معنى الإذابة حرفيا، واستحال سائلاً وانسكب على الأرض كالماء .. ذابت المتاريس والأقفال وسائر الأسلحة والآلات الحديدية ... بل أيضا ذابت القضبان الحديدية فى السجن ، وخارج السجن ، والسلاسل المقيد بها المسجونين.. فى كل المدينة بطولها وعرضها .. ذابت لجم الخيل وركابات الخيل ، وذابت كالماء كل الآلات التى يستخدمها أرباب الحِرف المختلفة .. أدوات الحلاقين ، والنجارين والحدادين .. والسواقى وذاب كل حديد وتحول إلى سائل ...

وكان نتيجة لهذا الحدث الجليل الذى تأثر به جميع الناس فى المدينة من غير استثناء .. الكبار والصغار.. الأغنياء والفقراء على السواء .. أن حدث إنبهار شديد وذهول عظيم .. فتساءلوا عن سر هذه الظاهرة الفريدة فعلموا أن صلاة العذراء مريم السيدة الغريبة التى دخلت مدينتهم كانت من القوة والفعالية بحيث ذاب لها الحديد ، فخرج السجناء من السجن وأطلق سراحهم .. وبالتالى إذ عرفوا السبب آمنوا بالمسيح. حتى ملك البلاد آمن هو أيضا بالمسيح . وطلبت العذراء من القديس متياس أن يقوم بتعميد المؤمنين فعمدهم .. ثم أنشأ القديس متياس الرسول فى المدينة أول كنيسة باسم العذراء مريم ودشنت فى ٢١ من بؤونة لذلك صار من تقليد الكنيسة أن تبنى الكنائس

وتدشن فى ذلك اليوم ، ورسم لها قسوساً وشمامسة وعلمهم حقائق الإيمان وسلمهم مراسم العبادة والقداس الإلهى وسائر الطقوس والمباشرات الكنسية .

وإذا كانت صلاة العذراء تذيب الحديد المادى، فمعنى ذلك أن للعذراء دالة كبيرة عند الله وصلواتها ذات فعاليات ، وإذا كان الكتاب المقدس يقول " صلاة البار تقتدر كثيرا فى فعلها " فكم بالحرى صلوات العذراء مريم الملكة أم الملك ، وإذا كان المسيح يقول " إن من أحب كثيراً يغفر له كثيرا " فمن أحب المسيح أكثر من العذراء مريم ؟ لايوجد كائن بين البشر له هذه الدالة .

وبعد أن تحقق كل هذا بصلاة مريم العذراء ، صلّت العذراء مريم مرة أخرى .. وطلبت من سيدها وابنها أن يعود كل ماكان قد ذاب من الحديد والصلب إلى طبيعته الأولى كما كان .. وقد صار .. فازداد ذهول الناس وإنبهارهم بالمعجزة ، وتحققوا من صحة الإيمان المسيحى الذى تأكد بالمعجزات وتبينوا مكانة العذراء مريم ، ودالتها عند الله ، وفعاليات صلواتها التى لها قوة عظيمة فى فعلها (يعقوب ٥: ١٦) .

وبعد أن أتمت العذراء مريم مهمتها بسلام ونجاح، ظهرت لها حمامة أعلمتها بأن المؤامرة التى دبرها قادة اليهود لنفيها قد أحبطت ، وأنه يمكنها أن تعود إلى أورشليم ، فإن عذارى جبل الزيتون فى حزن على فراقها ، وأنهن فى حاجة إلى حكمتها وقيادتها وإرشادها لهن ، فقررت أن تعود . وعندئذ ذهبت وودَّعت القديس متياس الرسول وشجعته على المضى فى تعليم الشعب وإرشادهم ومواصلة عمله الكرازى ، وتقوية المؤمنين بالمسيح ، ودعم حياتهم الروحية ، وودعت الملك وسائر المؤمنين وداعاً روحياً، ونصحتهم بنصائحها الروحية، فصاحوا بالإيمان مهللين . أما هى فقد حملتها سحابة نورانية إلى أورشليم ، إلى حيث إلتقت مرة أخرى بعذارى جبل الزيتون ، ففرحن بعودتها إليهن ، وتباركن بها .

المغزى من هذا العيد

إن المغزى من إقامة هذا العيد، هو بيان فعاليات الصلاة ، وأنها تصنع المعجزات، وتعمل العجائب والآيات والقوات ...

بيد أنه ليس كل من يُصلى تكون صلاته مستجابة .. لأن (نبيحة الأشرار مكرهة الرب . أما صلاة المستقيمين فمرضاته) (الأمثال ١٥: ٨)، وصلاة الشرير مكرهة (الأمثال٢٨: ٩)، (٢١: ٢٧)، بل (وصلاته خطيئة) (مزمور ١٠٨: ٧)، أما صلوات الأبرار (فلها قوة عظيمة فى فعلها) (يعقوب٥: ١٦). (الرب بعيد عن الأشرار، ويسمع

صلاة الصديقين) (الأمثال١٥: ٢٩) . (إن الله لايسمع للخطاة . وأما الذى يتقى الله ويعمل بمشيئته فإن الله يسمع له) (يوحنا٩: ٣١) . انظر أيضاً (التكوين٢٠: ١٧)، (العدد١١: ٢) ، (التثنية٩: ١٨- ٢٠) ، (يشوع ١٠: ١٢) ، (١. صموئيل١٢: ١٨) ، (١. الملوك١٣ :٦) ، (٢. الملوك٤: ٣٣) ، (١٩: ١٥، ٢٠)، (٢٠: ٢، ٤) ، (مزمور ١٠: ١٧)، (٣٣: ١٥) ، (١٤٤: ١٨) ، (١. يوحنا٣: ٢٢) .

فى عيد العذراء حالة الحديد يتوكد وجود الله وعنايته

هذا اليوم هو عيد نحترمه فى كنيستنا الأرثونكسية ، عيد العذراء حالة الحديد ، "وتاريخه المعروف ٢١ بؤونة " وفى بعض بلاد الريف يقام احتفال ضخم لهذه المناسبة ، ويستغرق الإحتفال أسبوعا . وفى الدير المحرق بالذات يحتفل عادة بهذا العيد إحتفالاً كبيراً، وتجدون فى هذا الوقت أن الأهالى من مسيحيين ومسلمين الذين يتقاطرون على منطقة الدير المحرق فى الصعيد ، يبلغ عددهم مئات الألوف، وينتهى هذا الإحتفال فى اليوم الواحد والعشرين من شهر بؤونة ، الذى هوعيد العذراء حالة الحديد، وفيه حدثت معجزة خاصة من معجزات أم النور مريم ، وهى تخليصها للقديس متياس الرسول الذى صار ضمن الإثنا عشر رسولاً ، بديلا عن يهوذا الإسخريوطى كما تعلمون من سفر الأعمال . وهذا الرسول كان قد ذهب يبشر فى بعض البلاد فى مدينة تسمى " برطس" ، ولما بشر بالدين الجديد بين الأهالى الذين كانوا يعبدون الآلهة الوثنية ، قبضوا عليه وسجنوه ومن تدبير الله أن العذراء مريم كانت لاتزال حيّة فى أورشليم ، وكانت تواظب على الصلاة فى القبر المقدس ، فظهر لها السيد المسيح وبين أن لها مهمة يُكلّفها بها ، وهى أن تمضى إلى المدينة التى ذهب إليها متياس الرسول لتخلّصه من سجنه ، وقد منح لها المسيح إمتيازاً خاصاً أنه بصلواتها وشفاعتها يخرج القديس متياس من السجن ، ويؤمن أهل المدينة جميعا بما فيهم الوالى بالسيد المسيح، فسُرت العذراء بهذه المهمة ، وحملتها السحابة وجاءت بها إلى مدخل المدينة ، فإلتقت بإمرأة عجوز رأتها تبكى، فلما سألتها عن سر بكائها عرفتها بأن رجلاً قد جاء منذ أيام ونادى بدين جديد، وأن هذا الرجل كان مصيره السجن والحبس، وأنها كانت ترجو هذا الرجل أن يصنع معها أعجوبة بالنسبة لإبنها المصاب بروح نجس ، وكان قد صنع متياس الرسول معجزات كثيرة فآمن به عدد من الخلق ، مما أهاج الباقين من الأهالى. لذلك قبض عليه الوالى وسجنه ، وهى كانت ترجو أن يُشفى ابنها بمعرفة هذا الرجل ، فطمأنتها العذراء مريم . وتمضى القصة الطويلة التى روى تفاصيلها القديس كيرلس أسقف أورشليم ، فى القرن الرابع للميلاد فى وثيقة حفظت منذ ذلك الزمن البعيد .

والمهم أن مريم العذراء فى هذه القصة ترفع صلاتها الخاصة إلى ابنها وحبيبها يسوع المسيح ، ليتدخل وينقذ القديس متياس الرسول، وأهل المدينة أيضا ويخلّصهم من عبادة الأصنام . وحدثت المعجزة إستجابة لصلاة مريم . والمعجزة تتلخص فى أن الحديد قد ذاب من فعل صلاتها ، فذابت الربط وذابت القيود وذابت السلاسل ، وخرج

كثير من المسجونين من السجون وبهت رئيس الحبس ، فمضى إلى الوالى يخبره بالواقعة فغضب الوالى على رئيس الحبس وأمر بضربه ، فإذ بالقضيب الذى فى يده يتحول إلى سائل ، فعجب الرجل وتتوالى الحوادث التاريخية ويحدث أن الحدادين والنجارين وأصحاب الحرف أيضا يذوب الحديد في أيديهم ويصير سائلا والمدينة كلها تتعجب مذهولة من هول الذى حدث ، ومن هذا الأمر الغريب، كيف يتحول الحديد إلى سائل ، وتتكشف الأمور فى نهاية الأمر، ويتضح أن صلوات مريم لها هذه الفعالية وهذه القوة ، حتى أنها أذابت الحديد . ثم تنتهى القصة بأن يؤمن الوالى ويؤمن أهل البلد جميعا بالسيد المسيح وتصير المدينة كلها مدينة مسيحية ، وتبنى فيها كنيسة باسم العذراء مريم .

وفي تبجيل الكنيسة لهذا العيد ، لا تريد فقط أن تقدم مريم العذراء كشفيعة وكمُصلية ، وليس هذا إكراماً فقط لحياة العذراء مريم وتمجيداً لشخصها ، أو لشخصيتها العظيمة كوالدة الإله ، ليس لهذا فقط تحتفل الكنيسة بهذا العيد ، وإنها أيضا لتقدم فى مريم العذراء نموذجاً للصلاة الحارة والصلاة ذات الفعالية، فكأننا بإحتفالنا بعيد العذراء حالة الحديد إنما نحتفل فى نفس الوقت بفعاليات الصلاة ، لأن الكنيسة تؤمن بفعالية الصلاة ، وأن الصلاة قادرة على أن تصنع المعجزات ، وفى هذا الأمر رد على بعض الملحدين الذين يقولون إذا كان الله عظيما ، فهل الله يتغير ؟ المفروض أن الله القوى القادر لايتغيّر ، فكيف يقول المؤمنون بأن الصلاة لها قيمة ولها فعالية ؟ كيف يتمشى إيماننا بالله غير المتغيّر بفكرة الصلاة ؟ لذلك يوجد فريق من الناس من الملحدين ، وأحيانا حتى من الذين يقرون بوجود الله، يقولون نحن نقر بوجود الله ، وهذا هو مذهب الطبيعيين الذين يقولون نحن نؤمن بالله ولكننا لانؤمن بالصلاة ، وأنه إذا كان الله عظيما فكيف يتغيّر ؟ تقولون أننا نصلى فهل الصلاة تغيّر الله ؟ هذا هو إعتراض الطبيعيين .

ونحن مع إيماننا بالله ، نؤمن أيضا بأن الله يستجيب الصلاة ، وليست إستجابة الصلاة معناها أن الله يتغيّر ، إنما معناها أن الإنسان وهو فى ضيقة يشعر بأنه فى حاجة إلى أمر، وهو غير قادر على أن يحقق هذا الأمر، فهو يسأله من الله القادر على كل شيء ، وإستجابة الله للصلاة هى برهان على قدرة الله أيضا ، لأنه حينما يعجز الإنسان عن أن يحقق مايريده ، يتدخل الله بمعجزة ، وكما أن الله عظيم فى نظام الكون وفيما رسمه لهذا الكون من نظام دقيق محكم .. هكذا تظهر عظمة الله أيضا فى المعجزة ، فالله يظهر عظيما فى القانون ، قانون الطبيعة الذى لايتخلف ، والذى له

حتمية وقوة ، ولكن عظمة الله تتجلى فى المعجزة أيضا ، لأنه حينما يعجز الإنسان ويفشل ويشعر أنه ليس فى مقدوره أن يصنع شيئا ، ثم يطلب من الله أن يتدخل ، ثم باسلوب خاص يشعر الإنسان معه أنه ما كان فى مقدوره أن يفعل شيئا ، هنا يتوكد وجود الله ، وليس وجود الله فقط ولكن عنايته بنا أيضا وهذا هو التعليم المسيحى .

فى هذا نفترق نحن كمسيحيين عن الوثنيين ، الذين كانوا فى الزمن القديم يؤمنون بأن الله موجود، ولكنه إله لايحل بين البشر، إنه مع عظمته يسكن وراء الجبال ، ولكنه فى إحتقار شديد للناس لايأبه بهم ولايهتم بهم ... أما المسيحية فقدمت لنا الله على أنه إله كأب وحنون كأم ، وأنه يحفل بالبشر ويهتم بشقائهم وبؤسهم ، وهذا الحنان تظهر قيمته فى التجسد الإلهى، لأن الله حينما رأى أن البشر فى غير مقدورهم أن يرفعوا نفوسهم ، وأن يصنعوا بها خيرا، تجسد من أجل خلاصهم ولبس جسداً وتألم معهم ، فأحس البشر أن الله ليس غريبا عليهم ، وليس بعيدا عنهم ، ولكنه قريب إليهم وقد اقترب إليهم بالفعل وعاش معهم وصار منهم وأحس بإحساسهم وتألم لآلامهم .

فى هذا يظهر مجد المسيحية وتظهر عظمتها ، فى تصويرها للإله وتقديمها لفكرة الله ، على أنه وإن كان قادراً على كل شيء ، وعظيماً وجليلاً ولكنه حنون وأيضا محب وأيضا يتقدم لخدمة بنى الإنسان .. فكما يظهر الله عظيماً فى قوانين الطبيعة التى لاتتخلف ، هكذا يظهر الله عظيما فى المعجزات والآيات التى يصنعها، ويظهر فيها قوته ويظهر فيها تدخله . وليست إستجابة الله للصلاة معناها أن الله يتغيّر ، إنما معناها أن البشر هم الذين يتغيّروا ، وأن البشر شعروا بأنهم يجب أن يتغيّروا ، فبدلا من القسوة والتجبر ، وبدلا من العناد والإصرار ، يتضع الإنسان أمام الله ويسأل من الله التدخل فيتدخل الله . ليس معنى ذلك أن الله يتغيّر لأنه منذ الأزل قد وضع للصلاة قانونا، أنه إذا صلى الإنسان حسب مشيئته فإن الله يسمع له ويستجيبه ، من غير أن يغيّر من نظام الطبيعة أو يكسر القانون الطبيعى ، فهو واضع القانون ويستطيع أن يتحكم فى توجيه قوانين الطبيعة ، ويستطيع أن يوجهها وأن يجعل قوانين أخرى تتدخل مع القوانين الطبيعية المعروفة ، وهكذا يحقق الله الخير للإنسان ويستجيب الله صلوات الإنسان ، دون أن يكون فى هذه الإستجابة أى تغيير فى طبيعة الله نفسه .

فنحن إذن فى إحتفالنا فى الواحد والعشرين من بؤونة عيد العذراء حالة الحديد ، فى نفس الوقت نحتفل بقيمة الصلاة وفعالية الصلاة ، وخاصة إذا كانت هذه الصلوات من القديسين والأبرار هكذا يقول الكتاب المقدس " طلبة البار تقتدر كثيرا فى فعلها " (يعقوب ٥ : ١٦) .

نياحة (أو وفاة) العذراء مريم
فى ٢١ طوبة القبطى

فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر طوبة القبطى ، تذكر الكنيسة إنتقال روح العذراء مريم إلى الأخدار السمائية ، حيث كانت قد بلغت ٥٨ سنة، ٨ شهور،١٦ يوماً، وذلك بموتها موتاً طبيعياً بانفصال روحها من جسدها . وتدلنا مصادرنا الكنسية على أنّ العذراء الطوباوية علمت مسبقا بأمر وفاتها. وأنَّ السيد المسيح له المجد سيأتى بذاته ويتسلّم روحها بيده. ويخبرنا القديس كيرلس الأول بابا الأسكندرية الرابع والعشرون (٤١٢-٤٤٤) م أنَّ العذراء القديسة هى التى طلبت إلى المسيح ابنها وإلهها أن يتفضّل عليها بأن يُنهى حياتها على الأرض، ويضع حداً لمتاعبها الكثيرة بسبب اليهود الذين لم يتركوها فى راحة بل اضطهدوها وأذلوها وضيّقوا عليها ، واتخذوا ضدها إجراءات عنيفة لمنعها من الذهاب إلى القبر المقدّس، قبر المسيح مخلصنا، حيث كانت تذهب يومياً، وتصلى هناك إما منفردة أو معها صويحباتها من عذارى جبل الزيتون اللائى اتّخذنها رائدةً لهنّ، يتبعنها ويقتدين بسيرتها الطاهرة ، ويتمثلن بها فى بتولتها وعفتها وطهارتها، وعكوفها على الصلاة بغير إنقطاع . فاستجاب المسيح الرب لدعائها، وأرسل لها رئيس الملائكة جبرائيل المبشر، ليفرح قلبها باستجابة صلواتها وقبول دعائها ، وأنها ستغادر بروحها هذا العالم الزائل، وأنه سيأخذها عنده وسينقلها إليه لتكون معه فى فردوس النعيم. ففرحت القديسة مريم بالبشرى، وتهللت لها روحها، وظلت ترقب اليوم السعيد الذى يطلق فيه سراحها من حبس الجسد ، وتنطلق روحها حرّة لتكون مع المسيح ابنها وحبيبها .

وبرّ المسيح له المجد بوعده لأمه العذراء القديسة ، وعلم بذلك التلاميذ والرسل، ومن بينهم القديس يوحنا الحبيب الذى أقامت العذراء فى بيته منذ أن تسلّمها من تحت صليب الرب يسوع إذ أوصاه معلمه قائلا: "هى ذى أُمُّك" (يوحنا١٩: ٢٧). واجتمع الرسل ومعهم عذارى جبل الزيتون من حول سرير العذراء حيث كانت ترقد منتظرة الوقت السعيد الذى تنحل فيه من رباطات الجسد، وسألها التلاميذ والرسل ومن اجتمع معهم من المؤمنين، أن تباركهم وتصلّى عنهم، فمدَّت يدها وباركتهم واستمطرت عليهم رحمة الله وغفرانه ونعمته . وبعد ذلك أنار المكان كله بنور سمائى، ونزل ربُ المجد يسوع المسيح على سحب السماء يتبعه موكب عظيم من الملائكة ورؤساء الملائكة

وجمع من القديسين المنتقلين، بينهم آدم وحواء وهابيل وشيث وإبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وصموئيل وداود وغيرهم من الأنبياء ومشاهير الآباء الأطهار، ماعدا القديس توما الرسول الذى دبَّر الإله تأخير مجيئه من بلاد الهند، ومدّ المسيح الإله يده إلى أُمه العذراء القديسة وشجعها وعزاها، وقواها، ثم تسلِّم روحها بيده، وأعطاها لرئيس الملائكة ميخائيل. وبعد أن أوصى الرسل بتكفين جسدها ودفنها بالإكرام اللائق بأم المُخلِّص ، صعد له المجد إلى السماء محفوفاً بالملائكة ورؤساء الملائكة . فسجد الآباء الرسل لسيدهم ومُعلمهم وربهم، ثُمَّ أخذوا جسد سيدتهم ولفوه بأكفان لائقة وأودعوه فى تابوت ، وحملوه إلى الجثمانية . وفى الطريق خرج بعض الأشرار من اليهود، إذ كانوا علموا بخبر موت العذراء ، فتجمهروا فى مظاهرة غبية ليمنعوا دفنها بالكرامة، قاصدين أن يختطفوا جسدها ويحرقوه بالنار، وبلغت الحماسة بأحدهم، ويسمّى (ثاوفينا) ، على مايروى القديس كيرلس الأول عن مخطوط بقلم القديس يوحنا الرسول تركه فى أفسس ، أن مدّ هذا الشقى (ثاوفينا) يديه إلى التابوت، ليقبض عليه ويأخذه لنفسه وللمصاحبين له من الأشرار اليهود، وهنا تدخلت السماء، وضرب ملاك الرب بسيفه ذراعى الشقى (ثاوفينا) ، ففصلهما من جسمه ، فصرخ الرجل من قسوة الضربة وأخذ يتلوى من الألم، ويبكى نادماً ويقول: ويلى أنا الشقى الذى لم يرتدع !. أنا هو المفلوج الذى مكث مريضا لمدة ثمان وثلاثين سنة ، ورآنى الرب يسوع مطروحا على بركة بيت حسدا، وليس لى إنسان يلقينى فى البركة متى تحرك الماء، فأشفق علىّ وشفانى، ولكنه إذ علم بشرورى وخطاياى أنذرنى قائلا: هاأنت ذا برئت، فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ماهو أسوأ (يوحنا٥ :١-١٤) ولكنى لم انتفع بالوصية، فعدت إلى خطاياى كما يعود الكلب إلى قيئه ، فأغيثونى وأعينونى وصلوا من أجلى، واطلبوا عنى ليغفر الرب لى ، ويرحمنى ، ويقبلنى من جديد! فتحنن الرسل عليه، وصلوا من أجله، مستشفعين بالعذراء مريم ومقبول صلواتها وعظيم دالتها عند ابنها الحبيب، وتقدم القديس بطرس الرسول وقرب الرجل إلى ذراعيه المفصولتين الممسكتين بالتابوت، ولحمهما فى جسد (ثاوفينا). فالتحمتا، وعاد الرجل سليما كما كان، فشكر الله وشكر الرسل ، ثم تنحى عن الركب جانبا، وقد اعتراه الندم والخجل .

عندئذ حمل الرسل جسد العذراء إلى الجثمانية من غير عائق، وصلّوا وتمموا مراسم الدفن، وأغلقوا القبر وأحكموا إغلاقه، ومازال المكان إلى الآن ينزل إليه بسلالم لأنه مكان منخفض، وهناك توجد كنيسة وفيها عدة مذابح، مذبح الأقباط الأرثوذكس

ومذبح للسريان الأرثوذكس ومذبح للأرمن الأرثوذكس ومذبح للروم الأرثوذكس واللاتين، ويقام فيها الصلاة يوميا وخاصة فى أيام أعياد العذراء .

على أنّ الآباء الرسل ظلوا يسمعون ترتيل الملائكة وإنشادهم وتسبيحهم، ولم تتقطع بالدفن أصواتهم، فخجل الرسل من أن يغادروا المكان، كل إلى موضعه ومقر خدمته، قبل أن تصمت أصوات الملائكة، فلم تتقطع أصواتهم مدة ثلاثة أيام متواصلة . وعندما تبين الرسل أن أصوات الملائكة هدأت وترتيلهم قد انقطع ، تركوا الجثمانية إلى أورشليم، ليمضى كل منهم إلى حال سبيله، ويذهب إلى مقر عمله وقرعة خدمته. وهم بعد فى الطريق إلتقوا بالقديس توما الرسول، قادماً من الهند على السحاب، فأخبره الآباء الرسل بموت العذراء ودفنها، فطلب أن يعودوا إلى القبر، ليرى بنفسه ، وينال بركة العذراء مريم ويلثم جثمانها الطاهر. زاعما أنه توما الذى لم يؤمن إلا بعد أن وضع يديه فى أثر المسامير فلما رجعوا معه وفتحوا القبر المقدس، لم يجدوا الجثمان، وإنما رأوا بخوراً عطراً صعد من القبر، ورائحة زكية ملأت جو الجثمانية ، فتحيروا وظنوا فى مبدأ الأمر أن اليهود تمكنوا بعد إنطلاق الرسل، من فتح القبر وحمل جسد العذراء إلى حيث أرادوا أولا، فطمأنهم القديس توما الرسول بأنه وهو على السحابة قادما من بلاد الهند، رأى بنفسه جسد العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة فوق جبل أخميم بصعيد مصر، (وقد أقيم من فوقه، فيما بعد ، الدير المعروف بـــ (دير العيون) تخليداً لهذه الواقعة التاريخية وتكريماً للعذراء) وأنّ أحد الملائكة ناداه باسمه ودعاه إلى أن يلثم جسد العذراء وينال بركتها المقدسة. ففعل، ونال البركة، ولعله لذلك أبقاه الرب إلى هذه اللحظة بعيداً لكى يكشف هذا الأمر العظيم، فعلموا حينئذ أن الملائكة حين كانوا يرفعون الجسد المقدس إلى السماء كانوا يرتلون إلى أن جاء توما إلى أورشليم القدس متأخراً، حتى يخبر الرسل بما رأى وما سمع، فيطمئنوا إلى مشيئة الله الذى رأى بحكمته أن يرفع جسد العذراء إلى السماء، ليكون محفوظاً فى فردوس النعيم، بما يليق به من كرامة ومجد، إذ كان لله الكلمة سماء ثانية حلّ فيها الرب الإله جسدياً .

ومُنح توما الزنار أو الحزام الذى كانت تستعمله العذراء مريم والزنار كلمة سريانية أو كلمة عبرانية وهى تعنى الحزام، هذا الحزام كان من نصيب الكنيسة السريانية فى حماه ، كان لى فرصة سنة ٦٩ ذهبت إلى حماه فى سوريا والمطران أرانى هذا الزنار محفوظ الآن فوق المذبح ، وجدوه بالحفريات وعرضوه على وزارة الآثار السورية فقدم العلماء شهادة على أن هذا الزنار يرجع إلى ٢٠٠٠ سنة ، الزنار طوله ٧٤سم ، لأن العذراء كانت نحيفة وعرضه ٦سم وسمكه ٣مم، وهو عبارة عن

أسلاك بجوار بعضها، فالآباء الرسل اشتاقوا أنهم يروا جسد العذراء مرة أخرى لكى يطمئنوا أكثر فصاموا خمسة عشر يوما كما يقول التقليد، وفى نهايتها بر المسيح بوعده بأن رأوا جسدها مرة أخرى محمولا على أجنحة الملائكة، وهو العيد الذى نعيده له فى يوم ١٦ مسرى ، ونسميه عيد صعود جسد العذراء مريم .

وصارت الكنيسة تُعيد لرحيل العذراء وافتراق روحها من جسدها بالموت الطبيعى، فى الواحد والعشرين من شهر طوبة... وفى الواحد والعشرين من كل شهر قبطى ، تكريماً وتقديساً وإجلالاً . لكن نحتفل بصعود جسدها فى ١٦ مسرى ، المفروض أن يكون صعود جسدها ٢٤ طوبة ، لأنه بعد ثلاثة أيام من النياحة، لكن فى تقليد الكنيسة وترتيب الكنيسة رتبت أن يحتفل به فى يوم ١٦ مسرى عقب صوم الرسل ١٥ يوم ، والمسيح وعد بأنهم يروا جسد العذراء مرة أخرى وبر المسيح بوعده فى هذا اليوم، ورأوها مرة أخرى ولذلك الكنيسة تحتفل فى هذا اليوم بفطر صوم العذراء وعيد صعود جسدها إلى السماء – وهو الآن كما يقول القديسون تحت شجرة الحياة – وليس الأقباط الأرثونكس فقط بل وجميع الكنائس الأرثونكسية والبيزنطية وهم الأروام والروس ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها يحتفلون بصوم العذراء فى نفس الميعاد ويسموه صوم أغسطس ، وهذا يدل على أن هذا التقليد قديم جدا جدا، وليس عندنا فقط كأقباط أرثونكس، ولكن هذا الصوم معروف منذ الإبتداء حتى الآن ..

هذه قصة[1] موت العذراء مريم، كما دلت عليها مصادرنا الكنسية، هنا يجب أن نعلم أن العذراء ماتت موتا طبيعيا ، فهى لم تصعد إلى السماء، ولكن بعد موتها أُصعد جسدها، وهنا فرق كبير، سيدنا له المجد صعد بجسده، وصعد بقوة لاهوته، إنما العذراء مريم كإنسانة، أولاً ماتت موتا طبيعيا، إنفصلت روحها من جسدها، ثم أُصعد جســدها على أجنحة الملائكة إلى الفردوس، ولماذا أُصعد جسدها ؟ هذا نوع من التكريم لأن جسدها صار سماء ثانية سكن الرب فيه جسديا ، فتكريم للعذراء مريم وتكريم لهذا الجسد الطاهر، الذى فضلاً عن طهارته السابقة على حلول الكلمة فيها، فإنها أيضا تتطهرت وتدشنت وتقدست بحلول الكلمة فى أحشائها، وعاشت العذراء طاهرة إلى يوم رقادها .

---

(١) محاضرة مساء الخميس ٢٩ من يناير ١٩٨١م – ٢١ من طوبة ١٦٩٧ش بكنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوى – بدير الأنبا رويس – بالعباسية مصر .

فهذا الجسد الطاهر لم يشأ المسيح أن يبقى فى الأرض عُرضة للفساد وعرضة للإيذاء فرفعه، رفعه إلي السماء، وتقول المصادر الكنسية أيضا أنه رُفع إلى الفردوس، ليظل هذا الجسد مصوناً وغير ممسوس بفساد أو حتى لايتعفن أو يصاب بما يصاب به أى جسد عادى، وهذا نوع من التكريم الخاص لجسد العذراء مريم .

نريد أن نتأمل فى معنى هذا الموت ومايحمله لنا من رسالة ومن مغزى ، لأن الكنيسة إذ تعيد لنياحة العذراء مريم ، هناك هدف من هذا العيد ، ليس فقط لتثبيت الحقيقة التاريخية بموتها، ولكن هناك مغزى روحى ومعنوى فيه قيمة روحية وراء هذا الإحتفال بموتها ، فأول معنى يخطر لبالنا أن العذراء مريم كان لابد أن تموت كإنسانة، فلقد وُضع للبشر أن يموتوا مرة، والعذراء كإنسانة كان لابد أن تموت ، والموت يضع حداً لرحلة الحياة قصيرة كانت أم طويلة ، صحيح أن الموت دخل إلى العالم بحسد إبليس، ولولم يخطىء أبونا آدم وأمنا حواء لما كان دخل الموت إلى العالم، بل كان آدم وحواء ينتقلان إلى الحياة الأبدية ويأكلان من شجرة الحياة فيحيا كل منهما إلى الأبد بغير موت، لكن بالخطيئة دخل الموت إلى العالم وهذا مايقوله الرسول بولس " بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت " بإنسان واحد وهو آدم دخلت الخطيئة إلى العالم ، لأننا جميعا من دم واحد خلقنا ، فبإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالـــــم وبالخطيئة الموت ، إذن الموت دخل ، إلى الخليقة بالخطيئة فمن هنا كان حكم الموت قضاءاً على كل البشر طالما أنه من نسل آدم .

فالعذراء واحدة من نسل آدم، فكان لابد أن تموت، لكن الجمال فى أن الله حَوّل الشر إلى خير، وبدلا من أن يكون الحكم بالموت كما أراده الله بعد الخطيئة مباشرة أى حكما بالهلاك الأبدى، جاء المسيح وحمل جسدنا ومات هو بديلاً عنا فأصبح هو الفادى وذاق الموت بالجسد ، وبهذا حول الموت ليكون معبراً وطريقاً للعالم الآخر، ومن هنا لم يكن الموت بشعاً كما كان ، ففى الكتاب المقدس خصوصا العهد القديم كلمات عن الموت تدل على أنه شىء مرعب، يقول " الجالسون فى الظلمة وظلال الموت " ويقول " الهاوية " ويقول "الجحيم"، "والعالم السفلى" وإلى غيرها من التعبيرات المؤلمة المخيفة المرعبة التى فيها صور مظلمة كئيبة ، هذه صورة الموت قديما ، فلما مات المسيح أبدل هذه الصورة، وأصبح الموت بالنسبة للأرواح البارة والقديسة، الحكم بالبراءة والحكم بالإطلاق والخروج من السجن ، من سجن هذا الجسد ومن سجن العالم إلى حيث الراحة وإلى حيث العالم الأفضل وإلى حيث الأبقى والأسمى، لأنه قد فتح

الفردوس الذى كان مغلقاً فى وجه الإنسان فأصبح الإنسان موعوداً بأن يذهب إلى الفردوس .

القديس بولس الرسول وصف الفردوس وصف جميل لأنه قال أنه أُختطف إلى السماء الثالثة وهى الفردوس ثم يقول " أنه رأى وسمع أشياء لاينطق بها ولايسوغ لإنسان أن ينطق بها ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر بقلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه ". هذا التعبير الجميل الحلو الذى يدل على فشل الإنسان عن أن يعبر التعبير الصادق الدقيق عن سعادة هذا الفردوس، وعن الجمال الذى فيه .

لذلك صار الموت محبوبا لدى القديسين وأيضا مُشتهى " لى إشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً " انظر كلمة جداً تعنى أفضل من هذا العالم بمـــا لا يقاس طبعا ، إذن الموت أصبح أمنية بعد ما كان الموت الشبح المخيف الذى به ينزل الإنسان إلى العالم السفلى ليشقى فيه فى الجحيم، فى الظلمة وفى ظلال الموت، وفى رعب وفزع من سلطان قوات الشر والشيطان التى تعذب الإنسان، صار الموت هو الحكم بالبراءة والإطلاق للمسجونين فى السجن ، سجن هذا الجسد وسجن العالم ، هؤلاء الذين عُذبوا فى حياتهم وتألموا من أجل الإنجيل أو اضطهدوا من أجل الإنجيل ومن أجل مبادئ الإنجيل وعاشوا فى الحياة فى الطريق الضيق الكرب ، ضيقوا على أنفسهم وضغطوا على شهواتهم من أجل مبادئ الإنجيل ، هؤلاء الذين ماتوا شهداء بالدم أو ماتوا شهداء بدون سفك دم ، شهداء الفضيلة وشهداء الطهارة وشهداء السيرة المقدسة الكاملة ، الشهداء الذين عاشوا من أجل الإنجيل ومن أجل مبادئ الإنجيل مرفوعين فوق ضعفات الجسد، هؤلاء الموت بالنسبة لهم حكم لهم بالإطلاق ، تسريح وخروج لهم من السجن، لابد أن تكونوا قرأتم عن بعض القديسين والقديسات فى اللحظات الأخيرة كيف أنهم يكشف عن عيونهم العالم الآخر، ثم يتكلموا مع المسيح ومع العذراء مريم ومع القديسين ومع الملائكة الذين يكونون موجودين حولهم يسمعوا هذا الحوار وكيف كشف عن عيونهم ، نحن عندما نطلب فى صلاة الغروب من العذراء مريم ونقول " عند خروج نفسى من جسدى إحضرى عندى ولمؤامرة الأعداء إهزمى ولأبواب الجحيم إغلقى" هذا الكلام يحياه تماما عمليا وتطبيقيا القديسون فى اللحظات الأخيرة ، فبعضهم يرى المسيح ، وبعضهم يرى العذراء مريم جاءت إليه تساعده ، تساعده فى ماذا ؟ لأن لحظات الموت ياأولادنا لحظات فيها الروح تتسلخ من الجسد ، عملية الإنسلاخ ليست سهلة ، الروح المنبثة فى الجسد كله ودخلت فيه منذ الحمل به فى البطن، وظلت تتحد به وبجزيئياته وبخلاياه مدة تسعة أشهر ثم رحلة

الحياة الطويلة على قدر مايعيش الإنسان سبعين أو ثمانين إلى آخره، كل هذا الوقت الروح مزاملة الجسد وتعيش فيه ونافذة إليه فى كل خلاياه كأنها ريح ،لأن الروح ليست مادة ، أو كأنها ماء تسرب إلى كل منافذ جسده، إلى المفاصل وإلى العروق وإلى كل طرف من الأطراف حتى أخمص القدم . فعملية إنسلاخ الروح من الجسد عملية ليست سهلة، أى ممكن أن تكون سبب ألم كبير، وهذا ما يسموه سكرات الموت، لذلك عندنا فى تحليل صلاة نصف الليل التى يصليها الكاهن يقول: " أعنا على سكرات الموت وما قبل الموت ومابعد الموت" ماهى سكرات الموت ؟ ربما بعضكم يرى بعض الموتى فى اليوم الأخير ومايعانونه من حشرجة ، ومن عملية مايسمونه بالنزاع ، وفى بعض الحالات تجد الميت يرفس برجليه من المعاناة ، وبعضهم تجحظ عيونه وتكون حالته صعبة جدا، لدرجة إننا فى بعض الأحيان عندما يكون شخص يعانى عذاب فى سكرات الموت ، نجد أهله يصلوا ويطلبوا من الموجودين أن يصلوا لكى ربنا يسمح بأن روحه تنطلق بسلام، لأنهم يروا العذاب الذى فيه، سكرات الموت ليست حاجة سهلة ، لذلك الميت يحتاج من الناس الذين حوله إن كانوا يحبوه أن يساعدوه، بالصلاة ولذلك أحيانا يُستدعى الكهنة ، وهذا تقليد مسيحى من أقدم الأيام، حتى أتذكر (استالن) رئيس الدولة السوفيتية وكان ملحد معروف فى الأيام الأربعة الأخيرة من حياته حدثت له غيبوبة أو نزيف فى المخ ، فأهله طلبوا كاهن لكى يكون معه وقريبا منه فى الأيام الأخيرة على الرغم من أن الرجل ملحد .

أريد أن أقول أن هذه اللحظات بالنسبة للبعض خصوصا الأشرار تكون متعبة وتحتاج إلى معونة ، لذلك كلمة "أعنا على سكرات الموت وما قبل الموت ومابعد الموت " ماهو ماقبل الموت ؟ ممكن أن يكون هناك حرب من الشيطان ، الشيطان يريد أن يستلم بضاعته إذا كان هذا الإنسان شريراً ، لأن الملائكة لن تأتى بالنسبة للأشرار، لأن مخلصنا له المجد قال : إن لعازر حملته الملائكة، أما الغنى يقول دُفن، لم يقل حملته الملائكة ، فهذا الغنى أخذته زبانية الجحيم وهم الشياطين والأرواح الشريرة بإعتبار أن الشيطان رئيس هذا العالم، ولابد أنه يتسلم مَن هم ملكه بحق الملكية ، أما نحن فقد أُشترينا بدم المسيح، فأصبحنا للمسيح، وحينئذ الأبرار والقديسين من الذى يأتى ليتسلم أرواحهم؟ المسيح أو العذراء أو القديسين والملائكة ، طبعا هذا بحسب درجة هذا الشخص ، العذراء مريم جاء لها المسيح بنفسه ليتسلم روحها ، هناك بعض الناس الآخرين العذراء هى التى تجىء لهم ، وآخرين يجىء لهم بعض القديسين وبعض الملائكة يصحبوهم ، كان يوجد قديس فى الدير المحرق اسمه القمص ميخائيل

البحيرى، تنيح سنة ١٩٢٣ كان فى درجة عالية جدا من الروحانية، ففى يوم نياحته بعض الرهبان الكبار الشيوخ الروحانيين، كانوا يرون مظاهرة روحانية فى داخل الدير كأنه يوم عرس ويوم فرح، فيوم إنطلاق هذا الإنسان كان هناك مظاهرة فى الدير المحرق كما رآها وكما رواها لنا بعض الآباء الذين كانوا يعيشون فى ذلك الوقت، فكانوا هؤلاء يرون مناظر روحانية، وملائكة، وقديسين وأحلام ورؤى ومناظر.

أيضا عندما تنيح الأنبا إبرآم أسقف الفيوم هناك أُناس حتى من غير المسيحيين رأوا مناظر روحانية فى يوم نياحته .

فالقديسين يكونوا فرحين أن هذا الإنسان سيأتى إليهم، فتتحرك السماء ويأتوا ليصحبوه ، كأى إنسان مسافر ناس تودعه ، وعندما تصل لمحطة الوصول ستجد من يستقبلك، من هؤلاء ؟ عادة أقرباءك وأصدقاءك ، وعلى قدر ماتكون أهميتك ، على قدر مايكون أصدقاءك وأقاربك الذين يقابلوك .

فمثلا رئيس الجمهورية عندما يسافر يختلف عن الإنسان العادى، فتجد فى إستقباله نائب الرئيس والوزراء و... الخ لماذا ؟ لأنه رئيس الجمهورية ، فعندما يكون قديس كبير منتقل من الأرض تأتى أرواح كبيرة عالية تليق به، فمثلا يوم تنيح الأنبا بولا، الأنبا أنطونيوس ذهب فى ذلك اليوم إليه وبعد أن تحدثوا معا ، طلب منه أن يذهب إلى الأسكندرية ليحضر له الثوب الخاص من عند البابا أثناسيوس لكى يدفن فيه لأنه سيموت اليوم . فالأنبا أنطونيوس كان شيخاً فوق الثمانين من عمره فى هذا الوقت، ولم تكن هناك أى وسيلة للمواصلات، فذهب وحدث له اختطاف وإلا كيف سافر من عند البحر الأحمر من منطقة القلالى إلى الأسكندرية ورجع فى نفس اليوم، شىء لايمكن تصديقه إلا بالإختطاف ولما رجع قبل أن يصل إلى المكان الذى فيه الأنبا بولا فى القلاية أو المغارة أو الصومعة، رأى روح الأنبا بولا ومعها الملائكة وأرواح القديسين ولذلك تجدوا بعض الفنانين يرسموا روح الأنبا بولا وحولها سحابة طويلة من رؤوس قديسين وملائكة، فيوم نياحة الأنبا بولا كان يوم زفاف فى موكب جميل من الملائكة ورؤساء الملائكة والقديسين الذين من نوعه أو على الأقل فى مستواه من الروحانيين الكبار، يحضروا فرحين به لأنه سينضم إليهم فلابد أن يستقبلوه .

أما الأشرار فمن الذى يستقبلهم ؟ من غير المعقول أن الملائكة تأتى تستقبلهـــــم، والقديسين يأتوا ليستقبلوهم، ولكن الشياطين تبقى واقفة منتظرة هذه اللحظة . هنا يحدث فى بعض الحالات الشخص تعذبه الشياطين عندما يكون من هذا النوع الشرير تعذبه الشياطين ليس فقط بآلام، وإنما أيضا بمناظر لكى يسحبوه إليهم، يُذكروه بأشياء لكى

يغيّروا قلبه بأحقاد وكراهية ومواقف معينة، فيزيد شراً ويلتهب إثماً وخطيئة وشهوة وما إلى ذلك لكي يستلموه و ينزلوا به تحت إلى الجحيم .

فالقديسين يحتاجوا إلى صلوات خصوصا الناس الذين فى المستوى المتوسط ،أو فى المستوى الأقل من الكبار الروحانيين، يحتاجوا إلى معونة، لذلك من الخدمات الكبيرة التى نسديها لموتانا فى اللحظات الأخيرة، أننا بدلاً من الصراخ والعويل والصياح، أن نستدعى الكهنة وأيضا نصلى إلى جانب سرير المريض، فهذا الإنسان الصلاة من أجله، أولا تساعده فى حربه مع الشيطان، لأنه رغم أن هذا الإنسان قديس، لكن الشيطان يريد أن يضرب آخر سهم، كما نقول فى القداس "سهام الشرير الملتهبة نارا " ، فيأتى له بذكريات ومناظر وأحقاد قديمة لكى يُغيّر شعوره ويُغيّر مشاعره وينسيه الصلاة ، لذلك تجد بعض الناس الطيبين فى اليوم الأخير يُصلى ويُصلى ويّصلى، يُصلى بالمزامير ويُصلى بالقطع، إلى أن تخرج روحه، ويكون رشم علامة الصليب آخر شيء ، فهو يساعد نفسه عن طريق الصلاة ، لأن هناك قوات شريرة تريد أن تصيبه، لذلك نحن أيضا نطلب من العذراء مريم ، نقول للعذراء إحضرى عند مفارقة نفسى من جسدى لماذا ؟ لكى تساعدنى ، ولمؤامرة الأعداء إهزمى ولأبواب الجحيم إغلقى ، هذا الكلام ليس كلام أدبى ، هذا كلام واقعى حقيقى، لو كشف عن عيوننا ورأينا الحرب الموجودة فى اللحظات الأخيرة، والتى تحتاج فعلا إلى مساعدة الأرواح الكبيرة ، طبعا عندما تأتى العذراء مريم تطرد هذه الأرواح الشريرة، لأنها كظلمة لاتستطيع أن تقف أمام النور، فتطرد بهذه الطريقة ، وبهذا يُنقذ الإنسان من شر الشياطين والأرواح النجسة، التى تريد أن تصيبه لكى تنزل به إلى الجحيم، هذه هى أهمية الصلاة ، وهذا هو ماقبل الموت .

أعنا على سكرات الموت وماقبل الموت ومابعد الموت، هى الحرب الأخيرة التى فيها الشيطان يصنع آخر ماعنده ليصيب قلب هذا الإنسان، قبل مفارقة روحه جسده، ليأخذ روحه وينزل بها إلى الجحيم . ما معنى " مابعد الموت " ؟

بعض الآباء كشف عن عيونهم أن الروح وهى صاعدة فى رحلتها، الشيطان يحاربه حتى نهاية مجاله، ماهو مجال الشيطان؟ مجال الشيطان حتى الهواء، لأن الشيطان مكانه الجحيم، لكن مربوط بسلاسل وهذه السلاسل طويلة ويقدر بها أن يصعد على الأرض، ويقيم فى أماكن ويدخل ويقيم فى أشخاص، ويصعد فوق فى الهواء، كما جاء فى سفر أيوب ، ولكنه لايستطيع أن يصعد إلى السماء، لكن له مجال ومدى يقدر أن يصل إليه ، ولذلك القديس بولس سماه "رئيس سلطان الهواء" والمسيح قال عنـــــه

"رئيس هذا العالم "، فالشيطان سلسلته طويلة ممكن أن يصعد لفوق لمدى معين ولايقدر أن يتخطى هذا المدى ، إذن الروح وهى صاعدة فى رحلتها ممكن للشياطين وللأرواح النجسة أنها تتابع مطاردتها، بأفكار أو بمناظر أو بتذكير الإنسان بأشياء تثير الشر فيه، أو تحول فكره عن السماء وعن المقدسات والأقداس السمائية، مثل إمرأة لوط عندما نظرت إلى الوراء فصارت عمود ملح ، فالإنسان حتى بعد أن يغادر هذا العالم توجد حروب تتواصل إلى مدى معين وبعد ذلك تنقطع .

فكلمة "مابعد الموت" أيضا تحتاج مساعدة " اعنا على سكرات الموت وماقبل الموت ومابعد الموت " حتى بعد المفارقة تكون إلى حد ما هناك حرب ، وهناك محاولات من قوات الشر المحيطة بالإنسان، فالناس الذين فى لحظات الموت أو فارقوا هذا العالم يحتاجوا إلى هذه المساعدة، وهذه المساعدة تكون بالصلوات وبالاستغاثة ، نستغيث بالله ، فالله يرسل من قبله بعض القديسين وبعض الملائكة الأطهار لكى يخلصوا الإنسان ويضربوا بسيوفهم هذه القوات الشريرة، ويطردوها بعيدا عن الروح الصاعدة لعلها تدخل إلى السماء .

عيد صعود جسد العذراء

في السادس عشر من شهر مسرى، والموافق الثاني والعشرين من شهر أغسطس، نحتفل بفطر صوم عيد السيدة العذراء، وهو عيد صعود جسد العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة .

لقد ماتت العذراء كما يموت كل بشر، وقد أوفت كما تذكر بعض مصادرنا الكنسية ثمانية وخمسين عاماً وثمانية شهور، وستة عشر يوما(١٦يوما و٨شهور و٥٨سنة) وقبل موتها مرضت مرضاً خفيفاً، أعلن فيه مخلصنا لها أن أيامها قاربت على نهايتها، ولسوف يضع الموت حدا لآلامها الكثيرة التي عانتها في حياتها، وخصوصا من اليهود الذين أساءوا معاملتها، واضطهدوها، ولم يدعوها في راحة ، وكل جريمتها عندهم أنها هي التي ولدت المسيح الذي نغص حياتهم، وجلب عليهم المتاعب، ووعدها له المجد أنه عندما تلفظ أنفاسها، سيجيء بنفسه إليها ليتسلم روحها الطاهرة بيده الإلهية الكريمة.

وجاءت الساعة المباركة، وحضرها الآباء الرسل الأطهار والغائبون منهم في أماكن وبلاد بعيدة عن أورشليم، حملتهم السحب وجاءت بهم إلى حيث العذراء أم النور راقدة على فراشها، ماعدى القديس توما الرسول كما حضرت عذارى جبل الزيتون، وهن البنات الأبكار اللاتي اتخذن العذراء في حياتها رائدة لهن يتبعنها ويلازمنها ، يصلين ويصمن ويرتلن معها في طهارة ونقاء وقداسة، وحضرها أيضا عدداً من المؤمنين، فمدّت العذراء الطهور يدها ، وباركت التلاميذ وودعتهم ، وبغتة تجلى رب المجد يسوع المسيح في نور إلهي سماوي ، يحف به الملائكة ورؤساء الملائكة بقيادة ميخائيل رئيس جند الرب، وتقدم الرب يسوع إلى أمه العذراء وعزاها وقواها وأعلنها بسعادتها الدائمة، ثم إذ خرجت روحها خروجاً طبيعياً من جسدها، تسلّم الرب روحها بيده الإلهية الجليلة، وأعطاها لميخائيل رئيس الملائكة، وصعد هو بجلاله ومعه ملائكته ورؤساء ملائكته .

عندئذ تقدم التلاميذ الأطهار، وكفنوا جسد سيدتهم وأودعوها تابوتا، وخرجوا بالجسد المسجى في التابوت، ووجهتهم الجثمانية قريبا من بستان جثيماني الذي شهد ليلة آلام الفادي، وبالقرب من جبل الزيتون . لكن اليهود الأردياء، وقد علموا بموت العذراء مريم ، لم يرق لهم أن يدعوا التلاميذ يدفنوها كما يدفن أي إنسان ، فاعترضوا طريق التلاميذ في مظاهرة شيطانية قاصدين أن يخطفوا جثمان العذراء ليطرحوه على

الجبال مأكلا للوحوش وطيور السماء . وبلغت الحماسة والجرأة بأحدهم أن اندفع بوقاحة وشر وشراسة، وأمسك التابوت فى قوة ، ولكنّ أمراً عجيبا حدث، فإن ذراعى الرجل الشرير إنفصلتا من جسده، فصرخ يتلّوى واستغاث بالتلاميذ باكياً نادماً، فصلى الرسل الأطهار عليه مستغفرين له، مستشفعين بالعذراء أم الخلاص، فعادت ذراعاه إليه، فتراجع مخذولاً، ويفيدنا تقليد الكنيسة كما نقله إلينا القديس البابا كيرلس الأول المعروف بعمود الإيمان (٤١٢-٤٤٤) م أن هذا الرجل الشرير، واسمه ثاوفانيس (ثاوفينا) كان هو بعينه المفلوج الذى شفاه المسيح له المجد بعد أن رآه مطروحا على بركة بيت حسدا، وكان مريضا مدة ثمان وثلاثين سنة . لكن المسيح بعد أن شفاه قال له: "ها أنت قد برأت، فلا تعد إلى الخطية لئلا يصيبك ماهو أسوأ " (يوحنا٥: ١٤) ولم ينتفع الرجل بنصيحة الرب له ، ولم يتعظ بإنذاره ، فعاد إلى الخطّيئة من جديد كما يعود الكلب إلى قيئه (٢. بطرس٢: ٢٢)، (أمثال٢٦: ١١)، وتنكر للسيد المسيح الذى شفاه وأحسن إليه، واندفع بشراسة وهجم على تابوت العذراء أم المخلص ليسىء إلى جثمانها، ولكن الرب تدخل فى الوقت المناسب، وفصل يديه من جسمه حتى عاد يصرخ باكياً نادماً، ولعله انتفع من هذا الدرس القاسى الذى كان لابد له من أن يأخذه فيرتدع .

وبعد هذه الواقعة العارضة تمكن التلاميذ القديسون من حمل جسد سيدتهم، ودخلوا به الجثمانية ووضعوه فى القبر، الذى مازال قائماً إلى اليوم، وأغلقوا عليه. لكن التلاميذ لم يستطيعوا مغادرة المكان، بعد الإنتهاء من مراسم الدفن والجنازة، ذلك لأن أصوات الملائكة لم تنقطع عن التسبيح والترتيل مدة ثلاثة أيام متواصلة . فلما صمتت الأصوات السمائية رأى التلاميذ فى ذلك رخصة لهم بترك الجثمانية والعودة إلى أماكنهم وإستئناف خدماتهم الروحية .

خرجوا من الجثمانية قافلين، وبعد أن قطعوا فى الطريق مرحلة، أبصروا زميلهم وشريكهم فى الخدمة الرسولية، قادما فى إتجاههم وفى إتجاه الجثمانية، فعتبوا عليه تأخيره عن الحضور، وأنبأوه بإخبار موت العذراء، وما صاحب موتها من أحداث روحانية ، وكيف حضر المسيح سيدهم ومعلّمهم موت والدته الطوباوية ، وتسلم بيده الإلهية روحها القديسة، وعاد إلى السماء وإلى عرشه .

إلى هنا، والرسول توما صامت يصغى إلى أحاديث رفقائه وزملائه ولم يقاطع كلامهم، فلما فرغوا من ذلك، سألهم أن يعودوا معه إلى الجثمانية ليشهد بنفسه جسدها ويتبارك منه كما تباركوا هم منه، ولكى يكون هو أيضا على يقين مما حدث ، وليس

من سمع كمن رأى ، ولاسيما أنه ذلك التلميذ الذى "قال له التلاميذ الآخرين قد رأينا الرب يسوع بعد قيامته، فقال لهم: إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير، وأضع يدى فى جنبه، لا أؤمن" (يوحنا ٢٠: ٢٤، ٢٥) فلم ير التلاميذ بداً من النزول على رغبة زميلهم وشريكهم، وعادوا معه إلى الجثمانية، وفتحوا القبر، ولدهشتهم التى كادت تصعقهم لم يجدوا جثمان العذراء ، وإنما خرج بخور عطرى جميل ملأ جو المكان بعبيره المنعش الروحانى. أما هم فتوقعوا أن يكون اليهود قد أعادوا الكرَة، وجاءوا بعد ذهاب التلاميذ، وأخذوا جسد العذراء وصنعوا به ما قصدوا إليه فى مبدأ الأمر .

هنا تدخل التلميذ الأمين، توما الرسول، وقال اطمئنوا ياإخوتى، ليس اليهود هم الذين سرقوا جثمان سيدتنا أم فادينا، لكن هى إرادة الله التى أبت على هذا الجسد الطاهر، وقد صار سماء ثانية سكن فيها الرب تسعة أشهر كاملة، ومنه ، من لحمه ودمه، اتخذ له جسداً كاملا ولد به ، وظهر بين الناس ومنه رضع واغتذى... أبت على هذا الجسد المقدس والتابوت السماوى أن يظل على الأرض عرضة للتعفن والفساد، وأن يكون موئلاً للدود والحشرات، لذلك أكرمه الله فرفعه إلى السماء على أجنحة الملائكة، وأنا توما أخاكم وشريككم فى آلام المسيح وصبره، رأيت بعين رأسى هذا الجسد الطاهر الكريم، محمولاً على أجنحة الملائكة فوق جبل أخميم فى صعيد مصر، وأنا محمول على السحب قادماً من بلاد الهند، فأذهلنى المنظر الروحانى، فإذا بأحد الملائكة ينادينى: مابالك هكذا منذهلاً مبهوتاً مبهوراً، تقدم وتبارك من جسد العذراء البتول! فأسرعت ولثمت جسد العذراء وتباركت منه، ونلت كرامة جزيلة بأن حملت معى برخصة السماء، زنار العذراء التى كانت تتحزم به وتلم به ثوبها .

وأنصت التلاميذ إلى شهادة زميلهم فى فرح ممزوج بالإنبهار والدهش، وقالوا: إذن كانت أصوات الملائكة التى لم تنقطع إلا فى اليوم الثالث لموت العذراء، تنتظر اللحظة المباركة التى يبدأون بها رحلتهم بالجسد المقدس إلى السماء ! .

وتقول مصادرنا الكنسية أن الآباء الرسل صاموا وصلوا، فوعدهم الرب بأن يروا بعيونهم جسد العذراء مرة أخرى، وفى اليوم الذى نحتفل فيه بفطر "صوم عيد السيدة" ويقابل فى تقويمنا القبطى السادس عشر من شهر مسرى، كان الوفاء بالوعد المقدس، فرأى التلاميذ الأطهار جسد العذراء فتحققوا من أنه أُصعد إلى السماء، وأنه محفوظ فى الفردوس، إلى يوم القيامة العامة .

وعلى ذلك فالسادس عشر من مسرى، ليس هو فى الواقع اليوم الذى صعد فيه جسد العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة، ولكنه اليوم الذى برّ المسيح بوعده فأرى

تلاميذه جسد سيدتهم، فتحققوا من صعوده، ومن وجوده فى الفردوس، فصارت الكنيسة تعيّد بالصعود لا فى اليوم الحقيقى للصعود، بل فى اليوم الذى تثبّت فيه للتلاميذ من حقيقة الصعود .

أما موعد الصعود، فكان فى اليوم الثالث لوفاتها، ولما كانت كنيستنا تُعيّد لموت العذراء ونياحتها فى اليوم الواحد والعشرين من شهر طوبة القبطى، فيكون الصعود قد تم بالفعل فى اليوم الثالث من هذا التاريخ .

إن العذراء مريم هى الوحيدة التى لم يسمح الرب أن يبقى جسدها فى الأرض، ما من أحد فى تاريخ البشرية كلها صعد بجسده إلى السماء إلا المسيح بإعتباره الله الظاهر فى الجسد، " مامن أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء" إنما من بين البشر لم يحدث أن أُصعد جسد أحدّ إلى السماء، حتى اخنوخ الذى نقل وإيليا الذى اختطفته مركبة من نار إلى السماء، نرى فى سفر الرؤيا مايشير بأن اخنوخ وإيليا سيرجعان مرة أخرى ليذوقا الموت كأى واحد من بنى البشر، " لأنه قد وضع للناس أن يموتوا مرة " فكل بشر لابد أن يموت ولابد أن يدفن ، ولكن العذراء مريم وإن كانت قد ماتت كما يموت كل بشر، وإن كانت قد قبرت فى الجثمانية بالقرب من جبل الزيتون إلا أنه ليس لجسدها وجود على الأرض ، والقبر فارغ لأن جسدها صعد إلى السماء، لأن الله لم يشأ أن يظل جسدها مقبوراً ليتعرض للفساد والعفونة. كل الأنبياء ماتوا ودفنوا إلا العذراء مريم بعد أن ماتت أُصعد جسدها على أجنحة الملائكة إلى السماء .

وأما الزنار الذى حمله توما الرسول وعاد به من رحلته المباركة ، فهو محفوظ الآن فى كنيسة السريان الأرثونكس بمدينة حماه فى سوريا . وتعرف اليوم بكنيسة الزنار المقدس . والزنار حزام مشغول من أسلاك دقيقة طوله ٧٤ سنتيمترا ، وعرضه ٥ سنتيمترات وسمكه ثلاث ملليمترات ، وظل مدة طويلة مخبوءاً ، حتى عثر عليه البطريرك الأنطاكى المتنيح مار افرآم محفوظاً فى حق، وقد عرضوه على وزارة الآثار السورية ، فشهد العلماء والخبراء بأن هذا الزنار قديم وأنه يرجع إلى ألفى عام . وكل من يذهب إلى حماه، يمكنه أن يرى هذا الزنار موضوعا على مذبح الكنيسة هناك مغلقا عليه فى دائرة زجاجية محكمة ، ويمكنه أيضا أن يرى معه صورة من شهادة وزارة الآثار السورية. وقد تمكن كاتب هذه السطور من زيارة الكنيسة فى حماة ومن التبرك بالزنار المقدس وذلك فى أغسطس سنة ١٩٦٩ .

النبوءات والرموز والألقــاب
التى تشير إلى العذراء

- ❖النبوءات التى تشير إلى العذراء .
- ❖الرموز إلى العذراء مريم فى الكتب المقدسة .
- ❖ألقاب السيدة العذراء .
- ❖لقب والدة الإله بين الأرثوذكس والنساطرة والأديان الأخرى .
- ❖العذراء دائمة البتولية .
- ❖العذراء الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة .

النبوءات التى تشير إلى العذراء مريم

أريد أن نتأمل فى بعض النصوص المقدسة الواردة في كتب العهد القديم على الخصوص، للنبوءات التى تشير إلى العذراء مريم ، ونعلق عليها بعض التعليقات الروحية لنفهم سرها ومضمونها ومعناها، ونعلم ونتعلم مما فيها من النبوءات التى أشارت إلى العذراء مريم، والتى تتحدث عن دورها الذى قامت به فى تحقيق الخلاص للبشرية .

أولا : نبوءة إشعياء النبى: الواردة فى سفره فى الأصحاح السابع والتى فيها يقول النبى إشعياء بروح النبوءة ، وبوحى الروح القدس دون أن يفهم هو نفسه كإنسان قوة الألفاظ التى نطق بها لسانه لأنه كما يقول ماربطرس الرسول " تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢. بطرس١: ٢١) .

يقول إشعياء " ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش٧ : ١٤)، لكن يعطيكم السيد نفسه آية ، قوله هذا يبين أن هذه آية وليست أمراً عادياً ، أى أن هناك معجزة، أى شىء جديد ، هنا لفتة من لفتات السماء، بأمر غير مألوف، معجزة، ويظهر فى المعجزة مجد الله ، لأنها شىء يعجز عن مثيله الناس، ماهى هذه الآية ؟ ماهى هذه المعجزة يا إشعياء ؟؟

ها العذراء ، العذراء بالألف واللام ، ولم يقل (هاعذراء) لم يقل عذراء مجردة من الألف واللام ، ولم ينطق بكلام ينطبق على أى فتاة عذراء. ها العذراء (بالألف واللام) تحبل وتلد ... وهذا معناه أنه يتكلم هنا عن عذراء واحدة ليس لها نظير ولايستحق غيرها هذا اللقب (العذراء) وفعلا صدقت نبوءة النبى إشعياء ..

فمريم هى العذراء بالألف واللام ، وستظل دائما تعرف بهذا اللقب ، ولم ولن توجد فتاة إلى نهاية الأجيال تعرف بهذا اللقب مسبوقة بالألف واللام ، فهى عذراء العذارى ليس هناك غيرها ، هى وحدها مميزة، وحدها مخصصة بهذا اللقب، هى وحدها التى عرفت وتعرف بلقب العذراء، وهذا توكيد ضمنى بأن هذه العذراء المعروفة والتى ستظل عذراء، دائمة البتولية، لم تتزوج ولم تعرف رجلا، وستظل دائما عذراء كل حين، هى العذراء، لاتعرف زوجا.. يظل لها هذا اللقب، يصحبها إلى أبد الآبدين، تعرف به فى هذه الدنيا، وتعرف به فى الآخرة، وإننا اليوم حينما نقول "العذراء" فكل الناس يعرفون ماذا نقصد .. ونحن فى غير حاجة اليوم لا نحن ولاغيرنا أن نسأل من

هى هذه العذراء، إنها العذراء فى كل مكان ، وفى كل زمان، وفى كل وقت عندما نسمع كلمة (العذراء) نعرف من المقصود بها، إنها مريم التى ولدت ربنا يسوع المسيح ولسنا فى حاجة إلى من يؤكد لنا ذلك، بل إن إخواننا المسلمين واليهود والعالم كله، مؤمنين وغير مؤمنين ، عندما نتكلم معهم عن العذراء، لسنا فى حاجة لنا أن نضيف إليها كلمة مريم، ولا أى لقب آخر إذ أن كل العالم يعرف يقينا من المقصود بكلمة العذراء ..

فحقا إن إشعياء النبى يشير إلى لقب وإلى اسم سيظل دوما ملتصقا ومرتبطا دائما بمريم أم النور ، لأنه لم ولا ولن يحدث إلا مرة واحدة .. حدثت معجزات كثيرة ولكن لم يحدث مطلقا أن عذراء تحبل، وتلد، حدث مثلا أن رجلا وإمرأة كانا عاقرين ومتقدمين فى السن مثل إبراهيم وسارة أو زكريا وأليصابات ثم ولدا ، ولكن لم يحدث أن عذراء تحبل وتلد ، ولذلك فإن هذه المعجزة معجزة غير عادية، ولم يحدث لها سابقا نظير، ولن يحدث مثلها فى مستقبل الأيام. لقد مرت على البشرية منذ آدم إلى اليوم آلاف السنين، فهل حدث فى كل هذه الآلاف من السنين أن عذراء أخرى غير مريم، حبلت وولدت وهى عذراء؟ لم يحدث بتاتاً، ولهذا فإن ميلاد السيد المسيح له المجد العذراوى، يظهر لنا من هو المسيح، ولذلك فإننا إذ نعتز بعذراوية مريم، إنما فى نفس الوقت وبالأحرى نعتز بهذا الحدث كبرهان عظيم على لاهوت المسيح، لأنه لم يولد على طريق البشر، ومن هنا فنحن نستطيع أن نتحدى إذا كان هناك نبى أيًا كان من الأنبياء، إذا كان فى كل التاريخ أى عظيم من العظماء أو رسول من الرسل قد نال مثل هذا الشرف ، أو ولد بطريقة السيد المسيح ، لايوجد أحد على الإطلاق ، المسيح وحده فى كل التاريخ هو الذى ولد من عذراء وهذا برهان لاهوته ، إن أصله ليس من الأرض، وليس من الرجل والمرأة، إنما قال (أنا خرجت من السماء) .

فالمسيح خرج من السماء لأن له وجوداً سابقاً على وجوده فى العالم ، لذلك لم يبدأ المسيح من الأرض، لم يبدأ من مريم... وإنما بدأ المسيح منذ الأزل ومن أجل هذا كان ميلاده العذراوى برهاناً على لاهوته، وعلى أصالة مصدره ، وعلى أن أصله ليس من الأرض، وإنما هو من السماء .

وميلاد السيد المسيح العذراوى هو البرهان أيضا على أنه وحده الفادى، لأنه لو ولد المسيح من رجل وامرأة ، كان قد ورث الخطيئة الجدية، فإذا تلطخ المسيح بالخطيئة الأصلية بميلاده من رجل وإمرأة، فهذا يعفيه من أن يكون مخلص العالم، لأنه سيكون هو نفسه فى حاجة إلى الخلاص، فلكى يكون المسيح بميلاده الطبيعى

بريئا من الخطيئة الأصلية، قادراً وكفيلاً بأن يخلص البشر، فلذلك ولد من العذراء بغير الطريقة الطبيعية حتى لايرث الخطيئة الأصلية، ويظل المسيح وحده بلا خطيئة، فيتحقق فيه ماوصفت به الحية النحاسية التى كانت وحدها فى البرية بلا سم، رمزا إلى المسيح الذى بلا سم الخطيئة ، فكان كل من يتطلع إلى هذه الحية النحاسية يخلص، وكان هذا كما قال مخلصنا له المجد " وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكى لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا ٣: ١٤، ١٥) .

فميلاد المسيح العذراوى برهان لاهوته كما قلنا، وهو أيضا برهان على أنه الوحيد الذى يكون فاديا للبشر، وليس غيره أحد ، وهذا معنى قول الرسول " وليس بأحد غيره الخلاص" (أعمال٤: ١٢) ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بيْن البشر، به ينبغى أن نخلص، وبهذا المعنى يردد الكاهن فى القداس الغريغورى هذه العبارة الكريمة " لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولانبيا ائتمنته على خلاصنا ، بل أنت بغير تحول تجسدت وتأنست وشابهتنا فى كل شىء ماعدا الخطية وحدها " .

ها العذراء تحبل ، كانت ولازالت معجزة الأجيال وكانت ولازالت عثرة لغير المؤمنين بالكتاب المقدس ، وبالدين المسيحى، الذين يقولون كيف هذا؟ ومن أجل هذه الصعوبة، عانى سمعان الشيخ أزمة فى حياته كلها، وبسبب هذه الصعوبة عاش من العمر أرزله، عاش مايزيد على ٣٤٠سنة حتى ضاقت حياته، وحتى تألم من طول أيامه وحينما رأِى المسيح على يديه قال " الآن ياسيد تطلق عبدك، على حسب قولك، بسلام ، فإن عينى قد أبصرتا خلاصك " (لوقا٢: ٢٩، ٣٠) . فما هى القصة وراء هذا ؟ ولماذا سمعان الشيخ بالذات يرتبط خروجه من العالم، على رؤيته للسيد المسيح؟ بعد أن رأى السيد المسيح وحمله على ذراعيه، روى لنا التاريخ أن سمعان طاف حول المذبح، ثم مال برأسه وأسلم الروح . وأقول ماهى القصة وراء هذا ؟ يروى التاريخ أن فى سنة ٢٨٢ قبل الميلاد كان فى مصر جالية يهودية، وكان الحُكم حُكم البطالمة، وكان البطليموس الذى يحكم مصر فى هذا الوقت بطليموس فيلادلفيوس الثانى وكان له مدير مكتبة اسمة ديمتريوس، وكان عالما وأديبا كبيرا ، عرض على الإمبراطور بطليموس إقتراحا، قال له إن مكتبتنا الفخمة العظيمة ينقصها كتاب فى غاية الأهمية .. ماهو ؟ قال له الكتاب المقدس عند اليهود ، يقصد به العهد القديم، قال ديمتريوس إن هذا الكتاب قيّم جدا وثمين جدا إذا نظرنا إليه من الناحية الأدبية، من ناحية الشعر والنثر والقصة .. ومن ناحية القدم لأنه كتاب قديم ، بل أقدم الكتب .

هذا من الوجهة الثقافية والعلمية التى أنت معتنى بها أيها الملك ، وللمنفعة العامة يجب أن يترجم هذا الكتاب إلى اللغة اليونانية ، وفى نفس الوقت ياملك أنت تصنع بهذه الترجمة خيرا لليهود وهم فى مصر جالية كبيرة ، لأن أكثرهم صاروا يجهلون لغة آبائهم العبرانية ، فاذا أسديت إليهم هذه الخدمة تجعلهم يميلون إليك ويسندون عرشك ، فأُعجب الملك بطليموس بالفكرة وقال إنه يحقق بها غرضين :

١- غرضا أدبيا .   ٢- غرضا سياسا .

وأرسل البطليموس إلى أليعازر رئيس كهنة اليهود فى أورشليم ، وعرض عليه رغبته، كما طلب منه أن يرسل إليه علماء يجيدون اللغة العبرانية واليونانية حتى يقوم اليهود أنفسهم بترجمة كتابهم المقدس بمعرفة علمائهم، ولايقوم بها اليونانيون أو المصريون لئلا يتهمهم اليهود فيما بعد بتحريف كتابهم المقدس، وفعلا أرسل إليهم أليعازر ٧٠ عالما من أعضاء مجمع السنهدريم، ولهذا السبب سميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية نظرا لعدد الذين قاموا بها ، ففرح بهم البطليموس وأكرم وفادتهم وخصص لكل واحد منهم غرفة ووزع العمل عليهم، فكان نصيب سمعان الشيخ أن يقوم بترجمة سفر إشعياء فلما جاء سمعان الشيخ إلى هذا النص " ها العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل .. " قال لو أنى ترجمت هذه الكلمة بالضبط كما هى يضحكوا علينا اليونان وهم وثنيون ، ويقولوا عنا أن اليـــــهود مجانين ، فيحتقروننا ويحتقرون ديانتنا ويحتقرون كتابنا المقدس ، ويحتقرون الإله الذى نعبده ويجدفون على اسم إله إسرائيل فلا بدّ أن أتحايل فى ترجمة الكلمة العبرانية بطريقة تمر بسلام ومن دون أن تثير هذا الاحتقار وهذا الإستهزاء ، ويقولون أن كتابهم كتاب خرافى لأنه من غير المعقول، بل ولا يمكن أن يحدث أن عذراء تحبل وتلد ، من يعقل أن عذراء تحبل؟

الكلمة العبرانية (هاعالما) معناها " البنت " التى لم يسبق لها زواج والكلمة اليونانية المقابلة للكلمة العبرية هى "بارثينوس" ، فقال سمعان الشيخ لو أنى ترجمت كلمة (هاعالما) إلى اليونانية بكلمة " بارثينوس" يضحك علينا اليونان ويجدفوا على إلهنا ويحتقروا كتابنا المقدس، وقالوا أنه كتاب خرافة ، لذلك من الأفضل ان أترجمها بكلمة (نيانيس) وكلمة نيانيس باليونانية معناها " شابة " أو " فتاة شابة" وهى كلمة تحتمل معنى "عذراء لم يسبق لها زواج" ، كما تحتمل معنى " امرأة متزوجة" صغيرة السن ، ولقد سر سمعان من هذه الفكرة وفرح فى نفسه عندما وُفق إلى هذه الكلمة التى تخلّصه من الأزمة، وبينما هو مسرور لأنه وفق إلى كلمة "نيانيس" بدلا من كلمة " بارثينوس"

وأمسك بالقلم ليكتب الكلمة، وإذا صوت من السماء يقول له " سمعان اكتب ماتقرأ وأنك لن تموت حتى ترى المسيح الرب " (لوقا٢: ٢٦) .

ولذلك اعتبرت الترجمة السبعينية فى نظر الكنيسة من أقدم الأيام ، ترجمة إلهية لأنها صحبها عمل الروح القدس . وجميع رسل المسيح الذين كتبوا الأناجيل والرسائل أخذوا النصوص التى اقتبسوها من العهد القديم عن هذه الترجمة السبعينية . وهذا أضاف قدسية جديدة فى نظرة الكنيسة إلى الترجمة السبعينية أو إلى الترجمة اليونانية .

كان سمعان الشيخ عندما قام بنصيبه فى الترجمة السبعينية شيخاً من أعضاء مجمع السنهدريم أكبر سلطة دينية، لايقل سنه عن ٦٠ سنة ، والترجمة كانت سنة ٢٨٢ قبل الميلاد ومعنى هذا أنه لكى تعرف السنين التى عاشها سمعان الشيخ إلى أن رأى السيد المسيح بعينيه يجب أن نضيف ٢٨٢ إلى ٦٠ سنة فيكون الحاصل ٣٤٢ سنة .

بهذه القصة التاريخية التى أيدها الوحى الإلهى تؤكد ميلاد المسيح العذراوى، وفى نفس الوقت تؤكد عذراوية العذراء مريم ، وتؤكد أن العذراء ستظل هى العذراء بالألف واللام معروفة بهذا اللقب إلى أبد الآبدين .

وهذا برهان ضمنى على أن العذراء ما تزوجت، ولايمكن أن تكون قد تزوجت، لا قبل ميلادها للمخلص ولا بعد ميلادها له ، بل ظلت إلى الأبد عذراء معروفة بهذا اللقب السامى الممتاز منفردة به بين جميع النساء . وتقول نبوءة إشعياء " ويدعى اسمه عمانوئيل " . أورد القديس متى الرسول هذا النص يفسر لنا كلمة عمانوئيل هكـــــذا " ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا " (متى١: ٢٣) ذلك أن كلمة " إئيل " باللغة العبرانية معناها " الله "، وكلمة "عما " معناها "مع" وكلمة " نو " أى " نا " فعمانوئيل معناها " الله معنا " وإذن فالمولود من مريم هو " الله معنا " . وهذا توكيد للاهوت المسيح، وأن المسيح المولود من العذراء هو الله . هو الله معنا أى هو الله وقد صار معنا. لأنه لبس صورة الإنسان ، وعاش مع الإنسان ، وأخذ شكل الإنسان، فهذا توكيد ضمنى للاهوت المسيح ، وبيان أنه هو الله وقد لبس صورة الإنسان ، وتوكيد ضمنى بأن العذراء ستظل عذراء إلى النهاية .

أَمُرُ سريعا إلى نبوءة أخرى ذكرها إشعياء النبى " وحى من جهة مصر هوذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر فتتزلزل أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر فى داخلها" فى الأصحاح التاسع عشر من نبوءة إشعياء (١٩: ١) يقول أولا " وحى من جهة مصر" وهذا بيان أن هذا الكلام من الله وأنه من الوحى الإلهى ، وأنه

يخص به مصر، وهذا شرف لمصر، أن يتحدث الوحى إليها وعنها، وعن أحداث تحدث فى مصر .

" وحى من جهة مصر، هوذا الرب" هوذا الرب، كلمة " الرب " بالألف والـــــلام " الرب " إشارة إلى الله الواحد الوحيد ، كلمة "رب" بغير الألف واللام، يمكن أن تقال عن إنسان ، فمثلا " رب الأسرة " أما إذا كانت بالألف واللام ففى هذه الحالة يقصد بها الله نفسه ، وبهذا المعنى وردت هذه الكلمة مراراً فى أقوال الوحى الإلهى، فيقول النبى " يقول الرب " أو يقول السيد الرب ، وطبعا المقصود بها الله الواحد الوحيد ، الضابط الكل ، وحاكم المسكونة . " هوذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر" متى حدث هذا ؟ متى ركب الرب على سحابة وجاء إلى مصر وكيف تحققت نبوءة النبى إشعياء ؟

واضح أن النبوءة قد تحققت كما قال القديس متى الرسول فى مجيء الرب يسوع المسيح إلى مصر راكب سحابة سريعة أو خفيفة ويدخل مصر، وقد تم هذا حينما دخلت العائلة المقدسة مصر قادمة من بلاد فلسطين هربا من وجه هيرودس. لكن المسيح ليس ضعيفا حتى يخشى هيرودس ، كان يمكن أن يبطش به وكان يمكن أن يخسف به الأرض، وكان يمكن أن يزيله من الوجود.. وكان لايمكن أن يقف هيرودس فى مكانه ، ولايستطيع هيرودس أن يمس المسيح بشيء ، ولكن هى حيلة مقدسة من الرب لكى يشرفنا بدخوله إلينا ، ويباركنا ، ويبارك بلادنا، هذه البركة التى ظلت إلى الأبد مرتبطة بشعبنا " مبارك شعبى مصر" (إشعياء ١٩: ٢٥) . وفى ذلك قال إشعياء " فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر .. فيُعرف الرب فى مصر، ويعرف المصريون الرب " (إش ١٩: ١٩-٢١) .

" الرب راكب على سحابة سريعة " من هى السحابة ؟ السحابة السريعة هى مريم العذراء كما يقول الآباء . ولماذا سميت بالسحابة السريعة؟ لأن السحابة فى نصاعتها وبياضها ترمز إلى مريم العذراء فى طهارتها.. والسحابة فى علوها وإرتفاعها ترمز إلى مريم العذراء فى سموها ، وفضيلتها، وإرتفاعها عن كل دنس وعن كل خطيئة، وفى سرعة السحابة رمز إلى النقاء، وإلى سرعة الاستجابة ، وإلى شفاعتها المقبولة .

راكب على سحابة سريعة ويدخل مصر ، فتتزلزل أوثان مصر من وَجهه ويذوب قلب مصر فى داخلها، وطبعا الإشارة إلى ماحدث فى التاريخ الطويل لدخول العائلة المقدسة فى مصر.. وكيف كان فى كل مكان تدخل فيه العائلة المقدسة كانت الأوثان تتحطم وتزول أمام خالق البرية، الأمر الذى جعل الناس فى بعض الأحيان يقومون

على العائلة المقدسة ويطاردونها، وفى بعض الأحيان كانوا يكّرمونها .. إذا آمنوا بالسيد المسيح، وعرفوا قدره ، وعرفوا ألوهيته ، وعرفوا أن هذا الطفل الصغير شيء كبير تتحطم أمامه الأوثان وتسجد راكعة .

ثانيا : نبوءة إرميا النبى :

ويقول إرميا النبى من سفره " فإن الرب قد خلق شيئا جديدا فى الأرض انثى تحيط برجل " (إر٣١: ٢٢). أمر عجيب، أمر جديد، لم يحدث من قبل، أما أن الرب قد خلق شيئا جديدا فى الأرض ولم يسبق له مثيل فهو على قول النبى" انثى تحيط برجل " وطبعا الأنثى هنا هى مريم العذراء ، والرجل هو سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح لأنه وهو الإله ولم يزل إلها أخذ صورة الإنسان وولد من مريم العذراء كما قال دانيال النبى " ورأيت فى رؤى الليل فإذا شبه ابن انسان " (دانيال٧: ١٣) . وقال " شبه " لأنه من كثرة البهاء الذى كان يحيط به كان دانيال يحس أنه لايمكن أن يكون هذا مجرد إنسان عادى ولهذا قال أنه شبه ابن انسان .

ثالثا : نبوءة حزقيال النبى :

بعد هذا نورد نبوءة حزقيال النبى فى أصحاح ٤٤ حيث يتكلم النبى عن الباب المغلق يقول : " فقال لى الرب أن هذا الباب يكون مغلقاً، لايفتح، ولايدخل منه رجل، لأن الرب إله إسرائيل قد دخل منه ، فيكون مغلقاً " (حزقيال ٤٤: ٢) .

" إن هذا الباب يكون مغلقاً " وهذا إشارة إلى غشاء البكارة فى السيدة أم النور ، لأن بكارتها لم تمس وهى مختومة بالخاتم الإلهى (هذا الباب يكون مغلقاً لايفتح). وهذا إشارة إلى أن مريم لم تصر زوجة ليوسف بالفعل، ولو أنهما كانا قد ارتبطا بعقد زواج رسمى، " لايفتح ولايدخل منه رجل لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " ..

لأن المسيح خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة، وهذا لايحدث إلا للسيد المسيح، لأنه لايمكن إنسانة تلد وبعد ذلك تظل بكارتها موجودة ، مستحيل، هذا غير طبيعى، لكن المسيح بقدرة لاهوته يخرج من بطن العذراء وتظل ختوم البكارة مصونة كما خرج من القبر والقبر مغلق ، لاتظنوا أن الملاك ميخائيل فتح القبر لكى يقوم المسيح حاشا حاشا!! الملاك ميخائيل نزل من السماء بعد أن قام المسيح ليدحرج الحجر وليعلن أن القبر فارغ وأن سيده قام. وهذا الموضوع هو ما روته مريم المجدلية بعد القيامة والصعود إلى طيباريوس قيصر، وأخذت البيضة لكى تبين له كيف قام

المسيح بسلطان لاهوته ، البيضة عندما تكون ملقحة وفيها جنين حيٍّ، ينقر البيضة ويخرج منها ، ولو لم يكن الجنين حيّ كانت تظل البيضة إلى الأبد، فلو لم يكن المسيح حيًّا لما خرج من القبر والقبر مغلق، ولم يقف على قبره أحد ليقيمه، هو وقف على قبر ليعازر لكن من الذى وقف على قبر المسيح ليقيمه ؟ قام بسلطان لاهوته ، لذلك أصبح من التقليد أننا يوم شم النسيم نحضر البيض ونلونه باللون الأحمر، واللون الأحمر يشير إلى دم المسيح .

دخل إلى العلية وأبوابها مغلّقة وهو بجسد طبيعى له عظام ولحم . وقال لهم تعالوا جسونى وتحققوا فإن الروح أو الشبح ليس له عظام ولحم كما ترون لى .

فهنا حزقيال النبى فى الأصحاح الرابع والأربعين يشير إلى هذه الحقيقة ، إلى بتولية العذراء الدائمة ، أى كانت عذراء وظلت عذراء ولم يحدث زواج بعد ميلادها للمسيح، وهذا ماقاله العلامة أوريجينوس "هذا هو ما تسلمناه من الكنيسة بتولية العذراء الدائمة " وهذا ماقاله القديس باسيليوس الكبير: إن المسيحيين لايطيقون أن يسمعوا عن زواج العذراء مريم ". عجباً للناس الذين ظنوا فى بعض الأوقات أن مريم العذراء بعد ولادتها للمسيح ولدت أولاداً آخرين . هذا التصور الردىء ، هذا التصور الكريـــــه ، التصور غير المعقول ، وغير المقبول، كيف؟ كيف ؟ كيف يجرؤ إنسان أن يقترب من هذا التابوت الطاهر ؟ من هذه السماء الثانية ؟ من هذا العرش الكاروبيمى ، من هذه المنارة الذهبية ، من هذه القبة السماوية، من هذا التابوت الإلهى ، من قسط المن ، من عصا هارون التى أفرخت لوزاً وبراعم ، معجزة كل الأجيال ؟ كيف يجرؤ أحد ؟ وكيف يمكن لمريم أن تفكر فى زواج ، بعد أن صار لها ملك السموات والأرض إبنا ؟ كيف يمكن أن تطمع فى زواج وترتبط بإنسان لكى تلد إنسانا آخر.. تصور عجيب غريب وغير مقبول وغير معقولٍ.. ولكن حزقيال النبى يرد على هذا التصور العقيم بقوله " هذا الباب ... فيكون مغلقاً " .

رابعا : بعض ماقاله داود النبى من نبوءات :

يقول داود النبى "قامت الملكة عن يمينك بذهب أوفير" (مزمور٤٤: ١) هنا الملكة نسبت إلى الملك والملك وصف بأنه أبرع جمالاً من البشر، وأنه إله "عرشك ياالله إلى دهر الدهور" (مزمور٤٤: ٧) فالملكة هنا أم الملك .. وأما ذهب أوفير فهو أرقى أنواع الذهب المعروف فى ذلك الزمان . والذهب هنا لا يشير إلى غنى مريم المادى ، فإن مريم فقيرة ، وعاشت فقيرة طول أيام حياتها، ولم تختلف شيئا عن إبنها الذى عاش

فقيرا كل أيام حياته .. " للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه " (متى٨ :٢٠)، (لوقا٩: ٥٨) فالذهب هنا ليس ذهبا ماديا إنما الذهب هنا إشارة إلى النقاء ، لأن الذهب أنقى أنواع المعادن، وأرقاها، وأغناها، والغنى هنا هو غنى النفس ، غنى الروح، غنى الجمال ، غنى الفضيلة التى اتصفت بها مريم العذراء . ولذلك يقول فى نفس المزمور " كل مجد إبنة الملك من داخل" (مزمور٤٤: ١٤) مجدها إذن ليس من خارج ، مجدها ليس فى ملابسها ، ولا فى أهلها ولاعائلتها ولاعلو نسبها أو مركزها الإجتماعى ، إنما كل مجدها فى داخلها ، وهذا يبرهن على فضيلة مريم .

ولما قال لها الملاك " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك " (لوقا١: ٢٨) وقوله " الممتلئة نعمة " لايقصد به الإنعام العادى الذى ينعم به على مريم ، إنما قصد أنها مملوءة من داخل، مشحونة من داخل فضيلة، أنها ممتلئة نعمة ، لهذا فإن عبارة الكتاب المقدس باليونانية وهى " كى خاريتوميني" معناها " أنها مملوءة من داخل بالنعمة " أى أن النعمة قد ملأتها من داخل .. الممتلئة نعمة ، وليس المنعم عليــها ، الممتلئة فضيلة " كل مجد إبنة الملك من داخل "، لأن مريم كانت نموذجاً ساطعاً فى الفضيلة والطهارة قبل أن تلد السيد المسيح، وقبل أن تحمل به، بل ومن أجل طهارتها، ونقاوتها، أُختيرت لهذه المهمة لأن الله لايمكن أن يختار لمهمته أى إنسان، إنما إختار الإناء المناسب ، فكانت مريم فى طهارتها ونقاوتها، والمدشنة فى طفولتها، لكى تكون فى الهيكل، لم يخدش حيائها ولا عينيها ولا أذنيها ما يدنس أفكارها، فعاشت مقدسة بالقلب، والفكر، والجسم، والعقل، مقدسة لائقة بالمكانة التى حملتها، لائقة أن تكون تابوتا، وسماءً ثانية، طاهرة تحمل الملك صاحب العرش . " كل مجد إبنة الملك من داخل " فضيلة وطهارة ونقاءً وقداسة وسيرة مرضية. إن الله فاحص القلوب والكلى يعلم أن مريم كبيرة فى داخلها، ومن أجل هذا أكرمها الرب وصنع معها عجائب، ورفعها إلى هذه المكانة ، وهى نفسها أدركت ذلك وقالت : " لأنه نظر إلى إتضاع أمته ، هوذا جميع الأجيال تطوبنى " (لوقا١: ٤٨) .

" قامت الملكة عن يمينك بذهب أوفير" هى نبوءة للعذراء مريم أنها ملكة، و" قامت عن يمينك " رمز للكرامة، واليمين رمز الرفعة والتكريم .

" جلست الملكة عن يمينك " ومن أجل هذا ترسم الملكة دائما عن يمين الملك، العذراء دائما تصور عن يمين المسيح، ودائما فى الفن القبطى أو الفن الأرثوذكسى بصفة عامة ، دائما تصور حيث يكون المسيح على ذراعها الأيسر، لكى تكون هى

دائما على يمينه إتماما لكلام النبى " قامت الملكة عن يمينه بثوب موشى من الذهب " ، والوضع الأمثل أن العذراء تأخذ المسيح على حجرها، ولذلك فى التسبحة نقول " أنت الذى فى حجرك الملائكة تسبحه " فالعذراء كرسى للمسيح يجلس عليه ، فهى مركبة شاروبيمية " الجالس فوق الكاروبيم " .

ويقول داود النبى " اسمعى يابنتى ، وانظرى ، وأميلى أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبيك، لأن الملك قد اشتهى حسنك "(مزمور٤٤: ١٢، ١٣). وفى بعض الترجمات يقول " اشتهى طهرك " لأن الحسن هنا ليس حسن الجسد الظاهر وإنما حسن القلب وطهارة الضمير، وهى الفضائل التى تميزت بها العذراء مريم " اسمعى .. شعبك " إن مريم لم تعد يهودية.. إن مريم لم تعد منسوبة إلى عائلتها، إنما صارت مريم أم الخليقة بأسرها، إنتقلت مريم إلى طور جديد، إلى لقب جديد، إلى مكانة جديدة، حقا أنها جاءت من اليهود، لكنها اليوم لا تعد من اليهود، ولا تعد من عائلة اليهود، ولا من عائلة داود .. وإنما مريم صارت فرعاً جديداً وانتقلت إلى مكانة جديدة .. " انسى شعبك وبيت أبيك فإن الملك اشتهى طهرك " والملك هو ربنا يسوع المسيح لأنه ملك الملوك ورب الأرباب ، واشتهى طهارتها ، ومن أجل هذه الطهارة تنازل وأخذ من جسدها ما كوّن جسده الذى اتحد به وصار فى شبه البشر .

خامساً : إشارة سليمان الحكيم إلى مريم العذراء :

وأخيرا سليمان الحكيم يشير إلى مريم العذراء فى مجدها وإلى طهارتها وإلى نقائها، يقول فى اصحاح ٣١ من سفر الأمثال: " بنات كثيرات عملن فضلا أما أنت فقد فقت عليهن جميعا " (أمثال٣١: ٢٩). هنا يشير إلى فضائل القديسات المعروفات فى العهد القديم ، فضيلة سارة ، ورفقة ، ومريم اخت هارون، وكثيرات منهن استير ويهوديت. ففى هذه إشارة إلى ميزة مريم العذراء التى تميزت بها على جميع العذارى، وأيضا إلى أن فضيلة مريم هى أعظم من كل الفضائل التى صنعتها النساء القديسات فى العهد القديم . وفى هذا توكيد للسبب الذى من أجله أُختيرت مريم ، وأنها لم تختر من قبيل التعبير عبثاً واعتباطاً، وإنما أُختيرت نظراً لفضيلتها " بنات كثيرات قد أنشأن لهن فضلا ، أما أنت ففقت عليهن جميعا " ..

فليباركنا المسيح إلهنا ، وليحفظ لنا دائما هذه السيرة المقدسة ، نموذجاً نتأملها ونتعلم منها ، وليعطينا الرب بشفاعة مريم العذراء أن ننال خلاص نفوسنا " وليباركنا الرب بكل بركة ، وليحفظكم الرب ، ولإلهنا الكرامة والمجد إلى الأبد آمين .

الرموز إلى العذراء مريم فى الكتب المقدسة(١)

بسم الله القوى الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين .

نطالع جزءاً من الأصحاح التاسع من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين بركاته علينا آمين " ثم العهد الأول كان له فرائض خدمة والقدس العالمى، لأنه نصب المسكن الأول الذى يُقال له القدس، الذى كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة، ووراء الحجاب الثانى المسكن الذى يقال له قدس الأقداس ، فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب، الذى فيه قسط من ذهب فيه المن وعصا هارون التى أفرخت ولوحا العهد، وفوقه كاروبا المجد مُظلّلين الغطاء، أشياء لسنا لنا الآن أن نتكلم عنها بالتفصيل، ثم إذ صارت هذه مهيأة هكذا يدخل الكهنة إلى المسكن الأول كل حين صانعين الخدمة ، وأما إلى الثانى فرئيس الكهنة فقط مرة فى السنة، ليس بلا دم يقدمه عن نفسه وعن جهالات الشعب، معلناً الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يُظهر بعد ، مادام المسكن الأول له إقامة، الذى هو رمز للوقت الحاضر الذى فيه تقدم قرابين وذبائح لايمكن من جهة الضمير أن تكمل الذى يخدم، وهى قائمة بأطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط موضوعة إلى وقت الاصلاح، وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أى الذى ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءاً أبديا، لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحرى يكون دم المسيح الذى بروح أزلى قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى " نعمة الله الآب فلتحل على أرواحنا ياإخوتى وأبنائى آمين .

فى هذه الأيام المباركة التى فيها نصوم الصوم المعروف بصوم العذراء مريم، والذى ينتهى فى السادس عشر من مسرى، بعيد صعود جسدها إلى السماء محمولاً على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة .

---

(١) محاضرة أُلقيت بكنيسة الشهيدة دميانة بالهرم بالجيزة - فى مساء الخميس الموافق ١٧ من أغسطس ١٩٨٩م - ١١ من مسرى ١٧٠٥ ش .

في هذه المناسبة وفي هذا المساء يكون حديثنا عن الرموز التي في الكتب المقدسة والتي ترمز إلى العذراء مريم وإلى كرامتها .

في هذا الأصحاح التاسع من الرسالة إلى العبرانيين يتحدث الرسول عن المسكن الأول وهو الهيكل وكيف أنه كان يتركب من القدس وقدس الأقداس ، وفي القدس كانت المنارة، وكانت المائدة التي عليها خبز الوجوه . وأخيرا كان مذبح البخور الذي كان بين القدس وبين قدس الأقداس . وأما في قدس الأقداس فكان تابوت العهد ، وكان لا يدخله إلاّ رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة ، وهو يوم الكفارة الذي حل محله في العهد الجديد يوم الجمعة الكبيرة .

يوم الكفارة هو اليوم الوحيد الذي يدخل فيه رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس ، وهو يحمل قسطاً من الذهب فيه دم الذبيحة التي ذبحها رئيس الكهنة، وقبل أن يذبحها اعترف بخطاياه وبخطايا الشعب، وبهذا نقل خطاياه وخطايا الشعب على رأس الذبيحة قبل أن يذبحها، ثم ذبحها وأخذ دمها في قسط من الذهب، ليدخل بها في هذا اليوم الواحد يوم الكفارة، يدخل بها إلى قدس الأقداس وينضح بها على تابوت العهد . الذي به لوحيِّ العهد المكتوب عليهما الوصايا العشر .

كان لوحيِّ العهد موضوعين في داخل تابوت العهد وأيضا معه قسط المن، وهو قسط من الذهب فيه بعض المن الذي كان ينزل على بني إسرائيل في أرض البرية عطاءاً من السماء، فأكل منه موسى ومن ذات المن أخذ منه عينة ووضعها في قسط من الذهب، ووضعها أيضا في تابوت العهد ليكون ذكراً أبدياً ، وفوق تابوت العهد كان منظر كاروبين ، الكاروبيم هم أرقى أنواع الملائكة وهم حملة العرش أو المركبة، والكاروبين مظللين بأجنحتهما على تابوت العهد، وفي لقاء الأجنحة يتكون كرسي اسمه كرسي الرحمة ، هذا الكرسي كان رئيس الكهنة يدخل وينضح بالدم لينال الغفران عن نفسه وعن شعبه . وفوق هذا الكرسي حيث تلتقي أجنحة الكاروبين كانت توجد سحابة مضيئة ومظللة، وهذه السحابة في داخل قدس الأقداس المغلق من جميع النواحي، فهي ليست سحابة عادية إنما هي ترمز للحضرة الإلهية .

هذه صورة المسكن الأول ، أي الهيكل في العهد القديم، وبولس الرسول نقلها لنا في العهد الجديد لِمَا فيها من إشارات ومن رموز إلى العهد الجديد .

ولكن ونحن في هذه المناسبة مناسبة صوم السيدة العذراء نتحدث عن هذه الرموز وما فيها من إشارات للعذراء مريم .

لقد أحرزت الطاهرة والدة الإله مقاماً سامياً جليلاً رفعها فوق البشر أجمعين بل وسما بها أعظم من الملائكة القديسين، لأنها استحقت أن تكون أماً للإله ووالدة لخالق الأرض والسموات وقد صدقت إذ قالت: " أن القدير صنع بى عظائم " (خر٦: ١-٨).

ولدى تأملنا فى طقوس العهد القديم والرموز إلى العذراء ونبوءات الأنبياء نجد أن منها مايشير إلى المقام العظيم الذى نالته والكرامة التى استحقتها .

١- المسكن :

فالمسكن هو الهيكل ، وكلمة الهيكل هى كلمة عبرانية معناها بيت ، فالهيكل بيت الرب، لأن الرب يظهر بنوع من التجلّى فى هذا البيت ، ويعد مسكن لأن الرب بنوع ما يسكن فى هذا البيت ، فرأت الكنيسة فى هذا المسكن أو فى هذا البيت أو فى هذا الهيكل صورة للعذراء مريم . لأن الله سكن فيها ورأى فيها أيضا سماءاً ثانية، إشارة إلى أن الله نزل وأصبح له وجود فى بطن العذراء مريم، فبطن العذراء مريم صارت للرب سماءاً ثانية . لأن الرب نزل من السماء إلى بطن العذراء ، وقال المسيح له المجد : " ليس أحد صعد إلى السماء إلاّ ذلك الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء " فلم يصعد أحد إلى السماء العليا من البشر إطلاقا ، إلاّ واحد وهو ذلك الذى نزل من السماء وهو المسيح . الذى وهو فى صورة الإنسان ابن الانسان ، سمى المسيح بابن الانسان لأنه أخذ صورة الإنسان ، تلبس بشكل إنسان، ولأنه أيضا ولد من إنسان وهى مريم . فهو ابن الانسان بهذا المعنى ، لكن هو بنفسه الله ، نزل ولكن حينما كان على الأرض فى نفس الوقت كان هو فى السماء . بينما كان على ركبتى العذراء مريم، كان جالساً على الكاروبيم وهم أرقى أنواع الملائكة، وهم حملة العرش، الذى قال حزقيال النبى عنهم فى رؤياه رأى الكاروبيم وهم من نور ونار وفوق الكاروبيم شبه مقبب وفوق المقبب شبه عرش وفوق العرش شبه إنسان وهو المسيح فى صورة إنسان . وكلمة " شبه " فمن كثرة البهاء والنور لم يكن يقدر أن يُملى عينه منه ، فقال شبه عرش وفوق العرش شبه إنسان .

السماء الثانية :

فهنا العذراء مريم سميت بالسماء الثانية لأن الله سكن فيها، كما أنه ساكن السموات سكن فى العذراء مريم، توجد صورة جميلة رأيتها فى أحد الكنائس، تظهر فيها العذراء مريم فى وضع كبير ويظهر فى بطن العذراء مريم المسيح فيها ورافع يديه كسيد للخليقة وسيد للطبيعة ، فى داخل بطن العذراء ، لكى يكون تطبيق عملى أن السيدة

العذراء أصبحت السماء الثانية لأن الله سكن فيها ، وهى باب السماء، لأن الله ساكن السماء عندما دخل إلى العالم دخل من مريم فصارت باب السماء لإله السماء والأرض، نقول فى التسبحة " النور أشرق من مريم " .

المسكن الأول هو الهيكل لأن الله سكن فى الهيكل، وصارت العذراء أيضا مسكن وسكن الله فيه .

وهناك رمزا آخر فى العهد القديم هو : **تابوت العهد** .

٢- تابوت العهد :

تابوت العهد كان عبارة عن صندوق من خشب السنط المغشى بالذهب ، أو المطعم بالذهب، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وارتفاعه ذراع ونصف، مغشى بذهب نقى من داخل ومن خارج، وله إكليل من ذهب حواليه، وله غطاء من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وعلى طرفى الغطاء كاروبان من ذهب ــ كاروبان مثنى كاروب ــ كاروب على الطرف من هنا وكاروب على الطرف من هناك ، وكان الكاروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق ومظللين بأجنحتهما فوق الغطاء ، ووجهاهما كل واحد إلى الآخر، نحو الغطاء كانا وجها الكاروبين (خر٣٧: ١-٩) ، ولاحظوا أن الكاروبان وهما فوق الغطاء كانا يعملان بإمتداد الأجنحة مايشبه الكرسى ، وكانت هناك سحابة تظهر فوق الكرسى، والسحابة كيف جاءت إلى قدس الأقداس، الهيكل القديم كان مكعب مغلق من جميع النواحى ، من فوق مقفول ، وفيه حجاب كثيف يمنع من الدخول، لم يكن مصرح لأحد أن يدخل إلى قدس الأقداس، لأن قدس الأقداس فى الهيكل القديم كان يشير إلى السماء، فلا يصرح لأحد أبدا أن يدخل إلاّ رئيس الكهنة مرة فى السنة. ليشير إلى المخلص والمسيح الفادى الذى سيأتى ويصلب مرة، وبدمه يدخل إلى الأقداس فيجد فداءاً أبدياً كنائب عن البشرية، مرة واحدة فى السنة يدخل رئيس الكهنة، كان يدخل بعد أن يذبح ذبيحة عن نفسه وعن خطايا الشعب، ويضع يده على رأس الذبيحة قبل أن يذبحها، لينقل خطيئته وخطيئة الشعب على هذه الذبيحة ، ليكون فيها معنى الفداء، ثم الدم الذى يضعه فى قسط من الذهب يحمله فوق رأسه علامة العداوة بين العدل الإلهى وبين الإنسان، وإشارة إلى الحاجة إلى سفك دم من أجل الخلاص ، ويدخل مرة واحدة فى السنة إلى قدس الأقداس ، وهناك ينضح من دم الذبيحة أمام التابوت، وإما أن يُقبل وإما أن يُرفض، وفى بعض الأحيان كان يُرفض فيضرب رئيس الكهنة ويموت فى داخل قدس

الأقداس، وتحوطاً لهذا كان يربط بسلسلة ذهبية فى قدمه حتى إذا تأخر عن موعد معين، يفهمون أنه قد ضرب ومات، ولكن لايجرؤ أحد أن يدخل إلى قدس الأقداس فيسحبونه بالسلسلة الذهبية ، ولذلك عندما دخل زكريا إلى الهيكل وتأخربسبب بشارة الملاك له انشغل الشعب فى الخارج ، تأخر رئيس الكهنة كان فى ذلك الوقت علامة على أنه غير مقبول أمام الله .

وفوق التابوت كاروبان، وهما تمثالان من ذهب يمثلا الكاروبيم فى السماء .

ولكن السؤال من أين جاءت هذه السحابة وقدس الأقداس مغلق من جميع النواحى؟ إذن هذه السحابة تشير إلى الحضرة الإلهية ، فهى ليست سحابة عادية من السحاب الطبيعى الذى نراه فى السماء. لا ، إنها سحابة من نوع معين فى قدس الأقداس المغلق من جميع النواحى. مكانها فوق الكاروبيم " أنت الجالس فوقَ الكاروبيم " إذن هذه السحابة هى الحضرة الإلهية أو تشير إلى الحضرة الإلهية، والسحابة عميقة لأنها تشير إلى الله والله أعمق ، لاتدرك أعماقه فلا يستطيع الإنسان أن يراه كما هو فى حقيقته، وأيضا يسمى الكاروبان بكرسى الرحمة ، إذن من هو الرحمة ؟ هو الله .

وتابوت العهد موضوع فى قدس الأقداس ؟ وفوق الغطاء الكاروبان بأجنحتهما التى تمثل الكرسى وفوق الكرسى سحابة، ما معنى كل ذلك ؟ كل هذا تمثيل للسماء والعرش الإلهى ، وتصوير للحضرة الإلهية فى صورة قريبة إلى الذهن الإنسانى وإلى طبيعة الإنسان لكى يشعر بالرهبة، نحن كائنات حسية لانقدر أن نتصور السماء ، ولانقدر أن ندركها تماما، إنما المنظر الحسى يعطى رهبة فى الإنسان ويعطى إحترام وتوقير وإحساس، وهذا أيضا يجعلنا أن لاتكون عبادتنا عبادة روحية خالية من الطقوس، وهذا كلام للذين ينقدوا فكرة الطقوس فى الكنيسة، لأن الإنسان روح وجسد مثل ماقال يوحنا ذهبى الفم : أيها الإنسان لو كنت عاريا عن الحس لكانت عطايا الله تمنح لك على هذا النمط ، ولكن حيث أن روحك متحدة بجسدك فلازم أن الله يعطيك بعلامات محسوسة الأمور التى لاتدرك إلاّ بالعقل .

من هنا أهمية الطقوس فى الديانة ، هى المسامير التى تربط الإنسان بالدين، ولولا الطقوس لضاعت الديانة وهذا ما يقوله علماء الإجتماع ، لاحظ علماء الإجتماع أن الديانات التى ليس لها طقوس تنقرض ، إنما الديانات ذات الطقوس هى الثابتة وهذا ما قاله أحد علماء البروتستانت : لأن " إهمال الطقوس فى الكنائس البروتستانتية أدى إلى تفشى داء الكفر والإلحاد بين العامة " لماذا ؟ لأن الإنسان حسى بطبيعته ، فضرورى من الطقوس ليس للأطفال فقط ولكن لكل إنسان ، وأنت عاقل وسنك كبير عندما ترى

كتاب فيه صور، أول شيء تنظر إليه الصور، لأنك إنسان تتأثر بالصور، وهنا ليس المجال لنتكلم عن أثر الصور فى التعليم بالنسبة للأطفال وبالنسبة للشباب وبالنسبة لنا كلنا ، ولذلك الرحلات دائما أحسن وسيلة للتعليم ولتثبيت المعلومات فى أذهان التلاميذ، أنه يرى الأشياء على الحقيقة على الطبيعة ، ونحن كائنات حسية لابد للكنيسة من أن تقدم الديانة مغلفة بطقوس ، والطقوس وسائل تعليمية عظيمة صامتة ، لذلك الأطفال الذين لايفهمون القراءات أوالوعظ يحبوا الكنيسة ، ويكون أعظم عقاب للطفل لو أمه تحرمه من الكنيسة لماذا ؟ لأن الطقوس ذات رسالة عظيمة ، والطقوس تشمل الأشياء المرئية التى تراها العين والأشياء التى تسمعها الأذن مثل الموسيقى ، كلكم تعرفون أن الموسيقى لها رسالة إنسانية أبدية ، والفن رسالة عظيمة لا نهاية لها، والدين والفن مرتبطان معا. ولم يحدث أبدا تناقض بين الفن والدين ، فالطقوس تعبيرات فنية سواء كانت الصور أو الملابس الكهنوتية أو الموسيقى أو البخور، كل هذه الطقوس وسائل تعليمية عظيمة وتعبيرية، الواحد فينا حتى عندما يتكلم يعطى تعبيرا حركيا عما يقوله من كلمات حسب المعنى والمجال والمناسبة .

كان التابوت فى قدس الأقداس، وكان الرب يحل على التابوت ويكلم موسى من على الغطاء من بين الكروبين (خر ٤٠: ٣، ٢٠ ، ٢١) .

التابوت رمز إلى العذراء من حيث أنه حل فيها الاقنوم الثانى من الثالوث كما كان الرب يحل فى التابوت .

كان التابوت مغشى من الذهب النقى من الداخل والخارج كذلك كان الذهب النقى رمز إلى نقاوة السيدة وطهارتها ورمزاً إلى الكرامة التى نالتها دون نساء العالمين .

قلنا أن تابوت العهد وفوق منه كاروبيم وكرسى الرحمة والسحابة ، كل ذلك يشير إلى السماء ، ولكن تابوت العهد على الأرض .. لأن الله نزل أو صار له وجود على الأرض ، وذلك عن طريق العذراء مريم، لأن النزول على الأرض بالصورة المعروفة هى نزوله فى التجسد، من هنا وصفت العذراء مريم أنها التابوت. ولكن وصفوها بالتابوت العقلى والتابوت العقلى له ميزة عن التابوت المصنوع من السنط والمغشى بالذهب، ولماذا الذهب ؟ لأن الذهب أنقى المعادن وأطهرها وأغلاها، والعذراء توصف بأنها تابوت ذهب، لأن روحها وحياتها غالية ومن ذهب تمييزاً لها، وإظهاراً لكرامتها وإظهاراً لجمالها وإظهاراً لنقائها وصفائها، فوصفت بأنها تابوت العهد ، التابوت العقلى والتابوت الذهب، لأن الله نزل وحل فيها فصارت هى له تابوت .

كان تابوت العهد فيه لوحا الشريعة، وبهما كلمة الله المكتوبه بأصبع الله ، والعذراء حل فى أحشائها كلمة الله ، ولوحا العهد مكتوب عليهما الوصايا العشر التى تسلمها النبى موسى، لوح عليه أربع وصايا وهى تمثل الوصايا التى يلتزم بها الإنسان نحو الله، ثم اللوح الثانى عليه ست وصايا، وهى التى تمثل ما يلتزم به الإنسان نحو الناس، هذان اللوحان الله أمر بأن يوضعا فى تابوت العهد ومعنى هذا أن كلمة الله فى تابوت العهد .

من هنا كانت مريم العذراء التى نزل كلمة الله إليها، ولكن هنا الكلمة بالمعنى الآخر " فى البدء كان الكلمة " ليس فقط الكلمة المكتوبة أو الأمر الإلهى، ولكن الكلمة الفاعلة ، الكلمة التى به خلق الله السموات والأرض " به كان كل شىء ، وبغيره لم يكن شىء مما كان " الكلمة الخالق ، ولذلك يعجبنى الإنجيل الفرنشاوى ففى الآية " فى البدء كان الكلمة " هنا لا يقول الكلمة بمعنى لفظ ولكن يقول الكلمة بمعنى فعل ، الكلمة الفاعلة الخالق به كان كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان ، فرأت الكنيسة فى تابوت العهد رمزاً إلى العذراء مريم لأن فيها نزل كلمة الله وحل فيها وصارت هى المحتوى الذى يحوى كلمة الله .

٣- قسط المن :

وأيضا يوجد فى هيكل العهد القديم، قسط من الذهب فيه المن، قسط المن هذا علبة، من ذهب، ولماذا الذهب؟ أيضا لأنه أثمن المعادن وأغلاها وأصفاها وأنقاها وهو يرمز إلى العذراء التى حل فى أحشائها المن السماوى ربنا يسوع المسيح ، وكونه من ذهب نقى فهو يشير إلى :

١- كرامة العذراء .

٢- إلى نقاوتها وطهارتها وعفافها وبتولتها .

وماهو المن ؟ لما كان بنى إسرائيل فى الصحراء اشتهوا أن الله ينزل عليهم المن، وهو مثل فطائر بعسل ، ينزل مثل الثلج ويجمعوه، ينزل من السماء ، ما معنى أن الله أمر موسى أن يحفظ جزء من المن فى قسط ويضعه فى تابوت العهد ؟ المعنى أن لا ينسى بنى إسرائيل فضل الله عليهم، أنه أطعمهم المن فى البرية وهو الخبز السمائى، لأنه لم يخبز باليد البشرية، إنما نزل من فوق، وكلمة نزل من فوق أى من السماء فيها إشارة إلى المسيح، والمسيح نفسه قال هذا الكلام قال: " أنا الخبز الحى الذى نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المن فى البرية وماتوا " أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من

السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم، وإن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة، من أين تأتى الحياة ؟ لأنه هو الخبز الحى ، أنتم أغصان لو إنقطعتم من الشجرة لابد أن تموتوا، الغصن حياته يأخذها من الكرمة ، ولابد أن يكون الغصن ثابت فى الكرمة لكى تنتقل عصارة الحياة التى فى الكرمة إلى الأغصان، " أنا الكرمة وأنتم الأغصان " " أنا الخبز الحى الذى نزل من السماء " إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا " إن أكل، انظر الكلمة هنا " إن الشرطية "، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا ، وإن لم تأكلوا جسد إبن الانسان وتشربوا دمه فلا تكون لكم حياة فى أنفسكم " (يو٦: ٥٣) وهنا طبعا المقصود الحياة الأبدية. أنا الخبز... ليس كما أكل آباؤكم المن فى البرية، إذن هنا مَنْ آخر، جاء من فوق، جاء من السماء لكنه هو غير المن الذى أكله بنى إسرائيل، والذى تشير إليه ، وترمز إليه الكنيسة تسميه المن العقلى .

فمن هنا إحتوى تابوت العهد قسط من الذهب فيه المن، وهذا القسط من الذهب رمزاً إلى العذراء مريم التى احتوت المن العقلى . لذلك الذى يأكل منه لايموت (يو٦: ٤٩) ، هذه إشارة واضحة أن المسيح نفسه هو خبز الحياة وشجرة الحياة ، الذى منه يأكل الإنسان ولايموت ، شجرة الحياة هى التى يأكل منها الإنسان فيحيا إلى الأبد، التى كشفها الله لآدم ولم يعطه الحق أن يأكل منها إلا إذا نجح فى الإمتحان، ولكن حيث أنه فشل فمنعه الرب أن يقترب إليها، وأقام الكاروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة، وليمنع الإنسان من أن يقترب إلى شجرة الحياة، ولذلك نقول فى القداس الغريغورى " أظهرت لى شجرة الحياة " لذلك فى سفر الرؤيا أصحاح ٢٢ يقول الذى يغلب أعطيه السلطان أن يأكل من شجرة الحياة ليحيا إلى الأبد فشجرة الحياة هى المسيح ، أنا الكرمة وأنتم الأغصان، لا حياة للغصن فى ذاته إن لم يأخذ عصارة الحياة من الكرمة ، " والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم " (يو ٦: ٥١)، لذلك القربان المقدس فى سر الشكر هو المن السماوى لأنه جسد الرب ودمه وهو شجرة الحياة ، من يأكل منه يحيا إلى الأبد، " إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد " (يو٦: ٥١)، هنا شرط، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، وإن لم يأكل؟ " إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فلا تكون لكم حياة أبدية " (يو٦: ٥٣) .

فقسط المن هو وعاء من ذهب يحوى المن ، فرأت الكنيسة فى قسط المن رمزاً إلى العذراء مريم ، لأنها حملت المن السماوى جسد الرب ودمه ، سر التناول هو المن العقلى ، إذن قسط الذهب هو العذراء مريم التى حملت المن العقلى ، وشجرة الحياة

هى المسيح نفسه ، الخبز الحى الذى نزل من السماء ، ومرة أخرى لماذا من ذهب ؟ لأن الذهب هو أنقى المعادن جميعها ، وأطهرها وأغلاها ، والعذراء مريم تتميز بنقائها وطهارتها عن جميع النساء ، طاهرة الطاهرات ، نقية النقيات ، العذراء دائما وكل حين .

٤- عصا هارون :

وهناك أيضا فى تابوت العهد **عصا هارون** ، التى عُرفت أنها أفرخت وأخرجت براعم وأزهرت زهراً ، وأنضجت لوزاً (الخروج ١٧: ٨) ، وهذه معجزة أراد الله بها أن يُعّين هارون أنه المختار ليكون كاهنا ورئيس كهنة فى العهد القديم، معروف عن العصا أنها غصن شجرة ولأنه قطع من الأصل فجف ويبس ، بعد هذه اليبوسة لايمكن أن يخرج منه عادة براعم أو يفرخ مرة أخرى ، لكن حدث عندما أراد الله أن يُظهر من الذى اختاره ليكون كاهنا ، فأمر موسى بأن يأخذ عصىً أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر، كان كل رجل فى القرون القديمة يحمل عصا لكى يحمى بها نفسه من الكلاب ومن الحيوانات واللصوص وما إلى ذلك ، فكان لكل واحد من أسباط بنى إسرائيل عصا ، فالله لكى يبين بعلامة محسوسة من الذى اختاره، ليكون من بين الأسباط الإثنى عشر سبط الكهنوت ، فأخذ عصىّ الأسباط ووضعها فى الهيكل ، وفى اليوم الثانى العصا المكتوب عليها اسم هارون أفرخت ، فكانت معجزة تَبَّين منها إرادة الله فى إختيار هارون للكهنوت ، ولماذا معجزة ؟ لأنه ليس من العادى أن العصا بعد أن تكون يبست تفرخ وتخرج براعم ، معجزة من هذه الناحية .

ومريم وهى بنت عذراء إستحالة أن تلد حسب الطبيعة، فكونها ولدت المسيح فهذه معجزة المعجزات ، لم تحدث فى كل التاريخ الماضى والحاضر والمستقبل ، هذه قصة فريدة ليس لها نظير فى التاريخ أن عذراء تحمل وتلد، فهى من هنا **عصا هارون**، لأن العصا الجافة اليابسة أخرجت براعم!! كذلك العذراء كونها وهى عذراء تحبل وتلد هذه معجزة، فمن هنا سميت بعصا هارون أو رأى الآباء عصا هارون رمز للعذراء مريم.

فإذن كان فى تابوت العهد لوحا العهد وهى كلمة الله .

وكان فيه قسط المن . وكان فيه أيضا عصا هارون .

٥- المجمرة :

أيضا المجمرة أو المبخرة التى يصعد منها البخور، هذه المبخرة أو المجمرة كانت من ذهب وفيها الجمر الذى كان يوضع عليه البخور العطر ، فيخرج رائحة البخور

العطرة ورائحة العنبر الذكى كرائحة بخور ذكية للرضا عن الإنسان . هذه أيضا رأت فيها الكنيسة رمزا للعذراء مريم ، لماذا ؟ لأن المجمرة تحمل فى بطنها جمراً متوهجاً، وما هو الجمر؟ هو المسيح له المجد ، الجمر يتكون من فحم متحد بالنار، وأصبح له خاصية الفحم من حيث الكتلة والوزن والحجم والمادة المنظورة، ولكن أيضا النار التى تتحد بالفحم تعطى معنى الإضاءة والتوهج والإحراق ، وهذه طبعا تشير إلى لاهوت المسيح له المجد ، لأن لاهوته اتحد بناسوته فصار المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ، طبيعة واحدة من خصائص الطبيعتين ، اللاهوت اتحد بالناسوت ، اتحاد بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ، لا يمكن الفصل بينهما لأنه حدث اتحاد، لكن لو وضعت حبتين حبة شعير وحبة قمح معا تستطيع أن تفصلهم ، وهذا ما يسموه الاختلاط ، الشعير والقمح مختلطين معا تقدر أن تفصلهم ، لذلك فى اتحاد اللاهوت بالناسوت نقول بغير اختلاط ، ثم فى السوائل ممكن تمزج الخمر بالماء ، لكن لاهوت المسيح اتحد بناسوته بغير امتزاج ، لأنك تستطيع أن تفصل الخل من الماء أو الخمر من الماء بعملية كيميائية، وأيضا عندما تغلى مثلا الكبريت والحديد معا يتحولا إلى مادة اسمها كبريتيد الحديديك، وكبريتيد الحديديك لاعلاقة له لا بالكبريت ولا بالحديد ، فهى مادة جديدة نتجت من المزج أو الجمع ما بين الكبريت والحديد، لكن هذا الجمع ليس اتحاد ، بل كوّن مادة جديدة لا علاقة لها لا بالكبريت ولا بالحديد .

أما اتحاد لاهوت المسيح بناسوته فلم يحدث تغير أبدا مثل التغير الذى يحدث فى اتحاد الكبريت بالحديد ، فلا زال اللاهوت موجود والناسوت أيضا موجود لم يحدث تغيير، لذلك نقول اتحاد بغير اختلاط . وبغير امتزاج وبغير تغيير. فالجمر عبارة عن اتحاد الفحم بالنار لكن مع إحتفاظ الجمر بخصائص الفحم وخصائص النار لأنه حجم وكتلة وهى خصائص الفحم ، والنار خصائصها التوهج والاحراق ، فالاتحاد فى الجمر مابين الفحم والنار لم يفقد لا الفحم خصائصه ولا النار خصائصها ، هكذا اتحاد لاهوت المسيح بناسوته .

المهم أن الجمر يشير إلى المسيح نفسه بإعتبار أن المسيح اتحد به اللاهوت والناسوت ، والمجمرة هى حاملة الجمر وهى العذراء ، وهذه نجدها فى ألحان ومدائح الكنيسة " أنت هى المجمرة الذهب النقى " فهى تعتبر مجمرة لأنها حملت الجمر الذى هو لاهوت المسيح المتحد بناسوته. وذهب لأن الذهب أنقى المعادن وأغلاها. والعذراء متميزة بنقاوتها وطهارتها وقيمتها عند الله. المجمرة هى التى نسميها بالقبطى شورية ، " تى شورى إن نوب " ، تى شورى هى المجمرة ، إن نوب هى الذهب ، " المجمرة

الذهب النقى هى العذراء وعنبرها هو المسيح " لأن الرائحة الجميلة الذكية هى عمل الفداء الذى قام به المسيح ، فهذا كان فيه ترضية للعدل الإلهى، ومن هنا فهو العنبر وأيضا هو الجمر. فالمبخرة ترمز إلى العذراء التى حملت اللاهوت، أنت هى المجمرة وعنبرها هو المخلص، وهذا مايجعلنا عندما نقول عن المسيح أنه تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء فى القداس الإلهى، نأخذ المستير من على الكأس ونضع فيه البخور ونضعه فى المجمرة تكريماً وإشارة إلى كرامة وحقيقة التجسد الإلهى وأن مريم هى المجمرة .

لحن العذراء :

" هذه المجمرة الذهب النقى الحاملة العنبر التى فى يدى هرون الكاهن يرفع بخوراً على المذبح " .

لحن العذراء يتلى فى بعض المناسبات (فى عيدَى الصليب، وفى الأكاليل وفى حل الزنانير، وفى الساعة التاسعة من الجمعة الكبيرة) .

المجمرة الذهب هى العذراء، وعنبرها هو مخلصنا ولدته وخلصنا، وغفر لنا خطايانا.

وفى أيام الصوم الكبير :

" أنت هى المجمرة الذهب النقى الحاملة جمر النار المبارك " .

في القداس عند ذكر أن التجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم . يضع الكاهن بخورا فى المجمرة إشارة إلى هذه الحقيقة .

والعنبر يرمز إلى المسيح " لرائحة أدهانك الطيبة ... اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك العذارى " (نش ١: ٣) .

ولذلك نجد فى العهد الجديد المجمرة تكون فى الهيكل بإستمرار، تلاحظ فى الأزمنة الأخيرة الشماس بعد بخور المجمع ينزل بالمجمرة من الهيكل ويصرفها ، هذا خطأ .. لابد أن المجمرة تبقى فى الهيكل بإستمرار، وعندنا الكنائس القديمة يضعوا فى باب الهيكل حلقة كان يعلق بها المجمرة، لتبقى بإستمرار رائحة البخور صاعده ، وهذه لها معناها ، وكان فى الهيكل فى العهد القديم مذبح يسمى مذبح البخور موجود بين القدس وبين قدس الأقداس ليصعد منه البخور .

فياليت نعود إلى هذا الوضع أنه يكون فيه حلقة فى باب الهيكل تُعلق فيه المجمرة حتى نهاية القداس .

٦- المنارة :

بعد ذلك عندما ندخل إلى القدس نفسه نجد **المنارة** ، ماهى المنارة ؟ المنارة مثل الشمعدان مصنوعة من الذهب لأنه لايوجد معدن غير الذهب يعطى معنى الصفاء والنقاء وإرتفاع القيمة والكرامة وفيها سبعة شعل أو سبعة مصابيح ورقم ٧ من أرقام الكمال وكانت فى القدس ، فالمنارة وعاء حاملة النور، فالست العذراء شبهت بالمنارة، وأيضا من الذهب، لأن الذهب كما قلنا أنقى المعادن وأفخرها وأغلاها فالمنارة الذهب حاملة النور، من النور ؟ المسيح . " أنا النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم " كما قال إنجيل يوحنا "كان النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان .. "، ولماذا قال الحقيقى؟ لأنه قال للآباء الرسل " أنتم نور العالم "، إذن ما الفرق بين المسيح وبين الرسل ؟ الفرق أن المسيح هو النور الحقيقى ، إنما الرسل النور المنعكس أو النور المستعار ، مثل القمر؟ القمر الذى نرى نوره هو فى الأصل وفى الحقيقة جسم معتم لكننا نراه منور، النور الذى فيه ليس منه ، هو نور الشمس منعكس عليه، هذا هو الفرق بين المسيح بإعتباره هو النور الحقيقى وبين الآباء الرسل الذى قال لهم: " أنتم نور العالم " .

الآباء الرسل والقديسون الآخرون يأخذوا من نور المسيح ويعكسوا على العالم ، يتحولوا إلى أجساد مشعة .

فهنا الست العذراء ليست هى النور، ولذلك نقول لها ، نعظمك ياأم النور ، وهى حاملة النور هى المنارة ، المنارة حاملة النور إذن من هو النور ؟ هو المسيح .

وبالمناسبة الكنيسة بإستمرار تعمل لها منارة لماذا؟ لكى نضع النور، كان فى القديم يضعوا فيها سراج بالزيت وليس بالكهرباء لكى تنير، هذا النور يقود الناس إلى الكنيسة لمعرفة الله ، فالمنارة ليست هى النور لكنها حاملة النور ، هى التى تقدم المسيح للعالم " تعالوا واخلصوا وإلتفتوا إلىّ ياجميع قبائل الأرض "، إذن المسيح هو النور، والكنيسة هى حاملة النور، هكذا العذراء مريم حاملة النور، هى المنارة ، وهذا هو السبب أن آباء الكنيسة رأوا فى المنارة الموجودة فى القدس أنها رمز إلى العذراء مريم لأنها حملت النور وهو المسيح .

فالعذراء هى المنارة الذهبية التى يخرج منها النور فيضىء فى الهيكل... هى ترمز إلى العذراء، والنور هو المسيح " أنا هو نور العالم " .

والمنارة فى التاريخ يُذكر أن محمد على الكبير رأس العائلة المالكة كان عائدا من إحدى حملاته، فتاه فى البحر الأبيض المتوسط ولم يكن هناك بوصلة فى ذلك الوقت لإرشاد السفينة، فنور قنديل كنيسة مارمرقس بالأسكندرية رآه محمد على من بعيد فاهتدى إلى الأسكندرية، ومن فرحه أوقف وقفية ٧٠ صفيحة زيت لقنديل كنيسة مارمرقس بالأسكندرية .

٧- مائدة خبز الوجوه :

مائدة خبز الوجوه ، ما معنى مائدة خبز الوجوه ؟ أيضا فى القدس وهو المسكن الأول ، غير قدس الأقداس ، فيه مائدة من ذهب يوضع عليها خبز ودائما يكون الخبز ١٢ رغيف، عدد أسباط بنى إسرائيل ١٢، وهو من الأعداد المقدّسة والأعداد الرمزية، لذلك المسيح عندما اختار الآباء الرسل اختارهم ١٢ ، لذلك أورشليم السمائية موصوفة أن لها ١٢ باب، كما جاء فى سفر الرؤيا ولها ١٢ أساس، لأن الآباء الرسل هم الأساس والمسيح حجر الزاوية، المهم أن هذه المائدة عليها خبز الوجوه ، ولماذا هى ترمز للسيدة العذراء أو رمز للعذراء؟ ماهو خبز الوجوه ؟ هذا الخبز كان خبز عادى، لكن العذراء حملت الخبز الحىّ الذى نزل من السماء، المسيح قال " أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء " ففى العهد القديم الإشارة إلى العذراء مريم أنها كانت المائدة وفوقها خبز الوجوه الذى يوضع أمام الله ، فهنا هذا الخبز رمز للمسيح ، والمائدة هى التى تحمل هذا الخبز، فالست العذراء لأنها حملت بخبز الحياة النازل من السماء رُمز إليها بمائدة خبز الوجوه .

٨- العليقة :

وأشياء كثيرة جدا تجدها فى الكتاب المقدس مذكورة تشير إلى العذراء مريم ، لكن هناك شيء آخر رأت فيها الكنيسة أيضا إشارة إلى العذراء مريم، وهى **العليقة**، نقول:

العليقة التـــى رآهـــــا	موسى النبى فى البرية
والنيران تشتعل فيــها	ولم تمسسها بأذيـــــة
مثال أم النور طوباها	حملت جمر اللاهوتية
تسعة أشهر فى أحشاها	وهى عذراء ببكوريـــة

ما هى العليقة ؟ موسى النبى بعد ما خرج من أرض مصر وقضى ٤٠ سنة فى أرض مديان، وكان متزوج من صفورة وكان يرعى غنم حميه يثرون كاهن مديان فى الجنوب الشرقى من أرض سيناء ، وقضى فيها موسى ٤٠ سنة بعد أن خرج من مصر، فكان سنه ٨٠ سنة وهو يرعى الغنم، رأى من بعيد عند جبل حوريب عليقة تتوقد بالنار وانتظر أن النار تأكلها فلم يحدث ، فاستعجب جدا كيف لهذه العليقة تتوقد بالنار ولاتحترق !! فقال أميل لأنظر هذا المنظر العجيب ، لماذا لاتحترق العليقة ، ماهى العليقة؟ العليقة عبارة عن شجيرة أى شجرة صغيرة أغصانها رخوة لاتقوى هذه الأغصان على أن تنتصب، فتتعلق على غيرها من رخاوتها ، فمن هنا سميت بالعليقة، ومن منكم زار دير سانت كاترين يجد بقايا هذه العليقة لازالت موجوده، فاقترب موسى لينظر، فلما اقترب سمع صوت من وسط العليقة قائلا: موسى موسى ... اخلع نعليك لأن الموضع التى أنت واقف عليه أرض مقدسة . ثم قال : " أنا إله أبيك إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب " فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله . ما الذى قدسها؟ هذه عليقة ، الذى قدسها حضور الرب بشكل واضح، وقال الله " إنى رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم ... فنزلت لأنقذهم " (خر٣: ٧) ، قال له من أنت فأجابه " أنا يهوه "، يهوه بالعبرانية معناها الذى لابداءة له ولانهاية له، الأزلى الأبدى ، إذن الله هو الذى يتكلم، وعندما يقول أنا نزلت ليس معناها أنه أخلى السماء من وجوده، إنما أصبح له وجود على الأرض ، هو لا ينزل بالمعنى الذى ينزل به إنسان على الأرض، لأننا نعلم أن الله ساكن السموات ، فعندما نراه على الأرض ، فهنا نقول نزل كتعبير بلغة الإنسان أن الله أصبح له كيان منظور على الأرض .

لكن لماذا لم ينزل الله على شجرة كبيرة ، لماذا يارب نزلت على عليقة ؟ لأنها شجرة صغيرة أغصانها رخوة لا قدرة لها على أن تنتصب بذاتها فتتعلق على أخرى .

رأت الكنيسة فى العذراء مريم أنها العليقة لماذا ؟ كانت الفتاة اليتيمة التى ليس لها أب وليس لها أم وليس لها أسرة تعتمد عليها أو تفتخر بها ، يتيمة ، رخوة ، وهذا رمز إلى رقتها كفتاة ، وكعذراء طاهرة نقية ، إعتمادها على الله وحده وكما قالت الست العذراء فى التسبحة ، " تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى ... القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس... أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين " (لو١: ٤٦-٥٢) .

شاء الله أن يختار هذه العذراء العفيفة بالذات ، لأن اعتمادها عليه هو وحده ، لذلك سميت بالعليقة ، ونزل إلى العليقة ونزل إلى بطن العذراء مريم .

ولكن موسى رأى العليقة تتوقد بالنار، ومع ذلك لا تحترق .. لو العذراء مريم كإنسانة نزل اللاهوت إليها بهذه الحالة لاحترقت، لذلك قبل أن ينزل اللاهوت إليها صنع من دمها جسدا ليكون للاهوت حجاباً و ستاراً وإلا كانت حرقت العذراء ، وحرق العالم كله. فالجسد كوّن أولا وهذا يطابق مايقوله الكتاب المقدس " أعددت لى جسدا " (عب١٠: ٥)، فالجسد أُعد ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً وإلاّ كانت العذراء حرقت لأن إلهنا نار آكلة " (عب١٢: ٢٩)، " من منا يسكن فى وقائد أبدية " (إش٣٣: ١٤)، الشمس على بعد ٩٣ مليون ميل من الأرض، لو نزلت مسافة صغيرة تحرق الأرض كلها، لأن الشمس أكبر من الأرض مليون مرة وثلث، لذلك المسافة بين الأرض وبين الشمس الله جعلها محسوبة حتى لاتحرق الأرض، فكيف الله ينزل بكمال لاهوته إلى هذه العذراء الرقيقة ولاتحرق،فكان لابد أن يصنع جسدا ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً.

كيف يُصنع الجسد ؟ هذه عذراء وليس لها رجل ، كيف يتكون الجسد ؟ هنا عمل الروح القدس، قوة سمائية حلّت على العذراء مريم وصنعت من دمها الجسد الذى يكون للاهوت ستاراً وحجاباً، وهو الروح القدس، لذلك قال لها الملاك: " الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله " (لو١: ٣٥)، من المولود ؟ القدوس ، هذه الكلمة لا تقال عن البشر؟ البشر أقصى ما فيها يقال قديس، إنما قدوس ينفرد بها الله ذاته ، القدوس المولود منك أى الله ذاته ، كان لابد من أن يُعَد الجسد قبل أن يحل اللاهوت فيها ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً، لأنه لما موسى اشتهى أن يرى الله قال له أرنى وجهك ؟ قال له لايقدر إنسان يرانى ويعيش . لكن لكى ترى شيء من بهائى ياموسى أنا أضعك فى نقرة فى الجبل واسترك بيدى، وهذا نوع من أنواع التجسد قبل التجسد، يقول له استرك بيدى ، أغطيك بيدى، ثم أمر أمامك فترى بهائى من بعيد، أما وجهى فلا تقدر أن تراه . هذه إحدى صور التجسد قبل التجسد. ومع ذلك فقدر البهاء الذى سمح به الله أن يراه موسى كان كافى أى يجعل وجهه يلمع ، لدرجة أنه عندما نزل من الجبل ، بنى إسرائيل لم يستطيعوا أن ينظروا إلى وجهه ، فوضع البرقع على وجهه . فإذا كان بعض البهاء كان كافى بأن يجعل وجه موسى يلمع ، فلو ظهر الله له ماذا كان يحدث ؟

والمتأمل يرى :

- نزول الله فى العليقة كان يرمز ويمهد إلى نزوله لتخليص العالم من عبودية إبليس...

- نزوله فى العليقة يرمز إلى حلوله فى العذراء ...
- العليقة لم تحترق بالنار ، والعذراء لم تحترق بجمر اللاهوت ...
- ولم تمس بكارتها ...

الكاروبيم يوصفوا أن لهم ستة أجنحة وكذلك السيرافيم، معنى السيرافيم أى الملتهبين ، معنى صاروف أى ملتهب نارا، والكاروبيم ، (كا) معناها مثل و(روب) معناها الرب، يعنى " مثل الرب " ولذلك كل واحد منهم له رأس والرأس لها أربعة أوجه، إخواننا الفنانين اليوم مع الأسف يخطئوا عندما يصوّروا لنا الكاروبيم بشكل حيوانات عجماوات، أسد وله ذيل وله مقعدة، وثور له قرون وله مقعدة وله ذيل، هذه إهانة وهذا جهل، هؤلاء أرقى أنواع الملائكة، وكما يقول حزقيال النبى " واقفين وقفة إنسان " هم ليسوا حيوانات عجماوات لهم مقعدة ولهم ذيل ... حرام، حرام، إنما **الرأس لها أربعة أوجه** ، وجه شبه إنسان ووجه شبه أسد ووجه شبه ثور ووجه شبه نسر أو عقاق وكلمة شبه هنا لها أهمية ، أنه ليس بالضبط نسر، وليس بالضبط ثور ، شبه فهو من كثرة البهاء والنور يريد أن يقرب لنا الوصف لكى نفهم ، فقال شبه وهذا بالنسبة للوجه وليس للجسم، حرامٌ أن يوصف الكاروبيم بهذه الصورة المؤذية أن له مقعدة وذيل .

هؤلاء الكاروبيم لكل منهم ستة أجنحة والسيرافيم أيضا ، يقول الكتاب بإثنين يسترون وجوههم ، وبإثنين يسترون أرجلهم ، من ماذا يسترون الملائكة وجوههم وهم من نور ومن نار؟ إذا كان عندما نزل ملاك كما جاء فى سفر الرؤيا " استضاءت الأرض من بهائه " وعندما ظهر الملاك للرعاة أضاء البادية أى الصحراء، تصور قوة الإضاءة التى تنير عندما نزل الملاك ميخائيل لكى يدحرج الحجر عن باب القبر حدثت زلزلة وحدث نور كأنه البرق، ولذلك كانت النساء منكسات لايستطعن النظر ، إذن إذا كان الملائكة من نور ومن نار ، لماذا يُغطوا وجوههم ؟ هذا يدل على أن الله ذاته نور بما لايقاس ونار بما لايقاس ، لأنه إذا كان الملائكة الذين هم من نور يُغطوا وجوههم حتى لايحترقوا من البهاء والنور والنار الإلهية ، فهذا يعطينا صورة أن الله كما يقول الكتاب " إلهنا نار آكلة " فكم إذن نور رب العرش، ملك الملوك ، كم يكون ضوءه وكم يكون نوره !! وهو العلة الأولى الذى خلق النور وقال " ليكن نور فكان نور " ومن هذا النور خُلقت الملائكة ، لايمكن لأحد منا مهما كانت قدرته على التصور أن يعى ويفهم حقيقة النور الإلهى وحقيقة أنه نار آكله، ولذلك لما ظهر لموسى فى العليقة رأى نارا من بعيد فاقترب لكى يرى كيف النار لا تحرق العليقة ، فلما اقترب يقول الكتاب

ستر وجهه، غطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله، إذن هناك الله فى العليقة. وماهى العليقة؟ وما الذى ربط الله بالعليقة، كانت هذه نبوءة، أن الله الذى ملك السموات والأرض، الذى هو نور ونار، ينزل يصير له وجود على الأرض . ووجود فى العليقة التى هى من أصغر وأتفه النباتات التى لا قدرة لها أن تقف ، ومع ذلك بقدرة خاصة يحفظها من أن تحترق .

رأت الكنيسة فى هذه العليقة أنها ترمز إلى العذراء مريم ، الله نزل من السماء ، ولكن أنا أرجو إننا كمسيحيين نفهم النزول من السماء بالنسبة لله ليس مثل نزول الإنسان من الدور الثانى للدور الأول ، الإنسان عندما ينزل من الدور الثانى للدور الأول، معنى ذلك أنه أخلى الدور الثانى من وجوده ، لأنه من غير المعقول أن يتواجد فوق وتحت فى وقت واحد ، فهل نفهم أن الله نزل من السماء بمعنى أنه أخلى السماء من وجوده ؟ حاشا ، حاشا ، حاشا . إنما نزل من السماء بالنسبة لنا نحن، لأن صورة الله لنا دائما أنه فوق، الساكن فى الأعالى، فبالنسبة للإنسان عندما يراه على الأرض يكون نزل، فهو نزل بالنسبة للإنسان لأنه رآه على الأرض، لكن ليس بالنسبة لله ، لأن الله لا ينزل . لأنه يملأ السموات والأرض، لكن لأنه صار له كيان على الأرض فبالنسبة للنظر البشرى نزل، مثل الشمس هذا مجرد مثل، الشمس فوق على بعد ٩٣ مليون ميل لكن نراها على الأرض ونقول فى الشتاء تعالوا نجلس فى الشمس ، لكن لا نقصد الشمس التى هى الجرم ذاته ، الذى يبعد ٩٣ مليون ميل ، من يطيق، من يستطيع ؟ لو قرب هذا الجرم لحرقت الأرض وما عليها ، إنما مع ذلك نقول تعالوا نجلس فى الشمس، وفى الصيف نقول ابعد عن الشمس ، لأننا نراها على الأرض ، فالله لاينزل مثل ماينزل الإنسان ، الله لاينزل لأنه مالئ السموات والأرض ، ولما نزل ليتخذ جسدا من العذراء مريم لم يخل السماء من وجوده، فهو كان على الأرض وكان على العرش فى السموات ، كان فى حجر العذراء، وهو أيضا فوق الكاروبيم فى نفس الوقت. ربما يكون صعب علينا أن نتصور هذا بالنسبة لعقولنا المحدودة، فعندما يقول نزل بمعنى صار له وجود على الأرض ، والله استخدم هذا التعبير نزلتُ ، نزلت بحسب مايبدو للإنسان أنه نزل ، إنما بمعنى أنه صار له وجود على الأرض .

فقصة العليقة ترى الكنيسة فيها نبوءة ورمزاً إلى العذراء مريم . لذلك نحن نردد قصة العليقة فى العهد الجديد، على الرغم من أنها قصة قديمة حدثت فى العهد القديم . لأننا نراها فى العهد الجديد بهذا المعنى أنها تشير إلى العذراء مريم .

٩- مدينة الله الحي :

أيضا نجد كثيراً جداً من التعبيرات فى كتب الكنيسة مثل "مدينة الله الحى " ، مدينة لأن الناس تسكن فى المدينة ، فهى المدينة التى سكن فيها الرب ، مدينة الله ، وهيكل العلى ، الهيكل معناه بيت ، والله سكن فى هذا البيت، العذراء مريم سميت بهيكل العلى والجبل أيضا مسكن لذلك سميت العذراء الجبل العالى ، والعذراء عالية والله يسكن فى الأعالى فسميت العذراء بجبل مسكن العلىّ .

١٠- سلم يعقوب :

وسميت سلم يعقوب ، السلم الواصل مابين الأرض والسماء ، لأنها التى نزل عن طريقها ابن الله إلى العالم ، لذلك نقول النور أشرق من مريم ، عندما أراد الله أن يدخل إلى العالم دخله من مريم ، ولذلك سميت مريم بالباب ، الباب العقلانى ، باب السماء ، لأن منها دخل الله إلى العالم ، وباب الحياة ، من هو الحياة ؟ المسيح " أنا القيامة وأنا الحياة " والعذراء هى الباب الذى منه دخلت الحياة إلى العالم ، وباب السماء، وكرسى الملك، لأن المسيح جلس فى حجرها، فهى الكرسى ولذلك فى الفن القبطى يفضل دائما أن يكون المسيح جالسا على ركبتى العذراء لكى تكون بالنسبة له كرسى ومركبة شاروبيمية، " أنت الجالس فوق الكاروبيم" اتخذ من العذراء مريم كرسى ليجلس عليها.

١١- الكرمة الحقانية :

وأيضا هى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة، هذه نقولها فى المزامير، أنت هى الكرمة الحقانية ولا نقول الكرمة الحقيقية ، لأن المسيح قال " أنا هو الكرمة الحقيقية " إنما نقول عن العذراء الكرمة الحقانية ، من الممكن أن نقول الكرمة الحقيقية على أساس أنه هو العنب وهو الثمرة التى حملتها الكرمة لكن لكى لايحدث تداخل فى المعانى نقول عن العذراء الكرمة الحقانية نسبة إلى الحق ، وليس إلى الحقيقة .

ثم سميت بقدس الأقداس، وسميت بالمائدة الروحانية ، التى حملت خبز الحياة ، فخبز الحياة هو المسيح والعذراء هى المائدة التى حملت المسيح ، والسماء الثانية الجسدانية .

شفاعتها وبركاتها تشملنا جميعا ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبـــد آمين .

ألقاب السيدة العذراء

(١) والدة الإله :

إن العطية الصالحة كثيراً ماتُعطَى بعد وفرة الإلحاح واللجاجة، وهذه هى الظاهرة التى نلاحظها غالباً فى تصرفات الله مع شعبه وأولاده، فالله يتأخرفى إجابة سؤال أولاده ليشعرهم بقيمة هذا الشيء الذى يطلبونه ، ثم ليزداد إيمانهم فى قدرته بعد أن يعطى لهم ماسألوه إياه ، وأخيراً لتكون فرصة التأخر عن الإجابة فرصة تضـــــرع وإبتهال وتذلل وعبادة وتقرب إلى الله .

هكذا فعل مع إبراهيم قبل أن يعطيه إسحق ، وبالمثل صنع مع حَنّة قبل أن يرزقها بصموئيل . صحيح أن الله تأخر فى الطلب ولكن عندما أعطى ، كانت عطيته فوق المرغوب والمطلوب .

فإذا كان المولود من العذراء مريم هو عمانوئيل (= الله معنا) والإله القدير والأبدى وابن العلى فوالدته تدعى بحق " والدة الإله " .

" فلما سمعت أليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها، وامتلأت أليصابات من الروح القدس، وصاحت بصوت عظيم، وقالت : " مباركة أنت فى النساء، ومباركة ثمرة بطنك . فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ " (لوقا١: ٤١-٤٣) .

والرب هنا هو الله ذاته .

لأن "الرب" (وبالعبرانية : أدوناى) هو النطق المصحوب بالتوقير لاسم " صاحب الجلالة " وهو الله . إن اسم الله بالعبرانية هو "يهوه" ويهوه بلغة العبرانيين معناه الاشتقاقى "الأزلى الأبدى" أو "السرمدى" أو "السرمد" أو "الدائم" الذى لابداية له ولا نهاية .

إذن " أم ربى " هى أم الله ذاته .

وهذا يفسر شعور أليصابات بصغارتها وحقارتها وضآلة شأنها أمام مريم العذراء على الرغم من أن أليصابات أكبر سناً من مريم، بل إن مريم هى فى سن حفيدتها فقد كان عمر أليصابات يزيد سبعة أضعاف على سن مريم التى كانت فى نحو الثالثة عشر من عمرها، وأليصابات تزيد على التسعين عاماً، وعلى الرغم من علو مكانة أليصابات إجتماعياً فقد كانت إمرأة رئيس الكهنة ، بينما كانت مريم فتاة فقيرة رقيقة الحال يتيمة من أبويها .

على أن تلقيب العذراء بوالدة الإله ليس معناه أن العذراء أصل للاهوت الكلمة الذي ولد منها . حاشا ، إنها والدة الإله لأن الكلمة حل فى أحشائها واتحد بالجسد المتكون من دمها ، ثم خرج من بطنها الإله المتأنس. فلأنها حملت الكلمة فى أحشائها، وخرج منها متجسداً، ولذلك وبهذا المعنى تسمى " والدة الإله " .

ولقد سبق أن أخطأ نسطور الفهم، وظن أن تلقيب العذراء بوالدة الإله معناه أنها أصل اللاهوت، فقطعته الكنيسة بعد أن خطأت ظنه، ووضع المجمع المسكونى الثالث (مجمع أفسس الثانى) مقدمة قانون الإيمان التى مطلعها " نعظمك ياأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله" ولذلك فإننا بحق ندعو العذراء والدة الإله ...

الغريب أن بعض المذاهب(1) البروتستانتية إمتداداً لمذهب نسطور ينكرون على العذراء أن تسمى بوالدة الإله، ويقولوا هى أم يسوع، كأنهم ينكروا على يسوع أنه الإله، لأنه إذا قلنا أم يسوع، ومن هو يسوع؟ هو يسوع المسيح ابن الله الحى، قال يوحنا الرسول " إنما هذه قد كتبت لتعلموا أن يسوع المسيح ابن الله الحى ولكى تكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه " وإذا لم نؤمن بذلك فإننا نعود مرة أخرى لبدعة أريوس أو بدعة نسطور اللذان أنكرا ألوهة الابن ، أو إلى بدعة شهود يهوه التى تعتبر فى الوقت الحاضر الأريوسية الجديدة ، فإذا كان يسوع هو المسيح ، ويسوع المسيح هو الإله المتجسد، هو كلمة الله وقد أخذ جسدا، هو الإله محتجبا فى الناسوت ، لأننا كما يقول الرسول " نحن الآن لا نعرف المسيح حسب الجسد بل إله مبارك إلى الأبد " أى نحن لا ننظر إلى المسيح ظاهريا على أساس الناحية الناسوتية، أو من المظهر الناسوتـــى الإنسانى ، إنما نحن وقد عرفنا وتحققنا وآمنا أن يسوع هو المسيح ابن الله الحى هو الإله المتجسد ، إذن بحق تسمى العذراء التى ولدت يسوع والدة الإله ، لأن يسوع هو الإله المتجسد ، وهذا ماقاله إشعياء النبى فى الأصحاح السابع فى سفره " هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون اسمه عمانوئيل " وعمانوئيل كلمة عبرانية معناها " الله معنا " . إذن العذراء " والدة الله " ولذلك إنجيل متى يورد هذه الآية التى نطق بها إشعياء النبى بالنسبة للعذراء مريم ويقول " لأنه هكذا قيل بإشعياء النبى هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا " (مت١ :٢٢، ٢٣)، فمتى الرسول فسر عبارة عمانوئيل وقال " الذى تفسيره الله معنا " وهو يؤكد موضوع ولادة المسيح ليُبيّن أن المولود من العذراء هو الله ، ولذلك العذراء تسمى بحق والدة الإله مريم ، وإشعياء

---

(1) عظة ألقيت صباح الأحد الموافق ١٩٧٥/١١/٩م بكنيسة العذراء بالأنبا رويس بالعباسية .

النبى أيضا أنبأ فى الأصحاح التاسع من سفره عن ميلاد المسيح قائلا: " أنه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام " (إش٩: ٦)، إذن هذا المولود موصوف بالألوهة وموصوف بالأبدية، والأبدية لايتصف بها إلا الله وحده، إذن المولود هو الله، إذن والدته بحق تسمى "والدة الإله" ليس بمعنى أنها هى الأصل وإنما لأن الذى خرج من أحشائها هو الإله متجسداً، فمن هذه الناحية تسمى والدة الإله لأنه كما يقول النبى " مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " فالمسيح أزلى وله وجود قبل الزمان، منذ الأزل ... " فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله "، فالمسيح أزلى قبل أن يولد من مريم، أزلى لا بداية له لكنه حل فى أحشائها واتخذ من دمها ومن لحمها جسداً، اتحد به واستتر فيه واحتجب فيه، فخرج من أحشائها الإله المتجسد، بهذا المعنى تسمىّ العذراء والدة الإله، فالقديس كيرلس الأول بابا الأسكندرية الرابع والعشرون الذى فى زمانه ظهر رجل اسمه نسطور وأنكر أن تسمى العذراء والدة الإله، يقول البابا كيرلس أنه كما أن الطفل عندما يتكون فى بطن الأم يكون الجسد من الأب والأم، أما الروح فتنزل من فوق من عند الله، الأب والأم لايلدون الأرواح، إنما الأب والأم يشتركا فى تكوين الطفل فقط ، إنما الروح تنزل كما يقول الكتاب فى سفر زكريا (١٢: ١) " جابل روح الإنسان فيه " وكما شرح فى سفر التكوين عندما خلق الله آدم ونفخ فيه نسمة حياة، فالنفخة من فوق من عند الله وليس من الأب والأم، الأب والأم يولدوا الجسد فقط ، وبعد أيام معينة من تكون النبتة الأولى فى جسد الطفل قد تكون أربعين يوم أو مدة بحسب إرادة الله تنزل الروح وتحل فى الجسد المتكون وتتحد به، ويظل هذا الاتحاد مدة الحمل، وبعد ذلك يولد الطفل روحاً وجسداً ، الأم فى هذه الحالة تكون أم الطفل كله، لا نقول أنها أم جسد الطفل لكن نقول أم الطفل روحاً وجسداً ، ولو أنه مفهوم أن الروح ليست من الأم ولكن من الله ، لكن لأن هذه الروح نزلت إلى رحم الأم واتحدت بالجسد المتكون من الأب والأم وصارت معه واحداً، فعندما يولد الطفل بعد مرور المدة المعروفة تصبح الأم أم الطفل كله، لانقول أنها أم الجسد فقط على الرغم من أننا نعلم أن الروح جاءت من فوق من عند الله، هذا هو المثل الذى قاله البابا كيرلس الأول، هكذا سيدنا المسيح له المجد ، اللاهوت أزلى قبل مريم منذ الأزل ، ثم فى الزمان حلّ اللاهوت فى أحشائها واتخذ جسدا ، اتخذ من لحمها ومن دمها جسداً اتحد به، وظل المدة القانونية التى يبقاها أى طفل فى بطن الأم، وبعد ذلك ولد من العذراء مريم، فهل الذى خرج من أحشائها الجسد فقط ؟ لا.. الذى خرج من أحشائها الإله المتجسد، إذن من هنا تسمى

العذراء بوالدة الإله، لا بمعني أنها أصل اللاهوت حاشا!! وإنما لأن اللاهوت حل فى أحشائها واتحد بالجسد المتكون من دمها، فخرج من أحشائها الإله المتجسد وبهذا المعنى تسمى العذراء بوالدة الإله، وهذا المعنى واضح أيضا من التحية التى حيّت بها أليصابات مريم العذراء عندما رأتها، بعد أن بشرها الملاك ومضى عنها وحل فيها الكلمة وقالت " ليكن لى كقولك " بعد ذلك مضت مريم كما يقول الكتاب بسرعة إلى الجبال المعروفة الآن بعين كارم لأن الملاك قال لها " هوذا أليصابات نسيبتك حبلى بإبن فى شيخوختها وهوذا الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً " وعندما سمعت أليصابات صوت سلام مريم مجرد أن قالت لها " السلام لك " صرخت أليصابات بصوت عال وقالت " مــن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ " .. لاحظوا أن مريم بالنسبة إلى أليصابات تعد بنت بنت بنتها، أليصابات كانت تعد فى التسعين من عمرها، والعذراء مريم كانت فى هذا الوقت نحو إثنى عشرة سنة وثمانى أشهر على مايروى التاريخ، أى عمر أليصابات على الأقل سبعة أضعاف عمر مريم، فهى طفلة بالنسبة لإمرأة عجوز، ومع ذلك أليصابات وهى إمرأة رئيس الكهنة فرغم مكانتها فى مركزها الروحى والإجتماعى وفى سنها سن الوقار، امرأة عجوز تكلم طفلة سنها ١٣ سنة على الأكثر تقول لها : "من أين لى هذا " أى ماهى هذه الكرامة ، ماهو الشرف الكبير، " من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ ".. أم ربى ، فتعبير والدة الإله نطقت به أليصابات " أم ربى" عندما نقول الرب، من هو الرب ؟ هو الله ، " من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ.. لأنه منذ سمعت صوت سلامك ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى " الجنين هو يوحنا المعمدان، فيوحنا المعمدان وهو فى سن ستة أشهر بمجرد سماعه صوت سلام مريم ارتكض ، ويقول الآباء فى تفسير هذه الركضة ، معناها السجود ، الارتكاض عبارة عن هزة كبيرة حدثت للجنين، " فطوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب " وأعطتها الطوبى وكان هذا أول تطويب تناله العذراء مريم إتماماً لنبوءتها "هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى " إذن التعبير " والدة الإله " تعبير كتابى موجود فى الكتاب المقدس، نطق به إشعياء النبى "هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل " (إش٧: ١٥)، وكما فسرها متى الرسول " الذى تفسيره الله معنا " وكما قال إشعياء أيضا " يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديرا " ونفس الملاك أيضا قال " فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله " وأنتم تعرفون أن كلمة قدوس لاتقال إلا على الله، أى إنسان إذا كان رجل بار يقال عنه أنه قديس، إنما قدوس لايوصف بها إلاّ الله وحده ، كما يقول الكتاب " نظير

القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة " وكما قال إشعياء النبى فى الأصحاح الخامس من سفره أن الملائكة الكاروبيم والشاروبيم يقولوا لله قدوس قدوس، أى تعبير قدوس هذا لايقال إلا عن الله ، " هوذا القدوس المولود منك " إذن المولود منها قدوس، والمولود منها الله وإن كان قد اتخذ صورة البشر، إذن هى بحق والدة الإله وأليصابات المرأة العجوز إمرأة رئيس الكهنة تحييها وتلقبها بأنها أم الرب، بهذا ترون أن الكنيسة حينما تلقب العذراء بوالدة الإله مريم ، إنما هذا التعبير تعبير كتابى ، تعبير إنجيلى، تعبير مأخوذ من نصوص الكتب المقدسة من العهد القديم ومن العهد الجديد، ومن كلام الملكة ومن الروح القدس على أفواه الأنبياء وعلى فم أليصابات، وأيضا " عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد " ومن هو الظاهر فى الجسد هو يسوع المسيح وبهذا المعنى تسمى العذراء والدة الإله .

وقال البابا كيرلس الأول المعروف بالأسكندرى والموسوم بعمود الإيمان : كما أن روح الطفل لاتولد من أبويه وإنما تهبط فى الأم وتتحد بالجسد المتكوّن فى رحمها، ومع ذلك تسمى الأم لا بوالدة الجسد فقط، بل بوالدة الطفل جسداً وروحاً، هكذا العذراء لم تلد اللاهوت ، بل اللاهوت حل فى أحشائها واتحد بالناسوت المتكوّن من دمها بالروح القدس، ومع ذلك تسمى بوالدة الإله لأن الذى خرج من أحشائها ليس هو الناسوت فقط بل الإله المتأنس، اللاهوت متحداً بالناسوت .

" وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا، وتسمينه يسوع، وهذا يكون عظيما وابن العلى يدعى" (لوقا١: ٣١، ٣٢) .

وإذا كانت العذراء قد ولدت عمانوئيل أى الإله فهى والدة الإله .. وكل من يتجاسر ويقول أن العذراء ليست والدة الإله إنما ينكر أن يكون المسيح إلهاً مع أن نبوءة إشعياء " لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلها قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش٩: ٦) . فما دام المولود إلهاً فلابدّ أن تكون والدته والدة الإله .

جاء فى مقدمة قانون الإيمان :

" .... ونمجدك أيتها القديسة العذراء والدة الإله " .

وجاء فى سلام العذراء :

" السلام لك ، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء كل حين، والدة الإله " .

لقب والدة الإله بين الأرثوذكس والنساطرة والأديان الأخرى غير المسيحية (١)

عقد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، برئاسة البابا كيرلس الأول المعروف بعمود الإيمان، ونوقش نسطور المبتدع الذى كان بطريركا للقسطنطينية، وأنكر أن تسمى العذراء والدة الإله ، وهو اللقب الذى حملته العذراء مريم منذ الابتداء، فأنكر المجمع المقدس المسكونى على نسطور هذه البدعة وهذا الخطأ وهذه الهرطقة، وقيل للرجل أن هذا اللقب لقب شرعى لأنه إذا كان المسيح إله فلابد للذى ولدته أن تسمى بوالدة الإله لا بمعنى أنها أصل اللاهوت حاشا حاشا ، ولكن لأن الذى خرج من أحشائها هو الإله المتجسد ، فبحق هذا أصبحت العذراء تلقب بوالدة الإله ، ولكنه كان يقول يكفى أن تقولوا أنها أم المسيح ، نعم هى أم المسيح بهذا المعنى لكن أيضا هى والدة الإله، لأنه إذا كان المسيح هو الله يكون شرعاً أن تسمى العذراء بوالدة الإله، ولذلك المجمع أسقط هذا الرجل من درجاته الكهنوتية، وأيضا وضع مقدمة قانون الإيمان التى نتلوها نحن جميعا، جميع المسيحيين يتلونها،" نعظمك ياأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم "، والدة الإله نعم ، لكن لا بمعنى أنها أصل اللاهوت حاشا، ولكن لأن الذى نزل فى أحشائها هو الله وقد خرج منها، فبهذا المعنى تسمى والدة الإله. وضرب البابا كيرلس الأول مثلا يوضح به هذه الحقيقة فقال: أى طفل فيه روح وفيه جسد، الروح لا تولد من الأب والأم، الذى يولد من الأب والأم بذرة الحياة الأولى وهى ما يسموها (الزيجوت) وبعد أربعين يوما من تكوين الزيجوت، تنزل الروح من السماء لتتحد بهذا الزيجوت، ثم يولد الطفل روحاً وجسداً . وعلى الرغم من أن روح الطفل ليست من الأم وليست من الأب، لكن نقول عن المرأة أنها أم الطفل، لكن مفهوم أنها أم لأنها ولدت إنساناً بروح وبجسد، لكن ليست هى أصل للروح لأن الروح تنزل من السماء بعد أربعين يوماً من تكوين الزيجوت . بهذا شرح البابا كيرلس هذه الحقيقة ، استحقاق مريم بأن تسمى والدة الإله ، لكن لا بمعنى أنها أصل للاهوت لأن اللاهوت نزل من السماء، أُعد الجسد أولا ، هذا ما قاله الكتاب المقدس " أعددت لى جسدا " لأنه لو نزل اللاهوت إلى العذراء مريم لاحترقت ، " من

---

(١) عظة ألقيت بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بدير الأنبا رويس بالعباسية – صباح الأحد الموافق ٢١ من أغسطس ١٩٨٨م – ١٥ من مسرى ١٧٠٤ ش .

يسكن فى وقائد أبدية إلهنا نار آكلة ". فكان لابد أن يتكّون الجسد أولا ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً، وهذا ما وضحه الكتاب المقدس فى هذا المثل الرمزى الذى كشفه لموسى النبى فى العليقة التى رآها من بعيد ، " وإذا بالرب يقول له إنى قد رأيت مذلة شعبى... فنزلت لأخلصهم " (خر٣: ٧، ٨) ، وهذا هو المعنى أن الله ينزل للخلاص ، هنا رمز إلى نزوله إلى العذراء مريم ليتخذ منها جسداً ثم يمشى بين الناس كإنسان . ومريم شبهت بالعليقة والعليقة كانت رمزاً لمريم ، ولكن لاحظوا كلمة " رأيت مذلة شعبى ــ هنا الشعب شعب بنى إسرائيل ــ فنزلت لأخلصهم " ، بنزوله إلى العليقة بهذه الصورة التى رآها موسى النبى، ولأنه كلفه وأمره بأن يأخذ هو هذه المهمة، ويتولى إخراج بنى إسرائيل من أرض مصر. لكن كانت هذه العبودية المحدودة لبنى إسرائيل فى أرض مصر، رمزا إلى عبودية أعظم وهى عبودية الإنسانية للخطيئة وللجحيم وللهلاك الأبدى، وانتظرت الخليقة المخلّص والفادى " فلما حان ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس، ليفتدى الذين تحت الناموس" حان ملء الزمان ، أى جاء الوقت، كل شىء له تدبيرات إلهية وله وقته المعين .

فعبودية بنى إسرائيل فى أرض مصر، هذه العبودية المحدودة الجزئية كانت فى الواقع رمزا للعبودية الإنسانية كلها، وإذا كان الله نزل إلى العليقة لكى يخلّص بنى إسرائيل من العبودية التى كانت له فى مصر، فهذا رمز لنزول الإله بتجسده وأن يصير له كيان على الأرض ، وهذا هو الذى حدث حينما نزل إلى العذراء مريم، ولكن قبل أن ينزل، يتكون الجسد أولا قبل أن يحل اللاهوت حتى يكون الجسد ستارا للاهوت فلا تحترق مريم هذه الفتاة الرقيقة الضعيفة .

فهنا والدة الإله ليس لأنها أصل للاهوت!! حاشا.. ولكن لأن الذى خرج من أحشائها هو الإله المتجسد، فبحق هذا صارت جديرة منذ الإبتداء بأن تلّقب بوالدة الإله، كما قال البابا كيرلس . لأنه إذا كانت كلمة "أم" فى اللغة العربية أم الشىء أصله ، لكن الكلمة اليونانية θεοτόκος تعطى معنى أكبر وأوسع، معناها والدة الاله بالمعنى الدقيق ، وهنا والدة الإله لا بمعنى أنها أصل للاهوت حاشا وإنما بمعنى لأن الذى نزل فى أحشائها هو الإله المتجسد، وخرج من أحشائها الإله متجسدا . فبهذا المعنى تصير العذراء والدة الإله ولذلك يجب أن نحافظ على التعبير θεοτόκος لأنه الترجمة الدقيقة لوالدة الإله ، ولأن الآباء فى هذا الوقت كانوا يتناقشوا مناقشات عالمية مسكونية فكانوا يتكلموا باليونانى، لأن اليونانية كانت اللغة العالمية التى يفهمها الكل، واللغة هى وسيلة التوصيل والتبليغ للناس ، فلابد أن تكون اللغة المستخدمة لغة يفهمها الكل ،

فكانت اللغة اليونانية فى المجامع المسكونية هى اللغة التى تستخدم ، أقول هذا الكلام لكى نحتفظ بهذا التعبير θεοτόκος هل ممكن تسمى العذراء أم المسيح ؟ طبعا ممكن لكن لا نبعد عن تعبير والدة الإله، ولا نقصيه عنا، أقصى نسطور لقب والدة الإله، هل نقول حاملة عنقود الحياة، نعم حاملة عنقود الحياة، هذا تعبير صحيح ، لكن لا نقدر أن نمنع أو نُقصى أو نجب التعبير الأدق، الذى كان محكاً للأرثونكسية ضد المبدأ الهرطقى الذى اخترعه نسطور. ولذلك نحافظ على هذا التعبير لأنه تعبير أرثونكسى يوضح عقيدة فى المسيحية، وهذه العقيدة ليست فقط والدة الإله ولكن أن المسيح هو الله، لأنه إذا أنكر نسطور أو غير نسطور أن تسمى العذراء والدة الإله، فبالتالى ينكر أن يكون المسيح هو ابن الله .

وهذا هو الفرق الواضح بين عقيدتنا نحن المسيحيين الأرثونكسيين فى المسيح وبين عقيدة النساطرة والأديان الأخرى غير المسيحية، لأن هذه الأديان إمتداداً للنسطورية، وهذا وجه الخطورة الذى ينبغى أن تفهم، أن هذه المبادىء فى الأديان الأخرى هى إمتداد للنسطورية ، لأن الذى حدث بعد مجمع أفسس الأول، وبعد أن أسقط المجمع المسكونى نسطور من جميع درجاته الكهنوتية، أصدر الإمبراطور بصفته امبراطور قراراً ضد نسطور أن يُنفى ، فنفى إلى اخميم وعاش هناك إلى أن مات ، أما النساطرة أتباعه الذين تمسكوا بآرائه، فنفاهم الإمبراطور إلى خارج حدود الإمبراطورية الرومانية، فذهبوا إلى بلاد العرب وهناك أصبحت لهم أديرة، وهذا هو المنشأ للإنحراف فيما يتصل بلاهوت المسيح .

(٢) أم النور الحقيقى : Ⲑⲙⲁⲩ ⲙ̀ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲛ̀ⲧⲁⲫⲙⲏⲓ

والنور الحقيقى هو الكلمة المتجسد .

قال الإنجيل المقدس : " كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم . كان فى العالم ، والعالم به كُوِن والعالم لم يعرفه " (يو ١ : ٩) .

وقال الرب يسوع : " أنا نور العالم " .

جاء فى مقدمة قانون الإيمان ..

" نعظمك يا **أم النور الحقيقى** " ..

وجاء فى سلام العذراء " السلام لك ، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء.. والدة الإله " .

العذراء تسمى بأم النور وأم النور الحقيقى، مَنْ النور الحقيقى ؟ يقول: " كان النور الحقيقى الذى يضىء إلى كل إنسان آتياً إلى العالم" ولماذا قال النور الحقيقى لأن هناك أنوار أخرى، المسيح قال لتلاميذه " أنتم نور العالم " لكن قال " أنا نور العالم " ولكن هناك فرق بين كلمة " أنا نور العالم " وبين " أنتم نور العالم " نور التلاميذ نور منعكس عليهم من نور المسيح الحقيقى، مثل ما نقول القمر ينير لكن القمر فى ذاته جسم معتم، كوكب معتم لايوجد فيه نور، لكن نحن نرى نور القمر، والحقيقة هو إنعكاس من نور الشمس ، هكذا القديسون إذا سموا بالأنوار مثل ما قال الكتاب " يضىء الأبرار كالكواكب فى ملكوت أبيهم " ، لكن هذا النور نتيجة إنعكاس النور الحقيقى على وجوههم، والقديسون يعكسوا نور الله ، ونور الله هو النور الحقيقى ، نور المسيح هو النور الحقيقى ، لذلك قال الإنجيل " كان النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آتياً إلى العالم" مشيرا بهذا إلى ميلاد المسيح له المجد ، لأنه هو النور الحقيقى، ولذلك نقول "أم النور الحقيقى "مثل ما نقول فى مقدمة قانون الإيمان " نعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله " فالعذراء تسمى أم النور الحقيقى .

" .... السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى ، المسيح إلهنا " .

- أم النور المكرمة : ⲑⲙⲁⲩ ⲙ̀ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ

جاء فى إحدى قطع صلاة باكر من صلوات الساعات. "أنت هى أم النور المكرمة " .

- أم الله : ⲑ̀ⲙⲁⲩ ⲙ̀ⲫⲛⲟⲩϯ
- والدة عمانوئيل : ⲙⲏⲧⲏⲣ ⲧⲟⲩ Ⲉⲙⲙⲁⲛⲟⲏⲗ
- أم يسوع المسيح : ⲑ̀ⲙⲁⲩ ⲛ̀Ⲓⲏⲥⲟⲩⲥ Ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ
- أم المسيح : ⲑ̀ⲙⲁⲩ ⲙ̀Ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ

(٣) العذراء : ϯⲠⲀⲢⲐⲈⲚⲞⲤ

" ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها إن العذراء تحبل وتلد إبناً " (إشعياء ٧: ١٤) .

فى الترجمة السبعينية عام ٢٨٢ ق.م التى قام بها سبعون من علماء اليهود الذين يجيدون اللغتين العبرانية واليونانية، فى أيام أليعازر رئيس كهنة اليهود، وبتكليف من بطليموس فيلادلفيوس حاكم مصر الذى أراد ترجمة لأسفار العهد القديم باللغة اليونانية لمنفعة اليهود المستوطنين بمصر، والذين أمسوا يجهلون العبرانية لغة آبائهم، ولكى يضيف إلى مكتبة الأسكندرية كتاباً مقدساً يثرى به الأدب اليونانى . كان سمعان الشيخ المذكور بالإنجيل، أحد الشيوخ العلماء الذين وقع عليهم الإختيار للقيام بالترجمة

السبعينية وكان نصيبه ترجمة سفر إشعياء، فلما بلغ إلى الآية الخامسة عشرة من الأصحاح السابع " ها إن العذراء " خشى أن ينقلها نقلاً دقيقاً إلى اليونانية باستخدام لفظة παρθένός لئلا يسخر اليونان من كتاب اليهود المقدس ويجدفون على إله إسرائيل، فرأى أن يترجم الكلمة العبرانية (آعلْماه) التى تعنى " العذراء التى لم يسبق لها زواج" إلى كلمة νεᾶνις " نيانيس " بمعنى " فتاة " أو " شابة " وهى لفظة لا تفيد بالحصر " العذراء التى لم يسبق لها زواج " ، وظن سمعان الشيخ أنه قد وفق إلى لفظ ينقذ به الوحى المقدس من إستهزاء الأمم... وإذ هَمَّ بكتابة هذا اللفظ ، سمع صوت الله يناديه : اكتب ماتقرأ ، وإنك لن تموت حتى ترى المسيح الرب .

يقول الإنجيل: وكان رجل فى أورشليم اسمه سمعان . وهذا الرجل كان باراً تقياً وينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه . وكان قد أُعلم بوحى الروح القدس أنه لايرى الموت قبل أن يعاين المسيح الرب (لوقا٢: ٢٥، ٢٦) .

ولما كان سمعان شيخاً .. وكان من شيوخ اليهود الذين اختيروا للقيام بالترجمة السبعينية، فى نحو الستين من عمره على الأقل، والترجمة السبعينية تمت فى عام ٢٨٢ق.م فكأنه عندما حمل المسيح الطفل على ذراعيه قد بلغ ما لايقل عن ٣٤٠ سنة لهذا " بارك الله، وقال: الآن تطلق عبدك يارب حسب قولك بسلام .. فإن عينى قد أبصرتا خلاصك " . (لوقا٢: ٢٨-٣٠) .

قال الإنجيل المقدس عن يوسف ومريم " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " (متى ١: ٢٥). وهذا توكيد لعذراوية مريم، وأنها كانت عذراء عندما ولدت الكلمة المتجسد..

وقال الإنجيل أيضاً " كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس" (متى١: ١٨) . وهذا توكيد آخر لبتولية العذراء قبل ميلادها للرب يسوع المسيح .

- **العذراء الطاهرة : ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲧⲑⲱⲗⲉⲃ**
- **العذراء القديسة : ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲉ̀ⲑⲟⲩⲁⲃ**

جاء فى مقدمة قانون الإيمان ..

" نعظمك يا أم النور الحقيقى ، ونمجدك أيتها العذراء القديسة .. " .

وجاء فى سلام العذراء ...

" السلام لك، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً العذراء.. والدة الإله .. "

" السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى .. العذراء القديسة " .

- **العذراء كل حين : ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲥⲏⲟⲩ ⲛⲓⲃⲉⲛ**

- العذراء الدائمة البتولية :
- العروس التى بلا زواج :

إن مريم والدة الكلمة المتجسد تلقب"بالعذراء" معرفة بالألف واللام، وبأداة التعريف فى جميع اللغات، وذلك تعبيراً عن دوام بتوليتها واحتفاظها على الدوام ببكارتها وعفافها، وعدم معرفتها بالعلاقات الزواجية .

وذلك يتضح أولا من تصميمها الصارم على احتفاظها ببتوليتها فى قولها للملاك المبشر لها بالحبل الإلهى منها " كيف يكون لى هذا، وأنا لا أعرف رجلاً " (لوقا١: ٣٤) .

وذلك على الرغم من زواجها رسمياً بيوسف كما يتضح من التاريخ، وكما يتضح من تعبيرات الإنجيل "فيوسف رجلها " (متى١: ١٩) ، " يايوسف ابن داود لاتخف أن تستبقى مريم امرأتك " (متى١: ٢٠)، "فلما نهض يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، واستبقى مريم امرأته " (متى١: ٢٤) .

وعلى الرغم من أن مريم قد انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف، وجاءها المبشر هناك بعد أن انتقلت إلى بيت يوسف مما يدل على أنها صارت له زوجة بعقد رسمى ..

وعلى الرغم من أن الملاك كلمها بصيغة المستقبل "ستحبلين وتلدين "(لوقا١: ٣١).

ϯⲉⲣⲁⲉⲣⲃⲟⲕⲓ ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲧⲉⲙⲓⲥⲓ

إن دهشة مريم وتعجبها وقولها "كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً، على الرغم من كل القرائن السابقة دليل واضح على إصرار مريم على إحتفاظها ببكارتها، وإعتزامها على أن تظل دائماً عذراء .

وهنا يوافق كلمات النبى حزقيال ..

" فقال لى الرب : أن هذا الباب يكون مغلقاً، لايفتح ولايدخل منه رجل ، لأن الرب إله إسرائيل قد دخل منه، فيكون مغلقا " (حزقيال٤٤: ٢) .

- القديسة كل حين : ⲉ̀ⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲥⲏⲟⲩ ⲛⲓⲃⲉⲛ
- الزهرة النيرة غير المتغيرة : (عن إحدى قطع صلاة باكر) .
- الأم الباقية عذراء : (عن إحدى قطع صلاة باكر) .
- الشجرة التى رآها موسى متقدة بالنار ولم تحترق، ونار لاهوته لم تحرق بطن العذراء ، وأيضا بعد أن ولدته بقيت عذراء .

Ⲡⲓϣⲱⲏⲛ ⲉ̀ⲧⲁϥⲛⲁⲩ ⲉ̀ⲣⲟϥ ⲛ̀ϫⲉ ⲙⲱ̀ⲩⲥⲏⲥ. ⲉϥⲙⲟϩ ϧⲉⲛ ⲡⲓⲭ̀ⲣⲱⲙ ⲟⲩⲟϩ ⲛⲁϥⲣⲱⲕϩ ⲁⲛ ⲙ̀ⲡⲉ ⲡⲓⲭ̀ⲣⲱⲙ ⲛ̀ⲧⲉ ⲧⲉϥⲙⲉⲑⲛⲟⲩϯ ⲣⲱⲕϩ

ⲛ̀ⲑⲟⲛⲉϫⲓ ⲛ̀ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲟⲩⲟϩ ⲟⲛ ⲙⲉⲛⲉⲛⲥⲁ ⲑⲣⲉⲥⲙⲁⲥϥ ⲁⲥⲟ̀ϩⲓ ⲉⲥⲟⲓ ⲙ̀ⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ.

عندما نقول العذراء حتى بدون مريم، هنا يكفى أن كل واحد يفهم من المقصود بالعذراء، لأن أى فتاة أخرى غير متزوجة نقول عذراء غير معرفة بالألف واللام، إنما مريم نقول العذراء بالألف واللام كما نقول المسيح فالمقصود به يسوع المسيح وحده، لأن كلمة مسيح كانت تقال فى القديم على النبى والملك والكاهن لأنه ممسوح بالمسحة المقدسة ، ومُعّين للمهمة الخاصة به وكان يسمى مسيح الله ، لكن المسيح بالألف واللام هذا تعبير لايقال إلا عن يسوع المسيح ابن الله الحى، هكذا العذراء بالألف واللام لاتقال إلا عن مريم لأن مريم أولا عندما حبل بها كانت عذراء لذلك قالت كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا، والغريب أن كلمة " أنا لا أعرف رجلا " تعبير يدل على أنها لم تعرف فى الماضى ولن تعرف فى المستقبل، فى كل اللغات عندما تقول أنا لم أعرف، لم هنا تفيد الماضى فقط ، لكن " أنا لا أعرف " تفيد لا فى الماضى ولا فى الحاضر ولا فى المستقبل، مما يدل على أن مريم إختارت البتولية وإختارت العذراوية لكى تكون منهجاً لها كل أيام الحياة، عشقت العذراوية وعشقت البتولية ولذلك تسمى فى المصطلح الكنسى " العذراء كل حين " أى فى كل وقت هى عــذراء ليس فقط فى الماضى بل فى الماضى والحاضر والمستقبل، كل حينٍ عذراء، كل حين دائمة البكارة، دائمة البتولية ، ظلت بكر دائما ، كانت ولاتزال بكراً ، بل هى فخر الأبكار ، فخر العذارى، فخر جنسنا، وهذا واضح من الكتاب المقدس، معروف العذراء عندما خطبها يوسف كانت عذراء ، وطبعا بعد أن ولدت المسيح كانت عذراء ، وتعبيرها للملاك عندما جاء للبشارة يدل على عزمها أن تعيش عذراء بتول، فمن غير المعقول بعد أن تلد المسيح تلد آخرين، إنما إذا كان الكتاب المقدس ذكر إخوة للمسيح، فهؤلاء ليسوا من العذراء مريم، وهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، هؤلاء أقارب المسيح هم أولاد مريم الأخرى أخت العذراء مريم، فقد ورد فى كتب الكنيسة فى التاريخ أن حَنّة أم العذراء مريم، وقد كانت عاقرا كما تعلمون أنها نذرت مايعطيها الله لله ، فلما بشرها الملاك وولدت العذراء مريم، بعد أن ولدتها فتح الله رحمها فولدت بنت أخرى، فقالت مريم الأولى من نصيب الرب وأما مريم الأخرى فمن نصيبى ، فسمتها مريم ولما كبرت تزوجت رجل يسمى بالعبرانية حلفا وباليونانية كلوبا، كان من العادة أن يكون للواحد أكثر من اسم مثل شاول وبولس ومثل لباوس وتداوس .. إلى آخره ، فمريم

الصغرى هى التى أنجبت يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، فهؤلاء ليسوا أولاد مريم العذراء بل أولاد مريم الثانية زوجة كلوبا أو زوجة حلفا، وكان منهم إثنان من تلاميذ المسيح وهما يعقوب بن حلفى ويهوذا ابن حلفى وهو غير يهوذا الأسخريوطى، وكان لهم أخوات بنات، كل هؤلاء هم أولاد مريم زوجة كلوبا ، والذى يقرأ إنجيل يوحنـــا (١٩: ٢٥) يقول " وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا" هذا الكلام بالنص وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، فواضح من الإنجيل أن مريم لها أخت وأن هذه الأخت تسمى مريم زوجة كلوبا، إذن واضح أن هؤلاء الأولاد ليسوا أولاد العذراء مريم، من غير المعقول أبدا أن العذراء بعد ماولدت المسيح تكون تزوجت، من هذا الذى يجرؤ على أن يتزوج العذراء مريم، وحتى هذا مستحيل بالنسبة لها لأن كلامها للملاك أثناء البشارة يدل على تصميمها على حياة البتول .

العذراء الدائمة البتولية

هى مريم العذراء .. العذراء بالألف واللام ... العذراء دائماً وكل حين البتول الكاملة العفة .. فخر العذارى وأطهر الطاهرات ...

هى الملكة أم الملك .. أعنى ملك الملوك ورب الأرباب ...

هى مريم .. هى أمنا .. هى حواء الجديدة .. هى فخر جنسنا .. والسماء الثانية ..

نزل إليها الله الكلمة، وسكن فيها.. كعليقة موسى النبى.. اتخذ من دمها جسداً جعل منه للاهوت حجاباً وستاراً .. حتى لاتحترق مريم، ولايحترق معها الناس جميعاً.. بل والأرض وكل ماعليها.. من بهاء لاهوته، (ولهيب ناره) (٢.تسالونيكى١: ٨)، (إشعياء٦٦: ١٥)..(لأن إلهنا هو نار آكلة) (العبرانيين ١٢: ٢٩)، (الخروج٢٤: ١٧)، (التثنية٤: ٢٤)، (٩:٣) .

جاء إليها الملاك جبرائيل مرسلاً من الله يُبشرها بأن الله شاء أن يتجسد منها لخلاص آدم وذريته .. (دخل إليها) الملاك فى غرفتها وهى فى بيت يوسف النجار بمدينة الناصرة .. وكان يوسف رجلها بل زوجها، بموجب العقد الرسمى الذى عقده الكهنة عليهما فى الهيكل... دخل الملاك إليها وقال لها: (السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت فى النساء) فلما رأته اضطربت من قوله، وأخذت تفكر ماعسى أن يكون معنى هذه التحية ؟ فقال الملاك لها (لاتخافى يامريم، لأنك قد نلت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا تسمينه يسوع، وسيكون عظيماً وابن العلى يدعى، وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء) (لوقا١: ٢٦-٣٣) .

وإذا كانت مريم العذراء قد اضطربت من تحية الملاك جبرائيل التى حياها بها تحية لم تسمعها امرأة من قبل، فإن جوابها على بشراه لها بالحبل الإلهى كان جواباً غريباً ومدبراً، جوابا يكشف القناع ويميط اللثام عن حقيقة بتوليتها الدائمة وإصرار روحها ونفسها على الإحتفاظ بعفتها وبكارتها دائماً وأبداً .

كيف وهى فى بيت يوسف، ويوسف زوجها بعقد رسمى، تجيب الملاك وتقول له (كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً ؟) علماً بأن الملاك يكلمها عن الحبل بلغة المستقبل (ستحبلين)؟ فلو لم تكن مريم راغبة فى البتولية رغبة كاملة، كيف تعترض على قول الملاك الذى ينبئها عن أمر يحدث فى المستقبل؟ (فقالت مريم للملاك (كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً)(لوقا١: ٣٤). ومما تجدر ملاحظته أن قول العذراء

مريم (وأنا لا أعرف رجلاً) يفيد فى اللغات القديمة أنها لم، ولا، ولن تعرف رجلاً . أى أنها عذراء فى الماضى والحاضر والمستقبل . ومن هنا جاء التعبير المستخدم فى كتب التراث الكنسى (العذراء كل حين) . ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲥⲏⲟⲩ ⲛⲓⲃⲉⲛ
TI PARTHENOS ENSIOU NIVEN أى أنها كانت وستظل عذراء دائماً .

فلما سمع منها الملاك إعتراضها لم يعاقبها ولم يوبخها كما فعل الملاك نفسه مع زكريا الكاهن، وإنما طمأنها بأن هذا الحمل الإلهى لن يتعارض مع إحتفاظها ببكارتها وطهارتها وبتوليتها (فأجاب الملاك وقال لها (إن روح القدس سيحل عليك وقوة العلى ستظللك، ولذلك فإن القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله) (لوقا١: ٣٥). إن كل من يحبل به فى البطن لابد له من أب يزرعه فى حقل المرأة . أما الذى سيولد من مريم **فهو القدوس ابن الله** . لذلك كان لابد من إعداد الجسد الذى يحل فيه القدوس ابن الله، ويتخذه ستاراً وحجاباً حتى لاتحترق مريم، وذلك بحلول روح القدس على مريم ليعد من دمها الجسد، وهذا يطابق قول الوحى الإلهى (لذلك قال المسيح عند دخوله العالم: (أعددت لى جسدا) (العبرانيين ١٠ :٥)، (مزمور ٣٩: ٧، ٨) .

فلما تجققت العذراء مريم أن هذا الحمل الإلهى لن يتعارض مع إحتفاظها ببكارتها وبتوليتها الدائمة، خضعت لمشيئة الله (فقالت مريم للملاك(ها أنا ذا أمة الرب، فليكن لى بحسب قولك) وانصرف الملاك من عندها) (لوقا١: ٣٨) .

لذلك حرص الإنجيل للقديس متى على إبراز حقيقة بتولية العذراء مريم عند حبلها بكلمة الله القدوس (أما ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا: كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من روح القدس) (متى١: ١٨) . فالعذراء مريم حبلت بالمسيح يسوع لا من زرع رجل، وإنما قد تكون الجسد وتهيأ لحلول الكلمة الأزلى قبل حلوله بالفعل ليكون للاهوت حجاباً وستاراً حتى لاتحترق العذراء . ومن هنا توكيد الإنجيل على أن العذراء الأم كانت (مخطوبة ليوسف) مع أنها كانت زوجة رسمية ليوسف، لكن لأنه لم يمسها فهى فى حكم المخطوبة .

كذلك قوله (قبل أن يجتمعا وجدت حبلى) توكيداً أيضا على أن العذراء لم تحمل بالمسيح نتيجة اجتماعها بيوسف كما يجتمع الزوج بزوجته على فراش الزوجية .

ومما يؤكد على أهمية قول الإنجيل(وقبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من روح القدس) أن يوسف اضطرب إذ رأى علامات الحمل واضحة على مريم وهو يعلم أن الحمل ليس منه، وكانت الشريعة تبيح له أن يجمع على مريم شيوخ المدينة فيحكمون عليها بالموت رجماً، لكنه لتقواه وروحانيته لم يشأ لمريم هذا المصير، فرأى رحمة بها أن

يخلى سبيلها خُفية . ويقول الإنجيل (وإذ كان يوسف رجلها باراً، ولم يشأ أن يشهر أمرها، أراد أن يخلى سبيلها سراً. ولكنه فيما كان يفكر فى ذلك، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا : (يا يوسف بن داود، لاتخف أن تستبقى مريم امرأتك، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس، وستلد إبناً وتسميه يسوع، لأنه هو الذى يخلّص شعبه من خطاياهم) (متى١: ١٨-٢١) .

كذلك وتوكيداً على نفس الحقيقة، أن العذراء حبلت وولدت بالمسيح يسوع وهى بكر عذراء لم يعرفها يوسف معرفة الرجل لزوجته قال الإنجيل للقديس متى (فلما نهض يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، واستبقى مريم امرأته، ولم يعرفها حتى ولدت الابن، فسماه يسوع) (متى١: ٢٤، ٢٥) .

ويضيف الإنجيل مُعقبا (وقد كان ذلك كله ليتم ما قاله الرب بفم النبى القائل: (ها إن العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعى اسمه عمانوئيل) ، الذى تفسيره (الله معنا) (متى١: ٢٢، ٢٣) .

والنبى الذى قال الرب بفمه ذلك هو إشعياء فقد بشر قائلاً (يؤتيكم السيد نفسه آية: ها إن العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو اسمه عمانوئيل) (إشعياء ٧: ١٤) .

ولاشك أن العذراء المقصودة هنا هى العذراء مريم كما يتضح من قول الإنجيل للقديس متى. وهى (العذراء) بالألف واللام أى أنها عندما حبلت وولدت الابن وهو (عمانوئيل أى الله معنا) كانت عذراء، وستظل أيضا عذراء لذلك خصت بأنها العذراء معّرفة بالألف واللام،لأنها وحدها التى حبلت بالابن وهى عذراء، وولدته وهى عذراء.

ولهذا النص القدسى قصة أشار إليها الإنجيل للقديس لوقا:

لما لجأ اليهود إلى مصر وتعلموا لغة اليونان الشائعة فى الأسكندرية وبلاد مصر منذ الأسكندر المقدونى (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) افتقروا لطول إقامتهم فى مصر، إلى ترجمة أسفارهم المقدسة إلى اللغة اليونانية ، فتمت فى عهد بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م) بناء على اقتراح ديمتريوس أمين المكتبة، وقام بها سبعون عالماً من اليهود أرسلهم أليعازر رئيس كهنة اليهود فى أورشليم بناء على طلب بطليموس فيلادلفوس واشترط أن يكونوا ممن يجيدون اللغة العبرانية واللغة اليونانية، حتى تأتى الترجمة أمينة ودقيقة . فرحب بهم بطليموس فى الأسكندرية وأكرم وفادتهم وخصص لكل منهم فى المتحف غرفة يتوافر له فيها الهدوء. وكان من بين هؤلاء العلماء سمعان الشيخ الذى حمل المسيح على ذراعيه فى الأربعين يوما لميلاده (لوقا٢: ٢٥-٢٨) وكان من نصيبه فى الترجمة سفر إشعياء. فلما وصل إلى النص القائل (ها إن العذراء

تحبل وتلد) خشى أن ينقلها نقلا دقيقاً إلى لغة اليونان باستخدام لفظ PARTHENOS παρθένός لئلا يسخر اليونان من كتاب اليهود المقدس، ويتهمونه باحتوائه على خرافة لايقبلها عقل إنسان، إذ كيف للعذراء أن تحبل وكيف لها أن تلد وهى عذراء ؟ - وبالتالى يجدفون على إله بنى إسرائيل ، فرأى أن يتصرف بأن يترجم كلمة (آعلْماه) العبرانية הָעַלְמָה HA ALMAH ومعناها (العذراء التى لم يسبق لها زواج)، بكلمة أخرى يونانية هى نيانيس νεᾶνις NEANIS بمعنى (فتاة) أو (شابة) . ففرح سمعان بتوفيقه إلى كلمة باليونانية لا تعنى بالحصر (العذراء التى لم يسبق لها زواج) فإن كلمة نيانيس بمعنى (فتاة) أو(شابة) لا تعنى بالحصر الفتاة غير المتزوجة، فقد تكون الفتاة متزوجة ومع ذلك فهى(شابة)- وإذ هَمّ سمعان بكتابة هذه الكلمة نيانيس وإذا بصوت من السماء يناديه (اكتب ماتقرأ، وإنك لن تموت حتى ترى المسيح الرب). هكذا قال الإنجيل (وكانَ فى أورشليم رجل بار تقى اسمه سمعان ينتظر تعزية إسرائيل. وكان روح القدس عليه. وكان قد أوحى إليه بالروح القدس أنه لن يرى الموت قبل أن يرى المسيح الرب) (لوقا٢: ٢٥، ٢٦)

فالعذراء مريم حبلت بالمسيح يسوع وهى عذراء، وظلت أيضا بعد ولادتها للمسيح يسوع عذراء. فقد خرج من بطنها ولم يفض عذراويتها، بل ظلت ختوم بكارتها مصونة لم تخدش. وهذه حقيقة لايمكن أن تحدث لامرأة أخرى . إن المسيح هو وحده فى كل التاريخ الذى خرج من بطن أمه ولم يخدش بكارتها ، وهذا مرده إلى قدرة لاهوته. وكما خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة هكذا خرج من القبر عند قيامته من بين الأموات، والقبر مغلق، وذلك بسلطان لاهوته. كذلك أيضا دخلِ إلى العليقة وأبوابها مُغلَّقة من الداخل، الأمر الذى جعل تلاميذه يظنونه روحاً أو شبحاً فقال لهم: (انظروا إلى يدى وإلى قدمى . إنى أنا هو بنفسى . جسونى وتحققوا ، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى) (لوقا٢٤: ٣٩) .

ولقد سبق النبى حزقيال فأنبأ عن بتولية العذراء الدائمة بقوله (فقال لى الرب **إن هذا الباب يكون مغلقا، لايُفتح ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل قد دخل منه، فيكون مغلقاً**) (حزقيال٤٤: ٢) .

قال العلامة أوريجينوس (١٨٥-٢٥٤م): (لقد وصل إلينا من التقليد أن **بتولية العذراء الدائمة كانت من الحقائق التى تداولتها الكنيسة المسيحية من أول نشأتها)** .

ويقول القديس باسيليوس الكبير (٣٢٩-٣٧٩)م: **(إنّ المسيحيين لا يطيقون أن يسمعوا بزواج العذراء بعد ولادتها السيد المسيح، لأنه على خلاف ما تسلموه من آبائهم)** .

* **ومن ألقاب العذراء الدالة على دوام بتوليتها** التى تسمى بها أحياناً بنات المسيحيين تيمنا بالعذراء مريم .

*** عفيفة * نقية * بكر * بتول**

*** برتنية (من بارثينوس) * عفة .**

* ولايتعارض مع تلقيب مريم بالعذراء تلقيبها **بالسيدة أو السيدة العذراء** .. لأن لفظ " السيدة " مشتق من (ساد – يسود) أى (شرف ، ومجد) . ولأن تعبير "السيدة" هو تأنيث للسيد، وهو للتكريم والإجلال والإحترام .. ومما له دلالة هنا أن مخلص العالم يسمى بالسيد المسيح وهو نبع البتولية، فلابد أن يقال عن مريم أنها السيدة العذراء أو السيدة .

* ولايتعارض أيضا مع بتولية العذراء الدائمة قول المسيح مخلصنا لوالدته الطاهرة "مالى ولك يامرأة" (يوحنا٢: ٤). أو قوله لها عن تلميذه ورسوله يوحنا الحبيب "يامرأة هوذا إبنك" (يوحنا١٩: ٢٦) . لأن "امرأة" فى هذا الصدد اسم جنس.. فكل أنثى هى امرأة .. وبهذا المعنى قال آدم عن امرأته وقبل أن يعرفها "هذه تسمى امرأة لأنها من إمرىء أخذت" (التكوين٢: ٢٣). ومنها المروءة وهى النخوة الإنسانية. وبلغة العصر(يامرأة) يقابلها قولنا (ياسيدة) أو (ياسيدتى) !

ولقد وُصفت العذراء القديسة مريم فى كتب الكنيسة وصلواتها المقدسة بأوصاف كثيرة للدلالة على طهارتها ودوام بكارتها قبل ولادتها للسيد المسيح وبعد ولادتها له، وإلى الأبد ...

من ذلك :

- ❖ **الزهرة النيرة غير المتغيرة .**
- ❖ **الأم الباقية عذراء .**
- ❖ **العُليقة** التى رآها موسى النبى متقدة بالنار ولم تحترق، ونار لاهوته لم تحرق بطن العذراء ، وأيضاً بعد ولادته منها بقيت عذراء .
- ❖ **العفيفة .** ϯⲥⲉⲙⲛⲉ
- ❖ **العذراء غير الدنسة .** ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲧⲑⲱⲗⲉⲃ

❖ **المصباح الذى لاينطفىء .** **пιλαмпас ǹатбєио**

ʽηλαμπάς ʽη ἄσβεστος

وهذا يشير إلى دوام بتوليتها، وطهارتها التى لاتعرف فساداً .

❖ **الهيكل غير المنحل .** **пιєрфєι ǹатвωλ ѐвоλ**

Ό ναός ʽοάκατά λυπτος

هى هيكل لأن الله حل فيها ، ولاينحل أى لايقبل الزوال، وهو أيضا قد تدشن وتقدس وتخصص لله الكلمة .. وهذا يشير إلى أنها صارت لله أماً، ولن تكون لرجل آخر .

* **الخدر الطاهر الذى للختن الطاهر .**

Пιмаǹϣєλєт єттотвнотт ǹтє пιнтмфιос ǹкаѳарос.

لأن العريس الإلهى سكن فيها .

* **الحقل الذى لم يُزرع وأخرج ثمرة الحياة .**

ϯкοι ѝпотϯ ̀ϫроϫ ѐрос астаото ѐвоλ ǹоткарпос ǹωиϩ.

ومعناه ، أنها حبلت بالمسيح بغير زرع بشر بل بالروح القدس

* **عصا هرون التى أزهرت ونبتت وأعطت ثمراً .**

пιϣвωт ǹтє Ааршн ѐтаqфιрι ѐвоλ аqрωт орог аqϯкарпос.

وكما أفرخت عصا هرون بأسلوب معجزى هكذا ولدت مريم الله الكلمة وهى عذراء .

* **الكرمة الحقانية التى لم تشخ .. ولم يفلحها أحد ما، ووجد فيها عنقود الحياة .**

ϯвω ǹаλоλι ǹатєрϩєλλω ѳнєтѐпєотωι ѐротωι ѐрос атϫєм пιсмаϩ ǹтє пωиϩ ǹϩнтс.

* **فخر البتولية – إكليل البتولية .**

̀пϣотϣот ǹтє ϯпарѳєиιа.

أى أن مريم هى مجد البتولية وعزها وقوتها ، ومثلها الأعلى بين الناس لكل من يتمثل بها .

(٤) الملكة الحقيقية : ϯⲟⲩⲣⲱ ⲙ̀ⲙⲏⲓ.

قال الوحى الإلهى مشيراً إليها ..

" وقامت الملكة عن يمينك بذهب أوفير " (مز ٤٥: ٩) .

والعذراء مريم ملكة ، لأنها أم الملك ، يسوع المسيح ملك الملوك ورب الأرباب . (الرؤيا١٩: ١٦) .

وهى أيضا الملكة الحقيقية لأنها سيدة جميع البنات، وذلك بفضل طهارتها ونقاوتها وقداستها التى فاقت فيها جميع العذارى والنساء .

قال عنها سفر الأمثال :

" إن بنات كثيرات قد عملن فضلا ، أما أنت ففقت عليهن جميعاً (أمثال٣١: ٢٩).

وللدلالة على أنها الملكة، والملكة الحقيقية ، وتحقيقاً لقول المزمور: " قامت الملكة عن يمينك " توضع صورة العذراء على يمين صورة المسيح على حجاب الهيكل فى كنائسنا الأرثوذكسية .

وفى رسم العذراء حاملة المسيح طفلاً، فإنها تحمله على ذراعها الأيسر لتكون هى دائماً على يمينه .

- **ملكة السماء . ϯⲟⲩⲣⲱ ⲛ̀ⲧⲫⲉ**
- **ملكة السمائيين والأرضيين .**
- **سيدتنا وملكتنا كلنا . ⲧⲉⲛϭⲟⲓⲥ ⲛ̀ⲛⲏⲃ ⲧⲏⲣⲉⲛ**

(٥) السماء الثانية الجسدانية..السماء الجديدة. ϯⲫⲉ ⲙ̀ⲃⲉⲣⲓ

ذلك لأن الله الكلمة قد حلّ فيها، فقد صارت بحلوله فى أحشائها سماء جديدة، وسماء ثانية جسدانية بالمقارنة بالسماء الأولى التى نزل منها ابن الله .

(٦) الشفيعة الأمينة لجنس البشرية

ϯⲡ̀ⲣⲟⲥⲧⲁⲧⲏⲥ ⲉ̀ⲧⲉⲛϩⲟⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡ̀ⲅⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲙⲉⲧⲣⲱⲙⲓ.

ومادامت هى الملكة أم الملك، فلها دالة الأم ، ولشفاعتها قبول أمام ابنها يسوع المسيح، فضلاً عما لها بفضل تقواها وقداستها ما يجعل كلماتها وصلواتها وطلباتها تقتدر كثيراً فى فعلها (يعقوب٥: ١٦) .

ولقد قبل السيد منها رجاءها، فحول الماء خمراً فى عرس قانا الجليل، وكانت هذه أولى آياته الجهارية التى أظهر بها مجده فآمن به تلاميذه (يوحنا٢: ١-١١) .

وجاء فى القداس الإلهى ..

" بشفاعات والدة الإله القديسة مريم ، يارب أنعم علينا بغفران خطايانا " .

ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ Ⲙⲁⲣⲓⲁ ⲡϭⲟⲓⲥ ⲁ̀ⲣⲓϩⲙⲟⲧ ⲛⲁⲛ ⲙ̀ⲡⲓⲭⲱ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ.

وجاء فى القداس، فى الأسبسمس الآدام السنوى الذى يقال فى أعياد السيدة العذراء..

" ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح ، سوى طلباتك وشفاعتك ياسيدتنا كلنا والدة الإله " .

ⲙ̀ⲙⲟⲛ ⲛ̀ⲧⲁⲛ ⲛ̀ⲟⲩⲡⲁⲣⲣⲏⲥⲓⲁ: ϧⲁⲧⲉⲛ ⲡⲉⲛϭⲟⲓⲥ Ⲓⲏⲥⲟⲩⲥ ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ ⲭⲱⲣⲓⲥ ⲛⲉⲧⲱⲃϩ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ⲱ̀ⲧⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲛⲏⲃ ⲧⲏⲣⲉⲛ ϯⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ.

وجاء فى إحدى قطع صلاة الساعة السادسة من صلوات الساعات (الأجبية) .

ليس لنا دالة .. من أجل كثرة خطايانا ، فبك نتوسل إلى الذى ولد منك ياوالدة الإله العذراء ، لأن كثيرة هى شفاعاتك ، قوية ومقبولة عند مخلصنا، أيتها الأم الطاهـــــرة لاترفضى الخطاة من شفاعاتك عند الذى ولدتيه، لأنه رحيم وقادر على خلاصنا .

وفى إحدى قطع صلاة التاسعة من السواعى :

" اقبل من والدتك شفاعة من أجلنا " .

- **الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح :**

ϯⲡ̀ⲣⲟⲥⲧⲁⲧⲏⲥ ⲉ̀ⲧⲉⲛϩⲟⲧ ⲛⲁϩⲣⲉⲛ ⲡⲉⲛϭⲟⲓⲥ Ⲓⲏⲥⲟⲩⲥ ⲡⲓⲭⲣⲓⲥⲧⲟⲥ.

جاء فى سلام العذراء ..

" نسألك اذكرينا **أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح** ، ليغفر لنا خطايانا".

وللدلالة على إمتياز شفاعة العذراء، تُقدم على شفاعات الملائكة ورؤساء الملائكة ولذلك تبدأ سلسلة الإستشفاعات بالقديسين المعروفة فى القداس الإلهى بالهيتنيات ، بالإستشفاع بالعذراء مريم ..

" بشفاعات والدة الإله القديسة مريم يارب أنعم علينا بغفران خطايانا " .

ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲑⲉⲟ̀ⲧⲟⲕⲟⲥ.
ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ Ⲙⲁⲣⲓⲁ: ⲡ̀ϭⲟⲓⲥ ⲁⲣⲓϩ̀ⲙⲟⲧ ⲛⲁⲛ ⲙ̀ⲡⲓⲭⲱ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲉⲛⲛⲟⲃⲓ.

وذلك أولاً وقبل كل شيء، وقبل الإستشفاع بسبعة رؤساء الملائكة .

"بشفاعات سبعة رؤساء الملائكة والطغمات السمائية ، يارب أنعم علينا بغفران خطايانا " .

ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϣⲁϣϥ ⲛ̀ⲁⲣⲭⲏⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲛⲓⲧⲁⲅⲙⲁ ⲛ̀ⲉⲡⲟⲩⲣⲁⲛⲓⲟⲛ ⲡ̀ϭⲟⲓⲥ..

وتمييزاً لشفاعة العذراء عن سائر القديسين من بنى البشر، استخدم النص كلمة ⲡⲣⲉⲥⲃⲓⲁ بمعنى مرتبة . منزلة . رتبة . دالة . سفارة . كرامة . أسبقية . تقدم . مقام. إعتبار. شرف للتعبير عن شفاعة العذراء مريم ، بينما استخدم كلمة ⲛⲓⲉ̀ⲩⲭⲓ بمعنى " صلوات " للتعبير عن شفاعات سائر القديسين وذلك إبرازاً لقيمة شفاعة العذراء مريم وإمتيازها على سائر الشفاعات التوسلية لجميع القديسين بمن فيهم من الأنبياء والرسل والشهداء والسواح والعباد ، والزهاد ، والنساك ، والمجاهدين والصديقين..

وإلى ذلك كله وصفت العذراء مريم فى طقوس صلوات البيعة بأوصاف كثيرة أكثرها مستعار من أحداث وطقوس فى العهد القديم رأى فيها آباء الكنيسة رموزاً واضحة إلى العذراء مريم، فى طهارتها ونقاوتها، وشرف حملها وولادتها لله الكلمة، والكرامة التى نالتها بذلك ورفعتها فوق رتب الملائكة ورؤساء الملائكة وسائر المقامات والرتب السمائية والأرضية ..

ومن ذلك

* **المدينة المقدسة التى للملك العظيم .**

ϯⲂⲁⲕⲓ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲛ̀ⲟⲩⲣⲟ.

وذلك لحلول الله الكلمة فى بطنها ، فصارت له العذراء المدينة المقدسة ..

* **مدينة الله .** ϯⲂⲁⲕⲓ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲛⲟⲩϯ
* **أورشليم مدينة إلهنا .**

Ⲓⲉⲣⲟⲩⲥⲁⲗⲏⲙ ̀ⲧⲡⲟⲗⲓⲥ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲛⲟⲩϯ.

* **القبة الحقيقية التى الله داخلها .**

ϯⲥⲕⲏⲛⲏ ⲙ̀ⲙⲏⲓ ⲉ̀ⲣⲉ ̀ⲫⲛⲟⲩϯ ⲥⲁϧⲟⲩⲛ ⲙ̀ⲙⲟⲥ.

أى أن القبة الأولى التى صنعها موسى كانت ظلاً للقبة الحقيقية وهى مريم العذراء..

*** القبة التى صنعها موسى على جبل سيناء .**

ϯⲥ̀ⲕⲏⲛⲏ ⲉ̀ⲧⲁ Ⲙⲱ̀ⲩⲥⲏⲥ ⲑⲁⲙⲓⲟⲥ ϩⲓϫⲉⲛ ⲡ̀ⲧⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲥⲓⲛⲁ.

فقبة موسى كانت إشارة إلى العذراء مريم ..

*** القبة الثانية .**

ϯⲙⲁϩⲥⲛⲟⲩϯ ⲛ̀ⲥⲕⲏⲛⲏ.

*** المنارة الذهب النقى .**

ϯⲗⲩⲭⲛⲓⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲉⲧⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩⲧ.

*** المنارة الذهب الحاملة النور الحقيقى .**

ϯⲗⲩⲭⲛⲓⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲉⲧϥⲁⲓ ϧⲁ ⲡⲓⲟⲩⲱⲓⲛⲓ ⲙ̀ⲙⲏⲓ.

والنور الحقيقى هو المسيح . وأما العذراء فهى المنارة التى حملت فى أحشائها النور الذى خرج منها ...

*** مائدة الذهب . وخبز التقدمة موضوع عليها .**

Ⲟⲩⲧⲣⲁⲡⲉⲍⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ.. ⲡ̀ⲱⲓⲕ ⲛ̀ϯⲡ̀ⲣⲟⲑⲉⲥⲓⲥ ⲭⲏ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉ̀ϫⲱⲥ.

وخبز التقدمة يشير طبعاً إلى السيد المسيح الذى قدم نبيحة عنا وهو أيضا الخبز الحى الذى نزل من السماء.. ومن أكل منه يحيا إلى الأبد .. والخبز الذى أعطانا هو جسده الذى بذله عن حياة العالم (يوحنا٦: ٥١) .

*** المجمرة الذهب الحاملة جمر النار والبخور المختار العنبرى .**

ϯϣⲟⲩⲣⲏ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲉⲧϥⲁⲓ ϧⲁ ⲡⲓϫⲉⲃⲥ ⲛ̀ⲭⲣⲱⲙ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲥ̀ⲑⲟⲓⲛⲟⲩϥⲓ ⲉⲧⲥⲱⲧⲡ ⲛ̀ⲁ̀ⲣⲱⲙⲁⲧⲁ.

وكما كانت المجمرة تحمل الجمر فيها كذلك حملت العذراء جمر اللاهوت فى أحشائها، وأما البخور العطر فهو المسيح أيضاً لأنه قدم ذاته نبيحة فاشتمه الآب رائحة نكية ، وتنسمه رائحة رضى وبه قبل الله البشر ورضى عنهم .

*** الزهرة المقدسة التى للبخور .**

Ⲧϩⲣⲏⲣⲓ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲥ̀ⲑⲟⲓⲛⲟⲩϥⲓ.

*** المجمرة النقية المملوءة بركة .**

ϯϣⲟⲩⲣⲏ ⲉⲧⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩⲧ ⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ⲉⲩⲗⲟⲅⲓⲁ.

*** المجمرة الذهب النقى .**

ϯϣⲟⲩⲣⲏ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲛ̀ⲕⲁⲑⲁⲣⲟⲥ.

* قدس الأقداس .

Ⲑⲏⲉ̀ⲧⲟⲩⲙⲟⲩϯ ⲉ̀ⲣⲟⲥ ϫⲉ ⲑⲏⲉⲑⲟⲩⲁⲃ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲏⲉ̀ⲑⲟⲩⲁⲃ.

لأن العذراء حل فيها الله كما كان يحل فى العهد القديم فى قدس الأقداس، فى سحابة على كرسى الرحمة بين أجنحة الكروبيم ...

* التابوت غير الدنس . ϯⲕⲓⲃⲱⲧⲟⲥ ⲛ̀ⲁⲧⲑⲱⲗⲉⲃ

والإشارة إلى تابوت العهد الذى كان به لوحا العهد وعليهما كلمة الله .

* القسط الذهب النقى . ⲡⲓⲥⲧⲁⲙⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲉⲧⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩⲧ

والقسط أيضا كان يحمل المن، والعذراء حملت المن العقلى يسوع المسيح .

* القسط المكرم . ⲡⲓⲥⲧⲁⲙⲛⲟⲥ ̀ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ

* القسط الذهب الذى المن مخفى فيه .

Ⲡⲓⲥⲧⲁⲙⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲛⲟⲩⲃ ⲉⲣⲉ ⲡⲓⲙⲁⲛⲛⲁ ϩⲏⲡ ⲛ̀ϧⲏⲧϥ.

والمن المخفى إشارة إلى كلمة الله الذى إختفى فى الناسوت وحجب لاهوته عن الشيطان " لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد " .

* عصا هرون التى أزهرت ونبتت وأعطت ثمراً .

* الكرسى (أو العرش) الملوكى الذى يُحمل على الشاروبيم .

ⲡⲓⲑⲣⲟⲛⲟⲥ ⲙ̀ⲃⲁⲥⲓⲗⲓⲕⲟⲛ ⲙ̀ⲫⲏⲉ̀ⲧⲟⲩϥⲁⲓ ⲙ̀ⲙⲟϥ ϩⲓϫⲉⲛ ⲛⲓⲭⲉⲣⲟⲩⲃⲓⲙ.

فالكاروبيم هم حملة العرش السماوى، وعلى العرش يستوى المولى ويجلس ضابط الكون . فالعذراء فى هذا التشبيه تشبه العرش لأن الرب اتخذ من أحشائها عرشاً جلس عليه . وكذلك بعد ولادته اتخذ من حجرها وركبتيها كرسياً وعرشاً ..

وهذا هو معنى الإسبسمس " ... الذى فى حجرك ، الملائكة تسبحه " ...

ولهذا نرسم العذراء أحياناً، والمسيح جالس على ركبتيها أو فى حجرها متخذاً من ركبتيها وحجرها كرسياً ، كما هو جالس الآن فى السماء على عرش المجد .

ووصفت العذراء مريم فى كتب البيعة بأنها :

* السحابة الخفيفة . ϯϭⲏⲡⲓ ⲉⲧⲁⲥⲓⲱⲟⲩ.

والإشارة هنا إلى نبوءة إشعياء النبى عن العذراء مريم :

" هوذا الرب يركب على سحابة سريعة ، ويدخل مصر فتتزلزل أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر فى داخلها " (إشعياء ١٩: ١) .

ولعل تشبيه العذراء بالسحابة لأنها حملت المسيح الإله وجاءت به إلى أرض مصر، وفى أكثر من موضع يشار إلى الله أنه جالس على السحاب ...

" باركى يانفسى الرب .. الجاعل السحاب مركبة له " (مز١٠٤: ٣) .

" فنزل الرب فى السحاب" (خر٣٤: ٥)، (عدد١٢: ٥) .

وأما أن العذراء سحابة خفيفة فهذا إشارة إلى طهارتها ونقاوتها ونصاعة حياتها، فالسحابة الخفيفة يراها الناس منيرة بعكس الغمام وهو السحاب الكثيف الذى يراه الناس مظلماً ..

كما أنها سحابة خفيفة .. لأن الخفة ترمز إلى رقتها ووداعتها .

*** الإناء (أو الكنز) المختار من كل المسكونة .**

Ⲡⲓⲕⲓⲙⲓⲗⲓⲟⲛ ⲉⲧⲥⲱⲧⲡ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲟⲓⲕⲟⲩⲙⲉⲛⲏ ⲧⲏⲣⲥ.

*** الكنز الذى اشتراه يوسف ، فوجد الجوهر مخفياً فى وسطه .**

ⲡⲓⲁϩⲟ ⲉⲧⲁϥϣⲟⲡϥ ⲛ̀ϫⲉ Ⲓⲱⲥⲏⲫ ⲁϥϫⲉⲙ ⲡⲓⲙⲁⲣⲅⲁⲣⲓⲧⲏⲥ ⲉϥϩⲏⲡ ϧⲉⲛ ⲧⲉϥⲙⲏⲧ.

ويوسف هنا هو القديس يوسف البار خطيب العذراء مريم . والجوهر المخفى فى وسط الكنز هو الرب يسوع المسيح، الكلمة المتجسد، ومخفى لأنه مستتر ومحتجب بالناسوت .

*** الحمامة الحسنة التى بشرتنا بسلام الله الذى صار للبشر .**

ϯϭⲣⲟⲙⲡⲓ ⲉⲑⲛⲉⲥⲱⲥ ⲑⲏⲉ̀ⲧⲁⲥϩⲓϣⲉⲛⲛⲟⲩϥⲓ ⲛⲁⲛ ⲛ̀ϯϩⲓⲣⲏⲛⲏ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫⲛⲟⲩϯ ⲑⲏⲉ̀ⲧⲁⲥϣⲱⲡⲓ ϣⲁ ⲛⲓⲣⲱⲙⲓ.

والإشارة هنا إلى حمامة نوح التى أرسلها من الفلك فعادت إليه بورقة زيتون فى فمها حملت إليه بشائر السلام ، وعودة الأرض إلى خصوبتها (تك٨: ١٠، ١١) .

وكذلك العذراء حملت إلينا المسيح الذى به صارت المصالحة بين الله والناس، وبه عاد السلام إلى الأرض " وعلى الأرض السلام " (لو٢: ١٤) . إذ هو رئيس السلام (إشعياء٩: ٦) .

*** باب السماء .**

جاء فى إحدى قطع الساعة الثالثة من صلوات السواعى (الأجبية) .

" ياوالدة الإله أنت هى باب السماء ، افتحى لنا باب الرحمة " .

ومعنى ذلك أن العذراء هى التى فتحت لنا الفردوس الذى كان مغلقاً فى وجه الإنسان منذ أن سقط أبونا آدم فى الخطيئة وذلك بميلادها للسيد المسيح وهو " الطريق والحق والحياة " (يو ١٤: ٦) .

*** باب الحياة العقلى .**

وهى الباب العقلى للحياة، تمييزاً لها عن الباب المادى، وأما الحياة فهو المسيح نفسه . وهذا يشير إلى شفاعتها ودالتها عند ابنها وربها يسوع المسيح .

*** كرازة الأنبياء .**

ⲡ̀ϩⲓⲱⲓϣ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓⲡⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ.

لأنه عن العذراء أنبأ الأنبياء وكرزوا بعذراويتها وطهارتها، ومجيئها إلى مصر، وبأنها الملكة أم الملك ، وأنها مملوءة مجداً من الداخل، وأنها مكرمة وقد فضلها الله على كل نساء العالمين، وأنها تحمل فى بطنها كلمة الله . ومن بين هؤلاء الأنبياء موسى وداود وسليمان وإشعياء وإرميا وحزقيال ، وصفنيا .

*** فخر جنسنا .** **ⲡ̀ϣⲟⲩϣⲟⲩ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲅⲉⲛⲟⲥ**

*** قضيب الإيمان ، قضيب الأرثوذكسية .**

Ⲡⲓϣ̀ⲃⲱⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲛⲁϩϯ.

وهناك ألقاب أخرى :

١- جبل مسكن الله .

٢- سلم يعقوب .

٣- مركبة الكاروبيم التى رآها النبى حزقيال .

العذراء الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة(١)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

إنجيل هذا القداس ، الفصل المقروء من إنجيل معلمنا لوقا البشير والأصحاح العشرين، فيه يتكلم المسيح عن الكرم والكرامون (لو٢٠: ٩-١٩)، والمقصود الأولى من الكرم هو الكنيسة، والكنيسة هنا ليس مقصوداً بها على وجه التحديد كنيسة العهد الجديد، إنما المقصود بها شعب الله إطلاقاً منذ الإبتداء، منذ أن بدأ أن يكون لله شعب مختار ينتسبون إلى الله وينتسب الله إليهم .

والكرامون هم القيادات الدينية الذين سُلّمت إليهم الأمانة، لكى يرعوا الكرم ويفلحوه ويأتوا بثمن الكرم، ليعود إلى صاحب الكرم، وصاحب الكرم هو الله .

العذراء فى كتب الكنيسة سميت بالكرمة ، ونحن نقول للعذراء مريم " أنت هى الكرمة الحقانية " نقول الحقانية لكى لا يتعارض هذا مع قول المسيح " أنا هو الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان" ، هنا تشبيه المسيح بالكرمة الحقيقية والرسل والمؤمنون أغصان فى هذه الكرمة ، ولا حياة للغصن إلا إذا ثبت فى الكرمة، ومن عصارة الحياة التى فى الكرمة يحيا الأغصان . فإذا انقطع الغصن من الكرمة انقطع عنه غذاءه ، وانقطعت عنه الحياة فيجف ويموت ويقطع ويتألم. وهذا هو معنى سر التناول ، أن حياتنا كأغصان نأخذها من الكرمة لأن المسيح هو شجرة الحياة ، " أنا الخبز الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى أنا أعطى الذى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم " .

لذلك نحن لابد أن نأخذ من الكرمة الحياة، والغذاء لكى نحيا به، "من يأكلنى يحيا بى" ، إذن لاحياة للأغصان إن لم تأخذ من الكرمة، والكرمة الحقيقية هى المسيح، أنا الكرمة الحقيقية وأنتم الأغصان، لكن كتب الكنيسة تصف العذراء من زاوية معينة أنها الكرمة لأنها أثمرت وثمرها هو المسيح، هذا وجه الشبه فالعذراء كرمة أثمرت وثمرها هو المسيح، فلكى لايحدث خلط والمسيح يقول أنا الكرمة الحقيقية ، فالعذراء هى الكرمة

----

(١) عظة أُلقيت بكنيسة العذراء مريم بالمحلة الكبرى – صباح الأحد الموافق ١١ من أغسطس ١٩٨٥م – ٥ من مسرى ١٧٠١ ش .

الحقانية ، هناك فرق بين الحقانية والحقيقية ، الحقانية نسبة إلى الحق، لأن العذراء عاشت مع الحق وبالحق وطبقا للحق وكان سلوكها هو الحق، فهى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة، ماهو عنقود الحياة ؟ من هو شجرة الحياة ؟ المسيح الذى قـــال " أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ". هذه هى شجرة الحياة التى أظهرها الله لآدم ولم يسمح له أن يأكل منها، إلاّ إذا كان قد نجح فى الإمتحان ، فلما رسب فى الإمتحان وسقط، منع عنه أن يقترب من شجرة الحياة بلهيب سيف متقلب، والكاروبيم يمنع الإنسان من أن يقترب من شجرة الحياة حتى لايأكل منها، لأنه لايستحق أن يحيا ودخل الموت إليه، ولولا أنه أخطأ لما دخل الموت إليه، فإذا لم يكن آدم قد أخطأ كان سيأكل من شجرة الحياة وكان سيحيا، فالموت دخل إلى العالم بالخطيئة ولولا الخطيئة لما كان الموت . لو كان آدم قد نجح فى الوصية كان الله أعطاه الحق والامتياز أن يأكل من شجرة الحياة ، فى القداس الغريغورى يقول " أظهرت لى شجرة الحياة " أظهرت إشارة إلى أنه أظهرها لآدم ، أظهرها ولكن لم يعطه أن يأكل إلا لو كان قد نجح فى الإمتحان ، فلما سقط أمام الله أقام الكاروبيم لحراسة طريق شجرة الحياة ليمنع الإنسان أن يقترب إلى الشجرة لئلا يأكل منها ، لذلك بعض الآباء القديسين الذين كانوا يُكشف عن أعينهم أثناء القداس، كان يرى الكاروبيم يمنع أشخاصا معينين فيضطر الأب القديس أن يمنعه من التناول بعد أن كان قد صرح لهم قبل ذلك، ربما أن يكونوا قد خدعوا الكاهن باعتراف مبتور أو توبة غير كاملة، فكان يظهر أحيانا لبعض الآباء القديسين يرونه يمنع أولئك الذين يقتربون ليأكلوا من شجرة الحياة الحقيقية، وشجرة الحياة هى جسد الرب ودمه هو المسيح .

فى المثل الذى ضربه المسيح له المجد ، فى هذه الزاوية فى الموضوع أن العذراء كرمة حملت عنقود الحياة، وأية كرمة هذه التى تحمل وحملت عنقود الحياة ؟ فإذا كانت قد حملت عنقود الحياة فهى حية ولاتموت، لأنه كيف تحمل عنقود الحياة وتموت!! لابد أن عنقود الحياة الذى فيها يمنحها الحياة، هنا ليس المقصود بالحياة مجرد العيش أو الاستمرار فى الوجود ، إنما الحياة السعيدة الحقيقية بروحانية عميقة، والدخول بها إلى شجرة الحياة لكى تحيا إلى الأبد، والعذراء حية لا بمعنى الاستمرار فقط، فكل القديسين سيُنعم عليهم بالحياة الأبدية ، هذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية، لكن العذراء لها كرامة أكثر لأنها حاملة عنقود الحياة، ومن هنا فهى مصدر خير وبركة، عن طريقها نأخذ لأنها حاملة عنقود الحياة، فمنها وعن طريقها

ومن خلالها نأخذ بركات وخيرات روحية وأبدية. كانت العذراء ولاتزال وسوف تبقى دائما حاملة عنقود الحياة نأخذ من بركاتها ونفيد منها ، أى نأخذ منها فوائد .

فلنا نحن المسيحيين كرمة تحمل عنقود الحياة ، ما أسعدنا بها وما أولانا أن نعرف كرامتها، ونعرف قدرها، ونعرف النعمة التى منحت لنا عن طريقها، لأنها الإنسانة التى استحقت أن تنال هذه الكرامة، أنه وعن طريقها ومنها دخل رب المجد إلى حياتنا، فهى الباب ، باب السماء منه دخل إلينا، النور أشرق من مريم ، أطل علينا من مريم ، فهى الباب لذلك رآها حزقيال بروح النبوءة وقال: "هذا الباب يكون مغلقاً لايفتح ولايدخل منه أحد لأن إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقا " . هذه الإشارة واضحة إلى أن مريم هى الباب، وأيضا إلى أنها كانت ولا تزال وستظل إلى الأبد مختومة على ابنها وسيدها، ولن يجرؤ أحد على أن يدخل من هذا الباب، وهذه إشارة واضحة إلى بتولية العذراء وبكارتها الدائمة، وأنها باب دخل منه الرب فيكون مغلقاً على أى إنسان آخر، لايفتح ولايدخل منه أحد لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، وهذه إشارة واضحة على أن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقا، إذن الذى خرج من بطن العذراء هو الرب، إله إسرائيل، ومن هنا فهى جديرة بحق أن تسمى بوالدة الإله . العذراء والدة الإله، نعم ، لكن هنا والدة الإله لا بمعنى أنها أصل الإله، حاشا حاشا حاشا إنما والدة الإله بمعنى أن الإله خرج متجسداً منها، لأن الذى خرج من أحشائها هو الإله المتجسد، فهى والدة الإله. يقول البابا كيرلس الأول، هكذا إذا قلنا أن العذراء مريم والدة الإله، لا بمعنى أنها أصل اللاهوت ، حاشا ، هى مخلوقة والذى ولدته خالقها، هى والدة الإله لأن الذى خرج منها هو الإله المتجسد، فبعد أن تكّون جسد المسيح ، وكيف تكّون جسد المسيح ؟ هنا إمرأة وليس هنا زرع رجل، فالروح القدس هو الذى حل عليها وكّون من دمها الجسد، وهذا مايقوله الكتاب المقدس "أعددت لِي جسدا "، الجسد أُعد بالروح القدس قبل أن ينزل اللاهوت إليه ليتحد بالجسد الذى تكون من دم العذراء مريم. فالذى ولد هو الإله المتجسد ، ليس الجسد فقط ولا الناسوت فقط، إنما الذى ولد وخرج من العذراء هو الإله المتجسد، إذن بحق تسمى العذراء والدة الإله، وهذا ما قاله النبى "هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا " ، إذن من المولود ؟ الله ، فتكون والدته والدة الإله، لذلك نتيجة لإجتماع المجمع المقدس وهو مجمع أفسس، الذى انعقد لينظر فى بدعة نسطور، الذى أتى لنا بالمتاعب الكبيرة، الذى أنكر أن تسمى العذراء والدة الإله، ونوقش نسطور وتقرر رأى الكنيسة، أنها بحق تسمى العذراء والدة الإله، ووضعت مقدمة قانون الإيمان فى هذا المجمع

" نعظمك ياأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله " ، هذه مقدمة قانون الإيمان التى نتلوها نتيجة المناقشات الطويلة، والتى خرج منها مجمع أفسس الأول، المجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١م بصدد بدعة نسطور، وأصبحنا نحن اليوم نتلوها قبل أن نتلو قانون الإيمان، وقانون الإيمان تقرر قبل ذلك فى مجمع نيقية ، إنما هذه المقدمة " نعظمك ياأم النور" من النور؟ المسيح ، " كان النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آتياً إلى العالم " النور الحقيقى، لأن المسيح قال لرسله " أنتم نور العالم" لكن أنتم أجساد معتمة لأن النور الذى فيكم ليس منكم . أنتم مثل القمر والقمر جسم معتم لكن نحن نراه منيرا، النور الذى فى القمر ليس منه إنما هو من نور الشمس منعكس على القمر فيبدو القمر منيراً " أنتم نور العالم " (مت٥: ١٤)، لكن لستم النور الحقيقى، " كان النور الحقيقى الذى ينير لكل إنسان آتياً إلى العالم كان فى العالم وكون العالم به " (يو١ :٩) ، المسيح هو النور الحقيقى." نعظمك ياأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة مريم والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوســنا ".

فالعذراء هى الكرمة الحقانية لأنها تحب الحق.. وهذا تمييزاً لها عن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح فهو الكرمة الحقيقية (يو١٥: ١)، وعنقود الحياة هو المسيح الرب لأن فيه كانت الحياة (يو١: ٤) وهو مانح الحياة (يو١٠: ٢٨)، لأنه رئيس الحياة (أع٣: ١٥)، بل هو الحياة (يو١١: ٢٥) ، (١٤: ٦) .

الكرمة الحقيقية تفضل أن يجعل ذاته مائدة ربانية نأكل منها لنحيا ، ياأولادنا خطيئتنا الكبيرة أننا غافلين عن سر الحياة ، نحضر الكنيسة ونسمع القداس كإسطوانة ، القداس ممكن أن تسمعه فى أى مكان، تسمعه فى البيت ، أو تسمعه فى شريط ، أو تسمعه فى الراديو ، ليس القداس اسطوانة ، القداس وليمة ، وليمة ونحن مدعوون للوليمة لنأكل، وليس من الأدب، أن الرب يعطينا الوليمة ونحن لانقبل إليها ، لو دعيت فى يوم من الأيام إلى وليمة وذهبت ولم تأكل ، إذن لماذا جئت ، هذه وليمة وإن لم تأكل فقد يكون الأكل لايعجبك، كل إنسان يتساءل ويتشكك من الموجودين، لماذا فلان لايأكل ؟ ، المفروض أن الشعب كله يتناول من القداس ومن الأسرار المقدسة إلاّ إذا كان هناك عائق ، وهذا العائق لايستمر أكثر من ٤٠ يوم، والاستثناء هو أن يكون هناك عائق ، لكن المبدأ أن هنا وليمة ونحن مدعوون إلى الوليمة ، وفى الخولاجى يقول: يتناول بعد الكهنة والشمامسة **كل الشعب** ، والمفروض أن الشعب يكون مستعداً ومستحقاً، لأن من يأكل ويشرب بغير إستحقاق يكون مجرماً إلى جسد الرب وإلى دمه. وهذا ليس معناه أننا نحصل على الخلاص باستمرار ، لابد أن نصحح أخطاءنا ونتوب

إلى رشدنا ونمارس التوبة اليومية، حتى لانحرم من إستحقاقنا لهذا السر المقدس المقدم لنا من المسيح، والذى قدم لنا لتكون لنا به الحياة ، لذلك نقول فى الصلاة الربانية " خبزنا الآتى" هذا كلام المسيح نفسه ، هذا الخبز الذى نطلبه فى الصلاة الربانية ليس هو الخبز المادى ، لأن الله سبق فأعطاه، لأنه قال لنا "لاتهتموا بما تأكلون وبما تشربون هذه كلها تزاد لكم، اطلبوا أولا ملكوت الله وبره" فالخبز الذى نطلبه فى الصلاة الربانية بفم المسيح ليس الخبز المادى ، خبزنا الآتى الذى هو زادنا فى الحياة الأخرى الذى سنعيش عليه هناك ، ثمرة الحياة أعطينا منه هنا لكى نحيا به هناك .

نطلب نعمة الله علينا جميعا ونطلب بركة العذراء على حياتنا، لأنها هى حاملة عنقود الحياة، ربنا يسوع المسيح الذى نعبده ونخدمه، وهو حياتنا ولاحياة لنا إلا به، وهو الذى يتفضل فيعطينا أن نأكل منه كأغصان لنحيا به، ولاحياة لنا إلا به ، " إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلا حياة لكم فى أنفسكم " لا حياة لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه. " أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ". نعمة ربنا يسوع المسيح تشملنا جميعا، له الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

فضائل العـــــذراء

الفضيلة الأولى : تواضعها .

الفضيلة الثانية : الإيمان والتصديق .

الفضيلة الثالثة : الصمت والتأمل .

الفضيلة الرابعة: الإحتمال .

الفضيلة الخامسة: التبتل والعفة .

فضائل العـــذراء

إذا كان الله قدوساً فمسرته فى القديسين، ولذا نجده تعالى إذا ما أراد أن يصنع عملاً عظيماً فلا بد أن يهيىء له الإناء المختار، أى لابد أن يختار لهذا العمل ، الشخص الذى يكون جديراً بهذا الشرف السامى .

هكذا يتمجد الله فى الأطهار والأبرار، وهكذا يسخرهم لإتمام مقاصده العالية الحكيمة، فليس يصلح إذن لهذا المقام أى إنسان بل لابد من إختيار شخص تتوافر فيه مزايا خاصة يمتاز بها عن غيره . أى أن هذه الدعوة أو هذا الإختيار لا يرجع إلى الصدفة العمياء، بل يرجع إلى إستعداد خاص يتوافر عند شخص ولا يتوافر عند غيره.

هذا الإستعداد الخاص، وهذه المميزات التى تؤهل إنساناً دون غيره للتشرف بإتمام مقاصد الله، ليست هى جمال الوجه ولا امتشاق القوام وليست هى الثراء أو الجاه، وليست هى سعة الإطلاع وغزارة المعرفة ، ليست هى شيئاً من ذلك ، بل هى ذلك القلب الطاهر الوديع الهادىء الذى هو قدام الله كثير الثمن، هى تلك النفس الخاضعة المطيعة الممتلئة نعمة ومحبة لله، أو هى تلك الروح القوية الفائرة الملتهبة حمية مقدسة نحو مجد الله وبنيان النفوس .

إن هذه الطريقة فى إختيار الله لنفوس العاملين فى كرمه، هى من الحقائق الهامة جداً فى سياسة الله مع شعبه، وهو بذاته القدوسة أعلن عنها يوم أن رفض بنى يسى السبعة مع ما لهم من جمال الصورة ، وكمال القوام وواسع الخبرة والدراية بشئون الحرب والسياسة، واختار داود بن يسى وهو الأصغر الممتهن بين إخوته ، وذلك لأنه وجده حسب قلبه .. ولقد عنف الرب صموئيل النبى لأنه خدع بمنظر العينين فأراد أن يمسح ألياب ملكاً فقال له : " لا تنظر إلى منظره، وطول قامته، لأنى قد رفضته . لأنه ليس كما ينظر الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلـــى القلب " (١. صم١٦: ٧) .

وبهذه الطريقة عينها، طريقة النظر إلى القلب وفحص السرائر والأعماق، اختار الله إبراهيم ليكون أباً للمؤمنين ، وموسى ليكون قائد الشعب الإسرائيلى، وهكذا أيضاً اختار السيدة العذراء لتكون هيكلا لحلوله، فلما جاءها الملاك غبريال ليبشرها بالحلول الإلهى فى أحشائها حياها بتحية لم تسمعها أذن بشرية من قبل .. " قال لها: سلام ياممتلئة نعمة. الرب معك، مباركة أنت فى النساء " ولما دهشت من هذه التحية الجميلة

أزال دهشتها وعرفها بسر هذا الإختيارإذ قال " لاتخافى يامريم فإنك قد وجدت نعمة عند الله " (لو ١: ٢٨-٣٠) .

اتضح إذن من الوحى الإلهى أن اختيار العذراء لتكون أُماً لله لم يكن إختياراً تعسفياً بلا مبرر أو سبب، بل لأنها ممتلئة نعمة ولهذا قد وجدت نعمة عند الله ، فاستحقت أن تتميز عن سائر نساء العالمين .. فلقد توفرت فى العذراء قداسة السيرة، والإمتلاء من النعمة وطهارة القلب.. هذه التى أهلتها لهذا الإختيار العالمى .

وها نحن أولاً يهمنا، تمجيداً للعذراء وتمثلاً بها، أن نثبت هنا بعض الفضائل التى أحرزتها العذراء، راجين بشفاعتها أن ننتفع بالتأمل فى جميل خصالها، والتحدث عن بديع محاسنها .

الفضيلة الأولى : تواضعها

من خفض نفسه ارتفع :(١)

الأصحاح الثامن عشر من إنجيل معلمنا لوقا البشير، يقدم فيه المسيح له المجد التمايز بين إنسان وآخر (لو١٨: ٩-١٤) فيما يتصل بعلاقته بالله .

إنسان يتعبد ولكنه فى تعبده يشعر أنه صاحب فضل فى هذه العبادة، وإذا كان الأمر كذلك فهو ينقض المعنى الأساسى للعبادة، لأن العبادة معناها أن الإنسان يشعر أنه عبد لسيد . وهذا الشعور من شأنه أن يخفض إحساسه بذاته ، هذا الشعور من شأنه أن يحس بالفارق العظيم بينه كإنسان مخلوق وخادم وعبد، وبين الله بإعتباره السيد والملك والمهيمن على كل الوجود .

إذا فقد الإنسان فى عبادته هذا الشعور وهذا الإحساس، تحولت العبادة إلى فرصة للتفاخر وللتباهي، ولإظهار التمايز بينه وبين غيره من الناس ، فيحس أنه أفضل من غيره لأنه يصلى ، يحس أنه أسمى من غيره لأنه يصوم ، يحس أنه أرقى من غيره لأنه يعطى رحمة وصدقة للآخرين .

-----

(١) محاضرة بكنيسة السيدة العـــذراء ببنـــها – مساء السبت ١٧ من أغسطس ١٩٨٥م – ١١ من مسرى ١٧٠١ ش .

هنا يشعر أنه قد قام بواجباته وأنه لذلك لم يقصر فى شىء ، إنما صنع مايجب عليه نحو الله خالقه، وكلما إزداد شعور الإنسان وإحساسه بنفسه وبفضائله يضعف إحساسه بعظمة خالقه، ويرتفع قلبه، وفى إرتفاع قلبه يفقد روح العبادة .

هذا الرجل الذى قدمه المسيح ممثلاً لهذا الطراز من الناس. كان فريسياً يصلّى ويصوم مرتين فى الأسبوع، ويعطى العشور لله، وقد أدخل هذه الأمور فى صلاته لله، مما يدل على أنه يحس بأنه أتم واجباته وأنه لاينقصه شيء، وتحولت الصلاة بالنسبة له إلى خطابة ، وإلى مجال للتفاخر والتباهى بما يعمل، وبعد أن أحس بأنه قام بواجبه بدأ ينظر إلى غيره نظرة دونية حقيرة، بدأ ينظر إلى العشار ويقول أنا لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الفاسقين ولست مثل هذا العشار. أيمكن أن تكون هذه عبادة؟! ماذا يطلب من الله ، هل هذا تعبد ؟ هل هذا إحساس بالعبودية نحو سيده ؟ أم هو نوع من أنه يباهى الله بما يصنع، ويخرج من هذه المقارنة بقلب مرتفع يشعر بالسمو وبالتمايز والتفاخر، وينزل إلى بيته وهو يحس أنه شيء آخر يختلف عن باقى الناس .

كان خيراً لذلك الرجل لو لم يتعبد ، كان خيراً له أن لايصلى وألا يصوم وألا يتصدق وألا يعطى العشور لله، لأنه كان حينئذ سيشعر أنه ناقص وأنه ضعيف وأنه مُقصّر، أما أنه صلّى وأما أنه صام وأما أنه أعطى العشور، فهذا أعطاه إحساس بالتمايز وإحساس بالارتفاع على غيره من الناس، وأنه أتم واجباته ، هذا بالنسبة لله مرفوض ، الله يرفض هذا الطراز من العبادة ولايسمى هذه عبادة إطلاقاً. هذا الإنسان الذى يتعبد ومن وراء العبادة يرتفع قلبه، ويحس بتمايزه وإرتفاعه، وأنه أتم واجبه من جهة الله، وأيضا أنه تفاضل عن الآخرين، هذا الأمر مرفوض أمام الله ولايحسب أمام الله عبادة إطلاقاً . هذه خطابة ، هذا تفاخر ، هذا إبراز ورفع لنفسه إلى فوق، كيف يُسمى هذا عبادة ؟

أما الآخر العشار الذى كان معروفا أنه خاطئ، لأن العشارين بصفة عامة عُرف عنهم الظلم، كانت الحكومة الرومانية تُعيِّن من الشعب اليهودى أُناساً يجمعون العشور للحكومة الرومانية، وفى مقابل هذا تُعطى هؤلاء العشارين الحق فى أن يجمعوا مايشاءون، بل وتعطيهم العسكر والجند ليتمكنوا من أن يذلوا الناس ويختصبوهم ويأخذوا منهم ما يشاءون . من أجل هذا كانوا هؤلاء العشارون ظلمة، وكانوا بالتالى مكروهين من الناس، لأنهم مغتصبون مضطهدون قاهرون لغيرهم، فكانت كلمة العشار عند اليهود فى ذلك الوقت تقابل الخاطىء، الفاجر، الشرير الظالم، المكروه من الناس. حتى أنهم إذا رأوا المسيح يدخل إلى بيت عشار كما دخل إلى بيت زكا، قالوا كيف

يدخل إلى بيت هذا الرجل العشار؟ واعتبروا أن دخول المسيح تواطئا مع هذا الظالم، لكن سيدنا له المجد فى هذا الفصل صور لنا العشار كإنسان يحس أنه خاطىء، مقتنع أنه خاطىء، وحينما وقف يصلى أحس بأنه وهو خاطىء لايليق به أن يقف فى حضرة الرب القدوس ، من أجل هذا خفض قلبه وخفض عينيه ولم يشأ أن يرفع عينيه إلى فوق، لأنه أحس أنه غير مستحق أن يكون فى حضرة الرب القدوس، تملكه الشعور بالنقص ، تملكه الإحساس بأنه خاطىء، أحس بتقصيره الشديد فى كل الوصايا، وأحس بالفارق العظيم بينه وبين الله . هذا الشعور فى ذاته رحب المسيح به، لأنه دليل على أن هذا الإنسان وضع قدمه على أول خطوة من خطوات الطريق الصالح ، أن يعرف الإنسان نفسه، أن يفهم ذاته على حقيقتها، أن يكون عارفا بتقصيراته، وأن تكون خطيئته أمامه فى كل حين كما قال داود النبى، هذا الإنسان يبدأ الله أن ينظر إليه ، يبدأ أن ينظر فى طلبه ، إنما الآخر مرفوض، طلبه لايفتح، فهو مرفوض من الإبتداء، إنما العشار الذى عرف نفسه على حقيقتها، وأدرك ماهو فيه من ظلام، وأدرك ماهو فيه من تقصير، هذا الانسان وضع قدمه على أول عتبة من عتبات الطريق الصاعد إلى الله، والطريق المقبول عند الله . ليس معناه أنه تحول إلى قديس بالفعل لا .. مازال أمامه طريق طويل لكى يبلغ إلى القداسة، إنما وضع قدمه على أول خطوة صحيحة وهى إدراكه لنفسه ، وفهمه لذاته ، وفهمه لحالته ، فتح باب الأمل أن يدخل هذا الإنسان إلى طريق الله ، ولذلك قال المسيح عن هذا الرجل الذى قال: " ارحمنى اللهم أنا الخاطىء " ولم يزد على ذلك، يقول عنه المسيح أنه نزل مبرءاً إلى بيته أكثر من ذلك الفريسى الذى مدح نفسه، ودافع عن نفسه، إنما هذا الإنسان الخاطىء الذى يدرك أنه خاطىء، ينظر الله إليه لأنه ينظر إلى المتواضعين ، الله فوق وعندما يكون واحد آخر فوق، لايمكن أن ينظر له الله، إنما ينظر الله إلى المتواضعين لماذا؟ لأنه منخفض، فالله ينظر له من فوق ، الذى يرفع نفسه إلى أعلى ، وضع نفسه مع الله . الذى رفع نفسه إلى فوق كيف تأتى إليه نظرة الله من فوق، لذلك فى القداس يقول: " الناظر إلى المتواضعين "، أى أن الله لاينظر إلى المتكبرين، الله فوق ساكن الأعالى ونظرته تكون إلى تحت، إلى المتواضعين، إنما المغرور والمتكبر والمرتفع والمتعالى والمتغطـــرس لا ينظر الله إليه، وهذه لاتكون عبادة ولا تكون صلاة .

يقول: " نزل الرجل الخاطىء إلى بيته مبرءا دون ذاك " هذا ليس معناه أنه وصل للقداسة، لكن بالمقارنة، الله قال أن هذا أحسن من ذاك، لكن ليس معناه أنه وصل إلى الكمال، مازال الطريق أمامه طويل، لكن وضع رجله على أول خطوة، أول خطوة هى

أن يعرف الإنسان نفسه. أن يدرك ماهو فيه من نقص ، أن يُسلِّم بخطئه، أن لايغالط إنما يعترف بأنه مقصر، من رفع نفسه اتضع ومن خفض نفسه ارتفع .

هذا الفصل الذى فيه المسيح يبين الفرق بين الرجل الفريسى المتكبر المتغطرس، الذى يفاخر بأعماله، وبين الرجل الخاطىء الذى اعترف بأنه خاطىء وخفض نفسه، ولم يشأ أن يرفع عينيه لأنه شعر أنه غير مستحق .

فى هذا الفصل الذى يتكلم فيه المسيح عن الارتفاع وعن الانخفاض، " من رفع نفسه اتضع ومن خفض نفسه ارتفع " . تلويح للعذراء مريم أنها الإنسانة التى خفضت نفسها جدا ، عاشت بكل معنى الكلمة منخفضة النفس ، قبلت ظروفها البائسة وقبلت حياتها اليتيمة، إبنة فقيرة من الأب والأم ، وفى الثامنة من عمرها أصبحت يتيمة من كل من الأب والأم، وبقيت فى الهيكل ليس لها أحد يسأل عنها، أو يهتم بها أو يرعاها حتى أن الكهنة تحيروا فى أمرها لمن يسلمونها، خصوصا عندما بلغت الثانية عشرة من عمرها وهو سن البلوغ، ولابد أن تخرج من الهيكل، من الذى يتسلمها لا أب لها ولا أم ولاعائل لها من أسرتها .

شاء الله أن تمر مريم بهذه الظروف المؤلمة، التى لو رأينا نحن طفلة فى مثل ظروفها لأشفقنا عليها، وقلنا لماذا يارب تسمح لطفلة خصوصا إذا كانت هذه الطفلة ستحظى بأن تحمل المسيح كلمة الله فى أحشائها، لماذا تكون ذليلة ولماذا تكون كسيرة، لماذا تكون فى هذا الوضع، موضع العطف والحنان من الكهنة فى ذلك الوقت ، لماذا تكون فى هذا الوضع الذى لاتكون فيه أية طفلة أخرى فى مثل ظروفها ؟!! لكى تعيش مريم بإحساس داخلى يجعلها منسحقة بالإتضاع، ليس لها ما تفتخر به ، ليس لها ما تتباهى به ، ما الذى تباهى به ؟ فخر البنين أبائهم ، الإنسان يفتخر بأبيه ؟ أنا ابن فلان وأنا من عائلة فلان ، بهذا يفتخر الإنسان ، بماذا تفتخر مريم؟ وهى هذه الطفلة اليتيمة البائسة التى ليس لها أحد، نعم . شاء الله لمريم أن تمر بهذه التجربة، حتى تحس حقيقة بإتضاعها أو بوضاعتها وبحقارتها وبأنها ليس لها شىء تفتخر به أو تستند عليه أو تعتمد عليه، ليس لها مركز ولا منصب ، ليس لها عائلة تستند إليها حتى يبقى شعورها الداخلى فى نفسها شعور إتضاعِ، وليس هناك شىء يتعارض من ذكريات حياتها مع هذا الإحساس بالتواضع ، لذلك تشرَّفت مريم بالبشارة ونزل الإله إلى أحشائها مستترا فى الناسوت الذى أخذه منها، لأنه لولا هذا الاستتار لاحترقت مريم، " من يسكن فى وقائد أبدية إلهنا نار آكلة "، كيف ينزل اللاهوت إلى أحشاء مريم دون أن تحترق مريم لولا أن اللاهوت استتر بالناسوت . الناسوت الذى أخذه منها، الذى تكون من دمها

بالروح القدس، كيف تَكَوَّن الجسد؟ ليس هنا زرع رجل،"الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك " فالروح القدس هو الذى كَوَّن هذا الجسد من دمها، وبهذا الجسد اتحد اللاهوت النازل من السماء ، وهذا هو الجسد الذى حمى مريم من أن تحترق . وهذا هو الذى رآه موسى النبى قبل ذلك بآلاف السنين ، رأى من بعيد عليقة تحترق بالنار، وانتظر أن العليقة تفنى بفعل الإحتراق، فتعجب أن العليقة لا تفنى، النار تشتعل فيها وهى باقية حية، فقال أميل لأنظر هذا المنظر العجيب ، كيف للعليقة لاتحترق والنار فيها، فلما اقترب لينظر إذ بصوت من العليقة يناديه قائلا " اخلع نعليك لأن الأرض التى أنت واقف عليها أرض مقدسة "، إذن ليست هذه نار عادية إنما هى نار اللاهوت، والعليقة هى شجيرة وليست شجرة ، شجيرة أى شجرة صغيرة، ومعنى أنها عليقة أى أنها ضعيفة جدا، بحيث أن أغصانها لاتقوى على أن تنتصب ، فتتعلق على غيرها ولذلك اسمها عليقة، فهى ضعيفة ، وكانت هذه إشارة ورمزاً إلى الصبية البريئة الرقيقة الضعيفة مريم ، كيف ، كيف لهذه العليقة مريم أن ينزل اللاهوت إليها ولاتحترق !! حملت جمر اللاهوتية، نعم جمر لأن اللاهوت نار، ولذلك فإن توما الرسول عندما قال له المسيح تعالى ياتوما وضع يدك فى جنبى وضع يدك فى أثر المسامير ولاتكن غير مؤمنا ، جاء توما ووضع يده فصرخ قائلا ربى وإلهى ، لماذا صرخ ؟ لأن يده أكلتها النار، لمس اللاهوت فاحترق وصرخ، من أين يأتى لتوما هذا الصراخ والاعتراف بالألوهية لولا أنه فعلا عندما وضع يده احترقت يده .

فمريم هذه الكائنة الرقيقة الضعيفة كالعليقة كيف قبلت المسيح ، كيف قبلت الإله ، كيف قبلت جمر اللاهوت، لذلك نحن نرى فى المجمرة وهى الشورية ، والشورية كلمة قبطية لكن بالعربى نقول المجمرة، لماذا المجمرة ؟ لأن المجمرة حاملة الجمر، والجمر هو الفحم متحد بالنار، غير مختلط أو ممتزج، ولكنه متحد ، لا تقدر أن تمسك سكينة وتفصل مابين الفحم والنار، لأنه متحد به، فصار جمر يجمع مابين خصائص الفحم من حيث الوزن ومن حيث الكتلة ومن حيث الحجم ومن حيث الشكل ، وأيضا يجمع بين خصائص النار من حيث التوهج ومن حيث الاحراق ، فالجمر جمع بين صفات الفحم مع النار دون امتزاج ودون اختلاط ودون تغيير، فلا الفحم تحول إلى نار ولا النار فقدت طبيعتها وتحولت إلى فحم، اتحاد غريب يجمع مابين خصائص الفحم وخصائص النار معا .

هذا هو الذى حدث فى التجسد ، الناسوت بحجمه وبماديته وبشكله وبوزنه اتحد باللاهوت وهو نار آكلة ، فصار المسيح هو الإله المتجسد ، يجمع مابين صفات اللاهوت والناسوت .

الناسوت أخذه من مريم بالروح القدس، واللاهوت نزل من السماء واتحد بالناسوت فصار الإله المتجسد . الذى خرج من العذراء مريم ، هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل ، أى الله معنا، ومن هنا فالعذراء تسمى بوالدة الإله ، هنا العجب ، ليس المسيح إذن طبيعتين بعد الاتحاد، قبل الاتحاد طبيعتين إنما بعد الاتحاد طبيعة واحدة هى طبيعة الإله المتجسد، وطبيعة الإله المتجسد تجمع بين صفات اللاهوت والناسوت معا ، فالمسيح فى ذات الوقت الذى فيه كانت له صفات الإنسان فكان يجوع ويعطش وينام ويصلب ويموت ويقوم، ولكن فى ذات الوقت له صفات الإله الذى يأمر فيطاع ، يأمر الأرواح فتخرج ، يأمر المريض فيشفى ، يأمر الميت فيقوم ، فالمسيح الإله لم يكن أبدا فى صنع المعجزات يطلب قوة خارجة عن ذاته، لأن فيه القوة ومنه القوة وله القوة، وهذا ما قاله له الملاك فى بستان جثسيمانى، لك القوة ، أى أنت صاحب القوة ، أنت صاحب البركة ، هو طبعا يكلم المسيح من حيث هو إله، وهذه هى التسبحة التى نقولها فى أسبوع الآلام (ثوك تيه تى جوم) " لك القوة لك المجد ..." وهى بعينها التسبحة التى يقولها الملائكة فى السماء، تقولها الكنيسة فى أسبوع الآلام .

فالعذراء تسمى المجمرة لأنها حملت الجمر، والجمر هو الذى يجمع مابين الفحم والنار معا فى اتحاد جعل منهما طبيعة واحدة ، وهكذا مريم أيضا حملت فى أحشائها الإله المتجسد، ناسوت متحد باللاهوت، لايمكن الفصل بينهما، وإنما طبيعة واحدة اقنوم واحد ، طبيعة واحدة لانتكلم أبدا عن طبيعتين، لأننا نقول أن هناك اتحاد حقيقى، واتحد بمعنى صار واحداً، فكيف بعد الاتحاد نتكلم عن طبيعتين ؟!! حقا أن هناك لاهوت وأن هناك ناسوت، لكن مع ذلك لانقول طبيعتين ، نقول لاهوت وناسوت ولانقول طبيعتين، بل نقول طبيعة واحدة . كما نرى فى الإنسان على الرغم من أن فيه جسد وفيه روح لكن هناك طبيعة واحدة أسمها الطبيعة البشرية .

فهنا مريم المجمرة التى حملت جمر اللاهوت ، مريم العذراء الطوباوية ، العليقة الرقيقة الضعيفة تشرفت بأن حملت اللاهوت فى أحشائها، ولولا الناسوت الذى تكّون من دمها بالروح القدس لكانت مريم قد احترقت. هذه الإنسانة التى لا ماض لها ولا سند لها من أب أو أم ، رفعها الله وأعطاها هذه الكرامة " من خفض نفسه ارتفع " ،

وارتفعت مريم على الرغم من أنها الفتاة اليتيمة الصبية الصغيرة، التى لا سند لها من عائلة كبيرة ، إنما لأنها عاشت منخفضة نظر الله إليها، لذلك فى تسبحتها تقول "لأنه نظر إلى تواضع أمته" كلمة تواضع أمته ليس معناها أنها تمدح نفسها أنها متواضعة ، وأنها تعنى وصلت إلى فضيلة التواضع، لا .. هنا تواضع أمته أى نظر إلى وضاعتى، إلى حقارتى ، إلى أنى لا شيء لذلك رفعنى .. " هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى لأن القدير صنع بى عظائم ... أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين " .

هذا الفصل فيه تلويح إلى العذراء مريم التى تواضعت فرفعها الله ، بأن أصبحت مريم فوق الملائكة ، وشرَّفها أن تكون فوق الكاروبيم والسيرافيم ، " أنت الجالس فوق الكاروبيم " ، الرب يجلس فوق الكاروبيم وجلس على ركبتى مريم . فكانت مريم هى المركبة الكاروبيمية التى جلس عليها رب المجد، كانت مريم هى السماء الثانية . هناك سماء لأن الله يسكنها، والله سكن فى أحشاء مريم فكانت أحشاء مريم سماءً ثانية سكن فيها الرب جسديا .

أية كرامة نالتها مريم ، هذه المتواضعة، الصبية العليقة الرقيقة يسكن الرب فيها فأكسبها مجداً ، وأكسبها كرامة فوق الملائكة وفوق رؤساء الملائكة وفوق الكاروبيم والسيرافيم .

فى كنيستنا حينما نطوب العذراء فى التمجيد نصفها بأنها فوق الكاروبيم وهم أرقى أنواع الملائكة وأقربهن إلى العرش، مريم العذراء أخذت هذا الوضع . ولذلك نحن عندما نتشفع ، قبل أن نقول بشفاعة سبع رؤساء الملائكة، نقول بشفاعة العذراء مريم . لأن لها دالة وكرامة فوق كرامة الرؤساء الملائكة السبعة ، فمريم المتواضعة لأنها وضعت نفسها استحقت أن يرفعها الله إلى هذه الكرامة .

نظر إلى تواضع أمته :

العذراء نفسها تقول فى التسبحة " نظر إلى تواضع أمته " .

وهنا الحقيقة أن التواضع ليس بمعنى أنها تفتخر، كما يقول بعض الناس .. إنما كلمة "تواضع أمته" بمعنى " حقارتى ، وضاعتى، أنا وضيعة، أنا حقيرة " ، فربنا نظر إلى تواضع أمته لأنه ينظر إلى المتواضعين ، وإلى منسحقى القلوب، فلأنها متواضعة أعطاها الله هذه الكرامة، يقول الكتاب المقدس فى بعض المواضع " يذل المتكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة " .

فالعذراء مريم واضح جدا أنها كانت متواضعة ، وشاء الله أن تكون هذه الفتاة اليتيمة لا سند لها لا من أب ولا من أم ولا من جد ولامن منصب ولا من مال ولا من مركز إنما يتيمة ، وهذا كله جعلها دائما تنظر إلى نفسها أنها غير مستحقة ، وأنها وضيعة، نظر إلى تواضع أمته بمعنى نظر إلى وضاعتى ، إلى حقارتى ، وهذا هو السبب أن العذراء سميت بالعليقة .. فمن ضمن ألقاب العذراء أنها العليقة ، أى التى لا سند لها ولا قوة تستند إليها ، وهذا يشير إلى أن العذراء فعلا كانت تحس بأنها حقيرة وصغيرة، وهذا الشعور بالحقارة والصغارة التى عبرت عنها بقولها " نظر إلى اتضاع أمته " خادمته ، جاريته، هو الذى أهلها لهذه النعمة، لأن سياسه الله بإستمرار أنه ينظر إلى المتواضعين ، أما المتكبرين فيذلهم، " أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفـــــــع المتواضعين ".

المهم إن العذراء تقف أمامنا مثلاً واضحاً فى تواضعها، فلو لم تكن العذراء تقية تقوى حقيقية كانت انتفخت وتكبرت، تصوروا صبية صغيرة سن ١٢ سنة ترى هذه الكرامة وهذه المناظر الجميلة عند ميلاد المسيح، ورأت الملائكة، ولابد أن لها خبرات طويلة مع سيدنا له المجد حينما كان فى بطنها أو بعد أن خرج من بطنها، أو عندما عاش معها وهى عاشت معه فى طفولته، وعندما جاءت إلى مصر ، كانت أكبر معاين وخادمة للكلمة ، ؟ ورغم ذلك لم تنتفخ ولم تتكبر بل ولم تفرح الفرح الذى يفرحه الإنسان العادى، وهذا يدل على تقوى غير عادية فى مريم العذراء . لو لم تكن مريم حقيقة عميقة فى روحانيتها كانت كل هذه الأمور لابد أنها تؤثر عليها، نحن نرى حتى من الناس الأفاضل، عندما يحصل على مركز نجده يتغير، ممكن المركز الجديد يغيره ونجده بدأ يتكبر وينتفخ ويحتقر غيره لأنه وصل للمستويات الكبيرة العالية.

كون العذراء فى هذه السن ترى كل هذه الكرامة ومع ذلك تبقى فى تواضعها ، أليصابات امرأة رئيس الكهنة، ومن ناحية أخرى عمرها سبعة أمثال عمر مريم .. كانت أليصابات لها ستة أشهر فى يوحنا المعمدان ، عندما ظهرالملاك وقال لها هوذا أليصابات من بنات جنسك لها ستة أشهر تلك المدعوة عاقراً وعندما انطلق من عندها الملاك ذهبت إلى مدينة فى الجبال وهى عين كارم ودخلت على أليصابات ، واستقبلتها أليصابات قائلة " من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىّ لأنه منذ أن سمعت صوت سلامك ارتكض الجنين بابتهاج فـــى بطنى" . كل هذا كما قال الكتاب لأن الروح القدس حل على أليصابات ، أى نطقت بالروح القدس، ومع ذلك مريم لا تتكبر ولا تتغطرس ولا تعلو ولا تفرح الفرح العادى الذى لو حدث لأى واحد منا مهما كان

كبير السن لَفرح وابتهج ولَظهر على عيونه وعلى جسده هذا الابتهاج ، لكن مريم تقول " تعظم نفسى الرب ، تبتهج روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر إلى تواضع أمته " .

قطعا لو لم تكن مريم فى روحانية عالية على الرغم من سنها الصغير، ماكان يمكن أبدا أنها تمر على هذه التجربة بهذا النجاح ولا تنتفخ ، فهنا دليل حقيقة على روحانية مريم العذراء وعلى عمق تواضعها، لأن الإنسان متى يكون متواضع على الحقيقة ؟ عندما يكون فعلا وصل إلى مرحلة عالية وتكشفت أمامه أمور، وشعر أنه على المشارف، فلأجل هذا يدرك أنه ضئيل جداً أمام الذى قدامه ، مثل العلماء ، متى يكون العلماء متواضعين على الحقيقة ؟ عندما يكون عالم حقيقى ، إنما أنصاف المتعلمين يكونوا متغطرسين ومتكبرين. إنما الشخص إذا وصل إلى عمق أكبر من المعرفة، يكون مثل واحد يقف على شاطىء البحر الأبيض المتوسط، أو على شاطىء المحيط يجد نفسه مازال على الشاطىء، ويجد أمامه مياه بعيدة غير قادر أن يدرك أعماقها . كذلك الإنسان إذا كان حقا إنسان مملوء فضيلة أو مملوء علم، أكيد أنه يكون متواضع ، يكون له إدراكات بعيدة المدى تجعله يشعر بحقارته أمام هذه الأبعاد البعيدة، لكن العلماء أنصاف المعرفة يتكبرون ، ولذلك يقال قليل من المعرفة يضر الإنسان .

فلو لم تكن مريم فى درجة عالية من التواضع، لما أمكن أبدا أنها تحتفظ بتواضعها على الرغم مما رأت من كرامة سماوية ، ضع نفسك فى هذا الوضع ، لو أنت بهذا الوضع ماذا يكون شعورك وإحساسك ؟ ، فتاة كل هذه الكرامة تنالها من السماء ، الملاك يقول لها الممتلئة نعمة، أليصابات إمرأة رئيس الكهنة تكلمها بهذا الأسلوب ولاتنتفخ .. بل بالعكس تقول : " تعظم نفسى الرب " ، أى هذه العظمة ليست لى.. من أنا ؟؟ " تبتهج روحى بالله مخلّصى لأنه نظر إلى تواضع أمته " وهنا تواضع بمعنى حقارتى، ليس تواضع بمعنى فضيلة التواضع . وهى فعلا فضيلة التواضع، لكن وضع الجملة معناها " نظر إلى حقارتى وإلى وضاعتى" . هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى .

هذه الفضيلة نتأملها فى العذراء مريم وهى التواضع ، لعلنا نتعلم من العذراء مريم كمُعلِّم ، مُعلِّم صامت بالفضيلة ، نأخذ منها ، لم تتكلم العذراء ولم تعظ ولم تنطق بكلام كثير، إنما بهذا الأسلوب العملى تقف أمامنا معلّمة، لأن الإنسان منا يدرك من هو؟ ويعرف قدر نفسه، لأنه ماهو التواضع ؟ التواضع هو أن يعرف الإنسان قدر نفسه ، ولا يعطى لنفسه حجما أكبر من حجمه، ولا ينتفخ فى أى وقت من الكرامة التى ينالها، لأنه يدرك من هو، لكن إذا لم يكن مدركاً ينتفخ، لكن الإنسان الذى يفهم نفسه هو

المتواضع الحقيقى ، ليس التواضع الحقيقى أن الواحد يقول أنا خاطىء ، التواضع الحقيقى يجىء من الوضع أى أن تعرف وضعك، أين أنت !! التواضع الحقيقى تكون عارف نفسك فلا تعط لنفسك حجماً أكبر من حجمك . والتواضع أيضا أنه عندما تكون مخطىء تعترف بخطأك ولاتحاول أن تدافع عن نفسك ، أو تحاول أن تبرر نفسك وهذا هو الفرق بين المتكبر والمتواضع .

من يضع نفسه يرتفع :

لو لم تكن العذراء متواضعة لما نظر الله إليها لأنه يقول: "وإلى هذا **أنظر**.. إلى المسكين والمنسحق الروح، والمرتعد من كلامى" (إش٦٦: ٢). ولقد خبرت العذراء فى تسبحتها بسر رفعتها وعظمتها فقالت " تعظم نفسى الرب، وتبتهج روحـــى بالله مخلصى، لأنه **نظر إلى إتضاع أمته** " (لو١: ٤٦-٤٨) .

أجل إن الإتضاع هو شرط الإرتفاع " من يضع نفسه يرتفع " فياليت المتشامخين المتكبرين يعرفون هذه القاعدة الرئيسية : ألا فليذكر الإنسان أنه تراب وإلى تراب يعود، وأنه عاجز ضعيف، لايقوى على النهوض أمام حشرة صغيرة قد خلقها صاحب الجلال والعظمة .. أيا رب فلتتكشف أمامنا حقارة نفوسنا ولنعرف أننا أمامك خطاة أثمة، ولنتحقق أنه إن كان لنا من غنى أو جاه أو علم أو كرامة " فكل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار" (يع١: ١٧) .

إن السنابل المحملة بالثمار مطأمنة برأسها منحنية، أما الفارغة فمرتفعة عاليـــة، هكذا الخالى من النعمة مرتفع متكبر بينما الممتلىء نعمة .. وديع.. متواضع .

كان **إبراهيم** غنياً له عبيد ومواشى كثيرة، وكان فوق ذلك خليل الله ولا يُخفى الرب عنه مايريد أن يفعله . فكان لإبراهيم أن ينتفخ متعظماً بسبب هذه الكرامات، لكنه ما إزداد إرتفاعاً إلا لأنه إزداد إتضاعاً، ودالته عند الله لم تنسه أن يعرف حقارته فنسمعه مرة يصلى ويقول: " إنى قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد " (تك١٨: ٢٧) .

وكان **داود** ملكاً على كل إسرائيل وكان مكرماً معظماً عند الله الذى شهد عنه أنه حسب قلبه يصنع كل مشيئته واستحق شرف النبوءة كذلك .. أى أنه قد أصبح رئيساً فى شئون الدين والدنيا فهل تكبر داود ؟ كلا .. بل حسب نفسه دودة لا إنسان ، عاراً عند البشر ومحتقراً عند الشعب.. ومرة أخرى يدعو نفسه كلباً ميتاً، بل برغوثا حقيراً.

هكذا نعرف عن أولاد الله فى كل زمان، هؤلاء الذين قد عمرت قلوبهم بالتقوى والإيمان، قد اقتربوا من الله ، فظهر لهم قبحهم بإزاء جماله وشرهم أمام طهره، وضعفهم أمام مقدرته. وعلى قدر مايكون الإنسان قريباً من الله ، على قدر مايكون وديعاً متواضعاً، وليس أمام الله فضيلة من أجلها يتعطف على الإنسان ويرحمه، كفضيلة التواضع " لأنه هكذا قال العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه فى الموضع المرتفع المقدس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأُحيى روح المتواضعين ولأُحيى قلب المنسحقين" (إش٥٧: ١٥) .

فإن كان التواضع أساس الرفعة وباب المعالى، وأن كان الله يرضى بسببه على الإنسان فيمنحه سؤال قلبه، وإن كان مقياساً للحياة الباطنية ودليلاً على معرفة الله معرفة حقيقية ومعرفة النفس معرفة حقيقية، فقد ظهر إذن لماذا وجدت العذراء نعمة عند الله، وظهر لنا أننا لن ننال نعمة ورضى .. من الله مالم نتضع بقلوبنا أمامه... فإن الله يقاوم المستكبرين.. وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة ولذلك فقد شتت المستكبرين بفكر قلوبهم أنزل الأقوياء عن الكراسى ورفع المتضعين.. هكذا ينصحنا الرســــول : " اتضعوا قدام الرب فيرفعكم " .

الفضيلة الثانية : الإيمان والتصديق

منذ البدء لم يسمع عن عذراء أنها حبلت وولدت بغير الطريق الطبيعى، فلما جاء الملاك إلى سيدة البرية والدة الإله، وبشرها وهى العذراء البكر أنها ستحبل لم تشك فى حقيقة الأمر، ولا ارتابت فى قدرة العلّى بل صدقت وآمنت .

ولايظن أن إعتراضها على الملاك بقولها "كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلا" دليل على الشك أو نقص الإيمان، بل إن هذا التساؤل كان نتيجة لعزيمتها الصادقة على حياة البتولية والعفاف، فلما بشرها الملاك بالحبل لم تستطع أن توفق بين الحبل وبين عزيمتها على البتولية فكان سؤالها سؤال من يريد الفهم، لاسؤال المعترض الشاك.. فلما طمأنها الملاك أن الحبل سيتم مع إحتفاظها ببتوليتها اقتنعت وقالت : " هوذا أنا أمة الرب.. ليكن لى كقولك " .

أجل عظيم هو إيمان العذراء، فإن زكريا مع أنه رئيس كهنة لكنه شك فى ميلاد يوحنا .. ولم يكن لزكريا هذه الميزة وحدها، وهى أنه رئيس كهنة قد درس الناموس، بل وأن حادثته لم تكن الأولى فى نوعها، فقد حبلت سارة بإسحق وهى عاقر وقد تجاوزت السن .. أما العذراء فلم يسبقها فى مسألتها سابق، فهى أول عذراء تحبل دون أن تعرف رجلاً .. كما أن زكريا رجل شيخ وله من كبر سنه وكثرة خبرته وطول مدة عشرته لله، ما كان يجعله يؤمن ويصدق بإتمام الوعد له بالإنجاب... ولكن العذراء مع أنها لم تتجاوز بعد منتصف الحلقة الثانية من العمر، قد آمنت وصدقت ولذلك نطق الروح القدس على فم أليصابات عند إستقبالها قائلاً " **فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب** " (لو١: ٤٥) . إذن لقد شعرت أليصابات بإلهام الروح القدس بالفارق بين إيمان زوجها وإيمان العذراء.. ولذلك طوبتها وعظمتها لأنها آمنتِ بهذا السر العظيم ولم تشك مع أنه سر يحيِّر العقول والألباب .

ومن هنا نفهم لماذا غضب الملاك على زكريا وضربه بالخرس حتى يوم ميلاد يوحنا، ولكنه أجاب العذراء عن سؤالها بكل لطف ودعة .

فهل نتعلم من سيدتنا أن نثق بمواعيد الله وأنه مهما وعد فهو قادر على أن يتممه؟؟ يجب أن يكون لنا إيمان بالله ، ومهما صعب علينا أن نفهم لا نتأخر عن أن نؤمن " وبالإيمان نفهم " (عب١١: ٣) .

هناك حقائق كثيرة فى الديانة المسيحية لا نستطيع أن ندركها ولا بعض الإدراك، كسر التثليث والتوحيد، وسر التجسد، والأسرار السبعة، ولذلك سميت أسرار لأنها

خفية ولا نستطيع أن ندركها بعقولنا ولكن مع عدم قدرتنا على إدراكها نؤمن بها مصدّقين عالمين أن الذى وعد هو صادق وأمين . وإن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا إلى الأبد لايقدر أن ينكر نفسه .

إن وقفت أمام جرن المعمودية، فإنى بعينى الظاهرة أرى ماء، وأما بعين الإيمان فأرى الروح القدس قد طهر المعتمد من خطاياه وغسله من آثامه وخلع منه طبيعته الآدمية وألبسه طبيعة آدم الثانى. وهكذا أنظر بحسب الظاهر فإذ على المذبح خبز وخمرّ ولكنى رغم الحواس الظاهرة أؤمن أنهما جسد الرب ودمه . فالإيمان ينبغى أن يكون عميقاً ويجب أن يتعدى الحواس الظاهرة إلى القلب فنخضع العقل للإيمان " لأنه بدون الإيمان لايمكن إرضاءه " .

عندما نذكر العذراء مريم، نذكر فضائلها ونذكر أعمالها ونذكر جهادها، لنتمثل بها ولنتعلم منها كيف تكون حياة السائرين فى طريق السماء ، هى نموذج من النماذج ، بشرية من بين شعبنا ، من بين الناس لا من بين الملائكة إنما من بيننا ، هذه العذراء فخر جنسنا ، نحن نكرّمها ليس فقط لأنها العذراء والدة الإله ، ولأنها الملكة أم الملك، ليس لهذا فقط ، إنما نريد أن نعكس القضية ، لولا أن مريم قديسة طاهرة لما استحقت هذا الشرف أن تصبح الملكة أم الملك .

اسمعوا الملاك عندما جاءها من السماء يقول لها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " ، قبل أن يعطيها البشرى، قبل أن تحمل المسيح فى أحشائها هى ممتلئة نعمة، هى ممتلئة نعمة قبل أن تقبل المسيح فى أحشائها، ففضائل مريم المتمثلة فى حياتها ، من حيث أنها قديسة فى ذاتها، وهذه القداسة هى التى رشحتها وأهلتها أن تصبح الملكة أم الملك، وليس لأنها كانت الملكة نحن نكرّمها وإن كان هذا جميل بأن نكرّمها لأن إكرام الأم إكرام للابن، ولكن لأن مريم فى ذاتها كانت فاضلة وقديسة وطاهرة، وجاء الملاك يحييها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ". فى اللغة القبطية ⲑⲏⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ϩⲙⲟⲧ معناها مشحونة، ممتلئة نعمة، ممتلئة فضيلة، ممتلئة تقوى، ممتلئة قداسة، ممتلئة نقاءاً، ممتلئة أهلية بأن تعمل النعمة فيها ، سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك ، الله لايكون مع أحد إلا إذا كان هذا الأحد مع الله .

عندما ذهبت العذراء إلى أليصابات ، يقول الإنجيل امتلأت أليصابات من نعمة الروح القدس، وقالت لها مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك، منذ سمعت صوت سلامك ارتكض الجنين بإبتهاج فى بطنى. وطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب .

لاحظوا أن أليصابات امرأة رئيس الكهنة ، المرأة العجوز التى لها وقارها واحترامها على الأقل من جهة سنها، تحييً صبية فى الثالثة عشرة من عمرها بهذه التحية، وتختمها بالقول " طوبى" " ما أسعدك "، طوبى كلمة سريانية دخلت إلى اللغة العربية معناها " الغبطة والسعادة " ، ما أسعدك يامريم، طوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب . إذن مريم صبية مؤمنة ، وإيمانها يستحق أن يشاد به، وأليصابات طوبتها لأنها رأت أن زوجها لم يؤمن إيمان هذه الفتاة الصبية ، زوجها وهو رئيس الكهنة اعترض الملاك قائلا: كيف يكون لى ولد ، وأنا رجل شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ، على الرغم من أن هذه القصة ليست جديدة فى تاريخ الإنسانية، فسبقتها على الأقل قصة إبراهيم وسارة، وهو كمُعلّم وكرئيس الكهنة كان يمكن أن يسترجع بذاكرته هذه القصة فلا يتعجب من بشرى الملاك له، أما مريم فعلى الرغم من أن قصتها غير مسبوق لها، ولم تحدث فى تاريخ الإنسانية آمنت ولم تشك وهى صبية، وهذا يدل على أن فى مريم فضيلة الإيمان وفضيلة التصديق ، وهذا لايتم ولايكون إلا فى إنسان ارتبط وتوثق فى قول الإله وصار شاخصا فى الله .

كثير من الناس يشتكوا من الشك، فأحيانا واحد يرى رؤيا أو حلم وبعد ذلك ينساه ويعود يشك، أو يرى نموذج عملى فى حياته ومع ذلك يعود ويشك .

إنما هذه الصبية استحقت أن تطوبها أليصابات بالروح القدس، وهذا تنفيذ وتتميم وتحقيق لما أنبأت به العذراء نفسها، حينما قالت " تعظم نفسى الرب، تبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى تواضع أمته ، فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى" . لم تقل ذلك بنوع من الفخر ، وإنما بروح التواضع لأنها أكملت تقول " القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس ، أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين ، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين " .

إذن مريم تقف أمامنا معلّمة للفضيلة ، معلّمة فى فضيلة الإيمان وتصديق القلب، الذى لايكون بهذه الدرجة إلا إذا توثقت العلاقة بين الانسان وبين الله . وهذه حالة لاتستهين بها ، لأنه لا يمكن أن يصل الإنسان إلى هذا الإيمان إلا إذا كان فعلا قد توثقت علاقته بالله، ووصل إلى خبرات الآباء الروحانيين.

الكتاب المقدس يقول عن إبراهيم ، " آمن إبراهيم فحسب له إيمانه براً " إبراهيم يأتى له الأمر من عند الله " ياإبراهيم اخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك " يقول الرسول بولس " خرج وهو لايعلم إلى أين يأتى " ، تصوروا من منا يعمل ذلك؟! لم يسأل الله إلى أين أذهب؟ حتى ليعرف أن يجيب على

من يسأله من زوجته وأقرباءه وأصدقاءه إلى أين تذهب ؟ فخرج وهو لايعلم إلى أين، مادام الله قال له أن يخرج فخرج ولايحتاج بعد ذلك إلى شيء ، هنا درجة الإيمان فى الأبرار والقديسين، هذه نتيجة خبرات عميقة ليست سهلة أبدا ، فى التجربة العملية ليست سهلة أبدا ، ضع نفسك فى نفس الموضع ماذا كان سيحدث ، كيف تخرج وأنت لاتعلم إلى أين تذهب؟ ثم انظر بعد ذلك الله أعطى إبراهيم ابن، هذا الذى وعده به وهو اسحق، وأصبح سنه حوالى ١٧ سنة أى شاب، ويأتى الأمر لإبراهيم: " ياإبراهيم خذ إبنك وحيدك حبيبك " يعنى أنا عارف أنه وحيدك وحبيبك، ولايوجد غيره ، يغلق عليه الباب، حتى لايقول له هذا وحيدى يارب، خذ إبنك وحيدك حبيبك الذى تحبه اسحق وقدمه لى محرقة على أحد الجبال الذى أُعلمك به " أيضا لم يقل له أين الجبل؟ كان عنده ألف حجة أنه يقول أخرج أذهب إلى أين ؟ مرة أخرى خرج إبراهيم وهو لايعلم إلى أين يمضى ، يقول الكتاب: " قام إبراهيم باكراً " انظر كلمة باكراً، الإنسان منا عندما يذهب إلى مكان غير مستريح إليه يتلكأ ، لكن إبراهيم يقوم باكراً ، وأسرج دابته وأخذ إبنه وأخذ الحطب وأخذ النار ومشى ثلاثة أيام، لأن الجبل الذى أعطاه العلامة له ليقدم عليه إبنه اسحق محرقة كان هو جبل الموريا، الذى قام عليه هيكل سليمان ، وفى تقليد الكنيسة اليهودية والمسيحية أن إبراهيم بعد أن سار ثلاث أيام كما قال الكتاب فى سفر التكوين، رأى على هذا الجبل صليبا من نور فأدرك أن هذا هو الجبل المقصود، لأن هناك جبال كثيرة ، لكن إبنه سأله سؤال يَفَطِّرَ القلب قال له ها هو الحطب والنار، أين الخروف الذى تقدمه للمحرقة ياأبى؟ لكن إبراهيم يجيب عليه وهو رجل شيخ ، على الأقل ١١٧ أو ١١٨ سنة فى هذا الوقت، إن الله الذى أمرنا أن نقدم له ذبيحة هو الذى يرى حملاً للمحرقة ياإبنى . ثم وضع الحطب على إبنه اسحق وصعدا إلى الجبل، ثم كان لابد له أن يواجه اسحق بعد أن بنى المذبح ، ووضع الحطب على المذبح، وأمسك باسحق ووضعه على المذبح بعد أن ربطه، فأطاع اسحق أباه، وهذه فضيلة من فضائل اسحق، كان ممكن أن يرفض ويقاوم ويهرب ويدافع لأن هذه مسألة حياة أو موت، ثم أمسك إبراهيم السكين ورفع يده ليذبحه ، وفى هذه اللحظة ناداه الله، إبراهيم إبراهيم ارفع يدك ولا تمس فتاك بسوء إنى قد رأيت محبتك فىَّ، لم تمنع إبنك وحيدك الذى تحبه اسحق لذلك بالبركة أباركك ، كان هذا إمتحان ونجح إبراهيم فى هذا الإمتحان، كان هذا الموضوع مشكلة فى عقل إبراهيم ، كيف أن الله قال له باسحق يُدعى لك نسل ثم يقول له قدمه لى محرقة، أين الوعد ، بولس الرسول حل المشكلة قال: لأن إبراهيم كان يؤمن بالقيامة من بين الأموات . ياجمال وياروعة إبراهيم، فى

هذا الوقت لم يُرَ شيء اسمه قيامة !! ولم يكن هناك كتب مقدسة وقتها!! ولا عقيدة كهذه؟ من أين عرف القيامة من بين الأموات ؟!! إيمان إبراهيم بوعد الله بأنه باسحق يكون له نسل، واسحق سيذبح، والوعد لابد أن يتم، إذن لابد أن يقوم من بين الأموات، هذه الثقة بالله ولّدت الإيمان الذى بلا فحص، وهذا ما نقوله فى القداس الكيرلسى ، وهذا الإيمان بغير فحص دفعه أن يؤمن بالقيامة من بين الأموات، ولم تكن هذه عقيدة مقررة ولم تحدث من قبل، الله لا يكذب ، ومادام قال باسحق يُدعى لك نسل، واسحق سيموت ، إذن لابد أن يقوم من بين الأموات، المسألة ليست سهلة، هذا ليس مجرد كلام ولكنها خبرة روحية ليس من السهل أن يصل إليها الإنسان ، إلا مع طول العشرة المقدسة .

لذلك مريم وهى صبية سنها ١٣ سنة كيف تلد، كيف آمنت، كيف صدقت الملاك وهو يقول لها ها أنت ستحبلين وتلدين إبنا ، لم تشك بل صدقت ، ولذلك أليصابات بالروح القدس طوبتها وقالت طوبى، طوبى لك يامن آمنت، بأن يتم ما قيل لها من قبل الرب ، ماذا تعنى آمنت ؟ تعنى لم تكونى مترددة، ولكن تصديق مطلق كامل بلا شك ، بدون تردد ، صبية سنها ١٣ سنة ، من أين أتاها هذا الإيمان ، لولا أنها فعلا كانت معجونة ومشحونة بالعلاقة السرية بينها وبين الله ، من غير الممكن عقلية فى هذا السن تصل لهذه المرحلة التى فيها، لم تنطق أليصابات، ولكن الروح القدس هو الذى نطق ، الروح القدس هو الذى طوّبها " طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب " . فطوبتها على إيمانها . ماهو الإيمان ؟ الإيمان هو " الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لاترى ".

فلم يحدث فى التاريخ أبدا أن عذراء تحبل وتلد ، ومع ذلك وهى بنت صبية ، كونها تؤمن وتصدق فقد فاق إيمانها إيمان رئيس الكهنة ، ولذلك أليصابات طوبتـــها ، " طوبى للتى آمنت " ، لك الطوبى، لك الغبطة، لك السعادة ، لك الكرامة لأنك صدقتِ بشارة الملاك، وقلت " هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك " وطبعا لو لم تقل العذراء هذه الجملة ما كان حدث الحلول فى أحشائها ، لأن الله فى عطاياه لايجبر الإنسان عليها، فإن هى قبلت يتم الحمل، وإن لم تقبل هذا الكلام لا يتم الحمل ، عطايا الله لا يغصب عليها أبدا ، ولذلك قالت " هوذا أنا أَمة الرب ليكن لى كقولك " ، بعد ذلك انصرف من عندها الملاك لأنها قبلت وهذا القبول يدل على صحة إيمانها.

العذراء مريم تقف أمامنا مُعلِم وهى صبية بكل هذا القدر الوافر من الإيمان، الذى جعل أليصابات تطوبها لأنها آمنت بما لم تؤمن هى به مع أنها إمرأة رئيس الكهنة،

وبالرغم من أن موضوع أليصابات كان له سابقة، أما موضوع العذراء فلم يحدث من قبل . أليصابات خجلت من نفسها أمام هذه الصبية الصغيرة مع أن قصتها لم يسبق لها فى التاريخ، لم يحدث أن عذراء تحبل وتلد .

إذن مريم كانت فتاة تتميز بدرجة عالية من الإيمان، ما كان يمكن لمريم أن تقبل بشارة الملاك بهذه البساطة مالم يكن لها إيماناً لايحده عقل، عندما اعترضت لم تعترض من جهة إيمانية، اعترضت من جهة معقولة كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف... لكنها لم تشك فى قدرة الله، ولذلك لم يعاقبها الملاك كما عاقب زكريا بل حيَّاها وقال لها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " .

إذن هذه فضيلة أخرى من فضائل مريم ، ينبغى أن نبرزها فى الكنيسة ، فضيلة **الإيمان** ، التصديق ، التسليم القلبى ، الثقة ، والإيقان بأمور لاترى .

مريم لم تعظ ولكنها تقف أمامنا واعظة صامتة تعلّمنا كيف يكون الإيمان ، كيف يكون التصديق ، كيف يكون التسليم ، كيف تكون الثقة والإيقان بأمور لاترى .

وليست أليصابات وحدها هى التى طوبتها ، صرخت مرة إمرأة من الجمع وقالت له: " طوبى للبطن الذى حملك ، وللثديين اللذين رضعتهما . فقال لها: بالأحرى طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " ، إن كرامة أمى مريم ليست فقط فى أنها حملت ، ولكن لأنها أولا سمعت كلام الله وحفظته، لم تكن مجرد وعاء حملت، لكنها حملت لأنها كانت مستحقة، لأنها سمعت كلمة الله وحفظتها منذ طفولتها، ماضيها معروف قبل أن تحمل بالمسيح ، ماضى نقى ، إنسانة لله ، كلها لله .

مريم بسيرتها وصمتها وسكونها وإيمانها تقف أمامنا الآن معلّمة لا بالكلام ولا بالوعـــظ ولا بالإرشاد ولا بالشرح ولا بالتفسير، إنما فى شخصها نموذج سامق للفضيلة، للإيمان ، للصمت، لكل الفضائل ، لخدمة الملائكة ، للبتولية الدائمة والعفة الكاملة . شفاعتها فلتشملنا جميعا . ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

الفضيلة الثالثة : الصمت والتأمل

إن العذراء الطاهرة رأت أموراً عجيبة وغريبة ، رأت الملاك يبشرها ورأت أليصابات تعظمها .. بل رأت يوم ميلاد المسيح عجائب مدهشة.. فالملائكة تهتف وتسبح، والرعاة يأتون ويخبرون بما رأوا، والمجوس يُقدِمون من المشرق يتبعهم النجم ليسجدوا ويقدموا هداياهم ، ثم رأت سمعان الشيخ وجميع الذين ينتظرون الفداء من إسرائيل فرحين متهللين بميلاد المخلص.. فى كل هذه الأحوال كانت العذراء صامته متأملة : " أما مريم فكانت تحفظ جميع هذا الكلام، متفكرة به فى قلبها " (لو٢: ١٩) .

إن هذه العبارة عن مريم العذراء، جميلة رائعة، يعوزنا أن نتأملها ملياً لأنها تدل على حياة روحية عالية. والغريب أن هذا التصرف يبدو من عذراء صغيرة فى نحو الثالثة عشرة من عمرها. أجلٍ غريبٍ أن عذراء صغيرة تسلك هذا السلوك المتزن الرصين الذين يحسدها عليه شيوخ وشيّب.. هذا يصدق قول الوحى " أن الشيخوخة المكرمة ليست هى القديمة الأيام .. ولا هى تقدر بعدد السنين.. ولكن شيب الإنسان هو الفطنة، وسن الشيخوخة هى الحياة المنزهة عن العيب " (حك٤: ٨، ٩) .

كانت العذراء صامتة وفى صمتها كانت تتأمل وتفكر.. والصمت فضيلة بل وعطية صالحة من الرب ولاسيما للمرأة.. يقول ابن سيراخ " المرأة المحبة للصمت عطية من الرب، والنفس المتأدبة لايستبدل بها " (سيراخ٢٦: ١٨) . أفما أحرانا أن نتعلم هذا الدرس الثمين من أمنا العذراء .

إن كثرة الكلام لاتخلو من معصية، وأما الضابط شفتيه فعاقل. كلما تكلم المرء كلما كثرت أخطاؤه .

إن الكلام أشبه مايكون بالدواء، إن قل نفع وإن كثر صدع، ولا يجد الأبرار لذة فى كثرة الكلام، بل هم يشعرون فى الصمت بالإمتلاء وفى الكلام بالفراغ، ولقد أيقنوا أن الله إذ وهبهم أذنين ولكن فما واحداً، أرادهم أن يكونوا مسرعين فى الإستماع مبطئين فى التكلم .. ولما عرفوا أن الأذنين مفتوحتان أما اللسان فموضوع فى بيت محكم ومغلق بأقفال هى الشفتان قالوا: إن كان أحد لايعثر فى الكلام فذلك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً (يع٣: ٢). ولذلك فقد صرخ واحد منهم إلى الله وقال: " اجعل يارب حارساً لفمى احفظ باب شفتى" (مز١٤١: ٣) .

ليس كل صمت فضيلة وإنما الصمت المُشّبع بالخشوع والإتضاع والتأمل فى محبة الله وعنايته وحكمته .. إن الفرِح الذى يخشى نشوة الفرح الطائشة أولى به أن يصمت

ويشكر الله، كذلك الحزين الذى يخشى أن تزل شفتاه بالتذمر أولى به أن يهتف قائلاً : " صمت لا أفتح فمى لأنك أنت فعلت " (مز ٣٩: ٩) .

العذراء فى صمتها وسكونها :(١)

يقول الكتاب " كانت مريم تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها "، ماهذا العقل والتعقل لصبية سن ١٢ أو ١٣ سنة، نحن الكبار من منا ممكن أن يكون فى هذا الصمت !! نحن نعلم أن البنات بالذات يتكلموا كثيراً، وهذا هو السبب أن البنات دائما يَنْبُغوا فى اللغات ، فنادراً جدا أن صبية تكون بهذا العقل ، وبهذا الصمت، لم تصيح ، ولم يعلو صوتها، ولم تولول أو تعمل أى شيء كما هو ينتظر لمثل سنها وأكبر من سنها .

فكانت مريم عظيمة فى صمتها، عظيمة فى هدوئها، عظيمة فى سكونها .. تعلمون أن فضيلة الصمت يجاهد في الحصول عليها الروحانيون الكبار، النساك الكبار إبتداء من الدرجة الرابعة بعد أن يصلوا لسن الخمسين ويلبسوا الاسكيم الذى فيه ١٢ صليب، ويصلى الـــ ١٥٠مزمور، ويضرب ٥٠٠ ميطانية . ويصلى بالتسبحة أيضا، بالإضافة إلى هذا يدرب نفسه على الصمت، ليكون عنده فرصة للتأمل الباطنى ، لأن الإنسان عندما يتكلم كثيراً يسكت الداخل ، لكن عندما يسكت لسانه قلبه يتكلم ، وهذا ما نسميه التأمل، والصمت فضيلة.. حتى أن المُعلِّم القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك، كان يضع زلطة فى فمه، فعندما سألوه وهو رجل استاذ ومعلم .. قال لهم " تكلمت كثيرا فندمت ولكن على السكوت لم أندم قط ". فالصمت فضيلة، ولذلك من ضمن مراقى الحياة الروحانية فى سلم الفضائل، أن الإنسان يدرب نفسه على عدم الكلام بلا ضرورة، فلا نضيّع وقتنا فى كثير من الأمور والدردشة التى بلا نفع أو فائدة ، وهناك مثل يقول: "الكلام إذا كثر صدع ، وإذا قل نفع .

فالجماعة الروحانيين يدربوا أنفسهم على الصمت، من جهة حتى لايخطئوا، فيضبط لسانه فيصون نفسه من الشرور الكثيرة التى تحدث لنا من اللسان ، وهذا ما قاله الكتاب المقدس أن اللسان الذى به نبارك الله نلعن به ، ولذلك يعتبر الإنسان الضابط شفتيه عاقل ، ولذلك يقولوا أن الله من حكمته الكبيرة جعل اللسان مضبوط بين شفتين ،

---

(١) من محاضرة أُلقيت بكنيسة العذراء بأوسيم – الجيزة – فى ١٠ من أغسطس ١٩٨٩م – ٤ من مسرى ١٧٠٥ ش .

لكى يقدر الإنسان أن يغلق عليه، ولذلك الكتاب المقدس يقول فى يشوع بن سيراخ٢٨: ٢٩ " واجعل لكلامك ميزاناً ومعياراً ولفمك باباً ومزلاجاً " أى تفتح وتغلق حسب الحاجة ، ميزان ومعيار أى زن كلامك قبل أن تقوله ، فوجدوا أن الانســان إذا درب نفسه على أنه يحاسب نفسه على كل كلمة قبل أن يقولها، يصل للمرحلة التى كلامه يكون كلام موزون، وبالتدريب كبار الحكماء يتعلم أن كل كلمة لها حساب، ولذلك لا يخطىء لأنه يعرف كيف يمسك لسانه ، فهذه فضيلة كبار الروحانيين يدرب نفسه عليها .

الفضيلة التى كانت فى مريم وهى فى هذه السن، فضيلة الصمت والسكون والتأمل الباطنى . فإذا كانوا الروحانيين لايصلوا لهذه المرحلة إلا بعد سنوات من التدريب على أنه يضبط لسانه ويحكم نفسه، فما رأيك فى صبية صغيرة ؟! ، كيف وصلت مريم إلى هذه المرحلة التى فيها تضبط لسانها ؟، وتعيش فى صمت وسكون، على الرغم من كل المناظر *المؤثرة والمثيرة، ومع ذلك تحتفظ بصمتها وكمالها، لايوجد كلام كثير للعذراء* مريم فى الكتاب المقدس ، المسيح على الصليب ، وهى تحت الصليب، واحدة غيرها تولول وتصرخ وتقول... كيف كانت مريم العذراء أمام هذه التجربة المرة علـــى قلب أم ؟، ومع ذلك تحتفظ بكمالها وعقلها وهدوئها وسكونها، وبعد قيامة المسيح لم يذكر عن العذراء مريم حتى بعد القيامة أنها تكلمت كثيراً، إنما مريم كانت صامتة وكانت تتأمل وكانت تتكلم فى حكمة وفى حكمة باطنية .

فهذه فضيلة غير عادية فى مريم نتعلم منها ، مريم تعلّمنا كيف يستفيد الإنسان من الصمت ومن السكون ولايتكلم إلا عند الحاجة ، وعند الضرورة ، وكلما أمكن أن الإنسان يتجنب الكلام يكون أفضل وأحسن، لكى بهذا يتدرب على أن يحكم لسانه ولايتكلم إلا عند الضرورة والكلام المفيد النافع الذى له قيمة .

مريم الصامتة : (١)

هذه مريم **الصامتة نعم** ، من أبرز فضائلها إلى جانب عفتها، أنها كانت إمرأة صامتة، ولازمها الصمت فى طفولتها وصبوتها وفى شبابها ، ولذلك نسب إليها الكتاب المقدس عبارة رددها أكثر من مرة ، مرتين على الأقل : " وكانت مريم تحفظ هـــذه

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة السيدة العذراء بالخرطوم فى مساء الجمعة ٢١ من أغسطس ١٩٨١م – ١٥ من مسرى ١٦٩٧ ش .

الأمور متفكرة بها فى قلبها " ، لاحظوا أن مريم عندما جاءها الملاك وبشرها وحبلت بالمسيح كانت فتاة لا تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها تقريبا، حياها الملاك ومع ذلك لم تتحرك كما تتحرك الشابة الصغيرة بالفرح ، أى فتاه فى سنها تسمع هذه التحية إلاّ وتقفز فرحة ولا أحد يلومها، لأن الفرح عندما يملك الإنسان يجد أعضاءه تتحرك تلقائياً، حتى كل من يراه يقول له لماذا أنت فرح ، الكبار ترقص عندما يأتى لها خبر سار ، لكن فتاة فى سن الثالثة عشرة من عمرها يلازمها هذا الاتزان ، كان فى مريم إتزان عجيب ، غير عادى فوق سنها، ثم عندما أعلمها الملاك أن أليصابات فى الشهر السادس فرحت وذهبت لترى أليصابات لتهنئها على هذه النعمة، *أن الله نزع عارها* وهى إمرأة عجوز أنعم الله عليها بإبن فى هذا السن الكبير المتأخر ، مريم تطرق باب أليصابات، فتفتح أليصابات الباب لتقابلها، وكانت التحية روحانية غير عادية " من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلى" ، أليصابات كانت إمرأة فوق التسعين من عمرها، *أى كان سنها سبعة أمثال سن مريم، هذه المرأة العجوز، وفى مركزها هى إمرأة* رئيس الكهنة، وفى كرامتها إمرأة كبيرة لها إحترامها ووقارها وطبعا أيضا لها فضيلتها، والكتاب المقدس قال عن أليصابات أنها كانت إمرأة بارة كما كان زكريا رجلاً باراً " كانا كلاهما بارين أمام الله " ففى فضيلتها إمرأة ممتازة ومع ذلك تحيِّ هذه الصبية بهذه التحية، وتقول لها " من أين لى هذا الشرف " سنها سبعة أمثال سن مريم وتقول لها من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلى ، ماذا صنعت مريم ، مريم التى سمعت التحية من الملاك وقابلتها بالصمت والهدوء، وقالت أنا أمة الرب ليكن لى كقولك، ولم تقفز قفزة الفرح ولا رقصت ولا تكلمت ، الإنسان عندما يكون فرح يتكلم، ولايعرف كيف يضبط لسانه من شدة الإنفعال ، إنما هى كانت تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها، وسمعت مديح أليصابات فماذا تقول مريم: " تعظم نفسى الرب، تبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى تواضع أمته " كلمة تواضع أمته هنا لا تعنى أنها تنسب إلى نفسها فضيلة التواضع ، هنا تواضع أمته تعنى حقارتى ، وليست بمعنى أنى أنا أتصف بفضيلة التواضع ، بل تعنى وضاعتها وصغارتها وحقارتها ، ولذلك قالت "أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين " لم تقفز مريم فرحا وإنما قابلت هذه التحية أيضا من أليصابات التى نطقت بالروح القدس ، قابلتها بصلاة عجيبة تدل على روحانية غير عادية، لم تنسب إلى نفسها شرفا بل نسبت إلى نفسها أنها لا تستحق هذا، وأن الله نظر من السماء إلى حقارتها ووضاعتها، ورفعها إلى مكان لا تستحقه، وجاء وقت الحمل، وجاء وقت الوضع ورأت مريم الملائكة، ورأت مريم الرعاة يأتون

ويسجدون، ويقولون أنهم رأوا ملاكا يقول لهم "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع الشعب ولد لكم مخلص هو المسيح الرب" فجاء الرعاة ليقدموا إكرامهم وليتحققوا مما بشرهم به الملاك ، رأت مريم المجوس أتوا من بلاد المشرق من إيران، ملوك ومعهم ركب عظيم، نجم ظهر لهم فى المشرق تبعا لنبوءة أنبأهم بها زرادشت زعيم المجوسية ، وجاء النجم ووقف فوق حيث كان الصبى ، وجاء المجوس وسجدوا وهم ملوك، للوليد الذى ولدته مريم، وقدموا له هداياهم ذهباً ولباناً ومراً، سجدوا له سجود العبادة لأن اللبان معناه البخور، ولايقدم البخور إلاّ لله ، وإلاّ للمعبود ، رأت مريم هذا فماذا صنعت ؟ كانت مريم تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها .

إذن كانت هناك فضيلة فى مريم غير عادية ، فضيلة الصمت، وفضيلة الصمت خصوصا فى المرأة مهمة وعظيمة، وهى نادرة ويتيمة أن توجد المرأة الصامتة، خصوصا إذا كانت فتاة فى مثل سنها، لكن هذا يدل على الغنى الباطنى ، حينما يكون الإنسان غنيا ومليئا ، مشحونا من الداخل لا يهتز بالإنفعالات سواء كانت إنفعالات مفرحة أو إنفعالات محزنة ، لا يهتز لأنه راسخ .

إذن كانت مريم هذه الإنسانة ليست فقط العفيفة الطاهرة النقية، التى تبتلت كل حياتها وإنقطعت لتكون مع المسيح دائما، مقدسة روحاً وجسداً، وإنما كانت لها فضائل كثيرة أخرى .

من غير الممكن أن فتاة فى سن ١٣ سنة تصل لهذا النضوج العقلى والفكرى، وأن تكون بهذا الهدوء وبهذا السكون وبهذا التأمل، تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها .

هذه صفة نادرة فى البنات خصوصا فى هذا السن ، الهدوء ، الصمت ، البنات مشهورين بالقدرة على الكلام ، ولكن مريم تكون بهذا العقل ، وبهذا الصمت ، وبهذا السكون، لايمكن أن تصل مريم لهذه المرحلة مالم تكن قبل ذلك رَبَّت نفسها تربية معينة ، فالمسألة حياة سابقة على البشارة، مريم لا نمجدها لأنها فقط صارت أم الإله ، ولأنها حملت فى أحشائها هذا السر العجيب، ولكن لأن مريم بفضائلها التى رَبَّت نفسها عليها ودَرَّبت نفسها عليها ، هذا الذى أهّلها ورشحها لهذه المهمة الجليلة ، وهذه زاوية أخرى تقف فيها مريم معلمة لنا . نتعلم منها فضيلة الصمت ، فضيلة التأمل ، قلة الثرثرة، وقلة الكلام فيما لايفيد ولاينفع .

وقد لازمتها هذه الصفة الصمت وقلة الكلام فى كل تاريخها سواء فيما رواه الإنجيل، أو فيما رواه التاريخ ، دور مريم فى الكلام ما أقله، سواء فيما رواه الإنجيل

أو فيما رواه التاريخ ، ماهى أقوال مريم ، ماهو كلامها ؟ لايوجد .. كيف كانت بهذه الحكمة ؟! إذ كانت فى سن ١٣ سنة بهذا العقل، فلما كبرت ماذا أصبحت ؟ !!

مما يلفت النظر أيضا أنها استطاعت أن تحضر تحت الصليب ، لو كانت امرأة أخرى كانت تملأ الدنيا صياحاً وولولة وصراخاً، والناس يحجزوها، نرى عندما يموت ابن لأمه نجدها لاتقدر أن تنتظر حتى تنتهى الصلاة وتقاطعها بالصياح والصراخ ، لكن مريم فى ساعة الصليب وابنها يتحمل كل هذه المعاناة ماهو دور مريم ؟ ما الذى صنعته مريم، ماهو التدخل الذى تدخلته مريم، لايوجد، لاشك أن هذا شيء غير عادى.

ومن لحظة أن أشار المسيح على يوحنا وقال لها خذى هذا ابنك ، ثم أشار إليها وقال ليوحنا خذ هذه أمك، يقول الإنجيل أخذها إلى بيته ، وفى حوادث القيامة نرى مريم المجدلية والمريمات والنساء الأخريات فى الذهاب والعودة ولكن أين مريم العذراء ؟ وهو ابنها ؟ كيف استطاعت أن تضبط نفسها ، أين دور مريم فى القيامة ؟ كل هذا مرجعه إلى العقل ، عقل مريم غير عادى ، عندما كانت صبية بهذا الخلق وحتى عندما كبرت وكان عمرها حوالى ٤٨ سنة وقت صلب المسيح ، لأنها غالبا عاشت تقريبا إلى سن أقل من ٦٠ سنة، يقولون أنها استمرت فى بيت يوحنا حوالى ١٤ سنة ، فكان سنها حوالى ٤٧ أو ٤٨ سنة وقت صلب المسيح .

انظروا كم كان عقلها وحكمتها، لو لم تكن مريم مشحونة باطنياً بروحانية غير عادية، ما كان يمكن أبدا أنها تغالب الطبيعة بهذه الصورة وتكون بهذا العقل فى هذا الصمت ، وفى هذا السكون، وفى هذا التريث ، وفى هذا التأمل ، نقول هذا الكلام لكى نتعلم . مريم معلم صامت ، وهذا أحسن أنواع التعليم ، ليس بالكلام الكثير إنما بالقدوة والسيرة والمثال .

مريم مُعلمة، لكن ماهو الكلام الذى قالته؟ ماهو الوعظ الذى وعظته ؟ ماهى الكتب التى كتبتها ؟ لايوجد، هكذا يقول المزمور: " كل مجد إبنة الملك من داخل " من الداخل بنت يتيمة مسكينة لا تعتمد على الأب ولا الأم ولا أى أحد، لايوجد ، كل مجدها من الداخل ، مجد مريم ليس لأجل أن المسيح فقط ولد منها فأضفى عليها شرفاً، ولكن لأن مريم فى ذاتها إنسانة قديسة وهذه القداسة هى التى رشحتها وأهلتها بأن تأخذ هذا الشرف .

الفضيلة الرابعة : الإحتمال[1]

" كل مجد إبنة الملك من داخل"، وهذه شهادة على ما احتواه قلب مريم من فضائل غير عادية ، تقف أمامنا مُعلّمة ونموذج للنساء وللرجال ، فخر جنسنا حقا ، معلمة بسيرتها وقدوتها، العذراء مريم تحملت كثيرا من المتاعب، منذ هذا الحمل ، نحن نسينا مع الزمن، من كثرة ما نمجد مريم نسينا ما تحملته من متاعب . بعد عشرين قرن تصوروها فتاة صغيرة مع كونها يتيمة انظروا المتاعب التى تحملتها من أجل الحمل ، لها الشرف الكبير لكنها دفعت الثمن ، دفعته من أعصابها، من يصدق هذا الكلام ؟ من صدق مريم ؟ يوسف أقرب الناس إليها شك فيها ، خصوصا بعد أن ذهبت لأليصابات واستمرت ثلاثة أشهر فى بيت أليصابات ، ثم رجعت وعلامات الحمل واضحة عليها ، ماذا يقول يوسف ؟ هل قالت مريم ليوسف قصة الملاك أو لا، وهل يوسف صدق، من يصدق!! ضع نفسك محل يوسف ، الكتاب المقدس يقول لأن يوسف كان باراً أراد أن يخلى سبيلها سراً ، أى يطردها فى السر ، وهذا يعتبر برارة من يوسف ، لأن الشريعة كانت تبيح له أن يشهر أمرها وأن تُرجم . يجمع عليها الشيوخ ويقول وجدتها حبلى، يوسف أقرب الناس إليها شك فيها ، وطبعا لا يلام عليه، لولا أن الملاك هو الذى جاء وظهر ليوسف فى الحلم، وقال له يايوسف ابن داود " لاتخف أن تستبقى مريم إمرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس" . لو إنسان رأى حلم مثل ذلك قد يشك فى الحلم ، انظروا هذه الإنسانة المظلومة الغير قادرة أن تتكلم وتثبت صدق كلامها ، ولاتجد أحد يقدر أن يصدقها، انظروا العوامل النفسية التى كانت تجرى فى داخلها ، وهى صامدة لاتدافع عن نفسها ، والله تركها تتحمل ليكون لها أجر ومن أجل أن يظهر قضيتها وبرارتها ، لم يحدث شيء أكثر من هذه الرؤية التى رآها يوسف . واستمر الناس يشكون فيها لدرجة أنه فى بعض الأحيان يقولوا عن المسيح نحن نعرف أبيه وأمه . كلام كثير طبعا لا بد أن قيل وقتها ، من يقدر أن يغلق أفواه الناس وتأويلاتهم وتفسيراتهم ، كل هذا كان على مريم ، حمل ثقيل، شكوك الناس وظنون الناس ومظالم الناس ، وحتى بعد أن ولدت مريم المسيح ، ولدته فى الظروف البائسة ، فتاة حامل فى

-----

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء بالمحلة الكبرى – فى مساء الأحد الموافق ١١ من أغسطس ١٩٨٥م – ٥ من مسرى ١٧٠١ ش .

وقت أوغسطس قيصر يأمر بأن يحدث اكتتاب في كل المسكونة ، وكل واحد يكتتب في مدينته التي ينتمي إليها ، ومريم وإن كانت مقيمة في الناصرة ، لكن هي أصلا من بيت لحم ، فكان لابد أن تذهب إلى بيت لحم. وجاء وقتها لتلد، في هذا الوقت بالذات، لماذا لا يأتي وقت الوضع إلاّ في الازدحام الهائل؟ هل لكي تُهان مريم في اللحظات الأخيرة للميلاد، ولاتجد مكان ، لماذا يسمح الله بذلك ، لماذا لم يُسهل لها المهمة؟ لماذا هذه الصعوبات يارب؟ ، لماذا الظروف الخارجية تكون كلها ضدها، أوغسطس قيصر يأمر بأن الاكتتاب يتم في هذا الوقت، والناس يذهبوا في هذا الزحام الشديد، فتاة تركب حمار وتسافر من مكان إلى مكان ، من بلد إلى بلد، من الناصرة إلى بيت لحم، وعندما تصل لا تجد مكان ، كيف هذا ؟ ثم لاتجد غير مذود البقر ، هل هذا مركزك يارب !! مركز المسيح، يولد في مذود البقر!! هذا هو التحدي الكبير، أي إنسان مهما صغر شأنه هل وصلت به إلى أن يولد في مذود للبقر، ثم هيرودس والكهنة ورؤساء الكهنة واليهود ينتبهوا بحضور المجوس من المشرق من بلاد إيران، بسبب النجم الذي يمشي حتى وصل إلى أورشليم ثم اختفى ،هيرودس الذي قتل أمه وقتل اخته وقتل كثير من أقربائه ، هذا الوحش عندما عرف أنه وُلد طفل سيكون ملك يأخذ منه الملك، إجتمع بالكهنة ورؤساء الكهنة وسألهم أين يولد المسيح؟ كانت الإجابة حاضرة من الناحية العلمية " في بيت لحم ".. حسب نبوءة ميخا النبي قال: " يابيت لحم لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج المدبر الذي يرعى شعبي إسرائيل " . فرد على المجوس ابحثوا عنه في بيت لحم بتدقيق ومتى وجدتموه ارجعوا إليَّ حتى أذهب أنا أيضا واسجد له" . وعندما خرجوا ظهر النجم مرة أخرى . وهنا يظهر قِصد الله في إختفاء النجم، أن هيرودس يعرف بالحدث ، قاصد أن يوقظ الناس التي تُزيد متاعب مريم. خرج المجوس وفرحوا فرحاً شديداً عندما رأوا النجم يتقدمهم إلى حيث البيت الذي كان فيه المسيح مولوداً، ثم قدموا هداياهم إلى آخره ، ثم ظهر لهم الملاك وقال لهم لاترجعوا إلى هيرودس بل ارجعوا من طريق آخر فأطاعوا الوحي ، فاستشاط هيرودس غضباً وأمر أن يقتل جميع الأطفال من ابن سنتين فما أقل، بحسب الزمن الذي تحققه من المجوس . ١٤٤ ألف طفل ماتوا في هذه الحادثة، لماذا يارب تسمح بموت الأطفال الأبرياء؟، نحن نتصور أن الذين يمشوا مع الله كل شيء يكون مهيأ لهم، لكن لكي تعرفوا كيف الله يعامل القديسين، فالعذراء قديسة لماذا تعامل هذه المعاملة ؟، لو أنت محلها ماذا كنت فعلت؟ كنت تعترض ، هل اعترضت مريم ؟!! .

ثم يوسف فى حلم يقال له " قم وخذ الصبي وامه واذهب إلى أرض مصر وكن هناك حتى أقول لك ". وتقوم مريم الصبية بعد هذه الظروف كلها ، وتركب الحمار من بيت لحم ويهربوا، ماهو إحساس الإنسان عندما يكون هارب ؟، مامدى الخوف الذى كان يتولى مريم فى هذا الوقت من هيرودس ومن اللصوص فى أرض مصر؟ ، وفعلا اللصان اللذان صلبا مع المسيح ، تقابلا مع مريم، ولأنهما كانا من قطاع طرق ، رأيا الذهب الذى قدمه المجوس فطمع أحدهما فيه ، ويوسف كان رجل شيخ متهدم وكان وراء الحمار، وهى صبية صغيره ١٣ أو ١٣ ونصف سنة ، تحمل طفلها، فأخذ أحدهم الذهب، وعاتبه زميله قائلا: كيف نصل لهذا المستوى ، وكيف نقسو على هذه الصبية، نحن نملك الكثير جدا ، وحدثت مشادة بينهما انتهت بأن الرجل صاحب القلب الطيب أحضر الذهب وأعاده لمريم العذراء.. سيدنا له المجد قال للسيدة العذراء هذان سيصلبا واحد عن يمينى وواحد عن يسارى، وصاحب القلب الرحيم سينادينى وأنا علـــــى الصليب " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " . ثم فى طريقهم إلى مصر ذهبوا إلى أماكن كثيرة، وكلما ذهبوا إلى مكان به معبد وثنى يجدوا الإله الوثن يتحطم أمام مخلصنا، وهذه نبوءة إشعياء ١٩: ١ " هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها " ، وطبعا الكهنة الوثنيين والناس المتعبدين لا يقبلوا هذا الكلام ، فكانوا يخرجوا وراءهم ويضربوهم ويطردوهم من المكان، وهذا هو السبب أن المسيح فى أرض مصر ذهب إلى هذه الأماكن والمحطات الكثيرة، والعذراء ملازمة للمسيح، وانظروا نصيبها من الآلام ومن الطرد ومن الإهانة ومن الضرب ، من مكان لمكان ، لعلكم قرأتم عن العذراء فى المطرية عندما كانت تذهب تبحث عن أكل، فتطرق على الأبواب من أجل رغيف خبز فلا تجد غير الطرد، بالاختصار رحلة طويلة مع المسيح وكل ما أصاب المسيح من اضطهاد من اليهود ومن الضرب والإهانات والجلد ثم الصلب.. كل هذا على قلب أم. إذن هل مريم احتملت مع المسيح أم لا، هل حملت الصليب مع المسيح أم لا ؟ هل امتلأ قلبها بالألم أم لا ؟ ، هل عانت مع المسيح أم لا ؟ وأى معاناة !! الرسل القديسون لم يعانوا ماعانته وتحملته مريم . لأنها كانت خطوة بخطوة ويداً بيد مع إبنها وسيدها .

هذه هى بعض الآلام والمتاعب والضيقات التى تحملتها مريم ولكن السؤال، لماذا يارب تعمل ذلك؟ لماذا لم تسهل الطريق لهذه الصبية الصغيرة ؟ لماذا ؟ لكى يزيد أجرها، لأن كل واحد سيأخذ أجرته حسب تعبه ، وبهذا نجيب على أسئلة أولادنا الذين باستمرار يفتكروا أن الناس الذين يسيرون مع الله تكون طرقهم سهلة ، هذا الكلام ليس

صحيح، الناس الذين يتعاملوا مع الله على أساس أن الله يخدمهم لايعيشون الدين ، المتدين هو الذى يخدم الله وهو الذى يتحمل، وهذه المعانى التى نقولها لأولادنا ، الشباب يأتى ويقول صلى لى لكى أنجح ، يأتى إلى الكنيسة ليتناول لكى ينجح ، من قال أن التناول يُنَجّح ، هذا هو الدين الذين يفهموه خطأ، أن الذى يسير مع الله لابد أن يكون طريقه سهل ، من قال ذلك ؟ العذراء اليوم توضح لنا قيمة من القيم الكبيرة، أن الذى يسير مع الله يتحمل. لاتكون علاقتنا بالله علاقة منفعة ، المسيح قال لتلاميذه " إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم " الذى يسير فى طريق الله وطريق الخدمة لا يطمع أن يكون طريقه سهل ؟ لا .. هذا مفهوم خطأ للدين . هذا مفهوم نفعى إنى أنا اعبد الله من أجل المنفعة، لكى أستفيد من وراء الله، وبذلك ينطبق على الشخص القول: صلى وصام لأمر كان يطلبه فلما انقضى الأمر لا صلى ولا صام. علاقته بالله علاقة منفعة ، ربنا هو الذى يخدمنى ، فأصلى لكى الله يساعدنى، لا يصلى تأملاً وتعبداً وواجباً منه نحو الله ، وإحساساً بفضل الله عليه ، لا .. مريم اليوم تعلمنا كيف أنها تَحملّت مع المسيح، وكيف حملت الصليب مع المسيح، وكيف تحملّت وعانت من إضطهاد اليهود بعد صعود المسيح، وحتى تنيحت أو رقدت ورحلت إلى العالم الآخر .

عانت العذراء ١٤ سنة ، بعد الصعود لكى تُعلّمنا كيفية التبعية للمسيح .

إن مريم بفضائلها وتَحّملها وإحتمالها مع المسيح فى صمت، العذراء لم تكتب مذكرات، لم تعظ، لم تعلم، إنما فى صمتها وفى سكونها وفى إحتمالها علّمت الكثير ، لذلك لابد بحق أن مريم تتوج وتنال كرامة ومجد على قدر ما احتملت مع المسيح . بركة صلواتها وشفاعتها تشملنا جميعا ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

الفضيلة الخامسة: التبتل والعفة (١)

إن مريم التى إختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد تقف أمامنا نموذجاً عالياً للحياة المكرسة، الحياة المتبتلة المنقطعة، إنقطعت مريم لخدمة المسيح، لم تستفد شيئا من حياتها لأمر يعود عليها، ماخدمت ذاتها فى أمر، كلها منذ طفولتها لها هدف واحد أن تكون كلها محرقة .

ما معنى التبتل ، التبتل هو الإنقطاع ، مريم عذراء العذارى تبتلت ، إنقطعت منذ طفولتها لله ، قطعت نفسها من كل شواغل الحياة، ليس لها غرض آخر ولاهدف من أجله تحيا ، كذلك عندما ظهر لها الملاك قال لها سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، قبل أن تحمل الحمل الإلهى، قبل أن يحل الكلمة فى أحشائها، كانت مريم ممتلئة نعمة ، ومن أجل أنها ممتلئة نعمة أخذت هذا الشرف ، لأن الله لايسند للإنسان دور دون أن يكون لهذا الإنسان استحقاق لهذا الدور، لذلك حياها الملاك تحية هى نفسها تعجبت لها ، وفكرت فى نفسها ماعسى أن تكون هذه التحية .

مريم نموذج للفتاة الطاهرة ، للعذراء النقية فكراً وقلباً وجسداً ، التبتل الثابت الذى لا يتراجع ولا يتذبذب، إختارت النصيب الصالح الذى **لن ينزع منها** ، ولعل هذا رد غير مباشر على من يظن، أو يخطر لباله أن مريم تراجعت، أو كما يَدَّعى بعض الناس أنها رجعت فتزوجت؟!! هذه الفتاة الطاهرة المقدسة من طفولتها عشقت البتولية، عشقت العذراوية ، عشقت أن تكون مقدسة جسداً وروحاً ، هذه العزيمة الصادقة التى جعلتها تعترض على قول الملاك وتقول له " كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا " قالت هذا وهى فى بيت يوسف وقد عقد عليها الكهنة عقداً رسمياً فى الهيكل لأنها كانت قد تيتمت من أبويها ، وكان لابد أن تخرج من الهيكل فى سن البلوغ ، فاحتار الكهنة فى أمرها ، هذه اليتيمة كيف تخرج ولمن ؟ وكيف يطمئنون عليها ؟ وتشير مصادرنا الكنسية أن رئيس الكهنة رأى حُلماً يأمره فيه الرب أن يجمع عصىّ الشيوخ والشباب، ويكتب على كل عصا اسم صاحبها وفعل ذلك ، وكانت أحد العصىّ مكتوبا عليها يوسف ، وشاء الرب فى اليوم التالى أن رأى رئيس الكهنة أن العصا المكتوب عليهـا

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة السيدة العذراء بالخرطوم – فى مساء الجمعة ٢١ من أغسطس ١٩٨١ – ١٥ من مسرى ١٦٩٧ش .

اسم يوسف أفرخت وأخرجت براعم، كيف تخرج براعم وتزهر؟ هذا أمر غير مألوف فى الطبيعة، لكن هذا معناه أنه إشارة سمائية إلى أن العناية مع هذه الفتاة، وأنها وهى العذراء والعذراء لاتحبل ولاتلد، لكن هذه العذراء بالذات ستحبل وتلد بالرغم من عذراويتها، هذه هى العذراء الأم، من رأى عذراء أُماً إلا مريم ، عذراء وأم ، هذا مستحيل، فكانت بهذا عصا يوسف شبيهة بعصا هارون التى أيضا وضعت فى الهيكل فأفرخت وأخرجت براعم دوناً عن سائر أسباط بنى إسرائيل ، أفرخت عصا يوسف فكانت هذه علامة أخرى على أن الرب قد إختار يوسف لمريم، فأمسك الكهنة بيده ويدها وربطوا بينهما رباط الزيجة المقدس وأخذها يوسف إلى بيته ، فعلى الرغم من وجودها فى بيت يوسف تقول للملاك "كيف يكون لى هذا وأنا لاأعرف رجلا " من غير المعقول أن واحدة متزوجة زواج رسمى بعقد رسمى وإنتقلت بالفعل إلى بيت الرجل الذى عقد الكهنة عليها وعليه عقداً رسمياً، يجيئها الملاك وهى فى بيت يوسف فتعترض وتقول كيف يكون لى هذا ، أى بنت فى الدنيا حتى لو كانت مجرد مخطوبة أو حتى قبل الخطوبة لو رأت حلم وقال لها ها أنت ستحبلين ، تقول نعم هذه بشارة بأنى سأخطب وأتزوج وبعد ذلك أنجب.. ولا تندهش ولا تتعجب، فما بالك بواحدة عقد عليها عقد رسمى وإنتقلت إلى بيت زوجها بصفة رسمية ومع ذلك الملاك يقول لها: ها أنت ستحبلين فى المستقبل، ومع ذلك تقول كيف لى هذا وأنا لا أعرف رجلا، هذا يدل على عزيمة صادقة فى مريم ، إختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها .

ولذلك لم يوبخها الملاك على عزيمتها وإنما طمأنها أن هذا الحبل لن يتعارض مع إحتفاظها ببكارتها، فقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فالقدوس ، القدوس وليس القديس ، القدوس، هى الكلمة التى لا يوصف بها إلا الله وحده ، القدوس المولود منك يدعى ابن الله ، لأنه ليس له أب بالجسد ، فهو ابن الله بهذا المعنى، ولأنه صورة الله غير المنظور، ومثل ما قال المسيح " من رآنى فقد رأى الآب " فهو صورة الله غير المنظور، لايوجد فى لغة الإنسان كلمة أنسب للعلاقة بين غير المنظور وقد صار منظوراً إلا أنه ابن الله لكى ينفى أن له أباً بالجسد .

ومن هنا صارت مريم وإلى الأبد شرف البتولية، عذراء العذارى، العذراء بالالف واللام، العذراء دائماً وكل حين ، دائمة البكارى، دائمة البتولية، وهى التى أنشأت نظام العذارى فى الكنيسة ، فبنات كثيرات تبعنها وإقتدين بسيرتها، وصرن صويحباتها، يتبعنها فى كل مكان تذهب إليه ، وعُرفن بعذارى جبل الزيتون، أنشأ فى الكنيسة نظام العذارى قبل أن يتحول هذا النظام إلى نظام الرهبنة فى القرن الرابع للميلاد، إنما فى

القرون الأولى كان هناك للعذارى مكان لوقوفهن ، يعرف بخوروس العذارى، العذراء مريم هى التى أنشأت هذا النظام .

إختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها . لأنها ثابتة غير متزعزعة لم ترجع إلى الوراء ، استمرت إلى التمام ثابتة القصد ، لم تتراجع عن مسيرتها إلى النهاية .

فالعذراء مريم لم يذكر عنها أنها وعظت ، لم يذكر عنها أنها علّمت أو بشرت أو خطبت، لم يذكر عنها أنها مارست عملا من أعمال الكهنوت على الرغم من أنها والدة الإله ، وهذا ما نصت عليه الكتب المقدسة وما نصت عليه الدسقولية (تعاليم الرسل)، إنما خدمة العذراء مريم كانت خدمة الملائكة ، خدمة التبتل ، خدمة العبادة ، خدمة الروحانية الصادقة غير الغاشة ، الخدمة الصامتة التى تقدم فى حياتها نموذجاً وسيرة للعفة الكاملة والعبادة التامة والإنقطاع الكلى وقداسة الحياة روحاً وجسداً .

موضوعات متنوعة
حول العـــذراء

١- مريم فائقة القداسة .
٢- العذراء الممتلئة نعمة .
٣- مريم العذراء ونصيبها الصالح .
٤- فى حياة العذراء مريم تأملات واسئلة تفتقر إلى إجابات ،
٥- مريم العذراء كخادمة .
٦- العذراء مريم سفينة النجاة .
٧- المظهر والجوهر - السطحية والعمق مع تطبيق على حياة العذراء .
٨- العذراء مريم نموذج العمل الصالح والروحانية الصادقة.
٩- مَن أضاع حياته من أجلى يجدها .
١٠- العذراء مريم نموذج لحياة الصلاة الدائمة .
١١- القرابة الروحية وسموها عن القرابة الجسدية .
١٢- العذراء فى الأجبية
١٣- مجىء العائلة المقدسة إلى أرض مصر .

موضوعات حول العذراء

١- مريم فائقة القداسة

إن العذراء مريم ليست فقط صديقة وقديسة، لكنها فائقة القداسة، وقد وصفها الملاك جبرائيل عندما بشرها بالحبل الإلهى منها أنها (الممتلئة نعمة) (لوقا١: ٢٨)، ومعنى أنها (ممتلئة نعمة) أنها كانت قبل إختيارها لشرف ولادة الله الكلمة منها، نقية وطاهرة وعفيفة ومفعمة بالفضيلة إلى درجة الإمتلاء الكامل، وهى قامة روحية عظيمة نادرة فى فتاة فى مثل سن العذراء مريم، ولم تكن قد بلغت الثالثة عشرة من عمرها: (بنات كثيرات عملن فضلاً. أما أنت ففقت عليهن جميعا) (أمثال٣١: ٢٩) . وإذا كانت تلك هى قامتها الروحية وهى صبية صغيرة، فلابد أن هذه القامة امتدت طولاً وعرضاً وعمقاً بتأملها فى سر التجسد ، وبملازمتها للمسيح له المجد ، وانفعالها المستمـــــر بالمكاشفات الروحية والتجليات العالية التى عاشتها وعايشتها ، واستغرقت روحهـــــا ونفسها وذهنها وكل كيانها ووجدانها. قال عنها الإنجيل (وأما مريم كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها... وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها) (لوقا٢: ١٩، ٥١) . إن مريم تحولت بفضل كل هذا الجو الروحانى الذى غمرها، وغرقت هى فى أعماقه وغاصت فى بحوره، ومتابعتها المستمرة المتأنية لكل كلمة من ابنها وسيدها وربها الذى وقفت وأوقفت كل حياتها على خدمته ، ومتابعتها المستمرة المتأنية لكل تصرفاته وكل تحركاته ، وما صاحب حياته من أحداث إلهية مبهرة ومعجزات وآيات وقدرات سحقت روح مريم بمزيد من الإتضاع، والإستغراق الروحانى، حتى صارت تحيا (فى الروح) (الرؤيا١: ١٠) وكأنها ليست فى الجسد، ولعلها من عمق استغراقها فى الروحيات لم تكن تدرى (هل هى فى الجسد أم خارج الجسد) (٢. كورنثوس١٢: ٢، ٣) .

إن إنسانة روحانية بهذه الدرجة، بدأت خدمتها فى سن الصبوة وهى(ممتلئة نعمة) وامتدت بعد ذلك قامتها الروحية طولاً وعرضاً وعمقاً، كيف لا تكون لها عند الله شفاعة ودالة ؟ وكيف لايكون لصلواتها وزن ثقيل ؟ .

إذا كان الله تعالى يقرر أنه إن وُجد فى مدينة خمسين أو أربعين أو ثلاثين أو عشرين أو عشرة أبرار، فإنه يصفح عن المكان كله من أجل الأبرار الذين فيه، ويطيل أناته على الخطاة الذين فى المكان ولايهلكهم من أجل الأبرار الذين فى وسطهم

(التكوين١٨: ٢٣-٣٢)، فكيف لايكون لمريم العذراء وهى (الممتلئة نعمة) والفائقة القداسة، شفاعة ودالة عند الله بحيث أنه بصلواتها وطلباتها يرحم الرب بشراً آخرين تشفع هى فيهم، فتشملهم مراحم الرب ويطيل أناته عليهم ؟

الملكة أم الملك

لكن مريم العذراء بفضل روحانيتها وقداستها، قد اصطفاها الرب دون نســـاء العالمين (لوقا١: ٢٨، ٤٢) لتكون هى(المختارة) (٢. يوحنا:١) التى يحل الله الكلمة فيها، ومن دمها ولحمها تكون الجسد الذى اتحد به اللاهوت، وظهر منها (الله متجسداً) (١. تيموثيئوس٣: ١٦) ، إنه شرف، ياله من شرف، أن تصبح امرأة من جنسنا (سماء ثانية) حل فيها الله جسدياً، وأن تصير من ثم (والدة الإله) ، (إشعياء ٧: ١٤) وأن يجلس الله الكلمة على ركبتيها وهو (الجالس فوق الكاروبيم) (١. صموئيل٤: ٤)، (٢. صموئيل٦: ٢)، (مزمور٧٩: ١).. هى إذن الملكة أم الملك (مزمور٤٤: ٩) . فبهذه المكانة السامية وهذه الصفة والحيثية هى ذات دالة وشفاعة، ولابد أن تكون لصلواتها مكانة أمام الله، مكانة لاتعلوها مكانة لأحد آخر من القديسين والقديسات .

ألم يقل لها الملاك المبشر: (إنك قد نلت نعمة عند الله) (لوقا١: ٢٠) ولا ينال هذه النعمة والحظوة إلا من أرضى الرب بسيرته العطره .

مريم مع المسيح فى آلامه

على أن شفاعة مريم وفعاليات صلواتها ودالتها أمام الله ليست فقط من حيث مكانتها باعتبارها الملكة أم الملك، وليست فحسب من أجل روحانية حياتها وقداسة سيرتها وهى (الممتلئة نعمة) والفائقة القداسة ولذلك (نالت نعمة عند الله)، ولكنها بالإضافة إلى هذا وذاك، لأنها تعبت مع المسيح ومن أجله كثيراً... وإذا كان المسيح له المجد يقول عن المرأة الخاطئة التى تابت باكية عند قدميه (إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها ، لأنها أحبت كثيراً)، ولم تكن محبتها مجرد عاطفة روحية جياشة، وليست مجرد تبتل وإنقطاع تام وتفرغ كامل للرياضات الروحانية العالية، ولكن مريم قد تعبت من أجل الرب يسوع كثيراً، كما لم يتعب من أجله أحد آخر مثل تعبها، فهى التى حملته جسدياً كأم فى أحشائها، وأرضعته جسدياً، وربته وهو ينمو فى جسده نمواً تدريجياً إلى قامة الإنسان الكامل (لوقا٢: ٥٢)، واحتملت من أجله التعيير والشكوك فى

طهارتها، حتى يوسف خطيبها البار شك فيها، ولكنه (إذ كان يوسف رجلها باراً، ولم يشأ أن يشهر أمرها، أراد أن يُخلي سبيلها سراً . ولكنه فيما كان يفكر فى ذلك، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً: يا يوسف بن داود، لاتخف أن تستبقى امرأتك، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس) (متى١: ١٩، ٢٠) ولقد عانت معه فى رحلتها الطويلة فى كل أرض مصر، من شمالها إلى جنوبها، وهم يطاردونها معه من مكان إلى مكان . وبعد أن عادت إلى أرض فلسطين عاشت معه نفس المصير الذى عاناه من مضايقات اليهود واضطهادهم له (يوحنا١٥: ٢٠) ويمكننا أن نتصور معاناة العذراء مريم خصوصاً فى أسبوع آلام سيدها وابنها، وكيف عاشت معه تلك الأيام القاتمة الحزينة والمحاكمات الدينية والمدنية التى حاكموه بها ، والقضاء عليه بالجلد والضرب والصلب ، وكيف كانت تراه وتتابعه فى مراحل الصلب مرحلة مرحلة ، وكيف كان شعورها كأم وهى تراه واقعاً تحت حمل الصليب الثقيل ثلاث مرات، وقائد الجند القاسى القلب يلهب بالسياط ظهره المثخن بالجراح يستحثه على النهوض وهو منهك، والعرق يتصبب من جبينه مختلطاً بالدم ثم يمتزج بتراب الأرض، فيصير وجهه ملطخاً كله بالطين ... كيف كان شعورها كأم وهى ترى الذى هو (أبرع جمالاً من بنى البشر)(مزمور٤٤: ١) قد صار(لا صورة له ولاجمال) (إشعياء ٥٣ :٢).. ثم تراه والمسامير تدق فى يديه ورجليه فى قسوة بالغة ، وتراه وهو على الصليب يقول (أنا عطشان) (يوحنا١٩: ٢٨) فلا يقدمون له ماء وإنما يقدمون له خلاً فى أسفنجة (يوحنا١٩: ٢٩) ثم ترى رئيس الجند يطعنه بالحربة فى جنبه، فيجرى من جنبه دم وماء (يوحنا١٩: ٣٤). وحقاً ما قاله سمعان الشيخ عندما رأى المسيح علـــى يدىً العذراء مريم تحمله عند تمام الأربعين يوماً من ولادته، متنبئاً عن آلامها ومعاناتها مع المسيح ربها، وفاديها وابنها (إن هذا قد جُعل لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل، وسيكون هدفاً للمقاومة. وأنت أيضا سينفذ فى نفسك سيف، حتى تتكشف نوايا قلوب كثيرة) (لوقا٢: ٣٤، ٣٥) .

وإذا كان الكتاب المقدس يقرر من حيث المبدأ أن الله عادل، وأنه لعدله (يجازى كل إنسان على حسب أعماله) (متى١٦: ٢٧)، (رومية٢: ٦) وأن (كل واحد ينال أجرته على مقدار تعبه) (١.كورنثوس٣: ٨)، والتعب هو برهان المحبة، (وما من حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه) (يوحنا١٥: ١٣) فإن العذراء مريم قد أحبت الرب حُباً لايدانيه حب، **أولا – كقديسة جزيلة القداسة . وثانيا- كأم** ، وليس كمحبة الأم محبة أخرى تدانيها، **وثالثا- كإنسانة عاشت مع المسيح وعايشته وارتبط**

مصيرها بمصيره واحتملت من أجله مالم يحتمله أحد آخر، وعانت من أجله مالم يجرؤ أحد أن يدّعيه، فهى معه أكثر من شهيدة، تعذبت معه منذ بدء تجسده، وقبل تجسده، وتعذبت معه فى آلامه وموته، وبعد قيامته وبعد صعوده إلى السماء، ومازال اليهود إلى اليوم يسبونها ويعادونها ويبغضونها .

هناك آلام ليست نتيجة خطايانا، هذه لو أصابتنا فهى لفائدتنا ولتمحيصنا، ولتظهر فضيلتنا، لأنه كيف تظهر فضيلة الإحتمال مالم يكن هناك ألم وإهانة أو موقف يقتضى أن يستخدم الإنسان أن يوظف هذه الفضيلة، أين تظهر فضيلة الاحتمال وفضيلة الصبر، ويصبر الإنسان ويقبل الأحداث بشكر، متى تظهر هذه الأشياء إن لم يكن هناك مواقف من هذا القبيل . يجب أن نتعلم من العذراء كيف أن هذه الآلام لفائدتنا ولنمونا وأيضا لتزود الاكليل، كل هذا جعل كرامة العذراء أمام الله لها الدالة والشفاعة لأنها من أجله عاشت ومن أجله احتملت .

تلك الاعتبارات الثلاثة ، على الأقل ، من أجلها تكون للعذراء عند المسيح الرب شفاعة ودالة فوق كل شفاعة ودالة لأى إنسان آخر... ويكفى العذراء مريم فخراً أن أول معجزة صنعها المسيح له المجد فى خدمته الجهرية ، كانت استجابة لرغبة العذراء مريم. فعلى الرغم من أنه لم يكن يشاء أن يصنع معجزة فى هذا الوقت، لكنه صنع المعجزة الأولى التى افتتح بها خدمته الجهارية من أجل العذراء مريم، فَحوّل الماء إلى خمر، فى عرس قانا الجليل (يوحنا٢: ١-١١) .

وإذا كان المسيح له المجد لم ينس لمريم أخت لعازر التى سكبت الطيب على رأسه، ودافع عنها، وقال للمعترضين عليها (إنها قد صنعت بى صنيعاً حسناً، لقد فعلت ما فى وسعها.. الحق أقول لكم إنه حيثما يبشر بهذا الإنجيل فى العالم كله يُحدث أيضا بما فعلته هذه المرأة، إحياءً لذكرها) (مرقس١٤: ٨، ٩)، (متى٢٦: ١٠-١٣)، فإنه بالأحرى لاينسى لمريم العذراء أتعابها فى سبيله، فقد سكبت على جسده، ليس طيباً من قارورة ، بل لقد سكبت دمها وأعصابها، بل أهلكت حياتها من أجله. فكيف لايكون لها حسن القبول أمامه ؟، وكيف لا تكون لصلواتها الفاعلية العظمى عنده ؟ .

٢- العذراء الممتلئة نعمة[١]

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

هذا هو الأحد الثانى من شهر كيهك ، الشهر العظيم الذى فى التاسع والعشرين منه نستقبل عيد الميلاد أو بالأحرى عيد التجسد .

إن حكمة الكنيسة فى إختيار الفصول جميلة، فنحن نقرأ فى هذا الشهر الأصحاح الأول من إنجيل معلمنا لوقا ، وقد قُسم على أربعة فصول ، فى الأحد الماضى قرأنا الفصل الأول وهو الذى فيه نرى الملاك جبرائيل يبشر زكريا رئيس الكهنة، بأن إمرأته ستحبل وتلد إبنا تسميه يوحنا وهو يوحنا المعمدان، السابق الجارى أمام سيده ليعلن قدومه . كلمة السابق الجارى مأخوذة من أن الملك كان إذا مشى فيجرى أمامه إنسان ليُعِّد له الطريق ، فإذا كان إنسان جالس يقوم ، وإن كان بعض الناس تعترض الطريق يتنحوا عن الطريق لأن الملك يمر، فيوحنا المعمدان أخذ هذا المعنى، وحتى اليوم رئيس الجمهورية أو رئيس الدولة عندما يسير تكون أمامه دراجات بخارية وسيارات ، وحتى اليوم فى القدس المطران عندما يسير يمر واحد قدامه يسموه قواس، يمسك عصا ويدق بها قدامه ، لأنه يُعِّد الطريق أمامه ، ويجعل الناس يتنبـــهوا أن المطران قادم، فيوحنا المعمدان قام بهذا الدور ، دور الإنسان السابق الجارى، يجرى قدام سيده ليُعِّد الطريق أمامه ، ولذلك فى الكنيسة عند قراءة الإنجيل الشماس يقول: " قفوا بخوف من الله لسماع الإنجيل المقدس" لأن المسيح يتكلم فى الإنجيل فالشماس يقوم بدور يوحنا المعمدان أنه يقول للناس: قفوا بإحترام لأن المسيح يتكلم .

الفصل التالى مباشرة من الأصحاح الأول من إنجيل معلمنا لوقا ، إبتداءا من عدد ٢٦ إلى ٣٨ به البشارة للسيدة العذراء بالميلاد ، أو أنها ستحبل وتلد المسيح له المجد .

يقول فى الشهر السادس ، الشهر السادس بالنسبة لأليصابات أنها حبلت بيوحنا المعمدان ، وقال لها الملاك أيضا " هذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرة "، وهى أليصابات ، الشهر السادس ، الحقيقة الأرقام لها فلسفة فى الكتب المقدسة ، لماذا الشهر السادس .. نحن نعرف أن الإنسان خُلق فى اليوم السادس .. وأن المسيح صلب فـــى

------

(١) عظة ألقيت بكنيسة الأنبا فريج الأثرية بالأنبا رويس – صباح الأحد الموافق١٧ من ديسمبر ١٩٨٩م – ٨ من كيهك ١٧٠٦ ش .

اليوم السادس وهو يوم الجمعة، وعُلق على الصليب فى الساعة السادسة ، فالأرقام لها عند الله معانى معينة، ولذلك يجب أن ننظر إليها باحترام، ونعرف أن الكون منظم وأن تدبيرات الله منظمة ، الله له قصد فى المواعيد لماذا تأخر فى إستجابة الصلاة لزكريا وأليصابات حتى أصابهما اليأس، بعد أن كبرا فيِ السنِ ولم يعد هناك إمكانية ، حكمة الله لكى يأخذ هذا المولود الشرف أن يكون سابقاً جارياً أمام سيده ليعلن حضوره، فلو كان الله استجاب لأليصابات وزكريا ، لن يكون المولود يوحنا المعمدان ، كان أصبح طفل عادى ، إنما التأخير له حكمته عند الله ، لا نقول أن الله لايستجيب لا.. كل شىء يُعرف عنده ، لكن له مقاصد معينة لكى يجعل العطية عظيمة فى ميعاد معين ، نفس مجىء المسيح له المجد أيضا فى ميعاد ، يقول " لما حان ملء الزمانِ " حتى الزمان له عند الله إمتلاء ، يجىء فى الوقت المناسب، " أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى .." إذن نفس مجىء المسيح فى وقت معين، معروف عند الله، اختاره لأنه الوقت المناسب ، بالنسبة لحاجات النفس البشرية وبالنسبة لليهود وبالنسبة للأمم، الكل اقتنعوا أنهم محتاجينٍ إلى الخلاص ، فحان ملء الزمان، تهيأت مشاعر الناس فى حاجتهم إلى هذا المُخلص فجاء المسيح فى الوقت المناسب ، تدبيراته عالية جدا .

يقول: "وفى الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل تسمى ناصرة " فيوسف ومريم فى هذا الوقت كانا فى الناصرة ، بعض الناس يقولوا: الكتاب المقدس وقع فى تناقض، كيف يقول الناصرة وهما فى بيت لحم؟ ، لايوجد تناقض، المسيح ولد فى بيت لحم، لكن يوسف ومريم كانا فى مدينة الناصرة ، الناصرة هى بلد فى الجليل. بلاد فلسطين كانت مقسمة لثلاث مقاطعات، كما عندنا الدلتا ثم مصر الوسطى ثم الصعيد، وكذلك ايطاليا وكل بلد، ففلسطين ثلاث مقاطعات، المقاطعة الشمالية اسمها الجليل ، المقاطعة الوسطى اسمـــها السامرة ويسموها الآن نابولس ، المقاطعة الجنوبية اسمها اليهودية وعاصمتها أورشليم ، بيت لحم فى جنوب أورشليم ، حوالى ساعة ونصف بسيارة من أورشليم، فلايوجد تعارض أو تناقض ، الناصرة فوق فى الشمال لأن يوسف كان نجار فى الناصرة، ومريم أيضا كانت فى الناصرة، ولكن المسيح ولد فى بيت لحم .

وفى الشهر السادس أُرسل جبرائيل من الله ... وهذه دائما مهمة جبرائيل .

الملائكة كل واحد له إختصاص ، لايوجد تنازع إختصاصات ، لايوجد ملاك يأخذ إختصاص واحد آخر، فجبرائيل دائما الملاك المبشر، ميخائيل رئيس الرؤساء ، هو الذى طرد الشيطان من فوق ، حدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين

وملائكته ولم يوجد لهم أثر، ثم أُرسل سطانائيل إلى أعماق الجحيم بقيود أبدية تحت الظلمات محروساً ليوم القضاء . فميخائيل هو رئيس الرؤساء ، هناك سبعة رؤساء ملائكة ، يقول الكتاب المقدس "السبعة الأرواح التى أمام عرشه" ، ونحن نشير إليهم فى الهيتنيات، نقول ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓϣⲁϣϥ ⲛ̀ⲁⲣⲭⲏⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ (هيتين نى ابريسفيا انتى بى شاشف إن أرشى أنجيلوس) ، بشفاعة سبعة رؤساء الملائكة . كلمة رؤساء يعنى أن كل رئيس له عدد من الملائكة خاضعين له، كما نقول طغمة، لكن أيضا ميخائيل رئيس الرؤساء .

ولذلك فى كتب الكنيسة يقولوا: الأول ميخائيل والثانى جبرائيل والثالث رافائيل ، والرابع سوريال والخامس سيداكيئيل والسادس سراثيئيل والسابع أنانيئيل، هؤلاء سبعة رؤساء الملائكة الذين سموا سبعة الأرواح التى أمام عرشه ، واقفين أمام العرش الإلهى، ولذلك جبرائيل يقول لزكريا " أنا جبرائيل الواقف أمام الله " ورافائيل عندما يكلم طوبيا قال له " أنا أحد السبعة الواقفين أمام الله " ، ووصفوا أيضا بأنهم السبعة مصابيح المتقدة ناراً ، إظهارا لقوة الإضاءة ، فهم سبعة رؤساء .

المهم أن جبرائيل دائما مهمته المبشر ، جبرائيل كلمة عبرانية معناها " الله جبار "، أو " جبروت الله " ، كل واحد له اسم ، ولهذا حكمته الكبيرة لأن الأسماء تعين وظيفة الملاك ، كما نقول مثلا كتاب كذا ، فنضع اسم للكتاب، اسم الموضوع الذى يتكلم فيه الكتاب .

فهنا الأسماء لها حكمتها لأن الاسم يعين الوظيفة ، وبهذه المناسبة مفروض أن نختار لأولادنا وبناتنا أسماء لها معنى معين ، لأن الاسم يوحى للشخص لكى يعيش طبقا لإسمه، فمفروض أن الواحد يختار ، الله أعطى الحرية لآدم أنه هو الذى يُسمى ، لم يتدخل الله إلا فى أحوال قليلة مثل يوحنا ، قال: " وتسمينه يوحنا " . فى أحيان قليلة فقط كان الله يتدخل ويختار الاسم ، إنما فى كل الأحوال كمبدأ عام الله أعطى لآدم وللإنسان أنه هو الذى يختار الاسم لأولاده وبناته .

لذلك يجب أن نختار أسماء لها معنى، وهذا يحمل رسالة للشخص فى حياته لكى يكون كإسمه.. واحد مثلا يسموه عادل أو يسطس ، فيشعر أنه مفروض أنه يكون عادل ، فكأن اسمه يذكره بإستمرار بأن يكون عادل فى حياته ويكون إنسان منصف وهكذا .

وفى الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله ، إلى مدينة فى الجليل اسمها الناصرة ــ وهى موجودة حتى الآن ــ إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه

يوسف ، كلمة مخطوبة هذه كلمة الحقيقة مؤدبة ، لأن مريم إنتقلت إلى بيت يوسف، وهى زوجة رسمية من الناحية الشكلية، لأنه لا يمكن للكهنة أن يسلموها إلى يوسف قبل أن يعقد عليها عقد رسمى. كنوع من أنواع التحوّط، وهذا يُعَدّ نوع من أنواع الزواج البتولى ، أى أن الإثنين يعيشا معا بتوليان ، مثل آدم وحواء قبل الخطيئة، ومن المهم أن تعرفوا أن يوسف كان فى هذا الوقت فوق الـ ٩٠ من عمره أى حوالى ٩٤ سنة ، ومريم كانت حوالى ١٢ سنة فهى بمثابة إبنة إبنة أى حفيدة .

ودخل إليها الملاك وكانت فى بيت يوسف ، ورغم أنه يوجد عقد رسمى . ومع ذلك عندما يقول لها الملاك ها أنت ستحبلين ، تقول له كيف يكون لى هذا ؟ وهذا يدل على أنها كانت مصممة على أنها تعيش بتول كل أيام حياتها، لذلك استغربت وقالت: كيف يكون لى هذا، فلو كانت هناك زوجة رسمية أو حتى فتاه مخطوبة ، وجاء لها الملاك أو رأت حلماً أنها ستحبل، لاتستغرب فى ذلك لأن هذا قد يحدث فى المستقبل، أما مريم رغم أنها فى بيت يوسف وبمثابة زوجة رسمية اعترضت، فما لم تكن مريم مصممة على حياة البتولية ما كانت اعترضت ولايكون هناك معنى لهذا الاعتراض، كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا، وكلمة " لا أعرف " فى اليونانية والقبطية تعنى لا أعرف وسوف لا أعرف . أى مصممة على أن تعيش بتولاً كل أيام حياتها، لأنها هى أحبت الحياة المقدسة ، وهذا هو السبب أن الملاك عندما دخل إليها حياها بتحية لم يحييها لرئيس الكهنة ، قال لها "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك مباركة أنت فى النساء" ، قبل تحبل وتلد المسيح .

وهذا يدل على أن كرامة مريم ليس فقط لأنها حملت المسيح ، ولكن لأنها ممتلئة نعمة ، الكلمة اليونانية κεχαριτωμένη (كى خاريتو مينى) وبالقبطى ϫⲉⲣⲉ ⲑⲏⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ϩⲙⲟⲧ (ثى اثمه ان اهموت) مشحونة، مليانة، عندما تشهد السماء عن واحد ممتلىء نعمة ، هذا معناه أنه ممتلىء تقوى ، ممتلىء فضيلة ، " الممتلئة نعمة ". وهذا يكشف لنا أن هذا هو السبب فى إختيارها لأن تقوم بهذا الدور، بعض الناس تقول منعم عليها، من الإنعام، وحتى المنعم عليها لاتكون إلا إذا كانت مستحقة لهذا الإنعام ، رئيس الدولة عندما ينعم على إنسان لأنه مستحق ، فلو فرضنا أن هناك إنعام، فهذا الإنعام نفسه لا يعطى إلا إذا كان الشخص مستحق هذا الإنعام .

فمريم كانت ممتلئة نعمة، ولهذا السبب أُختيرت، المخرج لرواية معينة قبل أن يعهد لأى واحد بدور، لابد أن يكون مطمئن لكفاءة هذا الإنسان ليقوم بهذا الدور ، يكون عنده من الصفات والمقومات التى تؤهله لأداء الدور بكفاءة ، لابد أن يطمئن إلى كفاءة

هذا الإنسان، ولهذا أُختيرت مريم، هذا الإختيار ليس اعتباطا ، فإذا كان الله أنعم عليها فذلك لأنها ممتلئة نعمة ، فالله اختارها لأنه رأى كفاءتها لتقوم بهذا الدور. فالعذراء قبل أن تختار لكى تكون أماً للمسيح، قبل هذا كانت هى ممتلئة نعمة ، ممتلئة فضيلة ، وهذا هو السبب أن الملاك حياها بهذه التحية التى لم يحييٍّ بها رئيس الكهنة " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ... مباركة أنت فى النساء " أى مباركة أنت بين النساء ، أى نلتى بركة فوق جميع النساء، ولذلك سموها مصطفية ومختارة .

" مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك "، قبل أن يقول مباركة هى ثمرة بطنك، قال مباركة أنت فى النساء، مما يدل على جدارة مريم وعلى أن الله اختارها لأنها جديرة بهذا .

عندما سمعت هذه التحية تعجبت، يقول الكتاب المقدس " وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية " ، وهذا هو المنسوب إلى مريم، ونسب إليها أيضا " أنها كانت تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها " .

صدقونى أنا شخصيا استغرب وأتعجب كيف أن فتاة في هذا السن المبكر وتفكر فى قلبها، أى تحيا باطنيا، العذراء كان كلامها قليل جداً جداً جداً فى هذا السن ، فتاة غيرها كانت تقفز من الفرح، إنما هى تحفظ هذه الأمور، رأت الملاك وكل هذا المنظر والحمل والمسيح فى بطنها كل هذا ولاتتكلم ، تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها ، الحقيقة هذه صفة نادرة فى الست العذراء وهى طبعا نموذج للهدوء والسكون والتفكير والحياة الباطنية ، وبعد كل ذلك الإنسان يسلك بعد تفكير. أخذت تفكر ماعسى أن تكون هذه التحية ، لم يسبق إليها أحد ، لم يحدث فى كل التاريخ وفى كل قصص العهد القديم، أننا قرأنا عن ملاك يُكلم إبراهيم ويُكلم اسحق ويعقوب بهذه التحية، ملائكة كثيرة جدا فى حياة القديسين ، لكن لم يحدث أبدا أن ملاك من السماء حييَّ إنسان بهذه التحية ، مما يدل على جدارة مريم وعلى أنها لجدارتها أُختيرت لهذه المهمة .

قال لها " لاتخافى يامريم "، معذورة أنها ارتبكت ، لأن منظر الملاك قد يكـــــون رهيب، فى ساعة القيامة السيدات كن منكسات بوجوههن إلى الأرض، غير قادرات أن ينظرن إلى الملاك، الملاك نور عظيم جدا ، يقول فى سفر الرؤيا، نزل ملاك من السماء فاستضاءت الأرض من بهائه، هذه قوة النور فى الملاك، الملائكة مخلوقين من النور، عندما نزل الملاك ميخائيل من السماء ودحرج الحجر ليعلن أن سيده قد قام من بين الأموات، يقول الكتاب المقدس " حدثت زلزلة " ، انظروا الملاك والنور الذى فيه

والبهاء والإضاءة والإحراق، مجرد نزوله من السماء عمل زلزلة ، فلا بد أن مريم خافت ورئيس الكهنة خاف عندما جاء له الملاك ، وقال له : لا تخف يا زكريا .

وهنا يقول للعذراء لاتخافى يامريم لأنك قد نلت نعمة عند الله ، متى الإنسان ينال نعمة عند الله ؟ عندما الله يجد فيه الفضيلة ، حياة الإنسان تنعكس على التدبير الإلهى ، الله يفرح عندما يجد الفضيلة ، إذن تقوى مريم وفضائل مريم كانت سابقة ، ولهذا السبب نالت النعمة . فالله أحبها لأن أعمالها الصالحة جعلت الله يحبها ، وجعلتها تنال نعمة عند الله ، أنا أكرر هذا المعنى لنعرف أنه لولا جدارتها بأن تقوم بهذه المهمة ، لولا أن الله رآها ، ورأى قلبها ورأى حياتها ما كان يعهد إليها بهذه المهمة ، كل هذا يشهد بفضيلة مريم ، وتقوى مريم وقداسة سيرتها .

" نلت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا تسمينه يسوع " ، دائما الله يترك لنا نحن أن نختار الأسماء إلاّ فى الأحوال النادرة، يوحنا المعمدان قـــال " وتسميه يوحنا "، لأن يوحنا كلمة عبرانية معناها يهوه حنان " الرب حنان " ، لأن المجىء الأول للمسيح مجىء رحمة وحنان .

كذلك كلمة يسوع قال " وتسمينه يسوع " ، يسوع بالعبرانى هى يشوع ، ويشوع معناها مُخلّص ، لكى يبين لنا رسالته أنه جاء ليخلص ، فنحن عندما نقول المخلّص بالألف واللام هو المسيح يسوع ، المسيح لقب ، إنما الاسم الأول يسوع ، سُمى يسوع لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم، ومن هنا جاءت كلمة " هوشعنا " التى نقولها فى أحد الشعانين ، "هوشعنا" بمعنى "خلصنا" ، "هو شع نا" تعنى "يارب خلصنا" فيشوع أو يسوع، إنما الأصل العبرانى يشوع ، يشوع يعنى يهوه مخلص ، الرب مخلص .

" وسيكون عظيماً " يكلمها من الناحية الإنسانية، المسيح هو الله ذاته لكن ولد كطفل، أخذ صورة إنسان لذلك قال لها سيكون عظيماً فى رسالته الإنسانية كإنسان .

" وابن العلى يُدعى وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه " ، هنا المسيح من حيث هو إنسان هو ملك، المسيح ملك ، ولذلك زكريا أشار إليه وقال " افرحى ياإبنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً منصوراً راكباً على أتان وعلى جحش ابن أتان" ولذلك المسيح أصرّ قبل نهاية رحلته على الأرض، أن يدخل إلى أورشليم راكبا ، لكى يعلن أنه هو الذى أنبأ عنه زكريا فى التاسع من سفره عندما قال " إفرحى ياإبنة صهيون لأنه هوذا ملكك يأتيك وديعا منصورا راكبا أتان وعلى جحش ابن أتان ".

فالمسيح من حيث هو إنسان ملك ، وفى سفر الرؤيا يقول " على فخذه اسم ملك الملوك ورب الأرباب " ، من حيث هو إنسان ، كلمة " على عرش داود " لأن الله وعد

داود ، أنه يجعل المُلك من نسله بإستمرار ، ولذلك المسيح عندما جاء ولد كإنسان من مريم التى هى من بيت داود . ليكون هو الوريث للمُلك من حيث هو إنسان كوعد الله لداود النبى .

" يجلس على عرش داود " ، هنا العرش ليس عرش مادى إنما عرش روحانى، وهذا السبب أن سيدنا عندما سأله بيلاطس، هل أنت ملك اليهود ؟!! قال له نعم أنا هو كقولك ولكن مملكتى ليست من هذا العالم .

ولذلك نقول عن المسيح ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا، ويعتبر المسيح بمجيئه إلى الأرض كما قال فى أحد الأمثال أنه يؤسس لنفسه ملكا، وهو الحكم الألفى المذكور عنه فى سفر الرؤيا، ماهو الحكم الألفى؟ ، هنا كلمة الألفى ليس معناها ألف سنة بالضبط ، هذا الرقم هو رمز، الأرقام رمزية يشاء الله أن يغلف بها فترة يريد الله أن تكون غير معلومة فيغلفها بعدد من أعداد الكمال ، فقال الحكم الألفى ، وهو الذى يبدأ بمجىء المسيح الأول إلى المجىء الثانى، ولانعرف مقدار هذه الفترة التى ملك فيها المسيح على الذين اختارهم ودخلوا بالمعمودية لملكوت المسيح ، نحن مملكة ، من يوم عماد الإنسان منا يدخل فى عضوية مملكة المسيح ولذلك المعمودية هى المدخل إلى الكنيسة لأن بها يدخل الإنسان إلى مملكة المسيح ، فالمسيح هو ملكنا والصليب علم مملكتنا .

ويقول الكتاب : " ملك الرب على خشبة "، فعندما صلب المسيح وصنع الفداء ، الذين آمنوا به والذين انتفعوا بالفداء دخلوا فى مملكته، وهنا تأسست المملكة، فأصبحت الكنيسة مملكة . المسيح قال: " لكن مملكتى ليست من هذا العالم " .

وأيضا فى بشارة العذراء مريم الملاك يقول لها "لايكون لملكه نهاية" ، وهذا ما نقوله فى قانون الإيمان، أى ملك إلى الأبد . وفى سفر دانيال يقول: " يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ... تسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبـــــــد " (دا ٢ : ٤٤)، هذه نبوءة عن مملكة المسيح . بعدما تكلم عن مملكة اليونان ومملكة الرومان والعرب... إلى آخره، أبشروا ياأولادنا أن المسيحية إلى الأبد والمسيح ملك إلى الأبد ، إنها تسحق وتفنى جميع الممالك وهى ثابتة إلى الأبد . وهذه الفترة القادمة بعد أن يأتى الدجال، سيكون مستقبل كبير جدا للمسيحية، لأنه ستصبح الأرض وماعليها للرب ولمسيحه . لإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

٣- مريم العذراء ونصيبها الصالح [1]

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

هذه الليلة المباركة عشية عيد صعود جسد العذراء مريم محمولاً على أجنحة الملائكة، وفى ترتيب كنيستنا أن هذا العيد يقع دائما فى السادس عشرة من مسرى، فى نهاية الصوم المعروف بصوم العذراء مريم . وهو الصوم الذى بدأته العذراء مريم بنفسها، والذى كانت تشاركها فيه عذارى جبل الزيتون، والذى صامه أيضا الآباء الرسل . وقد كان المسيح له المجد وعدهم بأن يروا جسدها محمولاً أيضا على أجنحة الملائكة، كما رآه القديس توما على جبل اخميم، وهو فى طريقه من بلاد الهند، فبر المسيح بوعده فرآها الآباء الرسل مرة أخرى بالإضافة إلى القديس توما الرسول .

ولذلك تعيد الكنيسة بهذا العيد فى السادس عشرة من مسرى ، بينما نحن نحتفل بنياحة (وفاتها) العذراء مريم حيث أوفت أيامها على الأرض فى ٢١ من طوبة، ولابد أن يكون صعود جسدها فى اليوم الثالث من نياحتها، ومع ذلك نحتفل بهذا الصعود فى موعد آخر متأخر وهو السادس عشرة من مسرى ، لأنه اليوم الذى فيه رآها الآباء الرسل بناء على وعد مسبق من المسيح له المجد . ولسنا نحن وحدنا الذين نحتفل بصوم العذراء مريم فى هذا الشهر، إنما الكنائس الأخرى فى الشرق والغرب والكنائس البيزنطية ، كنائس الروم ، وكنائس الروس ومن إليهم، هؤلاء أيضا يحتفلون بهذا الصوم ويسمونه صوم شهر أغسطس .

وترتيب الكنيسة أننا فى هذه العشية نقرأ فصلا، من إنجيل معلمنا لوقا والأصحاح العاشر، إبتدءا من العدد الثامن والثلاثين، والملاحظ أن هذا الفصل من الإنجيل هو بعينه الفصل الذى نقرأه فى عشية ميلاد العذراء مريم . ونحن نحتفل بميلادها فى اليوم الأول من شهر بشنس .

عانت العذراء من إضطهاد اليهود معاناة شديدة، وهى هذه الفتاة الغضة، عاملوها بقسوة شديدة ، وكانت تذهب إلى قبر المسيح له المجد الفارغ تصلى هناك وتصوم

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء مريم بأرض الجولف بمصر الجديدة – مساء الأحد ٢١ من أغسطس ١٩٨٨م – ١٥ من مسرى ١٧٠٤ ش .

أيضا، لأنه بعد أن أوصى المسيح يوحنا بأن يتخذها أما له ، " خذ هذه أمك " وقال للعذراء وهو على الصليب " خذى هذا إبنك "، أخذها يوحنا إلى بيته لأنها كانت ليس لها أحد ، أبوها مات وهى فى السادسة من عمرها وكانت لاتزال فى الهيكل ، وأمها ماتت وهى فى الثامنة من عمرها، ويوسف أيضا مات ابن ١١١ سنة وكان سيدنا له المجد، له فى الجسد ١٦ سنة ، فصارت العذراء أيضا ليس لها أحد، ولذلك كانت تتبع المسيح له المجد فى كل مكان ، والمسيح نفسه فى هذه السن السادسة عشر من عمره، صار هو عائل مريم، واشتغل نجاراً بعد أن كان فى حياة يوسف صبى نجار، إلى أن بلغ الثلاثين من رحلته على الأرض ، وبعد الصليب أصبح ليس لمريم أحد، لذلك وهى واقفة تحت الصليب، وهى التى لازمته واحتملت معه ومن أجله الكثير مـــن الآلام والمتاعب منذ الحمل وماقبل الحمل، نظر إليها نظرة حب وحنان وعطف قدوة لكل ابن بار بأمه وقال لها خذى هذا إبنك وقال ليوحنا خذ هذه أمك . وأخذها يوحنا إلى بيته كوصية سيده ، وعاشت فى بيته أربع عشرة سنة منذ الصلب حتى فارقت هذه الحياة . ويقولون أن سنها حين المفارقة كان ٥٨ سنة و٨ أشهر و١٦ يوم ، ولذلك فإن يوحنا لم يستطع أن يغادر أورشليم إلى أن انتقلت العذراء مريم بروحها أولا، وبعد ذلك أُصعد جسدها، كانت خدمته فى هذه الفترة قاصرة على أورشليم، ولم يترك أورشليم إلى غيرها من البلاد إلا بعد أن فارقت العذراء مريم هذه الحياة .

فى هذا الأصحاح الخاص بمرثا ومريم، وأن مريم تخيرت طريق الاستمـــاع والتأمل والإستفادة والإنتفاع من تعليم المسيح له المجد . بينما أن اختها مرثا كانت مشغولة بإعداد وترتيب المائدة التى تقدم تحية وتكريماً للسيد المسيح الذى جاء إلى بيتهم . رحبت به مرثا يقول: " وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته امرأة اسمها مرثا فى بيتها " (لو١٠: ٣٨) .

فمرثا أرادت أن تعبر عن حبها وإحترامها وإعزازها، بأن تعد وليمة مناسبة . أما مريم وهى أختها فلم تشارك مرثا فى هذا الإهتمام بإعداد المائدة، ووجدت لذة أكبر وحلاوة أكبر فى أن تجلس عند قدميّ السيد، وأن تستمع إليه وهو يتكلم، وجدت فى هذا فرصة ثمينة لم تشأ أن تُفوِّتها ، ولابد أنها فى نفس الوقت أحست بنوع من التقصير فى أنها لم تشارك أُختها فى إعداد المائدة اللائقة بالسيد المسيح .

ومع ذلك تغلب شعورها بلذة الإستماع إليه، على شعورها بواجبها فى مشاركتها لأختها فى هذا التكريم بإعداد المائدة .

أما مرثا فضاقت بتصرف شقيقتها، ومن شدة ضيقها لم تراع أبسط واجبات اللياقة نحو السيد المسيح، الذى أرادت بإعداد المائدة أن تكرمه ، فجاءت تشكو أُختها وتقول: " يارب أما يعنيك أن أختى تركتنى وحدى أخدم ، قل لها أن تساعدنى" . وكأنها هى فشلت فى تحريك أختها وحثها وحَضِّها على أن تشاركها فى الخدمة ، فجاءت إلى المسيح تشكو أختها وتقول له بلهجة العتاب، أما يعنيك، أما يهمك، ألا تهتم، أما المسيح له المجد فقال لها: مرثا مرثا أنك تهتمين مضطربة بأمور كثيرة، فى حين أن الحاجة هى إلى قليل أو إلى واحد ، وقد اختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها .

فمن جهة لم يوبخ مرثا على عدم مراعاتها واجبات اللياقة من نحو سيدها ، وإنما مدحها وأبرز فضيلتها بأن قال لها أنت مهتمة ، والإهتمام فضيلة تدل على حرارة الحب والحرص على أداء الواجب ، لم يوبخها بل شكر لها إهتمامها، ولكنه فى نفس الوقت أبرز لها أنه صادف وعازف عن هذا الطعام الذى يُعَدّ له، وأنه يفضل أن تستمع إليه، فهذا بالنسبة له أفضل لأنه لايعنيه هذا الطعام البائد، وهنا نذكر ماقاله المسيح له المجد لتلاميذه فى قصة المرأة السامرية، يوم أن أتوه بطعام ليأكل، قال لهم: لى طعام آخر لستم تعرفونه أنتم، فظنوا فى سذاجتهم أن هناك من أتاه بطعام، فأراد أن يهدىء من روعهم ويشرح لهم معنى هذا الطعام، فقال لهم طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأُنجز عمله، أى أن له طعام أفضل ، ليس هذا الطعام من الخبز ، وإنما هناك طعام آخر تشبع به أصحاب النفوس العالية، وتلتذ به وتهتم به أكثر، مما تهتم بالطعام الفانى الذى يقوم عليه الجسد .

والغريب أن المسيح له المجد قال للمرأة السامرية، أعطينى لأشرب ومع ذلك لم يشرب، وتركت المرأة جرتها على البئر وذهبت لتخبر أهل مدينتها وقريتها ، عن هذا الكائن الذى أخبرها بتاريخ حياتها وبكل مافعلته كما قالت، قال لها أعطينى لأشرب ولم يشرب .

وعلى الصليب أيضا قال " أنا عطشان " ولم يشرب .. هذا شئ غريب، إنما يلفت النظر إلى أن هناك استخدام للألفاظ بمعنى أبعد مما يبدو للسطحيين من الناس ، هناك طعام، وهناك طعام آخر، هناك شراب وهناك شراب آخر، ولكن ما أبعد الفرق بين المعنيين. لى طعام آخر لستم تعرفونه أنتم. ماهو هذا الطعام الذى يكون مقبولا ومُساغا ومطلوبا ومرغوبا من المسيح، طعامه كما قال، وكأنه بهذا يرسى ويقدم نموذجاً لأصحاب النفوس العالية ، طعامى أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى وأتمم وأنجز عمله . إذا إلتفتنا إلى المعنى الباطن نجد أن كل واحد منا إنسان مرسل، لأن أرواحنا مرسلة

من فوق، وهذا هو المعنى الذى جاء عن يوحنا المعمدان. كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا ، وكل واحد منا يمكن أن يُوصَفْ بأنه مرسل من الله، لأن أرواحنا ليست من هنا ، فأرواحنا من العالم الآخر، فإذا نزلت إلى الأرض فى بطن الأم نزلت من أجل رسالة ، وبعد أن تتمم هذه الرسالة تعود مرة أخرى إلى العالم الذى منه هبطت. آه لو فهمنا هذا المعنى وفهمنا أن لوجودنا معنى، وأن كل واحد منا مُرسل وأن له رسالة فى الدنيا، وأن هذه الرسالة مفروض أن تنجز فى فترة وجودنا على الأرض فى هذه الرحلة، فإذا أتممنا رحلتنا عاد الإنسان مرة أخرى إلى المقر الذى منه هبط .

جميل هذا المعنى، جميل أن يشعر الواحد منا أنه هنا فى هذه الأرض جاء من أجل رسالة، وأن عليه أن ينجز هذه الرسالة، وأن يطمئن قبل موته إلى أنه قد أتم مهمته بالنجاح المفروض أن يكلل عمله فى هذه الرحلة ، حتى إذا عاد إلى بلده ، إلى مقره الأصيل عاد فرحا لأنه نجح فى إتمام مهمته ورسالته .

قال عن مريم يامرثا أنت مهتمة وإهتمامك فضيلة، يدل على حرارة الحب وعلى حرارة الشعور بالواجب ، ولكن اعلمى يامرثا أن إهتمامى أنا إذا كنت تريديـــــن أن ترضينى ، بشىء أهم من أن تعدى لى مائدة من هذا الطعام . إذا كنت تريدين حقا أن ترضينى وأن تسرىِ قلبى، لابأس لما تصنعينه الآن ولكن هناك شىء آخر أهم من هذا وقد عرفته مريم .

أما مريم فاختارت النصيب الصالح، يامرثا الحاجة إلى قليل أو إلى واحد ، الحاجة القصوى التى تبحث عنها النفس الراقية العالية السامية، الحاجة إلى قليل أو إلى واحد. ماهو هذا الواحد ؟ ما أجمل هذا المعنى الذى يَردُ التعدد إلى الوحدة ، ويركز على شىء واحد، لابد أن يكون هذا الشىء الواحد أثمن من غيره .

يقول النبى إرميا " قفوا على الطرق وانظروا أين هو الطريق الصالح ، سيروا فيه فتجدوا راحة لأنفسكم " . هناك طرق ولكن هناك الطريق الصالح المعرف باللألف واللام ، طريق واحد هو الطريق الصالح .

والمسيح قال : " أنا هو الطريق " ، الطريق بالألف واللام، أنا هو الطريق والحق والحياة، وقال المسيح يشبه ملكوت السموات: تاجر لآلىء كان لديه لآلىء كثيرة، ولكن وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن غالية، ووجد أنه لايستطيع أن يشتريها لأنها غالية ، وماعنده لايكفى لأن يشترى هذه اللؤلؤة الواحدة الغالية الثمن ، فصار فى حيرة ماذا يصنع ؟ إن قلبه يشتهى هذه اللؤلؤة ، ولكن كيف أحصل عليها ، عنده لآلىء كثيرة لكن هذه اللؤلؤة الغالية كيف يشتريها ؟ كان أمام أحد خيارين، إما أن يقنع باللآلىء الكثيرة

وإما أن يسعى ويحصل على هذه اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن ، فاختار اللؤلؤة الثمينة، ولكى يحصل عليها كان لابد من أن يبيع اللآلىء الأخرى الكثيرة .

كل شىء له ثمن ، واذا كان الإنسان يود هذا الشىء لابد أن يدفع الثمن ، لايوجد شىء رخيص أبدا، المسألة مسألة قيم ، هناك حاجات الإنسان يشتريها بالنقود أو يشتريها بالحاجات المادية، لكن هنا اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن هى الخلاص . هذا الخلاص الثمين لأرواحنا ، لكى نحصل عليه لابد أن يكون الإنسان قادراً على أن يدفع الثمن ، والثمن هنا يقتضيه أن يبيع اللآلىء الأخرى الكثيرة، لكى يشترى هذه اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن .

وفى سبيل ذلك لابد أن تكون هناك تضحية ، ولابد أن يكون هناك تنازل، ولابد أن يكون هناك خسران ، لكن خسران من أجل أن يكسب هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، لايمكن أن يجمع الإنسان بين المتناقضين ، إما هنا وإما هناك، إما هذه اللآلىء الكثيرة وإما هذه اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن .

فهذا التاجر الذى أراد أن يشترى ملكوت السموات باع ، باع كل اللآلىء لكى يشترى اللؤلؤة الكثيرة الثمن . والمعنى واضح هنا أنه لكى يحصل الإنسان على الأجر الآخروى والحياة الأبدية، مضطر من أجل هذه الأبدية أن يبيع أموراً أخرى عنده، وإن كان لها إغرائها، لكنها يجب أن تكون فى نظر الإنسان الساعى للحياة الأبدية تافهة القيمة وقليلة القيمة، وأن لا يكون لها هذا الإغراء الذى يعطلنى عن أن أشترى اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن .

يامرثا.. يامرثا أنت مهتمة ولا ألومك على إهتمامك، فإهتمامك فضيلة، لكنك مهتمة بدرجة جعلتك مضطربة النفس، مشغولة بأمور كثيرة، بينما يامرثا الحاجة الحقيقية إلى قليل ، بل إلى واحد . هذا الواحد هو الذى إختارته مريم ، هذا الواحد هو النصيب الصالح ، فإختارت مريم النصيب الصالح ، وأبشرها بأن هذا النصيب الصالح لن ينزع منها إلى الأبد . لأنها اختارته ورفضت غيره، وآثرت هذا الواحد على غيره ، هذا النصيب المبارك لن ينزع من مريم إلى الأبد .

أيها الأبناء لماذا تخيرت الكنيسة هذا الفصل ليتلى فى عشية عيد العذراء مريم وكأن الكنيسة هنا تُلَوِّح إلى العذراء مريم أم الخلاص ، التى تعتبر مريم أخت لعازر رمزاً لها . اختارت الكنيسة هذا الفصل هذا اليوم فى، هذه العشية ، كما فى عشية عيد ميلاد العذراء مريم وعشية عيد صعود جسدها، قاصدة بذلك أن تشير، إلى أن العذراء مريم والدة الإله قد اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد .

أما هى فكانت عابدة مُصلّية، وكانت تذهب إلى القبر دائما تُصلّى وتتعبد وهى التى عاشت طوال حياتها عابدة ، منذ طفولتها فى الهيكل أعطت حياتها كلها روحاً وجسداً ، هذه البتول الطاهرة النقية التى تلّوح لها الكنيسة فى هذا الفصل، الحاجة إلى واحد ، واختارت مريم هذا الواحد. عاشت مريم مرتبطة بالمسيح. ماذا أقول ؟ أقول قبل ميلادها، لأنه إذا كان قد تأخر ميلادها إلى ذلك الوقت فهذا قصد من العناية الإلهية حتى تولد مريم فى الوقت المناسب، لو كانت قد ولدت قبل ذلك أو بعد ذلك لما صارت مريم فى هذه الكرامة، أن ينزل المسيح فيها ويتخذ من جسدها جسده الذى استتر فيه واحتجب فيه، فهى مختارة ، " لما حان ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس " موعد ميلادها بتدبير العناية الإلهية وتخطيطها ليكون الموعد المناسب، لأن تدبير التجسد تدبير إلهى ، متى تجسد المسيح؟، متى اتخذ له جسدا ؟، هذا الزمن مرسوم فى ترتيب العناية الإلهية، لما حان ملء الزمان أرسل الله إبنه مولوداً من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس.

من هنا فمن قبل ميلادها ارتبطت بالمسيح لهذه المهمة، التى حملتها والتى تأهلت لها واستحقت لها وماذا بعد هذا ؟ ماذا عاشت مريم لأجله ؟ ماذا كسبت مريم من أمور الحياة الدنيا؟ لم يكن لها شيء حتى أبوها قد مات وأمها ماتت لكى تبقى فتاة يتيمة ، ولكى تبقى فى الهيكل ، كلها عبادة وصلوات وأصوام ، كانت تصوم وهى فى التاسعة من عمرها وتترك طعامها للفقراء، فى هذه السن المبكرة كانت مريم تصوم ، وكانت مريم تتعبد وترنم وتصلى، وكانت مريم كلها مقدسة جسداً وروحاً، ونذرت نفسها لتكون كل حياتها للمسيح بتولاً طاهرة، كانت ولازالت وإلى الأبد بتولاً، تبتلت بمعنى انقطعت فهى انقطعت للمسيح ، لم تعرف شيء غيره ولا أحد غيره. وهى فى بيت يوسف وبعد أن عقد عليها العقد الرسمى لتصان سمعتها وهى الفتاة الصغيرة لكى تكون فى أمان وهى فى بيت رجلٍ ، كانت متعبدة حتى أن الإنجيل يقول دخل إليها الملاك ، دخل إلى غرفتها وهى تصلّى وقال لها: " السلام لكِ أيتها الممتلئة نعمة "، أيتها المشحونة بالتقوى والفضيلة والقداسة والنقاوة ، كلها فى باطنها وخارجها للمسيح.

ومن هنا معنى المزمور " أقوال كثيرة قيلت عنك يامدينة الله " ، العذراء مدينة الله سكن فيها فصارت هي المدينة التى سكن الله فيها، بل هى السماء الثانية التى سكن فيها الرب جسدياً . ولذلك ترسم العذراء دائما فى الكنيسة والفن القبطى، جالسا المسيح على حجرها لتكون له بمثابة الكاروبيم ، الجالس فوق الكاروبيم فى السماء ، جلس على

ركبتى العذراء مريم فكانت العذراء له مركبة شاروبيمية ومن أجل هذا نرتل فى الكنيسة " أنت الذى فى حجرك الملائكة تسبحه " . لكى تكون العذراء أيضا دائما عن يمينه . فلن تجد فى الكنيسة وفى الفن القبطى العذراء ترسم وحدها أبدا . إنها مرتبطة بالمسيح، لن تنفصل عنه، كيف تفصل العذراء عن المسيح!! وهى منذ الإبتداء مرتبطة به متحدة معه ، هى سماء ثانية ، مركبة كاروبيمية للعلاقة والارتباط والالتزام بينهما، اختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع ، هذا نصيبها ، نصيبها المسيح وهو واحد والحاجة إلى واحد .

فمريم.. كانت عابدة ، وخدمتها خدمة العبادة، أما مرثا "أنت تهتمين بأمور كثيرة"، جاءت مرثا تسأل بل تعتب على المسيح بغير لياقة، كيف تركتنى مريم أخدم لوحدى، قل لأختى أن تساعدنى . كانت مرثا تخدم، أما مريم أخت لعازر فكانت جالسة عند قدمىٍ المسيح تسمع كلامه، وعلى الرغم من أن مرثا كانت حقيقة فتاة مخلصة وخادمة، إنما المسيح مدح مريم أكثر مما مدح مرثا، لأن مريم جلست عند قدميه تسمع كلامه متعلقة به شاخصة نحوه ، وهنا طراز آخر من الخدمة غير خدمة العمل ، هو خدمة العبادة ، الملائكة فى السماء خدمتهم أنهم واقفون على خدمة سيدهم، لذلك وجد فى الكنيسة أشخاص خدمتهم خدمة العبادة تمثلاً بمريم التى مدح المسيح صنيعها ، بأن جعلها " اختارت النصيب الصالح " .

نحن ننسى أحيانا مفهوم الخدمة ، ومفهوم الخدمة عند الأغلبية الساحقة منا هو النشاط والتعليم والوعظ والدرس، وهذا أيضا جميل لاشك فى هذا ، ولكن يجب أن نفتح عيوننا على نوع آخر من الخدمة لايتعارض مع هذا النوع بل يُكمله ، هو خدمة العبادة ، خدمة الصلاة ، خدمة التأمل ، الإنصراف العقلى والانسحاب من العالم ، ومشاغله وإضطراباته ، بهذا الهدوء العقلى وهذا الهدوء النفسى الذى فيه يستبعد الإنسان كل الشواغل، لينصرف إلى الله وروحه تسبح وتتغذى بهذه العلاقة السرية .

نعم إن هناك أُناسا يجمعون بين هذين النوعين من الخدمة ، ولكننا لانحتقر ذلك النوع الآخر الذى أعطى حياته كلها لله، فى تأملات متواصلة ، وهذا هو مفهوم الرهبنة فى المسيحية وحتى غير المسيحية .

مفهوم الرهبنة أن يتبتل الإنسان وينقطع لخدمة الله متعبداً ، هذا هو الطريق الذى مدحه المسيح أكثر مما مدح الطريق الآخر. والكنيسة فى حاجة إلى مرثا وفى حاجة إلى مريم أيضا ، لن تكون الكنيسة فى غنى عن مرثا أو عن مريم ، ولكن هى لفت النظر إلى أن مريم العذراء كما تقول مصادرنا الكنسية، لم يحدث أن مريم خطبت أو

وعظت أو علّمت أو كرزت، ولم تمارس عملاً من أعمال الكهنوت، ولكن مريم العذراء هى خادمة سر التجسد رقم واحد . هى الخادمة الأولى، وخدمتها لسيدها الذى لازمته منذ الإبتداء عاشت معه وله، واحتملت من أجله الآلام . منذ الإبتداء مريم تتألم وتُطرد وتُضرب، وتسير فى الطرقات، تركب الحمار حينما دخلت إلى أرض مصر مطرودة أو هاربة، كم من الآلام احتملتها مريم وكانت كلما دخلت مكانا ويسجد التمثال إكراما للمسيح فيتحطم، فيخرج الشعب ورجال الدين من الوثنيين على المسيح وعلى العذراء فيضربونها، وهذا هو السبب فى أن مريم كانت مضطرة فى بلدنا مصر أن تتحرك من مكان إلى مكان ، لأنها كانت تضرب وكان يُساء إليها ، وشاء المسيح أن يتخذ من شر هؤلاء الناس ، تبريراً لأن يتحرك المسيح فى كل أرض مصر، فصارت هناك المحطات المختلفة التى حطت الرحلة المقدسة فيها رحالها . لكن لاننسى أن مريم تعذبت وأن مريم تألمت، وأن مريم ضُربت وأن مريم أُهينت مع المسيح ومن أجله فارتبطت حياتها به . فكل حياة المسيح وما احتمله من آلام، كانت هى تلازمه خصوصا بعد أن مات يوسف، وكانت تقاسمه آلامه، وتأملوها عند الصليب كأم تشهد المحاكمة الظالمة والمتاعب المتواصلة والخيانة من أحد تلاميذه والحكم عليه بالصلب، وهو يحمل الصليب ويقع تحته ثلاث مرات ويتصبب العرق من جبينه ويتلطخ بالتراب فيتحول إلى طين، والأم ترى سيدها وابنها الذى من أجله عانت، يُصلب بهذا الأسلوب بين لصين كأنه كبير المجرمين ، ثم تأملوا نفسيتها وهى تحت الصليب ترى المعاناة وترى الظلّمة والظلام والظلم ماذا يكون لمريم بعد أن يذهب سيدها، ماهو مصيرها كإنسانة غير الأمومة المعذبة، والشقاء الذى عانته والجروح والسيف الذى دخل إلى قلبها كما قال لها سمعان " وأنت أيضا يجوز فى نفسك سيف "، إذا كان تلاميذ المسيح وهم رجال كبار، دخلوا إلى العُلية وغلّقوها من الداخل خوفاً من اليهود . التلاميذ مجتمعين وهم رجال ، من شدة خوفهم من اليهود وإضطهادهم لهم، دخلوا إلى العُلّية وغلّقوها من الداخل ، المسيح دخل إلى العلية وهى مغلّقة ، هناك فرق بين مغلقة ومغلّقة. مغلّقة يعنى مغلّقة من الداخل بسبب الخوف من اليهود ، أما مريم هذه الفتاة كيف يكون وضعها ، هى الوالدة التى أتت لهم بالمسيح، فصبوا عليها الآلام صباً ، اضطهدوها إضطهادات شنيعة، وكان المسيح يتابع وهو فى السماء آلام العذراء مريم، وسمح لها بها لتأخذ معه شرف خدمته وشرف الإحتمال من أجله . وفى ليلة أرادوا أن يحرقوها بالنار . فاختطفتها سحابة فمضت إلى حيث متياس الرسول .

كان يتابع المسيح من سماه ما تراه العذراء من آلام ، كم ضربوها وكم أهانوها وكم شتموها، وإلى اليوم العذراء تحتمل من اليهود الإهانة والشتم لا أظن أبدا أن الآباء الرسل الذين ضربوا وأُهينوا رأوا من الألم مارأته مريم .

وهناك بيِّنات كثيرة على كرامة مريم لأنها احتملت مع المسيح وعاشت للمسيح وكانت خدمتها خدمة العبادة، خدمة الصلاة، خدمة الإحتمال من أجله، كل حياتها عابدة خادمة للمسيح ، خدمته وهو فى بطنها، خدمته بعد أن ولد منها، عاشت معه واحتملت من أجله . كل مسيرتها وكل حياتها مسيرة مع المسيح، وفى هذا تقف مريم مثلاً سامقاً ومعلّمة لنا لنقتدى بسيرتها ونتعلم من حياتها ، نتعلم التفانى والإخلاص والخدمة النقية وطهارة القلب وطهارة الجسم ، نقاءً فى نقاء ، طهارة فى طهارة .

لولم تكن مريم عميقة فى روحانيتها ، كيف احتملت هذه الكرامة ، لا يمكن لإنسان رجلاً أو امرأة يحتمل كل هذا .

مجدك يامريم عظيم ، لكن مجدك ليس من الخارج، أنت فتاة يتيمة ضعيفة ليس لها سند من عائلة ، ليس لها سند من غنى ، ولا كرامة من الخارج ، إنما كما يقول الكتاب المقدس " كل مجد إبنة الملك من داخل "، محتواها الباطنى ، طهارتها ونقاوتها وسيرتها، وإلتزامها بالمسيح، وتبعيتها، وخدمتها روحاً وجسداً وعقلاً وذهناً .

أنت يامريم اخترتى النصيب الصالح الذى لن ينزع منك إلى الأبد، اخترتى أن تكونى مع المسيح دائما، ولن تنفصل هذه العلاقة بينك وبين المسيح فأنت الأم، وأنت الملكة أم الملك، أنت فوق كرامة كل الملائكة والرؤساء، أنت الطاهرة النقية التى لاعيب فيها .

مريم : خلقت درة لاعيب فيهـــــا ... كأن مثلما شئت خُلقـــــت .

فضائلك يامريم لابد أن نتأملها فنتعلم، وهذه حكمة الكنيسة فى ترتيب أعياد العذراء مريم لنتغنى بفضائل مريم، لنتعلم منها ونأخذ منها . فمريم فى هذا مُعلّمة ونحن نأخذ منها هذه الدروس. يكفيك يامريم فخراً أن يقول الإنجيل عنك أن المسيح كان خاضعاً لك . رب السماء والأرض يخضع لمريم!! كيف هذا ؟ ولكن مامعنى هذا الخضوع ؟ معناه أنه كان يلبى ندائها ويقبل شفاعتها كما حدث فى عرس قانا الجليل .

٤- فى حياة العذراء مريم تأملات[١]
وأسئلة تفتقر إلى إجابات

يروى التاريخ أن العذراء مريم ولدتها أُمها القديسة (حَنّة) بعد فترة طويلة من زواجها من الرجلِ البار (يواقيم)، أى أنَّ حَنّة ظلت عقيماً سنوات طويلة ولذلك صارت حزينة لأنها لم تنسل، وكانت المرأة العقيم تعتبر العُقم دليلاً على غضب الله عليها وعدم رضاه عنها، وتعتقد فى نفسها أنها لم تثمر، فتظل حزينة كسيرة النفس ذليلة، وكان الناس يُعيِّرونها ويشتمونها، ويهزأون بها، وكانت أيضا ترى نفسها مكروهة عند زوجها، ومحتقرة بين أهلها وجيرانها .

ولعلّ هذا هو ما قصدت إليه أليصابات عندما حبلت بالقديس يوحنا المعمدان إذ قالت (هذا هو الفضل الذى صنعه الرب معى، إذ عطف علىَّ كى ينزع عنى العار بين الناس) (لوقا١: ٢٥) ، وماعبرت عنه حَنّة أم النبى صموئيل، إذ كانت هى الأخرى عاقراً، وقد عيَّرتها بذلك ضرتها وغير ضرتها (فصلّت إلى الرب وبكت بكاءً ، ونذرت نذراً وقالت: يارب الجنود، إن أنت نظرت نظراً إلى مذلة أمتك ، وذكرتنى ولم تنس أمتك ، بل رزقت أمتك ، زرع بشر، فإنى أعطيه للرب مُدّ أيام حياته) (١. صموئيل١: ١٠، ١١) .

وهكذا عاشت (حَنّة) أم العذراء مريم قبل أن تحبل بمريم، فترة طويلة طالت إلى سنوات كثيرة، عاشت حزينة حزناً شديداً، وكانت تصلى إلى الله بحرارة وهى مرة النفس. ويقول القديس مار افرآم السريانى (٣٠٦-٣٧٣م) فى ميمر له : (بينما كانت (حَنّة) تندب نفسها فى كل وقت قائلة: أى شىء تساوى حياتى من الدنيا، مع تجردى من الثمر؟ هوذا البهائم والطيور وكل المخلوقات ترزق نسلاً. أما أنا فلم أرزق، الويل لى أنا، وعظيم هو حزنى وألم قلبى. أسألك أيها الإله الدائم وحده الذى سمع صوت سارة زوجة أبينا إبراهيم، وأعطاها إسحق بعد الكبر، وسمع لراحيل وأعطاها يوسف وبنيامين .. أن تسمع صوت دعائى ، أنا المسكينة الخالية من النسل ، وتعطينى زرعاً يُسر به قلبى، لأنى صرت مرذولة بين أهلى وعشيرتى، سيما زوجى (يواقيم) الحزين القلب كثيراً. وها أنا أنذر بين يديك، ياإلهى، أن النسل الذى تعطينى لا أدعه يمشى

---

(١) كتب فى الأربعاء ٧ من أغسطس ١٩٩١م - أول مسرى ١٧٠٧ ش .

على الأرض حتى أقدمه لهيكلك المقدس . وكانت القديسة (حَنّة) تقول هذا الكلام وهى تبكى بكاءً مراً ... وفيما هى تصلى، **ظهر لها الملاك جبرائيل بنور سماوىّ، وقال لها: يا (حَنّة) إنّ الله سمع لدعائك وصلواتك . وها أنت ذى ستحبلين وتلدين إبنة مباركة، وسيكون لها الطوبى فى جميع الأجيال، وفي كل أقطار المسكونة، ومنها يولد الخلاص من أسر إبليس لآدم وذريته**، فأجابت (حَنة) الملاك جبرائيل وقالت: حَىٌّ هو الرب، لو أننى رزقت بمولودة كما قلت لى ، لسوف أقدمها للرب الإله، لتخدمه كل أيام حياتها فى هيكله المقدس .. وأما (يواقيم) زوج (حَنّة) فكان قد ذهب إلى البرية وبنى لنفسه مظلة ، وعكف صائماً مدة أربعين يوما يُصلى إلى الله ، **فظهر له الملاك المبشر جبرائيل وبشره بأن امرأته (حَنّة) ستحبل وتلد إبنة تدعوها مريم تُقرُّ عينيه وتسر قلبه، ويحصل بسببها الفرح والسرور للعالم أجمع** . فعاد إلى بيته وأخبر زوجته (حَنّة) بالرؤيا فصدقتها، وحدثته هى أيضا بما أعلمها به الملاك نفسه ، ففرحا معاً فرحاً عظيماً ، وقالا: ليكن اسم الرب مباركاً، ثم أولما وليمة كبيرة، وقدما لله قرابين الشكر لعزته) .

وهنا نقف لنتساءل أو بالأحرى لنتأمل : **لماذا جاء الحبل بمريم متأخراً جداً على الرغم من مضى سنوات كثيرة على زواج والديها يواقيم وحَنّة؟** .

أليس هذا دليلاً على أن لله قصداً فى أن تجىء مريم التى ستكون والدة المُخلّص، فى هذا الوقت بالذات، ذلك لأن مجىء المخلص إلى العالم له فى تدبير الله وحكمته وقته المناسب ، (لكل أمر تحت السماوات وقت) (الجامعة٣: ١)، (٣: ١٧)، (٨: ٦) (فلما تم الزمان، أرسل الله إبنه مولوداً لامرأة، مولوداً فى حكم الشريعة) (غلاطية٤:٤) **ولما كانت مريم هى التى ستقوم بمهمة الحمل لله الكلمة، فكان لابدّ أن يتأخر ميلادها من أمها، لتجىء فى الوقت المناسب الذى عيَّنه الله للتجسد، ومجيئه إلى العالم** ، وفقا لما نقوله فى التسبحة الكنسية (النورأشرق من مريم) .

ويبدو واضحاً، أنه لذات السبب فى حكمة الله وتدبيره تأخر ميلاد يوحنا المعمدان، بوصفه السابق الجارى أمام سيده المسيح الرب ليُعِدّ الطريق أمامه.

لقد ظل زكريا الكاهن وزوجته أليصابات ينتظران الإنعام بالنسل الذى تقر به عيونها ، حتى بلغا سن الكبر، ولابد أنهما لذلك قد يئسا من إستجابة صلواتهما من أجل أن يرزقهما الله بنسل، حتى إن زكريا عندما ظهر له الملاك جبرائيل على يمين مذبح البخور وقال له: (لاتخف يازكريا، فإن دعاءك قد استجيب، وزوجتك أليصابات ستحبل وتلد لك إبناً فتسميه يوحنا...) اعترض زكريا قائلا (بم أعرف هذا، فإنى أنا شيخ،

وزوجتي قد طعنت في السن؟). فأجاب الملاك وقال له : (أنا جبرائيل الواقف أمام الله، وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها أنت ذا ستظل أبكم فلا تستطيع الكلام إلى اليوم الذى يتحقق فيه هذا ، لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى أوانه) (لوقا١: ١٨-٢٠) .

نعم كان لابد أن يتأخر مجيء يوحنا المعمدان لارتباطه بموعد مجيء الرب يسوع المسيح ونزوله من السماء، إذ هو النبى المرسل ليُعّد الطريق أمامه وفقاً لقول الله على فم النبى ملاخى (**هآءنذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى**) (ملاخى٣: ١) بل أيضا على فم إشعياء النبى من قبل (صوت الصارخ فى البرية، أعدوا طريق الرب) (إشعياء٤٠: ٣) وهو ما قاله المسيح له المجد صراحة عن يوحناالمعمدان (أنبياً؟ نعم أقول لكم وأكثر من نبى، **فإن هذا هو الذى كتب عنه: ها أنذا أبعث أمام وجهـــك رسولى الذى يهيىء طريقك أمامك**. الحق أقول لكم إنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان...) (متى١١: ١٠، ١١)، (مرقس١: ٢-٤) ، (لوقا٧: ٢٦-٢٨) ، وهو ما نطق به الروح القدس على فم زكريا عندما ولد يوحنا المعمـــــدان: (وأنت أيها الطفل ستدعى نبى العلى، لأنك ستتقدم أمام وجه الرب لتهيىء طرقه) (لوقا ١: ٧٦) .

وهذا ماحدث أيضا بالنسبة لإبراهيم الخليل وسارة فقد ظلا عقيمين لسنوات طويلة بعد زواجهما إلى أن بلغ إبراهيم مائة سنة، وسارة تسعين سنة حتى إن سارة من لهفتها على أن يكون لها نسل اضطرت أن تركب الصعب الذى لا تقبله المرأة إلاّ مرغمة، قالت لإبراهيم (هوذا الرب قد أمسكنى عن الولادة فادخل على جاريتى لعلّى أرزق منها بنين . فسمع أبرآم لقول ساراى . فأخذت ساراى امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها .. فأعطتها لأبرام رجلها لتكون له زوجة ..) (التكوين١٦: ١-٤) ومع ذلك، وبعد أن صار إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب له وقال الله لإبراهيم عن سارة (وأباركها وأعطيك أيضا منها إبناً ... فسقط إبراهيم على وجهه وضحك . وقال فى قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهى إبنة تسعين سنة ؟ وقال الله (بل سارة امرأتك ستلد لك إبنا وتسميه إسحق وأقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده .. وقال أرجع إليك فى مثل هذا الوقت من قابل ويكون لسارة امرأتك إبن وكانت سارة تسمع عند باب الخيمة ... وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين فى السن، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء، فضحكت سارة فى نفسها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ. فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد ، وأنا قد شخت. هل يستحيل على الرب شيء ..) (التكوين١٧: ١٥-٢٢)، (١٨: ١-١٥) .

كذلك الأمر بالنسبة **ليعقوب وهو أبو الأسباط الاثنى عشر** (كان إسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة) وكانت رفقة عاقراً (التكوين٢٥: ٢٠، ٢١) وصلى إسحق إلى الرب لأجل امرأته ليرزقهما نسلاً، ورفقة أيضا سألت الرب.. قال لها الرب : (فى بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان. شعب يقوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير) (التكوين٢٥: ٢٢، ٢٣) وكان هذا إعلاناً من الله لميلاد عيسو ويعقوب.. وهنا نلاحظ قول الكتاب المقدس **(وكان اسحق ابن ستين سنة لما ولدتهما)**(التكوين٢٥: ٢٦)، أى أن يعقوب أبا الأسباط ولد **بعد عشرين سنة** من زواج والديه إسحق ورفقة . أليس معنى ذلك أن **لله قصداً فى أن يولد يعقوب فى هذا الوقت بالذات** ليقوم بالدور الذى أراده الله له ؟ .

والأمر نفسه بالنسبة لميلاد النبى العظيم صموئيل الرائى الذى شهد الوحى الإلهى لمكانته الخاصة ودالته لدى الله (وقال الرب.. وإن وقف موسى وصموئيل أمامى...) (إرميا١٥: ١)، فإن أمه حَنّة ظلت مدة طويلة بعد زواجها عاقراً ولم يكن لها أولاد (لأن الرب أغلق رحمها) وكانت ضرتها فننة تغيظها لأن الرب أغلق رحمها. أما فننة فكان لها أولاد فصلت حَنّة إلى الرب وبكت بكاءً ونذرت نذراً وقالت يارب الجنود إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذكرتنى ولم تنس أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته ... ورآها عالى الكاهن وهى تصلى وصوتها لم يسمع فظنها سكري، فوبخها فأجابت (حَنّة) وقالت : لا ياسيدى إنى امرأة حزينة الروح ولم أشرب خمراً ولا مسكراً بل أسكب نفسى أمام الرب، وكان فى مدار السنة أن (حَنّة) حبلت وولدت إبناً ودعت اسمه صموئيل .. ثم حين فطمته أصعدته معها.. وأتت به إلى الرب فى شيلوه والصبى صغير) (١.صموئيل١: ١-٢) .

وهنا نتساءل : لماذا تأخر مولد صموئيل، ولم تلده أمه ثمرة لزواجها من ألقانه، وظلت حَنّة عاقراً، مدة طويلة وكانت ضرتها تغيظها.. وعاشت فترة طويلة حزينة الروح .. **أليس هذا لأن لله قصداً فى أن يجىء صموئيل فى الوقت المناسب وفقاً للتدبير الإلهى، لأداء مهمته التى شاء الله له أن يقوم بها فى وقتها ؟**

ويمكن أن نتابع أمثلة أخرى من **أصحاب المهام والرسالات الخاصة ، ومنهم مثلاً شمشون**، كانت **أمه عاقراً ولم تلد** (سفر القضاة ١٣: ٢) ولما شاء الرب أن يولد شمشون فى الوقت الذى أراده الرب (فتراءى ملاك الرب للمرأة (وهى أمه التى ولدته) وقال لها : **ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك ستحبلين وتلدين إبنا** ، والآن فاحذرى ولاتشربى خمراً ولا مسكراً ولا تأكلى شيئاً نجساً . لأنك ستحملين وتلدين إبنا... **لأن**

الصبى يكون نذيراً لله من بطن أمه، وهو يبدأ بخلاص إسرائيل من أيدى الفلسطينيين) (القضاة ١٣: ٢-٥). وبعد، فهذا هو تساؤلنا الأول فى حياة أمنا العذراء الطاهرة مريم والدة الإله، لماذا لم تحبل بها أمها بعد زواجها مباشرة ؟ ولماذا تأخر ميلادها سنوات؟ وعندما شاء الله أن ينعم بها على والديها وعلى العالم كله ، **جاء التبليغ بالبشرى لأبويها بالحبل بها وميلادها، يحمله ملاك من السماء هو جبرائيل، مما يدل على أن موعد ميلادها كان وفقاً للتدبير الإلهى الحكيم .**

وإذن فلا العقم عند أبويها كان لعلة طبيعية عادية لمرض فى الأم أو فى الأب، وإنما كان العقم بتدبير من الله ، حتى يجىء ميلاد مريم فى الوقت المناسب الذى رسمه الله لمجىء المسيح الفادى والذى قال عنه الوحى الإلهى **(فلما تم الزمان،** أرسل الله إبنه مولوداً لامرأة) (غلاطية٤:٤) **فزمان التجسد الإلهى له موعده المرسوم، فكان لابد تبعا لذلك أن يتأخر ميلاد مريم ليواكب الموعد الذى رسمه الله لتدبير التجسد والفداء والخلاص .**

٥- مريم العذراء كخادمة[1]

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

نطالع جزء من المزمور الخامس والأربعين من مزامير أبينا داود النبى بركاته علينا آمين " فاض قلبى بكلام صالح متكلم أنا بانشائى للملك لسانى قلم كاتب ماهر، أنت أبرع جمالاً من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون .

كرسيك ياالله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك، كل ثيابك مرّ وعودّ وسليخة، من قصور العاج سرَّتك الأوتار. بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن يمينك بقصب أوفير .

اسمعى يابنت وانظرى واميلى أذنك وانسى شعبك وبيت أبيك، فيشتهى الملك حسنك لأنه هو سيدك فاسجدى له ، وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية .

كلها مجد إبنة الملك فى خدرها منسوجة بذهب ملابسها، بملابس مطرزة تحضر إلى الملك، فى إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك، يحضرن بفرح وإبتهاج يدخلن إلى قصر الملك، عوضا عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء فى كل الأرض، اذكر اسمك فى كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد " (مز٤٥: ١-١٧) . والسبح لله دائما .

شكرا لله على هذه الفرصة العظيمة التى أعطانا الرب إياها، لكى ننال بركة هذه الكنيسة الناشئة والتى نرجو من الله تعالى أن يكمل بناؤها على أحسن مايكون البناء كرامة لمجد إلهنا لهذه البلدة . إن بيت الله يجب أن يكون مزيناً ومبنياً على أحسن مايكون البناء، حتى يليق بالحضور الإلهى وباسم الله الذى يدعى فى هذه الكنيسة، خاصة وأن هذه الكنيسة الطاهرة قد دشنت على اسم السيدة العذراء والدة الإله مريم

---

(١) محاضرة يوم الإثنين الموافق ١٩٧٥/٩/٢٩م - ١٨ توت ١٦٩٢ ش . بكنيسة السيدة العذراء بطهطا .

ولذلك فإنه يجب علينا جميعا كباراً وصغاراً أن نتعاون في أن تكون هذه الكنيسة فى الصورة التى ينبغى أن تكون عليها معنى ومبنى، روحاً وجسداً، واجب على كل مسيحى أن يبذل ما استطاع فى سبيل أن تصير هذه الكنيسة على الصورة المرموقة التى تليق بكرامة الله، وأجد مناسباً ونحن فى اجتماع خاص للخادمات والشابات فى هذه المدينة، أن يكون موضوعنا فى هذا المساء عن العذراء مريم كخادمة .

العذراء مريم كخادمة، أعتقد أنه لايوجد خادمة فى الكنيسة تطمع فى أن تعمل فى خدمتها إلى أفضل مما استطاعت العذراء مريم أن تخدم ، العذراء مريم هى الرائدة الأولى للخدمة، وهى النموذج الأعلى الذى يجب أن تترقبه كل فتاة وكل عذراء وكل سيدة، فإن العذراء وإن كانت أمنا جميعا والمسيح أودع البشرية كلها فى شخص يوحنا الحبيب حينما قال للعذراء مريم خذى هذا إبنك، فنحن كلنا رجالاً ونساءً أبناء العذراء مريم، لكن مريم بوصفها إمرأة شرفت جنس النساء وكرمت العذارى فى كل حين، هى فخر جنسنا هذا صحيح فخر الجنس البشرى كله، إنما خصوصاً هى فخر النساء لذلك مفروض أن الفتيات والبنات والسيدات تجد فى العذراء مريم النموذج الأعلى، المثال الذى يتطلعوا إليه ويتعلموا منه، ينظروا للعذراء ويتأملوا فى حياتها وفى سيرتها وفى قدوتها، وعندما ننظر إلى العذراء كخادمة نريد أن نعرف ونتبين كيف خدمت العذراء الله ؟ أعتقد أن كلنا يعلم أن العذراء مريم من طفولتها المبكرة عاشت فى الهيكل، إبتداءً من سن ثلاث سنين حتى سن الثانية عشر سنة، عاشت فى الهيكل تسع سنوات متواصلة، فى هذه السنوات لم تخرج خارجاً، كانت مواظبة مع طفولتها المبكرة على حضور الصلاة وعلى متابعة العبادة التى تجرى فى الهيكل، ولعلنا نتصور أنها طفلة صغيرة لا تفهم شيئا حسب العقل، ولكن روحها تستطيع أن تلتقط روح العبادة، ومع رائحة البخور التى تنتشر فى أنحاء الهيكل تنعم روحها الباطنة وتفتح قلبها لترفع صلاتها الصغيرة المتواضعة إلى الله ، كانت مريم فى طفولتها لها عبقرية روحية ربما أكبر من سنها، تفتحت هذه العبقرية الروحية فى سنها الصغير وصارت ليست فقط تتابع الصلوات أو تتابع التسابيح فى الهيكل، وإنما تعلمت أن تشارك فى الصلاة بصلوات من عندها تسبح الله وتشكره على وجودها فى الهيكل، باعتبار أنها فى هذه النعمة ، تشكره على والديها وعلى صحة والديها، تشكره على قدر ماتفهم من أفضال الله على الخليقة وعلى الطبيعة وعليها هى، وهكذا صارت مريم تنمو فى الصلاة، لم يكن لمريم مع سنها الصغير فرصة أن تخرج تلعب فى الشارع أو تُضَيِّع وقتها مع أحد من البنات أو الأولاد، ماذا كانت تفعل فتاة صغيرة فى هذه السن بعد أن تركتها أمها

فى الهيكل، مؤكد أنه كان هناك تعليم للأولاد والبنات الصغار فى الهيكل على أيدى بعض المعلمين، فأخذت مريم مع زميلاتها بعض التعاليم وأخذت تحفظ بعض المزامير وتحفظ بعض نصوص من الكتاب المقدس على قدر ماتستطيع، ولكن لأن روحها نقية فكانت تتلقى هذه المعرفة بشوق عارم ومحبة عميقة، فكانت مريم ترتل هذه المزامير بحلاوة خاصة وبلذة خاصة لأنها تفهمها ولها صدى نقى فى قلبها، هذا إلى جانب هذه الصلوات العامة التى تتلقنها وتتعلّمها كما يتعلّمها زملاؤها فى الهيكل من الأبناء النذرين، وكانت هى نفسها قد تعلمت أن تصلى وتعلّمت أن تطلب من الله طلبات على قدر ماتفهم وعلي قدر ماتستطيع، ومن عبقريتها الروحية أنها وهى طفلة بدأت تعرف أن تصوم، لم يُعلمها أحد الصوم، كانت ترى بنات فقراء فكانت تعطى لهم الطعام الذى يعطوه لها فى الهيكل، هذه عبقرية مبكرة أن تعرف أن تصوم فى هذه السن الصغيرة بدون أن يطلب منها أن تصوم وأن تعطى طعامها للفقراء والمساكين وتبقى هى صائمة بلا طعام ، فكانت الملائكة تشفق عليها وتأتيها بطعام سمائى كمكافأة لها وهكذا عاشت مريم فى الهيكل، كل الناس الذين كانوا يترددوا على الهيكل من المتعبدين رجالاً وسيدات بل والكهنة ورئيس الكهنة كانوا يذهلون من هذه الفتاة فى وداعتها وسكونها وعدم مشاجراتها مع أى أحد، فهى تحب الجميع والجميع يحبونها لايصدر منها أى شر أو أى عيب لأحد .

فكانت الحقيقة موضع إعجاب لكل من يراها، يعجب بها ويعجب بتقواها، ويعجب بعبقريتها الروحية المبكرة قبل الأوان، وهذا هو السبب أنه لما بلغت سن الإثنى عشر سنة وهو سن البلوغ، كان النظام أنها لابد أن تخرج من الهيكل، لكن إلى أين وأبوها قد مات وكان سنها ست سنوات وأمها ماتت وكان سنها ثمان سنوات، فتيتمت من الأب والأم وهى فى هذه السن حتى بلغت سن الإثنى عشر سنة، فالكهنة تشاوروا فى أمرها ماذا يصنعوا لأنها لابد أن يأخذها أحد فى منزله، فأضطروا أنهم يزوجوها لأنهم يثقوا فيها ويحبوها ويجدوها تقية وروحانية، فأرادوا أن يختاروا لها شخص تقى يخاف الله لكى يحافظ على هذه الدرة الغالية واللؤلؤة الثمينة والجوهرة العظيمة، وقالوا إن الله وحده يتجلى ويكشف لنا بطريقة غير عادية من هو الشخص المبارك الذى يستحق أن يتزوج هذه الإنسانة، التى عاشت مثال الكمال ولم يصدر منها أى عيب بل بالعكس كانت متعبدة مصلّية صائمة روحانية، يصدر منها كل شيء طيب، وكان رئيس الكهنة فى ذلك الوقت هو زكريا أبو يوحنا المعمدان، رأى رؤيا أمره فيها الله أن يجمع العصىّ الخاصة بالشيوخ والشباب ويكتب على كل عصا اسم صاحبها، ففعل ذلك وكان

من بين العصىِّ عصا يوسف الرجل الطيب التقى الذى وصفه الكتاب بأنه كان باراً، وعندما يقول الكتاب المقدس عن أحد أنه بار فهذه أعظم شهادة لأنها شهادة الله، فالكتاب المقدس فى أكثر من موضع وصف يوسف بأنه كان رجلاً باراً، هذا الرجل البار هو الذى اختاره الله لكى تكون مريم العذراء فى حمايته، وأن يقوم برعايتها بعد والديها، وهو الذى يهتم بها، والعلامة أنهم وجدوا فى الصباح وهم يفحصوا العصىِّ أن العصا المكتوب عليها اسم يوسف أفرخت أى أخرجت براعم، وكان هذا على سبيل المعجزة، وعلى سبيل إظهار إرادة الله وعنايته لهذه الإبنة المباركة، أن يكون يوسف هو الزوج الذى يناسب العذراء مريم، وفى هذا المجال أحب أن أبيِّن أن مريم العذراء فى حياتها عاشت حياة الخادمة .

وأول صفة من صفات مريم كخادمة هى :

مريم كعابدة : عاشت مريم كخادمة وكان أهم شىء فى خدمتها أن تكون عابدة، لأن أول خدمة وأعظم خدمة وأهم خدمة هى العبادة، بما ينطوى عليها العبادة من صلاة ومن صوم ومن رحمة بالمساكين، العبادة خدمة وهى أول مفهوم الخدمة، ماهى الخدمة، عندما تقول أن فلان خادم أو خَدَّام ماذا تعنى خَدَّام؟ خدام أو خادم يعنى موقوف على طلبات هذا السيد، واقف أمامه بإستمرارفى الليل وفى النهار أوقف نفسه على خدمته، هذا هو المفهوم الأول للخدمة وهذا الذى نسميه خدمة الملائكة ، ولذلك الرهبان يسموهم خدام ويسموهم ملائكة أرضيين، لماذا؟ لأن الرهبان يتعبدوا فى الأديرة وهم خدام وخدمتهم شبيهة بخدمة الملائكة، لأن الملائكة واقفين قدام الله وقدام العرش يتعبدوا ويتطلعوا إلى وجهه، يسجدوا أمامه ، يخدموه بهذا المعنى، واقفين بإستمرار ، طول الوقت وطول الزمان واقفين، بكل الإحترام وبكل التعبد وبكل الإكرام يسجدون أمام الحىِّ إلى أبد الآبدين، تسمعوا حتى فى قسمة القداس أن الأربعة وعشرين كاهناً وهم من درجات الملائكة وعلى رؤوسهم تيجان يسجدون أمام الحىِّ إلى أبد الآبدين يقدمون العبادة، لأنهم مارسوا مايعرف بالصلاة التى بلا إنقطاع، التى قال عنها الرسول بولس فى رسالته إلى تسالونيكى " صلوا بلا إنقطاع" فالرهبان فى الأديرة يصلوا صلاة بغير إنقطاع كخدمة الملائكة .

لذلك نقول أن خدمة العذراء مريم فى الهيكل كانت خدمة الملائكة، لأنها طوال الوقت هى كانت تصلى وتصوم وترحم المساكين وترتل وكل وقتها مخصص لخدمة الله، وهذه الخدمة هى خدمة الملائكة، وهى أول خدمة خدمت بها العذراء مريم،

ولاحظوا أن العذراء مريم بعد ماولدت المسيح، وبعد ما ساهمت مساهمة كبيرة فى خدمة المسيح، خدمته خدمة مباشرة أى ربته منذ أن كان جنيناً فى بطنها، أعطته من دمها وأعطته من حياتها، وبعد أن ولد المسيح تحملت العذراء مريم فى سبيله الآلام الكثيرة والإهانات والشتائم والإتهامات فى عفافها وفى طهارتها من اليهود الذين أساءوا معاملتها، وخرجت به مطرودة هاربة إلى أرض مصر، وعاشت فى بلادنا مدة نحو أربعة سنوات مطرودة من مكان إلى مكان محتاجة إلى القوت الضرورى، وكانت تقرع كل باب من أجل القوت ومن أجل أن تطعم المسيح، ومن أجل أن تأكل هى ويوسف، وكانت تدخل أى بيت من البيوت تقول لهم " لا.. أنا لا آكل خبز الكسل أعطونى أغسل أعجن أطبخ لابد أن أعمل أى شيء " ، فكانت تخدم كخادمة وهذا من أجل المسيح، سارت كثيرا على رجليها، واحتملت الكثير، وكان هيرودس أرسل عشر جواسيس يتعقبوهم، وعانت العذراء مريم من أحوال نفسية ومن مطاردة من مكان إلى مكان ، وكان يحدث فى بعض الأماكن عندما المسيح بجلاله يمر على معبد من المعابد وكانت المعابد أحيانا فى الطريق، فكانت التماثيل تتحطم أمامه مثل ما قال إشعياء النبى " يذوب قلب مصر فى داخلها " فالآلهة تحطمت أمام المسيح فكان يخرج الكهنة والشعب وراءهم يطاردوهم عندما يشعروا أنه بسبب هذا الطفل تحطم الإله الـذى يعبدوه، تصوروا الغوغاء والضجيج مع إنسانة كان سنها فى هذا الوقت حوالى ١٣ أو ١٤ سنة ، هل كانت إمرأة كبيرة تتحمل هذا كله !! .

فهذه الشابة الصغيرة الصبية عاشت فى أرضنا هذه الأربعة سنوات مطرودة من مكان إلى مكان ، ومهددة بأن يخرج الكهنة والشعب الوثنى الهمجى مثل الوحوش وراءهم عندما يروا إلههم يتحطم أمام المسيح ، ويضربوهم ويهينوهم إلى آخره، والجنود أيضا يتعقبوهم ، يوجد قصة تقول أن اللصين اليمين والشمال طاردوهم وخصوصا كان معهم الذهب الذى قدموه المجوس، عندما طمع اللص الشمال فى الذهب، وهجما عليهم وخطفا الذهب، غير أن اللص اليمين كان قلبه طيب فوبخ أخاه اللص الشمال وقال له: أليس حرام علينا نحن قساة القلب، صبية مثل هذه وهذا الطفل الصغير نقسو عليهم هذه القسوة، لابد أن ترد لهم ماأخذنا. وإختلفا معا، هو مع صديقه، إلى آخر هذه القصص، إن العذراء تحملت آلاما كثيرة جدا فى بلادنا المصرية، وبعد ذلك عادوا مرة أخرى إلى الناصرة وعاشوا هناك، يوسف كنجار وسيدنا له المجد كان صبى نجار، والعذراء عاشت كفتاة فقيرة فى هذا البيت المتواضع وخدمت المسيح دقيقة بدقيقة ويوم بعد يوم حتى كبر وكانت معاملة اليهود معاملة قاسية للمسيح ولها

هى أيضا، كل ذلك تحملته العذراء وقاست الويلات الكبيرة من اليهود ، وأخيرا إنتهى الأمر بأن إبنها وحيدها الذى عاشت من أجله كل أيام حياته، عومل معاملة المجرمين ، وصلب على الصليب، تصوروا وضعها وكان يوسف قد توفى، فكان ليس لها أحد إلا المسيح، وإذ بها ترى المسيح معلقا على الصليب، لذلك نحن نقول " العالم يفرح بقبوله الخلاص أما أحشائى فتلتهب بالنار عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه من أجل الكل ياإبنى وإلهى" أى أم فى مثل هذه الحالة ممكن أن ترى إبنها وحيدها وعائلها لأنها تعلقت به كل أيام الحياة، وليس لها أحد غيره ، ترى هذا ولا تلتهب أحشائها بالنار، واليهود وضعوا عليها كل جام غضبهم، عاشت العذراء حتى بعد قيامة المسيح تعانى من اليهود معاملة قاسية جداً جداً أذلوها إذلالاً فائقاً، حتى جاء المسيح وأخذ وديعته فماتت العذراء فى سن ٥٨ سنة و٨ أشهر، أى نحو الستين من عمرها ، ماذا صنعت العذراء؟ كل هذه السنين كانت عبارة عن معاناة وخدمة، هذه هى خدمة العذراء، هل علّمت العذراء؟ هل وعظت العذراء؟.. أول خدمة أدتها العذراء هى خدمة العبادة وخدمة الفقراء وخدمة الملائكة، خدمة الملائكة وهى الوقوف أمام الله، قال إيليا النبى " حىّ الرب الذى أنا واقف أمامه " ماذا تعنى واقف أمامه ، تعنى خدّامه، لايوجد أحد غيره أقف على خدمته، لا عمل لى إلا هو .

المفهوم الأول للخدمة، أنا أريد أن أقول للبنات اللائى يخدمن الكنيسة، إياكن تفهمن أن الخدمة فقط معناها شرح الدرس للبنات الصغار، أبدا .. قبل هذا وفوق هذا وأهم من هذا هى خدمة العبادة وخدمة الصلاة، مثل العذراء مريم عندما كانت تخدم الله خدمة العبادة، تقف على عبادة الله ، وتقف على خدمته بالقصد والنية والمعنى والضمير والإحساس والشعور، كل شيء أعطته لربنا قلبها وشعورها وعقلها وإحساسها ووجدانها، عاطفتها وإنفعالاتها كل شيء لله، هذه هى الخدمة الأولى خدمة الملائكة الخدمة الممتازة، التى قال عنها الله " اختارت مريم النصيب الصالح" مريم التى جلست تحت قدمىّ المخلص، تتأمل فى كلامه، وتتطلع إليه وتشبع من رؤياه، هذه قال عنها المسيح أنها إختارت النصيب الصالح وطوبها أكثر من مرثا ، لهذا السبب كنيستنا تطوب خدمة التأمل وخدمة الحياة العذراوية البتولية الطاهرة النقية فوق أى خدمة أخرى، وكذلك مانعرفه أيضا فى سيرة العذراء مريم بعد أن قام المسيح من بين الأموات أنها ألّفت مجموعة من العذارى، كانت العذراء مريم رائدة لهن، مُعلّمة لهن، قدوة لهن، وكانوا يسموهم عذارى جبل الزيتون، وكان كل عملهن وخدمتهن مع العذراء الصلاة، وهذا هو نظام العذارى فى الكنيسة قبل أن ينشأ نظام الرهبنة، ولذلك

فى كتاب الدسقولية أو تعليم الرسل يقول أن العذارى فى الكنيسة يكون لهن مكان لوحدهن، من هن العذارى؟ هن البنات الأبكار، اللائي أعطين حياتهن للمسيح، هذا النظام أنشأته العذراء مريم، هى الرائدة الأولى هى المُعلمة الأولى، هى الخادمة الأولى التى بدأت هذا النظام وأصبح يوجد تابعات لها وكما يقول المزمور " فى أثرها عذارى" كثير من العذارى كن يحضرن بفرح وإبتهاج يدخلن إلى قصر الملك ، أحبوا حياة العذراء وعشن هذا النوع من الحياة من دون كلام، فقط عبادة وصلاة، كانت السيدة العذراء مريم مقلة جدا فى الكلام، تبحث فى الإنجيل على كلام العذراء لاتجد إلا القليل، الكتاب المقدس يقول : " وكانت مريم تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها " رأت الملائكة التى تقول " المجد لله فى الأعالى " رأت الأحداث العجيبة ، كيف بشرها الملاك بهذا الحبل الإلهى، رأت المعجزات التى حدثت فى أرض مصر، رأت أعمال المسيح معها خطوة خطوة، ورأت العطية المباركة التى أعطاها الرب إياها أن تكون خادمة لسر التجسد، وأن تكون هى الإنسانة المختارة التى يتكّون جسد المسيح من دمها، ويتغذى وينمو من لبنها، هى التى تخدمه وهى التى تغسل ملابسه وهى التى تعوله وهى التى تربيه إلى أن يكبر، هذه العذراء رأت الملائكة ورأت رؤساء الملائكة ورأت المجوس الذين أتوا وقدموا هداياهم وسجدوا له وهم ملوك، رأت الرعاة يأتون ويسجدون، رأت النجم، رأت كل هذا، فتاة صغيرة سنها ١٣سنة، رأت أليصابات إمرأة رئيس الكهنة وكانت إمرأة سنها سبع أمثال عمر مريم ، ومع ذلك أليصابات تقول لها "من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىّ " ، ماذا قالت العذراء؟ قالت " تعظم نفسى الرب " وفى صمت وفى إتزان، لم تفرح ولم تغنى ولم ترتل ولكن فى هدوء وتعقل يقول الكتاب " كانت مريم تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها " هذه هى ميزة الروح الوديعة الهادئة ، أين تجد إمرأة من هذا القبيل ، أين تجد فتاة، شابة ، صبية، طفلة من هذا القبيل صامتة ساكنة هادئة وديعة ، المرأة أو الفتاة التى تكون هادئة وساكنة وصامتة هدية من الله، هى عطية لايُعبَّر عنها، لؤلؤة كثيرة الثمن، لاتُقَدَّر ولاتوصف ولاتوزن بموازين الذهب، إذا وجدت هذه الفتاة الهادئة الساكنة الوديعة، كل الدنيا لاتساوى شيئا أمام هذه الإبنة الوديعة الهادئة .

إذا كنتم تريدون أن تتخذوا مريم العذراء رائدة ونموذج فى الخدمة نتعلّم أولا أن نكون متعبدين ،لأن أول خدمة أدتها مريم لله وللمسيح أنها كانت متعبدة مصلّية صائمة رحومة بالفقراء والمساكين، وأيضا ساكنة هادئة متواضعة، لاتصيح ولاتغضب

ولاترفع صوتها، إذا وجدت هذه الإبنة ، إذا وجدت هذه الفتاة، إذا وجدت هذه الصبية تكون بحق تابعة لأمها العذراء مريم .

إن العذراء مريم لم تشارك فى أى عمل من أعمال الكهنوت، أو التعليم، أو الوعظ، ولكن يكفي أن العذراء مريم لها نصيب وافر من النعمة، ليس لأن الله إختارها والروح القدس حل فيها وجهز جسدها وطهره، ليأخذ من الدم الطاهر ما يُكون به جسده، وإنما العذراء مريم أيضا حل الروح القدس عليها فى يوم الخمسين كما حل على الرسل والتلاميذ، ولو تقرأوا سفر الأعمال الأصحاح الأول تجدوا أن العذراء مريم كانت مع الآباء الرسل وحل عليها الروح القدس كما حل على الباقين، ومع ذلك العذراء مريم عاشت مع المعلم الأعظم المسيح كل هذه السنين، عندها كلام كثير تستطيع أن تقوله، عندها وعظ أحسن من عشرات الألوف من الوعاظ، من منا يقدر أن يتكلم عن المسيح مثلها؟ من يقدر أن يتكلم مثل العذراء؟ هى أم المخلص التى عاشت معه كل هذه المدة وتعلمت منه، لديها معلومات كثيرة وخبرات كثيرة وجواهر كثيرة تقدر أن تقولها، ومع هذا العذراء مريم ما كانت أبدا من هذا الطراز الذى يفرح بالكلام، والذى يفرح بالوعظ ويفرح بالخدمة ، العذراء لم تكن كذلك ، العذراء كانت خدمتها خدمة العبادة ، خدمة الروح الهادئة، لم تساهم إطلاقا فى أى عمل من أعمال الكهنوت، لم تعمد أحداً، لم تمسح أحداً، لم ترسم أحداً، مع أنها تحمل كل المواهب العظيمة الكبيرة العالية لأنها أم الملك ، أم المخلص والدة الإله، مع هذا لم تباشر عملا من أعمال الكهنوت، وهذا يعطى الفكرة كما قالت الدسقولية أن الكهنوت والوعظ ليس خدمة المرأة ، المرأة لها خدمة العبادة، خدمة الصلاة، خدمة الحياة الطاهرة النقية، عفاف البنت ونقاوة قلبها ونقاوة حياتها وسيرتها ، وقدوتها الطيبة ، الزوجة وعلاقتها برجلها وإنجاب الأولاد ، وكأم كيف تربى الأولاد فى مخافة الله ، وإذا أضفنا إلى هذا أن الكنيسة تعهد اليوم للفتاة بالمساعدة فى أعمال الكهنوت فى الكنيسة كمساعدة المتقدمات للعماد، أو تعليم البنات فى الكنيسة، لكن لاتنسوا أن هذه خدمة ثانوية جدا بالنسبة لخدمة العبادة التى هى خدمة الملائكة، وبالنسبة لخدمة السيرة النقية الطاهرة ، وبالنسبة لرائحة العفة التى تفوح من البنت الطاهرة، ، هذه خدمات عندما ينظرها الإنسان يتعلم منها .

هذه هى الخدمات التى يمكن أن تسديها البنت أو المرأة قبل أن تؤدى أى خدمة أخرى تعليمية، سواء للبنات الصغار، أو فيما بعد حينما تتزوج وتعطى هذا العلم وهذا التعليم لأولادها وبناتها .

ونعمة ربنا يسوع المسيح تشملكم جميعكم وله الكرامة والمجد إلى الأبد آمين .

٦- العذراء مريم سفينة النجاة (١)

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين .

تعود ذكرياتى حينما أدخل هذه الكنيسة المباركة إلى أيام الشباب المبكر، هذه الكنيسة التى كنا نصلى فيها شباباً ، حينما كنا طلبة فى مدرسة حلوان الثانوية ، من سنوات وسنوات طويلة وأحسب أنها أصبحت قطعة من كيانى ، وأنا اليوم أشرف وأتبارك بالحضور للمشاركة فى إحتفالات هذا اليوم العظيم ، المسمى بصوم العذراء مريم، شاكراً الدعوة الكريمة التى وجهها إلينا أخونا الحبيب الموقر جزيل الإحترام الأنبا بولس أسقف هذه الإيبارشية العامرة، والذى تمت رسامته ورسامتى فى لحظة واحدة .

اليوم هو عشية الأحد الأول من مسرى المبارك، يتحدث الإنجيل عن يسوع المسيح ابن الله الذى ترك تلاميذه بعد أن ألزمهم أن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى عبر البحيرة إلى الشاطى الآخر من بحيرة طبرية أو بحر الجليل ، أو بحيرة جنيسارت . تركهم معذبين لأن الريح كانت ضدهم ، وهى عبارة مؤثرة لها دلالتها ومعناها مادياً ومعنوياً، الريح كانت ضدهم وتركهم يسوع المسيح ليرى صمودهم أمام التجارب وأمام هذا العذاب الذى هم فيهم . تركهم ليتمرسوا على مواجهة الآلام تمهيدا لأن يتركهم إلى يوم الحساب ذلك الترك الكبير، ولكنه يراقبهم من السماء ويرعاهم ويكون معهم، قصد رب المجد أن يترك تلاميذه هكذا معذبين فى السفينة والرياح كانت ضدهم فيدربهم على مواجهة العواصف والصعاب . وبعد ذلك فى وقت متأخر من الليل يجىء إليهم ماشياً على البحر سامياً وعالياً وجليلاً ومهيباً، من هذا الماشى على مشارف البحار؟ هو الذى قاس السموات بشبره وكال المياه فى حجره، هذا الملك والمالك للسموات والأرض.. سلطانه على كل الطبيعة يمشى على البحر، والبحر بالنسبة له كأنه أرض يابسة ، والسفينة المعذبة والتى تعذب فيها التلاميذ بالريح المضادة يدخل فيها الرب يسوع فتصير فى هدوء شامل ، الأمر الذى أدهش الناس الذين فى السفينة فتعجبوا، إذ قارنوا بين حالتين ، بين حالة السفينة وهى معذبة والأمواج تضربها من كل جهة حتى كادت السفينة أن تغرق وكادوا هم أن يغرقوا، وبين حالة أخرى ذلك الهدوء الشامل الذى

---

(١) محاضرة ألقيت يوم السبت الموافق ١٩٧٦/٨/٧م بكنيسة السيدة العذراء بحلوان .

لفهم جميعا، كيف صارت السفينة المعذبة بالأمواج المتلاطمة إلى هدوء عظيم، أدركوا أن الفارق هو حضور يسوع المسيح ودخوله إلى السفينة بجلاله، خضعت الأمواج وصمتت وصار هدوء عظيم ، وهذا هو الفرق بين حالتين نفسيتين يمر بهما الإنسان السائر فى طريق السماء، بين حالة من الألم والأوجاع والإضطرابات والإرتفـــاع والإنخفاض نتيجة الريح المضادة، وبين حالة أخرى من السلام الذى يفوق كل عقل الذى ينعم به الذين يسيرون فى طريق السماء لأن سفينة حياتهم دخل إليها الرب يسوع.

والليلة ونحن قد استقبلنا صوم العذراء مريم، فالعذراء مريم أيضا سفينة (سفينة النجاة) التى عبرت بالبشرية من العبودية إلى حرية أولاد الله، لأن يسوع المسيح قد دخل إلى هذه السفينة فصارت السفينة محملة برب السموات والأرض، فخضعت لها كل القوى وكل الطاقات .

مريم العذراء سفينة، سفينة عبرت طريق الآلام، فهى كواحدة منا ذات الآلام فى الحياة، ولم تكن آلامها فحسب كفتاة فقيرة ويتيمة لاسند لها من إنسان، ظروفها كانت قاسية ، ولدت فى ظروف غير عادية ، أبوها وأمها كانا عاقرين وكانا مهددين بلعنة السماء التى كانت تلحق فى العهد القديم بكل إنسان لايكون له ثمر البطن، ولأنه كان يعتقد أن المسيح سوف يأتى من واحدة من بين النساء، فالمرأة التى لا تلد معناها أنه حكم عليها بأنها حرمت إلى الأبد أن لايكون لها نسل، حرمت من هذا الشرف ومن هذه الكرامة .

المرأة العاقرة فى القديم كانت سبة وعار، وكانت مرفوضة وملعونة كالأرض التى تنبت شوكاً وحسكاً، أو التى لا تنبت ولا تثمر، فهى كما يقول الرسول يعقوب ملعونة لأنها مجدبة، عاشت حنّة وعاش يواقيم فى هذه الحالة المرة، ولذلك رفعا الصلوات كثيراً إلى الله أن يترفق بهما وأن يعطيهما نسل ، وبدا كما لو أن الله لم يستجب ولم يصغى إلى صوتهما ، وزاد صراخهما وزاد تعلقهما بالصلاة والصوم حتى أن يواقيم وهو رجل تقى فرض على نفسه صوماً أربعينياً، وارتضى أن يغادر البيت إلى مكان خلاء إلى البرية يقضى فترة خلوة أربعينية صائماً مصلياً، داعياً الرب أن يستجيبه بأن يعطيهما حتى يرفع عارهما من بين الناس، وبعد هذا الصوم النسكى الذى صامه يواقيم فى البرية فى الصحراء، ظهر له الملاك المبشر جبرائيل أو غبريال، المعروف دائما فى الكنيسة أنه الملاك المبشر، الذى دائما يرسله الله فى كل مجال للتبشير، ظهر له فى رؤيا وبشره بأن صلواته وصلوات إمرأته قد قبلت أمام الله . ومضى يواقيم فرحا

بالرؤيا وبشر حنة إمرأته بهذه البشرى السعيدة، وفى السابع من مسرى تحتفل الكنيسة بعيد البشارة بميلاد العذراء مريم .

وولدت العذراء مريم، والكنيسة تحتفل بميلادها فى أول بشنس، ولدت العذراء مريم وربتها أمها بالحنان وبالرقة، ولقنتها هى وأبوها تعاليم الكتب المقدسة لكى تكون على إيمان بنى إسرائيل ومعرفتهم بالرب، ولما كانت حَنه ويواقيم نذرا كلاهما نذراً للرب أن الإبن أو الإبنة الذى يعطيهما الرب يقدمانه نذيراً له ، فكان لابد أن تُقدم مريم للهيكل نذيرة، وفُطمت كالعادة فى الثالثة من عمرها وذهبت بها أمها وأبوها إلى الهيكل وقدماها، والكنيسة تحتفل بتقديم مريم العذراء طفلة فى الثالثة من عمرها إلى الهيكل فى يوم ٣ كيهك من كل عام ، وهناك عاشت العذراء فى جو الصلوات، تشتم رائحة البخور المرتفعة دائماً، وتشارك فى الألحان والأنغام والتراتيل الدينية . عاشت بين الكهنة وبين اللاويين فتره طويلة، وكانت أمها وأبوها يزورانها مرة فى السنة كعادة اليهود، إذ يحجون إلى الهيكل فى عيد الفصح، وفى السادسة من عمرها مات أبوها، وفى الثامنة من عمرها ماتت أمها وصارت الطفلة يتيمة من الأبوين، لكنها عاشت فى جو الهيكل إلى أن بلغت الثانية عشر من عمرها، وكانت لمريم عبقرية روحية مبكرة، يقول علماء النفس أن العاطفة الدينية، أو العاطفة من أى نوع لا تتكون عادة بالنسبة للأطفال إلا عندما يبلغوا السن التى يندمج فيها الإنسان مع المجتمع، أما هذه الطفلة فنمت عاطفتها الدينية نمواً كبيراً وهى فى هذه السن المبكرة، عرفت الصلوات الطويلة وعرفت أيضا أن تصوم ، وعرفت أعمال الرحمة، فورد عنها فى أقوال الآباء أنها كانت تقدم طعامها وهى طفلة للفقراء، وتظل هى صائمة، وكانت الملائكة تشفق على مريم فكانت تأتيها بطعام سماوى تطعم به تعويضاً عن الطعام الذى تقدمه إلى الفقراء والمساكين، وحتى القرآن شهد عنها (كلما دخل إليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) .

عاشت مريم هذه الطفولة الدينية المبكرة، وبهذه الحرارة الروحية غير المتوقعة فى سن طفلة مثلها، إلى أن وصلت إلى سن الثانية عشر وهى سن البلوغ فى الشـــرق الأوسط، فكان لابد أن تخرج من الهيكل. ولكن كيف تخرج من الهيكل وهى يتيمة ولمن تذهب ؟.. ليس لها أب ولا أم، تحيَّر الكهنة فى شأنها وصلّوا من أجل هذا الأمر، وأدركوا أن هذه الطفلة فى براعتها وقداسة سيرتها المبكرة أولى بإهتمامهم ، فلا بد أن يُسلموها لأحد يكون موضع ثقتهم، وبينما هم فى هذه الحيرة إذ ملاك الرب مرة أخرى يظهر فى حلم لزكريا رئيس الكهنة، يقول له: اجمع عصىً شيوخ وشباب سبط يهوذا،

وضع هذه العصيِّ فى الهيكل، والله سيريكم علامة تعرفون بها من يكون الرجل الذى يستحق هذه الإبنة أن تكون فى كنفه، وكتب الكهنة على كل عصا اسم صاحبها وكان بين الأسماء السعيدة اسم يوسف البار الشيخ المتقدم فى الأيام، وفى اليوم التالى افتقد الكهنة العصيِّ فوجدوا أن العصا المكتوب عليها اسم يوسف قد أفرخت، أى أخرجت براعم، العصا الجافة إخضرت وأخرجت براعم، فكانت شبيهة بعصا هارون التى أفرخت بالمثل، وقد كانت هذه وتلك رمزاً لحقيقة الميلاد البتولى، وإشارة إلى ماحدث فعلاً، أن العذراء البكر التى لا ينتظر أن تلد، هذه العذراء البكر التى لم ولن تعرف رجلاً يخرج منها البرعم العظيم يسوع المسيح . النتاج المبارك الذى تباركت به الأرض والسموات، ففرح الكهنة ووجدوا علامة سمائية زادتهم إعتقاداً بأن هذه الإبنة غير عادية..، إنها موضع رعاية السماء وموضع إهتمام الله، وأن حياتها سلسلة من المعجزات، تدل على أن يد الله معها وفيها. حينئذ أمسك رئيس الكهنة زكريا بيد يوسف من جهة وبيد مريم من جهة أخرى، وباركهما بركة الزواج، لأن هذه الإبنة ستنتقل إلى بيت يوسف، فليس من الصالح أن تترك هكذا، فلكى تكون فى كنف رجل لابد أن يكون هناك عقد رسمى يربط بين هذا الرجل وبين هذه الإبنة، وكانت هذه حكمة إلهية حتى إذا حملت مريم الحمل الإلهى لا ترجم حسب الشريعة ، لأنها إذا حملت قبل أن تنتقل فى بيت يوسف كان لابد من رجمها حسب الشريعة، كما أن العذراء وهى مخطوبة فقط لايحق لها أن تنتقل إلى بيت خطيبها، وإذا حدث مثل هذا الحمل فى فترة الخطبة كانت تستحق أن ترجم بموجب الشريعة أيضا، لذلك تحوطاً من كل هذه النتائج كان لابد أن يكون هناك عقد زواج رسمى بين يوسف وبين مريم، ولذلك فإن الكتاب المقدس يروى لنا أنه عندما اكتشف يوسف الحمل لمريم دارت الشكوك فى عقله، فتدخل الله وظهر له الملاك وعَرَّفه أن الذى حملت به هو من الروح القدس، لأن يوسف كان معتزماً بعد أن اكتشف هذا الحمل أن يخلى سبيلها سراً، ولا يعلن ذلك أمام الناس لئلا ترجم بموجب الشريعة، فيوسف هذا الرجل البار والصدّيق أراد أن يطلق صراحها وأن يخلى سبيلها سرا، ولكن الملاك ظهر له وقال: لاتخف أن تأخذ مريم إمرأتك، وهذه العبارة معناها أن مريم زوجة رسمية ليوسف، والكتاب المقدس فى أكثر من موضع يقول " ويوسف رجلها إذ كان باراً لم يشأ أن يخلى سبيلها سراً " فوصف يوسف بأنه رجلها ووصفت هى بأنها زوجته . إذن هنا علاقة زواج رسمى لكنه زواج بتولى . العقد رسمى هو ذات العقد الذى يربط بين رجل وإمرأة ولكنه بتولى لأن مريم احتفظت ببتولتها .

ودليلنا على هذا بسيط، أنه حينما ظهر له الملاك قال لها: " يامريم ها أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتدعين اسمه يسوع " فأجابت مريم: " كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلا " وكلمة " لا أعرف " فى اللغة القبطية واليونانية وكل اللغات القديمة تعنى لا أعرف حاضراً ولا مستقبلاً .

هى لم تقل " لم أعرف رجلا " لأن كلمة " لم " تفيد الماضى. ولكنها قالت: " أنا لا أعرف " تفيد الحاضر والمستقبل، وكيف لمريم وهى فى بيت يوسف وقد عقد عليها وعليه عقد زواج رسمى، وتقول ذلك مالم تكن مريم مصممة وعازمة على أن تظل بتولة كل أيام حياتها .

البتولية لمريم لم تكن جبرية ولم تكن مضطرة إليها، لا .. بالعكس كانت مضطرة إلى الزواج، وعندما يقول لها الملاك " أنت ستحبلين" تجيب " كيف يكون لى هذا " عندما اعترض زكريا وبخه الملاك بل وعاقبه، إنما بالنسبة لمريم قال لها : " لاتخافى يامريم الروح القدس يحل عليك " إن هذا الحمل ليس بإسلوب بشرى، هذا الحمل لا يتعارض مع إحتفاظك بالبتولية، ستظلين بتول كما تشائين، ولن يتعارض هذا مع بكارتك، الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، لذلك القدوس – وليس القديس – القدوس وهو التعبير الذى لا يقال إلا على الله وحده ، القدوس المولود منك يدعى ابن الله، فلما عرفت مريم أن هذا الحمل وهذه الولادة لا تتعارض مع إحتفاظها ببكارتها التى تعلقت بها وأحبتها، قالت له : أنا أمة الرب، أنا خادمة، أنا جارية ، أنا عبدة ليكن لي كقولك، وبكل أدب لم يمض الملاك من عندها إلا بعد أن نطقت بهذه العبارة التى سلّمت فيها إرادتها لإرادة الله، فمضى من عندها الملاك، وكانت هى الإبنة التى قصدها إشعياء النبى فى نبوعته حينما قال " ها العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعى اسمه عمانوئيـــــــل " ها العذراء بالألف واللام وظلت كلمة العذراء كلمة صعبة بالنسبة إلى اليهود، وظلت كلمة غامضة فى سفر إشعياء فى الإصحاح السابع والعدد الرابع عشر، كلمة غير مفهومة، وكلمة كانوا يقرأونها فى السر ولايشاءون أن يضطلع عليها أحد من غير اليهود، لئلا يتهمهم بأن كتابهم المقدس يحتوى على خرافات، إلى أن تحقق هذا الأمر .

هذه التى أنبا عنها أيضا دانيال النبى فى الرابع والأربعين من سفره حينما قـــــال " هذا الباب يكون مغلقا لايفتح ولا يدخل منه إنسان، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً " هذا الباب هو باب البكارة يكون مغلقا، لايفتح ولايدخل منه إنسان لأن الرب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً ولذلك سيظل دائما وإلى الأبد، الميلاد البتولى

لمخلصنا يسوع المسيح برهان لاهوته ، لأنه بالحسابيات وبالمنطقيات والحسيات والطبيعيات والماديات وكل التصورات كيف يمكن أن يولد إنسان وتبقى الأم عذراء، مستحيل ... بحسب الطبيعة مستحيل ... لكن بالنسبة للرب يسوع الذى خرج من القبر وهو مغلق والذى دخل إلى العُلّية وأبوابها مُغلّقه، خرج من بطن العذراء مريم وأبواب البكاره مختومة ولم ولن تفك إلى الأبد ، لذلك تسميها الكنيسة " العذراء كل حين " .

فهى عذراء قبل الولادة وبعد الولادة، العذراء بالألف واللام، وستظل العذراء مريم النموذج للطهارة والعفة الدائمة، العفة الكاملة، لجميع البتوليين والبتوليات ، لجميع البتوليين والعذارى، مريم كانت وستظل رائدة للعذارى، والمعروف فعلا أن كثيرات من البنات فى زمن العذراء مريم رافقناها وإتخذن من العذراء مريم رائدة لهن ، وأنشأت العذراء مريم أول فرقة للعذارى، كن يعرفن بعذارى جبل الزيتون، وهذا أول تأسيس لنظام العذارى فى الكنيسة، وتكلمت الدسقولية عن خوروس العذارى قبل أن يدخل نظام الرهبنة بالشكل المعروف فى أيام الأنبا باخوميوس، كان هناك فى الكنيسة خوروس اسمه خوروس العذارى المتبتلات اللاتى نذرن أنفسهن عذارى للمسيح واتخذ منهن بولس الرسول إستعارة عبارته القائلة " أنا خطبتكم عذراء عفيفة للمسيح " .

وقصة الأنبا ديمتريوس الكرام المعروفة ، الذى صار بطريركا وكان متزوجاً زواجاً بتولياً ، بعد أن صار بطريركا ضم إمرأته إلى خوروس العذارى، ولما ظهر له الملاك وقال له (ليس حسن أن تُخلص نفسك وتترك الناس يهلكون اكشف عن حقيقة هذا الزواج للشعب لئلا يعثر به) يروى التاريخ أنه استدعاها من خوروس العذارى ووضع فى إزارها جمر النار الذى فى الشورية، وطاف معها كل أنحاء الكنيسة وملابسها لم تحترق بالنار، وكانت هذه علامة على بتوليتها وعلى بتولة القديس ديمتريوس الكرام .

إذن كانت العذراء مريم العفيفة ، الطاهرة ، النقية ، كل هذه أسماء للعذراء ، هناك كثير من الناس يسمون بناتهم عفيفة، نقية، بتول، وقديما كانوا يسمون برثنية أى بتول إلى جانب مصطفية، ومختارة ، كل هذه أسماء للعذراء مريم، التى كانت وستظل دائما النموذج والمثل الأعلى للبتولية الدائمة، وللعفة الكاملة التى عشقتها وعشقها على مر العصور كل الراغبين فى أن يَتَّحدُوا مع الله إتحاداً كاملاً فى الروح والجسد، وأن يرتفعوا فوق الطبيعة إلى مايعرف بالزواج الروحانى، البتوليين متزوجين ولكن الكنيسة تسميه زواج روحانى، النفس البشرية هى العذراء وأما المسيح فهو العريس، فهنا زواج روحانى وبدلاً أن يعطى الإنسان حياته لأسرة محدودة بالمعنى الضيق للكلمة،

رجل وإمرأة وبضعة أولاد، يعطى حياته لله وللكنيسة كلها وللمجتمع البشرى كله فيكون لخدمة الأسرة البشرية بمعناها الأوسع .

كانت العذراء مريم هى المثل والنموذج، فكان هذا أمراً طبيعياً أن يسوع المسيح البكر البتول، يكون من أم بتول، وحينما أراد أن يُسلّمها عند الصليب لإنسان يأتمنه اختار يوحنا البتول، علما بأنه كان من بين تلاميذ المسيح أقرباء لمريم مثل يعقوب ابن حلفى، ويهوذا الذى هو لباوس الملقب تداوس الذى يسموه يهوذا ليس الإسخريوطى، وكان هناك أيضا سمعان ورابع اسمه يوسى، هؤلاء الأربعة مذكورين فى الإنجيل ومنسوبين إلى المسيح أنهم إخوه المسيح وهم الذين كانوا فى الواقع أولاد مريم زوجة كلوبا أو حلفى وهى أخت العذراء مريم، لأن حنه بعد أن ولدت العذراء فتح الله رحمها فولدت بنت أخرى أسمتها مريم أيضا، لأنها قالت أن مريم الأولى من نصيب الرب، وهذه من نصيبى، فمريم الأخرى الصغرى هى التى تزوجت برجل اسمه حلفى أو كلوبا ، كان فى القديم اليهود يسموا الواحد اسمين، اسم بالأرامى واسم باليونانى، مثل شاول وبولس، سمعان وبطرس ..الخ ، فكلوبا هو الاسم اليونانى، وحلفى هو الاسم الأرامى، فمريم زوجة كلوبا هى أخت العذراء والذى دلنا على ذلك إنجيل يوحنا اصحاح ١٩ وعدد ٢٥ ويقول " وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، إذن مريم زوجة كلوبا هى أخت العذراء مريم . الأخت الصغرى التى ولدت بعد مريم، مريم الصغرى زوجة كلوبا هى التى أنجبت يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ، هؤلاء أولاد خئولة أو أولاد خالة ..، ودائما فى الشرق أولاد الخئولة وأولاد العمومة يُعَدّوا أخوة .

ويروى القديس أبيفانيوس Epiphanios أسقف سلامينا فى قبرص (نحو٣١٥-٤٠٣) عن القديس هيجسيبوس Hegesippos وهو من آباء القرن الثانى ويوسابيوس القيصرى أن كلوبا هذا أيضا كان أخو يوسف الصديق، إن هؤلاء الأولاد أيضا أولاد عمومة إلى جانب أنهم أولاد خئولة فى نفس الوقت، وهذا رد على الإتهامات القديمة التى كان يقولها البعض أن العذراء تزوجت، هذه الإتهامات عدلوا عنها الـــيوم ولايستطيع أحد أن يفكر فيها ويقول هذا الكلام .. مستحيل أن تكون العذراء مريم بعد هذه العطية العظيمة، وبعد هذا التصميم المطلق على البتولية أن تتزوج .

فمريم كانت وستظل مثلا للبتولية الدائمة وشفيعة للأطهار وللأنقياء ولأصحاب العفة الكاملة، هى فخر جنسنا

سموت يابتول فى العذارى　　　على كل الأنام علاً وفقتى
خلقتى درة لاعيب فيهـــــا　　　كأنك مثل ماشئت خلقتـــى

نمجد العذراء مريم ، نشيد بفضائلها وبطهارتها وبحلمها وبصمتها وبسكونها وبوداعتها وبجميع الفضائل التى تمثلت فى مريم، حتي سَمَّتها الكنيسة الممتلئة نعمة ، جزيلة القداسة ليس فيها عيب " نساء كثيرات نلن فضلاً أما أنت ففقتى عليهن جميعا ".

وقالوا عنها: " أن الله اصطفاها على جميع نساء العالمين" انظر هذا الكلام المطلق، اصطفاها وطهرها على كل نساء العالمين، هذه شهادة على ما لمريم من مركز ممتاز، ليس فقط لأنها صارت أم المسيح أم المخلّص، ولكن بفضيلتها التى أهلتها لهذا الشرف، لأنها لو لم تكن مريم بهذا العمق من الفضيلة لما إختارها الله لهذه المهمة ولهذه الرسالة، ولذلك فإن الملاك حينما حيّاها قال لها " سلام لك أو سلام عليك أيتها الممتلئة نعمة" المشحونة نعمة، حسب النص القبطى واليونانى ، مشحونة أو ممتلئه نعمة أى ممتلئة فضيلة وليس المنعم عليها، ولكن حتى المنعم عليها ، لايوجد منعم عليه إلا لو كان مستحقاً لهذا الإنعام .

على أى الأحوال قال الكتاب المقدس " كل مجد إبنة الملك من داخل " أى فى أعماقها وخباياها وضميرها، انطوت مريم من الداخل على فضائل أهلتها لهذا الشرف الكبير .

شفاعتها تشملنا جميعا وتباركنا جميعا، وفى هذه الأيام المباركة التى فيها نحتفل بهذا الصوم الكبير صوم العذراء مريم، الذى يحبه الجميع حتى غير المسيحيين يحبون هذا الصوم ويمارسونه، نطلب فى هذا الصوم أن تكون لنا روح الورع والتقوى ، ونقضيه فى عبادة ترفع عقولنا إلى فوق، وترفع نفوسنا إلى المقادس العَلِيَّة وتكون فرصة تقوية وتنشيط ونهضة روحية .

يبارك الرب حياتكم جميعا، إنى مسرور وفرحان جدا بعملية التعمير هذه ، الحمد لله ، كل مرة نزور هذه الإيبارشية المباركة نجد خطوة جديدة من خطوات التعمير . أرجو الرب أن يبارك حياة الأخ الحبيب جزيل الإحترام الأنبا بولس والكهنة وخدّام الكنائس والشعب المبارك شعب هذه الإيبارشية، حتى يتعاونوا جميعا ويتكاتفوا لبناء بيت الرب بالإسلوب الكريم الذى يليق بمجده تعالى .

له الإكرام إلى الأبد آمين ..

٧- المظهر والجوهر - السطحية والعمق(١)
فى الحياة الدينية
مع تطبيق على حياة العذراء

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

نقرأ من الإصحاح الحادى عشر من الإنجيل للقديس لوقا ومن العدد ٣٧ بركاته على جميعنا آمين .

" وفيما هو يتكلم سأله فريسى أن يتغذى عنده، فدخل واتكأ، وأما الفريسى فلما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغذاء. فقال له الرب أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والصحفة وأما باطنكم فمملوء إختطافا وخبثا ، يا أغبياء أليس الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضا، بل اعطوا ما عندكم صدقة، فهوذا كل شيء يكون نقيا لكم. ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل . وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولاتتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لايعلمون .

فأجاب واحد من الناموسيين وقال له : يامعلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا، فقال: وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحمّلون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لاتمسون الأحمال بإحدى أصابعكم . ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم. إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم، لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم. لذلك أيضا قالت حكمة الله أنى أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون. لكى يُطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم من دم هابيل إلى دم زكريا الذى أُهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم أنه يطلب من هذا الجيل . ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ، مادخلتم أنتم والداخلون منعتوهم " . والمجد لله دائما آمين . (لو ١١: ٣٧-٥٢) .

نحن فى عشية اليوم الرابع من شهر مسرى المبارك . هذا الشهر الذى يبدأ فى اليوم الأول منه الصوم المعروف بصوم العذراء مريم .

وفى السادس عشر من مسرى نحتفل بنهاية صوم العذراء وبعيد صعود جسدها إلى السماء محمولاً على أجنحة الملائكة .

فصل الإنجيل الذى قرأناه الآن من الإصحاح الحادى عشر من إنجيل معلمنا لوقا، فيه درس أعطاه السيد المسيح للكتبة والفريسيين وعلماء الناموس أو علماء الشريعة .

وكنيستنا بتلاوة هذا الفصل فى عشية اليوم الرابع من مسرى تريدنا أن نتأمل فى كل عبارة نطق بها المسيح له المجد، وهذا الدرس هو بمناسبة دعوة من أحد الفريسيين لسيدنا يسوع المسيح ليتناول الطعام عنده ، ولفت نظره أن سيدنا لم يغسل يديه كالعادة المقررة عند اليهود، وهى عادة إجتماعية مألوفة وصحية، لكن اليهود حَمَّلوا هذه العادة معان أخرى دينية، ففى نظرهم عدم الإغتسال نجاسة، ليست مجرد نقص فى النظافة، وإنما حَمَّلوها هذا المعنى أنها نجاسة، ويبدو أن سيدنا قصد فى هذه المرة بالذات أن لايغتسل قبل تناول الطعام، حتى يكون هناك مجال لدرس يعطيه لهؤلاء الناس، لأنه علم بأنهم ينتقدونه على هذا الفعل، واعتبروه مخالفة للشريعة ومخالفة للتعاليم الإلهية ، وبهذا يكون المسيح موضع مأخذ وإنتقاد وإتهام له بأنه يأكل بنجاسة .

وطبعا الإغتسال قبل تناول الطعام فضيلة صحية، أما أن تُحمل على معنى أعمق من هذا، فهنا سيدنا أراد أن يعطى درساً كى يبين الفرق بين عدم النظافة والنجاسة. لأن النظافة مسألة سطحية خارجية وهو غسل اليدين، حقا أن هذا مطلوب وحقا أن هذه ظاهرة صحية ومفيدة، ولكن أن يكتفى الإنسان بها ويعتبر أنه بهذا قد أرضى الله ونفذ الشريعة، هذا هو المفهوم الخاطىء الذى يحتاج إلى تصحيح، كأن الله يهمه السطح والخارج ولم ينتبهوا إلى العناية بالباطن، وهو درس يعطيه المسيح ليبين أن الباطن والمحتوى الباطنى للإنسان هو أهم من النظافة الخارجية، هذه لاتمنع تلك، إنما أن نفهم الطهارة فقط بعملية خارجية وهى غسل اليدين، هذا تشويه لمعنى الطهارة وتشويه لمعنى القداسة، لأن الله قدوس والقداسة جوهرها الطهارة ، والطهارة لاتكون بالغسل الخارجى من دون الغسل الباطنى للقلب وللمحتوى الباطنى من النجاسة، نجاسة الجسد ونجاسة القلب .

فهنا سيدنا له المجد يريد أن ينبه الأذهان إلى أن الطهارة المطلوبة ليست مجرد الغسل الخارجى للأعضاء الظاهرة ، وإنما النجاسة ، نجاسة الفكر ونجاسة القلب والشهوة الرديئة التى يشتهيها الإنسان ، وبها يتنجس قلبه وفكره وإحساسه .

اصنعوا هذه ولاتتركوا تلك :

ولذلك سيدنا هنا لايريد أن ينقض مبدأ غسل اليدين من حيث هو قاعدة صحية، ولكن يريد أن يوبخ اليهود على أنهم فهموا أن الله يرضيه فقط أن يغسل الإنسان يديه وبهذا يبدو طاهراً أمام الله .

هذا هو المعنى الذى أراد المسيح أن يوضحه مصححاً ذلك التفكير العقيم، والدليل على ذلك أيضا أنه قال لهم أنتم تؤدون العشور النعنع والشبت والكمون و.... ، وتركتم جوهريات الشريعة الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولاتتركوا تلك، وهنا يبدو أرثوذكسية التعليم ، اعملوا هذه ولاتتركوا تلك . فالسيد المسيح لم يهمل الإغتسال وذلك من أجل سلامة الجسد من الناحية الصحية ، وحتى لاتدخل الميكروبات والأمراض إلى جسد الإنسان نتيجة إهمال هذه العادة ، ولكن ينبغى أن نفهم أولا أن المحافظة على صحة الجسد ليست هى فقط التى ترضى الله ، الله فاحص القلوب والكلى، قبل كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة ، ليس مايدخل الفم ينجس الإنسان بل الذى يخرج هو الذى ينجس الإنسان ، لأن من القلب يخرج الشر والقتل والسرقة، من القلب تخرج ، هذا هو المعنى ، القلب أولا قبل اليدين ، اعملوا هـــذه ولا تتركوا تلك، فالسيد المسيح لايمنع غسل اليدين، إنما كان مدخل لكى يلقى هـــذا الدرس بالنسبة لهؤلاء الناس الذين شوهوا مفهوم الشريعة، واعتبروا أن هذا هو الذى يرضى الله ، فهو يريد أن يصحح هذا التفكير ويبين أن الله يرضيه أولا نقاوة القلب ، وطهارة الضمير، وطهارة الحياة، لأن من القلب تنبع الأفكار والرغبات والشهوات ، ولذلك قال لهم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الوصايا الحق والرحمة والإيمان، كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ، هذا هو التعليم الأرثوذكسى ، الإثنين مطلوبين، لكن أن يكتفى بالنظرة السطحية للأمور، ويهتم جدا بنظافة الجسد فقط، ويعتبر أن هذا هو الذى تطلبه الشريعة ويتطلبه الله ، هذا خطأ وإهانة للذات الإلهية لأن الله لا يُضحك عليه، وهو فاحص القلوب والكلى، لماذا قال القلب والكلى؟ لماذا لم يقل الكبد أو الأمعاء؟ لماذا القلب والكلى؟ ولم يقل الطحال أو المرارة، ولكنه اختص القلب والكلى لأن القلب هو(الطلمبة) التى تدفق الحياة، تدفع الدم فى الشرايين، ومع دفق الدم تتدفق الرغبات والإحساسات والمشاعر، أما الكلى، فلأن الكلية تتميز بكثرة ما فيها من تلافيف دقيقة جدا ، لدرجة أن بعض المراجع الطبية يقولون كلام لا يستطيع الواحد أن يتصوره ، يقولون أن الكليتين لو تم فردهما إلى آخرهما لأمكن أن

يلفا حول الكرة الأرضية، كيف ذلك؟ هذا الكلام موجود فى بعض المراجع الطبية، هذا معناه أن الكليتين التلافيف فيها " مكرمشة " على بعضها، متداخلة داخل بعضها، لذلك قال الله فاحص القلوب والكلى لماذا ؟ لأن الكلية ملفوفة على بعضها، فهو الوحيد الذى يستطيع أن يرى هذه الأمور الخفية، التى لايستطيع أحد أن يراها .

النظافة للجسد مهمة ولها قيمتها، من حيث أنها نظافة وهى نافعة، وأيضا تقى الإنسان من شر الأوساخ والقاذورات والميكروبات وما إليها، كل هذا لازم وضرورى لصحة الجسد، لكن الخطأ الذى أراد أن ينبه له والدرس الذى أراد أن يعطيه هنا بهذه المناسبة وهو متعمد، دفعه أن لايغسل يديه قبل الأكل، لكى يُلفت النظر إليه فى عدم غسله يديه ويكون هناك مجال لهذا الدرس، التعليم بالمثال، ينتهز فرصة هذا الأمر لكى يعطى الدرس المهم فى الموضوع .

وتكلم السيد المسيح عن كيف أن الكتبة والفريسيون، ينقون خارج الصحفة والكأس، والصحفة هى الطبق، بينما من الداخل مملوء نتانة وعفونة، أى منطق هذا، كيف الإنسان يبلغ به هذا الأمر أن يهتم بالخارج، خارج الصحفة والكأس ويغسلهم من الخارج ويترك العفونة والسم فى الداخل، فالأضرار الحقيقة موجودة فى داخل الكأس وداخل الصحفة، كان هؤلاء الناس علماء الشريعة، يقدمون المفاهيم على أن هذه رغبة الله، فى الوقت الذى فيه الله يرفض ذلك، وهذا ليس معناه أن الله يرفض النظافة الخارجية، ولكن أن يشوهوا المقاصد الإلهية ومقاصد الشريعة، بأنهم يحولون المعنى الجوهرى إلى معنى لفظى خارجى، هذا مرفوض من الله، فسيدنا له السلطان أراد أن يصحح هذه المفاهيم الخاطئة وهذا التشويه لمفاهيم الشريعة .

نقاوة القلب وعمل الرحمة :

ثم يقول السيد المسيح إصنعوا صدقة، فما علاقة الصدقة بهذه النقاوة؟ الصدقة هى أعمال الرحمة ، لكن أعمال الرحمة ليست هى إعطاء النقود فقط، إعطاء النقود واحدة من أعمال الرحمة ، إنما أعمال الرحمة هى كل أعمال العطاء، سواء كان عطاء مادى أو عطاء معنوى، كل خدمة نجد أن الإنسان محتاج لها من أى نوع، حتى لو كانت خدمة سطحية أو خدمة مادية، أى خدمة لأى إنسان محتاج لأى شىء، وهنا تختلف الخدمات للناس بإختلاف إحتياجاتهم، الإنسان بقدر وجوده فى الحياة تتعدد إحتياجاته، وتختلف احتياجات الواحد عن الآخر، ومهمة الكنيسة أن تعمل على سد إحتياجات الناس جميعا رغم إختلافها ، يجب على الكنيسة أن لا تتجاهلها وتتصور أنه يمكن سد

هذه الإحتياجات بالناحية المادية فقط، لا.. إنه يقول اصنعوا صدقة، أى رحمة ، أى اهتموا بالخدمة العملية، بهذا الأسلوب أنت قلبك يتنقى بعامل من عوامل تنقية القلب وهو الحنان، لأنك عندما تنظر إحتياجات الآخرين تجد الحنان دخل إلى قلبك، وتشعر أنك تشفق على هذا الإنسان المتعب والمتضايق والمتألم، هذا الحنان دليل على أنك تشارك سيدك، كونوا رحماء كما أن أباكم السماوى رحيم. فالرحمة تعمل وتساعدك على تنقية قلبك، التنقية ليست فقط بأنك أنت تهرب من المثيرات التى تنجس القلب، المفروض بالنسبة للشباب ولكل الناس المجربين بتجارب وشهوات ونزوات، أنه من جهة يهرب من المثيرات أو المداخل التى تدخل منها الخطيئة، ولكن أيضا هم فى حاجة إلى ناحية إيجابية مثل حشد الذهن وحشد القلب بإهتمامات روحية، تغطى على هذه الشهوات والنزوات، ومن بينها أعمال الرحمة وخدمة الآخرين، عندما يفكر الإنسان فى خدمة غيره، أولا يشعر بهذا الإحتياج عند الآخرين، وهذا الشعور يقربك من سيدك ويقربك من خالقك لأن الله رحيم، فعندما يكون عندك رحمة تكون قد اقتربت إلى سيدك، وهذه تقربك أكثر مما تغسل يديك .

الإهتمام بالجوهر أيضا :

المهم ياأولادنا أن هذا هو الدرس الذى أراد المسيح أن يُعلّمنا إياه، لا أن نحتقر غسل اليدين والنظافة فهى مفيدة ونافعة للجسد، ولكن أن لانكتفى بغسل اليدين ونترك القلب نجساً، ننقى خارج الصحفة والكأس ونترك داخل الكاس مملوء عفانة ونجاسة، ليس هذا منطق الكائنات العاقلة، ليس هذا منطق الكائنات التى تتميز بالإخلاص والحق، القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس، الإنسان يمكن أن يخدع نفسه بتصرفات معينة، يوهم نفسه، نعم وهذا ما نسميه بالإيحاء الذاتى، يوهم الإنسان نفسه بتصرفات معينة، يعمل تعويضا لكى يهرب من أخطائه ، يصنع تصرفات خارجية يعوض بها عن النقص الذى يشعر به من الداخل، لكن لا.. الله لايُضحك عليه، إلتفت لنفسك ياإنسان، لاتغطى خطاياك بهذا الأسلوب، لاتغطيها بورق التين، وورق التوت، لا.. كحل عينيك بكحل روحانى فتبصر، اشترى منى ذهباً مصفى بالنار كما يقول فى سفر الرؤيا، خذ منى لباس البر لكى لايظهر خزى عريتك، إلتفت لنفسك، لاتخدع نفسك ولاتخدع غيرك، أنت تتعامل مع سيدك، وسيدك يهمه القلب أولاً، فإلتفت لنفسك ولاتعش فى الخداع، إنما كن صريحاً، كن مخلصاً، والإخلاص يقتضيك أن تكون صريحا مع نفسك، لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكم حكما عادلاً، سيدنا قال لا

تحكموا حسب الظاهر ولا تظنوا أنى أنا أحكم حسب الظاهر، لا..ادخل يابطرس إلى الأعماق، ألق شبكتك فى الأعماق تجد السمك، الأعماق، إنما الديانة السطحية الخارجية لا.. كيف ترضى سيدك وهو فاحص القلوب والكلى، تكذب على سيدك وخالقك؟ الذى ركّب نسيج جسمك، يارب قد اختبرتني وعرفتنى، عرفت جلوسى وقيامى وفهمت فكرى من بعيد، ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها، هذه المعرفة فوقى لا أستطيعها، إنما أنت، أنت تعلم كل شىء أنت الذى ركّبت نسيجى، أنا لا أخدعك، لو فكرت فى نفسى أن أخدع إلهى أكون قد كفرت بالوجود الإلهى ، وفى أن الله هو الذى يعرف الأعماق ويدخل إلى الأعماق، ويتطلب من الذين يتبعونه أن لايكونوا سطحيين، إنما فى كل شىء أن يدخلوا إلى الأعماق .

العذراء الممتلئة نعمة :

بهذا نتعامل مع سيدنا بالصدق وبالحق لا بالباطل ولا بالكذب، هذا الدرس نافع لنا فى هذه المناسبة، بمناسبة صوم العذراء مريم .

العذراء مريم كانت هذه الإنسانة العميقة فى داخلها، ليس فى طفولتها فقط ولكن فى صباها أيضا، يقول عنها الكتاب: " أنها كانت تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها ". صبية فى نحو ١٣أو ١٤سنة يكون عندها هذا الإدراك، تكون متميزة بالصمت والتأمل والتفكير وتدخل إلى داخل نفسها، لو إنسانة غيرها وفى سنها كانت " ترقص فرحاً " أمام هذه المناظر الجميلة العظيمة، ملاك من السماء يحييها بتحية، لم يحيى بها رئيس كهنة " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " ممتلئة ، ماذا تعنى هذه الكلمة ، ممتلئة تعنى مشحونة نعمة، وذلك قبل أن يحل المسيح فيها، وهذا هو الذى أهلها أن يختارها الله لهذه المهمة، كانت ممتلئة نعمة، مثل الوعاء الممتلىء أنت ممتلئة تقوى، ممتلئة فضيلة، ومع ذلك تقول أنا أمة الرب ، وبعد ما شرح لها الملاك أن هذا الحمل الإلهـــــــى لايتعارض مع إحتفاظها ببكارتها وبتوليتها الدائمة، تقول " تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى تواضع أمته "، كلمة تواضع هنا يا أولادنا ليس بمعنى أن القديسة مريم تمدح نفسها أنها متصفة بالتواضع، لا .. هنا التواضع بمعنى الوضاعة، أنا وضيعة، أنا حقيرة، الله نظر إلى حقارتى، ليس تواضع بمعنى فضيلة التواضع، ولو أن فعلا التواضع بمعناه الحقيقى أن الإنسان ينكر نفسه على حقيقتها، ما هو التواضع؟ التواضع من وضع، أى لايعطى الإنسان حجما لنفسه أكبر من حجمه الحقيقى، هذا هو التواضع، لكن مع هذا مريم العذراء لاتقول كلمة تواضع بهذا المعنى،

لا .. هنا تواضع بمعنى نظر إلى حقارتى، الوضاعة يعنى الدونية، من أنا؟ من أنا؟ ليحدث هذا كله ؟ .

الشيء المدهش حقا أنها صبية، فى سن ١٣ أو ١٤ سنة، لو كان حدث هذا لإنسانة كبيرة فى الفضيلة أو كبيرة فى السن، كما قلنا مثل القديسين والقديسات، إنما صبية فى هذا السن الصغير، تشعر بهذا وتشهد السماء عنها، هذه ليست شهادة قليلة، الملاك يقول لها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " مشحونة، مملوءة من طفولتها طهارة، ونقاء، وعبادة، وممارسة الإتضاع ، وممارسة الفضيلة، لم يخدش ذهنها شيء من النجاسة أو شيء من الشر أيا كان، شحنت، هذا التعبير اليوم نستخدمه فى الكهرباء، مشحونة، العذراء مشحونة نعمة ، ما معنى مشحونة نعمة ؟ الكتاب المقدس يقول " دعوا الروح يملأكم " دعوا الروح ، أى لا تعطله ، ممكن الروح يملأك لكن أنت لا تعطله ، سلم حياتك ، هذا التسليم والتعامل والتلامس والتماس مع القوة الإلهية يعمل فيك .

التواضع يؤدى إلى الإمتلاء :

لابد ياأولادنا الصنبور أو الحنفية تكون أعلى من الحوض، الحنفية فوق والحوض تحت، بهذه الطريقة تنزل المياه من الحنفية على الحوض، لا ينفع أن يكون الحوض أعلى من الحنفية، ما معنى هذا الكلام؟ معناه أنه يوجد قوة إلهية أنا أتعامل معها، أنا أكون تحت وهى تكون فوق، وأنا أتلامس معها ، فأنا أضع نفسى فى وضع المتواضع بلا مقاومة وبلا رفض، وبلا شك، وأترك عمل النعمة يدخل ويدخل ويدخل وأنا أقبله، " افتح فاك وأنا أملأه " افتح ، أنت لاتغلق فمك، افتح فاك وأنا أملأه، لتكن أنت الحوض ونعمة الله الصنبور والحنفية التى تنزل عليك، وبهذه الطريقة يملأ الحوض، لا يمكن أن يكون الحوض أعلى من الحنفية، هذا هو التواضع، أفهم نفسى على حقيقتها، لا أعطى لنفسى حجم أكبر من حجمى، إنما أفهم نسبتى إلى خالقى، نسبتى إلى سيدى، أنا العبد وهو السيد، أنا المخلوق وهو الخالق، أنا الذى داود النبى يقول عنه " أنا بهيم عندك " بهيم!! ياداود أنت ملك ونبى، نعم بهيم، ماذا تعنى بهيم ؟ تعنى أنى لا أفهم، لماذا ؟ لأن حكمتك أعلى يارب، أنت الحكيم وأنا اختبرت نفسى فى مواقف متنوعة، وظننت فى نفسى أنى ذكى وأنى نبيه، ولكنى اكتشفت غباوتى وعدم فهمى، فأنا سلمت أمرى إليك لأنى لا أفهم شيئاً، وأنت تفهم كل شيء، من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً، أنت الحكيم يارب وأنا الجاهل، يوم أن تقولها وتقولها من قلبك تعمل النعمة فى قلبك، بدون أن تشعر، إن لم تقلها بلسانك أنك أنت لست شيئاً، لايعمل معك الروح

القدس لأنك أنت متعالى، الحوض فوق الحنفية... لايعمل معك، إنما يوم أن تُسلّم حياتك لسيدك، يتضع قلبك وتتعامل معه من الباطن وبالعمق، لا بالسطحيـــــة ولا بالظاهرية، وليست المسألة غسل الأيدى، ولكن المسألة إنى أنا أحرص على قلبى من أن يدخل فيه فكر شرير، أو ميل أو نزعة تتعارض مع الطهارة الحقيقية ، " فوق كل تحفظ احفظ قلبك "، أنت عليك الواجب، لا تقل ربنا يعمل، لا..لابد أن تعمل أنت أولا، فوق كل تحفظ احفظ قلبك، أنت يا إنسان، لا تنكر أنك أنت تقدر أن تعمل، على الأقل نيتك وقصدك، وأنك أنت تحرس نفسك، احرس نفسك من العوامل المفسدة لحياتك، اقفل الباب أمام الأشياء المفسدة والمنجسة، اهرب منها، الذكى يبصر الشر فيتوارى، هكذا قال الحكيم " الذكى يبصر الشر فيتوارى " هذه حكمة وليست ضعف، ليست نقص فى الشخصية ، اهرب ، ولكن فى نفس الوقت هذا العقل لابدَ أن يشحن ، خزان ، اخزن فيه المعانى الصالحة، بالتأمل والقراءة، "عظوا أنفسكم كل يوم، مادام الوقت يدعى اليوم" على الإنسان أن يقلب التعاليم التى بداخله، لو كان هناك سيدة تطبخ وتركت الوعاء بلا تقليب يلصق الطعام بالوعاء، فتحتاج من وقت لآخر إلى تقليب، هذا التقليب يمنع الطعام من أن يلصق بالوعاء، وما أهمية هذا ؟ أهميته أن ينضج الطعام كله بدرجة واحدة ، فأنت لكى تكون واحداً ولاتكون مبعثراً أو مشتتاً أو أشلاء ممزقة، تحتاج من وقت إلى آخر أنك تقلب نفسك، قلب التعاليم التى أنت سمعتها، انظر نفسك من الداخل، وهذا يحتاج إلى نوع من أنواع السكون، أن الإنسان يقفل على نفسه أحيانا.

اغلق حواسك :

سيدنا يقول " إذا أردت أن تصلى اغلق بابك " ماذا يعنى " اغلق بابك " الباب هنـــا ليس فقط باب الحجرة الداخلية، ولكن أيضا الحواس وهى أبواب المعرفة، الأذن، والشم والذوق واللمس، والنظر، الخمسة حواس المعروفة، أعطى لنفسك فرصة وأغلق الحواس، الفكر الخاص بك يكون مركز، وهذا التركيز يساعدك على الإثارة الداخلية، مثل يا أولادنا عندما يكون عندك عدسة ونضعها تحت الشمس، المهم أن نثبتها، فنجد أن الشمس العظيمة التى تملأ السماء والأرض تدخل فى بؤرة العدسة، فتجد أنك يمكن أن تشعل ورقة أو أى شيء ، كيف؟ لأن الشمس الكبيرة ببهائها دخلت داخل البؤرة فحدث تركيز، ولكن بشرط أن لا تهتز، بشرط الثبات والتركيز، هكذا النفس البشرية بالتأمل، بالتفكير والهدوء وإغلاق الحواس، يدخل الإنسان داخل نفسه فيحدث الإشراق، ماذا يعنى الإشراق؟ يعنى نور الله يدخل داخل هذه النفس، لأن هذه النفس على صورة

الله، قبس من الألوهة، هذه الجوهرة الغالية التى أخذها كل واحد منا من السماء، الروح الإنسانية، هذه الجوهرة أعطيها فرصة، فرصة للهدوء والسكون والسلام، والبعد عن المثيرات والأشياء التى تبعثر النفس، وتشدك ناحية اليمين والشمال، والشوائب المختلفة التى تشدك من هنا وهناك، لا ... اهدأ واغلق بابك فتجد النور الإلهى يدخل إلى البؤرة، بؤرة النفس، تنير نفسك، تجد نفسك فهمت أشياء لم تفهمها من قبل طوال عمرك، وهذا نتيجة أنك وضعت نفسك فى وضع الهدوء والسكون، وهذا هو الكلام الذى يقوله الناس الروحانيون، لايصلون إلى هذه الروحانية إلا عن طريق فترات الهدوء والسكون، سيدنا نفسه، عندما كان يجد تلاميذه منفعلين كان يدعوهم : تعالوا إلى موضع خلاء، وعندما تجمع الناس عليه فى البرية وصنع معجزة الخمس خبزات والسمكتين، يقول: أمر تلاميذه أن يسبقوه إلى العبر إلى أن يصرف الجموع، ماذا يعنى بكلمة يصرفهم، يعنى بعد الأكل هناك طلبات للناس، مثل مايحدث للكهنة بعد القداس، هذا يطلب طلباً وذاك يقول شيئاً معيناً بعد أن صرف الجماهير يقول الكتاب المقدس صعد إلى الجبل وحده، حتى من غير تلاميذه، لوحده، وذلك لكى يرسى هذه القاعدة لنا نحن، إن كنا خداماً أو أفراداً، الإنسان منا فى حاجة إلى الهدوء ، وكنيستنا الجميلة ترتب لنا فترات الصوم، بقصد أن هذه الفترات فترات تعبدية، نحن عندنا سبعة أصوام عامة، وهى صوم الميلاد وصوم يونان والصوم الكبير وصوم العذراء و... إلى آخر هذه الأصوام العامة، ثم الأربعاء والجمعة، كل هذه الأصوام المقصود منها أن تكون فترات تعبدية، فمن الخسارة أن تفوت علينا هذه الفترة دون أن ننتفع بها، لأن نوع الطعام له أهمية، لأن اللحوم تعمل شغب فى الجسم وشغب فى العقل، لكن النباتات تعطى الدم الهادىء لذلك تجدوا الحيوانات آكلات اللحوم متوحشة، قاعدة عامة بلا إستثناء، لايوجد إستثناء واحد، الحيوانات آكلات اللحوم متوحشة، والحيوانات آكلات النبات هادئة، مثل البقرة والجاموسة، والثور، والفيل، ثم الطيور الدواجن، والفراخ ، والحمام، والعصافير إلى آخره ، لكن الطيور التى تأكل لحوم مثل النسر والصقر والبومة هذه متوحشة، لذلك يسمونها الطيور الكواسر، إنما الحمام واليمام والعصافير هادئة، تجد الفيل بهذا الحجم الكبير ويركب عليه طفل صغير ويلعب عليه ولا يحدث شىء، وكلب صغير يخاف منه الرجل الكبير، كلب لأنه من آكلات اللحوم، لكن الفيل مع هذه الضخامة لا يؤذى أحداً، قاعدة عامة وبلا إستثناء الحيوانات آكلات اللحوم متوحشة، الحيوانات آكلات النبات هادئة، فهذه فرصة يا أولادنا، هذه حكمة، حكمة كبيرة جدا فى كنيستنا أننا نعيش بعض فترات على الأقل فى السنة نباتيين، وهذا يساعد

على الهدوء النفسي، وعلى عدم العصبية وعلى عدم الغليان وعلى عدم القلق، يساعد على نمو الروح أيضا وعلى استشراق الروح، وعلى الاستشراقات الإلهية فى قلب الإنسان وفى روحه .

سيدتنا العذراء كانت هذه الإنسانة العميقة منذ طفولتها المبكرة. صدقونى أنا استعجب جدا جدا عندما أتأمل فى العذراء فى هذه السن المبكرة كيف يكون عندها هذا العقل ، وهذه الحكمة كلها والهدوء كله ، حياتها كلها، وهنا فى مصر وما رأته وماتحملته، ثم مأساة صلب المسيح ، ماهو تصرف العذراء، لم ينسب إليها أى تصرف أو كلمة، لم تشتم أحدا ولم تصنع شيئا، ولم تحكم على أحد، ولا قالت أى كلمة، كانت تحت الصليب وترى الآلام كلها، وتتألم، لايوجد أحد تألم مثل آلامها ، ومع ذلك لم تتصرف أى تصرف يحسب ضدها. كل تصرفاتها الحكيمة العاقلة النادرة لأنها إنسانة من الطفولة ربَّت نفسها، ربَّت نفسها على أنها تهتم بالأعماق، بالجوهر لا بالمظهر ولا بالسطوح، فالسيدة العذراء تقف أمامنا ونحن فى هذه المناسبة الكريمة صوم العذراء، مثلاً وقدوة ونموذجاً للحياة الهادئة . والحياة العميقة والتقوى الصادقة غير المخادعة ، هذه الإنسانة الهادئة، العلاقة العميقة بينها وبين سيدها .

انظروا ، تأملوا العذراء فى حياتها ، تجدون العمق، التقوى، المحتوى الباطنى، الإمتلاء بالفضيلة والنعمة " نساء كثيرات نلن فضلاً أما أنت ففقت عليهن جميعا " .

العذراء تقف أمامنا نموذجاً للحياة الطاهرة النقية ، عذراء العذارى ، طاهرة الطاهرات ، صاحبة الديانة العميقة ، الديانة الصادقة، الروحانية الصادقة غير الغاشة .

٨- العذراء مريم نموذج العمل الصالح والروحانية الصادقة(١)

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

نطالع جزء من الأصحاح السابع من إنجيل معلمنا متى البشير بركاته علينا آميـن " ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل ذلك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات ، كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب، ألم نكن نتنبأ باسمك، وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا معجزات كثيرة ، فعند ذلك أُعلن لهم أنى ماعرفتكم قط، فابعدوا عنى يافاعلى الإثم ، فمثل من سمع أقوالى هذه وعمل بها كمثل رجل حكيم بنى بيته على الصخر ثم هطل المطر وجرت الأنهار، وهبت الرياح ولطمت ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر، ومثل من سمع أقوالى هذه ولم يعمل بها كمثل رجل غبى، بنى بيته على الرمل ثم هطل المطر وجرت الأنهار، وهبت الرياح ولطمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما "(مت٧: ٢٢-٢٧) والمجد لله دائما .

أيها الأبناء الفصل الذى قرأناه الآن هو جزء من الموعظة على الجبل ، وفيه سيدنا يقول " ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات . بل ذلك الذى يفعل إرادة أبى" حقيقة أننا فى حاجة وفى هذا الصوم المبارك إلى هذه القيمة التى ينبهنا إليها الروح القدس ، على فم سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح ، ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل ذلك الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات . نحن فى حاجة خصوصا نحن الذين نواظب على حضور الكنيسة والقداسات، ونحن الذين أيضا صمنا هذا الصوم كما صمنا الأصوام الأخرى المقررة فى كنيسة الله الأرثوذكسية، كفترات تعبدية نتعبد فيها، فنحن فى حاجة إلى هذا التنبيه ، إلى الفرق بين الديانة السطحية التى بها الإنسان يردد ألفاظاً وتعبيرات بفمه، ولكننا فى حاجة أن يكون التعبير بالفم صادراً عن القلب ، وأن تكون عبادتنا لله ليست عبادة شكليـــة

----

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء مريم بالحوامدية - الجيزة - مساء الأربعاء ٨ من أغسطس ١٩٩٠م - ٢ من مسرى ١٧٠٦ ش .

ولا عبادة ظاهرية، ولا عبادة ألفاظ فقط، إنما عبادة التعبير فيها مطلوب لكنه يصدر من القلب ، فالله فاحص القلوب والكلى، الله لا يُضحك عليه ، قد يضحك الإنسان على نفسه، قد يخدع نفسه ، قد يخدع غيره من الناس ، قد يوهم آخرين بأنه إنسان عظيم أو إنسان تقى، إنما الله هو الذى يفحص وهو الذى يعرف خفيات القلب، ويعرف إذا كانت ديانتنا لله ديانة صادقة ، إذا كان تعبدنا لله تعبد من القلب حقا، أم أننا نشارك الآخرين من الظاهر بينما أن القلب بعيد .

هنا سيدنا يسوع المسيح رب المجد العارف بأعماق القلوب، الذى يقول فى سفر الرؤيا " أنا الفاحص القلوب والكلى" لماذا القلوب ؟ القلب مصدر الحياة ، الطلمبة التى توزع الدم على كل الجسم ، ولماذا الكلى؟ ، لماذا لم يقل الكبد، لأن الكلية فيها تلافيف كثيرة جدا والله بعلمه يدخل إلى أعمق أعماق الإنسان ، فالله لايُخدع ، لايُضحك عليه، ممكن للإنسان أن يخدع نفسه مثل قول إرميا النبى "القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس" إنما لايستطيع أبدا أن يخدع الله ، ممكن أن يخدع الآخرين ، فيسمع كلمات المديح والثناء من الآخرين، على أنه إنسان طيب وإنسان عظيم وإنسان أخلاقياته عالية، لكن قد يكون كل هذا المدح ظاهر، وكما يقول الكتاب المقدس " ليكن المدح لكل واحد من الله لأن الله لا يُخدع " فمثلا فى العهد القديم يكلم الله دانيال ويقول له " دانيال أيها الرجل المحبوب " تعبير من هذا القبيل ، السماء تشهد هذه الشهادة ، يجيء الملاك ويقول " دانيال أيها الرجل المحبوب " ثلاث مرات، هذا التعبير ليس تعبيراً عادياً إنما تعبير ممتاز يقال عن رجل وهو دانيال الذى كُشفت له الأسرار .

فالمدح الحقيقى للإنسان من الله ، ممكن الإنسان من قبيل المجاملة يَمدح الآخرين أو يُمدح من الآخرين، إنما ليكن المدح من الله . هنا سيدنا له المجد ينبهنا فيقول " ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات" بل الذى يعمل إرادة أبى الذى فى السموات "، المهم العمل الصالح، لأن العمل برهان على صدق التدين، يقول : " الديانة الطاهرة المقبولة النقية أمام الله هى هذه، إفتقاد اليتامى والأرامل، وأن يحفظ الإنسان نفسه من دنس هذا العالم " . حدد مفهوم الديانة أو التدين بإفتقاد اليتامى والأرامل ، هنا العمل، لأن الله صانع الخيرات ، فنحن مدعوين أن نعمل الخير كسيدنا ، عمل الخير هو الذى يجعل الإنسان حقاً منسوباً إلى خالقه وإلى سيده ، لأن سيدنا صانع الخيرات ، فإذا كان الواحد منا يصنع الخير أكيد أنه فعلا تكون نسبته إلى الله نسبة صادقة . ولايكون تدينه تدين سطحى وشكلى، ولذلك فى يوم الحساب ويوم الدينونة الأخير سيدنا يجلس على عرش مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض كما

يفرز الراعى الخراف من الجداء ، يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره ، ويقول للذين عن يمينه " تعالوا أيها المباركون من أبى رثوا الملكوت المُعَدَّ لكم لأنى كنت جائعا فأطعمتمونى" لم يذكر الصلاة أو الصوم ، أو القراءة، يقول لأنى كنت جائعا فأطعمتمونى ، عطشاناً فسقيتمونى ، عريانا فكسوتمونى ، غريبا فآويتمونى ، مريضا فزرتمونى، فيجيبه الأبرار قائلين متى يارب... يقول لهم بما أنكم فعلتم هذا بإخوتى الأصاغر ــ وهم الفقراء ، والصغار فى المجتمع أى المساكين ــ فبى فعلتم .

فإذن الفضيلة الأولى التى سنحاسب عليها هى العمل ، الديانة الطاهرة النقية أمام الله هى إفتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقاتهم ثم أن يحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من هذا العالم. فسيدنا يريد أن يقول ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل الذى يعمل ، والعمل هنا مطلوب وهو أن يعمل الإنسان الخير ، لأن سيدنا صانع الخيرات ، فأنا الإنسان مطلوب منى أن أصنع الخير ، والخير يختلف من واحد إلى آخر بحسب الظروف التى يوجد فيها الإنسان ، حسب الزمان والمكان ، وحسب حاجة الإنسان الذى نعيش معه ويريد أن نؤدى له خدمة ، أى الخدمة حسب الحاجة الموجود فيها هذا الإنسان . جائع، عطشان، عريان ، غريب، مريض، فهى أنواع من خدمات مختلفة لكنها خدمات عملية .

وهنا تقف أمامنا العذراء الطاهرة مريم نموذجاً سامقاً عالياً فى الفضيلة منذ طفولتها الأولى، هل تصدقوا أن مريم وهى طفلة، عندما أودعتها أمها الهيكل كنذيرة، كانت الطعام الذى يقدموه لها فى الهيكل فى رواق النذيرين، كانت تقدمه للفقراء وتظل هى صائمة، كيف عرفت هذه البنت فى هذه السن المبكرة أن تصوم؟ وأيضا أن تعطى طعامها المخصص لها، وتبقى هى صائمة ، يقول الآباء أن الملائكة كانت تشفق على مريم، فكانت تأتيها بطعام سمائى، لذلك قالوا فى بعض الكتب " دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا " ، أى رزق سماوى، المهم أن مريم هذه التى نحتفل بها وأخذت الشرف الكبير أن تكون هى والدة الإله، وأن تكون المستودع الثمين، بدأت حياتها فى طفولتها المبكرة بهذه العلامات الإلهية على تقواها . مريم كانت فى كل حياتها منذ طفولتها المبكرة عابدة حافظة مصلية صائمة رحيمة على الفقــــراء والمساكين. لذلك عندما جاءها الملاك يبشرها قال لها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " كلمة ممتلئة نعمة أى مشحونة وليس منعم عليها كما يظن الناس، وحتى لو كان منعم عليها هذا الإنعام يعطى للإنسان تقديراً له ، على صفات هى فيه أو على خدمة قدمها للبلد، لكن الكلمة القبطية واليونانية " ممتلئة نعمة " أى مليانة نعمة ؟ الفضيلة فيها ،

التقوى شحنتها كلها، فأصبحت ممتلئة بالفضيلة وبالنعمة، هذا ما قاله الملاك لها قبل أن ينزل المسيح فى أحشائها ويتجسد منها، فهى من قبل الحمل كانت ممتلئة نعمة. فكرامة مريم ليس فقط لأنها صارت أم المسيح !! بل فضيلتها هى التى أهلتها وجعلتها مستحقة لهذا الشرف، لأنه لو لا أن مريم فعلاً إناء صالح مقدس طاهر نقى، ما كان الله اختاره لهذه المهمة .

فهنا سيدنا كيف يسند إلى مريم هذه المهمة الجليلة ، مالم تكن مريم فعلا صالحة لهذه المهمة، ورأى الله قلبها ورأى الله نعمته فيها، ولذلك الملاك قال لها هذه التحية قبل أن توافق هلى هذا الحمل وتقول " هوذا أنا أمة الرب ليكن لى كقولك " .

صدقونى هذه الكلمة والتحية لم يقلها الملاك لرئيس الكهنة زكريا ، عندما ظهر جبرائيل لرئيس الكهنة زكريا، قال له " لاتخف " لم يقل له " السلام لك " حقا هو كان رجل عظيم وتقى جدا والله صنع معه المعجزة الكبيرة، وهى أنه أنجب يوحنا المعمدان وهذا شرف كبير، لكن الملاك عندما جاءه من السماء لم يقل له التحية التى قالها للسيدة العذراء . وأيضا نظر الله إلى تواضع العذراء، عندما شاء الله أنها تبقى يتيمة من الأب والأم فلا يكون لها أحد تعتمد عليه أوتفتخر به ، لذلك قالت " تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى تواضع أمته " هنا تواضع ليس معناه أنها تمدح نفسها أنها متواضعة ؟ لا .. كلمة تواضع هنا معناها نظر إلى وضاعتى ، نظر إلى تواضع أمته بمعنى نظر إلى حقارتى ، ولكن شاء الله برحمته أن هذه الحقيرة يتخذها لتكون سماء ثانية ، الله حل فيها فأصبحت سماء ثانية . هنا الشرف .

فمجد مريم أنها كانت تعمل ، ليس فقط عابدة، ولكن من طفولتها أعطت حياتها كلها لله وكما قلنا حتى الطعام الذى كان يقدم لها كانت تعطيه للفقراء والمساكين، وتظل هى صائمة لكى تعيش عمليا بأن كل ما تملكه تعطيه ، فأعطت كل حياتها وهو العطاء الأعظم، أعطت حياتها وبتولتها وعفتها ونقاوتها وكل حياتها للمسيح . تتبعوا حياة العذراء مريم منذ بدءها حتى نهايتها، ماذا أخذت مريم من الدنيا ؟ ماذا كسبت ؟ ماكسبته أنها كانت مع المسيح، كانت تتبعه فى كل مكان، وكانت تسمع له، وهو كان يعتز بها، وكان دائما يقبل طلباتها ، كما حدث فى عرس قانا الجليل، وقالت لهم كل مايقوله لكم افعلوه ، أى لم تلح فى الطلب ولم تتكلم كلام كثير.

فعظمة مريم ليست من الخارج أبداً ، ولكن العظمة فى المحتوى الباطنى فى القلب، فى التقوى الحقيقية الصادقة وفى النية الصادقة ، فى الفضيلة والحكمة والوقار والتمتع بالهدوء ، كل هذا يشرح لنا أن مريم كانت مليئة بالنعمة، مليئة بالفضيلة، مليئة بالحكمة

قبل أوانها ، فهذه الكرامة أخذتها مريم لأنها مستحقة لها ، ظلت مريم واستمرت فى فضيلتها، لأنها لم تكن حديثة النعمة، بل كانت النعمة فيها أصيلة ، وهذا يدل على عمق الفضيلة فى مريم ، فمريم تُقَدم أمامنا كمثال ونموذج سامق مرتفع فى الفضيلة وفى العمق وعدم السطحية فى الحياة الدينية، وأيضا فى العمل الصالح الذى أعطت فيه حياتها كلها وسيرتها كلها مقدسة نقية طاهرة عاملة ، لم ينسب إلى مريم شر أو كذب أو إفتراء، أو شىء دنس سيرتها أو دنس طهارتها ، حتى تنيحت نحو الستين من عمرها، لم ينسب إلى مريم ، مرة واحدة فى أى شىء يشين سمعتها أو يقلل من كرامتها، إنما كل مجد إبنة الملك من داخل، قلبها، المحتوى الباطنى، حياة الفضيلة العميقة، معرفتها بالله، حتى وهى فى أصعب أوقاتها وآلامها وأثناء المحاكمات الظالمة للمسيح، وأخيرا حكم عليه بالصلب وكانت واقفة تحت الصليب، لايوجد تصرف عملته مريم معيب !!، انظروا الكمال الذى لازمها حتى فى هذه الساعات المرة، لم تخطىء مريم ، لم تتصرف أى تصرف يشينها أبدا ، بل بكل الكمال ، وبكل التقوى ، وبكل الاتزان، وبكل الوقار كانت تصرفاتها لا بكت بكاءً بطريقة منتقدة كما يحدث ولا ولولت بصورة فجة كما يحدث مع البعض ، ولا يلام عليها لأنها أم ، ولكن تمالكت العذراء نفسها ولم تخطىء لأحد، ولا شتمت إنسان، ولا أهانت أحد لا من رجال الدين ولا من رجال الحكم أبدا أبدا ، لم ينسب إلى مريم أى شىء أخطأت به أبدا، ضد أى إنسان فى هذه المأساة أو بعد ذلك .

كانت تذهب بإستمرار كل يوم إلى القبر المقدس، وتُصلِّى ومعها صويحباتها بنات جبل الزيتون ، وتُعَدُّ العذراء من هذه الناحية أول من أنشأ نظام العذارى قبل نظام الرهبنة.

منذ نشأة العذراء مريم ، كانت تصوم منذ طفولتها، ولكن أيضا حتى بعد صعود المسيح إلى السماء، كانت تمارس الصوم والصلاة، ولذلك أصبح تقليد لعذارى جبل الزيتون كن يذهبن إلى أماكن خلوية ويصومن، قصدنا من هذا أن نبين أن السيدة العذراء نموذج للحياة النقية الممتلئة بالنعمة، كل كرامتها فى فضيلتها أولا قبل أن تكون كرامتها فى أنها والدة الإله، بل إن كرامتها فى فضيلتها هى التى رشحتها أن تأخذ هذا المقام الجزيل أنها تصبح والدة الإله ، شفاعتها فلتكن معنا وليشملنا الرب ببركته كل حين ولإلهنا المجد إلى الأبد آمين .

٩- من أضاع حياته من أجلى يجدها (١)

ما معنى خسر حياته من أجلى ؟ أمن يمشى فى طريق المسيح يخسر حياته ، ما معنى الحياة هنا ؟ خسر لذة الدنيا ، خسر نعيمها، خسر الراحة ، صار فى خصومة مع آخرين فى سبيل مبادىء الإنجيل، هذا عند المسيح ربح حياته، لأن هذا الخسران كان من أجل المسيح ، من أجلى ، من أجلى خسر نعيم الدنيا .

يمكن أن يكون هذا تلميح إلى العذراء مريم !! ماذا ربحت مريم فى حياتها الدنيا، ماذا ربحت ؟ ، ماذا أخذت ؟ ماهو النعيم الذى أخذته كما يأخذ كل إنسان آخر، أي بنت أخرى تحلم ، تحلم بأن تتزوج حتى لو كانت ملكة لكى تستقر ، لكى تجد رجلاً يحميها ، لكى يكون لها أولاد ، فغريزة المرأة غريزة الولادية مهما كان لها، ولكن إذا لم تلد فإنها تشعر دائما أنها ناقصة. هذه غريزتها، كل إبنة تحلم بأن يكون لها إستقرار فى حياة الزواج، وأن تنعم برجل يناسبها يُسعدها ويُضفى عليها نعيماً، لكى تحيى على الأقل فى إستقرار وفى سلام ، ولايعوزها شيء ولاتحتاج لآخر خصوصا إذا لم يعش لها أب أو أم، تجد آمالها فى الرجل الذى تتزوجه، ماذا أخذت مريم من النعيم الذى تحلم به كل فتاة فى مثل ظروفها ، وهى هذه الفتاة اليتيمة التى ليس لها أب ولا أم وليس لها أحد آخر، ماذا أخذت ، حقيقة أنها حملت بالمسيح وهذا شرف، لكن هذا المسيح أخذت من ورائه تعباً ، تعباً فى سمعتها لأنها عاشت متهمة، وحملت معه آلامه طوال حياتها على الأرض حتى صعد إلى السماء ، ذاقت معه صليبه ، حملت معه كما يقول الإنجيل من لايحمل صليبى ويتبعنى لايحبنى ولايستحقنى (مت١٠: ٣٨) ، حملت مريم صليب المسيح ، وحملت الآلام ، ذاقت الكأس معه، عاشت معه دقيقة بدقيقة فى كل شيء ، لم يكن لها أحد آخر ، تبعته فى كل الطريق حتى بعد أن مات يوسف وكان المسيح قد بلغ فى الجسد ستة عشر سنة ، فأصبحت مريم بلا عائل فكان المسيح هو هذا العائل، لاتقولوا يكفيها أن يكون المسيح لها، هذا كلام نقوله اليوم بعد أن عرفنا من هو المسيح، ولكن هذا المسيح المضطهد ، هذا الناصرى الذى كان غصة فى أفواه قادة اليهود ، الكراهية التى صبوها عليه طوال مدة إقامته، وكانوا يتصيدون له ويرسلون من يتصيد كلماته ليدينوه عليها ، حتى قال مرة لتلاميذه إن كانوا قد اضطهدونـــــــى

----

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء مريم ومارمينا العجائبى بفاقوس شرقية – مساء الجمعة ١٦ من أغسطس ١٩٨٥م – ١٠ من مسرى ١٧٠١ ش .

فسيضطهدونكم ، بمعنى أنه قال لتلاميذه مصيركم مصيرى ها أنا أرسلكم حملان فى وسط ذئاب ، لم يعدهم بالرياحين ولا بالجنة إنما وعدهم بالألم، وفعلا ماذا رأى الرسل حتى بعد صعود المسيح إلى السماء ، تشريد وسجن ، وقفوا أمام المجمع اليهودى مجمع السنهدريم كما يتضح من الأصحاح الرابع من سفر الأعمال، يقولِ فضربوهم فخرجوا فرحين لأنهم ضربوا من أجل المسيح ، اليوم رجال الدين عندنا مكرمين، إنما فى هذا الوقت كان أكثر واحد يُضرب هو الأسقف ، لذلك الرسول بولس قال: "إن إشتهى أحد الأسقفية فقد اشتهى عملا صالحا" لأن فى هذا الوقت كان الأسقف فى نظر اليهود هو زعيم عصابة المسيحيين، فأول من يُضرب يضرب الأسقف ، الرسل كانوا قادة أو كما قالوا عن بولس الرسول مقدام شيعة الناصريين، وهى التى اعتبرها اليهود بدعة وهرطقة وشيعة وطريقة معارضة ومخالفة للطريق الإلهى، يكفى هذه السمعة، ويكفى أن يعيش الآباء الرسل وأن تعيش مريم طوال أيام حياتها تابعة لهذا الناصرى، الذى أصدر اليهود قراراً مجمعياً من مجمع السنهدريم أعلى سلطة دينية، أن كل من يؤمن به وكل من يعترف به يطرد من المجمع. فإذا كان هذا سيحدث للذى يؤمن بالمسيح فماذا يحدث للعذراء مريم ؟! الذى يؤمن بالمسيح، الذى يمشى وراءه يطرد من المجمع، يفرز من الكنيسة اليهودية كعدو لله ، وفى العهد القديم الذى يطرد خارج الكنيسة اليهودية يكون مثل الأبرص، يقطع من شعبه ، يقطع من الشركة، لايخالطه أحد ولايؤاكله أحد، ولايشاربه أحد ولايعامله أحد، إذا كان هذا شعور الإنسان المطرود ؟ فما هو شعور العذراء مريم فى ذلك الوقت؟ لاشك أنها ذاقت الأمَرِّين، ولو أن الإنجيل لم يكتب لنا ، لكن شيء طبيعى أن يحدث لها الإضطهاد ، إذا كان الرسل كان هذا مصيرهم ، إذا كان أى واحد يهودى يعترف به يُطرد ، المولود الأعمى عندما شهد للمسيح طردوه من المجمع ، وقابله المسيح وقال له أتؤمن بابن الله ؟ قال له من هو ياسيدى لأؤمن به ؟ قال له الذى يتكلم معك هو، قال أؤمن وسجد له، وصار مطرودا أى غير معترف بعضويته فى الكنيسة اليهودية، فما هو موقف العذراء مريم التى ولدت المسيح أساس المشاكل لليهود، والمتهمة فى نظرهم فى عفافها ، من كان يحميها بعد صعود المسيح إلى السماء؟ حقا أنه أخذها يوحنا إلى خاصته وإلى بيته واستمرت نحو ١٤ سنة قبل أن يتوفاها الله ويصعد جسدها إلى السماء . إنما يمكنكم أن تتصوروا الإضطهاد الذى عانته مريم ، هنا من ربح حياته خسرها ومن خسر حياته من أجلى ربحها ، هذه المسألة ليست مسألة مقارنة لفظية ، إنما هذا الكلام له معناه، إن مريم عاشت هذه الرسالة المتعبة فى حياتها وحملت صليبه برضى وسرور، وكان

كل مااحتملته مريم حسب لها براً . ولذلك وإن كانت قد خسرت الأرض ، ولكنهـــا ربحت، ربحت لأنها صارت متوجة بمجد كملكة، عندما ظهرت الست العذراء فى الزيتون، فى أحد ظهوراتها كانت تبدو وعلى رأسها تاج كملكة ، فوق الشجرتين وراء الكنيسة، رأيناها واقفة فى بياض ناصع وهى متوجة ملكة، نعم ملكة، كانت فى الأرض مضطهدة متعبة متضايقة مطرودة ، لكنها كسبت مجد السماء.

الله عادل ، الله عادل والذى يفقد يكسب والذى يكسب يخسر. اسمعوا ماقاله المسيح له المجد : فيما تحدث فيه عن مثل الغنى ولعازر، الغنى نزل إلى مكان العذاب ورفع عينيه ، كونه رفع عينيه فى مكان العذاب معناه أنه نزل إلى تحت ، وهذا مصير الأرواح الشريرة البشرية عند خروجها من الجسد ، لاتحملها الملائكة كما تحمل الصالحين ، إنما يفتح لها باب الجحيم وتستقبلها زبانية الجحيم ويمضون بها إلى أسفل، ورفع عينيه فى مكان العذاب ورأى إبراهيم وفى حضنه لعازر، لعازر البائس المسكين الذى كانت الكلاب تلحس قروحه، والذى لم يجد لنفسه غذاء ولا طعام وعومل هذه المعاملة القاسية، الغنى الذى كان يملك ويتنعم بالطعام والشراب والمسكن واللباس، هذا الغنى افتقر وصار مفتقراً إلى لعازر أن يأتى إليه وبإصبعه يبلل طرف لسانه ، أرسل لعازر ليبلل طرف لسانى لأنى معذب فى هذا اللهيب، الرد الذى قاله إبراهيم والذى المسيح جعله على لسانه، اذكر ياإبنى أنك استوفيت خيراتك فى حياتك أما لعازر فاستوفى البلايا فهو يتعزى وأنت تتعذب ، هذا هو العدل ، أنت ربحت حياتك على الأرض، استوفيت خيراتك فى حياتك ، أما لعازر فأخذ نصيبه من البلايا ، أخذ نصيبه من التعب، فالعدل الإلهى يقتضى أن هذا المتعب يتعزى، وأنك أنت الذى استوفيت خيراتك فى حياتك وأخذت كل شىء تتعذب ، كل شىء له ثمن، تبعية المسيح لها ثمن، وكلما يكون الشىء غالى يدفع فيها ثمن أكثر. قال لنا الكتاب المقدس عن لؤلؤة كثيرة الثمن غالية جدا، وجدها تاجر لم يكن معه ثمن هذه اللؤلؤة، لكن كان يملك لآلىء صغيرة ، وهو يريد اللؤلؤة الغالية الثمن فاضطر أن يبيع اللآلىء الصغيرة لكى يكون عنده الثمن الذى يقدر به أن يشترى اللؤلؤة كثيرة الثمن ، ماهى اللؤلؤة الكثير الثمن؟ الخلاص الأبدى . الحياة الأبدية ولابد أن ندفع الثمن، والثمن ليس رخيص أبدا، إذن هل نشترى نعيم الدنيا وملذاتها وراحتها على حساب مبادىء المسيح ؟! لو حدث هذا تنال الثمن ، تأخذ المقابل ، اشتريت الدنيا وأخذت جزاءك فى الدنيا ، فلاتطمع أن يكون لك جزاء فى الآخرة ، فقد استوفيت خيراتك فى حياتك، الثمن أخذته ، تذهب إلى هناك مسكين وفقير ، تطرق على الأبواب لا يفتح لك أحد ، لم ترسل شيئا قبل أن

تذهب، فتذهب إلى هناك تجد نفسك جوعان، وعطشان ، وعريان وليس لك إقامة وليس لك مكان ، لا أحد يقابلك ، ستكون هناك غريب ، لأنك لم يكن لك أصدقاء من هنا ينفعونك هناك عندما تذهب. ليس لك أحد من الأصدقاء الصالحين الأتقياء الأفاضل ، من يعرفك هناك ؟ إذا كان سيدك يقول كثيرون سيأتون إليّ فى ذلك اليوم ويقولون يارب يارب باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا .. يقول اذهبوا عنى لا أعرفكم، هذه الكلمة لا أعرفكم عندما اسمعها وأنا فى العالم الآخر من ملك السموات والأرض.. ماهو مركزى وماهو وضعى؟ أين أذهب ولمن أذهب؟ من الذى يساعدنى، لا أقدر أن أصلّح وضعى ، لأنه ضاع منى الوقت ، لا أقدر أن أعمل شيء ، سأنال الشقاء الذى أستحقه، لأنى سعيت إليه ، ودفعت ثمنه فى الدنيا . فكل شيء له ثمن ، فإذا كنت تريد أن تكسب هنا تكون عملت على أن تخسر هناك .

إذا أراد الإنسان أن يأخذ راحته فى العالم الآخر لابد أن يبيع الدنيا ويبيع راحته فى الدنيا ويبيع نعيم الدنيا، ولا يأسف عليها ويتحمل الألم بلذة. يحمل الصليب وهو فخور بالصليب ، لايهرب من الصليب ، ولايخجل من الصليب ، لا.. يحمله بفخر " أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا أيضا قد صلبت للعالم " .

يقيناً العذراء مريم حملت مع المسيح صليباً لم يحمله أحد من الرسل أو من القديسين ، لأنها عاشت معه ظروفه وتبعته فى كل مكان ، كل ماوقع عليه من ضرب ومن ظلم ومن إضطهاد وقع عليها بالمثل ، لأنها ارتبطت به وحملته فى بطنها، وفى حضنها ، وعلى ذراعيها ، وعاشت معه تابعة له فى كل مكان ، فكان نصيبه نصيبها بغير إفتراء ، العذراء ارتبطت بالمسيح ، واندمجت فيه وصارت معه ، ليس لها وجود لوحدها ، ليس لها كيان لوحدها ، صار نصيبه نصيبها ، ونصيبها نصيبه .

١٠- العذراء مريم نموذج لحياة الصلاة الدائمة مع روح الإتضاع (١)

بسم الله القوى الآب والابن والروح القدس آمين .

فصل الفريسى والعشار المأخوذ من الأصحاح الثامن عشر ومن العدد التاسع إلى العدد الرابع عشر من إنجيل معلمنا لوقا البشير. وفيه يضعنا سيدنا له المجد أمام قضية فى غاية الأهمية لمسيرة الحياة الروحية .

يقول فصل الإنجيل أنه ضرب المثل لقوم يثقون أنهم أبرار، ويزدرون بالآخرين، ويتمثل هذا فى رجل فريسى، والفريسيون قوم يسمون كذلك لأنهم مفرزون ، أى يثقون أنهم متميزون عن الآخرين ، وأنهم أسمى من غيرهم وأنهم حماة الشريعة ، فريسى وقف ليصلى، وكان هناك أيضا رجل عشار، والعشار واحد من فئة جامعى الضرائب، فكانت الحكومة الرومانية تفرض على كل إنسان فى هذه الدولة أن يدفع عشور دخوله للدولة، وكان العشار هو المتعهد بأن يسدد للدولة هذه الضرائب، وفى مقابل ذلك يعطى لهذا العشار الحق أن يجمع مايشاء ولا يحاسبه أحد، بل تزوده بالجند والعسكر الذين عن طريقهم يجمع هذه العشور للدولة الرومانية ، فكانوا هؤلاء العشارون يتميزون بالقسوة والظلم ، ومن أجل هذا كانوا مكروهين ، فسيدنا له المجد يقدم المثل فى هذا الفصل على أُناس يثقون بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين ، وهذا يتمثل فى هذا الفريسى الذى يُعد من طبقة المفرزين المتميزين عن غيرهم، هذا الرجل الفريسى وقف ليصلى فماذا كانت صلاته ؟ بدأ بالقول أشكرك اللهمّ لأننى لست مثل أولئك الناس المغتصبين الظالمين الفاسقين، ولا كهذا العشار، هذا الكلام يقوله الفريسى فى صلاته والصلاة من الصلة وهو واقف أمام الله جعل نفسه قاضياً، وأبرز نفسه أنه بار وأنه ليس كسائر النــــاس المغتصبين الظالمين الفاسقين، وعلى هذا يشكر الله، والحق أنه لايشكر الله إنما يشكر نفسه .

فكم من الناس أيضا يستخدم أمثال هذه العبارات، التى فيها يبرز أنه يُصلّى أو أنه يشكر الله ، ولكنه فى واقع الأمر لايشكر الله إنما يشكر نفسه ، ويعلن عن نفسه أنــــه

------

(١) عظة ألقيت بكنيسة العذراء بالمعادى – القاهرة . صباح الأحد الموافق ١٩٩٢/٨/١٥ م – ٩ من مسرى ١٧٠٩ ش .

أفضل من غيره، وفى ذكره لغيره يحتقر غيره، نسى هذا الإنسان أنه هو أيضا عبد لله، مَن الذى أقامك ياهذا فى هذا الوضع حتى أنك تبرز نفسك عن غيرك، وتَدَّعى لنفسك أنك أفضل من غيرك أمام الله ؟ اترك هذا الأمر لله ولاتحكم كما يملى عليك غرورك وكبرياؤك وغطرستك وظنك فى نفسك، لست صادقاً أيها الإنسان ، أنت تقول أننى أشكرك اللهمّ لأنى لست كسائر الناس المغتصبين الظالمين الفاسقين، افحص نفسك لعلك وأنت مخدوع فى نفسك تكون واحداً من أولئك المغتصبين الظالمين الفاسقين، ولكنك لاترى نفسك على الحقيقة ، هناك غشاوة الكبرياء على عينيك، يامرائى أَخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن ترى القذى الذى فى عين أخيك ، فى عينك ليس قذى صغير بل خشبة ولكنك لا تراها، إنما ترى القذى الذى فى عين أخيك أما الخشبة الكبيرة التى فى عينك لا تفطن لها . أنت تخدع نفسك ، أنت مغرور فى نفسك، أنت مخدوع ، الغرور قد خدعك وجعل حجاباً على عينيك فلا ترى الحقيقة كما هى ، اخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ ترى جيدا القذى الذى فى عين أخيك . أتظن فى نفسك أنك تُرضى الله ؟ الله أبو الجميع والله لايرضيه أبدا ، أنك ترفع نفسك وتخدع نفسك وتميز نفسك وتحتقر غيرك ، هو لمولاه يسقط أو يقوم، أما أنت فمن أنت الذى تدين غيرك ، أنت واقف أمام الله تصلى، مابالك تتكلم عن أخطاء الآخرين ، انظر إلى نفسك أولاً، استرحم الله واستغفر عن خطاياك، أتظن أنك تستطيع بهذا الغرور أن تنال رحمة من الله ، أبدا ، هكذا يقول المسيح أن العشار المعدود بين الخطاة نزل مبرراً إلى بيته أكثر من ذلك الفريسى، لأنه نظر إلى نفسه وأدرك خطاياه ولم يشأ أن يرفع عينيه إلى السماء، لأنه رأى ذاته غير مستحقاً فأخذ يقرع صدره ، ويلوم نفسه ويؤنب ذاته لاغيره، ويقول ارحمنى اللهم أنا الخاطئ ، هذه الصلاة سُر لها قلب الله على الرغم من أن هذا الإنسان محسوب بين الخطاة وبين القساة، لكن لأنه فى حضرة الله لام نفسه وحكم على نفسه ، لم يداهن ذاته ، لم يقارن نفسه أو يرفع نفسه على غيره، إنما اعترف وأقر ولم ينكر أنه خاطئ، قرع صدره ، بَكّت نفسه ، ندم ولم يشأ أن يرفع عينيه، وجد نفسه غير مستحق أن يرفع رأسه لأنه مثقل بخطاياه ، إنما قال : " ارحمنى اللهم أنا الخاطئ " .

سيدنا له المجد وهو فاحص القلوب والكلى، قال عن هذا العشار على الرغم من سابق خطاياه أنه نزل إلى بيته مبرراً، أما ذلك الفريسى الذى احتقر غيره وفى صلاته لم يدن نفسه إنما أدان غيره ، وقال أنا أصوم مرتين فى الأسبوع – فى ذلك الوقت كان الفريسيون على الخصوص يصومون يومىّ الأثنين والخميس – فكان يبرز

فضائله فى حضرة الله بدلاً من أن يبرز خطاياه ويلوم نفسه عليها ، هذا الإنسان نزل إلى بيته غير مبرر ، لم تغفر له خطاياه بل نزل إلى بيته مثقلاً بخطاياه مرفوضا من الله ، فماذا نفعته صلاته !! بالعكس كسب من وراء صلاته دينونة أكثر ، ليته ما صلّى، مثل ما قال المسيح عن يهوذا "كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" عبارة قاسية ، كان خيراً لذلك الفريسى لو لم يُصلّى، بدلا من أن يستجلب رحمة الله عليه ، استجلب غضب الله عليه .

إذن ليس كل من يصلى ولا كل من يدعو تقبل صلاته ، مَن الذى تقبل صلاته ؟ هذا الإنسان الذى يضع ذاته ، يلوم ذاته ، يوبخ ذاته ، يدين ذاته ، يجعل نفسه أقل من غيره، وأن غيره مقرب من الله أفضل منه ، يقدم الآخرين على نفسه ، هذا هو الإنسان الذى صلاته ترضى الله ، أما ذاك فكما يقول الكتاب المقدس " صلاته مكرهة " ، تعبير صعب ، فى الكتاب المقدس يقول عن أمثال هذا الفريسى صلاته مكرهة ، ماذا تعنى مكرهة ؟ تعنى غير مقبولة، وبدلا من أن تكون صلاته رائحة بخور زكية أمام الله، يشتمها الله فيسر بها كصانع الخيرات، تصير هذه الرائحة كريهة أمام الله ، صلاته تصير رائحة كريهة، وكلنا نعرف معنى الرائحة الكريهة، وهذا ما يقوله الله فى موضع آخر، " الأشرار دخان فى أنفى " انظر تعبير كلمة دخان فى أنفى ، كلنا نعرف أن الدخان فى الأنف غير مقبول ، والواحد يتأفف منه ويبعد عنه ، هكذا صلاة الأشرار مكرهة ، وأيضا الرب يقول أنها دخان ، أما صلاة الأبرار فيتنسم الرب بها رائحة الرضا ، وهذا هو المعنى الطقسى من رفع البخور بالكنيسة ، رفع البخور له معنى أننا نحرقه من أجل الله ، فهو للعبادة لكن أيضا تخرج منه رائحة زكية ، فهو يشير إلى الصلاة المقبولة أمام الله .

وفى ترتيب الكنيسة أن المبخرة أو الشورية توضع فى حلقة على باب الهيكل ، فى كنائسنا الحديثة نسوا هذا، إنما نجدها فى كنائس الصعيد ، فتظل رائحة البخور صاعدة بإستمرار كبديل عن مذبح البخور المصنوع من الذهب فى الهيكل القديم، كنوع من العبادة لله كرائحة بخور زكية . البخور يظل مرفوعاً دائما كل الصلاة ، ليس فقط فى الأوقات التى يمسك فيها الكاهن بالمبخرة، وإنما فى غير ذلك من الأوقات لأنها تشير إلى الصلاة المرفوعة أمام الله .

وهكذا نؤمن أن صلوات القديسين فى العالم الآخر على المذبح الإلهى، وأيضا صلواتهم رائحة بخور ذكية أمام الله ، وهكذا قيل فى سفر الرؤيا أو الجليان عن الأربعة والعشرين كاهنا، أنهم يرفعون البخور مع صلوات القديسين .

إذن هذا هو المعنى من أن المسيح له المجد يقول عن الفريسى أنه نزل إلى بيته غير مبرر ، مثقل بخطاياه ، لم يستطع لغروره أن ترفع عنه خطاياه فنزل بها مثقلا ، صلاته لم تقبل فلم ترفع عنه خطاياه ، أما ذلك العشار الذى انسحق فى الحضــرة الإلهية، ولم يجد نفسه مستحقا أن يرفع عينيه بل قرع صدره وبكّت نفسه ، وقال فقط هذه العبارة الواحدة الوحيدة " ارحمنى اللهم أنا الخاطىء " ، لم يقل أنا الذى لست مثل أولئك الأشرار الفاسقين الخطاة والظالمين، لا.. بل قال أنا أول الخطاة. هذه النغمة سُرّ بها المسيح الرب ولذلك قال عن ذلك العشار أنه نزل إلى بيته مبرراً .

ألا نتعلم ياأولادنا من هذا الكلام كيف ينبغى نحن أن نصلى ، وفى حضرة الله كيف ينبغى أن نتضع ، وأن نلوم النفس وأن نقرع الصدر ، ليس فقط من الخارج ، إنما من الداخل ينسحق الإنسان وهو يلوم نفسه، ويقرع ذاته على تعدياته على الشريعة وعلى مخالفاته الكثيرة ، كيف تزعم أيها الإنسان أنك بار؟ راجع نفسك وراجع حياتك، لو أنت تهتم حقيقة لمتابعة سيرتك لكنت تعرف كم هى عثراتك وكم هى خطاياك ، سواء التى صنعتها بإرادة أو التى صنعتها بغير إرادة ، التى صنعتها بمعرفة والتى فعلتها بغير معرفة، الخطايا الخفية والظاهرة ، كل هذه أنت غافل عنها لأنك تحملق فى خطايا غيرك ولكنك غافل عن نفسك ، أتظن أنك مهما تكن لك بعض الأعمال الصالحة أنك بهذا ترضى الله ، أتظن أنك بهذه الصلاة وبهذه المشاعر يمكنك أن تكون مقبولاً أمام الله ؟ حاشا ... الله الفاحص القلوب والكلى، لماذا الفاحص القلوب والكلى ؟ لأن الكلية تتميز بأنها كثيرة التلافيف فالأشياء الداخلية والمخفية الله يفحصها، لذلك يقول الله أنه فاحص القلوب والكلى .

فأيها الإنسان المغرور تواضع أمام الرب ، واعترف بأنك مخطىء سواء كنت تعلم أو لاتعلم، وابكى خطاياك واقرع قلبك من الداخل ، وبخ نفسك ، وهذا هو الاتضاع ، يقول المسيح له المجد من وضع نفسه ، أو خفض نفسه ارتفع ، ومن رفع نفسه اتضع. هنا اتضع ليس بمعنى اتضع من الداخل، ولكن بمعنى نزل وهذا حكم إلهى .

أنظارنا الآن تتجه بهذه المناسبة إلى السيدة العذراء ، هذه الإنسانة التى بعد أن أتمت الرضاعة لمدة ثلاث سنوات كما هو مقرر، وهو النظام الطبيعى، وهى عملية مفيدة جداً تعمل عملية تنظيم للنسل بطريقة طبيعية، تعطى فرصة للمرأة أنها تستريح ، ولا تحتاج إلى حبوب منع الحمل المجّرمة التى تتسبب فى تشويه الأجنة وأمراض تصيب السيدات، فهى عملية تنظيم طبيعية هذا إلى جانب أن الطفل الذى ترضعه أمه يكون عنده مناعة ضد الأمراض، لأن لبن الأم فيه حصانة طبيعية، وبعد مدة الرضاعة

القانونية حملتها أمها وأبوها إلى الهيكل، وقدمتها نذيرة للرب . وكان نصيبها صالحاً في أنها منذ طفولتها نشأت هذه النشأة الدينية الطاهرة، أولا تربية أبويها وكان أبوها وأمها فى حياة التقوى والقداسة، ويقال أن الثلاث سنين الأولى أهم فترة فى حياة الطفل، هى التى ترسم شخصية الطفل مدى الحياة، وتضع الخطوط العامة الكبيرة فى حياة الطفل ، وهناك قصة أن سيدة جاءت لأحد المربين الكبار، وقالت له أعطينى إرشادات ، وساعدنى على تربية طفلى ، قال لها كم سنه ؟ قالت له خمس سنين ، قال لها امضى ياسيدتى فقد مرت الفترة التى يمكن فيها أن تصنعى شيئا . فالثلاث سنين الأولى كما يرى المربيون أن فيها تتكون نفسية الطفل، ولذلك تكون أهمية الأم وأهمية الأب فى هذه الفترة، لأن فيها ترسم الخطوط الأساسية فى حياة الطفل .

عاشت مريم طفولتها بين أبوين قديسين وبعد ذلك دخلت إلى الهيكل وعاشت فى هذا الجو الروحانى، جو الصلاة والعبادة والتقوى والأناشيد الدينية والترانيم ، كل هذا ساعد على تنمية الحياة الدينية فى مريم، إلى أن بلغت الثانية عشرة من عمرها . هذا يعطينا فرصة لنتأمل حياة مريم الطفلة ، عاشت كل هذه الفترة فى التأمل وفى العبادة وفى تسبيح وفى صلاة ، ولم تختلط بمعاشرات رديئة، عاشت فى جو الصلاة والعبادة. ولكن مات والداها، لماذا يارب هذه الإنسانة التى ستتشرف بأن تكون والدة الإله، لماذا يارب تحيا هذه الحياة وهذه الطفولة المعذبة ؟ تفقد أباها وتفقد أمها لماذا يارب ؟ لماذا يشاء لمريم هذه الطفولة ، ليس هذا من نوع التخلى عن عنايته ، إنما حكمته حتى تكون مريم متفرغة، بلا أب بلا أم تنقطع للصلاة وللعبادة وقد كان فعلاً .

فمريم بحكمة علوية شاء الله لها هذه الطفولة ، مع أنه كان يمكن أن يحوطها برعايته لكن لا .. له حكمته فى أن تعيش مريم فى هذه الطفولة حتى لاتكون مستندة إلى أب أو إلى أم، ولا إلى أسرة وحتى تنقطع وتتبتل ، لأنه ماهى البتولية ؟ التبتل هو الإنقطاع ، فإنقطعت مريم فى طفولتها بهذه العبادة فتقدست وتطهرت وتنقت، وأحبت هذا النوع من الحياة، ومن طول ممارستها لهذا النوع من العبادة ، أحبت مريم هذه الحياة ، وفى الثانية عشرة من عمرها كان ينبغى أن تترك الهيكل ، لأنها سن البلوغ ، فكان يجب أنها تخرج، ولكن إلى أين تذهب مريم ؟ وليس لها أب ولا أم، يشاء الله أن يعلن لزكريا أن يجمع عصىّ الشيوخ والشبان من البلدة التى تنتمى إليها مريم، ومريم تنتمى إلى بيت لحم وتسمى مدينة داود، كما يذكر الكتاب المقدس فى أكثر من موضع. بيت لحم ، لحم كلمة عبرانية معناها الخبز ، بيت لحم معناها بيت الخبز ، هذا من جهة التفسير اللفظى للكلمة نفسها ، فجمع زكريا العصىّ ووضعها فى الهيكل فإذا بالعصا

المكتوب عليها اسم يوسف تفرخ بمعنى تخرج براعم ، كيف لعصا جافة تخرج منها براعم، فهذه معجزة وكانت علامة سمائية على أن إرادة الله أن تكون مريم فى كنف هذا الرجل، فكانت هذه معجزة ولكن أيضا كانت هذه نبوءة أن العصا وهى جافة تفرخ وتخرج منها براعم، فكانت هذه رمزاً لمريم لأنها وهى البتول النقية الطاهرة التى لم تتزوج، يخرج منها النسل الطاهر ، ويتخذ المسيح منها جسدا .

من هنا سميت عصا هرون لأنه حدث مثل هذا بالنسبة لهارون، لأنه لكى يبين الله إرادته فى إختيار الإنسان الذى يكون كاهنا له ، جمع موسى عصىّ الأسباط الإثنى عشر ووضعها فى الهيكل ، فإذا العصا المكتوب عليها اسم هرون أفرخت ، فكانت علامة من السماء على أن الله اختار هارون ليكون كاهناً له . فهذا هو السبب لماذا فى ألحان الكنيسة نسمى العذراء عصا هرون ؟ لأنها وهى البتول النقية الطاهرة خرج منها النسل الصالح .

مريم تعطينا صورة للإنسان الذى يعطى حياته للصلاة وللتأمل وللعبادة، هذا الفصل الذى نقرأه الآن ، وفى هذا الوقت بالذات كأن فيه تلويحا إلى مريم ، التى اختارت النصيب الصالح ، وعاشت بتولة طاهرة نقية للصلاة والصلة الدائمة لله ، ومع ذلك حينما أراد الله لها هذا الشرف الكبير، أن المسيح الإله يتخذ من دمها جسداً يستتر به لاهوته، وحينما ذهبت إلى بيت أليصابات، وقابلتها أليصابات بهذه التحية: " من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىّ " لم يصب مريم الغرور، وإنما قالت " تعظم نفسى الرب " أى أن التعظيم لله وليس لها، لم تقل كما قال الفريسى، بل قالت " تعظم نفسى الرب لأنه نظر إلى تواضع أمته ، تواضع أمته تعنى حقارتى ، تواضع ليس بمعنى أنها تصف نفسها بفضيلة الإتضاع، لا .. كلمة تواضع تعنى وضاعتى ، أنا وضيعة أنا حقيرة .

هذا هو تواضع مريم ومن أجل هذا رفعها الله ، أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين ، رفعك يامريم فوق الملائكة ورؤساء الملائكة ، أنت الآن يامريم فوق الكاروبيم وفوق السارافيم ، حملت على ذراعيك رب السموات والأرض ، ما هذا الشرف يامريم الذى نلتيه ؟ جلس على ركبتيك ، نام بين يديك، الجالس فوق الكاروبيم، فكنت أنت يامريم مركبة شاروبيمية جلس الرب عليها، بطنك يامريم صارت سماء ثانية ، ماهذه الكرامة يامريم !! أنت الطفلة اليتيمة لا أب لك ولا أم ولا أسرة تستندين إليها أو تتشرفين بها أو تشعرين أنها تسندك ، شاء الله لك هذه الطفولة المعذبة ، هذه الطفولة اليتيمة ، شاء أن تكونى كعليقة ، عليقة موسى التى رآها فى البرية، شاء الله

لك ذلك على الرغم من أنك أنت ستصيرين والدة الإله ، شاء لك هذا حتى لايكون لك أحد تعتمدى عليه ، فأعطيتى حياتك كلها للمسيح ، أنت يامريم فى نظر نفسك وضيعة حقيرة ليس لك شىء ، ليس لك أحد تستندين إليه ، هذا هو الذى حفظك يامريم من الغرور ومن الكبرياء ومن الغطرسة ومن الشعور أنك شىء ، هذا هو الذى حفظك فى تواضعك وفى إحساسك بحقارتك ووضاعتك أمام الشرف الذى نلتيه يامريم . وهذا هو الذى صان مريم كل أيام حياتها، فلم تخطىء مريم ولم تقع فى الغرور ولا الكبرياء ، ظلت أمينة مخلصة وحتى بعد صلب المسيح أعطت حياتها للصلاة الدائمة .

فمريم حتى يوم نياحتها، حياتها كلها صلاة ، ماذا شغلت به مريم إلاّ الصلاة ؟ إلى يوم نياحتها . ولذلك سيدنا نزل بنفسه وقت نياحتها ليتسلم روحها بيده وهذه كرامة مريم، فهى الملكة أم الملك وإلى الآن فهى فى المجد .

فمريم الإنسانة التى أعطت حياتها للصلاة ، لايوجد شىء آخر شغلها ، تبتلت والتبتل معناه الإنقطاع ، وكما نقرأ الإنجيل دائما فى عشية عيد ميلاد العـــــذراء ، " فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد " ، والكنيسة تلوح بتلاوة هذا الفصل قصة مريم أخت لعازر إلى مريم العذراء لأنها هى فعلا التى اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد .

على أى الأحوال ياأولادنا السيد المسيح يعطينا فى فصل عشية هذا اليوم معنى التواضع، وكيف أن الإنسان الحقيقى السائر فى طريق السماء يقرع صدره، ويشعر أنه ليس شيئا أمام الله، وأنه أقل من غيره وهذا هو التواضع. وأيضا يعطينا صورة الصلاة المقبولة أمام الله، وهى الصلاة المرفوعة مع روح الإتضاع الذى ينبغى .

نريد أن نستفيد من فرصة هذه الأيام المباركة لكى نتمثل بالسيدة العذراء ونتعلّم منها، لكى نعطى حياتنا لله ، نعطيها ليس كرهبان ولكن على الأقل فترات معينة، مثل فترة الصوم نختبر التأملات العالية ونعيش روح الصلاة بالإتضاع مع الإنسحاق ومع تقريع النفس .

هذه فرصة نراجع أنفسنا، ونمارس التوبة ، ونمارس الاستغفار والاسترحام والتقدم إلى الأسرار المقدسة لكى نتطهر بها ولكى نشارك بها السمائيين .

ربنا يسوع المسيح يحفظكم جميعا باسمه المبارك بلا لوم أمامه بروح الإتضاع وبروح الصلاة ، له الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

١١- القرابة الروحية وسموّها عن القرابة الجسدية

هوذا أمك وأخوتك خارجاً يطلبونك :[١]

اليوم فى فصل الإنجيل رتبت الكنيسة أن يُقرأ الفصل الذى فى نهايته، بينما كان المسيح له المجد يعلم، إذ بأُناس جاءوا وقالوا له "هوذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك " (مرقس٣: ٣٢) .

هؤلاء الأخوة ليسوا أخوة على الحقيقة، وإنما أخوة بمعنى الأقارب ، أولاد العمومة والخؤولة فى بلاد الشرق يسموا بالأخوة ، مثل أبونا إبراهيم عندما قال للوط " نحن أخوان " بينما كان إبراهيم عم لوط ، ومثل ما قال لابان ليعقوب " نحن أخوان " ، لأن العذراء مريم كانت وظلت عذراء، فمن غير المعقول أنها بعد ماولدت المسيح أنجبت . هذا مستحيل، هناك إشارة فى الكتاب المقدس فى يوحنا ١٩ عدد ٢٥ عندما يقول : " وكان واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا " ويروى الآباء وتاريخ الكنيسة أن حنة أم العذراء بعد أن فتح الرب رحمها، وولدت العذراء مريم، ولدت بنتاً أخرى وسمتها مريم، وقالت مريم الأولى من نصيب الرب وأما هذه فمن نصيبى، هذه الإبنة الصغيرة التى هى أصغر من العذراء عندما كبرت تزوجت برجل اسمه كلوبا أو حلفى ، كلوبا الاسم اليونانى ، وحلفى الاسم الأرامى ، حيث كان عند اليهود الواحد يأخذ اسمين مثل شاول وبولس ، ومثل سمعان وبطرس .

فكان الشخص يُسمى باسمين اسم عبرانى أرامى، واسم آخر يونانى نظراً لسيادة الثقافة اليونانية فى ذلك الوقت، فكلوبا هو حلفى ، كلوبا باليونانى وحلفى بالأرامى أو العبرانى، فأنجبت مريم زوجة كلوبا أو حلفى أربعة أولاد وبنات ، يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ، ولذلك تعرف فى الإنجيل إما بأنها مريم زوجة كلوبا أو مريم أم يعقوب ويوسى ويهوذا، ولكن أحيانا يكتفى أنها مريم أم يعقوب .

وأيضا يقول لنا يوسيفوس اليهودى فى كتابه ، وأيضا يوسابيوس القيصرى ، أن يوسف خطيب ستنا مريم كان أخاً لكلوبا، إذن هؤلاء الأولاد أولاد مريم زوجة كلوبـــا. وكلوبا هذا أيضا أخو يوسف خطيب ستنا مريم ، إذن هم أولاد عمومـــــة وأولاد

---

(١) عظة ألقيت صباح الأحد الموافق ٢١ من أغسطس ١٩٧٧م - ١٥ من مسرى ١٦٩٣ ش بكنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوى- بالأنبا رويس بالعباسية مصر .

خؤولة فى نفس الوقت، هؤلاء هم الأخوة المذكورين فى الإنجيل، عندما قالوا له " أمك وإخوتك يطلبونك خارجا " وفى الغالب أنه لم يطلبه أحد، وإنما هذا كلام بعض الناس المعاكسين المضايقين، لم يحدث أبداً أن العذراء مريم ذهبت تطلب المسيح وتجعله يترك الناس، لم يحدث أبداً ، مثل ما قالوا للمسيح مرة "هوذا هيرودس يطلبك ويريد أن يقتلك"، فقال لهم قولوا لهذا الثعلب أنه ينبغى أن أعمل اليوم، ولم يكن هذا الكلام موجهاً إلى هيرودس لوحده، وإنما إلى هؤلاء الناس المتطفلين الذين يتدخلوا فى بعض الأحيان للمقاطعة والإعاقة، فهؤلاء الناس عندما قالوا له " هوذا أمك وإخوتك خارجا يطلبونك " فى الواقع هذا الكلام لم يحدث، وإنما هى تطفلات الناس الذين يريدون أن يعطلوه ويضايقوه، وعادة يعملوا هذه الأشياء للإعاقة وللإغاظة . ولذلك كان رد المسيح: " من هم أمى وإخوتى ؟ الذى يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى" المعنى من هذا أنه يريد أن يقول أنه منذ الإبتداء لم تكن تعنيه فى شىء العلاقات الجسدية ، المسيح عندما كان سنه ١٢سنة بالجسد، وذهب إلى الهيكل وكان فى وسط المعلّمين يسألهم ويسمعهم، فلما رجعوا ولم يكن المسيح معهم فظنوه مع الناس، ولما لم يجدوه رجعوا مرة أخرى إلى الهيكل فوجدوه فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ، فالعذراء قالت له هوذا أبوك وأنا ، كلمة أبوك هنا بالوضع لا بالطبع، بالوضع لا بالطبيعة ، وضع يوسف بمثابة الأب الجسدى لأنه هو المتكفل به كرجل، " هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين "، فقال لها " أما كان ينبغى أن أكون فيما لأبى "، أى أن هذا مكانى، الوضع الطبيعى أنى أنا أكون هنا، فعندما يقولوا له أمك وإخوتك يطلبوك أى إنهى الكلام ، فهم ناس ليس لهم غرض أو قبول لهذا الكلام ، فيتطفلوا ويتطوعوا لمهمة لم يكلّفهم أحد بها إنما من تلقاء أنفسهم يتكلمون، فالمسيح رد عليهم ، لم يرد على العذراء لأن العذراء مستحيل تعمل عمل مثل هذا، فقال لهم من هم أمى وإخوتى ؟ أنا الآن أب للكل لا أبحث عن العلاقات الجسدية، أى إنسان أصبح له مركز عام أو وضع إجتماعى كبير فى الدولة، يأبى أن يحدث تدخل من الأب والأم والإخوة فى شئون الدولة، على أساس أنه وإن كانت له علاقة جسدية، لكن هذه العلاقة محدودة، وإنما هذا الرجل وإن كان ابنهم، لكنه وصل إلى هذه المكانة العامة فيصير عمله لمصلحة الكل، ولم تعد علاقته بالأب والأم والأقرباء والإخوة علاقة تختلف عن علاقته بسائر الناس، حيث أنه أصبح شخصية عامة أو عمومية، فمن باب أولى المسيح له المجد وهو أب الكل ، وكما وضح وهو فى طفولته فى الثانية عشر من عمره أنه ينبغى أن يكون فيما للآب، فهنا رد عليهم وهو يعلم تماماً أنه لا العذراء ولا هؤلاء الإخوة طلبوه، وأراد أن يعطيهم فى هذا درساً

أنه هو كأب وكراع وكمعلّم علاقته بالناس فوق العلاقات الجسدية وفوق العلاقات اللحمية ، وأن العذراء أرفع من أن تكون علاقتها به من أجل أنها أمه، ولكن العكس هو الصحيح، لأن المسيح لم يختارها لتكون أما له، إلاّ لأنها مصطفاه ومختارة وأفضل من جميع النساء . لأن الملاك عندما جاء ليبشرها قال لها " السلام لك أيتها الممتلئة نعمة " "من هى أمى وإخوتى" ؟ لاتفكروا أنى سأحابى كما يحدث مع بعض البشر، عندما يكون هناك قاضى فاضل ويكون هناك قضية فيها أحد من أقربائه يتنحى عن هذه القضية، لئلا يتأثر بالعلاقة الجسدية فى مسألة قانونية، فبإعتباره رجل الدولة لا يصح أنه يتأثر بهذه العلاقات الجسدية ، فما بال المسيح أراد أن يعلّمهم هذا الدرس، من هم أمى وإخوتى ؟ لا تفتكروا أنه لأنها أمى أترك الجماهير وأذهب إليها، هى لايمكن أن تكون طلبت هذا الطلب، إنما هو يرد على هؤلاء الناس المتطفلين الذين يريدون أن يعطلوه، وأن ينقطع عن مواصلة التعليم والخدمة، لأن تعليمه يضايقهم وهؤلاء من الكتبة والفريسيين ، أرادوا أن يتدخلوا بهذه الحجة، وأيضا لكى يضعفوا معنوياته لأنه عندما يقولوا له أمك وإخوتك يُدَّخلوا العوامل الجسدية ، وهذا إنزال وتحقير من مقام هذه الشخصية العامة، عندما يربطوه بعلاقات جسدية، فأراد أن يفهمهم أنه أب للكل ومعلّم للكل وسيد للكل ، بل إن العذراء لم تصبح أماً لى إلاّ لأنها سمعت كلام الله وعملت به، ولذلك قال من هم أمى وإخوتى ؟ الذى يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى .

أنا اقول هذا الكلام لأنه يوجد بعض الناس الضعفاء السطحيين، وخصوصا من غير الأرثوذكسيين، يأخذ هذا الكلام على سطحيته، ويتصور أن المسيح بهذا أهان العذراء أو تنكر لعلاقته بها. لا.. هنا كما شرحت المسألة مسألة رد على هؤلاء الناس المعوّقين الذين أرادوا أن يتلفوا صورته أمام الناس، بأن يصوروه على أنه إنسان مرتبط بهذه العلاقات الجسدية، فأراد أن يعطيهم درساً فى هذا السمو وهذا الإرتفاع عن العلاقات الجسدية، وأنه كأب للكل تربطه بالجميع رابطة الحب ورابطة الإهتمام، ليس لأن هذه أمه أو هؤلاء إخوته، لكن لأنهم يسمعون كلام الله ويعملون به .

من هى أمى ومن هم إخوتى: (١)

لم يخرج المسيح وإنما قال " من هى أمى ومن هم إخوتى" ؟(مت١٢: ٤٦) إن من يصنع إرادة الله هو أبى وأخى وأختى وأمى . لذلك فإن إجابة المسيح لم تكن موجهة

إلى العذراء مريم، لكنها كانت موجهة إلى هؤلاء الناس، وهو يريد أن يعرفهم أنه وإن كان قد جاء في الجسد، وإن كان قد ولد أو تجسد أو اتخذ جسدا من العذراء مريم، لكن هذه العلاقة الجسدية بالنسبة للمسيح له المجد، ليست هى التى تحكم تصرفاته حيال البشر، لأن كل الخليقة خليقته وكل البشر أمامه سواء، ولاميزة لإنسان على آخر بالنسبة له كخالق البشرية جميعا، إلا إذا كان هذا الإنسان تقياً يخاف الله، ويحفظ وصاياه ويعمل بها، هذا هو الذى يرجح مقام هذا الإنسان ويرفعه فوق غيره من الناس.

ومريم ليست كل علاقتها بالله أنها حملت وولدت ، هذا المفهوم ينبغى أن ينقلب ، هى حملت لأنها استحقت هذا الشرف وهذه الكرامة ، لأن أخلاقياتها وروحانياتها قبل أن تحمل بالمسيح كانت واضحة، ولهذا السبب أُختيرت لهذه الكرامة ، فليس أى إنسانة كان ممكن أن المسيح يتجسد منها !! لا .. هى أُختيرت لجدارتها قبل أن يحل المسيح فيها ، كانت ممتلئة فضيلة وممتلئة نعمة ، وهذا هو الذى رشحها لهذه المهمة ، فقبل أن تكون هى حاملة للمسيح فى أحشائها، كانت هذه الوديعة الطاهرة النقية المصطفاة ، كانت فضائلها عظيمة جدا ومملوءة من الداخل ، وهذا ما قاله الملاك لها قبل أن تحمل " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة " ، فهى ممتلئة فضيلة ، ممتلئة قداسة ، طاهرة نقية وطهارتها هى التى رشحتها وأهلتها لهذه الكرامة ولهذا الشرف .

لذلك المسيح يوجه الكلام أصلا لا للعذراء مريم ، وإنما لهؤلاء الناس الذين تداخلوا وجاءوا يقاطعونه ويقولون له أمك وأخوتك خارجا يطلبونك، فأراد أن يبين لهم ، من أمى وإخوتى؟!! . فقال من هم أمى وإخوتى ، "إن الذى يصنع إرادة الله هو أبى وأخى وأختى وأمى" ، لكى يبين أنه كإله للكل الجميع عنده سواء ، أما العلاقات الجسدية فلا يمكن أن تؤثر على علاقته، بل إختيار المسيح للعذراء مريم كان بناء على أهلية مريم، لأنها هى التى عاشت طفولتها وحداثتها فى حياة الفضيلة والطهارة والنقاء والصلاة والعبادة والصوم، ونذر التبتل لله ، كل هذا عاشته مريم ، ومن أجل هذا أُختيرت مريم لتكون جديرة بأن يتجسد الإله منها ، فهنا كلام المسيح دفاع عن مريم ، وبيان لفضيلة مريم، وبيان أن مريم ليست مجرد أم جسدية ، بل أهم من هذا أنها تصنع إرادة اللــه،

---

(١) عظة ألقيت بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بدير الأنبا رويس بالعباسية – صباح الأحد الموافق ٢١ من أغسطس ١٩٨٨م – ١٥ من مسرى ١٧٠٤ ش .

وسبق أن صنعت إرادة الله فى كل حياتها، وهذا هو الذى أهلًها لهذا الشرف وهذه الكرامة .

وهذا هو السبب أن كنيستنا إختارت هذا الفصل ، ليقرأ فى هذا الأحد الثالث من مسرى ، وهو الذى يقع فى صوم العذراء مريم قبل الاحتفال بصعود جسدها، لكى يبين كرامة مريم وأنها ليست مجرد أم جسدية ، أو كما يظن بعض الناس غـــــير الأرثوذكسيين، ولايخجلون من هذه التعبيرات الحقيرة، أن العذراء مجرد وعاء ، أنا أقول أن المخرج لرواية لايمكن أن يسند دوراً لممثل، قبل أن يعلم استحقاق وقدرة هذا الممثل لهذا الدور ، فكيف ينسب إلى مريم ، هذا الدور مالم يكن الله يعلم سابقا بأهلية مريم، وفعلا كل النصوص يدافع فيها المسيح عن مريم ليبين كرامتها .

الكتاب المقدس يقول: " نساء كثيرات نلن فضلاً أما أنت ففقت عليهن جميعا " ، ويقول " كل مجد إبنة الملك من داخل " أى فضائلها فى أعماقها ومحتواها الداخل عظيم، والله نظر إليها ونظر إلى نقاوة قلبها، وهذا هو الذى أهلًها وشرَّفها ومن أجله أُختيرت، فهى مصطفية واصطفيت، والإختيار والاصطفاء دائما يكون للأحسن ، فهى أُختيرت أو مختارة، والاصطفاء معناه يوجد تمييز بين مجموعة أخرى وتكون هى الأفضل بينهم .

فإذن هى مختارة ومصطفية لأن محتواها الباطنى، قداستها وسيرتها ونقاوتها هى التى جعلتها هذه الإنسانة الطاهرة. ولذلك من ضمن الألقاب " غير الدنسة "، طبعا غير الدنسة بخطايا فعلية ، لأنها كإنسانة محتاجة إلى الخلاص، وقالت "تبتهج روحى بالله مخلصى". فالعذراء كأى إنسان آخر من بنى آدم محتاجة إلى خلاص المسيح ، نعم .. لكن عندما نقول " غير الدنسة "، نقصد غير الدنسة فى أخلاقياتها الخاصة وفى حياتها الخاصة، ⲛⲁⲧⲑⲱⲗⲉⲃ تعنى " التى بلا عيب "، إنما من جهة إحتياجها إلى الخلاص نعم ، وما كان لمريم أنها تخلص من غير المسيح، لأن المسيح هو المخلِّص بالألف واللام . لذلك نقول " لأنك ولدت لنا مخلِّص العالم "، فهى أم المخلِّص، فالمخلِّص واحد وهو المسيح ، لكن إذا قال واحد فى بعض الأحيان " خلصينى يامريم " يقصد خلصينى من تجربة معينة، لكن ليس الخلاص من الخطيئة الأصلية أو الخلاص الأبدى !! لكن ممكن بمعونتها ومساعدتها وشفاعتها وصلواتها أنها تُخلِّص إنسان من مأزق معين أو تُخلِّصه من مرض أو شىء من هذا القبيل ، هذا هو الخلاص الجزئى، إنما الخلاص العام هى أيضا إحتاجت إليه، لذلك قالت " تبتهج روحى بالله مخلصى" .

وفى نفس الوقت تعبير المسيح له المجد. عندما قال من هم أمى وإخوتى ؟ إن الذى يصنع إرادة الله هو أخى وأختى وأمى، فتح الباب أمام كل إنسان لكى يكون موضع عناية الله ورحمته، حتى لو لم يكن لهذا الإنسان صلة جسدية ، فبهذا فتح الباب على مصراعيه لكل إنسان إذا سلك طريق الفضيلة، وعمل بوصايا الله ينال هذه العلاقة وهذه الرعاية تماماً تماماً ، لأن المسيح ليس فى حاجة إلى هذه العلاقات الجسدية، ولا يحابى بالوجوه، ولايفضل إنساناً على إنسان لمجرد هذه العلاقة الجسدية حاشا .. ففى نفس الوقت الذى فيه المسيح دافع عن العذراء وأبان جدارتها واستحقاقها لهذه الكرامة، فى نفس الوقت فتح الطريق أمام الناس، حتى لايكون عدم وجود علاقة جسدية عائق، أو تبرير لهذا الإنسان أن يشعر أن الله يتخلى عنه أو يتركه. ويبين أنه ممكن لأى إنسان إذا عمل بوصايا الله وحافظ وأطاع فإنه ينال كرامة ويصبح للمسيح أخاً، المسيح قال عن الفقراء إخوتى ، قال أنه فى يوم الدينونة يقول للأبرار " كنت جائعـــا فأطعمتمونى، عطشان فسقيتمونى ، عريان فكسوتمونى، فيقول له الأبرار متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ، هم لا يُكذبوه لكن مندهشين لهذا ، نسوا فضائلهم، فيقول لهم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم، انظر كلمة أحد إخوتى هنا ، فإذن الفقراء إخوة للمسيح ليس لأن لهم علاقة جسدية، ولكن لأنه هو أيضا افتقر فصار أخاً للفقراء والفقراء أصبحوا إخوته ، بهذا وسع المسيح مفهوم الأخوة والأبوة والأمومة من أن يكون محصوراً فى علاقة جسدية إنما يمتد ويتسع لكل البشرية ، إذا كانت فى هذا الإنسان الأهلية أن يشترك مع المسيح روحياً، فبهذه العلاقة الروحية قبل الجسدية يصبح للمسيح قريباً وأخاً وأختاً، وأن المسيح عندما كلم مريم المجدلية بعد القيامة قال لها " اذهبى لإخوتى وقولى لهم أن يذهبوا إلى الجليل هناك يروننى"، إخوتى ، مع العلم تلاميذ المسيح لا علاقة جسدية لهم بالمسيح، ولا أيضا يستحقون لأنه هو الخالق والسيد وهم عبيد ، مرة أخرى يقول لهم " لستم بعد أسميكم عبيداً بل أحباء " ، ومع ذلك الآباء الرسل فى رسائلهم لم ينسوا أنهم عبيد رغم ما قاله لهم المسيح،!! ولذلك أى رسول من الرسل يقول " عبد.." ، نعم عبد هل ينسى نفسه ؟ لكن المسيح تفضل فسمى الرسل إخوته، وقال لمريم المجدلية اذهبى وقولى لإخوتى. وبهذا وسع المفهوم ورفعه من المستوى الجسدى المادى .

إذا كنا اليوم ياأولادنا أى إنسان يصبح فى وظيفة عامة، ينتقل من كونه إبن لأسرة ليأخذ مسئولية كبيرة، مثل رئيس الدولة أو رئيس الجمهورية، مفروض فى هذا الإنسان حينما يصل إلى هذا المركز العام، أن ينسى علاقته بأسرته الخاصة ، لا بمعنى أنه

يبغضهم أو يحتقرهم أو يعاديهم لا..، لكن بمعنى أن يتسع فيصير للكل أب، أب للوطن كله، ويصف جميع المواطنين له أبناء وإخوة ، لأنه أصبح فى أسرة أعم، وإلاّ إذا رأينا حاكم لايصنع ذلك يكون إنحرف عن المفهوم العام، وصارت العلاقة الجسدية بأبيه وأمه هى التى تحكمه، وهذه تكون نقطة ضعف هائلة فى أهلية هذا الإنسان العام، الذى صار فى هذا المركز الكبير، وهذا الإنسان وهو فى هذا الوضع العام لايمكن أن يستشير أو يرجع لأب أو أم أو إخوة أو أخوات فى الأمور التى تتصل بكيان الدولة ، إنما هو يلتزم بالدستور، وبمجلس البرلمان، ومجلس الشعب، هذه هى الأمور التـــى تحكم الرجل العام .

فإذن المسيح يبين لنا هذا السمو وهذا الرقى وهذا الارتفاع فوق العلاقات الجسدية، ونحن هنا فى العالم الحاضر أحيانا تنشأ بين الإنسان وإنسان آخر ليس من عائلته ، علاقة صداقة ومحبة وتفاهم أكثر مما تكون لأخيه ابن أبيه وأمه ، وهذا الذى يسمى الصديق الألزق من الأخ كما يقول سفر الأمثال، فأحيانا الإنسان يكون له صداقة مع آخر مثله للتتابع الفكرى واللقاء الروحى بينه وبينه، أكثر مما يكون لقريبه فى الجسد ، وحتى فى المثل يقول "جارك القريب خير من أخيك البعيد " . فمثلا واحد أخوه صحيح ابن أمه وأبوه ولكن يعيش فى بلد بعيدة لمدة سنوات طويلة، سيأتى وقت من الأوقات يكون الجار القريب، الذى كل يوم تراه تتكون بينك وبينه علاقة، وتتعامل معه بالمحبة وبالمودة والتعاون، وتكون علاقته بك وعلاقتك به أكثر من العلاقة بالأخ البعيد، فإذا كان الإنسان وهو خليقة الله يقدر أن يرتفع فوق العلاقة الجسدية، إلى العلاقة الروحية والعلاقة الفكرية التى تربطه بإنسان آخر، وتكون أسمى من العلاقة الجسدية ، وإذا كان رئيس الدولة أيضا يرتفع فوق العلاقة الجسدية، لكن هذا ليس معناه أنه يكره أبوه، لكن يؤدى له الواجب، ولكن لايرجع إليه فيما يتصل بشئون الدولة فى العلاقة العامة، لأنه محكوم بدستور ومحكوم بمجلس الشعب، هذه الأمور التى تحكم الرجل الذى ينتقل من الوضع العائلى الصغير إلى وضع الإنسان العام ، فمن باب أولى المسيح وهو أبونا وأبو الخليقة كلها ، لماذا تكون لمريم هذه المكانة التى ترفعها فوق أى إمرأة أخرى أو أى إنسان آخر إذا كان لمجرد العلاقة الجسدية، لا.. لا.. المسيح يريد أن يُبَيِّن أنه إذا كان يكرم مريم لأنه يعلم أن مريم تتميز وليس لأنها حملت ، وليس لهذه العلاقة الجسدية، بل بالعكس ، أُختيرت لهذه العلاقة الجسدية لجدارتها، لأنها هى التى أُستحقت نظراً لطهارتها ونقاوتها وسيرتها الكاملة وحياتها مع الله ، هى التى جعلته يرشحها ويختارها من بين نساء العالمين لهذه الدرجة وهذه المكانة .

١٢- العذراء فى الأجبيـــة(١)

موضوع العذراء فى الأجبية موضوع كبير والكلام فيه كثير، يمكن أن يكتب فيه كتاب ، إنما قبل أن نتكلم فى الموضوع وندخل فى تفصيلات جزئية يلزم أن نقدم بكلمة نشرح فيها :

وضع العذراء فى الكنيسة :

كلنا نعلم أن العذراء هى التى إختارها الله ليتخذ من جسدها ومن لحمها ومن دمها جسد، يتحد به لاهوته ويحتجب به هذا اللاهوت ، لكن العذراء أولا وبالذات ليست امرأة عادية وإختيار المسيح لها كان بناء على صفات فى العذراء، تقربت بها وصارت بها بارزة على جميع نساء العالم، ليس عبثاً أن إختار الله لتدبير التجسد هذه العذراء بالذات، وهذه نظرتنا نحن فى الكنيسة الأرثوذكسية إلى العذراء مريم . ليست هى مجرد امرأة كسائر النساء إنما امرأة قديسة أولاً قبل أن تختار لهذه المهمة التى ماكان يصلح لها بين جميع نساء العالم غير العذراء مريم .

هذه التى رآها الوحى الإلهى مسبقا فقال " نساء كثيرات نلن فضلاً أما أنت ففقت عليهن جميعا "، هذا التفوق كان معلوماً عند الله ، ولذلك حينما ظهر لها الملاك غبريال أو جبرائيل حياها بتحية هى نفسها تعجبت لها .

وقالت ماعسى أن تكون هذه التحية وهذا السلام، ماذا قال الملاك؟ " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة "، وهذا التعبير معناه أن هذا الإختيار تم على أساس أنها فتاة أو عذراء مشحونة بالنعمة، والكلمة اليونانية التى استخدمت والترجمة القبطية الدقيقة التى نقلتها. (ثى اثمه إن اهموت ⲑⲏⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ϩⲙⲟⲧ) تعنى أنها ملآنة ، مِلآنة، حتى الترجمة البيروتية الحالية المتداولة التى قالوا فيها " المنعم عليها " هى ترجمة غير دقيقة، لاتطابق الأصل اليونانى ولا الترجمة القبطية الأصيلة ، لكن معروف على كل حال أن من يُنعم عليه لايكون إنساناً عادياً ، فالملك ورئيس الجمهورية إذا أنعم على إنسان، فإنما ينعم عليه لأنه أدى خدمة للدولة ، تميز بها وصار مستحقاً لهذا الإنعام. لو كانت العذراء منعم عليها فهذا الإنعام يشهد أيضا بفضيلتها . ولقد رآها النبى فقال " كل مجد إبنة الملك من داخل" ، ليس مجد مريم يرجع إلى نسبها ولا إلى إنتمائها لعائلة غنية ، فلقد كانت فقيرة ، لا شيء يرجع إلى خارج ، وإنما مجدها من داخل، وهذه شهـــادة

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة مارمينا بفليمنج بالأسكندرية فى ٢٧ من أغسطس ١٩٧٩ م .

على أن مريم قبل أن تُختار لتكون أماً لله ووالدة له رشحتها الفضيلة ، فضيلتها رشحتها لأن تأخذ هذا الإنعام وهذه الكرامة وحتى فى تسبحتها عندما قالت "لأنه نظر إلى إتضاع أمته"، لا يفهم من كلمة إتضاع أمته أنها تشير هنا إلى فضيلة الإتضاع التى فيها .. لا، اتضاع أمته هنا تشير إلى أنها امرأة تحس بأنها فقيرة وأنها صغيرة وأنها حقيرة، هنا الإتضاع بهذا المعنى.

فالعذراء لا تفتخر بطبيعتها من جهة الفضيلة، إنما تشهد بواقع الأمر أن الله نظر إليها وهى صغيرة ضعيفة حقيرة، لامركز لها بين الأغنياء الأقوياء العظماء، فرفعها من حالتها الوضيعة وأعطاها هذه الكرامة التى بها ستطوبها كل الأجيال ، وقد طوبتها. أريد أن نعطى إنتباهنا لهذه النقطة، هذه هى نظرة الكنيسة الأرثونكسية إلى العذراء، أنها ليست مجرد امرأة كان يمكن أن تكون أى امرأة أخرى بديلاً عنها!! حاشا.. فليست هناك امرأة بدرجة الفضيلة والنعمة والروحانية والتقوى والطهارة ونقاء القلب والسيرة بالدرجة التى كانت عليها مريم . وهذا هو السبب فى إختيارها وليس العكس صحيح، مثلما كان يقول البروتستانت من قبل، ولكن أوقفوا هذه النغمة ، ولو أن بعض الناس عادوا من جديد إلى هذه النغمة الحقيرة التى احتقرها البروتستانت أنفسهم اليوم ، هناك أشخاص يحاولون أن يقولوا أن العذراء " إناء أطبخ فيه وبعد ذلك ترمى " حاشا.. حاشا.. إذا كانت السماء هى التى شهدت عن مجد مريم والملاك بصوت من السماء مدحها، يذكر واحد ممن طمس الشيطان عقولهم، يقول" أن المسيح لم يمدح العذراء. والإنجيل لم يذكر أن المسيح مدح مريم، ياللغباوة ....، والتحية التى جاء بها الملاك ، جاء باسم من؟ وأليصابات التى نطقت بالروح القدس وقالت لها " من أين لى أن تأتى أم ربى إلىّ ، فطوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب " .

إذن كان فى مريم درجة عالية من الإيمان حسبتها لها أليصابات ولم تجدها فى نفسها على الرغم من أنها عجوز، وعمرها على الأقل سبعة أضعاف عمر مريم ، كانت امرأة تزيد على الـــ ٩١ سنة ، وكانت مريم فى حدود الـــ ١٣ سنة فعلى الأقل سبعة أضعاف، أليصابات وجدت فى مريم الإيمان بدرجة لاتجده فى نفسها، فقالت طوبى للتى آمنت أن يتم لها ماقيل من قبل الرب، فإيمانها كان إيماناً متميزاً بالقوة ومن أجل ذلك طوبتها أليصابات ، هذا التطويب بالروح القدس الذى نطق على فمها ، إذن كيف يقولون المسيح لم يمدح، يكفى أن يقول الكتاب المقدس " وكان خاضعاً لها "، يكفى أن المسيح لم يكن يريد أن يعمل المعجزة ولكن عندما تقدمت إليه وقالت له " ليس لهم خمر "، لايوجد كلام كثير، هى كلمة واحدة ، فصنع المعجزة إكراماً لمريم ،

وهذا هو شرف مريم أن أول معجزة صنعها يسوع المسيح فى بدء حياته الجهارية كانت من أجل طلب مريم، كيف يقولون لم يمدحها، إذن لماذا إختارها ؟ هذه غباوة حينما يعمى قلب الإنسان .

المهم أريد أن أقول وضع مريم فى الكنيسة أنها والدة الإله، يقولون " والدة يسوع، وأم يسوع " كأنهم كتابيين لكن من هو يسوع؟ يوحنا الرسول فى نهاية إنجيله يقول " وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب وإنما قد كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله الحى" ، وعندما سأل المسيح تلاميذه وأنتم من تقولون ؟ قال سمعان بطرس " أنت المسيح ابن الله الحى" إذن من هو يسوع هذا ؟ يكفى أنها أم يسوع ، لكن من هو يسوع ؟ هو المسيح ابن الله الحى، الله ظهر فى الجسد ، إذن هى والدة الإله، هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو اسمه عمانوئيل، وعمانوئيل معناها الله معنا، فإذا ولدت عمانوئيل الله معنا تكون والدة الله بالحقيقة، كما نقول فى المجمع " التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة "، المولود هو الله ، فتكون هى والدة الإله ، إذن ماهى حكاية أم يسوع؟ هذا دليل على أن الذين يقولون هذا الكلام لايؤمنون بالمسيح إلا بالجسد، بالصورة الجسدية ليسوع ، هؤلاء الناس إيمانهم بلاهوت المسيح مهزوز، لا يعرفون من هو المسيح، والرسول بولس يقول " نحن لانعرف الآن المسيح حسب الجسد بل إلهاً مباركاً إلى الأبد " إذن يسوع هو الله الظاهر فى الجسد فتكون هى والدة الإله .

انظروا كرامة واحدة تسمى والدة الإله ، ما شكل هذه الكرامة ؟ مهما قيل من ألفاظ ومن تعبيرات فى الكنيسة لتمجيد العذراء مريم كلها قليلة، وإذا مدحنا مريم فإنما نمدح الفضيلة ذاتها لأن مريم كل قيمتها أنها امرأة فاضلة وامرأة طاهرة وامرأة نقية، لم ينسب إليها عيب أو دنس (ان ات ثوليب ⲛ̀ⲁⲧⲑⲱⲗⲉⲃ) بلا دنس. ماهو عيب مريم ؟ لايوجد إلا الخطيئة الأصلية التى ورثتها، وهذا بحكم الطبيعة وبحكم أنها ولدت من رجل وامرأة، إنما ليس فى مريم خطيئة فعلية، نحن لا نقول أنها معصومة، لأنه إلى ملائكته ينسب حماقة ، ونحن فى المجمع نذكرها أمام الله ونطلب من أجلها " هذا هو أمر إبنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك ، تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء أباءنا الأطهار رؤساء الأساقفة والأنبياء والرسل والإنجيليين والشهداء وأرواح الصديقين الذين تكملوا فى الإيمان وبالأكثر القديسة الممتلئة نعمة العذراء دائمة البتولية التى ولدت لنا الله الكلمة بالحقيقة ". نحن نصلى من أجل مريم فى المجمع لأننا نؤمن أن قداسة الله كاملة مطلقة، وأنه لا يوجد أحد يمكن أن يوصف بالكمال المطلق والقداسة المطلقة إلاّ الله القدوس وحده . "القدوس المولود

منك" ، لكن مع هذا لسنا نعرف خطيئة لمريم، وشاء الله أن مريم التى ربتها أمها فى مخافة الله لمدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك أدخلتها الهيكل نذيرة لله وعاشت فى الهيكل بين الصلوات والبخور وحضور الملائكة والقديسين ، لم يخدش حياءها ، ولم يخدش طهارتها كلمة سمعتها فى الشوارع، عاشت هناك فى الهيكل، ولما بلغت السادسة من عمرها مات أبوها وفى الثامنة ماتت أمها، وظلّت إلى سن الثانية عشر من عمرها فى الهيكل ، إلى أن رأى الكهنة أن تخرج من الهيكل حسب مقتضيات الشريعة، وبإرشاد من الله جمع الكهنة عصيٍّ الشيوخ والشباب ووضعوها فى الهيكل، فالعصا المكتوب عليها اسم يوسف أفرخت كما أفرخت عصا هارون من قبل، فرأى الكهنة أنه الرجل الذى عَيَّنه الرب ليكون زوجاً لمريم، فجمع رئيس الكهنة يوسف ومريم وربطهما برابطة وبركة الزواج المقدس ، فصارت مريم زوجة رسمية ليوسف وجاءت حمامة واستقرت على رأس يوسف، فكانت علامة جديدة على أنه الرجل الذى إختارته العناية الإلهية لهذا القصد ، عاشت مريم إلى أن جاءها الملاك بالبشرى، كانت مريم طاهرة وكانت مريم فى الهيكل بوجودها المبكر الروحانى تعطى طعامها للفقراء والمساكين وتبقى هى صائمة ، طفلة تصوم، فكانت الملائكة تشفق على مريم وتأتيها بطعام سمائى، هذه مريم التى عاشت بهـذه الطهارة وبهذا النقاء مصونة، مصونة عيونها ، وآذانها ، وإحساساتها، مصونة طاهرة، نقية ، مجملة بالفضائل بأكبر ماتكون إبنة الملك ، ولذلك رآها صاحب المزامير فقال " أن الملك قد اشتهى طهرك "، الملك قد اشتهى، يالهذه العبارة " اشتهى طهرك "، مريم شهية فى طهارتها ، مشتهاه من الله، لذلك إختارها لأنها مشتهاه .

سموت يا بتول فى العذارى — على كل الأنامُ علا وفقت
خلقت درة لا عيب فيهـــــا — كأنك مثل ما شئت خلقت

نحن محتاجين اليوم أن ندافع عن مريم !! يخرس كل لسان يتعدى على الملكة أم الملك والدة الإله السماء الثانية التى حل فيها الرب جسدياً، المركبة الكاروبيمية التى جلس الرب على ركبتيها، ولذلك الوضع المفضل دائما لمريم العذراء،أن يجلس المسيح على ركبتيها ، " أنت الذى فى حجرك الملائكة تسبحه " ، والوضع الآخر أن تحمل المسيح على ذراعها الأيسر كى تكون هى عن يمينه، " قامت الملكة عن يمينك "، قامت الملكة نعم، الملكة أم الملك، من يقدر أن ينطق غير ذلك، أى لسان يجرؤ، هذه إهانة للمسيح، من منكم يرضى عندما تكون مختلفاً مع أمك ، وواحد يشتم أمك لا تقبل

أبدا، وبذلك يكون شتمك أنت، حتى لو كنت خارجاً من المنزل غضبان من أمـــك، لاتحتمل أبدا الإهانة لها ..

وضع العذراء فى الكنيسة أنها فخر جنسنا، لأن منها دخل الابن إلى العالم ، منها دخل المسيح إلى العالم ، نعم هى باب السماء حيث يكون المسيح هناك سماء، لأن المسيح ملك فإذا حل المسيح فى بطن العذراء مريم ، صارت السماء هى بطن العذراء بلا منازع إلاّ إذا كان الذى يعترض لايفهم من هو المسيح .

العذراء مريم تُسمى المنارة لماذا ؟ لأنها حاملة النور، من النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان آتياً إلى العالم ؟ المسيح ، إذن هى المنارة .

من هو القسط الذهب الذى كان فيه المن ؟ هو العذراء ومن هو المن؟ المن العقلى هو المسيح ، آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا ، هذا هو الخبز الذى نزل من السماء الذى يهب الحياة للعالم، المسيح هو المن العقلى، المن الروحانى، (إم بى مانا انوإتون ⲙ̀ⲡⲓⲙⲁⲛⲛⲁ ⲛ̀ⲛⲟⲏ̀ⲧⲟⲛ) مثلما يقول الشمامسة فى التسبحة وفى مردات القداس بعد المزمور المائة والخمسين، فالمسيح هو المن ، إذن مريم هى القسط الذهب، نعم ذهب، أجود المعادن لأنها أجود إنسانة ، لايوجد شخص آخر يرمز إليه قسط الذهب حامل المن إلا مريم العذراء .

المجمرة، أنت المجمرة حاملة الجمر وماهو الجمر ؟ هو المسيح ، والجمر عبارة عن النار المتحدة بالفحم ، اللاهوت المتحد بالناسوت ، إذن هى المجمرة حاملة الجمر. وعنبرها، الرائحة الزكية هو المسيح أيضا .

كل هذه التشبيهات الموجودة فى الأصحاح التاسع من الرسالة إلى العبرانيين، والتى تجدون نظائرها مقتبسة فى الابصلمودية والتسبحة . كلها تبين مكانة مريم ومركزها .

وعندما نقول أنها فوق السارافيم وفوق الكاروبيم ، نعم لأنها نالت كرامة لم ينلها السارافيم والكاروبيم، حقا أن الكاروبيم حملة العرش. لكن الكاروبيم ملائكة ، مخلوقات من نور، إنما مريم إنسانة فى الجسد فكونها طاهرة نقية اشتهاها الملك لطهرها ، على الرغم من الجسد الترابى الذى يحتمل شهوات الأرض، لكنها ارتفعت إلى فوق بهذا كله صارت (إم بان أجيا ⲙ̀ⲡⲁⲛⲁ̀ⲅⲓⲁ) الكلية القداسة ، جزيلة القداسة ، نعم فى هذا أولا مريم فوق الكاروبيم وفوق السارافيم لأنها على الرغم من طبيعتها الجسدية استطاعت بمجاهداتها الروحية، وحياة القداسة التى عاشتها أمكنها أن تغالب الجسد وأن تنتصر على الشهوات والنزوات، فارتفعت بهذا من حيث فضيلتها فوق الكاروبيم والسيرافيم ،

هذا فضلا عن مكانتها بإعتبارها الملكة أم الملك ، الكاروبيم تحت والله يجلس فوق الكاروبيم، "وأنت الجالس على الكاروبيم " لكن العذراء مريم احتوت المسيح ومن دمها ومن لحمها تكوّن جسده ، يالغباوة هؤلاء؟، جسد المسيح الذى به إلى الأبد والجالس على العرش مأخوذ من دم العذراء، فكيف لا تكون هى فوق الكاروبيم وفـــوق السارافيم؟ هل إذا وضعت الكنيسة العذراء فى هذا الوضع يقال عنا أننا تجاوزنا أو بالغنا !! كل مايقال عن مريم ومجد مريم قليل، ومن يهين مريم أهان المسيح ، من يهيننا ويظن أنه يدافع عن المسيح، هذا هو عمى القلب الذى يفتكر فى نفسه أنه عندما يدين مريم يدافع عن المسيح .. حاشا .. أى ابن يقبل أن أمه تُهان ، وأن تُحسب إهانة مريم تحية له ، ياللعجب .. ومن الغباوة أيضا أن يحتجوا على أن تسمى العذراء مريم فى الكنيسة أمنا ، ويقولوا هى أختنا .. أختنا أيها المؤدب، عمر العذراء اليوم ٢٠٠٠ سنة وحضرتك عمرك ٣٠ سنة وتقول أختنا، أين الأدب ؟ أين الأدب ؟ عندما كنا طلبة فى الإكليريكية كنا نخدم فى حى اسمه وكالة البلح وهناك الجماعة الخمسينيين والبلموث يشتغلون هناك ، وكنا نعمل إجتماعات فى جمعية قبطية هناك ونزور الناس وندعوهم لحضور الوعظ ، فأتذكر هذا ولا أنساه ، هذا الكلام لايقل عن ٤٠ سنة اليوم، واحد بعد ما إنتهى الإجتماع ونحن نسير فى الطريق قال أريد أن أسألك سؤالاً، قلت له نعم ، قال لى الأخ إبراهيم عندما ذبح الأخ اسحق كم كان عمر اسحق ؟ ، فعندما قال لى الأخ إبراهيم تصورت الأخ إبراهيم هذا واحد من الإجتماع ، فقلت له ياأخى الأخ إبراهيم ؟ إبراهيم هذا عمره ٤٠٠٠ سنة وحضرتك كم سنة ؟ لايوجد أدب، إذا كان بولس الرسول يقول إبراهيم أبونا ، أبونا ، يا الله ، لا .. زادت المسألة عن ذلك، واحد منهم طلبنا منه أن يصلى، قال أيها الأخ يسوع..الأخ يسوع، الأخ، يا إلهى، وعندما نسأله لماذا هذا ؟ يقول المسيح قال لمريم المجدلية " إذهبى إلى إخوتى وقولى لهم " ، المسيح يقول إخوتى ، لكن لايوجد ولا واحد من الرسل جرؤ بتاتاً على أن يقول الأخ يسوع مثل حضرتك، كل واحد من الرسل يقول "عبد يسوع المسيح وأسيره، بطرس الرسول ، بولس ، كلهم . الكنيسة فى أى طقس من طقوسها أو صلاة من صلواتها، فى صلاة المعمودية، أو فى أى صلاة إلاّ وتذكر المسيح ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا، ما هذا ؟ ماهذا الكبرياء والعنجهية، هذه لمسة شيطانية، هذا كفر بالمسيح وبمقامه الإلهى .

وبالتالى يكون من باب أولى من ناحية العذراء ، لا أستطيع أن أفهم لماذا؟ هل هناك ثأر؟ لماذا الغباوة تصل إلى هذا الحد؟ لماذا يتكلمون عن العذراء بهذه اللهجة ؟

لماذا ؟ ، هل هم بذلك يدافعون عن المسيح ؟ مستحيل ،، وأنا أرى إخوتنا البروتستانت كلهم، اليوم الرؤساء والزعماء لايرددوا هذه النغمة القديمة، فنجد واحدا يطلع من جديد يجدد هذا الكلام ، أعتقد أن إخوتنا البروتستانت اليوم لايقبلون هذا الكلام .

هذا الكلام لابد منه لكى نفهم وضع مريم فى كنيستنا، لأننا عندما نُكَرِّم مريم ونمدح مريم نمدح الفضيلة ، مريم لم تأخذ وضعها فى الكنيسة الأرثوذكسية فقط لأن المسيح ولد منها، أنا أريد أن أقول أن المسيح إختارها ليولد منها لأنها قديسة، ليس نحن الذين نقول هذا الكلام، السماء هى الشاهدة، أن قداسة مريم سابقة على إختيار المسيح لها، بل هى التى رشحتها أن الله يختارها ويصطفيها لذلك سموها مختارة ومصطفية ، يوجد بنات يسمونها مصطفية وقديسة وعفيفة ونقية وبرتينيا وهـــــى العذراوية أو البتولية، كل هذه ألقاب العذراء مريم، هذه مكانة مريم . هذه مكانتها طبقا للوضع الإلهى ، نحن لا نبالغ ، كنيستنا لا تبالغ ، لايوجد أى مبالغة ، هذا كلام الكتاب المقدس ، عندما نطوبها نقول " طوبى لها " ، نعم ونحن مُصِرّون على " طوبى لها " ، وهى تعنى " مباركة أنت فى النساء " الملاك قال لها ذلك ، " مباركة " طوبى يعنى مباركة . ما أسعدك يامريم ، ماأسعدك ؟ نعم، أنت مباركة فى النساء يعنى بين جميع النساء ، فوق جميع النساء أنت مباركة، متميزة عن جميع النساء، الملاك نطق أى السماء نطقت ، وأليصابات قالت لها " مباركة أنت فى النساء " قبل أن تقول " مباركة هى ثمرة بطنك " مباركة أنت ، سعيدة أنت ، وهى بالروح القدس قالت "منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى " بعض الناس يكتبون ويقولون " لا.. لا العذراء لا تطّوب فى ذاتها "، كيف لا تُطّوب وما معنى كلمة تطّوبنى ، تطّوبنى يعنى طّوبى لها ، فالطوبى للعذراء مريم شىء طبيعى، وأيضا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت " طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما " . ولكن الأغبياء روحياً يقولون أن المسيح رفض الطّوبى لمريم عندما قال " طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " . وهل مريم لم تسمع كلام الله وتحفظه!! مامعنى هذا الكلام ، لماذا هذه الغباوة ، كلمة بل هذه الحقيقة عندما نرجع للنص الأصلى نجد معنى ذلك أن الطوبى لمريم ليس فقط لأنها حملت وولدت المسيح وإنما بالأولى لأنها حفظت كلام الله وهذا هو سر إختياره ، إذن على عكس ماقصدوا إليه ، المسيح دافع عن العذراء مريم وأبرز فضيلتها ، ولم يرفض، ولكنه أبرز فضيلتها ووضح أن هذه الطّوبى تلحق بها ليس فقط لأنها حبلت وولدت وأرضعت بل هى إختيرت للحبل والإرضاع من أجل أنها حفظت كلام الله وعملت به.

العذراء فى صلاة باكر :

فى قطعة صلاة باكر القطعة الثالثة ، " **أنت أم النور المُكَّرمة من مشارق الشمس إلى مغاربها يقدمون لك تمجيدات ياوالدة الإله السماء الثانية لأنك أنت هى الزهرة النيرة غير المتغيرة والأم الباقية عذراء لأن الآب اختارك، (القبطى افيوت)، والروح القدس ظللك والابن تنازل وتجسد منك فاسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، وأن ينجيه من التجارب، ولنسبحه تسبيحاً جديداً ونباركه الآن وكل أوان "** .

أنت هى أم النور : نعم العذراء هى أم النور لأن المسيح هو النور وهى أمه إذن هى أم النور، **المُكَرمة:** مكرمة وبالقبطى (اتطايوت ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ) مكرمة مبجلة نعم .

من مشارق الشمس إلى مغاربها : كل إنسان فى الكون من مشارق الشمس إلى مغاربها يُطَوبها ، كل إنسان يُكَرمها ، المسيح قال لتلاميذه "من أكرمكم يكرمنى" هذا بالنسبة للتلاميذ، أما العذراء فهى أمه وهى طبعا مُكَرمة فهل فى هذا مبالغة ؟ أين هى هذه المبالغة .

يقدمون لك تمجيدات : وترجمتها بالقبطى(ذكصولوجية ⲇⲟⲝⲟⲗⲟⲅⲓⲁ) ماذا تعنى ذكصولوجية تعنى كلام تحية ، ذوكصا : مجد أو كرامة، ولوجية : كلام ، فالتمجيدات هى كلمات المديح، ونحن نمدح العذراء لأن من يمدح العذراء يمدح الفضيلة نفسها . واحد من الآباء قال " من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة ذاتها " ، نحن عندما نمدح القديسين نمدح الفضيلة لماذا نمدح القديسين ولماذا نُكَرمهم ؟ لأن فيهم تتمثل الفضيلة ، فالذى يمدح القديسين يمدح الفضيلة لأنها متمثلة فيهم ، والذى يمدح مريم يمدح الفضيلة نفسها نعم .. وهذا هو السبب الأساسى فى المدبحية لماذا نمدح القديسين ؟ وكما قال يشوع ابن سيراخ " لنمدح الرجال النجباء آباءنا الذين ولدنا منهم " فالمدح للفضلاء حق من أجل الله ومن أجل الفضيلة التى تمثلت فيهم .

ياوالدة الإله : وهى كما قلنا فى المقدمة هى بحق والدة الإله الذى ولد منها الله الكلمة ، ومثلما نقول فى المجمع " التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة " إلاّ إذا كان أحد يشك أن المسيح هو الله ، هذا موضوع آخر، وهنا تكون ليست مسألة مريم، بل مسألة إيمان مهزوز فى المسيح مَن هو؟ وهو محتاج أن يقرأ إنجيل يوحنا، ومحتاج أن يقرأ ما قاله سمعان بطرس والتلاميذ . أنت المسيح ابن الله الحى (مت ١٦: ١٦) ، (مرقس ٨: ٢٩)، (لوقا٩: ٢٠). إنجيل متى قال " أنت هو المسيح ابن الله الحى" ، إنجيل مرقس

قال " أنت المسيح الله " بحسب النص القبطى، انجيل لوقا قال " أنت المسيح " وطبعا لايوجد تعارض بين الثلاثة متى ومرقس ولوقا، أنت المسيح الله ابن الله الحى ، ويوحنا قال " أنت المسيح ابن الله الحى " (يو٦: ٦٩، ١١: ٢٧)، وهنا ابن لا لأن الله يلد كما يلد الإنسان والحيوان، حاشا.. الابن معناه صورة الله، الله غير منظور فصار منظوراً، فهذا المنظور صورة الله غير المنظور، كما هو موجود فى (كولوسى١: ١٥)، المسيح صورة الله غير المنظور، " الله لم يره أحد قط الابن الذى فى حضن الآب " ، الآب ليس له حضن ولكنها تعنى فى ذات الآب . فى شخص الآب ، كما قال " الآب فىّ وأنا فيه " فالابن هنا ليس بمعنى الولادة كما نفهم فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان، لكن بمعنى أنه الصورة المنظورة، الله وهو غير منظور صار منظوراً فى المسيح . فأنت المسيح الله كما قال مرقس "ابن الله الحى، كما أوردها إنجيل متى .

السماء الثانية : وهذه شرحناها أنه حيثما يكون المسيح هناك سماء، المسيح فى السماء ، والعذراء هى السماء الثانية طبعا. كل هذا كلام تستحقه مريم بل هذا هو وصف طبيعى لها .

أنت هى الزهرة النيرة : زهرة نيرة، يوجد زهرة تذبل، لكن الزهرة النيرة هـــى التى تظل زهرة جميلة منورة لا تذبل، وهذا رمزاً لبتوليتها الدائمة رغم الزواج الرسمى من يوسف ، استمرت الزهرة البتول النيرة .

غير المتغيرة : التى لم تتغير بالزواج، لم تفقد بكارتها، لم تفقد بتوليتها، ظلت بكراً بتولاً، هذه هى الزهرة النيرة غير المتغيرة ، غير المتغيرة من هذه الزاوية ، لم تتغير فى بكارتها ، وفى بتوليتها ، استمرت زهرة نيرة لم تذبل .

والأم الباقية عذراء : أم وعذراء وهذا هو العجب ، فى كل تاريخ الإنسانية لم يحدث أن تكون واحدة أماً وتبقى عذراء، مستحيل ، إلاّ العذراء مريم ولذلك هى الباقية العذراء بالألف واللام ، كل بنت غير متزوجة نسميها عذراء إلاّ مريم العذراء، كما أن المسيح واحد معرف بالألف واللام المسيح ، المسيح لايوجد غيره، فى القديم كان الملوك والكهنة يسمونهم مسيح الرب ، لكن المسيح ، بالألف واللام هو واحد فقط .

فكل بنت غير متزوجة اسمها عذراء، لكن مريم العذراء لأنها دائما عذراء . كانت ومازالت وإلى الأبد عذراء . العذراء دائما وكل حين (انسيو نيفين) **ⲛ̀ⲥⲏⲟⲩ ⲛⲓⲃⲉⲛ** العذراء دائمة البتولية ، دائمة البكارة ، أم وعذراء ، وهذا فى نفس الوقت إعلان عن الميلاد البتولى للمسيح ، هذا فخر للمسيح لأنه كيف يخرج من بطن العذراء وتظل عذراء ؟ مستحيل ، بحسب قانون الطبيعة لم يحدث أن وُلد إبن وبعد ذلك ظلت أمه

عذراء مستحيل ، فهذا برهان على الميلاد البتولى وهذا أيضا برهان على لاهـوت المسيح ، لأنه لايوجد أحد آخر يستطيع أن يعمل ذلك، لأن هذه قدرة، كيف يخرج والباب مغلق ، هذا الباب كما قال حزقيال النبى فى الأصحاح الرابع والأربعين " هذا الباب يكون مغلقا لايخرج ولايدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل خرج منه فيكون مغلقاً " وجميع آباء الكنيسة تغنوا بما قاله حزقيال النبى كتطبيق على العذراء ، أنها الوحيدة الواحدة التى بابها لم يفتح ، الرب إله إسرائيل دخل منه وخرج وظل الباب مغلقا. وهذا هو السبب كما يقول آباء الكنيسة المسيح خرج من القبر والقبر مغلق ، لا تفتكروا أن الملاك ميخائيل نزل ودحرج الحجر عن باب القبر لكى يقوم المسيح، لا.. بتاتا، ولذلك هناك بعض الصور الخاطئة التى يرسمها بعض الفنانين نقلاً عن الفن الغربى، يرسمون الملاك ماسكاً الحجر، حاشا..المسيح قام قبل أن ينزل رئيس الملائكة ميخائيل . إنما الملاك ميخائيل نزل لكى يُعلن أن القبر فارغ بعد أن قام المسيح ، المسيح قام أولا ولذلك مريم المجدلية عندما ذهبت لطيباريوس قيصر بعد قيامة المسيح وأرادت أن تشرح له كيف قام المسيح والقبر مغلق مما يدل على برهان لاهوته ، أحضرت بيضة ملقحة حية كوسيلة إيضاح، وعندما تكون البيضة ملقحة تعنى أنه يوجد فيها كائن حيٍّ بالداخل ، وعندما تفقس البيضة، الجنين يخرج ويشق البيضة ، وهذا هو السبب فى شم النسيم التقليد الموجود فى جميع أنحاء العالم وليس عند الأقباط فقط ، بل فى كل العالم ، فكرة البيض الملون باللون الأحمر، هكذا كانت البداية ، هناك ناس اليوم يلونون البيض أزرق وأصفر وألوان مختلفة، لا... الأصل كان اللون الأحمر لأنه يشير إلى الخلاص وإلى الفداء وإلى عمل المسيح الكفارى، فصاحبة هذا التقليد الأصلى هى مريم المجدلية، عندما ذهبت لطيباريوس قيصر لتشرح له كيف قام المسيح والأبواب مُغلَّقة .

فالمسيح خرج من القبر والأبواب مُغلَّقة ودخل إلى العلية وأبوابها مغلَّقة ، الآباء يقولون لكى يُثبت أنه خرج من بطن العذراء وأبواب البكارة مصونة . " هذا هو الباب الذى دخل منه الرب فيكون مغلقا "، أنت العذراء التى بلا زواج ، نعم عذراء وأم وستظل هذه معجزة الأجيال لا لمجد مريم فقط وإنما لمجد المسيح وإثبات لاهوته أيضا. لأن هذا برهان لاهوته كيف خرج من بطنها وظلت الأبواب مغلقة إلاّ بقدرة لاهوته .

لأن الآب اختارك والروح القدس ظللك والابن تنازل وتجسد منك فإسأليه: اسأليه، نقول للعذراء اسأليه، ألا تطلب أنت من واحد وتقول له صلى من أجلى؟ إذن كيف

لانطلب من العذراء؟ هل هذا كثير على العذراء ؟ ألم يسألها أهل العرس وذهبت وسألت المسيح وقالت " ليس لهم خمر" ومع أنه لم يكن يود عمل المعجزة ، إنما عملها إكراماً لها .

أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه وأن ينجيه من التجارب : نحن هنا لاننكر أن الخلاص قد تم، لأن المسيح تمم الخلاص بالفداء ، ولكن عندما نقول اسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه ، المقصود أنها بصلواتها يطيل أناته على الخليقة البعيدة لكى يتاح لها فرصة أن تسمع كلمة الله وتؤمن بالمسيح ، هذا معنى اسأليه أن يعطـــى الخلاص للعالم الذى خلقه، نحن لا ننكر أن الخلاص قد تم عندما مات المسيح على الصليب ، لكن نطلب اسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، نقصد بهذا أننا نقول لها اطلبى أن الله يطيل أناته ، ولا ينزل غضبه على العالم غير المؤمن ، ولكن يعطى له فرصه ثانية لكى تخرج كلمة الكرازة ويكون الخلاص لكل العالم .

العذراء فى صلاة الساعة الثالثة :

إذا إنتقلنا إلى صلاة الساعة الثالثة نقرأ فى الفقرة الثالثة : " **ياوالدة الإله أنت هى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة، نسألك أيتها المملوءة نعمة مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا ، مبارك الرب إلهنا مبارك الرب يوماً فيوماً يهيئ طريقنا لأنه إله خلاصنا** ".

يا والدة الإله : نحن نوجه الخطاب إلى العذراء مريم ، وتوجيه الخطاب إلى العذراء مريم أمر طبيعى ومشروع ، ولايحسب هذا أنه يتعارض مع صلاتنا إلى الله، لأنه توجيه خطاب ونداء وإستغاثة بالعذراء مريم وهذا أمر مشروع أيضا .

لأنه إذا كان الواحد ممكن أن ينادى أو يستغيث بإنسان، لأن في قدرة هذا الإنسان أن يقدم عوناً، فبالأحرى أن نتقدم إلى العذراء مريم نطلب معونتها ، " ياوالدة الإله " وهذا طبعا اللقب المشروع أن العذراء والدة الإله كما تكلّمنا من قبل .

أنت هى الكرمة الحقانية : وهذا لايتعارض مع النص الذى يقول فيه السيد المسيح " أنا الكرمة وأنتم الأغصان " أو " أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام " كما قال أنه هو النور، " أنا نور العالم " وقال لتلاميذه " أنتم نور العالم " لكن هنا بمعنى وهناك بمعنى آخر ، هو النور الحقيقى ، إنما الرسل فى ذواتهم أخذوا من النور ، فانعكس عليهــم ، فأصبحوا أجساماً منيرة ، نحن نرى القمر ونقول القمر منير، لكن كلنا نعلم أن القمر فى ذاته جسم معتم ، إنما النور الذى فيه ليس منه إنما منعكس عليه من نور الشمس ،

الكواكب التى نراها لامعة جدا ، الواقع إنها كواكب ، والكواكب أجسام معتمة ، نحـــن نراها منيرة لأن النور الذى فيها ليس منها وإنما من الشمس ، فإذا كان سيدنا له المجد قال عن نفسه أنه النور، وتفضل وقال عن الآباء الرسل " أنتم نور العالم "، فليس هناك تعارض على أساس أنه هو أعطاهم أن يكونوا أنواراً بالنور الذى منه، وانعكس عليهم فأصبحوا أنواراً .

وقال عن المؤمنين " أنهم يضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم"، فإذا قلنا عن العذراء أنها الكرمة، هذا لايتعارض مع أن المسيح هو الكرمة ، المسيح هو الكرمة الحقيقية ، وأيضا هناك إعتبار آخر أن التشبيه مأخوذ من زاوية غير الزاوية المأخوذ بها تشبيه أن العذراء هى كرمة .

المسيح هو الكرمة الحقيقية على أساس أنه يتكلم عن العلاقة بيننا وبينه ، فهو الكرمة ونحن أغصان فى الكرمة ، هذه زاوية. لكن عندما نقول عن العذراء " أنت هى الكرمة " فبمعنى أنها حاملة العنقود، وعنقود الحياة هو المسيح، فمن هذه الزاوية كرمة، لأنها حاملة عنقود الحياة وهو المسيح، فليس هناك أى تعارض لأن هذه زاوية، وهذه زاوية أخرى فى الموضوع .

أنت هى الكرمة الحقانية نسبة إلى الحق ، لذلك لا يتعارض مع أن المسيح هو الكرمة الحقيقية .

نسألك أيتها الممتلئة نعمة مع الرسل: (السؤال إليها وإلى الآباء الرسل) **من أجل خلاص نفوسنا** : ليس معنى هذا أن العذراء هى المُخلِّص ؟ حاشا ، المُخلِّص واحد أحد وليس غيره مُخلِّص ، إنما عندما نقول من أجل خلاص نفوسنا، بمعنى لئلا نفقد نحن الخلاص حينما ننحرف عن هذا الخلاص، فنحن نطلب معونة العذراء معنا ، فى صلواتها عنا وأيضا الوسائط التى للعذراء فى معونتنا، حتى نسير زمان غربتنا على الأرض بسلام وأمان ، نحن فى حاجة إلى رعايتها وإلى إهتمامها بنا كأم ترعانا وتهتم بنا . وليس فى هذا بتاتاً مايتعارض مع إحساسنا بأن المسيح هو مركز الخلاص . فهنا الخلاص بمعنى الخلاص النهائى، لأنه بعد أن تحقق لنا الخلاص ممكن للإنسان كإنسان أن يفقد خلاصه، فإذا لم يثبت ولم يستمر ويحافظ على هذا الخلاص ويصونه ويبقى مراعياً له، فممكن للإنسان أن يفقد خلاصه، وعندنا فى سفر الرؤيا يقول " جاهد لئلا يأخذ أحد إكليلك " فممكن أن يفقد الإنسان خلاصه لو أنه تهاون . وهناك ناس ذكرهم بولس الرسول وقال كنت أذكرهم بفرح والآن أذكرهم بدموع لأنهم أصبحوا أعداء صليب المسيح .

فمن أجل أن يثبت لنا الخلاص، ومن أجل أن يكون لنا الخلاص النهائى بالدخول إلى فردوس النعيم وإلى ملكوت السموات، فحتى لانفقد هذا الخلاص نحن فى حاجة إلى معونة العذراء مريم وإلى صلواتها وإلى صلوات الآباء الرسل .

فى آخر قطعة من صلاة الساعة الثالثة نقول "**ياوالدة الإله أنت هى باب السماء افتحى لنا باب الرحمة** " أنت هى باب السماء، نعم هى باب السماء، أولا كما قلنا أنها الباب الذى دخل منه المسيح إلى عالمنا بالتجسد ، وعن طريق العذراء مريم، لأنه اتّخذ منها الجسد الذى دخل به إلى العالم ، فمن هنا هى باب السماء، فساكن السماء عندما نزل إلى الأرض صارت العذراء نفسها، وصارت أحشاء العذراء له سماء ثانية، لأنه استقر فيها ولأنه نزل إليها واتحد بالجسد المُتَّكون منها ومن الروح القدس، وظلت فيه تسعة أشهر كاملة، وبعد ذلك دخل إلى العالم من هذا الباب . فهى باب السماء من هذه الوجهة، أيضا هى باب السماء من وجهة أخرى، وهى أننا نؤمن بمكانتها وشفاعتها، وأنها تساندنا بصلواتها وبدالتها فنحن فى حاجة إلى هذه الصلوات حتى نظل محفوظين فى حياة النعمة، وعن هذا الطريق نعود إلى السماء وندخل السماء، فهى باب السماء أيضا من هذه الوجهة لحاجتنا إليها وإلى صلواتها وأدعيتها، وسنرى فيما بعد أن العذراء ليست مجرد إنسانة تصلى من أجلنا .

العذراء فى صلاة الساعة السادسة :

إذا إنتقلنا إلى صلاة الساعة السادسة نقول : "**وإذ ليس لنا دالة ولاحجة ولامعذرة من أجل كثرة خطايانا ، فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك ياوالدة الإله العذراء ، لأن كثيرة هى شفاعتك قوية ومقبولة عند مخلصنا ، أيتها الأم الطاهرة لاترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولدته، لأنه رحيم وقادر على خلاصنا لأنه تألم من أجلنا لكى ينقذنا** " .

ليس لنا دالة ولا حجة ولامعذرة من أجل كثرة خطايانا : هذا إعتراف بأخطائنا وهذا الإعتراف له نظائره فى صلوات القديسين ، مثلا دانيال أو نحميا أو عزرا ، كل عظماء الكتاب المقدس نرى فى صلواتهم الإعتراف بأنهم أساءوا وأخطأوا وأنهم بذواتهم يكونون مرفوضين إذا لم تتداركهم مراحم الله .

فنحن أيضا نعترف أمام الله بخطايانا وبتقصيراتنا وأنه ليس لنا حجة يمكننا أن نعفى بها من العقاب الذى تستحقه خطايانا، ولاعذر لنا لأن الله بمراحمه أعطى لنا كل الإمكانات والإمكانيات ، فلا عذر لنا فى خطايانا وهذا إعتراف صريح ، نحن لا نبرر

أنفسنا إنما نعترف بخطايانا، فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك، وهنا إحساس الإنسان بأنه وإن كان يصلى لكن صلاته نظراً لخطاياه مكروهة أمام الله ، وهذا المعنى الذى قاله الكتاب " ذبيحة الأشرار مكرهة للرب أما صلاة المستقيمين فمرضاته "، فنحن عندما نصلّى، نصلّى بهذه الروح التى فيها نعترف بأن صلواتنا ذاتها نظراً لأننا أشرار فهى مكروهة عند الرب ، ولما كان الكتاب يقول " صلاة البار تقتدر كثيراً فى فعلها " فإذن نحن نستعين بصلوات العذراء مريم لأننا نحن نشعر أن صلاتنا بسبب خطايانا غير مقبولة أمامه، لأننا أسأنا إليه وكما قال مرة لإرميا " لا تصلى من أجل هــذا الشعب " ، بمعنى أن هناك حد معين تمتد فيه مراحم الرب إلى الإنسان ، ولكــن إذا تجاوز حدوده فى تعديه تصير صلاته مرفوضة وغير مقبولة، فهذا هو المعنى الذى نحن فى إعترافنا بخطايانا نحس به، أننا وإن كنا نصلى لكن بسبب خطايانا نحن مرفوضون وصلواتنا غير مقبولة، من أجل هذا نستعين بصلوات العذراء مريم ونسألها أن تساندنا بصلواتها، وأن تسندنا فى موقفنا وأن تطلب لنا أن تمتد مراحم الرب إلينا فرصة أخرى جديدة، لعلنا نصحح الأخطاء ولعلنا نُقبل فى مراحم الله .

نحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك ياوالدة الإله العذراء ، لأن كثيرة هى شفاعاتك قوية ومقبولة: تقتدر كثيرا فى فعلها .

وهنا أود أن أقول أن التعبير الذى يستخدم عادة عن شفاعة العذراء مريم، يختلف فى التعبير الكنسى باللغة اليونانية والقبطية عن شفاعة القديسين الآخرين كالآباء الرسل وسائر الصديقين .

كنيستنا تخص شفاعة العذراء بتعبير" ابريفسيا ⲡ̀ⲡⲣⲉⲥⲃⲓⲁ " وهذا التعبير لا تستعمله إلا بالنسبة للعذراء، وبالنسبة لسبعة رؤساء الملائكة ، فى الهيتينيات نقول " هيتين نى إبريسفيا " وبعد ذلك نقول " هيتين نى إفشى ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲉⲩⲭⲏ " للقديسين، مع العلم أن كلمة "إفشى" أيضا كلمة يونانية قبطية معناها صلاة، لكن لماذا اختصت الكنيسة العذراء مريم بهذا التعبير وقصرته على العذراء مريم وعلى سبعة رؤساء الملائكة الواقفين فى الحضرة الإلهية ؟، هذه مسألة لها قيمتها ولها دلالتها، هذا مانود أن نقوله .

إن شفاعة العذراء مريم ليس فقط بمعنى صلواتها ، لا.. ولكن بمعنى آخر مضاف إلى هذا المعنى، أن كلمة " إبريسفيا " تفيد السفارة ، تفيد فى معناها الإشتقاقى معنى كلمة " سفارة " ومعنى " دالة ومكانة " .

أى أننا نستعين ليس فقط بصلوات العذراء مريم ، بل بحاجة أخرى ، وهى دالتها، والدالة مكانة ثانية ، والعذراء سفيرة ومكانة السفير أنه يمثل دولته، بمعنى أنه هو الدولة التى يمثلها .

فالعذراء بالنسبة لنا فخر جنسنا، فهى سفيرتنا، وهى أيضا باعتبارها والدة الإله لها هذه السفارة ، لأنها أم ولأنها الملكة ملكة السماء والسمائيين .

إذن العذراء ليست مجرد إنسانة تصلّى من أجلنا وتشفع فينا، بهذا المعنى الذى نقوله عن الآباء الرسل ونقوله عن القديسين الآخرين ، لكن العذراء تتمتع فوق هذا كله بمكانة، ولها بهذه المكانة دالة وهى سفيرة، وسفيرة واحدة، لايوجد غيرها أحد أخذ هذا اللقب، ويتمتع بهذه المكانة والكرامة، وأيضا كلمة " إبريسفيا " تفيد معنى الكرامة . فليس هناك إنسانة أخرى فى مثل كرامتها ، فى مثل دالتها ، فى مثل موقفها كسفيرة ، سفيرة عن جنسنا وسفيرة السماء لأنها أم الإله ، هذا شىء ليس بقليل .

فحينما نتكلم عن شفاعة العذراء ونحن نستعين بها نؤمن بأن الشفاعة متميزة ، ممتازة فوق كل أنواع الصلوات، ولذلك العذراء عندما تقدمت للمسيح فى عرس قانا الجليل لم تتكلم كثيرا، ولم تطلب من المسيح أن يعمل شيئاً، فقط قالت له " ليس لهم خمر" لم تطلب منه شيئاً إنما هى جملة واحدة " ليس لهم خمر" ، بدون كلام كثير وبدون إبتهال ، هذه دالتها عنده ، مجرد أن يرتفع نظرها إليه ، مجرد مايشعر أن لها طلباً أمامه ، يكفى هذا، ولذلك لاحظوا أنها ذهبت مباشرة بسبب نظرات عيونه إليها ، إلى الخدّام وقالت لهم " كل مايقوله لكم افعلوه " ، إذن فهمت أن دالتها قُبلت مع العلم أنها لم تطلب شيئاً، ولم تتكلم، كل الذى قالته " ليس لهم خمر" لكن فهمت من نظرات عيونه أنه استجاب .

وكلمة "مالى ولك ياامرأة " كما تكتب فى النص العربى، ليس لها فى اللغة الأصلية مالهذا الجفاف الذى يفهم أحيانا من الترجمة العربية ، إنما هى كلمة رقيقة ، كلمة فيها إستجابة ضمنية يريد أن يشعرها بالأحرى أنه لم يكن يرغب فى عمل المعجزة لكن من أجلها سيستجيب، مثل أى واحد يقول لأمه أو لأى واحد عزيز عليه " وبعدين فيك " لكن ليس بمعنى لغة الجفاف ولكن بمعنى تعبير إذا صحبته نظرات العيون يُفهم منه أن لهذا الشخص دالة وأنه بناء على هذه الدالة سيستجيب ، وهذا ما حدث للعذراء مريم ولذلك لم تحتاج أن تكرر الكلام، بل ذهبت للخدّام وقالت لهم "كل مايقوله لكم افعلوه" والمسيح طبعا حوّل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل، على الرغم من أنه لم يكن فى تدبيره أن يُحوّل الماء إلى خمر وإنما إكراما لتَدّخل العذراء مريم .

نريد أن نقول أن شفاعة العذراء ليست بمعنى الصلوات ، فنحن نقول " نسألك أذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا " ، أذكرينا هنا فيها معنى الصلاة ، وفيها أيضا معنى أكثر من مجرد أن تذكر أسمائنا أمامه حتى من دون أن تطلب، لكن لأن أسماءنا على فمها ، وفمها مكرم ولها دالة ومكانة وسفارة وكرامة .

أريد أن أقول أن مفهوم شفاعة القديسين فى الكنيسة القبطية لا تتعارض بتاتا، بل هى شىء آخر يختلف عن شفاعة المسيح الكفارية، لكن حتى فى داخل هذه الشفاعة نميز بين شفاعة العذراء مريم، وهى وحدها التى تلقب الكنيسة شفاعتها بأنها " إبريسفيا "، وبين شفاعة الآخرين من القديسين حتى لو كانوا هم الآباء الرسل .

أنت هى الممتلئة نعمة ياوالدة الإله العذراء : التعبير العربى يقول نسبحك لأن من قبل صليب إبنك إنهار الجحيم وبطل الموت، أمواتاً كنا فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية ونلنا نعيم الفردوس الأول :

الممتلئة نعمة : هذا التعبير هو الذى ورد على فم الملاك ، ياوالدة الإله العذراء، **نسبحك:** القبطى يقول (تين هوس ايروف) وعادة نستخدمه نقول نُسَبِحكْ لكن بأى معنى نسبح العذراء؟ ، ماذا يعنى التسبيح ؟ عندما نترجم كلمة سَبَحَ، أو نحدد كلمة أخرى تقابلها وتفسر معناها، نجد كلمة " نغنى بحمدك أو نغنى بمدحك "، حتى عندما نقول لربنا نسبحك معناها نغنى بمدحك أو نغنى بحمدك؛ لكن هناك فارق بين الواحد عندما يقول لله أسبحك يارب بمعنى أغنى بحمدك أو أغنى بمدحك، وحينما نستخدم نفس التعبير بالنسبة للعذراء، بالنسبة لله نحن نسبح الله ، ونغنى بمدحه فى نواحى كثيرة إنعاماته وأفضاله علىّ كإله وكسيد وكرب ، ولكن هذا لايتعارض مع تسبيحنا للعذراء أى نغنى بمدحها ، ومدح القديسين مدح للفضيلة ، وأى خطأ فى المدح ؟ هل هناك خطأ فى أن واحداً يمدح أحداً ؟ هل هذا المدح يتعارض مع الله ، لماذا ؟ متى يكون هناك تعارض؟ عندما ينسب إلى البشر ماينسب إلى الله ، أما أن الواحد يشيد بمدح إنسان ويبين فضائله، مثل ما يحدث فى جنازة واحد من الناس أو فى العزاء، ونمدح هذا الإنسان ونبرز فضائله تحية له، وأيضا تعليماً للناس كنموذج من ضمن النماذج التى تتحرك أمام البشر، فأى غضاضة فى هذا ؟!! صحيح أن الكتاب المقدس يقول " لاتغبط أحدا قبل موته "، ويقول " ليكن المدح لكل واحد من الله " ولكن بعد أن يموت الإنسان وينتقل، خصوصا بعد إنتقاله، إذا أظهر الإنسان فضائله أو مدح هذه الفضائل،

فليس هناك أى تعارض بين هذا النوع من التسبيح بمحامد الإنسان وبين التسبيح بمحامد الله .

فكلمة نسبحك أو نغنى بحمدك هذه عبارة طبيعية سليمة ليس فيها بتاتاً أى تعارض، بل بالعكس إبراز الفضيلة ممثلة فى العذراء مريم .

ولما نقول من قبل صليب إبنك إنهار الجحيم : انهبط الجحيم : يكون هذا بالنسبة إلى الصليب نفسه .

العذراء فى صلاة الغروب :

ننتقل بسرعة لصلاة الغروب : لأن صلاة الساعة التاسعة سهلة .

" لكل إثم بحرص ونشاط فعلت، ولكل خطيئة بشوق وإجتهاد ارتكبت، ولكل عذاب وحكم استوجبت، فهيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء، فإليك أتضرع وبك أستشفع وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى، وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء اهزمى، ولأبواب الجحيم اغلقى، لئلا يبتلعوا نفسى ياعروس بلا عيب للختن الحقيقى " .

هيئى لى أسباب التوبة : تهيئة أسباب التوبة، يمكن واحد يسأل فى نفسه ويقول كيف أن الإنسان يصلى ويقول هيئى لى أسباب التوبة؟ أى هل الإنسان المداوم على الصلاة لم يصل إلى التوبة؟ فى مفهومنا المسيحى التوبة نوعان : توبة عامة شاملة عن الحياة بأسرها وهذه يمارسها الإنسان عندما يكون فى حالة الخطيئة ، أى غرقان فى الخطيئة ثم تمس النعمة قلبه فيتحرك فى إتجاه الله ، يثوب إلى رشده ، يرجع إلى الله ، يعود إليه عقله ، هذه هى التوبة العامة الشاملة .

لكن المسيحى السائر فى طريق السماء يلزمه مايعرف بالتوبة اليومية ، التوبة اليومية وهى مراجعة النفس فى كل يوم ومحاسبتها فيما أخطأت وفيما أصابت ، هذه المحاكمة التى ينبغى أن تجرى فى حياة المؤمن كل يوم كعملية تنظيف مستمرة ، عملية غسل مستمرة، عملية تطهير على قدم وساق، تسير يوميا ، هذه حياة التوبة التى يحياها الناس الذين يسيرون فى طريق السماء .

فكلمة هيئى لى أسباب التوبة، بمعنى أن الإنسان فى بعض الأحيان حتى السائرون فى طريق السماء، يصيبهم نوع من الفتور، ربما نتيجة أن الحياة تسير على وتيرة واحدة ، هذه الحياة النمطية بعد فترة معينة ينتج عنها مايسمى بالفتور فى الحياة الروحية ، ويحتاج الإنسان من أجل تصحيح هذه الحياة النمطية ، ولكى تعود إليه بهجة

خلاصه يحتاج إلى متغيرات ، هذه المتغيرات من شأنها أن تقرع على قلبه وتنخسه فى أعماقه وتلين تحجره ، هذه الوسائط ، وسائط تليين القلب ، وسائط النخس واليقظة والإيقاظ والوعظ الذى تكلم عنه الرسول " عظوا أنفسكم كل يوم "، وعظ النفس للنفس، تبكيت النفس للنفس، هذا هو مايجب أن يكون فى حياة المؤمن بإستمرار، والذى يحتاج إليه خوفاً من الفتور الناتج عن الحياة النمطية ، يحتاج إلى متغيرات من شأنها أن توقظ القلب وأن ترده إلى بهجة الخلاص .

فهنا مانقوله للعذراء كأم هيئى لى أسباب التوبة، المقصود أسباب التوبة اليومية وهى القلب الحنون الرقيق الذى يبكى خطاياه، والذى يشعر بالرقة والحنان والحساسية، الحساسية الروحية القوية التى تجعله يحس ببشاعة الخطيئة والتى تجعله يحس بحاجته إلى عمل النعمة فى القلب . هنا هيئى لى أسباب التوبة أى الوسائط ، بصلواتك وأيضاً بدفعك قوة الشر المحيطة بى .

أيها الأخوة والأبناء لاتنسوا أننا فى حرب وأننا فى معركة، وأنا فى المعركة مهما كانت طاقتى وقدرتى فهى طاقة محدودة وتغيب عنى عشرات الأمور التى أجهلها ، تصارعنى قوات خفية غير منظورة ، لاتنس هذه الحرب الخفية الروحيـــة المستورة ، ولاتظن أنك إذا وقفت وحيداً فريداً تصارع لوحدك أن هذا بسالة منك، وأن هذا نوع من أنواع التمسك الشديد بالله، وتنسى وسائط أخرى أنت فى حاجة إليها. وسائط من القوى الروحية الأخرى المصارعة التى لها القدرة على أن تحارب معك وعنك، قوى الملائكة وقوى الأرواح المقدسة .

من دون أن نستطرد كثيراً أريد أن أُلفت نظرك لحاجة جاءت فى الكتاب المقدس، لكى تشعر منها أن هناك حرباً لا تدرى بها أنت غفلانٍ عنها ، هذا فى دانيال النبى ، يقول دانيال النبى أنه استمر ثلاثة أسابيع أيام صائماً يُصلّى، وأذل نفسه بالمسوح والرماد مع أنه نبى عظيم، ولتعرف عظمته، ربنا قال عنه "إن وقف هؤلاء الرجال الثلاثة " وكان دانيال بين هؤلاء الثلاثة، النبى الذى شهدت عنه السماء بالقول " دانيال أيها الرجل المحبوب " هذا التعبير لم يرد فى الكتاب المقدس إلاّ عن النبى دانيال فقط . وفى العهد الجديد جاء عن يوحنا أنه الحبيب ، إنما فى العهد القديم لم يرد عن أى واحد كلمة " المحبوب " إلا عن دانيال، أيها الرجل المحبوب، ثلاث مرات يأتى له هذا اللقب من فوق ، قاله رئيس الملائكة غبريال أو جبرائيل المبشر ، قال: " يادانيال أيها الرجل المحبوب منذ اليوم الأول الذى فيه أذللت نفسك، وسمعت صلاتك وأنا أتيت لأجل صلاتك" متى جاء له؟ بعد ٢١ يوماً، رئيس ملائكة يقول له منذ اليوم الأول الذى

أذللت فيه نفسك سمعت صلاتك وأنا أتيت لأجل صلاتك . إذن ماهو سبب التأخير ٢١ يوم يارئيس الملائكة؟ قال: رئيس مملكة فارس قاومنى ٢١ يوما، ياإلهى.. كلام مخيف ومرعب، رئيس ملائكة يقاومه رئيس مملكة فارس ٢١ يوما، إلى أن جاء ميخائيل الرئيس ، وهنا ميخائيل + غبريال استطاعا أن يهزما رئيس مملكة فارس ، من هو رئيس مملكة فارس هذا ؟ اذكروا أن ملاكاً واحد ضرب فى ليلة واحدة ١٨٥ ألف من جيش سنحاريب ملك أشور ، ملاك واحد ولم يكن رئيس ملائكة . إذن رئيس الملائكة غبريال يقاومه رئيس مملكة فارس ، إذن رئيس مملكة فارس لايمكن أن يكون بشر ، إنما هو الرئيس المعين من إبليس ، رئيساً للمملكة، الشيطان منظم نفسه ، مملكة ، فيها غفر ، وفيها عساكر، وفيها صاغات ، ... إلى آخره رتب كثيرة ، فوق كل ذلك رئيس الشياطين الذى هو رئيس هذا العالم، وبنفس الطريقة ربنا منظم أيضا الملائكة ويوزعهم . كل واحد منا له ملاك مثلما كل واحد منا له شيطان، يقولون شيطان الأنبا بولا . لماذا الأنبا بولا ؟ يعنى أنه شيطان قوى ، لأنه عندما يجدوا واحداً ناجحاً فى حياته الروحية، رئيس الشياطين يقول لشيطانه أنت لم تنجح ، فيقيله ويُعّين له واحداً أقوى منه ، عندما تكون مثلا دولة صغيرة وحدث صراع مع أمريكا، غير محتاجة أمريكا أنها تخرج الآلات الحربية العظيمة ، يكفى طيارة أو حاجة بسيطة، إنما لما تدخل مع روسيا طبعا تجيب آخر ما عندها، لأن هنا دولة كبيرة قوية . لذلك الذى جاء يحارب سيدنا له المجد ، رئيس هذا العالم، هو الذى حاربه على جبل التجربة إبليس نفسه ، فتصور معى رئيس الملائكة غبريال جاء من السماء فصده الشيطان، فلا تكن مغروراً ومتكبراً ، لو زعمت فى نفسك أنك أنت تقدر أن تدخل المعركة وتقدر أن تدخل مع قوات أكبر منك ستحرق بسرعة من أول ضربة ، سهام الشرير الملتهبة ناراً بولس الرسول يقول كنت أرغب فى الحضور أعاقنى الشيطان ، تصور بولس من عمالقة الروح يقول أعاقنى الشيطان، ومرة يقول أعطيت شوكة فى الجسد، ملاك الشر ليضربنى ، بولس الرسول الذى يقول هذا الكلام، هل أنت عظيم ، أنت روحانى ، أنت كبير جدا ، أنت تقدر تغلب كل شىء ، ياللغرور ، ياللكبرياء، أنت فى حاجة أن تعرف نفسك وتعرف أنك غلبان ومسكين ، لوحدك لا تقدر، لازم من قوات روحية تستعين بها، ولازم تعرف تماماً أن الكتاب المقدس يقول عن الملائكة أنهم قوات مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص، ربنا يرسلها إليك فتقول لا ... أنا أقدر لوحدى، هذه كبرياء؟ غرور عندما يكون واحد عسكرى عينته الحكومة للحراسة ، وأنت فى طريقك جاء لك لص هل تصارع لوحدك وهو أقوى منك أو تستغيث بالعسكرى ، تواضع

تستغيث بالعسكرى ، تواضع ياأخى واستغث بالعسكرى ، هو مُعيِّن لهذا الأمر فاستفد، استفد من هذه الإمكانيات التى تعطيها لك الدولة ، يقول يعنى إيه القديسين، أترك ربنا وأمسك فى القديسين؟، إذا كان الله معِّينهم ، معين الملائكة والقديسين ، بعد أن نالوا الترقية تَعَّينوا، ألم يقل لهم " كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير " ، فالذى كان يخدم على الأرض يخدم أكثر بعد ما يخرج من الجسد ، لا تتصوروا القديسين جالسين لا يتحركوا ، القديسون يملأون الدنيا حركة ، يملأون الكون حركة وعملاً ونشاطاً ، هم ليسوا أمواتاً ، المسيح يقول ليس الله إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء ، أحياء أحسن منى ومنك ، أحياء نعم، ويتمتعون بالحياة وبالقدرة لأنهم تركوا الجسد الذى كان يغلق عليهم وعلى أرواحهم فأصبحوا أرواحا متنقلة مقدسة ، حمام طائر لايحتاج إلى زمن فى الإنتقال ولا أكل ولا شرب ولا يحتاجوا إلى النوم ، أبدا .. والمخ، الذى كان يحدث له تصلب شرايين والإنسان تضعف ذاكرته، الإنسان لايحتاج إليه، لذلك المعرفة تمتد والقدرة على العمل وعلى النشاط تمتد . إذن القديسون هم قوى كيف أتركهم ؟ هذه غباوة ، غباوة ، غباوة روحية أن أترك هذه القوات التى أعطاها لنا الله . ربنا خلقنا لكى نكون آلهة على الأرض ، فهؤلاء القديسون تَحَّولوا إلى طاقات روحية، إلى آلهة، آلهة صغيرة تحت الإله الأكبر، مفروض فيهم أن يعملوا وأن ينشطوا، مفروض بطبيعة الروح التى أودعها فيهم الله أن يتحركوا فكيف لا أستغلها .

فنحن عندما نستعين بالعذراء ونصرخ للعذراء هذا منطق طبيعى، لأنه لازم أعرف إنى أنا إنسان فى المعركة ، وتوجد قوى روحية أنا لا أراها، أنا لا أستطيع أن أرى إلا أشياء بسيطة، مدى الرؤيا لى محدود والكون واسع ، لكن الملائكة وأرواح القديسين بعد أن خرجوا من الجسد أصبحت لهم رؤيا أوسع آلاف المرات منى ، بولس الرسول يقول الآن أعرف بعض المعرفة ، ولكن حينئذ سأعرف كما عرفت ، فكيف لا أستفيد من هؤلاء ؟ تكون غباوة وكبرياء من الإنسان إذا لم أستفد من هذه الأرواح المقدسة وعلى قِمتها وعلى رأسها الملائكة ورؤساء الملائكة، ووالدة الإله مريم فهى ليست إنسانه تُصلّى، ولكن لها دالة، ثم لها هيبة على قوات الشر، هى ملكة السماء والأرض فلها هيبة على القوات الروحية ، مجرد ظهور العذراء مريم يطرد الأرواح الشريرة .

هيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء فإليك أتضرع : الكلمة القبطية تفيد إياك أسأل ، (تى تيهو ايرو ϯϯϩⲟ ⲉ̀ⲣⲟ) .

إليك أتضرع أو إياك أسأل وبك أستشفع باللغة القبطية (تى طفه اموا إن أوو ابريسفيا ϯ ⲧⲱⲃϩ ⲙ̀ⲙⲟ ⲛ̀ⲟⲩ ⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ̀) واستخدم كلمة إبريسفيا لأنه كما قلنا أن

العذراء ليست مجرد إنسانة نرجو صلواتها، وصلواتها ذات فاعليات إنما فضلا عن هذا فالعذراء لها مكانة ولها كرامة ، وهذا معنى إبريسفيا ولذلك الكنيسة اختصت العذراء بكلمة إبريسفيا ولم تستخدم هذا التعبير بالنسبة لأى من آباء الكنيسة حتى الرسل . ففى الهيتينيات التى نستخدمها نقول (هيتين نى إبريسفيا انتى تى ثيئوطوكوس اثؤاب ماريا ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ̀ ⲛ̀ⲧⲉ ϯⲑⲉⲟ̀ⲧⲟⲕⲟⲥ ⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅ ⲙⲁⲣⲓⲁ̀) ، وبعد ذلك نقول هيتين نى إبريسفيا انتى بى شاشف إن أرشى أنجيلوس ، بشفاعة سبعة رؤساء الملائكة، الحالتان الوحيدتان فى الهيتينيات اللتان نستخدم فيهما كلمة " إبريسفيا ". فأولا تقال للعذراء وثانيا تقال لسبعة رؤساء الملائكة الواقفين أمام العرش ، الذى قال عنهم سفر الرؤيا " سبعة الأرواح التى أمام عرشه " ، والذى من بينهم الملاك رافائيل الذى قال فى سفر طوبيا " أنا أحد السبعة الواقفين أمام الله " ، فهؤلاء السبعة رؤساء الملائكة الواقفين أمام الله نستخدم لهم كلمة " إبريسفيا " إنما بين البشر جميعا لايوجد غيـــر العذراء فقط التى نستخدم لها كلمة " إبريسفيا " ، وهذا التخصيص له معناه ودلالته فى أن للعذراء مكانة خاصة وكرامة خاصة، وقلنا أن كلمة " إبريسفيا " تفيد أيضا معنى السفارة ، والسفير لدولته واحد ، لايوجد أكثر من سفير لدولته فى دولة أخرى ، السفير واحد ، فالعذراء تعتبر سفيرة لجنسنا أمام العرش الإلهى، الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ، وهى أيضا بإعتبارها الملكة أم الملك ، الملكة الوالدة بإعتبارها رئيسة السمائيين والأرضيين ، بهذه الصفة هى أيضا سفيرة للسماء فهى تتمتع بهذه السفارة وهذه المكانة وهذه الكرامة التى لا يتمتع بها آخر ، هذا هو السبب أننا دائما نستخدم فى طقوس صلواتنا هذا التعبير الخاص " إبريسفيا " .

هيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء : قلنا أن التوبة لها معنيان التوبة العامة الشاملة لكل الحياة، حينما يكون الإنسان بعيدا كل البعد عن الله، ولكن للسائرين فى طريق السماء وطريق الفضيلة أن يمارسوا ما يعرف بالتوبة اليومية ، وهى المراجعة الدائمة لأفكار الإنسان وأقواله وتصرفاته أولاً بأول ، حتى يتطهر الإنسان منها ، ويتوب عنها ويحاكم نفسه عليها وينال عنها التأديب المناسب حتى لايعود إلى أخطائه مرة أخرى .

وفى بعض الأحيان يقول بعض الناس كيف نقول الست أو السيدة وهى عذراء فى نفس الوقت، كيف تكون عذراء ونقول سيدة ، كلمة سيدة ليس معناها متزوجة ، إنما السيدة هنا لفظ تكريم ، مثل ما نقول السيد المسيح، فكلمة السيد هنا ليس لها دلالة على الزواج أو عدم الزواج ، إنما هى للدلالة على الكرامة ، وللعلم فى بعض الأحيان وفى

بعض كتابات الكنيسة كلمة " الست السيدة العذراء "، هنا كلمة الست كلمة غير عربية، كلمة قبطية ، كلمة قبطية هيروغليفية ، من الأدب المصرى القديم التى تقال عن الآلهة المحبوبة عند المصريين القدماء وهى " إيزيس" . فالأقباط عندما إنتقلوا إلى العهد المسيحى استخدموا هذا التعبير، أولا للسيدة العذراء، فقالوا الست السيدة، فالسيدة كلمة عربية لكن الست كلمة قبطية مأخوذة من أصول فرعونية هيروغليفية، فكلمة السيدة أو الست ليست كلمة للدلالة على الزواج أبدا ، لكن كما قلنا أن السيد المسيح نقول عنه السيد لا بمعنى الزواج ولكن بمعنى الكرامة .

إياك أسأل أو أتضرع ، بك أتشفع ، إياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء اهزمى ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى ياعروس بلا عيب للختن الحقيقى : كون إنسان يصلى ويطلب من أمه العذراء، لأنها أمنا جميعا التى سلّمها المسيح إلى يوحنا وقال له خذ أمك، وفى يوحنا أعطانا المسيح العذراء أماً لنا جميعاً ، فأى غضاضة فى أن يطلب الابن من أمه أن تساعده ، طلب المساعدة طلب مشروع فى عالم الإنسان ، كل منا فى حاجة إلى الآخر، فالواحد يطلب من هذا الآخر حينما يكون محتاجاً لشىء لايجده فى نفسه، فيطلب من هذا الآخر أن يساعده ، أن يعينه، " المساعدة "، فى اللغة العربية من الساعد، ساعده بمعنى أعطى له يده، أعطى له ذراعه، لكنه هو الأصيل فى الموضوع لابد أنه عندما يقع، أن يحرك نفسه ليقوم، ولكنه قد يحتاج لمساعدة إلى واحد يعطى له يده، لكن إن كان لا يرغب أن يقوم لا قيمة لهذه المساعدة، فمن الوجهة الروحية تعبيرات من هذا القبيل نطلب فيها المساعدة من الملائكة أو من القديسين، لاتفهم بمعنى أننا نحن نلغى وجودنا ، نلغى عزيمتنا ، نلغى جهادنا أبدا ، لا قيمة لهذه المساعدة مالم يكن وضع الإنسان فيها هو الوضع الأصيل ، فأنت أولا ، أنت الذى تقوم ، أنت الذى تتحرك، أنت الذى تسعى للخلاص وتطلب الخلاص سواء أكان خلاصاً من الخطيئة أو كان خلاصاً من أى ضيقة أو أزمة، فأنت الأصيل لأنك أنت الذى تطلب وأنت صاحب الأمر، ولايمكن أبدا أن يفرض عليك شىء بدون أن تكون لك الحرية بأن تبدى رأيك فيها ، حتى مخلّصنا له المجد لما ذهب للرجل المفلوج الذى له ٣٨ سنة ملقى على البركة ، قال له " أتريد أن تبرأ؟ " ، على الرغم من أن الحالة كانت واضحة والرجل ملقى على البركة ، فالمسألة ليست محتاجة لسؤال ، لكن هذا السؤال كان لابد منه، ليعلن الإنسان بلسانه فضلاً عن قلبه برغبته فى أن يقوم وأن يبرأ ، لأن الشفاء لن يفرض على الإنسان مالم يطلب الإنسان الشفاء، حتى من الناحية الطبية لايمكن لطبيب

أبدا أن ينجح فى علاج إنسان لايريد الشفاء، هناك أشخاص لا تريد الشفاء هذا صحيح، من الناحية الطبية يوجد أشخاص لأسباب باطنية لاتريد أن تشفى، فمهما قدم الطبيب من وسائط العلاج لاتفلح هذه الوسائط أبدا فى أن تعالج هذا الإنسان علاجاً حقيقياً .

فمن الناحية الروحية وحتى فى نواحى الحياة المختلفة ، فمن الناحية العلمية التلميذ الذى يريد أن ينجح يذاكر، إنما إذا كان هو لايريد فحتى الصلاة لا تنفعه لأنه لا يريد . وكذلك مساعدة الأساتذة والمعلّمين أو مساعدات الزملاء لا تفيده إلاّ إذا أراد هو أولا ، فعندما نقول (ساعدينى) هذا ليس معناه إحالة الموضوع كله على العذراء لكى تصنع معنا كل شىء ، وحتى مع الله ، فالله أعطى للإنسان دوراً .

خلاص الإنسان أمر مشترك بين الله وبين الإنسان ، الله له دور والإنسان له دور، إنما الخلاص دور الإنسان أولاً، وهذا هو السبب لماذا ربنا خلّص الإنسان ولم يُخلص الشيطان، لأن الإنسان طلب الخلاص " لخلاصك انتظرت يارب " هكذا قال يعقوب ، إنما الشيطان لم يطلب الخلاص فلم يعط له الخلاص، فهنا " أن تساعدينى "، بمعنى أعطنى يدك، لكن فى نفس الوقت أنا شاعر بمسئوليتى فى هذا الخلاص، أنا عارف مسئوليتى أنها هى الأولى ، لأنى سأحاسب أمام الله كإنسان، خلقت على صورته وعلى مثاله، إنما أنا أطلب من العذراء أنها تعطينى يدها، تساعدنى ، وأى غضاضة فى هذا، إذا كنا ونحن على الأرض نحتاج مساعدة من زميل فى العمل أو فى البيت أو فى المصنع أو فى أى مكان نطلب " تعالى ساعدنى" ، أعطنى يدك ، هل هذا يتعارض مع الصلاة إلى الله؟!! لا يتعارض..لأن الإنسان له إمكانيات أن يساعد غيره بل ومفروض فيه أن يستغل إمكانياته فى خدمة الآخرين ، فهذا لايتعارض بتاتاً مع طلب الإنسان وسؤاله إلى الله ، فعندما أسأل أخى، أن يساعدنى هذا أمر مشروع ومن جهة أخرى هو حق إنسانى وهو واجب إنسانى على من يملك أن يعين غيره، واجب عليه أن يقدم العون للآخرين. هذه مسألة فى غاية الأهمية فى علاقتنا بالله وعلاقتنا بالملائكة والقديسين، إن أرواح القديسين أرواح موهوبة وأرواح خلقت على الأرض على صورة الله ومثاله، وأنها لابد أن تكون عنصر خير، وعنصر عمل ونشاط على غرار الله، كما أن الله صانع الخيرات، كل إنسان منا مفروض فيه أن يكون صانع الخيرات وعلى قدر ما ينتج من مواهبة ومن إمكاناته ومن إمكانياته، على قدر مايثبت أنه حقا ثقّل مواهبه وتاجر فى وزناته، فيستحق عن هذه المتاجرة والربح الذى ربحه أجراً سمائياً . هذه النقطة فى غاية الأهمية فى نظرنا بعضنا لبعض، سواء أكان الأحياء زملاؤنا على الأرض، أو القديسون الذين عبروا إلى العالم الآخر، كل هؤلاء ، هذه العائلة البشرية ،

يسر قلب الله أن يرى أفراد عائلته متعاونين يساعد الواحد منهم الآخر، ويقدم كل واحد العون الذى يمكن أن يقدمه إلى آخرين ، بل وأنه سوف يدان إذا لم يستثمر وزنتـــه وموهبته وما له من إمكانيات أعطيت له ليتاجر بها ويعين غيره، سوف يدان عن هذا، فمن واجبه أن يعمل والله من السماء يرقب، يرقب أولاده ليرى هل يساعد الواحد منهم الآخر أم لا .

إذن إذا جاء واحد يقول عندما أستنجد بالعذراء مريم أترك ربنا، هذا كلام لا يُقبل ، ولايقبله الله أبدا ، فالله خلقنا لنعمل وخلقنا لنثمر، فمن العبث أن أظن أنى عندما أسأل الآخرين أن يساعدونى سواء كانوا على الأرض أم رحلوا إلى العالم الآخر، أن هذا يتعارض مع سؤالى لله ، صدقنى أنا سأقول لك شيئا، لو العسكرى الذى بجوار بيتك استغثت به وقلت له أنقذنى الحرامى ... فلو قال لك.. لما أستأذن رئيس الجمهورية ، هذا العسكرى لو علم به رئيس الجمهورية لضربه بالنار، لأنه أساء إلى صورة الدولة فى نظر المواطنين، ولأنه تجاهل أن رئيس الدولة أقامه وعيَّنه فى هذا المكان من أجل أن يحرس وأن يعمل، ولايحتاج بعد هذا إلى أن يستأذن رئيس الجمهورية ، إذا استأذنه استحق الغضب واستحق أن يقتل لأنه لم يفهم لماذا أُقيم ، ليس فى كل أمر أسأل القديسين يكون هناك داع أن هذا القديس يستأذن الله، فيه مثل يقول: " الذى يعمل الخير لا يستشر"، ليس الملائكة ولا القديسين فى حاجة أن يستأذنوا الله ليصنعوا الخير فى الكون، هم مُقامون ومُرسلون للخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص، فمن قبيل المروءة التى فيهم والفضيلة التى فيهم يتحركون من دون داعى إلى إستئذان .

هذا هو المفهوم الذى ينبغى أن نفهمه فى علاقتنا بإخوتنا فى الأسرة البشرية، فى نطاق رب الأسرة الأعظم لأن الله عمل نظاماً وخلق كائنات، لماذا خلقها؟ لماذا أتجاهل أنا الوضع الإلهى الذى رتبه فى الكون؟ أقام وظائف وجعل هذه الوظائف لأشخاص مفروض فيهم أن يكونوا مستحقين للأمانة التى سلمت إليهم وإلا أنهم سيحاسبون وسيدانون .

فإذا أنا استغثت مباشرة بالملاك ميخائيل، أنا فى غير حاجة أن أسأل الله من أجل أن يرسل الملاك ميخائيل، لست فى حاجة إلى هذا ، ولا الملاك ميخائيل فى حاجة إلى أن يستأذن الله، أبدا. لأن هؤلاء الملائكة مرسلون معينون للخدمة، والإنسان أيضا خلقه الله ليعمل، ويدينه إذا لم يعمل .

فإذا نادانى إنسان وطلب معونتى أتحرك تلقائياً بالنخوة، بنخوة الحب والعمل والخير، إذا كان إنسان غريق فى البحر وأنت تسير على شاطىء البحر واستغاث بك،

هل تقول له لما أصلى!! لا، إذا كنت تعرف أن تعوم فقد اكتسبت القدرةِ والقدرة أصلا من الله، فلك القدرة على أن تعين الآخرين ، لستِ فى حاجة إلى أن تصلى من أجل هذا الأمر ، تُصلى أن ينجح الله مهمتك، لكن لا تُصلى تقول لربنا انزل البحر أو لا، ولا تقول أستأذن رئيس الجمهورية لا .. إن كان فى إمكانك وأنت موهوب وقادر على أن تنزل البحر لأنك متعلم فن السباحة، فمباشرة لا تستشر لحماً ولا دماً، انزل لأن الله قد أعطاك هذا " كل عطية صالحة كل موهبة تامة هى نازلة من فوق" هذه الغباوة التى أنا أشعر تماماً بأنها موجودة فى قلوب بعض الناس، يقولون هل يقدر الملائكــة أن يعملوا كذا، هل تقدر العذراء تعمل كذا ، كما لو كانت العذراء محبوسة ومقيدة ، لا العذراء ولا القديسون مقيدون ، كثيرا ما تجد إعتراضات وهذه أصولها بروتستانتية ، تسربت إلى شعبنا ، يقول يقدر القديس فلان يعمل كذا ، القديسون موجودون فوق ولهم مقر، هل يقدر يطلع بدون إذن ربنا؟!! إذا كنت أنت على الأرض لك بيت ومع ذلك تخرج من بيتك وترجع لبيتك مرة أخرى ، وفى إمكانك أو فى قدرتك أن تصنع هذا ، فما بال الإنسان عندما يكون فوق لا شك أنه أكثر حرية، له مقر؟ نعم، إنما يتحرك، الشيطان محبوس بقيود أبدية تحت الظلام، لكن يصعد إلى فوق لأن السلسلة المقيد بها طويلة، مثل الكلب المربوط يقدر يجرى على قدر سلسلته ، ألم يقل المسيح " إذا خرج الروح النجس من إنسان يجول فى أماكن يلتمس راحة فلا يجد " فيقول أرجع إلــى مكانى الأول والرسول يعقوب قال " إن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول يتحرك فى الأرض " وفى سفر أيوب يقول عن الملائكة والقوات " مَثَلّوا أمام الله فجاء الشيطان ومَثَلَ بينهم " أى استطاع أن يصعد ، وسماه بولس الرسول " رئيس سلطان الهواء " فاستطاع أن يصعد فى الهواء فوق، على الرغم من أنه مربوط، إذن القديسون الذين لهم مقر فوق، ألا يقدرون أن يتحركوا على الأرض!! هؤلاء جميعا يتحركون، العذراء ومارجرجس وأبو سيفين كلهم ينزلون إلى الأرض وكل القديسين يتحركون ، سواء تراهم أو لا تراهم إنما هناك أُناس يستطيعون أن يروهم .

هذه النقطة مهمة جدا أريد أن تأخذوها بعين الإعتبار، هذا هو المفهوم العميق الروحانى المسيحى الذى يجعلنا نفهم نسبتنا فى هذا الوجود ، ونسبتنا لهذه الكائنات الأخرى الموجودة سواء كانت ملائكة أو بشراً مثلنا، سواء كان هؤلاء بشراً أحياء معنا زملاءنا على الأرض، أو تَرَقّوا وتَخلّصوا من أثقال هذا الجسد .

إياك أدعو أن تساعدينى ، نعم ، لأنى أنا محتاج لهذا ، لئلا أخزى ، ماذا تعنى أخزى ؟ تعنى بالقبطى (انطا اشتيم شيشبىⲛ̀ⲧⲁϣⲧⲉⲙ ϭⲓϣⲓⲡⲓ) أى أصاب بالخزى نتيجة فشلى لئلا أفشل، غير قادر لوحدى فساعدينى، أى غضاضة فى هذا .

وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى : نعم احضرى عندى ، أرواح القديسين تحضر ساعة الوفاة حسب مركز الشخص ، العذراء عندما جاءت تموت ، المسيح بنفسه نزل ومعه الملائكة ورؤساء الملائكة ليتسلم روحها، وأعطاها لرئيس الملائكة ميخائيل، هذه لأنها العذراء، المسيح بنفسه جاء لكى يأخذها لمكانتها وكرامتها " إبريسفيا "، والبشر أيضا الآخرين تحضر أرواح تصحبهم ، ويوجد عندنا فى تاريخ الرهبنة أن الأنبا انطونيوس عندما ذهب يقابل الأنبا بولا، شاء أن تكون هذه المقابلة فى اليوم الأخير من حياة الأنبا بولا. وقال له اذهب وأحضر لى الثوب الذى سأدفن فيه من عند القديس أثناسيوس، ولما ذهب وهو عائد وقبل أن يصل وجد روح الأنبا بولا تحملها الملائكة، وجمهور من أرواح القديسين فى موكب الأنبا بولا ، وروحه محمولة مع الملائكة ولما وصل القلاية وجد الأنبا بولا راكعاً ساجداً لكنه كان قد أسلم الروح .

هذه أمور كثيرة فى أدبنا القبطى وفى كتبنا ، أنت عندما تكون مسافراً يوجد أناس يودعونك، ولما تصل محطة الوصول تجد أُناس يستقبلونك، وبحسب مكانتك فى المجتمع يكون الذين يودعونك والذين يستقبلونك . نحن كذلك أيضا عندما نكون مسافرين لرحلة الأبدية، توجد ناس ستحضر لإستقبالنا غير الملائكة، يقول عن لعازر "حملته الملائكة " لكن توجد أرواح أخرى من القديسين ومن الأقرباء، وأقرباء بالروح أولا قبل أن يكونوا أقرباء بالجسد . الصداقة الروحية ألم يقل المسيح اصنعوا لكم أصدقاء فى المظال الأبدية حتى إذا فنيتم أو خرجتم من الجسد يقبلونكم فى المظال الأبدية ، فالواحد على الأرض يكون له أصدقاء فى العالم الآخر، طبعا حسب مكانتــه " الطيور على أشكالها تقع "، ما هو مركزك وما هو نوع الأصدقاء الذين أنت كونتهم فوق ؟ وهؤلاء يوم خروجك من هذا الجسد سيحضرون يأخذونك .

كان يوجد قديس فى دير المحرق اسمه القمص ميخائيل البحيرى، هذا القديس كان فى درجة السواح ، اليوم الذى توفى فيه هذا الرجل كانت هناك مظاهرة روحانية فى دير المحرق ، كثير مِن الشيوخ الأفاضل والقديسين الذين كانوا أحياء رأوا ملائكة ورأوا كائنات روحية تُحلق فى كل الدير .

يوم الأنبا ابرآم أسقف الفيوم تنيح ، الحكيمدار غير المسيحى رأى فى حلم الملائكة تقول (اكؤواب اكؤواب اكؤواب ⲭ̀ⲟⲩⲁⲃ ⲭ̀ⲟⲩⲁⲃ ⲭ̀ⲟⲩⲁⲃ) وهو رجل غير

مسيحى، لم يفهم كلمة اكؤواب ماذا تعنى؟ فعندما استيقظ أخذ يسأل فقالوا اكؤواب عند المسيحيين تعنى قدوس، فقال "لازم أسقف النصارى سيموت اليوم" .

فالسماء تتحرك، واحد سيحضر عندهم يكونون مستعدين للقائه، وتحضر فى موكبه الناس التى من طرازه ، أصدقاؤه الذين كوَّنهم، ولكن لو كان واحداً شريراً من الذى يحضر لمقابلته ؟ الشياطين تصعد من تحت الأرض ، هذا الكلام ليس من الخيال هذه حقائق إيمانية، من الذى يقابله فى اللحظات الأخيرة للوفاة؟ الشياطين طبعا، لأن المسيح قال أن " الشيطان رئيس هذا العالم " ، إذا كان بلغت من جرأته أنه كان يريد أن يستلم روح السيد المسيح ، ولذلك المسيح قال: " رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شىء ، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها"، ليس للشيطان سلطان على روح المسيح، لكن هذا شىء طبيعى عندما تخرج روح واحد شرير من هذا العالم ، من الذى يأتى لمقابلته؟ هل الملائكة ؟ لا.. عندما مات الغنى لم يقل الملائكة حملته، أبدا ، قال: فرفع عينيه فى مكان العذاب ، وكلمة رفع معناها أنه كان تحت، لأن الجحيم طبقات، فالغنى كان مع الناس الذين كانوا فى الطبقة السفلى، رفع عينيه فوجد إبراهيم ، إبراهيم كان مازال فى الجحيم، لأن المسيح لم يكن قد جاء بعد وتم الخلاص، إنما كان فى الطبقة العليا ، فالغنى رفع عينيه فى مكان العذاب، المستوى مستوى مختلف نهائى ولو أنهم كلهم كانوا فى الجحيم لأن الفردوس لم يكن فتح بعد ، هذا الكلام الذى نقوله حقائق إيمانية ، يوم أن يخرج واحد شرير من هذا العالم لا يحضروا لمقابلته لا الملائكة ولا القديسين ، ولكن الأرواح الشريرة أصدقاءه الذين من نوعه يحضرون لمقابلتـــــه ، ويستلموه ويرحبون به فيتحول إلى عسكرى من عساكر الشيطان فى مملكة الشيطان .

إياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى: نعم . وأنا أعرف أن بعض الأشخاص فى اللحظات الأخيرة رأوا العذراء مريم على السرير جنبهم ، هذا الكلام ليس كلام خيال هذه حقائق ، احضرى عندى ، نعم . عند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى ، تعالى احضرى وفاتى اسندينى ، " أعنا يارب على سكرات الموت وماقبل الموت ومابعد الموت " ، ألا نصلى ذلك فى تحليل الكهنة فى نصف الليل . ماهى سكرات الموت وماقبل الموت ومابعد الموت ؟ تعالى ساعدينى ، فى سكرات الموت ، ساعدينى لماذا ؟ لأن الشيطان فى اللحظات الأخيرة يريد أن يضربنى، يريد أن يصيبنى بآخر سهم، يحضر لى أفكاراً ، يحضر لى صوراً، يحضر لى ذكريات ليتعلق بها قلبى فى اللحظة الأخيرة ، يضربنى بسهامه ، تعالى احضرى عندى .

لأبواب الجحيم اغلقى: نعم ، أغلقى أبواب الجحيم لأنك بهذا ستطردين الشيطان وتمنعين خروجه من أبواب الجحيم ، نفس وجودك معى يا أمى، وجودك فى اللحظات الأخيرة سيطرد الشيطان وينزله إلى تحت، تعلمون قصة اللجيئون ، اللجيئون هو فيلق، والفيلق فى ذلك الوقت كان ٦٠٠٠ شيطان ، انظروا أدب الشياطين يقولون للمسيح " لا تأمرنا بأن ننزل إلى الجحيم ؟ بل ائذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير" ، وهنا كلمة الجحيم فى اليونانية معناها " العمق الذى ليس له قرار" ، وهذا يدل على مكانة المسيح الإلهية ، الشياطين من رعبهم ، يقولون له لا تأمر أن ننزل إلى العمق الذى ليس له قرار ولكن ائذن لنا، فأئذن لهم فدخلوا فى قطيع الخنازير .

فالعذراء بمكانتها وكرامتها حينما تظهر، نفس حضورها ، وليس صلواتها فقط لكن نفس حضور العذراء، لمكانتها وكرامتها والنور والبهاء المشع من جسمها ومن روحها يطرد الظلمة ، نعم ، الشمس لا يمكن أن تقف الظلمة أمامها ، غير معقول ، العذراء عندما تظهر لا يمكن أن قوات الظلمة تبقى ، فأنا أطلب ، أنا كمصلى أطلب " عنـــد مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى "، نعم ، أنا محتاج لك لكى تساعدينى فى اللحظة الصعبة ، التى فيها الشيطان سيحضر ليهاجمنى ويريد أن يصيبنى بسهامه لعله يقتنصنى بإرادته ، تعالى ساعدينى خلصينى ، نعم وأى غضاضه فى هذا ، لأن فى إمكانية العذراء أن تعمل هذا وفى استطاعتها وفى قدرتها الموهوبة لها من الله ، وليس فى هذا أبدا تعارض مع صلاتنا إلى الله، أن هذه إمكانات وإمكانيات فى الكون ينبغى أن يستغلها الإنسان لصالحه .

ولمؤامرة الأعداء اهزمى : والأعداء هم الشياطين .

ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى ياعروس بلا عيب للختن الحقيقى: لئلا يبتلعونى ، يأخذونى معهم ، يغتصبونى، يقتنصونى لإرادتهم ، ينزلوا بى تحت ، اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى ياعروس بلا عيب: عروس نعم عروس ، عروس لأنها بغير زواج، وبلا عيب (إن ات ثوليف) ليس فيها عيب. كلك جميلة يامريم ياحمامتى ياكاملتى، ليس فيك شىء من العيب، للختن الحقيقى الذى هو العريس الحقيقى .

العذراء فى صلاة النوم :

أيتها العذراء مريم الطاهرة ، لا يوجد من يشك أن مريم عذراء طاهرة !! **اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك :** اسمحى لى أن أدخل تحت سترك، لكى تحمينى من

الأعداء لأن سترك شبيه بستر العلّى بل هو ستر العلى ، الستر الذى لك ستر العلّى لأنه هو الذى أعطاك .

اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك، ابعدى أمواج الأفكار الردية عنى: كيف؟ ابعديها ، ليس بصلاتك، اطرديها بالأمر الصادر منك، لأنك أنت عندما تظهرين تهرب عنى الشياطين، يهربون ، لا يقدرون أن يثبتوا أمامك يامريم ، ابعدى الأفكار الشريرة لأن منها أفكاراً يحضرها الشيطان، صحيح أن هذه الأفكار لا تستقر فى الإنسان إلاّ إذا أرادها ، مثل ماقال القديس باخوميوس أب الشركة " أنت لا تستطيع أن تمنع الطيور من أن تحلق فوق رأسك، لكنك يمكنك أن تمنعها من أن تعشش فى شعر رأسك"، معنى ذلك أن هناك أمواج أفكار ممكن أن يرسلها الشيطان، وفى قدرة الإنسان أن يطردها، ولكن بنفس القاعدة أنا محتاج إلى مساعدة العذراء مريم، لكى تساعدنى فى طرد هذه الأفكار، وأمواج هذه الأفكار المقاتلة لى .

اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك ابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنـــــى، انهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر لأنها استغرقت فى ثبات عميق فإنــك أم قادرة: أم قادرة (اس جور **cϫop̀**) لو كان رجل بالقبطى يسموه قادر (اف جور) ، لكن المرأة اس جور .

أنت أم قادرة، كلمة قادرة هنا نفهمها بمعنى أن القدرة التى فى كل كائن حى، طبعا هى من الله، لأن الله هو الذى خلقنا وهو أبو الأرواح وهو القادر على كل شيء، ولكن لكل إنسان منا قدرة ، هذه القدرة قد تكون محدودة وقد تزداد من واحد لآخر بعوامل مختلفة لكن هناك قدرات ، هذه القدرات التى كانوا يسمونها فى علم النفس الملكات، ولكن غيروا هذا التعبير فأصبح اليوم القدرات لأسباب لاداعى لشرحها الآن .

فإذن الإنسان عنده قدرات ، ومفهوم أن هذه القدرات من الله، ثم أن الإنسان يُنَّمى هذه القدرات فتصبح إمكانات له يقدر أن يعمل بها، نحن خلقنا لنكون آلهة على الأرض مثل ماقال اكليمنضس الأسكندرى ، آلهة صغيرة طبعا بمعنى أنه يكون لنا " قدرة خلاّقة " وليس خطأ أن نستخدم كلمة " خلاّقة " هنا، لأن الله قال لآدم " املئوا الأرض وأخضعوها وتسلّطوا " انظر هذا التعبير الذى يعد أكبر تعبير يطعن الوجوديين فى الصميم ، الذى يدل على أن الله أعطى الإنسان قدرات وقال لهم " املئوا الأرض وأخضعوها " انظر كلمة " أخضعوها " يعنى إذا تمردت الأرض عليكم تقدروا أن تخضعوها ومن الذى يقول هذا الكلام ؟ هو سيد الطبيعة ، خالق الأرض يعطينا سلطان أن نخضع الأرض ، فإذا تمردت الأرض علينا أن نخضعها وهذا مايحدث، الإنسان

عندما يجد أرض صحراء يُحولّها إلى أرض خصبة ، عندما تكون المياة مالحة يقدر بقوانين الطبيعة أن يُحولّ الماء المالح إلى ماء عذب وهكذا، كل الذى تسمعونه عن الإختراعات والكشوف العلمية، الطيارات التى تطير لأعلى، وسفن الفضاء ، والبواخر التى تعبر المحيطات ، هذه قدرات ، الراديو والتليفزيون وما إلى ذلك من إختراعات وفى كل فروع المعرفة الإنسانية ، فيه قدرات ، فالإنسان خلق هذه الأشياء بالقوة المودعة فيه، وهى الروح الإنسانية التى هى على صورة الله ومثاله. فنحن عندما نقول فلان قادر ، هذا ليس معناه أننا أصبحنا ملحدين ، أو أنكرنا القوة الإلهية ، لأن القوة الإلهية هى التى بها يكون الإنسان قادر وهذه القدرة أخذها من الله .

عندما نقول الأب أنجب إبنه ما معنى أنجب ؟ يعنى أوجده ، فالأب منجب ، لكن طبعا القدرة التى فيه أصلا من الله الكلى القدرة فكل قدرة يمكن أن تعمل .

انهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر : بمعنى بوسائلك المختلفة أيقظينى ، هل من الخطأ أن تقول أيقظينى ؟ ليس خطأ أبدا أن تقول لواحد أيقظنى " عظوا أنفسكم كل يوم مادام الوقت يدعى اليوم لئلا يتقسى أحد منكم بغرور الخطيئة " .

نحن نقدر أن نوقظ أنفسنا بوعظ النفس للنفس ، ولكن أيضا نوقظ بعضنا البعض وإلا لماذا كان الوعظ ؟ لماذا أنتم هنا اليوم ، لماذا حضرتم؟ لماذا نحضر إلى الكنيسة؟ لأننا محتاجين إلى أحد يوعظنا لكى يوقظنا، هذا لايتعارض أبدا مع الصلاة لله ، بل بالعكس هذا ماصنعه الله ، الله هو الذى شاء أن أُناسا تعظ أُناساً ، الكبير يعطى خبرة للصغير، الكبير ينصح الصغير، فأوجد للكبير وظيفة أن يُعلِّم، بل الملاك ظهر لكورنيليوس الرجل التقى العظيم الذى كان يصوم ويصلى ، وقال له عندما ظهر له " صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله " ثم ماذا؟، قال له " اذهب لسمعان الملقب بطرس " اذهب للكنيسة، لماذا لا تكلمه أنت أيها الملاك.. يقول لا.. هذه ليست مهمتى، اذهب للكنيسة ، اذهب لسمعان الملقب بطرس، لو أن كورنيليوس الذى ظهر له الملاك والملاك كلمه وعرفه طريق الخلاص ماذا كان يصنع كورنيليوس، كان يدوس الكنيسة برجليه لأنه غير محتاج للكنيسة، كان يوجد شخص فى المنصورة سار فى طريق السحر، فالشياطين أقنعوه أنهم رسموه قسيساً، فعمل ملابس كهنوتية وذهب إلى الكنيسة ودخل على الهيكل ، فكاهن الكنيسة تعجب ، وقال له كيف تفعل ذلك؟ فقال له أنت رسمك المطران، أنا رسمنى رئيس الملائكة ميخائيل ، فلو كان الملاك كلم كورنيليوس كلمتين صغيرتين كان لا يحس بأهمية الكنيسة، مثل ما يقول البعض اليوم " مطران إيه وقسيس إيه وبطريرك إيه وشماس إيه.. ياأخى اجعل صلتك بالله مباشرة "، الله لا يقبل

هذا الكلام، إذا كان المسيح بجلاله ظهر لشاول الذى هو بولس ، وقال بولس للمسيح ماذا تريد يارب أن أعمل ؟ قال له ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . ثم يذهب المسيح بجلاله إلى حنانيا أحد الرسل السبعين، ويقول له اذهب إلى شاول فى الزقاق الذى يقال له المستقيم ، لماذا يارب هذا الدوران، لماذا كل هذا لماذا؟ وهذا الإنسان إناء مختار وأنت الذى ظهرت له فكمل الحكاية، يقول لا.. أنا الآن رئيس الكنيسة غير المنظور لكنى أقمت عنى وكلاء.. أنا لا أريد أن ألغى دور الكنيسة حتى لا أتناقض مع نفسى، أنا الذى وضع النظام، ألغى الكنيسة، أنا أقمتهم ليكونوا إمتداداً لى على الأرض . وحملتهم هذه المسئولية، ومن لايسمع للكنيسة فليكن كالوثنى والعشار، المسيح لم يقبل أن ينقض هذا ، المسيح بجلاله وليس الملاك فقط الذى رفض أن ينقض هذا المبدأ وقال له اذهب وعندما ذهب كورنيليوس وأول ما رأى بطرس الرسول سجد عند قدميه، لأنه شعر أن هذا الرجل عنده حاجة من الله لا توجد فيه، ولا توجد حتى فى الملاك ، هذا هو النظام ، ولذلك بولس الرسول بعد أن عمده حنانيا وقال له قم واعتمد واغسل خطاياك ، ذهب لكى يعرض نفسه على المعتبرين فى الكنيسة أعمدة ، فلما أعطوه يمين الشركة أصبح رسولاً بوضع اليد ، وضعوا اليد عليه ، لم يعفيه أبدا ظهور المسيح له ، من وضع يد الكنيسة لأنها مؤتمنة، وهم الذين أعطوه يمين الشركة بعد أن وضعوا اليد عليه .

العذراء فى صلاة نصف الليل : الخدمة الأولى :

يا والدة الإله العذراء الحصن المنيع أبطلى مشورة المعاندين : المعاندين سواء أكانوا من الشياطين أو من البشر ، المسيح قال "أعطيتكم السلطان أن تدوسوا الحيات والعقارب ، وليس معنى ذلك الحيات والعقارب هى الثعابين من الحيوانات فقط . لا .. مثل ما قال بولس الرسول " أنا فى أفسس حاربت وحوشاً " ، فهناك بشر فى مرتبة الحيات والأفاعى، والمسيح قال ذلك، قال أيها الحيات أولاد الأفاعى، فالمعاندين لنا من الشياطين وأيضا من البشر، المسوقين من الشيطان ضدنا .

وحزن عبيدك رديه إلى فرح وحصنى مدينتنا : أنا قلت لكم على القمص ميخائيل البحيرى الذى كان فى دير المحرق الذى تنيح سنة ١٩٢٢، وكان هذا الرجل فى مرتبة السواح وكان أب إعتراف الدير كله بما فيه الأسقف رئيس الدير، كان هناك رجل فى أسيوط كان فى غيظ من واحد يمكن من العمال.. فذهب لرجل ساحر وأراد أن يعمل السحر على هذا الشخص الموجود فى الدير المحرق ، فبدأ الساحر يشتغل ، هل تعلموا

ماذا قال الساحر ؟ قال له يوجد واحد اسمه القمص ميخائيل البحيرى صلاته تصنع طوقاً من نار حول الدير. انظر التعبير، التعبير صلاته تعمل طوق من نار حول الدير. هذا الرجل الذى ذهب ليعمل السحر، عندما سمع هذا الكلام جاء وطلب أن يدخل الدير ويترهبن .

صلوات القديسين مقتدرة كثيرا في فعلها ، طوق من نار .

أنتم تعلمون أيضا قصة القديسة العذراء يوستينا كانت سببا فى أنها جعلت كبريانوس الذى كان ساحراً أن يؤمن بالمسيح ، هذه الفتاة كانت عذراء بحسب نظام العذارى الذى أنشأته العذراء مريم، فكانت من بيتها للكنيسة ومن الكنيسة لبيتها ، فكان يراها شاب أعجب بها وأراد أن يتزوجها ، فأخذ يطارحها ألفاظ الغزل لعله ينال من قلبها، وأن يتزوجها ، قالت له أنا عذراء للمسيح ، فقال هذا الكلام أمام أصدقائه، فقالوا له يوجد واحد اسمه كبريانوس هذا يستطيع أن يحضرها لك صاغرة ، فذهب إليه وقال له قصته وسأله هل تستطيع ، فقص له كم كبير من عظائم أعماله وقدم له كشفاً طويلاً من إنجازاته ، واتفق معه على مبلغ، وأعطى له نصفه مقدماً وابتدأ يشتغل بأعمال السحر ويرسل الشياطين وقوات الظلمة لكى يلتفوا حول البنت ويلقوا لها بالأفكار فيتعلق قلبها بمحبة هذا الشاب فتوافق ، بل على العكس هى التى تطلبه ، فأرسل الشياطين وكانت الفتاة لاتكف عن الصلاة ، الصلاة التى بلا إنقطاع لأنها عذراء للمسيح ، فلما ذهبت الشياطين على البيت وجدوا أن البنت محاطة بالملائكة ، فالملائكة طردت الشياطين فرجعوا صارخين لكبريانوس وقالوا له لم نستطع أن ندخل لهـــا، فأمسك كتب السحر وقطعها وأصبح مسيحياً ، هذه قصة فى القرن الثالث، وكبريانوس هذا أصبح أسقفاً على قرطاجنة من أهم أساقفة القرن الثالث للميلاد. فالصلاة تعمل طوقاً من نار مثل ما قلنا وتحضر الملائكة وتشد القوات الروحانية حول الإنسان .

فما بالك بالعذراء مثل ما قلنا ليس فقط صلواتها ولكن حضورها ذاته له كرامته ، وهيبته ، وطهارته ، النور المنبعث منها يطرد قوات الظلمة .

حزن عبيدك رديه إلى فرح وحصنى مدينتنا : اجعلى حولها حصون ، حصون من نار .

وعن ملوكنا حاربى : واحد يقول كيف نقول عن ملوكنا حاربى ، هل المسيحية تبيح الحرب ؟ من قال ذلك؟، كلمة ملوكنا يعنى رؤسائنا حاربى عنهم ، نحن لا نقر الحرب، ولكن هناك حرباً روحية، وقال الكتاب " إن محاربتنا ليست مع دم ولحم بل مع أجناد الشر الروحية فى السماويات "، قال " البسوا سلاح البر ودرع الإيمان وخوذة

الخلاص " وهى كل أدوات المحارب، وهذا بالمعانى الروحية ، وعندما يدهن الكاهن الشخص بالميرون يقول: درع البر لأنه موهبة الروح القدس فتكون درعاً حتى أن الواحد إذا أصابه سهم يرتد هذا السهم، ولذلك الناس تسأل هل السحر يقوى على المسيحيين ، نقول إذا كانوا معمدين ومدهونين بالميرون بحسب ترتيب الكنيسة لا يمكن أبدا للسحر ولا للشيطان الغلبة عليهم أبدا ، فالذى تسمعونه لابد أن يكون شيء حدث خطأ، فممكن أن يكون هذا الشخص لم يدهن بالميرون، وهذا مايحدث فى بعض الأحيان، أن الواحد يقول لابد أن يعمد إبنه يوم أحد التناصير، والأعداد تكون كثيرة ٤٠٠ ، ٥٠٠ ، و ٤٠٠٠ ، و ٥٠٠٠ فيكون الكهنة مرهقين ويضعون الميرون فى ماء المعمودية ويعتبر أن هذا هو سر الميرون، ولكن هذا الميرون الذى وضع فى الماء هو لتدشين مياه المعمودية ، هذا غير سر الميرون الذى تدشن به الأعضاء فى ٣٦ موضعا، لذلك سيدنا له المجد قال " إذا خرج الروح النجس من إنسان يجول فى أماكن يلتمس راحة فلا يجد فيقول أرجع إلى بيتى الأول فإذا رجع ووجده فارغاً مكنوساً مزينا يمضى ويأتى بسبعة أرواح أخرى "، كلمة سبعة هنا ليس معناها سبعة فقط، ولكنها هنا تشير إلى عدد الكمال يعنى ممكن تشير إلى سبعة آلاف، سبعين ألف إلى آخره ، " فتصير أواخر ذلك الإنسان شراً من أوائله " .

المهم أن المسيح قال أن الشيطان الذى خرج يرجع مرة أخرى ، ففى المعمودية الكاهن ينفخ فى المعمد قبل أن ينزل جرن المعمودية ويقول اخرج أيها الروح النجس، ٣ مرات ينفخ فيه، ثم يعمده، فخوفا من أن يعود الشيطان مرة أخرى ويدخل البيت الفارغ فبسرعة تختم على الأبواب للحراسة بالميرون المقدس حتى لانسمح أبـــدا للشيطان الذى خرج أن يعود إلى الإنسان مرة أخرى ، وهذا يدلكم على ترتيب الكنيسة الجميل ، أن الميرون يباشر مباشرة بعد المعمودية وهذا ما قاله آباء الكنيسة مثل كيرلس الأورشليمى فى القرن الثالث عندما قال بعد خروجنا من مياه المعمودية مسحنا بالزيت المقدس، فلا بد من سر المسحة الذى قال عنه الرسول يوحنا "وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء ولستم فى حاجة أن يعلّمكم أحد بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها وهى حق وليست كذباً .

فالحرب هنا، **عن ملوكنا حاربى** : يعنى عن ملوكنا، رؤسائنا عموماً ، هنا الملوك بكل معنى، الملك هنا بمعنى الرئيس ، سواء كان رئيس جمهورية، أو ملك فى الدول التى لها ملك، أو حتى ممكن تنطبق على البطريرك بإعتباره أنه أيضاً رئيس للشعب روحيا ، عن ملوكنا حاربى يعنى اطردى ، بصلواتك من جهة ، وبهيبتك وروحانيتك

وقدراتك كملكة السماء وملكة الأرض، حاربى عن ملوكنا وعن رؤسائنا، **وتشفعى عن سلامة العالم لأنك أنت رجاؤنا ياوالدة الإله،** هل كلمة رجاؤنا هذه تتعارض مع أن الله رجاؤنا ؟ أبداً .. أنت ياأخى تقول لواحد آخر أترجاك ، ماذا تعنى أترجاك ، هى نفس الكلمة، الأصل واحد ، الرجاء والترجى واحد، فأنت تضع رجاءك فى هذا الإنسان .

فإذا قلنا أنت رجاؤنا ، هذه لا تتعارض مع رجائنا الأكبر أبداً .

الخدمة الثانية :

السموات تُسبحك وبالقبطى (سى هوس إيرو **ⲥⲉϩⲱⲥ ⲉ̀ⲣⲟ**) وقلنا يسبح هنا بمعنى يغنى بحمده ، فالسموات تغنى بحمدك ، نعم ، الملاك لما جاء قال لها " أيتها الممتلئة نعمة " فالسموات تغنى بحمدك ، هنا تسبحك بمعنى تغنى بحمدك، وهذا أمر مشروع للإنسان، هذا غير مدح الله وغير التسبيح .

أيتها الممتلئة نعمة العروس التى بلا زواج : طبعاً هذا الكلام تكلمنا فيه .

ونحن أيضا نمجد ميلادك غير المدرك: القبطى يقول (إم ابجين ميسى أن أتساجى امموف **ⲙ̀ⲡⲉϫⲓⲛⲙⲓⲥⲓ ⲛ̀ⲁⲧⲥⲁϫⲓ ⲙ̀ⲙⲟϥ**) هنا كلمة آت ساجى معناها " الذى لاينطق به ولايعبر عنه " ، آت ساجى امموف ، أقوى من كلمة غير المدرك ، معناها الذى لاينطق به والذى لايعبر عنه، نمجد ميلادك هنا ميلادك للمسيح وليس ميلادها هى من يواقيم وحنة ، لا.. نمجد ميلادك للمسيح، لأن كونها وهى عذراء تلد فهذا سر عظيم حارت فيه عقول العلماء والفلاسفة وإلى اليوم، سر لايدرك، سر لايمكن الإحاطة به ، سر يعلو على الأفهام البشرية ، سر لايمكن للسان بشرى أن يفصح عنه أو يعبر عنه ، نمجد ميلادك للمسيح ، لأن من جهة ميلادها هى كان طبيعى من يواقيم وحَنة، لكن عندما نقول نمجد ميلادك الذى لاينطق به، غير معقول أن يكون ميلادها هى من يواقيم وحنة، لأنها ولدت مثل أى إنسانة تولد من أب وأم، لا يوجد عجب فى هذا، لكن موضوعنا هو ميلادها هى للسيد المسيح ، ولذلك نحن نرفض تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الذين يقولون عن العذراء حُبل بها بلا دنس ، لا.. المسيح وحده هو الذى حُبل به بلا دنس، إنما العذراء حُبل بها بدنس الخطيئة الأصلية وورثت الخطيئة الأصلية ولذلك قالت " تبتهج روحى بالله مُخلِّصى"، فهى إحتاجت إلى الخلاص ، فالذى حبل به بلا دنس هو المسيح وحده .

ياوالدة الإله تشفعى من أجل خلاص نفوسنا .

الخدمة الثالثة :

يا باب الحياة العقلى ياوالدة الإله المكّرمة (اتطايوت ⲉⲧⲧⲁⲓⲏⲟⲩⲧ) .

يا باب الحياة العقلى : طبعاً الحياة العقلى خلاف الحياة المادية ، الحياة العقلية هى المسيح نفسه، وهى باب الحياة لأنه منها دخل المسيح إلى العالم ، المسيح دخل إلى العالم كيف ؟ عن طريق مريم، فكانت هى الباب الذى منه دخل، ولذلك حزقيال النبى بروح النبوءة قال: " هذا الباب يكون مغلقاً لايفتح ولايدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً ". وهذا كلام نهائى وحاسم من السماء ، أن العــــذراء كانت ومازالت وستظل إلى الأبد العذراء معرفة بالألف واللام .

خلّصى الذين إلتجأوا إليك بإيمان من الشدائد : سواء أكانت شدائد روحية أو شدائد أخرى من أى نوع، خلّصى الذين إلتجأوا إليك، ولاغضاضة فى أن نلجأ إلـــى العذراء .

قال أيوب الصديق "إلى أى القديسين تلتفت" ، فممكن أن نلتجيء أيضاً إلى العذراء، إذا كان الواحد يتجه لإنسان آخر يشعر أن عنده شيء ممكن يعطيه له، فلذلـــــك لا غضاضة أبداً أن نلجأ إلى العذراء لأن عندها إمكانات وقدرات يجب أن نستفيد منها، فإستغاثتنا بالعذراء إستغاثة مشروعة، بل من الحمق ومن الكبرياء أن الإنسان تكـــون عنده هذه الإمكانية ويستغنى عنها ، عندما تكون أمك لها هذه المكانة كيف لاتلجأ لأمك إلا إذا كنت متكبراً متغطرساً، تظن فى نفسك أنك تقدر أن تكون فى غنى عن أمـــك ، لكن القديسين المتواضعين الروحانيين الذين يدركون قيمة الروحانيات يعرفون أن لأمنا جميعاً العذراء الطاهرة ، هذه الكرامة ، فينبغى أن نلجأ إليها حتى تعيننا .

لكى نمجد ميلادك الطاهر فى كل شيء ، هنا الميلاد الطاهر هو ميلادها للسيد المسيح وليس ميلادها هى من يواقيم وحَنة. لأنها هى ولدت بالخطيئة الأصلية، إنما ميلادها الطاهر من كل خطيئة هو ميلادها للسيد المسيح .

من أجل خلاص نفوسنا .

ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

مجىء العائلة المقدسة

إلى مصر

أولا : هروب العائلة المقدسة إلى مصر .

ثانيا : رحلة العائلة المقدسة .

ثالثا : مسيرة العائلة المقدسة .

أولا: هروب العائلة المقدسة إلى مصر

خرج يوسف كأمر الملاك، وخرجت معه سيدة الكل تمتطى حماراً وتحمل على ذراعيها الرب يسوع ، ويوسف بجانبهما يمسك بمقود الحمار، وقد أجمعت كل التقاليد الشرقية والغربية على أن مريم العذراء ركبت حماراً. وسار يوسف إلى جانب الحمار ممسكاً بمقوده حسب المتبع عادة فى الشرق. ولعل هذه هى الصورة التى قدمها سفر الخروج عن موسى النبى عندما رجع من بلاد المديانيين إلى مصر، فأخذ موسى امرأته وولديه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر وأخذ عصا الله بيده .. (الخروج ٤: ٢٠) .

وقد صحبتهم أيضاً سالومى[١]التي تعرف أيضاً فى الإنجيل بأم ابنى زبدى[٢] . خرج يوسف من أرض فلسطين متجهاً صوب مصر، ولم يكن يعلم إلى أين يمضـــى

---

(١) إنجيل القديس مرقس (١٥: ٤٠)، (١٦: ١) .

ومن مصادرنا فى أن سالومى أو سالوما صحبت العائلة المقدسة فى رحلتها من فلسطين إلى مصر، نذكر مايلى :

١- السنكسار القبطى، وضع الأنبا بطرس الجميل أسقف مليج والأنبا ميخائيل أسقف أتريب، والأنبا يوحنا أسقف البرلس، القاهرة ١٩٣٦ ، الجزء الثانى صفحة ١٤٣ تحت اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس .

٢- يظهر ذلك أيضا فى ذكصولوجية موجودة بمكتبة الفاتيكان ورد فيها : " فقام يوسف، وأخذ العذراء، والصبى معها وسالومى العجوز " .

Ⲁϥⲧⲱⲛϥ ⲛ̀ϫⲉ Ⲓⲱⲥⲏⲫ ⲁϥϭⲓ ⲛ̀ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲁⲗⲟⲩ ⲛⲉⲙⲁⲥ ⲛⲉⲙ ⲥⲁⲗⲱⲙⲏ ϯϧⲉⲗⲗⲱ .

٣- كما يظهر فى (الدفنار) تحت يوم ٨ بؤونة حيث يقال نفس العبارة باللحن الآدام : ويذكر اسم سالومى مرة أخرى فى اللحن الواطس تحت نفس اليوم .

٤- ثم ميمر البابا ثاوفيلس بطريرك الاسكندرية من المخطوطات الأثيوبية .

Legends of Our Lady Mary the Perpetual Virgin and Her Mother Hanna. Translated from the Ethiopic Manuscripts by E.A.W. BUDGE, London, 1922, p. 67 .

٥- ميمر البابا تيموثيئوس بابا الاسكندرية .

BUDGE, legends of Our Lady p. 84.

P. De LAGARDE, Aegyptiaca, Gottingen 1896, F. ROBINSON, Coptic Apocryphal Gospels, in Texts and Studies, vol. IV, No. ٢ (Cambridge) 1896 p. 133 .

٦- أنظر أيضا كتاب تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى القمص . القاهرة ١٩٢٤ صفحة ٣ .

(٢) إنجيل القديس متى (٢٠: ٢٠) ، (٢٧: ٥٦) .

فيها، فكان فى ذلك شبيهاً بأبينا إبراهيم الخليل الذى أطاع أمر الرب وترك أرضه وعشيرته[١] ، وخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى[٢] .

دخل المسيح الرب أرضنا الطاهرة على ذراعى أم النور فتباركت بقدومه بلادنا، وتم بذلك قول الوحى الإلهى :

" وحى من جهة مصر . هوذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر، فترتجف (تتزلزل) أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر فى داخلها " . [٣]

وقال الآباء **إن السحابة التى ركبها الرب فى قدومه إلى مصر هى مريم العذراء**[٤] لأن مريم هى فى بياض السحابة وطهارتها، وفى خفتها ورقتها، وسموّها ورفعتها .

وأما أنَّ أوثان مصر قد إرتجفت من هيبة الرب وجلال ألوهته، فهذا ما جرى فعلاً كما يروى المؤرخون، أن الأصنام كانت تتكسَّر لدى ظهوره أمامها، والبرابى أقفرت من شياطينها[٥]، لذلك ذابت قلوب المصريين خوفاً وهلعاً، ودهشة وفزعاً. وهذا هو سرُّ إيمان البعض منهم ، والكره والعداوة فى بعضهم الآخر. فحلت على الأولين بركته وعلى الآخرين هيبته .

ويقول دينيس DENYS LE CHARTREUX تعليقاً على (إشعياء١٩: ١)
" كما تحطم تمثال داجون أمام التابوت المقدس هكذا سقطت تماثيل مصر عند مجيء

---

(١) سفر التكوين ١٢: ١ .
(٢) رسالة العبرانيين ١١: ٨ .
(٣) سفر إشعياء ١٩: ١ .
(٤) جاء فى كتاب الدفنار تحت اليوم الرابع والعشرين من بشنس (طرح آدام) " أسبح المسيح مخلصى، وأمجد أمه العذراء السحابة الخفيفة التى نزلت إلى مصر، أعنى مريم العذراء القديسة وهى حاملة ربنا يسوع المسيح .. " .

وجاء فيه أيضا طرح واطس :

" نزل المسيح إلى مصر على سحابة خفيفة، التى هى مريم والدة الإله القديسة. ومخلصنا يسوع المسيح راكباً على ذراعيها الطاهرين وهو طفل صغير كتدبيره ... "

انظر أيضا كتاب " الأمة القبطية وكنيستها الأرثوذكسية " بقلم الأستاذ الأرشيدياكون فرنسيس العتر، القاهرة (سنة ١٩٥٣) صفحة ١١ .

(٥) انظر مقال " دخول السيد إلى مصر " للأب يعقوب موزر، فى مجلة الصلاح (مايو ١٩٣٣) صفحة ٢٣٥ .

يسوع ، إذ لم تقوَ على مواجهة حضوره . "(١)

ويقول المؤرخ بلاديوس PALLADIUS أسقف هيلينوبوليس Helenopolis من رجال القرن الرابع للميلاد أنه ذهب بنفسه إلى إقليم الصعيد " فى منطقة الأشمونين حيث ذهب مخلصنا مع مريم ويوسف إتماماً لكلمة إشعياء (١٩: ١) الذى قال : " هوذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر، فتتزلزل أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر فى داخلها ". وقد رأينا أيضاً هناك بيت الأوثان حيث سقطت جميع الأوثان التى فيه على وجوهها عندما دخل مخلصنا المدينة(٢) .

وتعيّد الكنيسة لذكرى دخول السيد المسيح والعائلة المقدسة أرض مصر فى الرابع والعشرينٍ من شهر بشنس، ويعتبر هذا العيد بين أعيادنا السيّدية الصغرى .

وتتغنى الكنيسة المقدسة لهذه الذكرى العظيمة، مشيدة بالبركات التى حلّت ببلادنا، والشرف الذى خلعته عليها هذه الزيارة المباركة وهذا الدخول الشريف لأرضنا الطاهرة .

جاء فى ذكصولوجية اليوم الرابع والعشرين من بشنس :

إفرحى وتهللى يامصر (أو يا أهل مصر) وكل بنيها، وكل تخومها. فإنه قد أتى إليك محب البشر الكائن قبل كل الدهور " .

Ⲣⲁϣⲓ ⲑⲉⲗⲏⲗ ⲱ (ⲛⲓⲣⲉⲙ̀ⲛ) ⲭⲏⲙⲓ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲥϣⲏⲣⲓ ⲛⲉⲙ ⲛⲉⲥⲑⲱϣ ⲧⲏⲣⲟⲩ : ϫⲉ ⲁϥⲓ̀ ϣⲁⲣⲟ ⲛ̀ϫⲉ ⲡⲓⲙⲁⲓⲣⲱⲙⲓ ⲫⲏⲉⲧϣⲟⲡ ϧⲁϫⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲛⲓⲉⲱⲛ ⲧⲏⲣⲟⲩ .

---

(1) " Comme l'idole de Dagon se brisa devant l'arche sainte, ainsi les idoles de l'Egypte tombêrent à l'arrivée de Jésus, ne pouvant supporter sa présence ". M. JULLIEN, **L'Egypte**, p. 243 .
(2) PALLADIUS. **The Paradise, London**. 1907, vol., I, p. 304 .

ثانيا : رحلة العائلة المقدسة[١]

تدلنا المصادر التاريخية ومنها كتاب سياحة أنطونينوس (Itinerarium Antonini) وكتاب سياحة بيوتنجر(Itinerarium Peutinger) على أن هناك ثلاثة طرق[٢]على الأقل يمكن أن يسلكها المسافر من فلسطين إلى مصر . لكن مصادرنا الكنسية ، ومنها ميمر البابا ثيئوفيلوس[٣]، الثالث والعشرين من باباوات الاسكندريـــة (٣٨٤- ٤١٢) م، ومنها السنكسار القبطى[٤]تحت اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس، وكتب أخرى، تقودنا إلى الإعتقاد بأن العائلة المقدسة سلكت طريقاً آخر خاصاً بها يختلف عن الطرق الثلاثة المعروفة فى ذلك الزمان، والتى حدثنا عنها كتاب سياحة أنطونيـوس وكتاب سياحة بيوتينجر .

ونحن نعتقد أنه كان لا بد للعائلة المقدسة وهى هاربة من شر هيرودس أن لا تسلك نفس الطريق المعروف، وإنما قادها الرب وملاكه إلى طريق جديد هو الطريق الذى ذكره السنكسار القبطى أخذاً عن رؤيا البابا ثيئوفيلوس التى سجلها فى ميمره المعروف، هذه الرؤيا التى ظهرت فيها السيدة العذراء للبابا وروت له بناء على طلبه تفاصيل الرحلة المباركة من فلسطين إلى مصر وبالعكس .

---

(١) **انظر خريطة مسيرة العائلة المقدسة إلى أرض مصر صفحة ٥٨٨ .**

(٢) انظر مقال الأب يعقوب موزر ص ٢٢٦ – ٢٢٨ .

(٣) انظر كتب ميامر وعجائب السيدة العذراء المطبوع على نفقة القمص عبد المسيح سليمان، القاهرة ١٩٢٧ – الميمر الرابع صفحة ٨١- ١٠٦ .

The History of the Virgin Mary by Theophilus, Patriarch of Alexandria in "**Legends of Our Lady Mary the perpetual Virgin and her Mother Hanna**", translated from the Ethiopic Manuscripts etc by Sir E.A.W. BUDGE, London, 1922 p. 61-80 .

(٤) السنكسار الجامع لأخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين المستعمل فى كنائس الكرازة المرقسية فى أيام وآحاد السنة التوتية وضع الأنبا بطرس الجميل أسقف مليج والأنبا ميخائيل أسقف أتريب والأنبا يوحنا أسقف البرلس وغيرهم من الآباء القديسين .

ثالثا : مسيرة العائلة المقدسة

دخلت العائلة المقدسة مصر عن طريق صحراء سينا من جهة **الفرما**(١)، بالقرب من بيلوزيوم (Pelusium)، وتسمى الآن تينَة الواقعة بين مدينتى العريش وبورسعيد، وأتوا أولا إلى **مدينة بسطة**(٢) أو بوبستيس التى صارت اليوم تل بسطة بالقرب مـــن

----

(١) يقرر الراهب أبيفانيوس فى القرن التاسع عشر فى كتابه Narrationes Epiphanii in Symmichis Allatii . أن العائلة المقدسة توقفت خارج بلدة الفرما بالقرب من خرائب البيلوزيوم (Pelusium) . ويقول الراهب برنار BERNARD كما جاء فى كتابه (Itinerarium Bernardi monachi) من مجموعة (Itinera Hieros, de la Societe de l'Orient Latin, t.l. p. 313; Genève, 1880) . أنه فى سنة ٨٧٠ م رأى فى الفرما كنيسة مكرسة باسم القديسة مريم العذراء تذكاراً لمرور العائلة المقدسة بالفرما . انظر :
M. JULLIEN, L'Egypte, Souvenirs Bibliques et Chrétiens, ch. III,p. 242 .
O. MEINARDUS, In the Steps of the Holy Family, Cairo, (1963) p. 23 .

(٢) بسطة ذكرها الكتاب المقدس باسم " فيبسطة" أو " فيباست" (حزقيال٣٠: ١٧) وهو أقرب إلى اسمها المصرى القديم بر – باستت أى بيت الإله باستت .

Bastt أو

وهى القطة (οβυάστις)

وهى القطة (οβυάστις)
انظر A. GARDINER, Egyptian Grammar, London, 1950, p. 563 b .
وفى القبطية ترد بعدة صور :
ⲡⲟⲩⲃⲁⲥϯ, ⲡⲟⲩⲁⲥϯ, ⲃⲟⲩⲃⲁⲥϯ, ⲡⲟⲩⲡⲁⲥϯ, ⲃⲟⲩⲃⲁⲥⲧ, ⲃⲟⲩⲃⲁⲥⲧⲟⲥ, ⲃⲟⲩⲃⲁⲥⲧⲓⲥ:
وهى فى القبطية تتألف من كلمتين :
ⲡⲟⲩ (ⲃⲟⲩ ، ⲡⲏ ، ⲃⲏ ، ⲃⲏⲃ ، ⲡⲏⲓ ومعناها مسكن، أو بيت، هيكل أو مدفن ثم :
ⲡⲁⲥⲧ أو ⲡⲁⲥϯ أو ⲃⲁⲥϯ وهى الهرة أو القطة . وأما الآن فتسمى تل بسطا .
ⲡⲓⲑⲁⲗ ⲙⲡⲟⲩⲃⲁⲥϯ راجع قاموس اللغة القبطية المصرية تأليف اقلوديوس يوحنا لبيب . القاهرة سنة ١٦١١ ش . المجلد ٣ ص ٢٧ .
وقد صارت هذه المدينة فى العهد المسيحى كرسياً لأسقفية قبطية .

الزقازيق .وهناك أنبع المسيح عين الماء الذى يشفى كل مريض[1] .

وقد سقطت أصنام المدينة أمام جلال الرب يسوع، ولذلك لم يقبل الكهنة وأهل المدينة إقامة العائلة المقدسة فى مدينتهم، وأساءوا معاملتها، فنزحت إلى إحدى ضواحيها بإرشاد رجل طيب[2] من أهل **بسطة**. وهناك وجدوا شجرة، فمكثوا عندها أياماً، وأنبع الطفل الإلهى نبع ماء وهناك أحمَّته العذراء وغسلت ملابسه. ولذلك سمى هذا المكان **بالمحمَّة**[3] أى مكان الإستحمام ... وتسمى الآن مسطرد . وأما فى كتب الطقس القبطى فتسمى ⲡⲓⲙⲁⲛϫⲱⲕⲉⲙ أو ⲡϫⲱⲕⲉⲙ أى مكان الإستحمام . وقد بنيت فيما بعد كنيسة فى هذا المكان باسم السيدة العذراء فى سنة ٩٠١ للشهداء (١١٨٥م) أى أنها ترجع للقرن الثانى عشر الميلادى، يحتفل بعيد تكريسها فى اليوم

---

(١) تذكر بعض مصادرنا الكنسية أن العائلة المقدسة دخلت بلدة بسطا أو بوبسطا ظهراً، واستظلوا هناك بظل شجرة ليستريحوا، وعطش الطفل الإلهى فمضت العذراء تسأل أهالى المدينة شيئا من الماء، فرفض الأهالى جميعا أن يعطوها ماء للصبى . فتألمت وصارت تبكى . ولما رآها يسوع تبكى مسح بيديه الصغيرتين دموعها ثم رسم بأصبعه دائرة على الأرض، ففى الحال تفجر نبع ماء حلو كالعسل وأبيض كالثلج، فباركه المسيح وقال : كل من يأتى ويستحم فى ماء هذا البئر فى مثل هذا اليوم من كل عام يشفى من جميع أمراضه، وليكن لعون وصحة وشفاء نفوس الذين يشربون منه وأجسادهم . أنظر ميمر البابا ثيئوفيلوس الـ ٢٣ مخطوط رقم ١٤/٩ بمكتبة مخطوطات الدير المحرق. ميمر البابا ثيئوفيلوس الـ ٢٣ عن العذراء مريم عن المخطوطات الأثيوبية .

BUDGE (E.A.W.), Legends of Our Lady, p. 69. O. MEINARDUS, The Itinerary of the H. Family in Egypt, in Studio Orientalia Christiana Collectanea 7, Cairo, 1962. p. 13 .

M. JULLIEN. L'Egypte p. 239 .

(٢) يسمى كلون أو كلوم أو قلوم – ورد اسمه فى ميمر وضعه القديس أنبا زخاريوس أسقف مدينة سخا، يقرأ فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بشنس .

انظر كتاب ميمر وعجائب السيدة العذراء، الميمر الثالث صفحة ٦٩ .

(٣) ميمر البابا ثيئوفيلوس – مخطوط رقم ١٤/٩ بمكتبة مخطوطات دير المحرق .

ميامر وعجائب السيدة العذراء (الميمر الرابع للبابا ثيئوفيلوس الـ ٢٣) صفحة ٩٣. والميمر الثالث (للأنبا زخارياس أسقف سخا) صفحة ٧٠ .

السنكسار القبطى تحت يوم ٢٤ بشنس .

One Hundred and Ten Miracles of Our Lady Mary . Translated form Ethiopic Manuscripts, by E.A.W. BUDGE, Oxford, 1933 p. 146 .

M. JULLIEN, L'Egypte, p. 239, 240 .

الثامن من شهر بؤونة القبطى، وورد أيضا ذكرها فى ذكصولوجية اليوم الرابع والعشرين من بشنس . وقد رجعت العائلة المقدسة إلى المحمّة مرة أخرى فى طريق عودتها إلى الأراضى المقدسة. تقول الذكصولوجية " وعندما عاد ربنا إلى المحمّة أنبع نبع ماء وهو لا يزال موجوداً إلى هذا اليوم فى ذلك المكان يشفى كل من يستعمله، فينال بركة العذراء أم مخلصنا وكلية القداسة وبركة الكنيسة التى بنيت علــــــى اسمها "[١]. ومن المحَّمة رحلوا إلى **بلبيس**[٢]، ويروى التقليد المحلى أن فى بلبيس شجرة استظلت تحتها العائلة المقدسة، ولذلك صارت تسمى بشجرة العذراء مريم، يجلها المسيحيون والمسلمون على السواء. ويدفن المسلمون من حولها أمواتهم الأعزاء تبُركاً بهذه الشجرة، وإحتراماً للمكان الذى أقامت فيه العائلة المقدسة. ويروون أن عسكر نابليون بونابرت عندما مروا ببلبيس أرادوا أن يقتطعوا من هذه الشجرة خشباً يطهون به طعامهم. فلما ضربوها بالفأس أول ضربة، بدأت تدمى، فإرتعب العسكر، ولم يجرؤوا بعد ذلك على أن يمسوها[٣]. ويقوم فى هذه البقعة جامع عثمان بن الحارس الأنصارى، فى وسط المدينة، عند ملتقى شارع الأنصارى بشارع البغدادى، تذكاراً لزيارة العائلة المقدسة لمدينة بلبيس [٤].

----

(١) ϧⲉⲛ ⲡⲉϥϫⲓⲛⲧⲁⲥⲑⲟ ⲁⲡⲉⲛϭⲟⲓⲥ ⲓ̀ ⲉ̀ⲡϫⲱⲕⲉⲙ ⲁϥⲓⲛⲓ ⲉⲡϣⲱⲓ ⲛ̀ϯⲙⲟⲩⲙⲓ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ ⲉⲥϣⲟⲡ ϣⲁ ⲡⲁⲓⲉϩⲟⲟⲩ ϧⲉⲛ ⲡⲓⲙⲁ ⲉⲧⲉ̀ⲙⲙⲁⲩ ⲁⲥⲧⲁⲗϭⲟ ⲛ̀ⲟⲩⲟⲛ ⲛⲓⲃⲉⲛ ⲉⲧⲉⲣⲭⲣⲓⲥⲑⲉ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ⲟⲩⲟϩ ⲉⲩⲉⲣⲁⲡⲟⲗⲁⲃⲓⲛ ⲙ̀ⲡⲥⲙⲟⲩ ⲛ̀ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲑ̀ⲙⲁⲩ ⲙ̀ⲡⲉⲛⲣⲉϥⲥⲱϯ ⲟⲩⲟϩ ϯⲡⲁⲛⲁⲅⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲡ̀ⲥⲙⲟⲩ ⲛ̀ϯⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ ⲉⲧⲁⲩⲕⲟⲧⲥ ⲉ̀ⲡⲉⲥⲣⲁⲛ. نقلا عن الذكصولوجية الآدام التى توجد بمكتبة الفاتيكان .

وجاء أيضا نفس المعنى فى الطرح الآدام بكتاب الدفنار تحت اليوم الثامن من بؤونة .

ϧⲉⲛ ⲡⲉϥϫⲓⲛⲧⲁⲥⲑⲟ ⲁⲩⲓ ⲉⲡⲓⲙⲁⲛϫⲱⲕⲉⲙ ⲁⲡⲉⲛϭⲟⲓⲥ ⲓⲛⲓ ⲉⲡϣⲱⲓ ⲛ̀ϯⲙⲟⲩⲙⲓ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ. "

وفى عودتهم أقبلوا إلى المحمة ، وأنبع ربنا عين الماء .. يشفى كل من يستعمله " .

(٢) ميمر القديس ثيئوفيلوس، فى كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء الميمر الرابع صفحة ٩٣ – ميمر الأنبا زخارياس فى نفس الكتاب ، الميمر الثالث صفحة ٧٠ .

وبلبيس كانت تعرف فى العهد الفرعونى باسم " بر-بس" أى بيت الإله بس ، وصارت فى العهد المسيحى كرسياً لأسقفية قبطية .

(3) A. BASSI. Min Obs., Pellegrinaggio di Terra Sancta. Turin, 1854, t. II, p. 213 . M. JULLIEN, L'Egypte, p. 243 . MEINARDUS (O,), In the Steps. P. 29 MEINARDUS (O,), The Itinerary p. 14 .

(4) MEINARDUS In the Steps, p. 29; The Itinerary, p. 14 .

وتركوا بلبيس بعد ذلك وذهبوا إلى **منية جناح**[١]،(وهى **منية سمنود** حالياً) ومنها عبروا بطريق البحر إلى **سمنود**[٢] فقابلهم أهلها وباركهم السيد المسيح وقال لوالدته "سيكون فى هذا المكان بيعة باسمك واسمى " وهناك تقليد محلى فى سمنود يروى أن الكنيسة الحالية المكرسة باسم أبانوب والتى ترجع إلى نحو مائة عام تقريبا، بنيت على أنقاض كنيسة قديمة باسم العذراء مريم، وهذه بدورها كانت مبنية على نفس البقعة التى أقامت فيها العائلة المقدسة . ويقول المسيحيون فى سمنود أنه كان فى وقت ما عند شرقية الكنيسة بئر ماء باركه المسيح بنفسه . ومن سمنود إلى **البرلس** فقرية **شجرة التين** " **فالمطلع** ومن هناك عبروا الفرع السبنيتى للنيل إلى الجهة الغربية حيث **سخا إيوس**[٣] وهى سخا الحالية . وقد شاء الرب يسوع أن يترك فيها أثراً ، فوضع قدمه

---

(١) ميمر البابا ثيئوفيلوس فى كتاب ميامر العذراء صفحة ٩٣ ؛ ميمر الأنبا زخارياس فى نفس الكتاب صفحة ٧١ .
ومنية جناح التى هى منية سمنود حاليا هى مقابل سمنود .
(٢) سمنود اسمها المصرى القديم " ذب نثر " أى هيكل الله . ومن المعروف أن سمنود وبالقبطية جمنوتى ϫⲉⲙⲛⲟⲩϯ وباليونانية Sebennytos ⲥⲉⲃⲏⲛⲛⲏⲧⲟⲩ صارت كرسياً لأسقفية قبطية . انظر قاموس اقلوديوس لبيب الجزء الثالث صفحة ١١٣ أ .
O. MEINARDUS, Itinerary ... p. 15 .
O. MEINARDUS, In the Steps ... p. 29, 30 .
وقد عثر فعلا على مخطوطات أثرية وإيقونات قديمة ترجع إلى قرون سابقة على إنشاء الكنيسة الحالية التى باسم أبانوب، وقد ذكر على بعض المخطوطات أنها وقف على بيعة الست السيدة مريم العذراء الطاهرة البكر البتول الثابت أساسها بناحية سمنود (راجع جريدة وطنى فى عددها الصادر بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٦٧ – ٢٦ أمشير سنة ١٦٨٣ .
(٣) سخا فى مركز كفر الشيخ. وقديما كانت تسمى خاست (وفى العهد البطلمى باسم كسويس) ويظهر أنها عرفت فى وقت ما بنقطة بلاد السباخ (انظر كتاب ميمر الشهيدة دميانة لناشره جرجس فيلوثيئوس عوض ، القاهرة ١٩١٧ صفحة ٧ حاشية ١) . كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٧١، ٩٣.
MEINARDUS (O.), In the Steps... p. 30. 31. The Itinerary, p. 15,16 .

على حجر، فظهر عليه أثر قدمه، فسمّى المكان "كعب يسوع " ⲡⲓⳝⲁ Ⲓⲏ̅ⲥ̅ [1] قيل أن هذا الحجر كان عبارة عن قاعدة عمود أوقفت السيدة العذراء إبنها الحبيب عليه فغاصت فى الحجر مشطا قدميه، فإنطبع أثرهما عليه ثم نبع ماء زلالا . وكان الناس يأتون من الأقاليم البعيدة والبلاد المجاورة ويضعون فى موضع القدم زيتاً ويحملونه إلى أرضهم وينتفعون به كثيراً. ولما دخل العرب مصر خاف الآباء أن يأخذ العرب هذه القاعدة أو الحجر أو يعتدوا على المكان، ولذلك أخفوا الحجر فى مكان لا يعرفه أحد . وقد بنيت فى نفس البقعة كنيسة كرست باسم السيدة العذراء الطاهرة مريم وبجوارها مغطس بنى بناية رومانية . ويضم الكنيسة والمغطس دير ظل عامراً بالرهبان إلى سنة ٩١٠ للشهداء على الأقل (أى إلى نهاية القرن الثانى عشر لميلاد المسيح) . وسمى بدير المغطس، ذكره الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود أنه فى جهة منية طانة بالعربية. ثم ساروا إلى جهة الغرب فى مقابل وادى أو جبل النطرون فى جنوب **برية شيهيت**[2] أو **الاسقيط**[3] ، وقد بارك الرب يسوع وأمه العذراء مريم هذا المكان فصار فيما بعد عامراً بالأديرة وبالرهبان على إختلاف درجاتهم الروحانية وخدماتهم الملائكية . وقيل إن الصبى الإلهى قال مخاطباً أمّه القديسة " " اعلمى يا أمى أنه سيعيش فى هذه الصحراء كثير من الرهبان والنسّاك والمجاهدين الروحانيين ، وسيخدمون الله مثل الملائكة[4] .

---

(١) انظر كتاب ميمر الشهيدة دميانة للأنبا يؤانس أسقف البرلس بقلم خريسطونولوس تلميذ يوليوس الأقفهصى، نشره ونقحه جرجس فيلوثيئوس عوض، القاهرة ١٩١٧ صفحة ٥، ٦) – وميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٧١، ٧٢ – أنظر أيضا
W. E. CRUM. A Coptic Dietionary, Oxford, 1962 p. 629 b.

(٢) شيهيت كلمة قبطية تكتب عادة ϣⲓϩⲏⲧ أو ϣⲏϩⲏⲧ أو ϣⲓⲏⲧ . وقيل أن معناها اللفظى والحرفى ، ميزان القلوب ، وتطلق على وادى النطرون حالياً ، وتسمى أحياناً، وادى هبيب، وهو شيخ قبيلة عربية نزلت وسكنت فى ذلك الوادى أو " الإسقيط " أو برية القديس مقاريوس " أبو مقار " فى الطريق الصحراوى بين القاهرة والاسكندرية ، شمال غربى القاهرة .

(٣) الإسقيط تعبير يقال على نفس برية القديس مقاريوس أو وادى النطرون . وأما الكلمة نفسها (ΣΧῆτις) فهى مأخوذة عن اليونانية ἀσκιτής (ناسك) وجمعها ἀσκιτεῖς أى النساك أُطلقت على المكان كله نظراً للنساك الذين يسكنونه ..

(٤) ميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا، فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٧٢-٧٥ وميمر البابا ثيئوفيلوس فى نفس الكتاب صفحة ٩٣. MEINARDUS.In the Steps etc. p.31: Itinerary p. 16 .

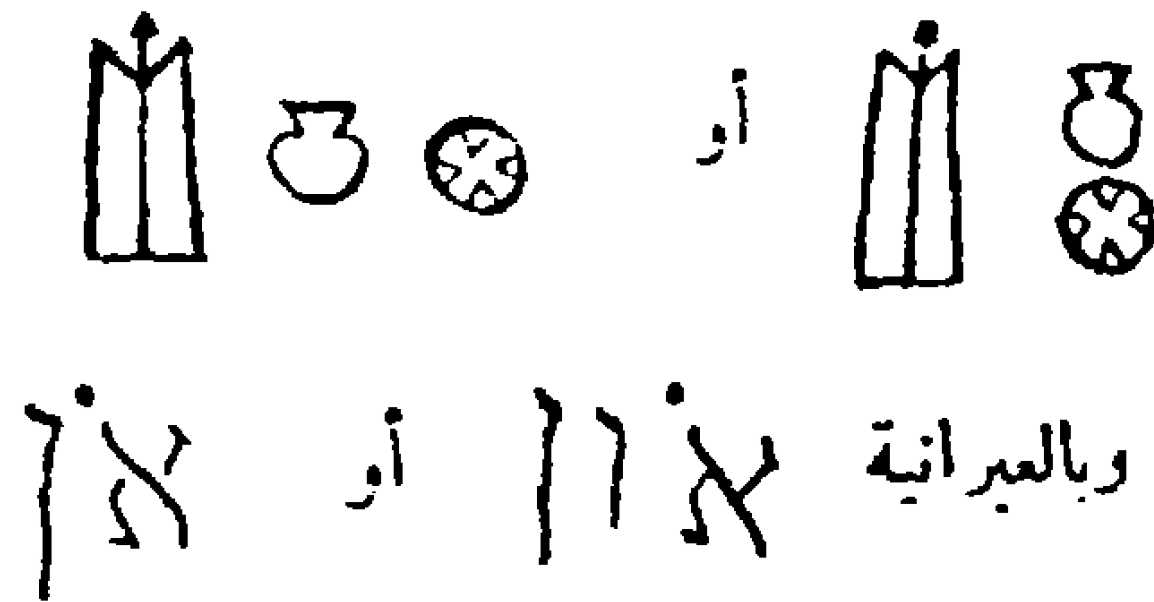
ثم اتجهت العائلة المقدسة إلى أون أو **عين شمس**[١] وكانت عين شمس مشهورة فى مصر القديمة بجامعتها العريقة .

وفى جامعة عين شمس، أو (اون) كان يدرس كهنة المصريين القدماء وأبناء الملوك والأمراء وكبار الشخصيات، جميع المعارف الدينية والروحية والفلسفة، وشتى العلوم الرياضية والطبيعية والكيمياء والفلك والتنجيم واللغات. وفى هذه المدينة كتب (مانيثون) المؤرخ اليونانى العظيم تاريخ الأسرات الفرعونية مستعيناً باللفائف والوثائق القديمة المحفوظة فى مكتبتها العتيقة. وفيها أقام (أفلاطون) الفيلسوف فترة من شبابه واستلهم منها فلسفته الخالدة. فالمعروف عن أفلاطون أنه أقام فى مصر مدة عشرين عاماً، أى منذ العشرين من عمره إلى الأربعين. وفى جامعة عين شمس ومنها جمع المشرع اليونانى (صولون) قوانينه. وفيها تربى النبى العظيم موسى ، ورئيس الأنبياء " وتهذب موسى بكل حكمة المصريين " (سفر أعمال الرسل ٧: ٢٢). ونحن نعتقد أن كلمة (عين) هى أصلا (أون) تحرفت فى اللسان العامى حتى صارت (عين) .

ثم ذهبت العائلة إلى المكان المعروف حالياً **بالمطرية**[٢] وإستظلوا تحت شجـــرة

---

(١) عين شمس أو مدينة الشمس (إشعياء ١٩: ١٨) أو هليوبوليس كما يسميها اليونان، هى بعينها المدينة المعروفة فى العهد القديم باسم "أون" وتكتب بالهيروغليفية :



Uber die Agyptischen Wörter im Alten Testamente von G. KARLBERG. Upsala. 1912 p. 65. 66 . وبالقبطية ⲱⲛ أو ⲟⲩⲭⲉⲓⲛ . وقد تزوج يوسف الصديق من أسنات بنت فوطى فارع كاهن أون (التكوين ٤١: ٤٥، ٥٠)، (٤٦: ٢٠). وفى زمن رحلة العائلة المقدسة كانت أون يسكنها عدد كبير من اليهود، وكان لهم بها معبد يسمى بهيكل أونياس، ولذلك ذكرها إشعياء النبى بين المدن المصرية التى تتكلم لغة أهل كنعان (إشعياء ١٩: ١٨) .

(٢) المطرية تسمى بالقبطية ⲡⲉⲧⲣⲏ فتحرفت فى اللسان العامى وصارت تنطق (المطرية) وذلك لقرب الميم والباء فى النطق. (انظر قاموس اللغة القبطية المصرية لإقلوديوس لبيب الجزء الخامس صفحة ١٠) .

تعرف إلى اليوم بشجرة مريم العذراء[1]. وهناك أنبع الرب يسوع عين ماء وشرب منه وباركه . ثم غسلت فيه العذراء ملابس الطفل وصبت ماء غسيلها على الأرض، فأنبت الرب فى تلك البقعة نباتاً عطرياً ذا رائحة جميلة هو المعروف بنبات البلسم أو البلسان[2] يضيفونه إلى أنواع العطور والأطياب التى يصنعون منها الميرون الذى يستخدم فى تثبيت المعمدين، وفى تدشين الكنائس والهياكل والمذابح وكل أدواتها، وفى مسح الكهنة والملوك.

وقد أقيمت فى المطرية كنيسة مدشنة باسم العذراء مريم، وهى كنيسة أثرية كانت ومازالت لها شهرة عظيمة، وكان الناس ومازالوا مصريين وأجانب يحجون إليها للتبرك بها وبالبئر الشهيرة التى أنبعها المسيح بنفسه .

ويروى المؤرخون أن الجنود الفرنسيين بقيادة الفرنســـى (كليبر) KLEBER (١٧٥٣- ١٨٠٠) الذى تولى الحكم فى مصر بعد نابوليون بونابرت، بعد أن إنتصروا على الجيوش التركية فى معركة عين شمس، عرجوا فى طريقهم على شجرة مريم، وكتبوا على فروعها أسماءهم ، مستخدمين فى ذلك أسنة حرابهم وسيوفهم، وقد نال بعضهم الشفاء لعيونهم من الرمد بعد أن اغتسلوا من ماء البئر، وشفى البعض الآخر من أمراض أخرى، وسجلوا شكرهم لله على ما نالهم من خير، ببركة (شجرة مريم) وماء البئر الأثرى الذى أنبعه المسيح له المجد بيده الطاهرة إذ رسم بإصبعه على الأرض فتفجر الماء نبعاً حلوا عجائبياً .

ثم ساروا جنوباً إلى **فسطاط مصر**[3] علماً أن العائلة المقدسة فى رحلتها من الصعيد إلى فلسطين، جاءت إلى (مصر القديمة) قبل أن تذهب إلى المطرية ثم المحمة

----

(١) عن علاقة هذه الشجرة بالشجرة التى ذكرها القرآن انظر :

MEINARDUS (O.), In the Steps. P. 32, 33 .
MEINARDUS (O.), The Itinerary, p. 17, 18 .

(٢) انظر ميمر البابا ثيئوفيلوس الـ ٢٣ فى كتاب ميامر وعجائب العذراء، صفحة ٩٤ – وميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٧٥، ٨٦ – السنكسار القبطى تحت اليوم الرابع والعشرين من بشنس .

One Hundred and Ten Miracles of Our tady Mary. Translated from Ethiopic Manuscripts, by E.A.W. BUDGE, Oxford, 1933 p. 145 .
M. JULLIEN, L'Egypte, p. 240 .

(٣) ميمر البابا ثيئوفيلوس فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٣ – ميمر الأنبا زخارياس فى نفس الكتاب صفحة ٧٦ ، ٧٧ .

(أو مسطرد) . فى المنطقة المعروفة **ببابيلون**[1] **مصر القديمة**، وهناك سكنوا المغارة التى توجد الآن بكنيسة القديس سرجيوس المشهورة **بأبى سرجة**[2] ، ويبلغ طول المغارة ٣٠ قدماً، وعرضها ١٥ قدماً، وليست بها نوافذ .

وقيل أن الكنيسة بنيت فى عهد الرسل، ولذلك فتعد من أقدم الكنائس التى بنيت فى مصر . وقد تهدمت فيما بعد فى أواخر عهد الدولة الأموية، عندما أحرق مروان الثانى الفسطاط وهو آخر خلفاء بنى أمية (٧٤٤- ٧٥٠) . فقام بترميمها نحو سنة ١٠٧٣م ابن السرور يوحنا بن يوسف المعروف بابن الأبح كاتم سر الخليفة المستنصر الفاطمى (١٠٣٦ - ١٠٩٤) .

---

(١) اختلف المؤرخون فى سبب هذه التسمية، فقال ديودور الصقلى" أن الأسرى البابليين الذين أسرهم رمسيس الأكبر (وهو رعمسيس الثانى) من آسيا، احتلوا قلعة هابنين على شاطىء النيل تجاه مدينة منف، وبنوا هناك مدينة دعوها بابيلون أو بابل، على عاصمة بلادهم". وقال كازانوفا أحد أعضاء جمعية العاديات (الآثار) المصرية بالقاهرة "ورد فى الكتابات الهيروغليفية أنه كان فى سالف الأعصار هيكل ليس ببعيد عن دير القبط المسمى الآن دير بابيلون، وفى هذا الهيكل كان كهنة القبط (فى عصر الوثنية) يحلون العجل أبيس (أحد معبوداتهم) ليستريح برهة أثناء مسيره من منف إلى عين شمس . وكان اسم هذا المكان بالقبطية " بى أبين أون " أى مقام أبيس فى سيره إلى أون، وهى هليوبوليس ، فصحّف اليونان هذا الاسم وجعلوه "بابيلون" (انظر كتاب تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية لسليم سليمان صفحة ٢٦٧ ، ٢٦٨). وتؤكد المصادر التاريخية أنه كان فى بابيلون هيكل لليهود شبيه بهيكل أورشليم بنى نحو ١٦٠ ق . م (تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى القمص صفحة ٤) وأن مجمع اليهود القائم الآن فى هذه البقعة والمعروف بمجمع بن عزرا والذى بنى نحو سنة ١١٥٠ م ، وكان قبل ذلك كنيسة قبطية باسم رئيس الملائكة ميخائيل، قد أقيم فى نفس الموقع الذى كان يقوم عليه مجمع آخر أقدم عهدا . وهذا المجمع بدوره كان قد شيد فى نفس المكان الذى وعظ فيه النبى إرميا عندما جاء إلى مصر .

MEINARDUS (O.), in the Steps. P. 59. The Itinerary., p. 37, 38 .

(٢) (انظر كتاب تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى القمص صفحة ٤) .

وجاء فى الطرح الواطس الذى يتلى فى الثامن من بؤونه : " فرجعوا بأمر رئيس الملائكة غبريال. وفى رجوعهم عبروا إلى مدينة مصر، وأقاموا فى المغارة المقدسة التى فى كنيسة أبو سرجة ، وأيضا فى المحمة التى صنعها المسيح حيث ينبوع الماء الحى الشافى من كل مرض " .

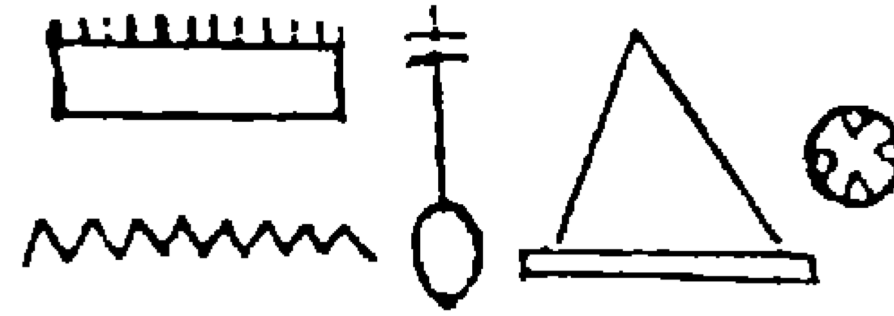
Ⲟⲩⲟϩ ϧⲉⲛ ⲡⲟⲩϫⲓⲛⲧⲁⲥⲑⲟ ⲁⲩⲓ̀ ⲉ̀ϧⲟⲩⲛ ⲉ̀ⲑⲃⲁⲕⲓ ⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ ⲁⲩϫⲱⲓ ⲉⲡⲓⲥⲡⲉⲗⲉⲟⲛ ⲉⲑⲟⲩ ⲉⲧϧⲉⲛ ϯⲉⲕⲕⲗⲏⲥⲓⲁ ⲛ̀ⲧⲉ ⲥⲉⲣⲅⲓⲟⲥ ⲡⲁⲗⲓⲛ ⲟⲛ ϧⲉⲛ ⲡⲓⲙⲁⲛϫⲱⲕⲉⲙ ⲉⲧⲁϥⲓⲣⲓ ⲙ̀ⲙⲟⲥ ⲛ̀ϫⲉ ⲡⲭ̅ⲥ̅ ⲛⲉⲙ ϯⲙⲟⲩⲙⲓ ⲙ̀ⲙⲱⲟⲩ ⲛ̀ⲱⲛϧ ⲉⲧⲁⲣⲫⲁϧⲣⲓ ⲉⲣⲉ ϣⲱⲛⲓ ⲛⲓⲃⲉⲛ.

ويبدو أنهم لم يستطيعوا البقاء فى بابليون مصر إلا أياماً قلائل لا تزيد عن أسبوع، نظراً لأن الأوثان هناك تحطمت بحضرة الرب يسوع وهربت منها شياطينها، الأمر الذى أثار والى الفسطاط، فأراد قتل الصبى[1] بعد أن تحقق أنه بسببه حدث للأصنام ما حدث. فسارت العائلة المقدسة إلى **منف**[2] أو منفيس وكانت عاصمة مصر قديما، واسمها من نفر ومعناها المقبرة الجميلة أو الميناء الجميل. ثم إلى الصعيد. ويروى التقليد الشفاهى أنهم أقلعوا فى مركب شراعى بالنيل من البقعة القائمة الآن عليها كنيسة **السيدة العذراء بالمعادى**، ثم جاءوا إلى **بقعة شرقى البهنسا**[3] بمركز بنى مزار تسمى اباى أيسوس ⲡⲏⲓ ⲛ̀Ⲓⲏ̅ⲥ̅ أى بيت يسوع، أقاموا فيها أربعة أيام، كما يـــــروى

---

(١) ميمر البابا ثيئوفيلوس فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٣، ٩٤ .

(٢) منف ذكرت فى الكتاب المقدس كثير باسم " نوف " كما فى إشعياء (١٩: ١٣)، (إرميا ٢: ١٦)، (٤٤: ١)، (٤٦: ١٤، ١٩)، (حزقيال٣٠: ١٣، ١٦). واسمها بالهيروغليفية من – نفر .



ومعناها " المقبرة الجميلة " أو " الميناء الجميل "

G. KARLBERG, Uber die Ägyptischen Wörter in Alten Testamente", Upsala, 1912,p. 64,65 .

وتسمى منف الآن " ميت رهينة " . وقد صارت فى العهد المسيحى كرسيا لأسقفية قبطية، واشتهرت بدير الأنبا إرميا (أبا – يرمياس) . وتكتب بالقبطية . ⲙⲛϥⲉ أو ⲙⲉϥⲓ أو ⲙⲉⲛϥⲓ أو ⲙⲛⲃⲉ أو ⲙⲉⲛⲃⲉ أو ⲙⲉⲙⲃⲉ .

(٣) البهنسا بمركز بنى مزار كانت تسمى بالمصرى القديم بر – مز أى بيت الإله مز ، وفى القبطية تسمى ⲡⲉⲙϫⲉ أو ⲡⲙϫⲏ أو ⲡⲉⲙϫⲏ وسميت فى العهد اليونانى .Oxyrhynchus . وقد أصبحت فى العصر المسيحى من أشهر أسقفيات الكرازة المرقسية . وفى القرن الخامس للميلاد زاد عدد كنائسها عن إثنتى عشرة كنيسة . وكان بها أديرة كثيرة بلغ عدد رهبانها عشرة آلاف راهب . وكانت بها أديرة للبنات قدر عدد راهباتها بإثنتى عشرة ألف راهبة .

انظر مقال الأب يعقوب موزر صفحة ٢٣٦ حاشية رقم (١) .

MEINARDUS (O.), In the steps., p. 44 .
MEINARDUS (O.), The Itinerary, p. 26 .

القديس قرياقوص أسقف البهنسا فى عظة له باللغة القبطية وجدت مكتوبة على ورق البردى[١] .

بعد ذلك عبروا النيل إلى شاطئه الشرقى وجاءوا إلى المنطقة المعروفة **بجبل الطير**[٢] بالقرب من سمالوط، ويروى أبو المكارم[٣] أنهم وهم فى النيل كادت صخرة كبيرة من الجبل أن تسقط عليهم بفعل إمرأة ساحرة فذعرت مريم، لكن الرب يسوع مد يده ومنع الصخرة من السقوط فامتنعت، وانطبعت كفه على الصخر[٤]، وصار الجبل يعرف أيضا بجبل الكف، والكنيسة التى بنتها فيما بعد الملكة هيلانة[٥] باسم العذراء صارت تعرف باسم كنيسة سيدة الكف[٦] .

---

(١) يتغنى القديس قرياقوص أسقف البهنسا بأن بلدة اباى ايسوس (بيت يسوع) صارت شبيهة بالقبر المقدس، ومذود المسيح، وأورشليم السماوية ، وجبل سيناء، وجبل جلعاد . ويذكر ما أجراه المسيح فيها من معجزات، ولذلك فإن على المؤمن أن يحج إليها ماشيا. وقد تم تدشين وتكريس كنيسة هذه البلدة على يد القديس قرياقوص نفسه .

انظر أيضا ميمر الأنبا قرياقوس أسقف البهنسا فى اليوم الخامس والعشرين من بشنس – فى كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء، الميمر السادس صفحة ١١٩ – ١٣٩ .

The History of the Virgin Mary related to Timothy, patriarch of Alexandrie, in Legends of Our Lady etc. p. 86 , 87 .

(٢) بالقرب من سمالوط، ويعرف بجبل الطير نظرا لأن ألوفا من طير البوقيرس تجتمع فيه. وهو طير أبيض الريش . وله منقار طويل بلون سن الفيل . وله أهداب حول عنقه . (انظر كتاب الخطط المقريزية للمقريزى الجزء الرابع صفحة ٤١٢، ٤١٣) .

(٣) هو الشيخ المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود مؤلف كنائس مصر وأديرتها المنسوب خطأ إلى أبى صالح الأرمنى .

(٤) ميمر البابا ثيئوفيلوس ، مخطوط رقم ١٤/٩ بمكتبة مخطوطات دير المحرق .

كتاب كنائس مصر وأديرتها لأبى المكارم (المنسوب خطأ إلى أبو صالح الأرمنى) صفحة ١٠٠. (Fol. 79a.)

M. JULLIEN, L'Egypte, p. 244 .

O. MEINARDUS, In the steps . p . 44 .

cf. The Hist, of the Virgin Mary related by Timothy, Patr. Of Alex in Legends of Our Lady, etc. p. 87 .

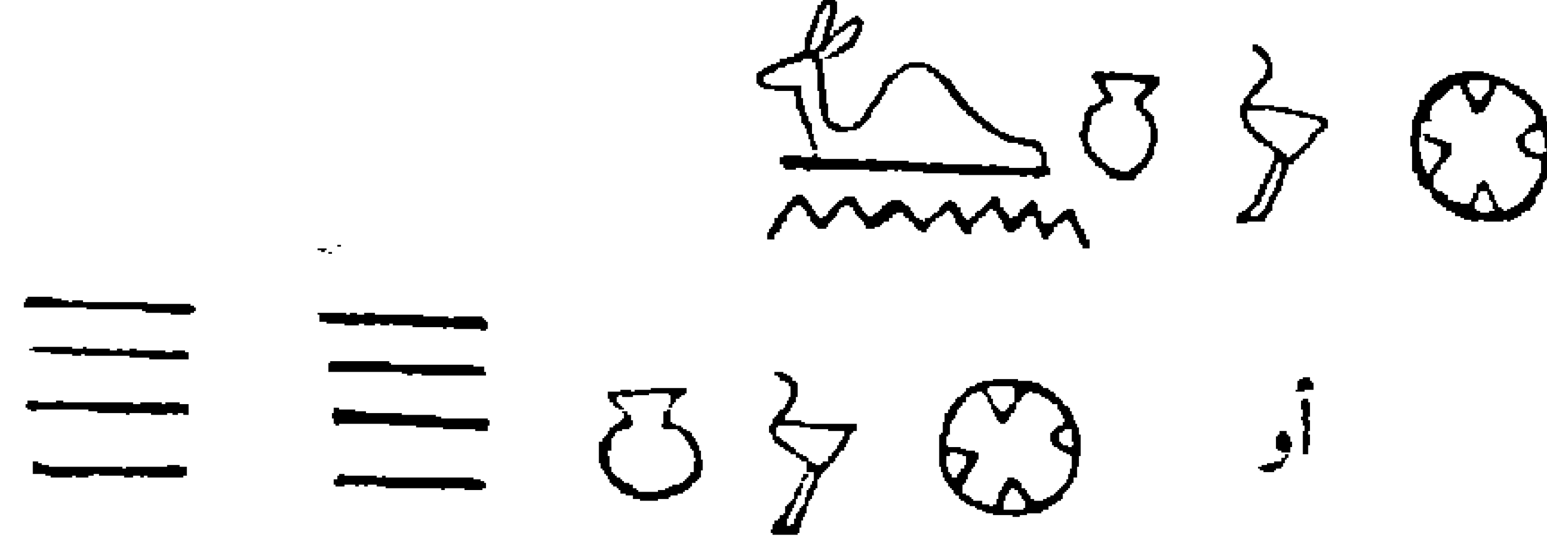
(٥) M. JULLIEN, L'Egypte, p. 244 .

(٦) ميمر الأنبا زخارياس، كتاب ميامر وعجائب العذراء، صفحة ٧٧ .

ومن جبل الطير سافروا بالنيل إلى **الأشمونين**(١) بمركز ملَّوى، وأقاموا هناك(٢) أياماً قليلة عند رجل خيِّر أحسن وفادتهم واحتمل من أجلهم متاعب جمة ، فباركه الرب يسوع. وأجرى الصبىّ الإلهى هناك آيات كثيرة، منها أن حصاناً من النحاس كان يقوم فى مدخل المدينة لحراساتها، فتحطم أمام جلال الرب. وكذلك سقطت أوثان المعابد وتهشمت مما أغضب كهنة الأصنام . ومنها أن شجرة لبخ عالية كان يسكنها شيطان ،

----

(١) بلدة الأشمونين تقع جنوباً على بعد ٣٠٠ كيلومترا من القاهرة . كان أسمها باللغة المصرية القديمة " خمنو"، وتكتب



أو

A. GARDINER, Egyptian Grammar, London, 1950 . p. 561 a .

ومعنى "خمنو" ثمانية. وذلك بالنظر إلى عدد آلهتها الثمانية. وأكبرهم " تحوت " المرموز إليه بطائر اللقلق . وقد تطورت الكلمة فصارت تكتب باللغة القبطية ϣⲙⲟⲩⲛ ولما كانت المدينة القديمة قد اندثرت، وحلت محلها مدينة أخرى بنفس الاسم، لذلك سميت المدينة الجديدة : " أشمونين " .

ϣⲙⲟⲩⲛ ⲃ̄ أو ϣⲙⲟⲛⲉⲓⲛ أو ϣⲙⲟⲛⲉⲓⲛ أو ϣⲙⲟⲩⲛ أى الثمانية الثانية ، أو أشمون الثانية . انظر W.E. CRUM, A Coptic Dietionary, Oxford, 1939, p.566 b.

وقاموس اللغة القبطية المصرية تأليف أقلوديوس يوحنا لبيب القاهرة ١٦١١ ش ، الجزء الخامس صفحة٨٠، ٨١ .

وأما فى العهد اليونانى البطلمى فسميت المدينة Ἑρμούπολις μεγάλη (Hermopolic Magna) . وقد كانت الأشمونين وقتاً ما كرسياً لأسقفية قبطية ، ومن أساقفتها المشهورين الأنبا ساويرس المعروف بابن المقفع فى القرن العاشر .

(٢) ميمر البابا ثيئوفيلوس مخطوط ١٤/٩ بمكتبة مخطوطات دير المحرق – ميمر الأنبا زخارياس ، فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٧٧ ، ٧٨، ٩٣، ٩٤ .

Legends of Our Lady .... Etc. p. 70 – 72, 92 .

ويشهد بلاديوس، الكاتب الكنسى المشهور فى القرن الرابع وهو فى صدد حديثه عن الأنبا أبولون، بزيارة العائلة المقدسة للأشمونين كحادثة معروفة فيقول " قد رأينا قسيساً آخر اسمه أبولو عاش فى إقليم الصعيد فى منطقة الأشمونين حيث جاء المخلص مع القديسة مريم ويوسف، إتماماً لنبوءة إشعياء (١٩: ١) الذى قال " هوذا الرب يركب على سحابة سريعة ويدخل مصر، فتتزلزل أوثان مصر من وجهه ، ويذوب قلب مصر فى داخلها " .

The Paradise, by PALLADIUS, London, 1907, vol. I p. 304 .
M. JULLIEN, l'Egypte p.244 .

ولذلك كان يتعبد لها الوثنيون، فلما اجتاز السيد المسيح بهذه الشجرة إنحنت إلى الأرض وكأنها تسجد لخالقها . فكانت لفتة لها مغزاها بالنسبة للوثنيين الذين يتعبدون لها. وبعد ذلك صارت لقشرتها وأوراقها وأثمارها قوة تشفى كثيراً من الأمراض .

ويقول المؤرخ سوزومينوس، الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس فى كتابه تاريخ الكنيسة: " يقال إنه كان فى الأشمونين – وهى مدينة فى صعيد مصر شجرة تسمى بيرسيا (περσις)[١] ثمرها أو ورقها أو قشرها يشفى المرضى من أمراضهم. ويروى المصريون أن يوسف عندما هرب من مطاردة هيرودس، أتى مع المسيح ومريم أمه القديسة إلى الأشمونين، وفى اللحظة التى اقتربٍ فيها من باب المدينة إنحنت الشجرة إلى الأرض على الرغم من علوّها ، لتسجد للمخلص " .

" وإن ما أقوله عن الشجرة، أرويه كما سمعته من أشخاص كثيرين . فإذا جاز لى أن أقول كل ما يجول بفكرى، فإنى أعتقد أن الله قد صنع هذه المعجزة ليعلن مجىء المسيا. وليس هذا فقط ، إن الشجرة قد إنحنت ، والشيطان الذى كان يُعبد فى الشجرة قد اضطرب وهرب عندما اقترب يسوع، بل فى نفس الوقت إنكفأت جميع أوثان مصر على وجوهها بحسب نبوءة إشعياء " .

" فلما انطرد الشيطان من الشجرة إنتصبت الشجرة واقفة شهادة على المعجزة، وصارت تشفى المؤمنين من أمراضهم، وإن عدداً كبيراً من المصريين وسكان فلسطين يؤكدون حقيقة هذه المعجزة التى هم شهودها[٢] " .

وقد جاء فى بعض مخطوطاتنا القبطية أنه فى الأشمونين " أقام المسيح الموتى، وطرد الشياطين، وجعل العرج يمشون ، والصمّ يسمعون، والخرس يتكلمون ، والبرص يطهرون . وفى كلمة واحدة إنه صنع (هناك) كل العجائب "[٣] .

----

(١) وهى على ما يقول جوليان من نوع شجر الغار. وأما الكتب القبطية فتسميه عادة شجر اللبخ . انظر . JULLIEN, L'Egypte, p. 245 .

(٢) تاريخ الكنيسة لسوزومينوس، الجزء الخامس، فصل ٢١
وكتاب JULLIEN, L'Egypte,p. 244

(3) Monuments pour servir à l'Histoire de l'Egypte Chrétienne aux IVe et Ve siècles (Mission Archéologique Française au Caire) tome IVeme, Paris, 1888, p. 8٠.

ومن الأشمونين ذهبوا إلى قرية تسمى **فيليس** Philes أو Phylâce وهى الآن **ديروط الشريف**(١) وتبعد عن الأشمونين جنوباً بنحو عشرين كيلو متراً، وهى أيضاً على الضفة اليسرى للنيل، وأقاموا فى هذه القرية أياماً ثم اتجهوا إلى **القوصية**(٢) (القديمة، وكانت تسمى مدينة قسقام) فلم يرحب أهلها بهم وطردوهم ، وذلك عندما رأوا معبودهم سقط وتحطم أمام جلال الرب يسوع(٣). فهربت العائلة المقدسة إلى قرية **ميرة**(٤) وهى الآن مير، ومنها إلى **جبل قسقام** حيث يقوم الآن دير السيدة العذراء الشهير بالمحرق . ويبعد نحو ١٢ كيلومترا غرب بلدة القوصية الحالية التى تقع فى محافظة اسيوط على بعد ٣٢٧ كيلو مترا جنوبى القاهرة، ٤٨ كيلومترا شمال مدينة اسيوط .

------

(1) M. JULLIEN, L'Egypte, p. 241 .

(٢) كانت القوصية تسمى باللغة الفرعونية قوست، ومعبودتها حاتحور، وتكتب بالقبطية :
Koc kow أو kwc kow . قوص كوا أو قوصيا ومعناها "مدفن" البقرة حاتحور التى ترمز للإلهة ايزيس (قاموس اقلوديوس الجزء الأول صفحة ٢٣٣، ٢٣٤) وممن ذكروا القوصية وخبر طردها للعائلة المقدسة الأنبا قرياقوص أسقف البهنسا فى عظة له باللغة القبطية وجدت مدونة على أوراق البردى .

وإنى أعتقد أن المدينة التى رفضت العائلة المقدسة ليست هى القوصية الحالية التى تبعد، نحو ٥ كيلومترات شرقى نزالى جنوب وإنما هى مدينة أخرى صارت اليوم خراباً، وهى بقربها، كانت تسمى مدينة قسقام .

(3) Legends of Our Lady ... p. 73, ٧٤ .

(٤) وهى على بعد ٨ كيلومترات شرقى نزالى جنوب .

العائلة المقدسة فى جبل قسقام

في جبل قسقام حيث يوجد الآن دير المحرق بنى الشيخ البار يوسف النجار بيتاً صغيراً من الطوب، وغطاء بأغصان النخيل. وكانت الغرفة العليا يصعد إليها بدرج . وقد انفتحت فى هذه الغرفة طاقة بنفحة السيد المسيح فى الحائط ، فلم تفتح بيد أو بآلة من الآلات كما جاء بكتاب تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى(١) :

وجرت بيد الرب يسوع آيات شفاء وبركة لأهل المنطقة ، فكانوا يهرعون إليه ليتباركوا منه ولينالوا الشفاء من أمراضهم والخلاص من أوجاعهم(٢) .

وكان يقع فى مقابل المغارة التى أصبحت كنيسة فيما بعد، بئر ماء جار . وقد بارك سيدنا فى ماء هذا البئر لما شرب منها هو والسيدة العذراء ويوسف النجار . وصار كل من يرد هذه البئر ويشرب من مائها أو يستحم به، يشفى من جميع أوجاعه. وقد صار ماء البئر حلواً كماء نهر النيل، لكل من يشرب منه(٣) .

ويذكر أبو صالح الأرمنى أنه كان هناك حوض ملأوه ماء، فتحول إلى خمر(٣) ، كما تحوّل الماء خمراً فى عرس قانا الجليل(٤) وذلك بشهادة جماعة من الأساقفة والكهنة والشعب .

وفى غرب المغارة التى أصبحت كنيسة قبة منقورة فى الصخر بالجبل الغربى " كانت السيدة العذراء تأوى إليها أحياناً . وصار شعب النصارى يأتون إلى هذه القبة ويتباركون منها "(٥) .

----

(١) تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ، أوكسفورد ١٨٩٥ ، ترجمه إلى الإنجليزية B.T.A . EVETTS. وعلق عليه A.J. BUTLER صفحة ٩٨، ٩٩ ، (Fol. 78 b) .

(٢) FRANCESCO SURIANO, Treatise on the Holy Land, 195 .

(٣) كتاب الشيخ أبى صالح الأرمنى ، اكسفورد ١٨٩٥ صفحة ٩٩ و ١٠٠ . Fol. 79 a.
Legends of Our Lady, p. 79 .

(٣) نفس المرجع ، ونفس الموضع .

(٤) إنجيل القديس يوحنا ٢: ١-١١ .

(٥) كتاب تاريخ كنائس مصر وأديرتها لأبى المكارم صفحة ١٠٠ .

قصة موت يوسى

يذكر بعض المؤرخين أن رجلا من سبط يهوذا اسمه يوسى، وهو من أقارب مريم العذراء ويوسف النجار، جاء من بلاد الشام، وأمكنه بعد تعب كثير أن يصل إلى مقر العائلة المقدسة فى جبل قسقام . أتى ليبلغهم بما فعل هيرودس الملك ، وكيف قتل جميع أطفال بيت لحم. وإذ علم بهرب الطفل الإلهى وأمه، أرسل عشرة جنود(١) وشدد عليهم الأمر بالبحث عن الطفل وأسرته والقبض عليهم أحياء، والعودة بهم إلى فلسطين ليقتلهم بيديه واحداً واحداً . فلما سمعت العذراء مريم هذا الحديث الخطير، انزعجت وأسرعت فاحتضنت الطفل الإلهى وصعدت به إلى سطح الغرفة التى كانوا يقيمون فيها، وراحت تتشوف إلى هنا وهناك خشية أن يكون جند هيرودس قد اهتدَوا إليهم. فطمأنها الرب يسوع . ونظر إليها وقال: " لا تخافى يا أمى ولا تبكى، فإن بكاءك يحزننى. إن الوقت لم يحن بعد ليسلَم ابن البشر ، سوف لا يعرف الجند مكاننا " .

وتطلع إلى يوسف النجار وإلىِ سالومى، وقال لهما : لاتخافا . ثم وجه الخطاب إلى يوسى قائلا : يايوسى، لقد تعبتَ من أجلنا كثيراً، وتحمَّلت مشاق السفر أميالاً عدة. إن أجرك كبير. وصمت هنيهة، ثم قال ليوسى: والآن استرح أنت. وهنا يمكنك أن ترقد . فأطاع يوسى، وأخذ حجراً ووضعه تحت رأسه ، وأغمض عينيه. وما هى إلا فترة قصيرة حتى أسلم الروح(٢). فنهض يوسف النجَّار ومعه سالومى وقاما بدفن جثة يوسى بالقرب من البيت، ووضعا على القبر حجراً مربعاً، وكتب عليه يوسف باللغة العبرانية :

" أنا يوسف النجَّار، الذى من الناصرة .. خادم هذا السرِّ العظيم . أقرر أننى وخطيئتى مريم العذراء وسالومى ، وربّ المجد، قضينا فى هذا المكان ستة أشهر وعشرة أيام بذلك الجبل الطاهر، وأنه فى هذا المكان يرقد يوسى(٣) "

----

(١) ميمر البابا ثيئوفيلوس مخطوط رقم ١٤/٩ من مكتبة مخطوطات دير المحرق – وكتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٥، ٩٦ .

(٢) ميمر البابا ثيئوفيلوس الـ ٢٣، مخطوط رقم ١٤/٩ بمكتبة مخطوطات دير المحرق، فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٦ – ٩٨ .

Hist, of Virg. Mary related to Timothy in Legends of Our lady, p. 99 .

(٣) ميمر أنبا قرياقوص أسقف البهنسا ، كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ١١١ .

ويروى تقليدنا الكنسى أن قبر يوسى موجود بدير المحرق، وإن كان غير ظاهر على وجه الأرض . وينص المخطوط المحفوظ بدير المحرق والذى يشتمل علـــى طروحات وأناجيل دورة عيد الصليب المجيد حسب " ترتيب دير سيدتنا العذراء المعروف بدير المحرق بجبل قسقام[1] "على أن يمر الكهنة والرهبان فى دورة عيد الصليب فى المحطة التاسعة على قبر يوسى بدير المحرق، وهذا نص التعبير " ثم أنهم يتوجهون إلى قبر يوسا[2] ويصلُّون أوشية الإنجيل، ويقرأون مزمور ١١٨ : ١٩، ٢٠ والإنجيل من مار مرقس ٦: ١-٦ ". وبحسب التسليم المستقر من شيوخ رهبان الدير، يتوجه الموكب إلى عتبة بارزة مرتفعة عن أرض الدير عند الزاوية الغربية الجنوبية من الحائط الغربى لكنيسة العذراء الأثرية من الخارج، ويقفون هناك يتلون صلوات دورة الصليب الخاصة بتلك المحطة من محطات الدورة .

ويظهر أن قصة يوسى كانت آخر حدث للعائلة المقدسة فى جبل قسقام، لأن ملاك الرب ظهر هناك ليوسف فى حلم وأمره بالعودة إلى فلسطين ، وكان هيرودس قد مات.

" فلما مات هيرودس إذا بملاك الرب قد ترآى ليوسف فى الحلم بمصر قائلا : قم فخذ الصبىَّ وأمه ، واذهب إلى أرض إسرائيل، فإنه قد مات الذين يطلبون نفس الصبىّ . فقام وأخذ الصبى وأمه وجاء إلى أرض إسرائيل "[3] .

نهض يوسف من نومه، وأخبر أمَّ النور بموت هيرودس، وبأمر الملاك إليهم بالعودة ، فأعدّوا للرحيل عدَّتهم . فما أن أحس أهل المنطقة بمفارقتهم لهم حتى أظهروا أسفاً بالغاً لحرمانهم من البركة العظيمة التى استمتعوا بها طيلة مدة إقامة الطفل الإلهى وأمه بينهم . ومبالغة فى الإكرام أصرّوا على توديعهم إلى حيث المركب التى استقلوها فى طريق عودتهم .

---

(١) مخطوط رقم ١٣د/١٩ طقس من مكتبة مخطوطات دير المحرق. وهو المخطوط المستعمل فعلا فى دورة الصليب . ويوجد الآن فى خزانة كتب كنيسة العذراء الأثرية بالدير ، ورقة ١٩ .

(٢) المخطوط نفسه ورقة ٤٦ .

(٣) إنجيل القديس متى ٢: ١٩-٢١ .

المسيح يبارك المكان

قبل أن يغادروا البيت الذى أقاموا فيه وقتاً طويلا سألت العذراء القديسة إبنها الحبيب أن يمنح المكان الذى أواهم فى غربتهم بركة خاصة ، فأجاب الرب سؤلها، وفتح فاه قائلا :

فلتدم بركة أبى الصالح والروح القدس فى هذا البيت إلى الأبد . إن هذا المكان الذى ترينه، يا أمى القديسة، ستقام فيه كنيسة، وهذا البيت يكون هيكلاً مكرساً لله يقدّمون فيه للرب ذبائح ونذوراً. وملاك السلامة يبارك فى كل من يأتى إليه ويسجد فيه بأمانة. والذين سيقربون سيظلون ثابتين على الإيمان الأرثوذكسى إلى يوم مجيئى الثانى. وكل من يأتى إلى هذا البيت بإيمان وعبادة سأمنحه مغفرة جميع خطاياه ، إذا اعتزم على عدم العودة إليها، وسأسلكه فى عداد القديسين . وكل من كان فى شدة أو مرض أو حزن أو ضيق أو هول أو خوف، وأتى إلى هذا المكان المقدس وسجد فيه وصلّى وطلب أمراً بحسب مشيئة الله ، فإنى سأقضى جميع حاجاته ، وأستجيب كل طلباته ، إكراماً لإسمك الطاهر يا والدتى العذراء .

واعلمى يا مريم ، أن هذا البيت الذى نحن فيه الآن . سيكون مأوى للغرباء ، وسيصبح بيتاً يضم رهباناً قديسين، لا يستطيع حاكم على هذه الأرض أن يؤذيهم بشر، لأن هذا البيت قد صار مأوى لنا .

وأى امرأة عاقر تتضرع إلىّ بقلب طاهر وتتذكر هذا البيت، سأعطيها نسلاً . وكل امرأة تتعسر فى الولادة وتسألنى باسمك وتذكر أتعابك معى تخلص سريعاً .

وكل الذين يأتون إلى هذا المكان بنذورهم وقرابينهم باسمك الطاهر، فسأكتب اسمى على قرابينهم(١) " .

والمعروف أن الأهالى الذين رأوا العائلة المقدسة، وكانوا يُهرعون إلى الطفل الإلهى وأمه القديسة لنيل البركة والذين شاهدوا المعجزات الكثيرة التى أجراها الرب ظلوا يوقرون المكان ويترددون عليه ، وعاشت أحداثه فى ذاكرتهم. ولذلك بنيـــــت

---

(١) ميمر البابا ثيئوفيلوس الـ ٢٣ – مخطوط رقم ١٤/٩ بمكتبة مخطوطات دير المحرق – وكتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٨ ، ٩٩ .

MEINARDUS (O.), Monks and Monasteries … etc. p. 286,287 .
, In the Steps… etc, p. 54, 55 .
, Itinerary,…. etc. p. 36 .

الكنيسة الأثرية فى نفس هذا المكان ، وتعد أقدم كنيسة فى مصر كلها، وهيكلها هو نفس المغارة التى سكنتها العائلة المقدسة .

الأمر بالعودة إلى فلسطين
تلقته العائلة المقدسة فى منطقة الدير المحرق

تجمع كل المصادر الكنسية والتاريخية على أن دير المحرق هو آخر بقعة فى صعيد مصر بلغتها العائلة المقدسة فى رحلتها التاريخية المباركة[١] من الشمال إلى الجنوب ، وأنه فى المكان الذى أقامت فيه العائلة المقدسة وتحول إلى هيكل كنيســة

----

(١) ميمر البابا ثيئوفيلوس – فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٨ .

+ السنكسار القبطى تحت اليوم الرابع والعشرين من بشنس .

+ الدفنار تحت اليوم الثامن من برمودة .

+ ميمر البابا تيموثيئوس فى كتاب . Legends of Our Lady .. etc. p. 99

+ كنائس مصر وأديرتها لأبى المكارم سعد الله جرجس بن مسعود (المنسوب خطأ لأبى صالح الأرمنى) ص ٩٩ .

وجاء فى الذكصولوجية القبطية المحفوظة الآن بمكتبة الفاتيكان :

Ⲁϥⲧⲱⲛϥ ⲛ̀ϫⲉ Ⲓⲱⲥⲏⲫ ⲁϥϭⲓ ⲛ̀ϯⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲁⲗⲟⲩ ⲛⲉⲙⲁⲥ ⲛⲉⲙ Ⲥⲁⲗⲱⲙⲏ ϯϧⲉⲗⲗⲱ.

Ⲁϥⲓ̀ ⲉ̀ϧⲣⲏⲓ ⲉ̀Ⲭⲏⲙⲓ ⲁⲩϣⲉⲛⲱⲟⲩ ⲉⲕⲟⲥⲕⲁⲙ. ⲁⲩϣⲱⲡⲓ ⲙ̀ⲙⲁⲩ ϣⲁⲧⲉ Ⲏⲣⲱⲇⲏⲥ ⲙⲟⲩ.

Ⲁⲡⲓⲁⲅⲅⲉⲗⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡ̀ϭⲟⲓⲥ ⲟⲩⲟⲛϩϥ ⲉ̀Ⲓⲱⲥⲏⲫ ⲟⲩⲟϩ ⲁϥϩⲟⲛϩⲉⲛ ⲛⲁϥ ⲉⲧⲁⲥⲑⲟϥ ⲉ̀ Ⲛⲁⲍⲁⲣⲉⲑ.

" فقام يوسف وأخذ العذراء والصبى معها وسالومى العجوز وهبط إلى مصر ، وذهبوا إلى قسقام، ومكثوا هناك حتى مات هيرودس وظهر ملاك الرب ليوسف ، وأمره بأن يعود إلى الناصرة."

راجع أيضا كتاب الدفنار تحت اليوم الثامن من بؤونة (تفسير آدام) حيث نجد نفس الكلمات بالقبطية والعربية .

العذراء الأثرية، رأى يوسف النجَّار الحلم الذى أعلمه فيه رئيس الملائكة غبريال[١] أوجبرائيل بموت هيرودس الذى كان يطلب نفس الصبى ليهلكه ، ثم أمره بأن يأخذ الصبى وأمه ويعود إلى فلسطين .

وهذا بالطبع لا يمنع أن تكون العائلة المقدسة، بعد أن تلقَّت فى جبل قسقام أمر الملاك بالرجوع إلى أرض فلسطين قد سلكت فى عودتها طريقاً قد انحرف بها إلى الجنوب قليلا حتى جبل أسيوط . فقد كانت اسيوط آنذاك مرسى سفن، وكان لابد للعائلة المقدسة من أن تذهب جنوباً إلى أسيوط حتى يستقلوا المركب التى تعود بهم إلى الشمال ، فهناك تقليد شفاهى يروى أنها قد إختبأت وقتا ما فى **مغارة بجبل أسيوط** ، هى المشهورة الآن **بدير العذراء بجبل أسيوط** . فالمعروف أن العائلة المقدسة كانت هاربة ومطاردة، ولم تكن ظروفها ميسَّرة حتى تسلك فى سيرها طريقاً ثابتاً مستقيماً . فلا بد أنها عرَّجت على بعض أماكن أخرى غير التى ذكرناها تقتضيها رحلتها المحاطة بظروف شاقة غير طبيعية ، ومنها – على ما يروى التقليد – السراقنا ، وبوق ، والقصير فى مقابل ديروط فى المكان المعروف بمغارة البقرة[٢] .

----

(١) لم يذكر الإنجيل المقدس اسم الملاك واكتفى بقوله " فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد تراءى ليوسف فى الحلم " (متى ٢: ١٩) ولكن بعض المصادر الكنسية ذكرت أنه رئيس الملائكة غبريال، من ذلك كتاب الدفنار تحت اليوم الثامن من بؤونة (باللحن الواطس) حيث يذكر مرتين اسم رئيس الملائكة غبريال، المرة الأولى حينما ظهر ليوسف فى الحلم وأمره أن يأخذ الصبى وأمه ويهرب إلى أرض مصر، والثانية حينما ظهر له فى قسقام وأمره أن يأخذ الصبى وأمه ويعود إلى فلسطين .

كذلك ذكر اسم رئيس الملائكة غبريال (أو جبرائيل) بأنه هو الذى ظهر ليوسف فى قسقام وأمره بالعودة إلى فلسطين ، فى ميمر البابا تيموثيئوس بابا الاسكندرية فى المخطوطات الأثيوبية التى نشرها العلامة BUDGE فى كتاب . Legends of Our Lady etc ...p.99

(٢) انظر مقالاً للدكتور مراد كامل نشره بمجلة إيماج IMAGES بعددها رقم ١٩٦٤ الصادر بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٦٧ صفحة ١٥ .

المدة التى أقامتها العائلة المقدسة بقسقام "الدير المحرق"

اختلف المؤرخون فى تقدير المدة التى أقامتها العائلة المقدسة فى مصر، فقدَّرها بعضهم بسنة ، وقدرها بعضهم بسنتين ، وغيرهم بثلاث سنوات ، وآخرون بأربع سنوات[١] بل وذهب بعضهم إلى تقديرها بسبع سنوات[٢]. والواضح من الإنجيل المقدس ومن المصادر الكنسية الأخرى أن العائلة المقدسة هربت إلى مصر بعد زيارة المجوس للرب يسوع وتقديم هداياهم له ، وأنها تلقّت الأمر بالعودة إلى بلاد فلسطين بعد موت هيرودس الملك .

وفى إعتقادنا أن المدة تزيد قليلا على ثلاث سنوات ونصف سنة وقد تبلغ نحو أربع سنوات .

ذلك أن بعض مصادرنا الكنسية تنص على أن إقامة العائلة المقدسة فى مصر إلى أن تلقت الأمر بالعودة إلى فلسطين استغرقت أكثر من ثلاث سنوات ونصف[٣] ، أو ثلاث سنوات وسبعة أشهر[٤] ولابد أن استغرقت رحلتها بضعة شهور أخرى منذ أن غادرت جبل قسقام حتى وصلت إلى فلسطين، فى الطريق العكسى الذى سلكته من فلسطين إلى قسقام .

---

(١) تاريخ الأمة القبطية، الحلقة الثانية – لجنة التاريخ القبطى – القاهرة ١٩٢٥ صفحة ٤٠ – مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية لسليم سليمان صفحة ٢٦٩ – الخطط للمقريزى الجزء الرابع (طبعة ١٣٢٦ هـ) صفحة ٣٧٨ – القول الإبريزى للعلامة المقريزى صفحة ١٧ .

(٢) مقال الأب يعقوب موزر صفحة ٢٣٣ .

(٣) الدفنار تحت اليوم السادس من هاتور

MEINARDUS (O.), In the Steps ... p. 13 .

(4) E.A.W. BUDGE, One Hundred and Ten Miracles etc. (Translated form Ethiopic), p. 145 .

أما المدة التى أقامتها العائلة المقدسة فى جبل قسقام حيث يقوم الآن دير المحرق . فقد قالت مصادرنا الكنسية **أنها ستة أشهر وعشرة أيام**(١) . وذكرت بعض المصادر الشهور وأغفلت الأيام(٢) .

جاء فى ميمر البابا ثيئوفيلوس الثالث والعشرين من باباوات الاسكندرية قول السيدة العذراء تخاطبه " وبعد ذلك أقمنا مدة ياتوفيلس إلى تمام الستة شهور حيث كان **دخولنا هذا الموضع المقدس فى السابع من شهر برمودة ، وقيامنا منه فى السادس من شهر بابه ، اليوم الذى ظهر فيه ملاك الرب ليوسف وقال له قم وخذ الصبىّ وأمَّه وامض بهما إلى أرض إسرائيل**(٣) ". فإذا أحصينا الأيام إبتداء من السابع من برمودة حتى السادس من بابة كانت المدة أكثر من ستة أشهر لأنه تتخللها أيام النسىء (الشهر الصغير) وهى تبلغ خمسة أيام فى السنوات البسيطة وستة أيام فى السنوات الكبيسة .

ويقول المؤرخ الإسلامى المعروف بالمقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥هـ أو ١٤٤١م) فى كتابه " الخطط " تحت اسم الدير المحرق " تزعم النصارى أن المسيح عليه السلام أقام فى موضعه ستة أشهر وأياماً "(٤) .

----

(١) كما سجل على اللوحة أو الحجر الذى وضعه يوسف النجار على قبر يوسى .
MEINARDUS (O.), Monks and Monasteries… p.286.
انظر ايضا كتاب هروب السيد المسيح إلى مصر تأليف الأستاذ وليم باسيلى صفحة ١٠٨ .

(٢) ميمر الأنبا زخارياس أسقف سخا – فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٧٨ .

(٣) ميمر البابا ثيئوفيلوس – الثالث والعشرين من بطاركة الأسكندرية (٣٧٦-٤٠٣م) مخطوط رقم ١٤/٩ من مخطوطات مكتبة دير المحرق – فى كتاب ميامر وعجائب العذراء صفحة ٩٨.
JULLEIN, L'Egypte, p. 242. ويعد ميمر البابا ثيئوفيلوس أهم وثيقة يعتمد عليها فى أخبار رحلة العائلة المقدسة، إلى جانب مصادرنا الكنسية الأخرى . ويقول المسيو اميليو E. AMÉLINEAU فى كتاب " مذكرات تتناول تاريخ مصر المسيحية " (MÊMOIRES POUR SERVIR Á L'HISTOIRE DE L'ÉGYPTE CHRÉTIENNE) .
إن ميمر البابا ثيئوفيلوس لا يوجد منه الآن باللغة العربية، إلاّ ثلاثة مخطوطات : أحدها ، محفوظ بمكتبة الفاتيكان ، والثانى : بالمكتبة الأهلية بباريس ، والثالث : بمكتبة دير المحرق .

(٤) الخطط المقريزية تأليف المقريزى ، القاهرة ١٣٢٦هـ . الجزء الرابع صفحة ٤١٦ .

تكريم وشفاعة السيدة العذراء

١- أمر تكليف بإحياء ذكرى العذراء مريم وسائر القديسين.
٢- إكرامنا للعذراء لأنها أم الله .
٣- إكرام المسيح للعذراء مريم .
٤- العذراء مريم المطوبة كل حين ولكل الأجيال .
٥- تكريم المؤمنين للعذراء .
٦- مريم العذراء شفيعتنا .

تكريم العذراء مريم

١- أمر وتكليف بإحياء ذكرى العذراء مريم وسائر القديسين(١)

فصل الإنجيل لعشية هذا الأحد الأول من كيهك المبارك، مأخوذ من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل معلمنا مرقس البشير ، وفيه هذه التحية العظيمة التى حيَّت بها مريم أخت لعازر سيدنا يسوع المسيح، شكراً وتكريماً له لأنه أقام أخاها من بين الأموات، فهذه الواقعة حدثت بعد إقامة لعازر من بين الأموات .

أرجو أن لايختلط بأذهانكم هذه القصة، بقصة المرأة الخاطئة التى غسلت قّدمىٍ المسيح له المجد بدموعها، فى بيت رجل اسمه سمعان الفريسى، إنما هذا الرجل الذى دخلت إليه مريم أخت لعازر اسمه سمعان الأبرص ، فسمعان الفريسى غير سمعان الأبرص . القصة الأولى قصة المرأة الخاطئة التى زرفت الدموع تحت قدمىٍ المخلص وغسلت قدميه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها فى إنجيل لوقا الأصحاح السابع ، إنما هذه القصة ليس فيها دموع إنما سكبت مريم أخت لعازر سكيباً محتوى قارورة طيب ، يُعد أغلى أنواع الطيب فى ذلك الزمان ويسمى الناردين ، الناردين كان أعظم أنواع العطر المعروفة فى هذا الوقت، ويصفه الكتاب أنه "خالص" ، بمعنى أنه نقى، أى غير مضاف إليه أشياء أخرى، وإنما خالص أى نقى كامل، ثم يقول كثير الثمن أو غالى الثمن ، أى دفع فيه شيء كثير، حتى أن يهوذا صعب عليه هذا الطيب ، قال: " كان يمكن أن يباع بأكثر من ٣٠٠ دينار" فى هذا الوقت، فقارورة الطيب كثير الثمن كان يقترب ثمنها من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ جنيه . فمن أجل هذا يهوذا صعب عليه المبلغ الكبير، وقال: لماذا كان هذا الإتلاف ، أما كان يمكن أن يباع الطيب بأكثر من ٣٠٠ دينار ويعطى للفقراء !! (مر١٤: ٤، ٥) ، (يو١٢: ٥) .

هنا يهوذا نجح فى أنه يثير سائر التلاميذ ، لأن حجتة معقولة يقبلها كل واحد ، فسائر التلاميذ إنضموا إلى يهوذا فى هذا الاعتراض ، وحدث تذمر منهم جميعا، لكن

---

(١) محاضرة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل - شارونة - مغاغة - مساء السبت الموافق ١٢ من ديسمبر ١٩٨٧م - ٢ من كيهك ١٧٠٤ ش .

سيدنا ومخلصنا له المجد دافع عن المرأة ، وبَيَّن أنهم بدلا من أن يؤنبوها وبدلا من أن يزعجونها كان يجب أن يمدحوها ، فلما لم يمدحوها ولاموها مدحها هو . وهنا الحقيقة أن يهوذا والتلاميذ الذين إنضموا إليه فى هذا الاعتراض تجاوزوا واجبات اللياقة ، وكان لا يجب أبدا أن يكون هذا الاعتراض . وسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح لم يرد عليهم من باب الدفاع عن الكرامة الشخصية ، إنما صَعُبَ عليه أن تهان هذه المرأة بينما هى صنعت صنيعاً عظيماً ، عملت عملاً يجب أن تشكر عليه ، فقال لهم " لماذا تزعجون المرأة إنها صنعت بى صنيعا عظيماً " فكان هذا دفاعاً عن فعل المرأة وتشجيعاً لها، ورداً لكرامتها التى أهينت بالإنتقاد ، وبياناً أيضا فى نفس الوقت أن هذه المرأة التى أنفقت هذه النفقات الكثيرة، وبذلت هذا البذل يجب أن تكافىء عن صنيعها، والمسيح كان عالماً بكل ماكان يأتى عليه، وعارفاً أنه بعد ستة أيام سيصلب ويقبر ويدفن، فاعتبر ماصنعته المرأة تكفين مقدم ، رغم أننا نعلم أن نيقوديموس ويوسف اشتروا أطياب وكذلك النسوة أيضا ليضمخوا بها جسد المخلّص .

لكن كون الكنيسة اختارت هذا الفصل لتقرأه فى أعياد العذراء أو عشية عيد العذراء مريم، كأنها تُلَوح أو تشير إلى العذراء مريم، أنها اختارت النصيب الصالح، بأنها لم تتزوج وكرست حياتها فى خدمة سيدها وإبنها، وعاشت بهذا وحده وتركت إهتمامات العالم، فهذا هو الإختيار الأعظم أنها اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد .

وأيضا سيدنا بدلا من أن يقلب هذا الإحتفال إلى تأنيب وتوبيخ لسائر التلاميذ، أظهر بطريقة إيجابية الخير التى صنعته مريم، ومجدَّها على هذا الخير بل كافأها أكثر من هذا ، قال: " حيثما يكرز بالإنجيل فى كل العالم يخّبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها "، وفعلا تجدوا الأناجيل كلها ذكرت هذه الحادثة، جميع الأناجيل ذكرتها متى، مرقس ، لوقا ، يوحنا ، ولأن هذه الأناجيل كتبت للعالم ، وانتشرت فى كل المسكونة ، فيتحقق ما قاله سيدنا "حيثما يكرز بالإنجيل فى كل العالم يخّبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها " .

من هنا نفهم أن تحية الكنيسة وتكريمها للقديسين وصية إلهية ، هناك بعض الناس يقول لماذا نذكر القديسين؟، وبعض الناس يتصوروا أن الله يغضب، غير الأرثوذكسيين يأتى لهم هذا الفكر أن الله يغضب لأن القديسين يأخذوا مجد الله.. ، حاشا .. هنا كلام المسيح يظهر واضحاً أن هذا التكريم أمر واجب ، كونه يقول أنه حيثما يكرز بالإنجيل للخليقة كلها يُخبر، هذا يُعّد أمر بالإخبار، لابد أن يُخبر ، فهو تكليف ، يُخبر بما فعلته

هذه المرأة إحياءاً لذكرها ، فالله يريد أن نحيِّي ذكرى القديسين ، هذا ليس مجرد أمر جائز .. بل هو أمر واجب ، يقول "حيثما يكرز بالإنجيل للخليقة كلها يُخبر ، هذا أمر ولذلك فى المجمع عندما نذكر القديسين نقول : " أن هذا هو أمر إبنك الوحيد يسوع المسيح ربنا أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك، تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء ، آبائنا الأطهار رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والشهـــداء والقديسين والسواح ، وكل أرواح القديسين الذين تكملوا فى الإيمان وبالأكثر القديسة الممتلئة مجداً العذراء والدة الإله " .

فإحياء القديسين أمر " لأن هذا هو أمر إبنك الوحيد ربنا يسوع المسيح أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك " ، هذا الأمر جاء من هذه الواقعة ومن هذه الحادثة أن سيدنا قال: "حيثما يكرز بالإنجيل فى الخليقة كلها يُخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها ".

فإذن تكريم القديسين ليس فقط جائز بل واجب ، ليس فقط لا يتعارض مع تكريمنا للرب بل واجب، ليس مجرد أنه لا مانع منها ، بل هذا أمر وتكليف أنه مفروض أننا لإرضاء ربنا يسوع المسيح، وطاعة لأمره أننا نحن نكرم القديسين، ولذلك نحن فى عشية الأحد الأول من كيهك نقرأ هذا الفصل، لأن هذا هو الشهر الذى فيه نحيِّي ونمجد سر التجسد وأيضا نمجد العذراء مريم، التسابيح، والذكصولوجيات التى نصليها فى هذا الشهر المبارك وفيها تكريم للعذراء مريم ونقول :

العليقة التـــى رآهـــا	موسى النبى فى البرية
والنيران تشتعل فيها	ولم تمسسها بأذيـــــة
مثال أم النور مريـــم	حملت جمر اللاهوتيــة .

فهنا لابد أن نشعر أننا ننفذ أمر المسيح، وأن المسيح لا يغضب من أننا نكرم مريم أو نكرم القديسين، بالعكس .. هذا أمر منه. وعدم تكريمنا للقديسين مخالفة لأمره .

فالحقيقة كنيستنا جميلة جدا فى تكريمها للقديسين لأنها من جهة تنفذ أمر الله ، فإكرامنا للقديسين لن يغير منهم، ولكن بالعكس تحيتنا للقديسين وتكريمنا لهم لكى نتمثل بهم ، هم نماذج ، قوة لنا، الله يريدنا أن نتمثل بهم ، هناك كثير من القديسين استطاعوا أن يخدموا المسيح، واستطاعوا أن ينتصروا علي الشهوات، واستطاعوا أنهم يغالبوا الإهتمامات العالمية، ويمجدوا الله فى حياتهم ويكرموه، لأن الذى عملته مريم تكريم للمسيح ، ففيما نحن نمجد هؤلاء القديسين ونشكرهم ونحييهم ونذكرهم، فى نفس الوقت نحن نحيِّي ونبارك ونمجد الله لأنهم سبقونا فى هذا التكريم ، فلو نحن منعنا هذا التكريم يعد ذلك إهانة وإهمال للمسيح نفسه، لأن هؤلاء أكرموه، فكون أننا نهتم ونبـــرز

أعمالهم، هذا تكريم فى نفس الوقت للسيد المسيح، لأنهم صنعوا هذا تكريماً له . وفى نفس الوقت يكونوا هم مثال ونموذج نقتدى بهم ، وأيضا عندما يكون بشر مثلنـــا استطاعوا أن يقدموا شخصياتهم نماذج فى الفضيلة والتعليم، هذا شيء يوبخنا ويعظنا ويجعلنا أن نتحرك، لأن هؤلاء ليسوا من السماء بل بشر منا، لذلك نقول للعذراء "أنت فخر جنسنا" ولذلك نكون فرحين لأن منا خرجت العذراء التى اختارها المسيح، والتى هى أكرمت المسيح أعظم إكرام، واحتملت من أجله أعظم احتمال ، تألمت معه كل الآلام .

من تَحَّمل الآلام التى تحّملتها العذراء، ولا الآباء الرسل جميعا ، لا يوجد من الآباء الرسل من تألم مع المسيح كما تألمت العذراء ، وهى هذه الفتاة الغضة ، لم تر فى كل حياتها لحظات راحة ، كل حياتها إضطهاد وآلام ومتاعب وضيقات . إذن هى فعلا خادمة سر التجسد رقم واحد . وكل هذا لكرامتها، لأن هذه الآلام وهذه الجروح فى حياتها تحولت إلى لآلىء فى تاجها، ولذلك أصبحت للعذراء اليوم كرامة فى كنائسنا وكنائس الروم وكل كنائس العالم، يقولوا أن كرامتها فوق الكاروبيم وفوق السارافيم . الملكة أم الملك، ولكن كل هذا نوع من أنواع المكافأة على جميلها وعلى أعمالها وعلى إحتمالها وعلى آلامها التى تألمت بها من أجل المسيح.

فالكنيسة عندما تكّرم العذراء مريم وفى الشهر الكيهكى على الخصوص ، تمدح العذراء وتمجّدها وتكرّمها، هذا تكريم للفضيلة فيها، وهذا رد اعتبار، لو لم نكرمها هذا إهمال ، وتنكر منا بفضل العذراء مريم ، بل من العيب عليك عندما تجد إنسان عمل عملاً طيباً ولم تكّرمه ، ولذلك فى بعض الأحيان الدولة تكّرم أشخاص معينين لأنهم أدوا خدمات للدولة ، فهذا التكريم كيف يُحسب أنه خطأ ، هذا تكريم للفضيلة ، وهذا إعلاء للفضيلة، وهذا نموذج لكى نتعلم نحن من ورائه، ولكى يتشجع أولادنا الصغار عندما يروا أن العذراء وأن القديسين يُكّرموا، هذا يشجعهم على الفضيلة ويشجعهم على الحياة الصالحة، لأنهم يروا أن هؤلاء مكّرمون، فهذا التكريم يشجع الصغار على أن يسيروا فى طريق الفضيلة، فى طريق الإيمان والأعمال الصالحة.

إذن هذا أمر، الكنيسة فى المجمع تقول "هذا هو أمر إبنك الوحيد "، جاءت من هذه الآية "حيثما يكرز بالإنجيل فى كل العالم يُخبر" ، فهذا أمر من المسيح ، ولو أن هذا واجب علينا أن نعمله، إنما أيضا أمر ، بل من لايفعل ذلك يكون ضد كلام المسيح وضد تعليم المسيح ، لأن السيد المسيح يريد ذلك .

٢- إكرامنا للعذراء لأنها أم الله

يقول السيد المسيح " من قبل نبياً لأنه نبى فأجر نبى يأخذ ، ومن قبل باراً لأنه بار فأجر بار يأخذ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد لأنه تلميذ فالحق أقول لكم أنه لايضيع أجره " (مت١٠: ٤١، ٤٢) .

عندما نحتفل بالقديسين ونكرم القديسين ونعطى عطاءا باسم أحد القديسين مثل النذور ، هذه المسألة ليست جائزة أو مشروعة فقط ، بل المسيح له المجد يعطيها قيمة، المسيح يريدنا أن نكّرم القديسين ، ونمجد القديسين لأن فى تمجيد القديسين تمجيداً للفضيلة التى تمثلت فيهم، هؤلاء نماذج أمامنا نتعلم منهم ، هؤلاء قدوتنا ، الكنيسة تقدم قديسيها كعيّنات استطاعت أن تحيا حياة الإنجيل، فهم نماذج أمامنا ، النموذج والأمثولة التى نتمثل بها حتى لانحتج بأن تعاليم المسيح تعاليم عسيرة وصعبة ، لا .. يوجد من استطاعوا أن يصلوا ، والمسيح يريدنا أن نعمل مثلهم ، فنحن عندما نقدم العطاء أو النذور بأسماء القديسين هو أمر مطلوب وليس مجرد أمر مشروع ، انظروا مريم أخت لعازر عندما سكبت على رأس المسيح قارورة الطيب كثيرة الثمن ، من الناحية الإيجابية السيد المسيح نظر للمرأة ، لكى يرفع معنوياتها لأنها أهينت وحكم عليها ، وانتقدت شر إنتقاد وأعتبرت مبذرة ومتلفة ، قال المسيح "لاتزعجوها إنها عملت بى عملاً حسنا" ، إنها كفنتنى بهذا الطيب تكفيناً مسبقاً ، باقى ست أيام وأُصلب وأموت وأُكفن كما يكفن الموتى، ويُضّمخ جسدى بالطيب كما فعل يوسف ونيقوديموس، فمريم سبقت هؤلاء جميعا ، المسيح حول القضية بدلا من أن تكون المرأة موضع إنتقاد أعطاها هذا الشرف، وأكسبها هذا العمل هذا المجد، أنها شرفت قبل يوسف ونيقوديموس وقبل السيدات الأخريات بأن تكفن جسد المسيح، وأنها تكفنه مسبقاً ، هنا المسيح أكسب الموضوع أهمية برفع معنوية المرأة، وبين أن عملها هذا عمل كبير وعمل عظيم، ثم يقول "الحق أقول لكم حيثما يكرز بالإنجيل فى العالم يُخبَّر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها " فالمسيح يريدنا أن نكرم القديسين ، أمر ، حيثما يكرز بالإنجيل فى كل العالم يُخبَّر ، أى يجب أن يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءا لذكرها، لذلك نقول فى المجمع فى القداس "هذا هو أمر إبنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء آبائنا البطاركة ورؤساء الأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين وكل أرواح الصديقين الذين تكملوا فى الإيمان وبالأكثر القديسة الممتلئة مجدا " لأن الله مجّدها

فأضفى عليها مجداً فصارت ممتلئة مجداً، ممتلئة كرامة " منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" حتى المرأة في وسط الجماهير لم تقدر أن تضبط نفسها عندما سمعت جمال حديثه، فقالت له: " طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذان أرضعاك" وهى لا تعلم من هى مريم لكن أعطتها الطوبى، لأنها رأت أنها استحقت أن تقدم للإنسانية وللبشرية السيد المسيح معلّم المعلّمين، طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذان أرضعاك ، وطّوبتها أليصابات وهى فى التسعين من عمرها، تكلم بنت عمرها ١٣ سنة ، فعمر أليصابات سبعة أمثال عمر مريم ، وأيضا هى امرأة رئيس كهنة ومكانتها الإجتماعية كبيرة، تقول: " من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى "، أم ربى، لذلك نقول " والدة الإله " هذا تعبير الإنجيل ، وهذا ما نطق به الروح القدس على فم أليصابات ، من أين لى أن تأتى أم ربى، من هو الرب؟ يهوه الأزلى الأبدى " أدوناى " الدائم الذى لا بداءة له ولا نهاية، نعم والدة الإله وبحق لأن الذى خرج من أحشائها الإله المتجسد "هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون اسمه عمانوئيل" " ايل " تعنى الله "عمانو" تعنى معنا، "عمانوئيل" معناها " الله معنا ". إذن من الذى وُلد من العذراء ؟ الله، إذن العذراء والدة الإله، هذا التعبير حق، الملاك يقول لها " القدوس المولود منك يدعى ابن الله " قدوس، لا يوجد بشر يقال له قدوس، نقول عن البشر قديس، إنما قدوس هو واحد ، "نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة "، وكلمة ابن الله ليس معناها أن الله يلد، ولكن لأنه التجلى الإلهى والصورة المنظورة لله الذى هو بطبيعته غير منظور، هذا هو معنى أنه ابن الله أى الصورة الظاهرة، التجلى، عظيم هو سر التقوى، الله ظهر، الله تجلى ، الله ظهر فى الجسد " والكلمة اتخذ جسدا " فى إنجيل يوحنا اتخذ جسدا، استتر فى الجسد، احتجب فى الجسد، إنما هو الله، لكى نقدر أن نراه ، أليصابات عندما نطقت وقالت "من أين لى هذا الشرف..." هذا الكلام ليس من عندها ، بل نطقت به بالروح القدس ، إذن هذا الكلام هو حق إلهى ، هو إعلان إلهى .

فمهما عملنا من تمجيد للعذراء مريم ، أولا نحن نمجد الفضيلة فيها، وأيضا ننفذ ونحقق مايريده الله لأن الله يريد أن هؤلاء القديسون يُمجدون ، يكافأون بتقدير من الكنيسة عن عملهم، خصوصا أنهم رحلوا للعالم الآخر فلن يصيبهم الغرور، لكن هذا واجب علينا ، واجب الوفاء نحو الذين عاشوا مصابيح منيرة أمامنا، أناروا لنا الطريق وعلّمونا، فهم آباؤنا ، تتلمذنا عليهم ، رأينا فيهم السيرة ، رأينا فيهم التعليم، فمن حقهم علينا ومن واجبنا نحوهم أن نمجدهم. فإذا مَجَّدنا العذراء مريم فلأنها فى تمجيدها تمجيد للفضيلة، وأيضا فى تمجيدها وفاء، وفاء منا نحوها، تقدير منا لها، وهذا واجبنا.

المسيح شفى عشرة رجال برص، فلما تطهروا واحد فقط منهم رجع لكى يشكر المسيح، فقال ألم يرجع ليعطى مجدا لله غير هذا السامرى غريب الجنس أين التسعة ، مؤكد أن المسيح عندما عمل الخير، لا يصنعه لكى يأخذ مقابل أو محتاج لهذا الشكر أبداً ، لكن أيضا يبين لنا أنه من اللياقة ومن الأدب أن الواحد عندما يصنع معه خير يَشكر، المشكور لن يزيد شيء خصوصا إذا كان هو المسيح، لكن يصعب عليك إذا صنعت خيراً فى إنسان وتجده يتنكر لك أو لايشكرك، فمن واجبنا وهذا برهان على الفضيلة فينا أننا نمجد الأفاضل ، نعطيهم حقهم، واجبنا نحو القديسين أن نمجدهم وأن نشكرهم وأن نتحدث بأعمالهم لكى تكون هذه الأعمال نموذجاً أمام الناشئين .

إذن إذا قدمنا النذور وقدمنا التمجيدات التى يتكلم المسيح عنها، عندما يقول " من قبل نبياً لأنه نبى فأجر نبى يأخذ "، فجعل الأجر كبير لأنه عندما أعطى، أعطى باسم أنه نبى، وعندما يكرم هذا النبى يكرم الله، الله يفرح أكثر لأنه يقول أن من يكرم النبى فهو يكرم المسيح لأنه منسوب لسيده، فهذه الكرامة راجعة إلى الله .

فتكريمنا للعذراء مريم وتمجيدنا للعذراء مريم يرجع إلى الله لأنها أمه ، وأيضا هى التى عاشت معه واحتملت، كيف نكون نحن أقل وفاءاً من أى إنسان آخر ، المسيح على الرغم من أنه لم يكن يريد أن يصنع المعجزة ، لكن من أجل مريم صنعها، ولذلك على الرغم من أنه قال لها لم تأت ساعتى بعد، لكن رأت علامات وجهه هى علامات الرضا، فذهبت للخدم وقالت " كل ما يأمركم به افعلوه " لأنها فهمت من علامات وجهه أنه سيصنع شيئا وأنه سيستجيب لها ، الكتاب المقدس يقول " وكان خاضعاً "، عظيم مجدك يامريم، المسيح ملك الملوك يخضع لمريم، وهنا الخضوع ليس فقط الصورة المثالية والنموذجية لابن نحو أمه، ولكن هنا الخضوع بمعنى تلبية طلباتها، ورغباتها.

فلما يكون المسيح خاضعاً لمريم، أى شرف نالته مريم؟! أن رب المجد يصير خاضعاً لها ، يلبى نداءها ويقبل شفاعتها ، إذن تكون غباوة منا لو أننا لم نستفد ، ونستغل مجد مريم، ودالة مريم، نستغلها ، أى نستفيد بها، خسارة أن يكون عندك شيء ولا تستخدمه ، خسارة عليك إذا أنت لم تستغل شفاعة مريم ، إذا لم تستغل مكانة مريم ودالة مريم ، اطلب أى طلب ، لكن طلب روحانى ، ليس طلب مادى ولا جسدانى لأن مريم ليست مادية ، مريم نموذج الروحانية ، فاطلب وزد فى الطلب ، " اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذا كله يزاد لكم "، إن كانت هناك مشكلة، إن كانت هناك صعوبة، إن كانت هناك عداوة ، إن كانت هناك مقاومة ، اطلب عن طريق مريم ، لأن مريم

المسيح خاضع لها ، نالت هذا الشرف أن يلبى نداءها، وأن يعتبر ما تقوله مريم كأنه أمر صدر منها كأم، وهو بجلاله يتفضل فيخضع لما تطلبه مريم .

إذن نحن أغبياء لوِ لم نستغل شفاعة مريم، ودالة مريم، ومحبة مريم، ومركز مريم عند المسيح لنطلب ونعليً الطلب ، أى طلب؟ ، مريم شفاعتها فوق الملائكة ورؤساء الملائكة، لذلك فى الكنيسة نقول شفاعة مريم قبل أن نقول شفاعة سبعة رؤســـاء الملائكة، نعم ، الملكة أم الملك .

فلتكن بركاتها علينا جميعا، وهى شفيعتنا، وهى سفيرتنا، وهى فخر جنسنا ، الرب يبارككم جميعا، ويحفظكم جميعا، فى محبته ومخافته، ويجعلنا دائما نتمثل بإيمانها وصبرها وإحتمالها وأيضا بفضائلها التى تزينت بها، لإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

٣- اكرام المسيح للعذراء مريم[١]

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين .

اليوم عشية التاسع من شهر مسرى. وقد انتصف صوم العذراء مريم ، إختيار هذا الفصل الذى تلى علينا فى عشية عيد مارمينا العجائبى فى الخامس عشرة من هاتور. نرى فى الإنجيل نفسه لمسة يمكن أن تُلّوح إلى العذراء مريم . فسيدنا له المجد يتحدث إلى تلاميذه، بأنهم سيتألمون من أجله، وهذه الآلام شهادة لسيدهم ومعلّمهم.

ولسنا نعرف فى تاريخ الكنيسة إنساناً أو إنسانة تألم مع المسيح ومن أجله كما تألمت العذراء مريم، وعاشت مرتبطة به منذ ولادتها بل أقول قبل ولادتها، لأنها أُختيرت بعلم سابق لكي تكون هى الإبنة التى عن طريقها يتم خلاص العالم، بأن يتخذ المسيح من دمها جسداً يتحد به. وقد تأخر مولدها على الرغم من أن أباها يواقيم وأمها حنة سألا الله بضراعة وبصوم طويل، وهما يطلبان من الله أن يعطيهما نسلاً وتأخر النسل وتأخرت الإجابة، حتى تولد مريم فى الوقت المناسب الذى اختاره الله لظهوره بالجسد . " لما حان ملء الزمان أرسل الله إبنه مولودا من امرأة تحت الناموس، ليفتدى الذين تحت الناموس" لما حان ملء الزمان ، فلله فى المواعيد حكمة ، إذن ولدت مريم فى الوقت المناسب ، ولو كانت ولدت قبل ذلك ، أو ولدت بعد ذلك لما كانت هى الإنسانة المناسبة بأن تكون خادمة سر التجسد رقم واحد .

واحتملت العذراء . لم تكن مجرد متاعب أم عادية ، إنما إنسانة كل غضب اليهود الذى كان على المسيح كان لها نصيب فيه، كل المتاعب والمضايقات والمطاردات التى طرد بها المسيح كانت العذراء معه فى كل هذا. فحقيقة كما قال الإنجيل أن حياتها كانت شهادة، وهى الشاهد الأول والخادم الأول لسر التجسد. وهذا أكسب العذراء شرفاً.. مَن شَرُفَ كما تَشرفت العذراء. سيدنا له المجد قال للآباء الرسل " إن أنبياء كثيرين وملوك اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون فلم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون فلم يسمعوا، فطوبى لعيونكم لأنها تنظر ولآذانكم لأنها تسمع " ، لذلك الرسل بلا شك أنهم نالوا سعادة وغبطة وتطويب أكثر من كل الملوك والأنبياء السابقين،لأنهم رأوا بعيونهم

---

(١) محاضرة بكنيسة الشهيد مارجرجس بإمبابه الجيزة – مساء الأحد ١٤ من أغسطس ١٩٨٨م – ٨ من مسرى ١٧٠٤ ش .

وسمعوا بآذانهم سيدنا له المجد ، هذا شرف ليس بقليل حتى أن يوحنا الرسول كان يفتخر ويقول " الذى رأيناه بعيوننا وسمعناه بآذاننا وشاهدناه ولمسته أيدينا " أى كان يفتخر أنهم رأوا المسيح بعيونهم وسمعوه بآذانهم، إذا كان الآباء الرسل نالوا هذه الطوبى فكم تكون كرامة العذراء مريم، المسيح كان فى أحشائها. وكانت بطنها للمسيح سماء ثانية . إذا كانت عندما ذهبت لأليصابات قالت لها "مباركة أنت... منذ أن سمعت صوت سلامك ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى، فمن أين لى هذا الشرف.. أن تأتى أم ربى إلىَّ " مَنْ الجنين ؟ يوحنا المعمدان. وهو فى سن ست شهور سجد لسيده فى بطن العذراء مريم.

إذن العذراء عندما كانت حامل بالمسيح ماذا كان يجرى فيها ؟ إذا كان مجرد السلام جعل أليصابات تحركت بالروح القدس وقالت، " من أين..." وقالت لها أن يوحنا أو الجنين ارتكض بإبتهاج ، انظر كلمة بإبتهاج .. الجنين يرتكض وينتفض وأيضا بإبتهاج ، لأن العذراء عندما كانت تحمل المسيح فى أحشائها لم تتكلم أبدا، يقول الكتاب " كانت مريم تحفظ هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها "، عقل غير عادى لبنت سنها ١٤ سنة، كيف أن تكون بهذا الصمت وهذا السكون والتأمل .

تأمل فيما كان يحدث للعذراء مريم والمسيح فى بطنها ، وفى الرضاعة وعندما كانت فى مصر وغير مصر، أكيد أن هناك أموراً كثيرة جداً كانت تراها وكانت تلمسها وكانت تحسها ومعجزات وأمور غريبة كثيرة جدا تحدثُ معها، ومع ذلك لا يوجد عندنا معلومات، لم تكن تتكلم ، رأت الملائكة ورأت الرعاة وكيف سجدوا ، والملائكة وكيف ظهروا ، والمجوس الذين جاءوا من بلاد إيران بناء علـــى نبوءة زعيمهم زرادشت سنة ٧٥٠ قبل الميلاد . عندما تنبأ عن المسيح وقال : " أنه فى آخر الزمان بكر تحبل بجنين هو الكلمة مقيم السماء . فإذا رأيتم نجمه فاذهبوا وقدموا له هداياكم لئلا يصيبكم بلاء عظيم". وبناء عليه عندما ظهر هذا النجم قام المجوس وسار النجم قدامهم، ورأت النجم ورأت المجوس عندما قدموا هداياهم ذهبا ولبانا ومراً، كل هذا رأته العذراء مريم .

ما أعظم الشرف الذى نالته مريم العذراء لأنها استحقت أن يصاغ من دمها الجسد الذى يتحد به الكلمة، ويصير للكلمة حجاباً وستاراً، قبل أن ينزل اللاهوت . وهذا ما قاله الكتاب المقدس : " أعددت لى جسدا " فأعد الجسد أولاً ليكون للاهوت ستاراً حتى لاتحترق العذراء مريم، واتحد اللاهوت به وظهر المسيح، " عظيم سر التقوى الله ظهر فى الجسد " .. أى شرف نالته مريم .

ولو لم تكن مريم حقيقة جديرة بهذه النعمة لما استحقتها ، ولذلك فإن الملاك عندما ظهر لها حيّاها تحية تعجبت هى لها : "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ..لأنك وجدت نعمة عند الله ". هذه التحية تنطوى على أن مريم ممتلئة نعمة، قبل أن يحل فيها الكلمة المسيح . إذن هى صارت أماً للمسيح لأنها استحقت ذلك ، وليس صيرورتها أماً للمسيح هو الذى أعطاها الكرامة، كل مجدها من داخل، تقواها وفضيلتها وطهارتها وقداسة سيرتها، هو مجدها، وهو الذى أهلها لهذا الشرف ولهذه الكرامة .

ولذلك في سفر الأمثال اصحاح ٣١ يقول: " بنات كثيرات نلن فضلا أما أنت ففقت عليهن جميعاً " . العذراء تفوقت فى تقواها وطهارتها وحياتها، منذ طفولتها وهى مقدسة نقية طاهرة وهى ممتلئة نعمة وهذا هو الذى أَهلّها لهذا الدور. هى عليقة رخوة، إنسانة رقيقة ، ضعيفة ولكن الذى جعلها تأخذ هذا الدور هو المحتوى الباطنى، " كل مجد إبنة الملك من داخل " .. .

انظروا العذراء وهى تُرضِع المسيح وهو الساقى كل الخليقة من نعمته ، عندما يجلس المسيح على ركبتيها وهو الجالس على مركبة الكاروبيم ، فتصير العذراء له مركبة .

تصوروا ملك السموات والأرض جالس على ركبتى العذراء ، تأملوا بفكركـــم وجدانياً وعاطفياً، أية كرامة نالتها العذراء مريم ، أنها أخذت هذا الشرف وأخذت هذه الكرامة .

وأيضا الآلام التى ذاقتها مع المسيح وتألمت معه ومن أجله ، هى التى أعطتها هذه الكرامة ، لكن لو لم تكن مريم عميقة فى روحانيتها كيف كانت تتحمل هذه الكرامة ؟ وهذه التحيات من الملاك وأيضا من أليصابات بالروح القدس ؟ ولم تنتفخ أو تتكبر بل أخذت تبارك الله وتقول تبارك نفسى الرب لأنه نظر إلى تواضع أمته .

ثم يذكر الكتاب المقدس عندما كان المسيح طفل سنه ١٢ سنة ، يقول " وكان خاضعاً لها " ، رب السماء والأرض جعل نفسه خاضعاً لمريم!! أى كرامة لمريم ، المسيح يقال عنه وكان خاضعاً لها ، وطبعا كان يلبى نداءها، وكان يستجيب لطلباتها .

ودليل على ذلك أيضا فى عرس قانا الجليل، ويبدو أن هذا العرس لأقرباء مريم ، والمسيح دُعى إلى هذا العرس وتلاميذه أيضا، كان المسيح فى هذا الوقت بعد الثلاثين، وعندما كان أهل العرس فى مأزق، بعد نفاذ الخمر التى كانت جزء من تحية الضيوف فى ذلك الوقت. وقالت العذراء للمسيح " ليس لهم خمر"، ورغم أن المسيح أجابها بقوله " ما شأنى وشأنك يامرأة " وهنا كلمة امرأة بمعنى ياسيدتى ، امرأة باللغة الأرامية

باللهجة الفلسطينية كلمة لها احترامها تقابل كلمة ياسيدتى ، فليست كلمة جفاء إنما هى كلمة احترام، فهى امرأة ولها شرفها أن تكون امرأه ، ماشأنى وماشأنك فى هذا الأمر، لم تأت ساعتى بعد .. ومع ذلك إكراماً لمريم عمل المعجزة بتحويل الماء إلى خمر ، هذا شرف كبير أن أول معجزة صنعها المسيح جهارية إكراماً لمريم. شرف مريم أن أول معجزة عملت كانت بناء على طلبها . وهذا معنى أنه كان خاضعاً لها ، بمعنى أن الذى كانت تطلبه مريم كان ينفذه ، ولذلك نحن نلجأ إلى مريم لأن مركزها يعطيها أن تكون خير شفيعة ، لذلك قبل أن نقول بشفاعة سبعة رؤساء الملائكة ، نبدأ بشفاعة والدة الإله مريم أولا ، لأن شفاعتها فوق رؤساء الملائكة ، الملكة أم الملك ، فالكاروبيم والسيرافيم ليسوا فى كرامة مريم ، هى فوق هذا كله ، وللعذراء نقـــول " إيريسفيا " وهى كلمة يونانية معناها " دالة " ، وهى أكبر من كلمة " افشى" ومعناهــا " بصلوات " التى تقال للرسل " وإيريسفيا " معناها أيضا باليونانية " السفارة " ، وتقال عن السفير والسفير دائما يمثل رئيس بلده ، وكرامته هى كرامة رئيس دولته التى ينتسب إليها .. فالكنيسة اختارت " هيتين نى إيريسفيا " بالنسبة للعذراء لأن العذراء سفيرة مزدوجة ، سفيرة السماء إلى الأرض، وسفيرة الأرض للسماء . سفيرتنا نحن لذلك نقول " ليس لنا دالة ولا حجة ولامعذرة من أجل ... فنحن بك نتوسل" ، أكبر دالة هى العذراء، هى منا ولكن هى فخر جنسنا، هى السفيرة عنا، عندما نطلب شىء نتشفع بالعذراء فتتقدم به إلى المسيح .

وأيضا كرامتها ظهرت فى معجزة تحويل الحديد إلى سائل وإنقاذ متياس الرسول ، كأن الكنيسة تريد أن تبين لنا قوة وفاعليات صلوات العذراء ودالتها ، فمن الغباوة والحماقة والغرور والكبرياء أن الإنسان يظن فى نفسه أنه غير محتاج لصلوات العذراء وغيرمحتاج لدالتها ، كسب كبير لنا أن نستشفع بالعذراء مريم، حتى إذا كان الطلب غير مقبول ، لكن كرامة أم النور ودالتها تجعل الطلب مقبول ، " ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك لأن كثيرة هى شفاعاتك ، قوية ومقبولة عند مخلصنا " ..

لذلك نحن من وقت لآخر نحيِّى العذراء ونقول لها " السلام لك أيتها الممتلئة نعمة، اذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا " ، " نعظمك ياأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم " . وهذه التسبحة التى نقولها " نعظمك " بقرار من مجمع أفسس الأول وهو المجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١ والذى وضع صياغته البابا كيرلس الأول عمود

الإيمان وهو ما نسميه مقدمة قانون الإيمان ، " نعظمك يأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا " .

وأيضا كرامة مريم فى أن المسيح نفسه هو الذى نزل وتسلم روحها ، لايوجد أحد آخر نال هذه الكرامة، وعندما نزل نزل معه الكاروبيم وهم حملة العرش ، والسارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة ، تصوروا المنظر وقت نياحة العذراء ، المسيح بجلالـــه والكاروبيم والسارافيم والملائكة ورؤساء الملائكة وعذارى جبل الزيتون والآبـــــاء الرسل، كل هؤلاء انظروا هذا المنظر كم هو عظيم ومفرح وكريم ويبين كرامة مريم، أن المسيح بذاته ينزل لكى يتسلم روحها ويسلمها لرئيس الملائكة ميخائيل . فصعد بها رئيس الملائكة ميخائيل إلى الفردوس .

ومن كرامة القديسة مريم أيضا أن مفلوج بركة صيدا عندما حاول الإمساك بالتابوت الذى يحمل جسدها ، انفصلت يداه من جسمه، وأصبحت معلقتين فى التابوت، فصرخ من الألم، " ارحمونى اغفروا لى سامحونى "، أنا هو المفلوج الذى شفاه المسيح وأنذرنى لا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك أشر وها قد عدت إلى الخطيئة، فالآباء الرسل تقدموا واستشفعوا بالعذراء مريم فعادت يداه إلى جسمه، فتمكن الآباء الرسل أنهم يدفنوها فى الجثسمانية. هذه القصة قالها البابا كيرلس الأول عمود الإيمان الـــ ٢٤ من البطاركة، نقلا عن يوحنا الرسول نفسه لأنه وجدها فى مخطوط فى كنيسة القيامة ..

أيضا كرامة العذراء مريم ، تظهر فى أثناء عملية الدفن فيسمع الآباء الرسل تحيات ، وهتاف ، وترتيل ملائكة ، لمدة ثلاثة أيام حتى اختفت أصوات الملائكة .

أما الكرامة العظمى أن المسيح رأى أن جسدها لايبقى على الأرض، إنما يُرفع إلى فوق، فحُمل على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة حتى لايكون هذا الجسد الــــذى استحق أن يكون سماءاً ثانية، وسكن فيه الرب جسدياً أن يكون فى الأرض . فرأى تكريماً لها أنه يرفعه إلى السماء .

كل هذا الكلام لنبين قدر كرامة العذراء فى حياتها، وتكريم المسيح لها، والشرف الذى نالته، وحتى فى مماتها نزل المسيح بنفسه لكى يتسلم روحها، وأيضا كرامة هذا الجسد لم يشأ المسيح أن يبقى على الأرض، وإنما رفعه بعد موتها إلى السماء على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة .

هى الآن فى هذا المركز العالى بإعتبارها الملكة أم السمائيين، هذه كرامتها وعظمتها ، حقا أنها احتملت ولكن هذا الإحتمال وهذه الآلام التى ذاقتها رفعت مكانتها لأن كل سيأخذ أجرته حسب تعبه .

فالعذراء إذن لها أجر ، وأجر كبير جداً جداً لأنها أكثر واحدة تعبت، وهذا يجعلنا نتعلم ونفهم أن هذه الآلام إذا كانت من أجل المسيح فإن لها أجرها، وعلى قدر هذه الآلام يكون الإكليل، وتتحول هذه الآلام إلى لآلىء .

لقد نالت العذراء كرامة ومجداً لا من حيث أن الله رمز إليها فقط، ولا من حيث أن أنبياءه القديسين تنبأوا عنها فحسب.. ولكن أيضا من أن المسيح نفسه تولى تكريمها وتعظيمها .

(١) ولعل أعظم إكرام لها يظهر من حلوله فى أحشائها الطاهرة وتشريفها بهذا المقام السامى الذى لم تحرزه سيدة أو عذراء فى إسرائيل أو غير إسرائيل، وأى مقام أسمى من أن تصبح أماً للإله وسماءً ثانية .. وعرشاً سماوياً لحلول اللاهوت، وأن تكون الملكة عن يمين الملك .

(٢) وإذا كان السيد قد طوب تلاميذه لأنهم رأوه وسمعوه بقوله : " أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تنظر ، ولآذانكم لأنها تسمع .. الحق أقول لكم : إن كثيرين من الأنبياء والصديقين، اشتهوا أن ينظروا ما تنظرون ، ولم ينظروا ، وأن يسمعوا ماتسمعون ولم يسمعوا"[١]. فكم وكم تكون كرامة الأم التى أرضعته من ألبانها، وحملته على ذراعيها، وربته فى طفولته وتعهدته فى شبابه وارتحلت معه فى رحلاته وعاشت آلامه .

(٣) ولقد أظهر السيد كرامة أمه وبلغ إحترامه لها إذ قال عنه الإنجيلى بعد أن عثرت عليه أمه ويوسف البار فى الهيكل فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم.. " ثم نزل معهما، وجاء إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما " [٢] ، أجل أنه شرف لا يعظمه شرف أن تستحق العذراء أن يخضع لها رب السموات والأرض .

(٤) ولقد أظهر السيد هذا الإكرام أيضاً فى قبوله شفاعتها بصنع معجزة قانا الجليل.. لقد كان أهل العرس أقرباء للعذراء ولذلك كانت أم يسوع هناك[٣] ودعى المسيح أيضاً وتلاميذه، ثم جاءته العذراء وقالت له " ليس عندهم خمر" أما هو فقال لها " مالى ولك يامرأة .. لم تأت ساعتى بعد ". وقد قصد بقوله مالى ولك، ما الذى يهمنى ويهمك فى شأن الخمر..وكلمة امرأة تقابل بالعربية كلمة " ياسيدة " فهى كلمة تدل على الإجلال والإحترام لا على الجفاء والإزدراء، وأما قوله لم تأت ساعتى بعد. أى لم يأت

---

(١) (مت١٣: ١٧) .   (٢) (لو٢: ٥١) .
(٣) (يو٢: ١) .

الوقت الذى أظهر فيه قوتى، ومع ذلك فلم يرد السيد طلبة أمه خائبة، بل صنع المعجزة إكراماً لسؤالها، وقد فهمت هى نفسها ما تنطوى عليه عبارته من رغبة فى صنع المعجزة، ولابد أنها رأت من نبرات صوته إستعداده لإجابة طلبها حتى أوصت الخدام قائلة: " ما يقوله لك افعلوه" (١) وهذا يدل قطعاً على أنها فهمت من نبرات صوته ومن نظراته أنه قد استجاب لطلبها.. ويقول القديس يوحنا الذهبىٍ الفم أن فادينا صنع المعجزة إكراماً لسؤال أمه وإجابة لضراعتها وشفاعتها، ومما يُشرف العذراء أن تكون أول معجزة يصنعها المسيح له المجد إستجابة لسؤالها وشفاعتها .

(٥) ولم ينس المسيح واجبه من نحو أمه حتى وهو معلق على الصليب يعانى صنوف الآلام المبرحة.. فكلمها بلهجة الحب والحنان، بل وبنعمةٍ العزاء والرعاية.. قال الإنجيلى: " فلما رأى يسوع أمه، والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً، قال لأمه يامرأة هوذا إبنك، ثم قال للتلميذ هذه أمك " (٢). ويجب أن نلاحظ هذا كما لاحظنا فى الفقرة السابقة أن الكلمة الأرامية التى ترجمت بالعربية " امرأة " كلمة تحمل معنى الإحترام والرعاية، وهى بعينها نفس الكلمة التى خاطب بها الإمبراطور الرومانى الملكة كليوباترا .

ولست أفهم كيف يقولون أن السيد خاطب والدته بجفاء وقسوة وهو الذى أوصى قائلاً: " أكرم أباك وأمك " (٣) فكيف لواضع الشريعة أن يكسر الشريعة، ألا يعتبر هذا إتهاماً شنيعاً للمسيح أن ينسى تعب أمه معه، ألم يقل الكتاب: " أن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه " (٤) .

(٦) وقد ظهر كذلك إكرام المسيح لوالدته فى حضوره بنفسه ومعه الملائكة القديسون ليأخذوا روحها الطاهرة ، وفى تأديبه لذلك الرجل اليهودى المتحمس والمندفع بالكراهية الذى مد يده إلى تابوتها ليمنع دفنها بإنفصال يديه من جسمه .

(٧) وأخيراً ظهرت هذه الكرامة فى رفع جسدها إلى السماء حتى لا يكون عرضة للفساد، ومرعى للدود والحشرات، ولازال تكريم السيد لأمه يبدو فى قبول شفاعتها عنا لأنه قال : " إنى أكرم الذين يكرموننى " (٥) .

---

(١) (يو ٢ :٥) .　　(٢) (يو ١٩: ٢٦، ٢٧) .

(٣) (خر٢٠: ١٢) .　　(٤) (عب٦: ١٠) .

(٥) (١. صم٢: ٣٠) .

٤- العذراء مريم المطوّبة كل حين ولكل الأجيال[1]

بسم الله القوى الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين .

يروى الإنجيل فى (لوقا١١: ٢٧-٣٦) أنه فيما كان ربنا يسوع المسيح رب البيت يعظ ويتكلم، وكان حديثه مشبعاً للجماهير، ومع الأسف لم يروى الإنجيل كل ما قاله المسيح فى هذه المناسبة، لأن الإنجيل لم يستطع أن يروى كل أحاديث سيدنا له المجد، أو كما قال القديس يوحنا الرسول " وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب، لأنها إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة، وإنما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم الحياة الأبدية باسمه " (يو٢٠: ٣٠، ٣١) ، (٢١: ٢٥) .

يروى الإنجيل أن إمرأة لم تطق أن تصمت وقد بُهرت من تعاليمه، فصرخت ورفعت صوتها وقالت " طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذان أرضعاك " . والمعنى أن الطوبى هنا تلحق العذراء مريم ، فهى التى حملته فى أحشائها تسعة أشهر، وهى التى أرضعته من لبنها وهو الساقى كل الخليقة من نعمته، وليست هذه هى المرة الوحيدة التى طُوبت بها العذراء مريم ، فالملاك طوبها أولاً فقال لها " لاتخافى يامريم لأنك وجدت نعمة عند الله "، وطوبتها أليصابات مع أنها إمرأة عجوز يزيد عمرها عن عمر مريم سبع مرات، لأنها كانت فوق التسعين من عمرها وكانت مريم فى الثالثة عشر من عمرها على أكثر تقدير، إنما نطقت بالروح القدس وقالت : " من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىِّ ، طوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبـــــل الرب " . ولسان حالها يقول أنا امرأة رئيس الكهنة وأنا فى هذا السن المتقدمة، ومع أن قصتى مسبوق إليها بسارة وإبراهيم، شككت في الأمر وقلت كيف يكون هذا !! وخبأت أمر الحمل ستة أشهر، لأنى لم أعتقد أن أحداً يصدق أن امرأة فى مثل سنى تلد ، أما أنت يامريم وأنت فريدة، لأنه لم يحدث فى التاريخ أن فتاة بكر عذراء لم يسبق لها زواج أنها تحبل وتلد ، ومع ذلك آمنت يامريم . فطوبى لك لأنك آمنت أن يتم ما قيل لك من قبل الرب ، وكلمة " طوبى " كلمة سريانية معناها " بالسعادة " .

---

(١) عظة أُلقيت بكنيسة العذراء الجديدة بالدير المحرق – فى صباح الأحد ٢٠ من يناير ١٩٩١م – ١٢ من طوبة ١٧٠٧ ش .

وفعلا لو لم تكن مريم مشحونة بالنعمة كما قال الملاك لها، السلام لك أيتها الممتلئة نعمة، وهذا يدل على المستوى العالى للروحانية الصادقة التى كانت عليها مريم قبل أن تحمل المسيح . بل هذا هو الذى رشحها، هذه النعمة، هذا الامتلاء، هذه الفضيلة ، هذا العمق الروحانى هو الذى رشح مريم بأن تختار من بين جميع النساء لهذه الكرامة ولهذا الشرف .

ولذلك قالت لها أليصابات: "مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك ، لأنه منذ أن سمعت صوت سلامك انتفض الجنين متهللا بفرح "، عجباً ، عجباً كيف ينتفض الجنين فى ستة أشهر ، الأم أحيانا تحس بحركة الجنين فى بطنها ، مجرد حركة ، إنما تعبير أليصابات انتفض ، ماهو الانتفاض ، معناها ، رعدة أخذت هذا الجنين فى بطن أمه ، انتفض الجنين متهللاً ، كيف أدركت أليصابات والجنين فى بطنها أنه متهلل؟ ، مامعنى أنه تهلل ، كيف استطاعت أليصابات أن تعبر هذا التعبير ، لم يحدث أبـدا أن جنين ينتفض ويتهلل ، لو لم تكن أليصابات نطقت بالروح القدس كما يقول الإنجيل ، لما كان يمكنها أبدا أن تعبر هذا التعبير، ومع ذلك مريم لم تنتفخ ، لوكانت بنت فى هذا السن وتسمع هذا الكلام ماذا كان يحدث لها من الفرح ، أليصابات وهى امرأة رئيس الكهنة وهى سبعة أضعاف سنها تحييها هذه التحية، ومع ذلك ماذا كان موقف مريم، قالت " تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى تواضع أمته " تواضع هنا ليس مدح لنفسها بأنها متواضعة، ولكن تواضع هنا بمعنى وضاعتى ، نظر إلى وضاعتى ، أو إلى حقارتى، نظر إلى تواضع أمته أى أنا حقيرة ، كيف نظر الرب إلىِّ ، أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتواضعين .

لو لم تكن مريم روحانية عالية لما كان من السهل أبدا أنها تجيب هذه الإجابة دون أن تطير وتقفز فرحاً ودون أن تتهلل ، لو كانت ضحلة فى الحياة الروحية كما هو أحوال كثيرين ، كان قلبها يرتفع وكانت تعتز وتتغطرس وتتكبر وتعلو، وتشعر أنـها عالية وأنها نالت شرفاً لم ينله أحد من قبل ، لكن لا .. لو لم تكن مريم فى روحانية صادقة ومشحونة بالنعمة كما قال لها الملاك، لما كان تصرف مريم بعد كل هذا تصرفاً متواضعاً، " تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى، هوذا منذ الآن جميـع الأجيال تطوبنى" نعم كل الأجيال تطوبك يامريم ، كانت هذه نبوءة نطقت بها بالروح القدس ، الملاك طوبك ، أليصابات طوبتك ، ولكن كل الأجيال يامريم تطوبك، أكثير علينا فى شهر كيهك أننا نمجد سر التجسد الإلهى ونعظم مريم، أكثير على مريم أن نمجدها، نعظمك يأم النور الحقيقى ونمجدك أيتها القديسة الممتلئة مجداً ، العذراء

كل حين والدة الإله أم المسيح، أكثير على مريم أن تنال هذا المجد، ربما بعض الناس ينتقدون كنيستنا فى أنها تمجد العذراء مريم، ظناً منهم أنها بهذا تسحب المجد من الله، حاشا .. حاشا .. حاشا .

عندما سكبت مريم أخت لعازر الطيب على رأس المخلّص، واستاء يهوذا وقال لماذا هذا الإتلاف ، كان يمكن أن يباع هذا الطيب بأكثر من ثلثمائة دينار ويعطى للفقراء، وانضم إليه فى هذا النقد سائر التلاميذ لأنه إعتراض مقبول ومعقول ، ولو أن القديس يوحنا الرسول يقول عن زميله " قال هذا لا لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنــه كان سارقاً وكان الصندوق معه وكان يسرق ما فيه ". اسمعوا ماذا كان موقف سيده ، إزاء هذا النقد من تلميذه ومن سائر التلاميذ " لاتزعجوا المرأة أنها عملت بى عملاً عظيماً أنها كفنتني، **إنى أقول لكم حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يُخبَّر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها"**، وفعلا هذه الواقعة ذكرها إنجيل متى فى الأصحاح السادس والعشرين، وذكرها إنجيل مرقس فى الأصحاح ١٤، وذكرها أيضا إنجيل يوحنا فى الأصحاح الثانى عشر .

إذن هو أمر من المسيح حيثما يكرز فى كل العالم، يخبر بما فعلته هذه المرأة إحياءاً لذكرها .

هذا الفصل يتلى فى عشية عيد ميلاد العذراء وهو أول بشنس ، وفى كل أعياد العذراء مريم لماذا؟ كأن الكنيسة تلّوح إلى مريم العذراء التى اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها إلى الأبد. هذا جوابنا على الذين يزعمون أن تمجيدنا لمريم يتعارض مع تمجيدنا لإلهنا ، حاشا ، هو أمر من المسيح أن نكرم العذراء مريم وأن نمجدها، لأنه إذا كان أشاد بمريم أخت لعازر التى سكبت الطيب على رأسه، وقال حيثما يكرز بالإنجيل فى كل الخليقة يخبر بما فعلته مريم إحياءاً لذكرها. فبالأولى مريم العذراء التى لم تسكب طيباً، وإنما سكبت حياتها، ماذا أخذت مريم من العالم ، ماهو نصيبك يامريم ؟ نصيبك المسيح. أنت الفتاة اليتيمة الفتاة المسكينة، لم يكن لك شىء يامريم إنما يكفيك فخراً أن الذى فى حجرك الملائكة تسبحه ، نلت كرامة يامريم أكثر من الكاروبيم ، نلت مجداً يامريم من المسيح الذى له المجد ، كيف حملتيه فى بطنك وهو الحامل كل الخليقة ، كيف أرضعتيه من لبنك يامريم ، وهو الذى يشبع كل الخليقة من نعمته . كيف جلس على ركبتيك وهو الجالس فوق الكاروبيم، كيف لا نمجد مريم، كيف لا نشعر أن هناك أمراً بأن نمجد العذراء مريم وأن نطوبها ، ولهذا السبب فى مجمع القديسين نقول " هذا هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك ،

تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك، وبالأكثر القديسة العذراء الممتلئة مجداً مريم .." هذا هو أمر ابنك الوحيد، إذن لا يوجد تعارض لأنه هو الذى أمر كيف نغبطك يامريم ، هذا أقل القليل أن نمجدك، إن من يمجدك يامريم يمجد بالأحرى الذى حملتيه، لأنك أنت التى تشرفت بهذه الكرامة ، لايمكن أن الله يجعل واحدة تحمل هذه الكرامة ما لم تكن مستحقة لها . ولذلك عندما جاء يبشرها الملاك قال لها " سلام لك أيتها الممتلئة نعمة "، فكانت ممتلئة نعمة قبل الحمل ، وهذا هو الذى شرفها والذى به استحقت أن تحمل المسيح فى أحشائها وتصبح مريم سماءً ثانية.

ولذلك المرأة رفعت صوتها من بين الجمع وقالت " طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذان أرضعاك " هذه الطوبى واحدة من تلك التطويبات عبر العصور التى تغبط بها مريم العذراء، فماذا قال سيدنا إجابة على سؤال المرأة ؟ قال: " وأيضا طوبى للذين يسمعون كلام الله ويعملون به " . وهذا ليس نفيا للطوبى عن مريم، لا .. بل هى إضافة، لاتظنى يا أيتها المرأة ولا تظنوا أيها الناس أن كرامة مريم فقط لأنها حبلت ولأنها ولدت ولأنها أرضعت ، لا .. قبل هذا ، لأنها سمعت ، سمعت كلمة الله وعملت بها ، إذن كرامة مريم والطوبى لها ليس فقط لأنها حملت ولأنها أرضعت إنما لأنها سمعت كلام الله وعملت به .

إذن كلام المسيح هنا يعد إضافة وتصحيحاً للمرأة، من أن تظن أن الطوبى لمريم فقط لأنها حملت، وإنما أيضا لأنها قديسة، بل هذا هو الذى رشحها ، هذه القداسة هى التى رشحتها، وهى التى أهلتها ليختارها الله من بين جميع النساء لتحمل هذه الرسالة . وفى نفس الوقت هذا الكلام يسمعه الذين سمعوه، ويعلموا أيضا أن هناك طوبى تنتظر جميع الذين يسمعون كلام الله ويحفظونه .

أيها الناس ، أيها المؤمنون ، ياأبناء الكنيسة ، ياأبناء الإيمان ، هناك طوبى أيضا تنتظركم ، تنتظر كل واحد منا ، السعادة الدائمة إذا سمعنا نحن كلمة الله وعملنا بها . إذن لاتحزنوا أيها الناس ، لاتحزنوا لأنه أعطى الطوبى لمريم، كأنها وحدها التى لها السعادة والطوبى، إنما أيضا سيدنا يقول إن الطوبى ستكون لكل إنسان يسمع كلمة الله ويعمل بها . هذا يفتح أمامنا الرجاء أن تشملنا هذه الطوبى، نحن وكل المؤمنين فى كل الأجيال إلى المجيء الثانى، لأن سيدنا، أبونا جميعا أبو الخليقة كلها ، كلنا أولاده وكلنا خليقته ، أعطانا هذه الروح وهى القبس الإلهى، هذه الجوهرة التى على صورة الله ومثاله ، كل روح فينا مخلوقة من الله وهى قبس الألوهة فى الإنسان ، أيها الإنسان لاتفشل إذا لم يكن لك كرامة، مريم الواحدة الوحيدة التى استحقت أن تحمل بالمسيح ،

إنما أنت أيها الإنسان ياخليقة الله، روحك على صورة الله، .. فما عليك إلا السمع والطاعة، اسمع كلامى أى أطع كلامى. فسيدنا يقول كما جاء فى الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا " تأتى ساعة وهى الآن حاضرة، حين الأموات يسمعون صوت ابن الله والسامعون يحيون ". تأتى ساعة ولايقصد ساعة من الزمن..لا.. ساعة الآن ، الآن وقت مقبول، تأتى ساعة وهى الآن حاضرة حين يسمع الأموات صوت ابن الله ، ماذا يقصد بالأموات ؟ هنا الأموات أموات الخطيئة ، ليسوا الأموات هم الذين خرجت أرواحهم من أجسادهم، لأنه بعد ذلك ببضعة أعداد يقول: " تأتى ساعة يسمع فيها جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة " ، هذه التى اسمها القيامة العامة أو القيامة الثانية، القيامة التى تقوم فيها أجسادنا، فى اليوم الأخير قبيل الدينونة، وهى قيامة جبرية ولم يقل فيها " طوبى "، أما القيامة الأولى فهى التى قال عنها سفر الرؤيا " طوبى لمن له نصيب فى القيامة الأولى "، لأن القيامة الأولى هى القيامة من موت الخطيئة، هل الخطيئة تسبب الموت؟ نعم وكل قتلاها أقوياء. والمسيح فى مرة قال لشخص" اتبعنى"، فأجاب " اسمح لـــى أولاً أن أذهب وأدفن أبى ، قال له دع الموتى يدفنون موتاهم " دع الموتى بالـــــروح يدفنون الموتى بالجسد. أى هناك موتى بالروح ؟ هم الرازحين تحت ثقل الخطيئة ، فعندما يقول: " تأتى ساعة وهى الآن حاضرة حين الأموات يسمعون صوت ابن الله والسامعون يحيون " هنا يشير إلى موت الخطيئة والذين يسمعون صوت ابن الله هنا بمعنى يطيعون ، هؤلاء يحيون ، السامعون يحيون أى ينتقلون إلى الحياة ، لأن الحياة فى المسيح ، حياة الفضيلة ، حياة الإيمان، حياة التقوى، حياة القداسة ، هذه هى الحياة الحقيقية ، إنما كم من الناس أحياء فى نظر الناس أو فى نظر أنفسهم وهم أموات . إنما الحياة الحقيقية هى نصرة الروح على الشهوات والنزوات، الحياة الحقيقية هى القيامة، أن يكون الإنسان قائما أمام الله، يقول: " من هو قائم فلينظر لئلا يسقط " .

من هنا نتعلم أن هذا الفصل يدعونا من جهة أننا نفهم أننا نحن مدعوون لأن نقوم وأن ننهض النهضة الصحيحة، وأن نترك خطايانا وأن نطلّق آثامنا، وأن نترسم الطهارة، طهارة الروح والنفس والذهن والجسد واليد، لأن هذه هى التى تؤهلنا لملكوت السموات ، الله قدوس ، ولايمكن للزناة، أو للسارقين أو للخاطفين أو للقتلة أو للظالمين أن يرثوا ملكوت الله . كيف يسمح الله أن يدخل أولاد الخطيئة ملكوته وهو القدوس ، بدون القداسة لن يرى أحد الرب، ؟ كيف نطمع أن يدخل إنسان ملوث بالخطيئة ملكوت

السموات ؟ . كيف يدخل إلى حيث القدوس ، " نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة " .

أعاننا الله جميعا حتى نطلب الخلاص، ولاسيما فى هذه الأيام التى فيها تظهر العلامات على إقتراب سيدنا فى المجىء الثانى، حينما يأتى سيدنا ماذا يكون موقفى ؟ حينما يعلن رئيس الملائكة ميخائيل قدوم سيده، وينزل سيدنا على الأرض، وينتصب كرسيه للقضاء فى الموضع الذى ارتفع فيه صليبه وتجتمع أمامه جميـــــع الشعوب . يوم الحشر، يوم النشور لأن كل شىء سيكون منشور ، لا تستطيع يا إنسان أن تخبىء شيئا، لا تستطيع أن تخدع نفسك ، كل باطنك سينشر وأمام الجميع ، وهذا لوحده نوع من الجزاء والدينونة، فالأبرار أعمال الصلاح التى عملوها تنشر وتعرف ، فيكون فى هذا مجد لهم، والأشرار أيضا تفضح خطاياهم ، كل كلمة باطلة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساب يوم الدين ، أنت تنسى لكن الله لا ينسى. المـــــادة لا تخفى ، لا يوجد شىء يخبىء ، كل شىء سيكون مكشوف .

إذن فى هذا اليوم ماذا أنا صانع وماذا يكون تقرير حياتى أمام سيدى ؟ كل واحد فينا ياأولادنا حتى قبل أن يأتى يوم الدينونة ، كلنا أتينا فى رحلة من السماء ، أرواحنا ليست من الأب والأم ، أرواحنا آتية من السماء فى رحلة ، وبعد ذلك نعود ، ترجع الروح إلى الله الذى أعطاها ، وحينما أعود أنا الإنسان، أحمل معى تقريراً عن حياتى وعن رحلتى على الأرض وسأوضع على الميزان ، كلنا سنوضع على الميزان ، فى سفر الأمثال يقول : " الله وازن الأرواح " هل الأرواح توزن ؟ نعم ، يارب أنت وازن الأرواح ، قد يخدع الإنسان نفسه ، " القلب أخدع من كل شىء وهو نجيس" قد يخدع الآخرين، إنما على الميزان سيوضع كل إنسان وتظهر حقيقته، إذن نحن بالموت نعود لخالقنا ، هل أنت مع الحق، أم أنك توزن بالموازين فتوجد ناقصاً ، وبعد ذلك ما هو مصيرك فى يد سيدك؟ خالق الأكوان، يا أولادنا هى دعوة، دعوة الآن ولاسيما فى هذه الأيام، التى يلزم أن نكون فيها مستعدين للأحداث المقبلة، وأيضا للمجىء الثانى، وأيضا يكون كل منا مستعداً فى ساعة الموت، لأنك لاتعلم متى تأتى ساعتك .

نقف جميعا فى أثناء القداس، نخشع بقلوبنا ، نجدد عهودنا مع الله ، نعلن توبتنا بندامة وإنسحاق، بقلب متضع، حقيقة نطلب الخلاص لأنفسنا، ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد .

٥- تكريم المؤمنين للعذراء

إن توقير المؤمنين لسر التجسد الإلهى، ومحبتهم العظيمة لمخلّصهم الذى إفتداهم بدمه الزكى تدفعانهم أن يمجدوا أمه العذراء ويكّرموها وذلك :

أولا : بتطويبها :

يطوبها المؤمنون ويغبطونها على الإمتيازات الرفيعة التى حصلت عليها بإنتقائها دون غيرها من العذارى لتكون أماً للإله .. وهم فى هذا يقتدون :

أ- **بالملاك أو رئيس الملائكة جبرائيل:** الذى إبتدرها بالتحية والتطويب قائلا: سلام يا ممتلئة نعمة ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء(١)، وبملاحظة حديثه مع زكريا وهو رئيس كهنة، ومقارنته بحديثه مع السيدة العذراء، يتضح لنا أن الملاك لم يحمل إلى زكريا تحية أو سلاماً أو تطويباً بل ابتدره بالقول لا تخف يازكريا ، بل لم يحدث فى كل العهود القديمة أن ملاكاً يحيى إنساناً بأى نوع من التحية ، أما مريم فحياها بتحية غريبة، ولذلك "اضطربت من كلامه" وفكرت ماعسى أن يكون هذا السلام(٢) فأجابها : " لاتخافى يامريم فإنك وجدت نعمة عند الله "(٣) .

تعجبت العذراء مريم من تحية الملاك لأنها منذ الطفولة المبكرة وهى بين الترنيم والتسبيح والقراءة وسماع كلمة الله، على الرغم مما سمعت وتعلمت فإنها لم تسمع من قبل عن تحية تأتيها من السماء علي لسان رئيس الملائكة، كما لم تسمع من قبل تحية من هذا النوع حييً بها الملاك رجلاً كان أو امرأة فى كل الكتاب المقدس . لعل بعض الأنبياء رأى ملاك أو أعلن له الملاك بشيء لكن أن يسمع من الملاك تحية كهذه لم يحدث .

ب- **بأليصابات** : هذه التى لما سمعت سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها وامتلأت من روح القدس، وصاحت بصوت عظيم وهى المرأة العجوز التى تبلغ من العمر ٧ أمثال عمر مريم .. وقالت: " مباركة أنت فى النساء، ومباركة ثمرة بطنك .. من أين لى هذا، أن تأتى أم ربى إلىّ. فإنه منذ صار صوت سلامك فى أذنىّ، ارتكض

---

(١) (لو١: ٢٨) . (٢) (لو١: ٢٩) . (٣) (لو١: ٣٠) .

الجنين بإبتهاج فى بطنى .. فطوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب" [١] .

يوحنا ابن الستة شهور وهو جنين انتفض بإبتهاج، قد تشعر المرأة بحركة الجنين ولكن كيف شعرت أليصابات بهذا الإبتهاج؟، أليصابات وهى زوجة رئيس كهنة مركزه الإجتماعي والدينى كبير ، وهى امرأة عجوز فوق التسعين من عمرها تقول " من أين لى هذا الشرف أن تأتى أم ربى إلىَّ .. طوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب " وهى تعلم داخل نفسها أنها وزوجها زكريا لم يصدقا بشارة الملاك لهما بولادة يوحنا رغم أنهما زوجان، وذلك لكبر سنهما رغم أن هناك سوابق لما سيحدث لهما مثل إبراهيم وساره. أما أن عذراء تصدق وتؤمن ببشارة الملاك لها بالحمل والولاده، رغم أنها عذراء ولم يسبق لعذراء بذلك من قبل فلذلك هى تستحق التطويب .

ج – **إتماما لنبوءة العذراء :** التى صاحت بمجد الله على الفور وتقول: " تعظم نفسى الرب، وتبتهج روحى بالله مخلصى، لأنه نظر إلى إتضاع أمته، فها منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى" [٢] .

د– **ولقد تمت هذه النبوءة مبدئيا :** حين رفعت إمرأة صوتها من الجمع وقالت " طوبى للبطن الذى حملك، وللثديين اللذين أرضعاك " [٣] أما المسيح فلما سمع هذا التطويب أراد أن يضيف تطويباً جديداً قد نالته العذراء وهو قوله : " مهلا طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " [٤] وفى النسخة الفرنسية يقول : mais Plus " بل الأحرى طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه " ومراد المسيح : بل أيضاً من حيث أنها سمعت كلام الله وحفظته.. فلا داعى أن تتحسر تلك المرأة لأنها ليست أماً للمسيح، فيمكنها أن تحرز الطوبى هى وأمثالها من الرجال والنساء إذا سمعوا كلام الله وحفظوه.

هـ – **وعلى ذلك فنحن نطوب العذراء ونهديها السلام مع الملاك ونقول :** فى صلاة باكر: السلام لك .. نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً، العذراء دائمة البتولية، والدة الإله، أم المسيح ، اصعدى صلواتنا إلى إبنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا . السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى ، المسيح إلهنا ، العذراء القديسة، اسألى الرب عنا ليصنع

---

(١) (لو١: ٤١–٤٥) . (٢) (لو١: ٤٦–٤٨) . (٣) (لو١١: ٢٧) .

(٤) (لو١١: ٢٨) – وهذا هو بعينه ما أراده السيد أيضاً بقوله: إن كل من يصنع إرادة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى . مت١٢: ٥٠ .

رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا.. السلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقية ، السلام لفخر جنسنا، ولدت لنا عمانوئيل، نسألك أذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا (راجع كتاب الأجبية – الصلوات السبع) .

و- **وكذلك نمجدها ونطوبها ونعظمها حينما نتلو مقدمة قانون الإيمان** التى وضعها مجمع أفسس الأول (المجمع المسكونى الثالث سنة ٤٣١م) وهى: " نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم "..

ز- وأخيراً ، وليس آخراً.. **لقد كرست الكنيسة شهراً كاملاً من شهور السنة القبطية وهو شهر كيهك** الذى تم فى نهايته أو على الأدق فى ٢٩ منه ميلاد السيد المسيح، كرسته للتأمل فى سر التجسد، ولتمجيد العذراء وتطويبها وإظهار فضلها، وعظم مقامها لأن منها جاء خلاص العالم ..

ناهيك عن تمجيدها وتطويبها فى ألحان الكنيسة .. وترانيمها.. وطقوس صلواتها، وبالأخص فى خدمة القداس الإلهى ، **فكلما ذكر اسمها الطوباوى، هتف المؤمنون** بالسلام، والتطويب، والتعظيم، ونحن فى كل هذا لانفعل أكثر من إتمام نبوءتها القائلة : " فها منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى " (١) .

ثانيا : بالإحتفال بأعيادها :

(١) فى الكنيسة أربعة عشر عيداً سيدياً، سبعة كبرى، وسبعة صغرى، ويليها فى الأهمية أعياد خصصتها للإحتفال بالسيدة العذراء تخليداً لذكرها وإشادة بفضلها، وإن كان الرب قد أوصى خيراً بتلك التى سكبت الطيب على رأسه فقال: "الحق أقول لكم : أنه حيثما يكرز بهذا الإنجيل، فى العالم كله، يُخَبَّر أيضا بما فعلته هذه تذكاراً لها"(٢) .

فبالأحرى يجب أن نخبر بمجد والدة الإله التى لم تسكب طيبها فقط بل سكبت كل حياتها ،أوقفتها خدمة لإبنها وإلهها يسوع المسيح .

ويلاحظ تأييداً لهذا أن فصل الإنجيل الذى وردت فيه هذه الحادثة، هو الذى يتلى فى عشية الأحد الأول من شهر كيهك، وهو الشهر الذى قلنا أنه خصص للتأمل فى سر التجسد، ولتطويب العذراء الطاهرة .

----

(١) (لو١: ٤٨) . (٢) (مر١٤: ٩) .

(٢) ثم لقد رتبت الكنيسة سبعة أعياد للعذراء، أضيف إليها أخيراً عيد ثامن وهو عيد ظهورها فى كنيسة الزيتون وهى :

الأول : عيد البشارة بميلادها ، ويقع فى ٧ مسرى .

الثانى : عيد ميلادها ويقع فى أول بشنس .

الثالث : عيد دخولها طفلة إلى الهيكل ويقع فى ٣ كيهك .

الرابع : عيد دخولها مصر حاملة السيد المسيح على ذراعيها ويقع فى ٢٤ بشنس.

الخامس: عيد نياحتها ويقع فى ٢١ طوبة .

السادس: عيد صعود جسدها الطاهر إلى السماء ويقع فى ١٦ مسرى .

السابع : عيد العذراء حالة الحديد وتخليصها القديس متياس الرسول من السجن بصلواتها، وبناء أول كنيسة على اسمها فى مدينة فيلبى .. ويقع فى ٢١ بؤونة .

ويلاحظ أن يوم ٢١ بؤونة أصبح طقسياً اليوم الذى يحسن أن يبدأ فيه ببناء الكنيسة التى يراد بناؤها .

الثامن : عيد ظهورها فى الكنيسة المدشنة باسمها فى ضاحية الزيتون بالقاهرة ويقع فى ٢٤ برمهات .

ومن المهم جداً أن نعرف أن الفصول التى تقرأ فى جميع أعياد العذراء ماعدا عيد البشارة بها، وعيد دخولها إلى مصر مع إبنها الحبيب ، هى فصول واحدة .. وكأنها مناسبة لأعياد العذراء جميعها، وهى تشير إلى فضيلتها وطهارتها .

فإنجيل عشية مأخوذ من لو ١٠: ٣٨ – ٤٢ .

وأهم ماورد فيه مما ينطبق على والدة الإله قول المسيح له المجد : " ولكن الحاجة إلى واحد، فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها " (١).

وفصل البولس مأخوذ من رسالة القديس بولس إلى العبرانيين ص٩: ١– ١٢ وفيه يتحدث عن الرموز التى كانت تشير إلى العذراء في العهد القديم والتى أشرنا إليها سابقاً، وأهم ماورد فى هذا الأصحاح مما ينطبق تماماً على العذراء قوله: " لأنه نصب المسكن الأول ، الذى يقال له القدس، الذى كان فيه ، المنارة، والمائدة، وخبز التقدمة.. ووراء الحجاب الثانى، المسكن الذى يقال : قدس الأقداس، فيه مبخرة من ذهب، وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب، الذى فيه قسط من ذهب فيه المن، وعصا

---

(١) (لو ١٠: ٤٢) .

هرون التى أفرخت، ولوحا العهد " [1] .

وكذلك فصل الكاثوليكون وهو من رسالة القديس يوحنا ص١: ١-١٣ يشير إلى العذراء من طرق خفى معبراً عنها بكيرية المختارة ، وتريد الكنيسة بتلاوة هذا الفصل فى أعياد العذراء للإشارة إلي أن الله قد إختارها لتكون أماً له ، وكما اعتبرت العذراء والدة الإله، كذلك اعتبرت أماً للمؤمنين ، واعتبر المؤمنون أولاداً لها ، فما أحـــرى المؤمنين أن يتأملوا قول الإنجيلى : " الشيخ إلى كيرية المختارة وإلى أولادها " [2] .

وبالمثل يشير فصل الأبركسيس أيضاً إلى العذراء ويتحدث عنها كشريكة للرسل فى المواظبة على الصلاة بنفس واحدة : هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء، **ومع مريم أم يسوع** ، ومع إخوته " [3] .

أما الإنجيل فهو من لوقا ١: ٣٩-٥٦ وهو يحتوى على التحية الجميلة التى حيت بها أليصابات مريم العذراء، وفيها من التطويب مايليق بمقامها السامى، ومن ذلك قولها وهى ممتلئة بروح القدس : مباركة أنت فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك، فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ، فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنىّ ارتكض الجنين بإبتهاج فى بطنى ، فطوبى للتى آمنت أن يتم ماقيل لها من قبل الرب " وفى هذا الفصل كذلك تسبحة العذراء ونبوءتها عن نفسها: " فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى " .

أما فصول القراءة فى عيد البشارة للقديس يواقيم بميلاد العذراء، فهى أيضاً تشير إلى مجد العذراء وسمو منزلتها، ووفرة فضيلتها: فإنجيل عشية مأخوذ من مر١٤: ٣-٩ وهو فصل المرأة التى سكبت الطيب على رأس المخلص. وأهم قول فى هذا الفصل مما يشير إلى العذراء الحق أقول لكم : " أنه حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى العالم كله ، يُخَبَّر أيضا بما عملته هذه تذكاراً لها " [4] .

وكذلك إنجيل باكر من مر١٢: ٤١-٤٤ ويقصد بقراءته فى يوم عيد بشارة العذراء، الإشارة إلى قربان العذراء لله، حيث بذلت كل نفسها خدمة لله . وأهم عبارة قول المسيح " الحق أقول لكم : إن هذه الأرملة المسكينة، قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة ، لأن الجميع ألقوا مما فضل عنهم ، أما هذه فمن أعوازها ألقت كـــل

---

(١) (عب٩: ٢-٤) . (٢) (٢. يو : ١) .

(٣) (أع١: ١-١٤) . (٤) (مر١٤: ٩)

ما عندها ، كل معيشتها " (١)

كما أن البولس يتحدث عن قداسة والديها فيقول: " وإن كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين . وإن كان الأصل مقدساً فكذلك الأغصان " (٢) .

ويتحدث الكاثوليكون عن التجارب ومقابلتها بالفرح، ووجوب إحتمالها، وأجر الذين يصبرون فيقول : طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة " (٣) .

وقصد الكنيسة من ترتيب هذا الفصل الإشارة إلى يواقيم وحنّة أبوى العذراء وكيف أنهما كانا مجربين بعدم الإنسال ولكنهما إحتملا التجربة صابرين فنالا جزاء إحتمالهما خيراً من الرب .

والابركسيس يتحدث عن هذه التجربة، ويشير إلى نوعها فى صدد الكلام عن إبراهيم، ثم وعد الله له بالإنجاب وهذا يشبه وعد الله ليواقيم فى يوم البشارة، إذ بشره الملاك جبرائيل بميلاد العذراء : والآية التى تشير إلى جميع هذا هى : ولكن وعد أن يعطيها له ... ولم يكن له بعد ولد " (٤) .

وأما فصل الإنجيل فهو من لو ١: ١-٢٥ والحديث فيه عن بشارة الملاك لزكريا بميلاد يوحنا المعمدان .. والغرض من تلاوة هذا الفصل فى عيد بشارة العذراء، هو التشابه بين البشارة بيوحنا والبشارة بالعذراء، فأبوا يوحنا كانا مجربين بعدم الإنسال كما كان أبوا العذراء، وكما اشتهى أبوا يوحنا إبنا وسألوه من الله بإلحاح، كذلك فعل أبوا العذراء، وكما كان أبوا يوحنا بارين، كذلك كان أبوا العذراء.. كذلك ظهر الملاك لزكريا كما ظهر الملاك ليواقيم .. والملاك فى الحالتين كان جبرائيل (خادم سر التجسد) .. وكان يوحنا الموعود به عظيماً، بل لم يقم من بين المولودين من بين النساء من هو أعظم منه، كذلك كانت العذراء عظيمة وخير نساء العالمين .. وكما تسمى يوحنا من الملاك قبل أن يحبل به فى البطن، كذلك تسمت العذراء من الملاك قبل الحبل بها..فقد قال: يدعى اسمها مريم، ومريم بالعبرانية معناه " سيدة " وقد كانت هذه التسبحة نبوءة عن مقامها السامى، وأنها سيدة السمائيين والأرضيين لأنها استحقت أن تكون والدة للاله .

---

(١) (مر ١٢: ٤١-٤٤) . (٢) (رو ١١: ١٦) . (٣) (يع١٢:١) .
(٤) (أع٧: ١) .

وللكنيسة المقدسة حكمة فى الإحتفال بهذه الأعياد المقدسة: فالغرض منها إكرام العذراء وتطويبها وتخليد ذكرها " ذكر الصديق للبركة" .. على أن هناك غرضاً آخر فى غاية الأهمية، وهو إتخاذها مثلاً عالياً للفضيلة وهذا هو السبب فى تلاوة تاريخ حياتها على المؤمنين.. فنحن إذ نمجد العذراء، إنما نمجد الفضيلة نفسها ثم لكى نتأمل فى أعمالها الصالحة ونسعى إلى التمثل بها ، لكى نرضى الرب الإله .. وهذا ما يأمر به الرسول : انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم (١) .

وما قلناه عن أعياد العذراء والغرض من الإحتفال بها، ينسحب على جميع أعياد الملائكة والقديسين ، التى تحتفل بها الكنيسة الرسولية .

ثالثا : بإطلاق اسمها على الكنائس :

درجت الكنيسة منذ نشأتها على إكرام العذراء والقديسين ، ولذلك فهى تبنى الكنائس على أسمائهم، وبالأخص والدة الإله مريم، وقد تقدم بك القول أن أول كنيسة بنيت فى العالم كانت على اسم العذراء والدة الإله وذلك فى ٢١ بؤونة، ولذلك اتخذت الكنيسة هذا اليوم عيداً مقدساً، وفيه تأمر ببناء الكنائس التى يزمع إنشاؤها إكراماً وتخليداً لهذا اليوم، ولا نستطيع أن نحصى عدد الكنائس التى بنيت على اسم العذراء مريم، غير أننا نعرف أن معظم الكنائس فى العصر الرسولى كانت تبنى متخذة اسم العذراء اسماً لها .

واسم العذراء إن أُطلق على الكنيسة، فليس معنى هذا أن العذراء تُعبد فى هذه الكنيسة، وإلا فتكون كل كنيسة مسماه باسم قديس أو ملاك يعبد فيها هذا القديس أو الملاك، مع أننا لانجد فرقاً بين طقوس الصلوات التى تباشر فى جميع كنائسنا القبطية، وإنما السبب فى ذلك كما قلنا هو الإكرام وتخليد الذكرى .

لقد أُطلق على هيكل العهد القديم أنه هيكل سليمان ، وسميت الشريعة بأنها شريعة موسى، ونقول عن الإنجيل أنه إنجيل متى أو مرقس..الخ ومع ذلك فنحن لانفهم من هيكل سليمانٍ ، أن سليمان يعبد فى هذا الهيكل، بل لأنه هو الذى إبتناه فلذلك سمى باسمه تخليداً لذكراه وإشادة بعمله الصالح، ولا نفهم من شريعة موسى، أن موسى هو الذى أمر بالوصايا والشريعة، بل الله وحده هو صاحب الشريعة، وإنما سميت الشريعة باسم موسى تخليداً لاسم موسى، وإشارة بفضله وتقديراً لجهوده وتعبه فى تسلـــــــم

---

(١) (عب١٣: ٧) .

الشريعة بالصوم والصلاة. وكذلك لا نفهم من إنجيل متى أن هذا الإنجيل إنجيل إنسان، بل نفهم أنه إنجيل الله ولكن تقديراً لجهود متى وتخليداً لذكراه دعوناه إنجيل متى.

هذا هو المطلوب حينما يقال أن هذه الكنيسة على اسم العذراء.. فلا يفهم من هذه العبارة أن العذراء تعبد فى هذه الكنيسة .. كلا .. وحاشا فالمعبود هو الإله ، وما اسم العذراء إلا تكريماً لها وتخليداً لذكرها .

وهذا أيضا مايجب أن نفهمه حينما يقال عن أحد الأصوام أنه صوم العذراء.. فهذا الصوم ليس للعذراء بل على اسم العذراء لأنه ينتهى بعيد صعود جسدها الطاهر إلى السماء .

وما قلناه عن إطلاق اسم العذراء على الكنائس نقوله بالمثل عن إطلاق أسماء سائر القديسين والملائكة على الكنائس، بل ويقال أيضا بالنسبة لصوم الرسل وأعياد الرسل والقديسين والملائكة .

رابعا : بوضع صورتها أو رسمها فى الكنيسة :

إما أن نرسم العذراء بمفردها (كما فى ساعة بشارة الملاك لها بالحبل الإلهى) وإما أن ترسم ومعها المسيح، حاملة له ، أو واضعة إياه فى المذود ..الخ . والمقصود من وجود رسم العذراء فى الكنيسة، هو تذكير المؤمنين بطهارتها وفضيلتها حتى يتمثلوا بها، ثم لأنها أم الملك فيجب أن تكرم فى بيت الملك .

توضع أمام صورتها أو إيقونتها القناديل أو الشموع، كما توضع كذلك أمام صور القديسين، إشارة إلى أنهم كانوا نوراً للعالم، أو لأنهم كانوا كالشمع فى أنهم احترقوا ليضيئوا على الآخرين، ثم إشارة إلى أنهم سيكافئون فى الدينونة بالتمتع بالنور السمائى، وأورشليم النورانية .

خامسا : بطلب شفاعتها :

حقا إن الله أحب العالم كله ولذلك بذل إبنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية(١) . بيد أن هذه المحبة محبة عامة، تصور إهتمام الله بخليقته التى جبلتها يداه .

---

(١) (يو٣: ١٦) .

ولكن فى داخل دائرة المحبة العامة التى أحب بها العالم، هناك محبة خاصة يحب بها الله أبناءه البررة الأتقياء والقديسين . وهذه المحبة الخاصة ليست صادرة عن محاباة، بل هى نتيجة الرغبة الصالحة فى قلوب القديسين نحو إرضائه تعالى .. ومن هنا فإن الله يظهر حبه الخاص لإبراهيم فى قوله: " هل أُخفى عن إبراهيم ما أنـا فاعله" [1] ثم تأمل قوله تعالى لموسى النبى: " قد عرفتك باسمك ، ووجدت أيضاً نعمة فى عينى " [2] .

وإذا كان الله يحب القديسين محبة خاصة، ولهم عنده منزلة خاصة، فطبيعي أن تكون طلبتهم مقبولة أمام جلاله... وهذا ما قاله الوحى: " طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها " [3] ولذلك كثيراً ما قبل الرب ضراعة قديسيه فى شعبه فرحمهم بسبب صلوات أصفيائه .. تأمله يشفى أبيمالك بصلوات إبراهيم، وأنصت إليه وهو يجيب شفاعة إبراهيم من أجل سدوم وعمورة، كيف يقبل العروض التى يعرضها عليه إبراهيم بالصفح عن المدينة إن وجد فيها خمسون أو أربعون أو ثلاثون أو عشرون أو عشرة أبرار .. بل واسمع ماذا يقول الرب: " لا أفعل من أجل الأربعين" [4] مما يدل على أن الرب يصفح عن المدينة من أجل أربعين باراً فيها.. وكما قبل الرب شفاعة إبراهيم، فقد قبل مراراً وتكراراً شفاعة موسى نبيه فى شعبه إسرائيل، وكم من مرة يتوعد الرب بنى إسرائيل بالهلاك والفناء لولا موسى عبده، الذى يأخذ فى الضراعة والشفاعة حتى يندم الرب عن الشر الذى أزمع أن يصنعه بشعبه .. اسمعه يُصلّى بعد أن أطلعه الرب على ما نوى أن يصنعه بالشعب حينما قال : " فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعباً عظيماً " .. اسمعه يصلى بحرارة ويقول : " ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك "، ثم يذكره بالقديسين الذين يحبهم فيقول : " اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك " وبعد هذا يقول الكتاب: " فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه " [5] .

وقد صرح السيد الرب مراراً أنه يصنع الخير إلى كثيرين بسبب الأبرار، فها هو يكلم إسحق بعد موت أبيه: " لا تخف لأنى معك، وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدى" [6]..

---

(٢) (تك١٨: ١٧) . (٣) (خر٣٣: ١٣، ١٧) . (٤) (يع٥: ١٦) .
(٤) (تك١٨: ٢٩) . (٥) (خر٣٢) . (٦) (تك٢٦: ٢٤) .

وها هو يحفظ مدينة أورشليم من أجل داود " وأحامى عن هذه المدينة لأخلّصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى" [١] وأن المسيح قد قبل شفاعة رؤساء اليهود فى قائد المائة، بل وأعجب كل الإعجاب بإيمان قائد المائة، وقال "لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا " [٢] فالتشفع بالآخرين لا يدل على ضعف إيمان بل على إيمان عظيم، كما يدل أيضاً على تواضع جميل إذ يحسب الإنسان نفسه غير مستحق للجواب من أجل نفسه بل من أجل القديسين .

وليست الشفاعة مقبولة ومشروعة فحسب بل لقد أمر الله البعض أن يطلبوا شفاعة القديسين فيهم ، فها هو يأمر أبيمالك قائلاً: " فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا"[٣]. وأمر أصدقاء أيوب أن يذهبوا إلى أيوب " واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدى أيوب يُصلّى من أجلكم لأنى أرفع وجهه، لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم "[٤] ولذلك هتف سليمان يُصلّى قائلا: " من أجل داود عبدك، لاترد وجه مسيحك " [٥] .

وإذن فالقديسون الذين يحبهم الرب محبة خاصة نظراً لأمانتهم، يسمع الله لصلواتهم وطلباتهم وشفاعتهم فى غيرهم .. وإذا كان ذلك كذلك، وإذا كانت العذراء الطاهرة قد نالت رفعة ومقاماً عالياً بأن أصبحت أما للإله، لاسيما وأنه لم يؤهلها لهذا المركز السامى إلا بالنسبة لتقواها وتواضعها وفضيلتها.. فيترتب على ذلك أن للعذراء دالة عظمى أمام الرب، ولذلك يستغيث المؤمنون بضراعتها وشفاعتها، لينالوا بذلك مغفرة خطاياهم وسؤال قلوبهم، وقد رأينا سابقاً كيف أن المسيح قَبِلَ شفاعتها فحول الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل[٦] .

لهذا يهتف المؤمنون فى القداس الإلهى " بشفاعة والدة الإله القديسة مريم، يارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا " .

والحق أننا لن نستطيع أن نثبت هنا جميع الصلوات التى يرد فى ختامها شفاعة والدة الإله مريم فهى أكثر من أن تُحصى ، والأضمن أن نقول أنه لا يخلو اسم مريم وشفاعتها من طقوس صلواتنا .

---

(١) (٢. مل١٩: ٣٤) . (٢) (لو٧: ٩) . (٣) (تك٢٠: ٧) .
(٤) (أى٤٢: ٨) . (٥) (مز١٣١: ١٠) . (٦) (يو٢: ١-١١) .

والكنيسة الرسولية الأرثوذكسية لا تعتقد بأن للعذراء شفاعة فقط .. بل وتوجه السؤال إلى العذراء أن تشفع فينا لدى إبنها الحبيب .. من ذلك قولنا فى سلام العـذراء " السلام لك نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً .. العذراء كل حين والدة الإله ، أم المسيح ، اصعدى صلواتنا إلى إبنك الحبيب ليغفر علينا خطايانا . السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى، المسيح إلهنا ، العذراء القديسة اسألى الرب عنا ليصنع رحمة مع نفوسنا، ويغفر لنا خطايانا ، السلام لك أيتها العذراء الملكة الحقيقية ، السلام لفخر جنسنا، ولدت لنا عمانوئيل، نسألك أذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا " .

على أننا إذا كنا أحيانا نسأل العذراء أمراً ما ، فيجب ألا يفهم من هذا أن العذراء تستطيع من ذاتها أن تعطينا سؤلنا، بل هى تستطيع ذلك بشفاعتها وصلواتها، وبالدالة التى لها عند إبنها الحبيب.. مثال ذلك ما يرد فى بعض الصلوات.. هيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء، فإليك أتضرع ، وبك أستشفع وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى ، وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء اهزمى، ولأبواب الجحيم اغلقى.. الخ وتقديم كل هذه الطلبات : أن اصنعى كل هذا بشفاعتك وبسؤالاتك إلى الرب عنا، وبالدالة التى لك عنده .

هذا من شأنه أن يقودنا إلى ملاحظة أمر آخر ذى بال : وهو أن الكنيسة وإن كانت تستشفع بجميع الملائكة وجميع القديسين منذ آدم إلى آخر الدهور، لكنها تخص شفاعة العذراء بوجه خاص، ذلك لأنها تعتقد أنها شفاعة ممتازة وتفوق شفاعات جميع القديسين نظراً إلى أنها أم المخلّص وهى الملكة الجالسة عن يمين الملك .. ولعل خير دليل على إعتقاد الكنيسة فى سمو شفاعة العذراء عن شفاعات سائر الأنبياء والرسل والقديسين، ماورد فى بعض الصلوات، من ذلك مايختتم به الكاهن تحليل صلاة نصف الليل إذ يقول :

" ارحمنا ياالله كعظيم رحمتك، بشفاعة ذات الشفاعات ، معدن الطهر والجود والبركات، سيدتنا كلنا ، وفخر جنسنا ، العذراء البتول الزكية مرتمريم " .

والدليل الثانى على إعتقاد الكنيسة فى سمو شفاعة العذراء حتى عن شفاعة رؤساء الملائكة، أنها حين تتلو اللحن المعروف " بالهيتينيات " وهو الخاص بالإستشفاع بالقديسين ، أنها تستشفع بالعذراء قبل إستشفاعها برؤساء الملائكة، فتقول: " بشفاعة والدة الإله القديسة مريم يارب أنعم علينا بمغفرة خطايانا" قبل أن نقول بشفاعات رؤساء الملائكة السبعة والطغمات السمائية يارب أنعم علينا بمغفرة خطايانا .

هذا ولا ننسى أن الكنيسة لكى تفرق بين شفاعة العذراء وشفاعة سائر القديسين ، استعملت بالنسبة للعذراء كلمة ⲛⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲓⲁ ومعناها "شفاعات"، بينما قد استعملت بالنسبة لسائر الرسل الشهداء والقديسين كلمة ⲛⲓⲉⲩⲭⲏ ومعناها "صلوات" ، ومع أن الشفاعة التوسلية هى والصلاة بمعنى واحد، لكن الكنيسة فى هذا اللحن قد أوجدت هذا التفريق لتدل على الفارق بين شفاعة العذراء وشفاعة القديسين .

***

ملاحظة ختامية

ها هو موقف الكنيسة الأرثوذكسية بإزاء العذراء مريم: إننا لم نرفعها إلى مقام الألوهة كما فعل الكاثوليك ، ولم ندَّعِ كمثل ما ادعوا، دون دليل كتابى أو برهان من التقليد، أن العذراء حبل بها بلا دنس ، إذ أن هذه البدعة فوق أنها تعليم حديث يرجع إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، فإنها لا تعتمد على نص كتابى، بل على العكس ، هى بدعة ترفضها نصوص الكتاب المقدس التى تجعل لسان البشر جميعاً ينطقون بالقول : " بالآثام حبل بى ، وفى الخطيئة اشتهتنى أمى " كما أن هذا التعليم يجعل العذراء معصومة من الخطأ كالمسيح، ويجعلها فى غير حاجة إلى دم المسيح، مع أنها تقول صريحاً " تبتهج روحى بالله مخلصى" (١) إن الكنيسة المقدسة ترفض هذا التعليم الغريب وتؤمن أن العذراء حبل بها بدنس الخطية كما حبل ويحبل بغيرها من البشر، وكل الفارق إن العذراء قبيل حلول الأقنوم الثانى فى أحشائها، حل الروح القدس عليها فطهر أحشائها ونقى دمها حتى يكون المسيح وحده هو القدوس بلا شر .

وكما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهة والعصمة كذلك ضل البروتستانت ضلالاً شنيعاً حين احتقروها وجهلوا وتجاهلوا نعمة الله عليها وفيها، لكن الكنيسة الأرثوذكسية قد علَّمت فى العذراء تعليماً مستقيماً فلا تؤلها ولاتحتقرها بل تُكرِّمها وتطوبها .

---

(١) (لو ١: ٧) .

شفاعة السيدة العذراء[1]

١- مريم العذراء شفيعتنا:

نطالع من الأصحاح الثانى من الإنجيل المقدس للقديس يوحنا الرسول بركاته علينا آمين.

" وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك، ودعى أيضا يسوع وتلاميذه إلى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له، ليس لهم خمر، قال لها يسوع مالى ولك ياامرأة لم تأتِ ساعتى بعد ، قالت أمه للخدام ، مهما قال لكم فافعلوه، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود ، يسع كل واحد مترين أو ثلاثة، قال لهم يسوع املأوا الأجران ماء فملأوها إلى فوق، ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ فقدموا ، فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هى ، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا . دعا رئيس المتكأ العريس وقال له كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن . هذه بداءة الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه " والمجد لله دائما (يو٢: ١- ١١) .

قرأنا هذا الفصل من الإنجيل للقديس يوحنا ، الذى يظهر فيه واضحاً أن المسيح يسوع ربنا، مع أنه لم يكن فى ذلك الوقت قد اعتزم أن يصنع معجزة جهارية علانية، إلا أنه بتدخل العذراء مريم صنع المعجزة .

وهنا الإنجيل يقول فى ختام هذه الكلمات، هذه بداءة الآيات التى صنعها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه .

ليس هذا معناها أنها بداءة الآيات ، فالمسيح ظهرت آياته الكثيرة بصورة لاحصر لها . منذ البدء وما قبل البدء، وعلى الأقل منذ أن كان فى التجسد صبياً وطفلاً ، كانت آياته كثيرة وفى بلدنا هذه فى مصر، لاحصر للآيات والمعجزات التى حدثت فى بلدنا، عندما دخل المسيح له المجد أرض مصر محمولاً على أيدى العذراء مريم، وكما يقول الكتاب المقدس بحسب الصوت الذى جاء إلى يوسف، " قم خذ الصبى وأمه واذهب إلى أرض مصر" وقيل عن هذا الدخول إلى أرض مصر أنه هرب من وجه هيـــــرودس.

---

(١) محاضرة بكنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوى - مساء يوم ١٦ من أغسطس ١٩٨٧ م .

والحق أنه ليس ذلك الهرب كما يفهمه الناس عادة ، إنما المسيح لايهرب خوفا من هيرودس ، كان يمكن أن يخسف بهيرودس فى الأرض، ولكنه اتخذ من شر هيرودس تبريراً ليدخل بلدنا مصر ويبارك أرضها وشعبها . ولكى يعطينا نموذجاً ألاّ يقف الإنسان فى وجه الشر، وإنما كلما أمكنه أن يهرب من الشر يكون ذلك من الحكمة . كما يقول الحكيم فى الأمثال : " **الذكى** يبصر الشر فيهرب" **الذكى** ، هذا ذكاء وهذه حكمة، لأنه ليس من الحكمة أن يُعَّرض الإنسان نفسه للخطر، طالما أنه يمكنه أن يتجنب الخطر. كلما أمكن للإنسان أن يهرب ليس هذا ضعفاً وليس هذا خوفاً وليس هذا جبناً، وإنما هو محافظة على الحياة ، والحياة ثمينة ليس لنا أن نبددها من غير داعى، لا شك أن فى ظروف الإضطهاد وفى مناسبات الإستشهاد يمكن أن يقدم الإنسان نفسه بشجاعة، لكن ليس فى كل المواقف يكون هناك استشهاد أو شهادة للمسيح، إنما كلما أمكن يجب أن يحافظ الإنسان على حياته، لأن حياته ثمينة وعطية صالحة، فليس من الحكمة أبدا أن يعرض الإنسان نفسه للشر ، واذكروا أن سيدنا له المجد حينما قال له الشيطان " ألق بنفسك إلى أسفل فإنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك ليحفظوك فى سائر طرقك " ، قال له مكتوب ياشيطان لاتجرب الرب إلهك .

فهنا سيدنا له المجد أعطانا نموذجاً لما يجب أن يكون عليه الإنسان فى حياته، أنه طالما يمكنه أن يهرب من الشر ليس هذا جبناً، إنما محافظة على الحياة بإعتبارها ثمينة . سيدنا كان يمكنه أن يخسف بهيرودس الأرض، وكان يمكنه أن يبقى فى مكانه ولايراه هيرودس، فكم من مرة كان الناس يطلبونه ليقتلوه فكان يجتاز من بينهم وكانوا لايرونه . إن فى قدرة لاهوته هذا ، ولكنه أراد أن يتخذ من شر هيرودس تبريراً لأن يدخل بلدنا ويباركها، ويُعلّمنا أنه يمكن للإنسان أن يتحول الشر إلى خير لو أنه سلك بطريق الحكمة .

إذن ليست الشجاعة أن يُعَّرض الإنسان نفسه للخطر من غير داع ، كلما أمكن الإنسان أن يحافظ على حياته ولايعرضها رخيصة، إنما إذا كان هناك موقف يقتضى أن يقدم الإنسان حياته، هنا الحكمة تقتضى كما فى عصور الاستشهاد، كان المسيحيون بشجاعة يظهرون أمام الحاكم ويعلنون إيمانهم بالمسيح، وفى هذه الحالة يتعرضون للموت، ولكن هذا هو الموت الشريف . ليس هذا إنتحاراً وإنما هو إستشهاد ، ليس هذا إقتحاماً ، وليس هذا تهوراً ، إنما هنا الشجاعة .

فسيدنا له المجد حينما دخل بلدنا، التاريخ يروى أن هناك معجزات كثيرة حدثت، فى كل مكان كان يدخل إليه ويكون فيه وثن أو صنم ينحنى الصنم أمامه وهو من

حجر دليلاً وإظهاراً لمجد لاهوته فينكسر . ويترتب على هذا أن يخرج الوثنيون عليه وعلى أمه العذراء مريم يطردونهم من مكان إلى مكان، وهذا هو سبب تحرك العائلة المقدسة فى محطات متنوعة، وكان هذا أيضا تحويلاً للشر إلى خير، لأنه كلما طرد المسيح من مكان ينتقل إلى مكان آخر، يتبارك المكان الجديد بوجوده ويتبارك الناس فى هذه البقعة وفى تلك . فلم يكن من الخير أن يبقى المسيح فى مكان واحد ، كان يمكنه أن يبقى ولايستطيع أحد أن يعارضه أو أن يقاومه، كان يمكن بسلطان لاهوته أن يقتل وأن يبيد وأن يزيل كل ما يقف أمامه، لكنه دائما كان يقول أنا لم آت لأهلك وإنما أتيت لأخلّص، فلم يستخدم سلطان لاهوته فى أن يُدّمر وأن يقتل، وإنما استخدم سلطان لاهوته فى أن يحول الشر إلى خير . معجزات كثيرة صنعها المسيح .

فإذا كان الكتاب المقدس هنا فى الإنجيل للقديس يوحنا، يقول هذه بداءة الآيات التى صنعها يسوع أمام تلاميذه، إنما يقصد من بدء زمن الخدمة وهو سن الثلاثين، لأنه أُصطُلح على أن سن الثلاثين هو السن الذى يبدأ فيه خدمته ، فهذه بداءة الآيات .

وهنا شرف العذراء مريم ، أنه بسببها كانت هذه المعجزة الأولى فى خدمتـــــه الجهارية ، هذا شرف للعذراء مريم وبركة وإظهاراً لمكانتها، أنه على الرغم من أنه كما قال لم يأت وقتى بعد ، ولكنه إكراماً لمريم صنع المعجزة، وهى أنه حول الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل .

ويبدو أن مريم كانت لها علاقة بأهل العرس سواء كانت هذه العلاقة علاقة معرفة أو علاقة صداقة، ويروى الإنجيل أن المسيح دعى إلى هذا العرس وأن تلاميذه أيضا كانوا من المدعويين إلى هذا العرس . وكان لابد لهم بحسب تقاليد ذلك الزمان أن يشربوا الخمر للتهليل وللفرح ، ويبدو أنه لكثرة العدد فرغ الخمر فصار أهل العرس فى أزمة ، جاءت العذراء مريم وتقدمت إلى ابنها وحبيبها ، وقالت عبارة صغيـــــرة " ليس لهم خمر " لم تكن العذراء فى حياتها كما ظهر فى الإنجيل وفى تاريخها تتكلم كثيراً، وكانت عجيبة فى هذا حتى أنه فى طفولتها وفى صبوتها كانت فتاة عندما ولدت المسيح له المجد، لم تكن تتعد الثالثة عشرة من عمرها ، وكانت ترى أموراً كثيرة عجيبة ، ترى الملائكة ، وترى قصة حياتها، وقصة الميلاد، وقصة المجوس، وقصة الرعاة، وغير ذلك من القصص والأحاديث، ومع ذلك يقول عنها الإنجيل، كانت مريم تتفكر فى هذه الأمور حافظة إياها فى قلبها ، لم تكن كثيرة الكلام ، إنما كانت تحفظ هذه الأمور فى قلبها ، كانت تدخل إلى أعماق نفسها ، لا تتكلم كثيراً ، إنما تحيى حياة التأمل، وهذه ظاهرة طبيعية فى مريم، لأنها منذ أن كانت طفلة فى الهيكل، كانت ترنم

وكانت تصلى وكانت تصوم وكانت تقدم طعامها للفقراء ، عرفت عشرة الملائكة وعرفت العشرة المقدسة، ولذلك عندما جاءها الملاك قال لها "سلام لك أيتها الممتلئة نعمة" ، كانت مريم ممتلئة نعمة قبل أن تحمل المسيح فى أحشائها. وهذا هو الذى أَهلَّها وشرفها وجعلها أهلاً لأن تقوم بهذا الدور .

نرى العذراء مريم فى عرس قانا الجليل لا تتكلم كثيراً ، جاءت إلى المسيح بعبارة قصيرة، " ليس لهم خمر". لأنها كانت واثقة من قدرته، ولاشك أن مريم أكثر من غيرها لمست قدرته وعرفت من هو ، وأحست بكرامته وأحست بقدرته، وهذا يدل على أن المسيح فى طفولته ظهرت منه آيات كثيرة اعتادت مريم عليها. على سبيل المثال عندما كانوا فى مصر كانت تبحث عن الماء، فتطرق الأبواب فيطردونها فتتحمل العذراء وتهان وتطرد، ولايتدخل بل يتركها تحتمل ليحسب لها ذلك براً لأنها من أجله احتملت ، وفى مرة قرعت الباب فطردوها فلما رآها فى هذه الحالة محتاجة إلى الماء، ولا أحد يريد أن يعطيها، بإصبعه رسم دائرة على الأرض فتفجر نبع ماء ، وكان هذا هو البئر الموجود فى المطرية الآن بجوار كنيسة العذراء بالمطرية .

الحق أن تاريخ الإنسان هو تاريخ آلامه، إنما الإنسان الذى حياته سهلة مثل السفينة عندما تمر على الماء لاتترك فيها أثراً ، إنما كبار القديسين هم الذين تألموا واحتملوا وتاريخ حياتهم هو تاريخ آلامهم . من الذى كتب عنهم التاريخ طويلاً ؟ ليس الذين كانت حياتهم سهلة!! بل أبطال الإيمان وما لاقوه من متاعب ومن شدائد ومن مقاومات ومن إضطهادات ومن نفى وتشريد، هؤلاء هم الذين كُتب عنهم التاريخ طويلاً . إنما الذين كانت حياتهم سهلة ولدوا وعاشوا ثم ماتوا، ثلاثة سطور أو سطرين، الذيـــن استحقوا أن يُخلدوا على التاريخ إنما هم الذين تألموا من أجل المسيح لا من أجل خطاياهم، لأنه إذا عوقب الإنسان نتيجة خطاياه فلا فضل له فى هذا، هذا شىء طبيعى " مايزرعه الإنسان إياه يحصد "، إنما الآلام المحسوبة لحساب المسيح هى التى يحملها الإنسان من أجل المسيح ومن أجل الفضيلة ومن أجل ملكوت السموات " لأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله " .

ومرة أخرى قرعت العذراء باب فخرجت لها سيدة كبيرة فى السن، فطلبت منها خبزاً فقالت لها ياسيدتى لا يوجد لدى ولكنى سأخبز الآن خبز ، وقالت لها العذراء تسمحى لى أنى أدخل أساعدك حتى لا آكل خبز الكسل ، قالت لها تعالى ، فدخلت العذراء مريم وجلست على الماجور ، وهو وعاء من الفخار كبير، وأمسكت العذراء بقماط السيد المسيح ووضعته حول وعاء العجين، وبدأت تقطع العجين فامتلأ الدور

الأرضى والدور الثانى حتى لم تجد صاحبة البيت مكان تضع فيه الخبز، فقالت لها: يابنتى لايوجد مكان آخر أضع فيه ، فرفعت العذراء القماط فجف الماجور. هذه إحدى المعجزات التى حدثت فى حياة العائلة المقدسة فى مصر وغير مصر من عشرات المعجزات والآيات التى لايمكن إحصاءها .

لذلك كلمة هذه بداءة الآيات التى صنعها يسوع أمام تلاميذه ، لانتصور أن معجزة تحويل الماء إلى خمر أنها أول معجزة، لا ..إطلاقاً ، حاشا .. إنما أول معجزة صنعها جهاراً أمام تلاميذه ، إنما سبقتها عشرات ومئات ، كل دقيقة فى حياة المسيح وفى طفولته وفى تجسده كانت هناك أشياءً كثيرة لا حصر لها .

أقول فخر العذراء مريم أن أول معجزة جهارية بدأها المسيح فى خدمته الجهارية، كانت إكراماً لمريم وإجابة على سؤال مريم ، كانت تعلم جيدا دالتها عنده .

كلمة " مالى ولك ياإمرأة لم تأت ساعتى بعد " ، لاتتصوروا أن هذه الكلمة كانت جافة كما نتصور نحن فى مصر أو كما يظهر من اللغة العربية، فكلمة إمرأة كما جاء فى الكتاب المقدس " وهذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت " ولها معنى فـــــى الأرامية معنى الكرامة، فهى تقابل كلمة "ياسيدتى" فعندما نقول مارجرجس كلمة "مار" تعنى " السيد " فباللغة الآرامية " مرتمريم " تعنى " السيدة مريم " . إنما فى فلسطين ولبنان هذه الكلمة لها معنى راق ومعنى جميل ومعنى محترم أضعاف أضعاف ما موجود فى مصر .

سيدة لبنانية وغير مسيحية، وهى مخرجة سينمائية، جاءت تقابلنى لأن عندها فكرة أنها تعمل فيلم تسجيلى لكنائس مصر القديمة ولرحلة العائلة المقدسة، وطلبت منا المادة العلّمية، هذه السيدة اللبنانية الغير مسيحية فى أثناء الحديث قالت لى: " أنا استغرب على كلمة امرأة هنا فى مصر غير عندنا فى لبنان، فكلمة امرأة فى لبنان كلمة لها إحترامها معناها " ياسيدتى" وبالضبط كما يقولوا بالإنجليزى (MY LADY) سيدتى. يوجد بعض الناس عندما يقرأها يتصور أن المسيح تكلم معها بجفاء " مالى ولـــــك يا امرأة ". معناها ياسيدتى، إنما ليس بمعنى الجفاف، ولذلك فإن العذراء مريم أدركت من هذه العبارة ومن لهجة حديثه، ومن العلامات التى على وجهه أنه استجاب لها ، أيضا نغمة الكلمة أو الجملة، والعلامات التى على وجهه ، هُناك فرق بين واحد يتكلم وهو مبتسم وواحد آخر يقول الجملة وهو غضبان، وواحد يشير بيده إشارة فيها نوع من الرفض، وواحد آخر يقولها بطريقة أخرى فيها نوع من المداعبة اللطيفة ، ولذلك ستنا مريم فهمت من علامات وجهه ومن إشارته أنه على الرغم من هذه العبارة فإنه

استجاب لها. بدليل أنها مباشرة ذهبت للخدام وقالت لهم "مايقوله لكم افعلوه" إذن هى فهمت من إشارته ومن علامات وجهه أنه استجاب لها، إكراماً لها لم يرفض تدخلها . إنما استجاب وصنع المعجزة، وهذا هو شرف مريم، أنه من أجلها صنع المسيح أول معجزة جهارية أمام تلاميذه فآمنوا به، وهذا أحد البينات على كرامة مريم عند المسيح.

أخيرا ياأولادنا الست العذراء لمكانتها ، ولروحانيتها ، ولطهارتها ، ولنقاوة سيرتها ولبرارتها ولإحتمالها، ولحملها الصليب مع المسيح، ولخدمتها لابد طبيعيا أن تكون لها دالة عند المسيح .

المسيح قال " الذى يحب كثيرا يغفر له كثيراً والذى يحب قليلاً يغفر له قليلاً " . من الذى أحب المسيح أكثر من مريم العذراء ومن الذى خدم المسيح أكبر خدمة ، ومن الذى تعب مع المسيح ، العذراء تعبت حتى فى سمعتها ، وأهينت العذراء واتهمت حتى أن يوسف شك فيها .

وأكيد أن يوسف معذور أن يشك فيها، لكن إذا كان يوسف أقرب الناس إليها وهو رجل بار شك فيها ، ماذا يقول الناس من رجال ، ومن سيدات ، ومن كبار ، ومن صغار، حتى اليوم اليهود يشتموا عليها .

إذن لابد أن تكون للعذراء دالة ، ولذلك كلمة بشفاعة العذراء مريم . الكلمة القبطية واليونانية التى نستخدمها بالنسبة لشفاعة العذراء مريم، غير الكلمة التى نستخدمها للآباء الرسل والقديسين الآخرين. فى اليونانى وفى القبطى نقول " هيتين نى إبريسفيا " معناها دالة أو سفارة، بينما بالنسبة للآباء الرسل نقول بشفاعة، (نى افشى) وبالعربى بشفاعة أو بصلوات .

فشفاعة القديسين معناها صلواتهم ، تضاف إلى صلواتنا ، ولذلك تُقَّوى وتدعم صلواتنا .

فكرامة مريم وشفاعة مريم ليس فقط صلواتها ولكن مركزها ، الدالة التى لها ، مكانتها عند المسيح، ليس مجرد صلوات، هذا أكرم وأعظم وأقوى من كلمة الصلوات، دالة أى لها كرامة، ولها قيمة ، ولها وزن ، ولها سفارة ، هى النائبة عنا، هى سفيرتنا فى السماء ، وسفيرة من السماء على الأرض هذه كرامة مريم ، من هنا كانت شفاعة العذراء مريم أقوى من جميع القديسين، ولابد أن تكون أقوى من جميع القديسين . وفى كتب الكنيسة توصف العذراء مريم أن كرامتها فوق الكاروبيم وفوق السارافيم، هى الملكة أم الملك ، ولذلك هى الوحيدة التى فى اليوم الثالث لم يشأ المسيح أن يبقى جسدها على الأرض بل رُفع على أجنحة الملائكة ، لايوجد أحد من القديسين نال هذه

الكرامة ومن كرامتها أن المسيح له المجد نزل بنفسه وتسلّم روحها وأعطاها لرئيس الملائكة ميخائيل .

نصلى أن الله ببركاتها ودعواتها ودالتها أمام الله يحفظنا جميعا، ويباركنا بكل البركات السمائية ويشملكم جميعا برضاه ويشمل بلادنا جميعا . لإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين .

٢- صلوات العذراء وشفاعتها[١]

أيها الأخوة والأبناء بالأمس عيدت الكنيسة بعيد العذراء حالة الحديد، وهو يقع عادة فى اليوم الواحد والعشرين من شهر بؤونه المبارك، وفى تقليد الكنيسة أنه يستحب عادة منذ أقدم الأيام إحتراماً لهذا اليوم، أن تقام الكنائس وتدشن فى هذه المناسبة.

وكثيرون يسألون معنى أن العذراء حالة الحديد، وهذا التعبير مرتب على معجزة صنعتها العذراء مريم مع القديس متياس الرسول الثانى عشر، الذى حل محل يهوذا الذى هلك وطرد من زمرة الإثنا عشر. فمتياس الرسول بكرازته وتعليمه ناله إضطهاد فسجنوه وضيقوا عليه الخناق حتى يتوقف عن الكرازة بالمسيح ، وبإرادة الله تعالى حمل المسيح له المجد، أمه العذراء الطاهرة مريم على السحب ، وأتى بها إلى المدينة التى كان متياس الرسول مسجونا فيها ، وصلّت العذراء مريم صلاة كان لها من الفاعلية بحيث ذاب الحديد من فعلها، فتحولت الأبواب والسلاسل والقيود فى يد متياس الرسول إلى سائل ، وكذلك بفضل هذه الصلوات وفعاليتها سال كل حديد آخر فى المدينة ، وهذه قصة طويلة لكنها أحدثت دوياً عظيماً لا فى تلك المدينة وحدها، ولكن فى كل الأنحاء المحيطة وفى كل الأزمنة القديمة، وترتب على هذا ليس فقط أن متياس الرسول وجميع المسجونين خرجوا من سجونهم ، بل ترتب على هذا أيضا أن آمن الملك الذى كان عاصياً متمرداً على الإيمان وآمن كل أفراد المدينة، وصارت الكنيسة فى ذلك الوقت حيَّة بأعداد عديدة من الذين آمنوا بالمسيح، بفضل هذه المعجزة العظيمة التى جرت على يدّى العذراء مريم، مما يدل على أن صلواتها كانت ذات فعاليات كبيرة، هذا هو السبب فى أن العذراء تسمى بحالة الحديد .

---

(١) من عظة بكنيسة العذراء الأثرية بحارة زويلة بالقاهرة – صباح الأحد الموافق ٢٩ من يونية ١٩٨٠م – ٢٢ من بؤونة ١٦٩٦ ش .

ويتضمن هذا الكلام بيان قيمة الصلاة وفاعلياتها، خصوصا صلوات القديسين وعلى رأسهم العذراء الطاهرة مريم . كان هذا بَيِّنة على ماتستطيع الصلاة أن تعمله ، وهذا يطابق قول الكتاب المقدس: " صلوات الأبرار تقتدر كثيرا فى فعلها " ، لذلك كانت صلوات العذراء مريم صلوات لها فعالياتها ولها قيمتها غير العادية .

ولذلك فإن الكنيسة ميزت شفاعة العذراء مريم عن صلوات القديسين الآخرين بكلمة " إبريسفيا " وهى تفيد معنى " سفارة " ، معنى ذلك أن العذراء مريم سفيرة ، سفيرة السماء على الأرض بفضائلها وتقواها وقداستها، وأيضا أن لها عند المسيح مكانة ودالة ، هذه المكانة والدالة تتفرد بها العذراء متميزة بها عن سائر القديسين . وسفيرة الأرض فى السماء، لأنها شفيعتنا وفخر جنسنا، ولكن بالنيابة عنا لها المكانة والدالة كسفيرة، والسفير ممثل لدولته ، فالعذراء تعتبر سفيرة لنا نائبة عن جنسنا فى شفاعتها وسؤالاتها أمام الله بالنيابة عنا جميعا، تمثلنا كلنا كبشر وهى منا، واحدة من جنسنا، هى أمنا وفخر جنسنا، سيدتنا وملكتنا ، نحن لنا ملك هو المسيح ، ولنا ملكة ، والملكة الأم العذراء، وهى تتفرد بأنها تجمع بين كونها أم وبين كونها عذراء ، الأمر الذى تتفرد به العذراء عن أى امرأة أخرى أن تكون أما وأن تكون عذراء لأنها دائمة البتولية ، العذراء دائما ، هى العذراء كانت ومازالت وستظل دائما العذراء معرفة بالألف واللام .

لذلك فإننا فى هذه المناسبة الكريمة يجب أن نطلب شفاعة العذراء مريم وسؤالاتها لأنها نافعة لنا، واذكروا أنها عندما ظهرت فى سنة ٦٨ على قباب كنيسة الزيتون كانت راكعة تصلى، وكأنها وسيلة إيضاح عملية تبين لنا أنها تشفع فينا، ولكن معناه أيضا أن العذراء تطلب منا بوسيلة عملية أن نصنع ماتصنعه هى، وأن نشاركها وأن نؤيدها بصلواتنا نحن، حتى ينقذنا الله من شر الأيام الآتية، وحتى ترتفع حرارتنا الروحية فى مواجهة الأيام الصعبة والتى فيها سنستقبل مجىء المسيح الثانى، ولكن قبيل المجىء الثاني لابد أن ينطلق الشيطان ويحل من قيده، ويسبب للبشرية ضلالاً مخيفاً ويسبب كثيراً من الشرور، ويهيىء أيضا ظهور الدجال الذى يعطيه الشيطان كل قوته، وبقوة وآيات وعجائب كاذبة وخديعة الإثم فى الهالكين .

قسمة تقال فى صوم العذراء وفى أعيادها

١- ياالله الآب الساكن فى الأعالى والناظر من علو سماه إلى قلوب المتواضعين من عبيده ، الذى شاء أن يفتقدنا برحمته ، وأن يجىء إلينا متجسداً من الروح القدس ومن القديسة العذراء مريم .

٢- يامن وعد آبانا آدم بالخلاص، وثَبَّت وعده المقدس لجميع الآباء، بميلاده البتولى فى ملء الزمان . من بكر بتول نقية وعفيفة، فَضّلها واصطفاها على نساء العالمين، هى العذراء الدائمة البتولية، العذراء دائما وكل حين مريم ، حواء الجديدة، فخر جنسنا والسماء الثانية .

٣- يامن أحبنا وأراد من فيض حبه ورحمته، ومن دلائل عدله وبره وثبوت حكمه وقضائه، أن يفدينا من موت الخطيئة الأصلية، ويرفع عنا عقوبتها الأبدية، بأن يموت بديلاً عنا فى جسم البشرية، التى إتخذها من مريم العذراء أم الخلاص . وكما كانت حواء الأولى أصل البلاء صارت حواء الجديدة باب السماء .

٤- يا من تجسد من البكر البتول، فكان وحيد الأم كما هو وحيد الآب، وأكرم بميلاده الزمنى من العذراء دائما وكل حين، البتولية الدائمة والعفة الكاملة، وهى صورة البهاء الأولية ، التى خلق عليها الأبوين الأولين آدم وحواء، عندما كانا معا فى فردوس النعيم .

٥- يا من شرف حواء الثانية بأن سكن فى أحشائها تسعة أشهر كاملة، وكّون من دمها ، بالروح القدس الذى حل عليها، جسداً بنفس ناطقة اتحد به، فى اقنوم واحد وطبيعة واحدة بغير إفتراق أو إنفصال، وولد منها الكلمة الذى كان ولم يزل إلهاً مباركاً إلى الأبد .

٦- يا من خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة، يا من رضع من لبن العذراء، وهو الساقى كل الخليقة من نعمته، وتربى فى حضنها، ونام بين يديها، وجلس على ركبتيها، وهو الجالس على مركبة الكاروبيم ، فكانت مريم العذراء له سماءً ثانية ومركبة شاروبيمية وسجدت له الملائكة ورؤساء الملائكةِ الأطهار .

٧- يا من شرّف مصر بحضوره راكباً على السحابة السريعة والخفيفة، فارتجفت أوثان مصر من وجهه . وذاب قلب مصر داخلها، ولم تكن السحابة السريعة الخفيفة غير العذراء مريم، فى نقائها ورقتها وطهارتها كل حين .

٨- يا من شاء أن يُكّرم الأمومة فى مريم العذراء فكان خاضعاً لها ، وكان دائماً يلبى نداءها ويقبل شفاعتها . ويستجيب طلباتها .

٩- يا من أودع أمه العذراء عند تلميذه الحبيب يوحنا، وجعل لها يوحنا إبناً، وفى يوحنا وهبنا العذراء أماً لنا، وصيرنا لها بالإيمان أولاداً وبنين .

١٠- يا من لم يشأ للعذراء أم الخلاص - وقد صارت تابوتاً مقدساً سكن فيه الرب جسدياً - أن يبقى هذا الجسد على الأرض فرفعه بعد موتها إلى السماء على أيدى الملائكة ورؤساء الملائكة القديسين .

١١- يا من شرفنا وشرف جنسنا بأن اتخذ من مريم العذراء جسد، وصعد به إلى السماء فوجد فداءً أبدياً، وجلس به على العرش فصرنا فيه جالسين عن يمين الآب .

١٢- ارحمنا واغفر خطايانا . واقبل شفاعة العذراء أمك فينا ، واجعلنا مستحقين للمس جسدك المقدس ودمك الكريم ، والتناول منهما حتى نجرؤ ، بدالة البنين بغير خوف العبيد، أن نصرخ إليك أيها الآب القدوس السماوى ونقول: يا أبانا الذى فى السماوات ....

صوم وأعياد العذراء مريم

١- صوم العذراء ، نشأته ومعناه .
٢- أعياد العذراء مريم .

صوم العذراء – نشأته ومعناه وأهميته(١)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

الفصل الذى قرأناه الآن من الأصحاح الخامس من إنجيل معلمنا لوقا البشير. والواضح أن حكمة الكنيسة فى إختيار هذا الفصل بالذات، فى هذا الأحد الثانى من مسرى، الذى فيه نصوم صوم العذراء مريم ، هو إجابة المسيح له المجد على النقد الذى وجهه الكتبة والفريسيون إلى تلاميذ المسيح ، وبالتالى إلى المسيح نفسه ، لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً ويصلون ، وكذلك تلاميذ الفريسيين وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون؟

وهنا أجاب المسيح على هذا السؤال بقوله: " أيمكنكم أن تجعلوا بنى العرس يصومون مادام العريس معهم، ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس من بينهم فعندئذ يصومون فى تلك الأيام " (لو٥: ٣٣-٣٥) .

الواضح أن الكنيسة بإختيار هذا الفصل، تريد أن تقول كلاماً فيما يتصل بصوم العذراء مريم ، فنحن الآن نصوم صوم العذراء مريم فى العهد الجديد بعد صعود المسيح إلى السماء، وأنه وضع لنا قاعدة، مادام العريس معهم فلا يصومون، ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس من بينهم . والرفع هنا مقصود به الصعود إلى السماء ، يرفع العريس عنهم بالجسد وعندئذ يصومون فى تلك الأيام، وهذا ماحدث فى كل تاريخ الكنيسة إبتداءاً من عهد الآباء الرسل، لأنه بعد صعود المسيح إلى السماء، اشتدت الإضطهادات على الآباء الرسل، وسجنوهم وضربوهم وأهانوهم بكل أنواع الإهانات، وتحقق قول المسيح لهم: ستقفون أمام ولاة وملوك من أجل اسمى ويكون ذلك شهادة لهم ، وفى الأصحاح الخامس من سفر الأعمال أتوا بالآباء الرسل أمام مجمع السنهدريم وهو مجمع الكنيسة اليهودية الأعلى ، وهو أعلى سلطة فى الكنيسة اليهودية، وسألوهم عن هذا التبشير وعن هذا التعليم، وكانت هذه المساءلة تحقيقا أُجرى معهم لكى يمنعوهم عن أن يتكلموا عن المسيح ، فقال لهم سمعان بطرس ينبغى أن

---

(١) عظة بكنيسة العذراء مريم ببنها صباح الأحد ١٨ من أغسطس ١٩٨٥م – ١٢ من مسرى ١٧٠١ ش .

يطاع الله أكثر من الناس فضربوهم، ويقول سفر الأعمال: خرجوا فرحين لأنهم ضربوا من أجل يسوع المسيح (أع٥: ١٧-٤٢) .

لذلك احتاجت الكنيسة إلى الصوم بإعتباره عبادة وإستغاثة، وأيضا فى فترة الآلام والضيق الإنسان يحتاج إلى الصوم . ولذلك فى ترتيب الكنيسة لنا أصوام عامة، غير الأصوام الخاصة التى يفرضها الإنسان على نفسه، أو قد يفرضها أب الإعتراف على تلميذه .

أما الأصوام العامة فسبعة أصوام، وعدد سبعة دائما هو عدد الكمال ، الصوم الكبير ، وصوم أسبوع الآلام ، والأربعاء والجمعة، ثم صوم الميلاد، وصوم الرسل، وصوم يونان ، ثم صوم العذراء مريم . هذه هى سبعة الأصوام العامة التى رتبتها الكنيسة، لكى تكون فترة السنة القبطية فترة يختلف فيها المواسم ، فترة صوم يعقبها فطر. وبعد ذلك تأتى فترة صوم آخر، لأن الكنيسة فى ترتيبها هى كنيسة تعبدية، ونحن لا نمل من الصوم ولا نتعب ولا نحتج، لأن فترة وجودنا على الأرض فترة جهاد، ونحن نحتاج إلى الأصوام كسلاح نتسلح به ضد سهام الشرير الملتهبة نارا التى يصوبها ضد الكنيسة بعامة وضد الأفراد بخاصة

كنيستنا كنيسة تعبدية ، وفى فترة الصوم نعيش حياة نباتية، تعود بنا الكنيسة إلى ماقبل الطوفان حيث كان الإنسان نباتياً، ولم يسمح له بأكل اللحوم إلا بعد الطوفان . ولذلك نزلت أعمار الناس بعد الطوفان مباشرة فبعد أن عاش أبونا آدم ٩٣٠ سنة، نوح عاش ٩٥٠ سنة ومتوشالح عاش ٩٦٩ سنة . سام ابن نوح نزل عمره مباشرة إلى ٦٠٠ سنة، وأخذت الأعمار تنزل حتى عاش أبونا إبراهيم ١٧٥ سنة ، ويعقوب ١٤٦ سنة ، وموسى ١٢٠ سنة ويشوع ١١٠، ثم داود يقول مدة حياتنا سبعون سنة ومع الأكثر فثمانون . وأصبح هذا هو المتوسط العام لسكان البحر الأبيض المتوسط أو حوض البحر المتوسط ٧٠ أو ٨٠ أو ١٠٠ سنة. فالملاحظة بعد أن اشتهى الإنسان أن يأكل اللحوم، نزل عمر الإنسان ومستواه إلى هذه الدرجة فأصابته كثير من الأمراض، التى تأتى عادة نتيجة لأكل اللحوم ومنها تصلب الشرايين وأيضا تصلب شرايين المخ والشيخوخة العقلية والنسيان وما إلى ذلك من النتائج الطبيعية لأكل اللحوم.

كنيستنا جميلة لأنها فى فترة الأصوام العامة، وهى عند البعض تبدو كثيرة طويلة، لكنها فى الواقع تود أن تعود بنا فى فترة الصوم إلى الحياة النباتية التى عاش عليها الآباء الأولون قبل عهد الطوفان ، هناك ناس اليوم اسمهم النباتيين، يعيشوا نباتيين كل أيام الحياة، وهذه مبنية على نظرية صحية وليس على نظرية دينية . وهؤلاء من جميع

الأديان ، نظرية صحية أن الإنسان إذا عاش نباتياً يعيش بقدر الإمكان سليماً من الأمراض، وأيضا لا تهاجمة الشيخوخة العقلية المعروفة بتصلب الشرايين للمخ .

ومن هنا كانت أهمية الأصوام .

من أسس صوم العذراء ؟ :

العذراء مريم هى التى بدأت هذا الصوم، لأنها خاصة بعد صعود المسيح إلى السماء، نالها كثير من التعب والمضايقات والمنغصات من قبل اليهود ، الذين حاولوا أن يصبوا عليها غضبهم وضيقهم من المسيح، وخاصة بعد أن قام من بين الأموات، فالعذراء نالت متاعب كثيرة جداً، وهى المرأة الرقيقة التى يجب أن لا تعامل بقسوة كما عاملها اليهود ، كانت العذراء مقيمة فى بيت يوحنا حتى تنيحت ، نحو أربعة عشر سنة حسب وصية المسيح إليه عندما قال له " خذ هذه أمك " وقال للعذراء مريم " خذى هذا إبنك ". وكان يوحنا رسول يكرز ويبشر وينتقل فى كل أرض فلسطين. وكانت العذراء مريم تباشر العبادة من صلاة وصوم . وكانت تذهب إلى قبر المسيح له المجد، ومعها صويحباتها من عذارى جبل الزيتون ، لقد اتخذن العذراء مريم رائدة لهن وقائدة لهن، وتمثلن بسيرتها فكن يتبعنها، وتألفت منهن أول جمعية للعذارى، وهو نظام العذارى السابق على نظام الرهبنة بالنسبة للبنات. لأن فى العصور القديمة قبل القرن الرابع للميلاد، كان هناك نظام اسمه نظام العذارى، لمن نذرن عذراويتهن للمسيح، وكان لهم خوروس أو قسم خاص فى الكنيسة، ومذكور هذا فى كتاب الدسقولية وهو تعليم الرسل، لم يكن هناك نظام للراهبات ، إنما كان هناك صف العذارى . وعندما صار البابا ديمتريوس الكرام المعروف بطريركاً، وكان فى حياته الأولى رجل متزوج، وظل متزوج سبعة وأربعين سنة قبل أن يُدعى إلى البطريركية، غير أن زواجه كان من نوع الزواج الذى نسميه الزواج البتولى، مثل زواج آدم وحواء قبل السقوط فى الخطيئة ، وكزواج يوسف ومريم ، عندما صار ديمتريوس الكرام البابا الثانى عشر من باباوات الأسكندرية، ضم زوجته إلى خورس العذارى فى الكنيسة، أما نظام الرهبنة للبنات بدأ من القرن الرابع، فى عهد الأنبا باخوميوس المعروف بأب الشركة.

العذراء مريم هى التى أنشأت نظام العذارى، لأنها كعذراء بدأ يلتف حولها البنات العذارى بنات جبل الزيتون، وكن يتبعنها وكن يصلين معها وكن يذهبن معها إلى القبر المقدس، حيث كانت العذراء تسجد وتتعبد وتصلى وتصوم أيضا .

ولقد كانت العذراء مريم تقضى كل وقتها فى العبادة والصلاة، وكانت تمارس الصوم، مكرسة كل طاقاتها لحياة التأمل الخالص. ولم يكن لها عمل آخر غير تقديس ذاتها، وتكميل نفسها بالرياضات الروحانية العالية. بعد أن نالت مع الرسل، موهبة الروح القدس فى يوم الخمسين (أعمال الرسل ١: ١٣، ١٤)، (٢: ١-٤). والمعروف أن العذراء مريم لم تمارس عملاً من أعمال الكهنوت، كما جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل): " النساء لايعمدن. ونحن نعلمكم أن هذا الفعل خطيئة عظيمة لمن يفعله، وهو مخالف للشريعة... لأنه لو كان يجب أن يتعمد أحد من امرأة لكان السيد المسيح يتعمد من أمه " (باب ٢٠) .

وقد أحبتها نساء وبنات أخريات، منهن صويحباتها اللائى عرفنها فى حياتها، وأثناء وجود المسيح إبنها على الأرض ، منهن: مريم المجدلية ، وحنة زوجة خوزى أمين خزانة هيرودس وسوسنة وأخريات كثيرات (لوقا٨: ٢، ٣) ، (٢٣: ٤٩، ٥٥)، (٢٤: ١٠) .

ثم انضم إليهن عدد آخر من العذارى ممن عشقن حياة البتولية، والعفة الكاملة، تبعن العذراء مريم ، واتخذنها رائدة لهن فى حياة التأمل، والعبادة ، والتكريس التام بالروح والنفس والجسد. وقد تألفت منهن ، بقيادة العذراء مريم، أول جماعة من النساء المتبتلات المتعبدات ، عرفن بـــ " عذارى جبل الزيتون " ، عشن حياة الرهبنة بغير شكل الرهبنة، وكن يعتزلن أحياناً فى أماكن هادئة بعيدة عن صخب الحياة وضجيجها ، رغبة فى الإنصراف إلى الله ، فى تعبد خالص .

ولقد صارت هذه الجماعة معروفة فى الكنيسة الأولى، حتى أن المعجبات من النساء والبنات بمثل هذه الخلوات الروحية، كن يلحقن بالعذارى العفيفات ، ويمارسن صوم العذراء ، بالتقشف والنسك ، فى تلك الأماكن الهادئة . ولربما كان هو السبب فى أن صوم العذراء، تصومه الكثيرات إلى اليوم، بزهد ونسك كثير. ويمتنعن فيه عن أكل الزيت، على الرغم من أن صوم العذراء ليس من أصوام المرتبة الأولى . بل وكثير من الرجال أيضاً صاروا يصومون صوم العذراء صوما نسكياً بالإمتناع حتى عن الزيت أى يصومونه على الماء والملح، نظراً لما للمرأة من أثر فى البيت المسيحى على أولادها وزوجها .

فصوم العذراء مبدأه بالعذراء نفسها ، العذراء هى التى صامت وظل هذا الصوم مقدساً على الخصوص بين البنات ، وفى عصور الكنيسة التالية بدأت البنات تخرج من البيوت ويذهبوا إلى أماكن خلوية كالأديرة لكى يمارسوا هذا الصوم بالصلـــــــوات

وبالعبادة، . وبفترات الخلوات الروحية الجيدة التى ترفع من المستوى الروحى . ولعل لهذا السبب أن الأقباط اليوم يقدسوا هذا الصوم أكثر من أى صوم آخر . وذلك بفضل المرأة لأن المرأة عندما تهتم بهذا الصوم تقنع زوجها ثم أولادها، فيتربى الأولاد والبنات على إحترام صوم العذراء مريم، لدرجة أننا نرى أن كثير من الأقباط يصوموا صوم العذراء بالماء والملح، على الرغم من أنه يجوز فيه أكل السمك .

وأيضا عندما أراد المسيح له المجد أن يضع حداً لآلام العذراء مريم، فظهر لها وقال لها أنا أعلم ما تعانينه من الآلام، وقربت الأيام التى فيها تخرجين من هذا الجسد وتكرمين، لأن جسدك هذا يصعد أيضا إلى السماء، ونزل المسيح له المجد بذاته ليتسلم روحها بعد أن مرضت مرضا خفيفاً، وكانت قد بلغت نحو الستين من عمرها، أو على الأدق ٥٨ سنة و٨ أشهر و١٦ يوم .

وبعد أن تمكن الآباء الرسل من أن يذهبوا ويدفنوا العذراء مريم فى الجثسمانية ، وهى موجوده بجوار جبل الزيتون وبجوار بستان جثسيمانى، ظلوا يسمعون تهليل وترتيل الملائكة، فخجلوا من أن يتركوا الجثمان إلى حال سبيله فظلوا موجودين بجوار القبر ثلاثة أيام، إلى أن اختفت أصوات الملائكة فرجع الآباء الرسل فى طريقهم . وهم فى الطريق إلى أورشليم رأوا توما الرسول أنزلته سحابة على الأرض، قالوا له أين كنت، لماذا تأخرت، العذراء مريم تنيحت، فطلب توما أن يعود إلى القبر ليتبارك من جسدها، فذهب معه الآباء الرسل إلى القبر الذى دفنت فيه العذراء مريم، ولما فتحوا القبر لم يجدوا جثمان العذراء مريم، إنما خرجت رائحة بخور ذكية، فخطر على فكرهم أن اليهود رجعوا بعد أن تركوا القبر وأخذوا الجثمان ، فلما رأى توما حزنهم قال لهم اطمئنوا ياإخوتى فإن جسد العذراء مريم حُمل على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة، ولقصد حسن سمح الله أن أتأخر، أنا كنت فى بلاد الهند وحملتنى السحب لكى آتى فتأخرت ، ولكنى رأيت جسد العذراء مريم محمولاً على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة، وكان ذلك فوق جبل اخميم ، الذى بنى فوقها الدير المعروف الآن بدير العين ، وأحد الملائكة قال له تعالى وتبارك من الجسد المقدس فتقدمت وقبلت الجسد، وأعطى توما الرسول الزنار الذى كانت العذراء تربط به ملابسها ، والزنار كلمة سريانية وهى الحزام.

فالآباء الرسل سعدوا بهذا الخبر خصوصا أنه من توما ، لأن توما له موقف سابق أنه شك فى قيامة المسيح، وظهر له المسيح وقال له تعالى ياتوما وضع يدك فى أثر المسامير وضع يدك فى جنبى، ولاتكن غير مؤمن بل مؤمنا، لأنه هو نفسه كان يقول

إن لم أضع يدى مكان المسامير فلا أؤمن، ولكن الرسل طلبوا أن يروا هذا المنظر وأن يتأكدوا وأن يتوثق الاعتقاد عندهم بصعود جسد العذراء فصاموا ، وفى نهاية هذا الصوم وعدهم المسيح أن يروا بأنفسهم جسد العذراء مريم . وبر المسيح بوعده فرأى الرسل جسد العذراء مرة أخرى وكان هذا فى اليوم السادس عشر من مسرى .

كنيستنا تحتفل بظهور جسد العذراء فى ١٦ مسرى، وهو نهاية الصوم ، لكن الواقع إذا أردتم الدقة أن يوم ١٦ مسرى هو يوم ظهور الجسد مرة أخرى الذى بر فيه المسيح بوعده، فرأى الآباء الرسل صعود جسد العذراء ، إنما الصعود فى الواقع كان قبل ذلك، لأنه إذا كانت العذراء تنيحت فى ٢١ طوبة، فالمفروض أن صعود جسدها يكون فى ٢٤ طوبة أى بعد ثلاثة أيام من نياحتها، ولكن كما يقول السنكسار: هذا هو اليوم الذى فيه بر المسيح بوعده للآباء الرسل بأن يروا جسدها مرة أخرى . وصارت الكنيسة تعيد فى السادس عشرة من مسرى بصعود جسد العذراء مريم .

فهذا الصوم بدأ بحياة العذراء مريم نفسها لأنها كانت إنسانة متعبدة، عذراء طاهرة حياتها كلها عبادة وصلاة، وعرفت الصوم منذ أن كانت طفلة فى الهيكل ، فى السادسة والثامنة من عمرها كانت العذراء تصوم، وكانت تعطى طعامها للفقراء وهى فى الهيكل ، عاشت فى جو القداسة والصلاة والتسبيح، عرفت أن تصوم من طفولتها المبكرة مع الصلوات والعبادة والترنيم والترتيل . العبقرية المبكرة لطفلة فى هذا السن عرفت الصوم، وأيضا عرفت العطاء، لأنها كانت تعطى طعامها للفقراء وتظل هى صائمة . ويقول عنها التاريخ والآباء القدامى أن الملائكة كانت تشفق على مريم وهى طفلة فكانت تأتيها بطعام آخر ، وهذا شرف مريم أنها وهى طفلة عرفت أن تصلى ، وعرفت أن ترنم ، وعرفت أن تصوم، وعرفت أن تعطى عطاءا للفقراء والمحتاجين .

وبعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء أخذت تمارس الصوم، لأنها أيضا كانت محتاجة إليه من جهة تعبدية، ومن جهة أخرى للمضايقات والمتاعب التى رأتها من اليهود، فكانت تصوم متعبدة مع العذراى، وبعد ذلك الآباء الرسل أيضا قدسوا هذا الصوم، وصارت الكنيسة على هذا الخط، وصرنا نحن إلى اليوم نحتفل بهذا الصوم المقدس ونعتبره من أحسن الأصوام ومن أجمل الأصوام .

هذا الصوم لايصام صوم عادى، ولكن كثير من الناس يصوموه صوماً نسكياً، فتجد كثير من الأقباط يأكل بالماء والملح، أى لا يأكل مأكولات أخرى مطبوخة، ومن هنا ظهرت الشلولو، والشلولو كلمة قبطى، يأخذوا الملوخية على صورتها الطبيعية ويضعوا عليها الثوم والملح والبصل بلا طبخ على الصورة الأولية، وهذه قمة ما يمكن

تصوره من حالة النسك للإنسان، لأن كونه يستغنى عن الطعام المطبوخ ويقنع بالشلولو فهذا نوع من الزهد .

نجد كثيراً من إخواننا غير المسيحيين يصوموا هذا الصوم نظراً لأنه لو سيدة نذرت نذراً ، نجد أن العذراء بحنانها استجابت وقضى هذا الأمر .

نحن لا نصوم للعذراء مريم :

صوم العذراء مريم ، ومدته خمسة عشر يوما، يبتدىء فى اليوم الأول من شهر مسرى القبطى وينتهى فى السادس عشر منه، حيث تحتفل الكنيسة القبطية بعيد صعود جسد العذراء إلى السماء محمولاً على أجنحة الملائكة .

وهذا الصوم من الأصوام المستقرة فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ويسمّى أحيانا بـــ (صوم عيد السيدة) (القوانين – لجامعه الصفى ابن العسال باب ١٥) وهو أيضا معروف ومحترم فى الكنائس الأرثوذكسية الأخرى القديمة، وفى الكنائس التى تتبع الطقس البيزنطى كاليونان والروس ومن إليهم ويسمّى عندهم أحيانا بـــ (صوم شهر أغسطس) لأنه يقع عادة فى شهر أغسطس .

وصوم العذراء من الأصوام المحترمة عند الأقباط ، رجالاً ونساء وأطفـــالاً، ويصومه أكثرهم صوماً نسكياً، فينقطعون فيه عن الطعام، ولا يأكلون فيه السمك ، ولا الزيت، ولا ما يدخل الزيت فى تصنيعه أو تركيبه كالطحينة ، أو الحلاوة الطحينية أو الزيتون ولا يشربون شراب القهوة .

ويرجع السبب الأكبر فى حفظ الأكثرين لهذا الصوم إلى محبتهم للعذراء مريم، التى يسمى هذا الصوم باسمها. فهم يكرمون الصوم الذى على اسمها تكريماً لها، وتقديساً لاسمها، وإستشفاعاً بها. ففى صوم العذراء تكثر النذور باسمها، إستغاثة بها، وطلباً لصلواتها وضراعاتها أمام ابنها الحبيب، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح .

على أنه ينبغى أن نصحح هنا خطأ من يظن أن المسيحيين يصومون للعذراء مريم، فالمسيحيون مع إحترامهم العميق للعذراء مريم، وإعتبارهم لها أكثر من جميع القديسين، ومع إيمانهم بشرف مكانتها لأنها الملكة أم الملك، وأنها أسمى منزلة من الكاروبيم والسيرافيم وجميع الملائكة ورؤساء الملائكة، إلاّ أنهم يعرفون أيضا أنها إنسانة منهم، وهى شرف جنسهم البشرى، فلا يُصلّون إليها، ولايصومون لها، ولكنهم يستغيثون بها، ويطلبون معونتها، بما لها من دالة ومكانة أمام الله، فهى الشفيعة المؤتمنة أمام المسيح الرب، وشفاعاتها كثيرة ومقبولة لديه .

وكعيّنة ونموذج لإستغاثة المسيحيين بالعذراء مريم، طلباً لشفاعتها وصلواتها وعظيم دالتها وشرف مكانتها، رتبت الكنيسة المقدسة أن يتلو المصلون فى صلواتهم العامة والخاصة، الدعاء الآتى للعذراء مريم :

(السلامُ لكِ ، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً ، العذراء كل حين، والدة الإله، أم المسيح، أصعدى صلواتنا إلى فوق، إلى إبنك الحبيب ليغفر لنا خطايانا .

(السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى المسيح إلهنا، العذراء القديسة، اسألى الربَّ عنا، ليصنع رحمة مع نفوسنا، ويغفر لنا خطايانا .

(أيتها العذراء مريم، والدة الإله، القديسة، الشفيعة، الأمينة فى جنس البشر، اشفعى فينا أمام المسيح الذى ولدتيه، لكى ينعم علينا بغفران خطايانا .

(السلام لكِ أيتها العذراء الملكة الحقيقية ، الحقانية .

(السلام لفخرِ جنسنا، التى ولدت لنا عمانوئيل إلهنا، نسألك أن تذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة، أمام ربنا يسوع المسيح، ليغفر لنا خطايانا) .

كذلك يوجهون إلى العذراء مريم، تحية تسمّى فى المصطلح الكنسى بـــ (مقدمة قانون الإيمان) يقولون فى مطلعها (نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله، لأنك ولدتِ لنا مخلص العالم، أتى وخَلصَّ نفوسنا) ثم ينتقل المصلّى إلى توجيه الخطاب إلى المسيح الربّ قائلا: (المجد لك ياسيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين ، ثبات الكنائس ، غافر الخطايا ، نكرز ونبشر بالثالوث القدوس، لاهوت واحد ، نسجد له ونمجده ، يارب ارحم ، يارب ارحم، يارب بارك آمين). والمعروف أن واضع مقدمة قانون الإيمان هو القديس البابا كيرلس الأول عمود الإيمان ، بطل ورئيس مجمع أفسس المسكونى فى عام ٤٣١ للتجسد .

المسيحيون إذنٍ لايصومون للعذراء مريم وإنما صومهم كصلواتهم، هو لله، وهو عبادة لخالقهم ومخلّصهم وفاديهم . أما أن يُسمّى الصوم بصوم العذراء، فلأنه ينتهى بعيد صعود جسدها الطاهر إلى السماء على أجنحة الملائكة، وذلك بعد موتها، وخروج روحها من جسدها، وقد أسلمت الروح بيد إبنها وحبيبها يسوع المسيح ربنا، الذى نزل من السماء خصيصا لهذا الغرض ومعه الملائكة ورؤساء الملائكة. وكان ذلك أيضا بحضور الآباء الرسل الأطهار، وعذارى جبل الزيتون اللائى كن قد اتخذن العذراء مريم رائدة لهن وقدوة ونموذجاً ، وبها تأسست أول جماعة للعذارى فى تاريخ العهد الجديد .

وتذكر مصادرنا الكنسية ، أن صوم العذراء أو صوم عيد السيدة، كانت تهتم به كثيراً البنات العذارى. وعندما تأسست أديرة للراهبات ، كانت البنات يخرجن من بيوتهن إلى الأديار، ويقضين فترة الصوم كلها متعبدات مصليات ، فى خلوة روحية، يرتلن التراتيل الروحية، ويقرأن فى الكتب المقدسة والكتب الروحية، ويعشن طوال يومهن فى تعبد وتهجد وتأمل وصلاة .

البنات اللائى يتزوجن ويلدن الأولاد، يصمن هذا الصوم، صوم العذراء فى بيوتهن، بعبادة ونسك . ولما كانت الأم هى المعلّم الأول للطفل، لذلك لا غرو إذا نشأ الأطفال منذ نعومة أظفارهم على إحترام صوم العذراء وتقديسه، فللأم المسيحية الفضل فى تنشئة الأولاد والبنات على هذه الفضيلة الروحية . ومن الأولاد والبنات تتشـــأ عائلاتنا المسيحية وتتفرع وتتشعب إلـــى أسر وعائلات بالتزاوج والتكاثـــر وولادة الأولاد.

وليس بدعاً أن يسمّى هذا الصوم بصوم العذراء، فمن بين أصوامنا العامة (صوم الرسل) . وقد سمّى كذلك لأن المعروف والمستقر فى تقليدنا أن الآباء الرسل تلاميذ المسيح هم أول من صاموا هذا الصوم، فدعى باسمهم. فقد قال المسيح له المجد (ستأتى الأيام حين يؤخذ العريس منهم، فعندئذ سيصومون) (متى٩: ١٥)، (مرقس٢: ٢٠)، (لوقا٥: ٣٥)، (أعمال١٣: ٢) . كذلك سُمى هيكل الرب (بهيكل سليمان) لأن سليمان هو الذى بناه، كما سُمىّ الهيكل الثانى بهيكل (زربابل) (زكريا٤: ٩) . وعندما رمموا الهيكل الأخير فى عصر هيرودس، سُمىّ كذلك بهيكل (هيرودس) .. بل إن شريعة الله سُميت أيضا بـــ (شريعة موسى) (١. الملوك٢: ٣) ، (عزرا ٣: ٢) ، (نحميا ٨: ١)، (دانيال٩: ١١)، (ملاخى٤: ٤)، (لوقا٢: ٢٢) ، لأن موسى هو الذى تلقاها من الرب، وأبلغها إلى بنى إسرائيل .

ومن الأقباط عدد لايكتفى بأن يصوم المدة المقررة لهذا الصوم، وهى خمسة عشر يوماً، وإنما يضيف إليها أسبوعاً يسبقها أو أسبوعا يلحقها، ومنهم من يمد فترة الصوم إلى عيد رأس السنة القبطية (أول توت) فتصير مدة الصوم بالنسبة لهم ٣٥ أو ٣٦ يوماً .

وقد قال الصفىّ ابن العسال فى كتاب (القوانين) المعروف بـــ (المجموع) (ومن صام زائداً عن المفروض والمستقر شيئاً ، فله ثوابه) (الباب ١٥) .

أعياد العذراء مريم(1)

بسم الله القوى الآب والإبن والرح القدس الإله الواحد آمين .

العذراء مريم لها فى كنيستنا سبعة أعياد :

1- 7 مسرى عيد البشارة بميلادها .

2- أول بشنس عيد ميلاد العذراء مريم .

3- 3 كيهك عيد دخول العذراء مريم طفلة إلى الهيكل . في السنة الثالثة من عمرها، لأن الأب يواقيم والأم حنة كانا عقيمين، فنذرا أمام الله نذراً أنه إذا أعطاهما الله نسلاً ولداً أو بنتاً يهبان الطفل نذيراً فى الهيكل، فلما أعطى الله هذه العطية المباركة مريم، ففى الثالثة من عمرها قدمها أبوها وأمها للهيكل نذيرة .

4- العيد الرابع 24 بشنس حينما دخلت العائلة المقدسة إلى بلدنا مصر، وتباركت مصر بدخول العائلة المقدسة التى أقامت فيها ثلاث سنين ونصف، وبمدة الذهاب والإياب تصير أربع سنوات .

5- العيد الخامس عيد نياحة العذراء مريم ونحتفل به فى 21 طوبة، وهذا هو اليوم الذى فيه نزل المسيح له المجد بنفسه وتسلم روحها، وهو جالس على الكاروبيم ومعه الملائكة، وحضر هذا اليوم الآباء الرسل ومعهم عذارى جبل الزيتون .

6- العيد السادس عيد العذراء حالة الحديد ، ويقع فى 21 بؤونة ويقابل 28 يونية فى الوقت الحاضر، وفى دير المحرق يحتفل أسبوع كامل من يوم 20-28 يونية بهذا العيد، لأنه بينما كانت العذراء مريم تحت إضطهاد شديد من اليهود، وفى يوم من الأيام أرادوا أن يحرقوها حية، فاختطفت بالسحب وذهبت إلى مدينة كان القديس متياس الرسول يكرز فيها، ولكن سجنه الملك وظل مسجوناً، حتى ذهبت العذراء إلى هذه المدينة، وصلّت صلاة فكانت صلاتها ذات فاعلية، وهذه هى الصلاة التى تسمى حالة الحديد، لأنه نتيجة هذه الصلاة ذاب الحديد المربوط به متياس الرسول فى السجن وكذلك المربوط به جميع المسجونين، وكذلك الأبواب وجميع المصنوعات المعدنيـــة

---

(1) فى محاضرة ألقيت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بإمبابة – المنيرة – الجيزة – فى مساء الجمعة 12 من أغسطس 1988م – 6 مسرى 1704 ش .

والحديدية فى المدينة، فآمن ملك البلاد بالمسيح وأيضا أهل المدينة، وصار فى تقليد الكنيسة المسيحية أن فى هذا اليوم تدشن الكنائس الجديدة .

٧- العيد السابع هو عيد صعود جسد العذراء إلى السماء محمولاً على أجنحة الملائكة، وهذا هو الذى نحتفل به فى يوم ١٦ مسرى وهو نهاية صوم العذراء مريم . على الرغم من أن نياحة العذراء مريم فى ٢١ طوبة وجسدها أُصعد إلى السماء على أجنحة الملائكة فى اليوم الثالث لوفاتها، أى ٢٤ طوبه، فإن الكنيسة تحتفل بعيد صعود جسدها إلى السماء محمولاً على أجنحة الملائكة يوم ١٦ مسرى، لأن الآباء الرسل لم يروها وهى صاعدة على أجنحة الملائكة، ولكن عندما أعلمهم توما بذلك ، فصلى الرسل والتلاميذ وصاموا خمسة عشر يوماً، طالبين أن يروا صعود جسد العذراء، وبالفعل أكرمهم الله بأن يروا صعود جسدها بعد فترة هذا الصيام .

هذه هى السبعة أعياد التى نحتفل فيها بأعياد العذراء وهناك عيد آخر أضيف .

٨- فى ٢٤ برمهات عيد ظهور العذراء مريم فى الزيتون الذى وقع فى ٢ أبريل سنة ١٩٦٨م والموافق ٢٤ برمهات وأمر البابا كيرلس بأن يضاف هذا العيد إلى السنكسار، وكتب عنه فى السنكسار.

أسئلة
وإجابات عليها

أسئلة وإجابات عليها

١- الفرق بين الممتلئة نعمة والمنعم عليها [١]

سؤال : ما الفرق بين عبارتى " أيتها الممتلئة نعمة " و " أيتها المُنعم عليها " ؟ .

الجواب : يشير السائل إلى التحية التى وجهها رئيس الملائكة غبريال أو جبرائيل إلى السيدة العذراء حين بشرها بحلول الكلمة الإلهى فى أحشائها."فلما دخل إليها الملاك قال لها سلام يا ممتلئة نعمة . الرب معك مباركة أنت فى النساء، (لو١: ٢٨) وتعبير التحية كما جاء بالنص اليونانى، الذى أخذت عنه الترجمة العربية هو ⲭⲉⲣⲉ ⲕⲉⲭⲁⲣⲓⲧⲱⲙⲉⲛⲏ وقد ترجمت هذه العبارة إلى جميع اللغات القديمة والحيّة، بعبارات تدل على قدر وافر جداً من النعمة، كانت قد حصلت عليه السيدة العذراء، إلا الترجمة البيروتية العربية فهى التى إنفردت بالقول " المُنعم عليها "، وهو تعبير ضعيف عن أن ينقل بأمانة قوة المعنى الذى يدل عليه اللفظ اليونانى .

وأما اللغة القبطية، فقد نقلت المعنى فى دقة ووضوح . ولا عجب فالمترجمون من اليونانية إلى القبطية كانوا علماء باللغتين معاً. وكانت معرفتهم باليونانية والقبطية معرفة أصيلة، معرفة من أتقن اللغتين، وأجاد التعبير بهما كلاماً وكتابة . هذه الدقة التى عرفت بها اللغة القبطية فى ترجمتها للنصوص اليونانية، لا جدل فيها عند علماء لغات الكتاب المقدس. فالنص القبطى للإنجيل يُعّد عند علماء نقد النصوص الكتابية، التالى مباشرة بعد النص اليونانى، ويقولون لو فقد النص اليونانى فلا نستطيع أن نعتمد إلا على الترجمة القبطية . وهناك من العلماء فريق يعتبر أن للنص القبطى ذات الأهمية . والقيمة التى للنص اليونانى ، سواء بسواء، فماذا قالت الترجمة القبطية فى نقل هذه العبارة؟ قالت ⲭⲉⲣⲉ ⲑⲏⲉⲑⲙⲉϩ ⲛ̀ϩⲙⲟⲧ "سلام، يا ممتلئة نعمة" .

وواضح أن التعبير " ممتلئة نعمة " أقوى من التعبير " المُنعم عليها ". ومعنــــــى النص يتطلب التعبير القوى .

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد – السنة العاشرة – العدد ٧ – سبتمبر ١٩٥٦م .

٢- العذراء والدة الإله (١)

العزيز الشيخ الموقر الأستاذ يونان نخلة .

سلام ونعمة ومحبة من ربنا يسوع المسيح وأطيب التمنيات .

ردا على خطاب سيادتكم المؤرخ ١٩٧٤/٥/٢٧ بخصوص ما جاء فى كتاب السيد الأستاذ/ زكى حنا رئيس جمعية أصدقاء الكتاب المقدس ببورسعيد سابقا، الذى يعترض فيه على ماورد بالعدد الرابع والخامس من رسالة المحبة(أبريل ومايو سنة ١٩٧٤) صفحة ١١٦-١١٨ نقلا عن كتاب علم اللاهوت للقمص ميخائيل مينا الجزء الثالث من أن العذراء تسمى " أم الله "، مشدداً على رفض هذا التعبير ومؤثراً عليه لقب " والـــدة الإله " كما ورد فى مقدمة قانون الإيمان: " نعظمك يا أم النور الحقيقى، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله مريم ... " .

إلى أن يقول " فالكنيسة فى الأجبية وباقى كتبها تصف السيدة العذراء بأنها والدة الإله وهى بهذا تضعها فى مقامها السليم " .

يسرنى أن أقرر :

بأن التعبير الذى غلب إستعماله خصوصا عند الآباء الشرقيين هو " والدة الإله " وهو ترجمة للكلمة اليونانية والقبطية (**ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ**) – θεοτόκος(٢) وهى تتألف من مقطعين (**ⲑⲉⲟⲥ**) θεός أى الله أو الإله ثم (**ⲧⲟⲕⲟⲥ**) τοκός بمعنى "والدة" وهو مأخوذ من الفعل اليونانى (**ⲧⲓⲕⲧⲱ**) τίκω بمعنى "يلد" الذى ورد إستعماله فى إنجيل القديس متى والأصحاح ١ والأعداد ٢١، ٢٣، ٢٥ .

متى١: ٢١ " لأن الذى سيولد منها ...

متى١: ٢٣ ها إن العذراء تحبل وتلد إبناً ..

متى١: ٢٥ ولم يعرفها حتى ولدت الابن

والكلمة القبطية الصرفة المستخدمة فى كتب الكنيسة إلى جانب ثيوتوكوس هى **ϯⲙⲁⲥⲛⲟⲩϯ** أى والدة الإله ولقد كان هذا التعبير مستعملاً فى الكنيسة منذ أقدم العصور، فقد ورد فى كتابات العلامة أوريجينوس كما استعمله القديس أثناســـــيوس

---

(١) كتب الأحد الموافق ١٦ من يونيه ١٩٧٤ م – ٩ من بؤونة ١٦٩٠ ش .

(٢) ويقابلها فى اللاتينية Deipara وبالإنجليزية Godbearer

الرسولى، والقديس باسيليوس الكبير، والقديس غريغوريوس الثيئولوغوس (الناطق بالإلهيات) وغيرهم من الآباء الكبار معلمى الكنيسة. ولذلك فإنه عندما سقط نسطور بطريرك القسطنطينية فى الهرطقة وأنكر على العذراء مريم إستحقاقها للقب " والدة الإله " أنبرى له القديس كيرلس الأسكندرى وأبان له الأساس الإنجيلى لهذا التعبير، وساق من نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ما يبرهن على جدارة القديسة مريم بهذا اللقب المأخوذ من أسفار الأنبياء وشهادات العهد الجديد، كما أيده بالكثير من أقوال الآباء المعتبرين فى الكنيسة أعمدة ولذلك فإن مجمع أفسس الأول الذى انعقد فى أفسس عام ٤٣١م أثبت هذا اللقب للقديسة مريم ووضع مقدمة قانون الإيمان التى مطلعها "تعظمك يا أم النور الحقيقى ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله مريم"... وأسقط نسطور من درجاته الكهنوتية، لأنه ما كان يتعدى على العذراء مريم وينكر عليها هذا اللقب الذى نادتها به أليصابات بالروح القدس، مالم يكن نسطور قد انحرف عن الإعتقاد الصحيح فى السيد المسيح، حيث فصل فى المسيح بين إثنين : ابن الله ، وابن مريم، ومن هذا كان سقوطه ، وإنكاره حق العذراء مريم فى تلقيبها بوالدة الإله .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى كل من يزعم أنه مسيحى، وينكر على العذراء مريم أنها والدة الإله ، فقد برهن على سوء إعتقاده فى السيد المسيح .

قلت أن التعبير الذى غلب إستعماله عند الآباء الشرقيين هو " والدة الإله " .. ولقد أجاز البعض تلقيبها بأم الله . ومع أن كلمة " أم " فى إشتقاقها اللغوى تفيد " الأصل " لكن كلمة " أم الله " ويقابلها فى اللغات الأجنبية Mother of God بالإنجليزية ، Mere de Dieu بالفرنسية ... لا يستفاد منها أنها أصل الله، حاشا – بل استخدمت كذلك على سبيل التجاوز . ولقد قال القديس كيرلس الأسكندرى يشرح تلقيب العذراء بوالدة الإله، أنها كذلك لا بمعنى أنها هى الأصل الذى نبع منه لاهوت الكلمة ، حاشا، بل لأن الكلمة متحداً بالناسوت قد خرج من أحشائها، لذلك فهى والدته بمعنى أنه خرج من أحشائها الإله متأنساً ... مثلها فى ذلك – على نوع ما – مثل كل أم تلد ولداً، فإنها ليست أصلاً لروح الجنين التى هبطت من السماء واتحدت به، لكن الأم بعد أن تلد الجنين متحداً بروحه يليق أن تسمى بوالدة الطفل أو أم الطفل، لا أم جسده فقط على الرغم من أنها لم تكن أصلاً لروحه . وعلى هذا القياس تلقب العذراء بوالدة الإله أو أم الله لا بمعنى أنها الأصل الذى يرجع إليه لاهوت الكلمة، إذ أن لاهوت الكلمة أزلى لا بداية له، لكن لأن الذى خرج من أحشاء مريم هو المسيح الرب، الإله المتجسد ، فبهذا المعنى تصير العذراء جديرة بلقب والدة الإله .

فإذا قيل أحيانا أنها "أم الله" فالمعنى المقصود لا أنها أصل اللاهوت، بل المعنى أنها التى ولدت الكلمة المتجسد، أى أن أم الله هنا بمعنى والدة الإله " أى أن التعبيران مترادفان .

وفى نفس مقدمة قانون الإيمان استعملت كلمة أم بهذا المعنى التجاوزى ، " نعظمك يا أم النور الحقيقى" والمعروف أن النور الحقيقى هو المسيح أى الإله المتجسد .

٣- حلول روح القدس على العذراء مريم هو عطية ليصوغ من دمها جسداً

سؤال : من الابن مجدى عزيز .

يقول إنّ السيد المسيح له المجد تجسد من السيدة العذراء مريم بحلول الروح القدس فى أحشائها . هل هذا الحلول حلول أقنومى ؟

وما الذى يحل فى باقى الأسرار المقدسة داخل الكنيسة، هل الأقنوم الثالث أم موهبة من قبل الروح القدس ؟

الجواب : لما كانت القديسة مريم عذراء، من قبل أن يتجسد منها السيد المسيح فكيف يتكوّن من دمها الجسد الذى يُكّون للاهوت ستاراً وحجاباً ؟

المعروف أنّ جسد الجنين يتكون فى بطن المرأة المتزوجة هو من زرع رجلها أى زوجها، ثم يتحد زرع رجلها بدمها، لمدة تسعة أشهر أو أربعين أسبوعا أو ٢٨٠ يوما ثم يولد منها طفلاً .

أما القديسة مريم فكانت عذراء ولم يدخل فى بطنها زرع رجل، فكيف، وهذه حالها، يتكون فيها جسد ؟ لذلك كان لابد للروح القدس أن يحل عليها، فيصوغ من دمها جسداً يكون للاهوت ستارا وحجاباً ، لأنها حبلت بالمسيح له المجد من غير زرع رجل أو زوج .

وهذا ما أفادها به الملاك جبرائيل عندما بشرها بالحبل الإلهى " قد نلت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا تسمينه يسوع ... وابن العلى يدعى " .

فاعترضت العذراء مريم وقالت للملاك " كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟" وفحوى إعتراضها هو أنها لم ولا ولن تعرف رجلاً . عندئذ كان لابد للملاك أن يجيب على إعتراضها، وهو إعتراض سليم وحق، بما يطمئنها على أن هذا الحمل أو الحبل لن يتعارض مع إحتفاظها ببكارتها وبتولتها الدائمة فقال لها " إن **روح القدس** سيحل عليك وقوة العلى ستظللك، ولذلك فإن القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله " (لو ١: ٣١-٣٥) .

وهنا لابد أن يكون الذى حلّ على العذراء مريم هو **عطية وموهبة من قبل أقنوم الروح القدس**، لكى يصوغ من دمها جسداً، يكون للاهوت الكلمة ستاراً وحجاباً .

فالحلول على مريم هو حلول لموهبة من قبل الروح القدس، لأن الروح القدس لايحل بأقنومه أى بذاته على إنسان، لأن أقنوم الروح القدس هو الله ذاته ... **فلا يحل الروح القدس وهو الله على إنسان.** إنما الذى يحل على الإنسان هو **إحدى مواهب الروح القدس** . فإنه كما يقول الوحى الإلهى " إن المواهب على أنواع مختلفة لكن الروح واحد " (١. كورنثوس ١٢: ٤) ، (رومية١٢ :٦) ، (العبرانيين ٢: ٤) .

وهكذا قال الكتاب المقدس أيضا عن أليصابات أنها " امتلأت **أليصابات من روح القدس** فصاحت بصوت عظيم قائلة مباركة أنت فى النساء " (لوقا١: ٤١) .

وقال أيضا عن زكريا رئيس الكهنة والد يوحنا المعمدان وقد امتلأ أبوه **زكريا من روح القدس** . (لو ١: ٦٧) .

وقال عن الآباء الرسل فى يوم الخمسين " **وامتلأ الجميع من روح القدس**" (أعمال الرسل ٢: ٤) .

وقال عن ماربطرس الرسول "حينئذ امتلأ بطرس من روح القدس" (أعمال٤: ٨) .

وهكذا قال عن الرسل: "وامتلأ الجميع **من روح القدس** وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة " (أعمال٤: ٣١) .

وكذلك قال عن شاول " وأما شاول الذى هو بولس أيضا **فامتلأ من روح القدس** " (أعمال١٣: ٩) .

وعلى وجه الإجمال : إن **حلول الروح القدس على البشر دائماً هو حلول لبعض مواهبه وليس لأقنومه** ، لأن الأقنوم هو ذات الروح القدس، وهو الله ذاته " فالرب هو الروح " (١. كورنثوس٣: ١٧) .

كذلك حلول روح القدس فى سائر الأسرار هو حلول لبعض مواهبه ...

ففى المعمودية يحل روح القدس على الماء لينقله من ماء على بسيط الحال إلى ماء نارى .

وكذلك فى سر الميرون يحل روح القدس على أعضاء المعمد لتدشين أعضائه فتصير أعضاء المسيح ، وكذلك فى **سر مسحة المرضى** ، وفى سر الزيجة ، وسر الكهنوت يحل روح القدس على الإنسان لنيل إحدى مواهبه . **أما الحلول الأقنومى فلا يكون لبشر، إنما لله وحده** .

٤- وسيكون هدفاً للمقاومة (١)

سؤال : من الابن ب. أ. ب . سوهاج .

نعلم مما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن سمعان الشيخ قد حمل المسيح وهو طفل فى الأربعين يوماً لميلاده، حمله على ذراعيه، وبارك الله ثم قال: (الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقا لكلمتك .. ثم قال لمريم أمه : (إن هذا قد جُعل لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل، وسيكون هدفاً للمقاومة . وأنت أيضا سينفذ فى نفسك سيف، حتى تتكشف نوايا قلوب كثيرة) (لوقا٢: ٢٨-٣٥) .

وسؤالى: هل العذراء مريم كانت تعلم بما سيحدث للسيد المسيح من الآلام، ومراحل الصلب والقيامة، وهو طفل صغير؟ أو هل علمت من النبوءة التى قالها سمعان الشيخ، أم أنها علمت قبل ذلك ؟ ثم إننى أرجو شرح نبوءة سمعان الشيخ للسيدة العذراء مريم .

الجواب : ليس لدينا نصوص صريحة فى الإنجيل، بما يفيد أن العذراء القديسة مريم كانت تعلم بما سيحدث للسيد المسيح من الآلام ومراحل الصلب والقيامة وهو طفل صغير.. ومع ذلك ليس لدينا أيضا ما ينفى أن تكون العذراء على علم بما سوف يحدث للسيد المسيح من آلام ، ولو بعض العلم ..

فإذا كان المجوس قد علموا بميلاد السيد المسيح عندما رأوا نجمه فى المشرق، وفقا لما أنبأهم به زعيمهم زرادشت قبل الميلاد بمئات السنين، وعلموا أنه (المولود ملك اليهود) ثم إنهم عندما ذهبوا إليه فى بيت لحم (خروا وسجدوا له، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا من ذهب ولبان ومر) (متى٢: ٢، ١١) وأما (المر) فهو يشير إلى أنهم كانوا يعلمون بما سيعانيه من آلام ...

ويروى التقليد أن العائلة المقدسة حينما هربت إلى أرض مصر، وفقاً لما أمر به ملاك الرب الذى ظهر ليوسف فى حلم قائلاً: (قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر، وامكث هناك حتى أقول لك) (متى٢: ١٣) (فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً وانطلق إلى مصر) (متى٢: ١٤)... يروى التقليد والتاريخ أنهم وهم فى الطريق، هجم عليهم لصان ليسرقا منهم الذهب الذى أتى به المجوس وقدموه للمسيح طفلاً .. وبعـــــد أن

------

(١) كتب فى الخميس الموافق ١١ من أبريل ١٩٩١م - ٢ من برمودة ١٧٠٧ ش .

اغتصب اللصان الذهب، ندم أحدهما وقال للآخركيف بلغنا من القسوة والشر حتى نهجم على طفل رضيع وصبية صغيرة ونسلبهما ما يملكانه؟ هلم بنا نرد لهما ما أخذناه منهما ... فأبى الآخر .. أما هذا اللص فقوى على زميله، ورد للصبية مريم ولطفلها الإلهى ما أخذاه منهما عنوة... عندئذ نطق المسيح له المجد وقال لأمه: (هذان اللصان هما اللذان سيصلبان معى، أحدهما عن يمينى والآخر عن يسارى، وأما صاحب القلب الرحيم منهما فسينادينى : اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك) . هذه القصة الجميلة وصلت إلينا عن التقليد ، بين ما وصل إلينا عن أخبار العائلة المقدسة فى مصر .. فلا يبعد أن يكون المسيح له المجد قد أنبأ أُمه العذراء القديسة مريم بشىء على الأقل، مما سيحدث له فى أثناء إقامته على الأرض من آلام ..

ألم يخبر المسيح له المجد تلاميذه مراراً بما سيتألم به قبل صلبه بزمن ؟

يقول الإنجيل بعد أن روى إعتراف سمعان بطرس بالمسيح أنه المسيح الله ابن الله الحى.. (ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبين لتلاميذه أنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم ويعانى آلاما كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم) (متى١٦: ٢١) ، (مرقس٨: ٣١)، (لوقا٩: ٢٢) .

وقال الإنجيل أيضا (وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم، يتقدمهم يسوع، وكانوا يتبعونه مضطربين خائفين. فانتحى بالإثنى عشر مرة أخرى وراح ينبئهم بما سيحدث له قائلاً لهم: (ها نحن أولاء صاعدون إلى أورشليم، ولسوف يسلم إبن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الوثنيين، فيهزأون به، ويبصقون عليه، ويجلدونه ثم يقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم) (مرقس ١٠: ٣٢-٣٤) ، (متى٢٠: ٧-١٩) .

فإذا كان المسيح له المجد قد أنبأ تلاميذه مرات بما سيعانيه من آلام، فالإحتمال وارد بالأحرى أن يكون قد أنبأ بذلك العذراء مريم مراراً أثناء طفولته وأثناء رحلته فى مصر ، بل وبعد ذلك فى الناصرة، وأثناء فترة كرازته وتعليمه ... بما سوف يعانيه من آلام ثم بموته وقيامته .

أما تفسير ما قاله سمعان الشيخ للعذراء القديسة مريم (**إن هذا قد جعل لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل، وسيكون هدفاً للمقاومة**) فهو بيان ونبوءة عن هذا المولود الإلهى، الذى نزل من السماء وولد من العذراء مريم، لرسالة الفداء والخلاص لآدم وبنى آدم الذين أعوزهم مجد الله، وسيؤمن به بعض الناس من بنى إسرائيل، وينضوون تحت لوائه ويخلصون، ويقومون من موت الخطيئة والهلاك الأبدى . ولكن

آخرين من اليهود ومن بنى إسرائيل سيرفضونه وسيقاومونه ويتمردون عليه، ويصلبونه ويقتلونه، فيهلكون الهلاك الأبدى، بسبب رفضهم وعنادهم وقساوة قلوبهم . وهذا معنى قوله عن المسيح له المجد (**وسيكون هدفاً للمقاومة**) . قال الإنجيل للقديس يوحنا (إلى خاصته جاء، **وخاصته لم تقبله** . أما كل الذين قبلوه، فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله، أولئك هم المؤمنون باسمه، الذين ولدوا لا من دم ، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله ولدوا) (يوحنا١: ١١- ١٣) .

أما قول سمعان الشيخ للعذراء القديسة مريم (**وأنت أيضا سينفذ فى نفسك سيف)** فالإشارة هنا معنوية إلى ماستعانيه العذراء مريم أم الخلاص من آلام نفسية عندما ترى إبنها وحبيبها مرفوضاً ومصلوباً ومقتولاً، وهو ما تعبر عنه الكنيسة فى صلاة الساعة التاسعة إذ يقول المصلى (عندما نظرت الوالدة(وهى مريم العذراء والدة الإله) الحمل والراعى مخلص العالم، على الصليب معلقاً، قالت وهى باكية: أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب بالنار، عند نظرى إلى صلبوتك الذى أنت صابر عليه، من أجل الكل ، يا إبنى وإلهى) .

فالسيف هنا فى هذه النبوءة التى نطق بها سمعان الشيخ هو سيف معنوى، لا مادى وهو الألم الشديد الذى اعتصر قلب العذراء القديسة مريم، عندما رأت إبنها وحبيبها مصلوباً ومقتولاً، بأيدى الذين أتى من السماء لأجل خلاصهم فرفضوه وقاوموه وحاكموه وصلبوه .

وأما قوله(**حتى تنكشف نوايا قلوب كثيرة)** فمعناه أن مقاومة اليهود للسيد المسيح، وصلبه وقتله، ستتجلى عن كشف النوايا الحقيقية للقلوب، فمن كانوا من اليهود وغيرهم صادقين ومخلصين، هم الذين سيؤمنون بالمسيح له المجد رباً وفادياً ومُخلصاً، وأما المراءون والمخادعون والأشرار والخبثاء والمعاندون، فسيرفضونه ويصرون على رفضهم له، فسينكشف عندئذ رياؤهم وشرهم ونفاقهم، وتتضح نواياهم الشريرة، وما تنطوى عليه قلوبهم ودواخلهم من خبث وخداع وشر .

٥- صعود جسد العذراء مريم
فى اليوم الثالث لوفاتها

الإبنة المباركة السيدة سميرة إبراهيم داود - أسوان .

سلام لك أيتها الإبنة ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح أرجو لك وللأسرة جميعا موفور الصحة - وكل عام وجميعكم بخير .

تسلمت أيتها الإبنة خطابك والنشرة المعدة بمعرفة كنيسة العذراء بأسوان، وهى سليمة وصحيحة ومطابقة لمصادرنا الكنسية، وسبق لنا أن نشرنا بجريدة وطنى عن هذا الموضوع .

والخلاصة أن الكنيسة تُعَيِّد بنياحة العذراء كُلِّية الطهر مريم في يوم ٢١طوبة. وقد نزل المسيح له المجد فى بيت يوحنا وتسلم روحها بذاته، وسلمها لرئيس الملائكة ميخائيل وصعد إلى السماء .

وأما صعود جسدها محمولاً على أجنحة الملائكة فكان فى اليوم الثالث لنياحتها .

وهذا هو السبب فى أن الآباء الرسل بعد أن دفنوا جسدها فى الجثسمانية ظلوا يسمعون أصوات الملائكة مدة ثلاثة أيام - وبعد ذلك نزلوا إلى أورشليم - وفى الطريق نزلت السحابة بالقديس توما الرسول، فسألوه عن تأخره، فأفادهم بأنه آتٍ من بلاد الهند - ولما أعلموه بنياحة العذراء مريم طلب منهم أن يرى جسدها ويتبارك منه، معتذراً بأنه يريد أن يرى بعينيه حتى يؤمن كما فعل بالنسبة لقيامة المسيح له المجد إذ قال إنه لايؤمن مالم يضع إصبعه فى أثر المسامير وفى جنب المخلص، فرجع الآباء الرسل مع زميلهم توما إلى الجثسمانية ، وفتحوا القبر فلم يجدوا جسدها ، فانزعج الرسل ، وظنوا أن اليهود الذين اعترضوا الرسل وهم حاملون جسد العذراء ، فى التابوت ليدفنوها، وكان مفلوج بيت حسدا قد تزعم مظاهرة لمنع دفن جسد العذراء برغبة شريرة فى أن يطرحوا جسدها على الجبال والتلال لتأكله الوحوش وطيور السماء، وأمسك بالتابوت، فضربه رئيس الملائكة ميخائيل على يديه، فإنفصلت ذراعاه من جسده، فصرخ متألما، واعترف بخطيئته، وأقر بأنه لم يستفد من نصيحة المسيح له المجد (لا تعد إلى الخطيئة، لئلا يصيبك ماهو أسوأ) وعاد إلى الخطيئة، ولكنه أخذ يتوسل بدموع للآباء الرسل أن يصفحوا عنه، وصلى عليه الآباء الرسل وبشفاعة العذراء مريم عادت ذراعاه كما كانا، فانكفأ راجعاً، وهكذا تمكن الآباء الرسل من دفن

العذراء فى الجثسمانية – فلما عادوا مع توما وفتحوا القبر ولم يجدوا الجسد فى القبر، فكان طبيعيا أن يظنوا أن اليهود عادوا بعد مغادرة الرسل للجثسمانية ، وفتحوا القبر وأخذوا جسدها وطرحوه على التلال لتأكله وحوش الأرض وطيور السماء، فاستولى عليهم حزن شديد. فباغتهم الرسول القديس توما بقوله : اطمئنوا يا إخوتى فإنه لقصد حسن شاء الله أن أتأخر حتى هذا الوقت، ولكن الرب أنعم علىّ بأن رأيت جسدها محمولاً على أجنحة الملائكة فوق جبل أخميم (وهو الذى أقيم عليه فيما بعد(الدير المعروف بدير العين) ونادانى أحد الملائكة ودعانى أن أتبارك من جسدها، فتباركت من جسدها، وأنعم الرب علىّ بأن أعطونى (الزنار) الذى كانت تربط به وسطها . (وهذا الزنار موجود الآن على مذبح الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بمدينة حمص فى سوريا).. حينئذ صلىّ الآباء الرسل وصاموا لمدة ١٥ يوما طالبين أن يروا جسدها مرة أخرى، فوعدهم المسيح له المجد بذلك، وقد برّ بوعده لهم فى نهاية الصوم الذى صاموه والذى ينتهى فى ١٦/ مسرى .

والخلاصة أن ١٦/ مسرى هو إحتفال الكنيسة بتحقيق وعد المسيح للرسل بأن يروا جسدها وهم مجتمعين كما رآه توما الرسول .

أما صعود جسد العذراء فهو فى اليوم الثالث لنياحتها .

أما تحديد ١٦/مسرى للإحتفال بصعود جسد العذراء محمولاً على أجنحة الملائكة فهذا ترتيب كنسى، وهو فى الواقع تاريخ برّ المسيح بوعده للآباء الرسل أن يروا جسدها مجتمعين فى نهاية الصوم الذى عقدوه لإجابة طلبهم .

ونعمة الرب تشملك أيتها الإبنة، والأسرة ، وشعب الله وكنيسة العذراء بأسوان، وفى كل مصر والعالم المسيحى .

٦- حول صعود جسد العذراء [١]

سؤال : من الأخ منير كيرلس .

ذكر أن السيدة العذراء صعدت إلى السماء بعد موتها . هل هناك ما يثبت ذلك غير ما وجد فى السنكسار . ولماذا لم تصعد بجسدها حية كما صعد إيليا وأخنوخ؟ وما الحكمة فى أن تصعد بعد موتها ؟

الجواب : ليس بالطبع مايثبت ذلك فى الكتاب المقدس لأن موت السيدة العذراء، وصعود جسدها بعد ذلك، حدث بعد كتابة آخر سفر فى العهد الجديد. والكتاب أيضاً لم يذكر شيئاً عن موت أو استشهاد أكثر الآباء الرسل القديسين، فلم يتكلم بشىء عن قطع رأس بولس، أو صلب بطرس، أو اندراوس أو كيف إنتهت حياة فيلبس، أو متى، أو توما، أو يوحنا، أو يعقوب الصغير، أو لباوس، أو سمعان القانوى، أو برثولماوس، أو يهوذا (ليس الإسخريوطى) ، أو متياس . إن الكتاب تحدث عن موت رسولين فقط وهما يهوذا الإسخريوطى (مت٢٧: ٥) ، ويعقوب بن زبدى أخو يوحنا (أع١٢: ٢)، (أع١: ١٨) .

لكن تاريخ الكنيسة بعد الكتاب المقدس هو الذى سجل الأحداث التى لم يسجلها الكتاب المقدس. ولهذا فإن الكنيسة رتبت فى طقوس القداس قراءة كتاب تراجم القديسين والشهداء (وهو السنكسار) بعد قراءة سفر الأعمال مباشرة لأنه إمتداد له فى تسجيل تاريخ الكنيسة .

على أن حقيقة صعود جسد السيدة العذراء حقيقة معترف بها، منذ أقدم عصور الكنيسة وعند جميع الكنائس الرسولية، لأنها تقليد رسولى عن القديس يوحنا الرسول الذى شهد كل تفاصيل حياة السيدة العذراء، وموتها، وصعود جسدها إلى السماء، كذلك هى رواية سائر الرسل الذين حملتهم سحب السماء، بأمر الروح القدس ليشاهدوا والدة الإله مريم فى إنتقالها من هذا العالم الزائل، ورووا هذه الواقعة للمؤمنين فى جميع هذه البلاد التى كرزوا فيها. فذاع النبأ فى الكنيسة الأولى، وصار تقليداً رسولياً فى جميع الكنائس الرسولية، منذ العصر الرسولى الأول . وقد سجل آباء الكنيسة هذا التقليد فى كتب الكنيسة ومنها السنكسار .

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد – السنة الحادية عشر – العدد الأول – يناير ١٩٥٧ م .

أما إن العذراء لم تصعد بجسدها حية، بل ماتت أولاً ثم أُصعد جسدها بعد ذلك على أيدى الملائكة ، فلأنه كان ينبغى أولا أن تموت كموت البشر، فقد " وضع للناس أن يموتوا مرة واحدة " (عب٩: ٢٧) .

حقاً إن أخنوخ نقل بجسده (تك ٥: ٢٤)، وكذلك صعد إيليا فى العاصفة إلى السماء وهو فى الجسد (٢. مل٢ :١١) لكن هذين القديسين لابد أن ينزلا إلى الأرض مرة أخرى ويموتا، ويرى بعض اللاهوتيين أنهما سيموتان شهيدين فى حكم الدجـــال (رؤ١١: ٧) . فلا إستثناء فى قضية الموت، أى إنسان يحيا ولايرى الموت ؟ أى ينجى نفسه من يد الهاوية (القبر) ؟، (مز٨٩: ٤٨) .

لقد أُصعدِ جسد العذراء بعد إنفصاله عنِ روحها، لأسباب لا نَدَّعى لأنفسنا أننا نعرفها جميعاً ، ولعل فيها أن الله أراد أن يُكرِم هذا التابوت المقدس ، الذى حل فيه الكلمة المتجسدة ، فرفعه إلى مكان الكرامة والقداسة ، إلى السماء إلى فردوس النعيم .

٧- العذراء فى القبر المقدس

سؤال : من السيد/ إبراهيم حبيب حناوى - أم القصور - منفلوط .

كم يوما مكثتها السيدة العذراء فى القبر؟ وهل صعدت بجسدها كما صعد إيليا وأخنوخ؟ وهل العذراء جالسة عن يمين السيد المسيح الآن أم هى فى موضع الانتظار؟

الجواب : المعروف ، نقلا عن كتب الآباء السابقين، أن العذراء مريم كانت قد أقامت مع القديس يوحنا الرسول فى بيته، بناء على وصية مخلصنا يسوع المسيح إلى أمه العذراء الطوباوية، وهو على الصليب كما يروى الإنجيل المقدس على يد القديس يوحنا الحبيب " فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً " قال لأمـــــه : يا امرأة، هوذا إبنك، ثم قال للتلميذ : " هذه أمك " . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته (يوحنا١٩: ٢٦، ٢٧) .

إذن كان بيتٍ القديس يوحنا الرسول هو مقر إقامة العذراء مريم منذ أن تسلمها يوحنا كوصية مُعلِّمه وسيده، ذلك أن يوسف كان قد توفى قبل ذلك بكثير، ولم يكن للعذراء أحد آخر غير الرب يسوع.. والمعروف فى التقليد أن العذراء كانت كثيراً ما تتبع السيد المسيح فى رحلاته وتنقلاته أثناء خدمته فى المدة التى بدأت ببلوغه الثلاثين من عمره فى التجسد إلى يوم صلبه . وكانت فى بعض الآحايين تتنحى مكاناً قريباً، وتصلى فى خلوة . ومن بين تلك الأماكن المغارة التى أقيمت عليها الكنيسة المعروفة باسم العذراء مريم فى مدينة صيدا بلبنان . انظر كتاب " امرأة من لبنان " للمؤلف الموسوعة جزء ١٤ فى تفسير إنجيلى متى ومرقس ص ١٨٠ .

ومع أن بيت الرسول يوحنا كان مقرها الدائم بعد صلب المسيح وبعد قيامته من بين الأموات، غير أنها كانت تخرج دائماً وتذهب إلى قبر إبنها وحبيبها وتصلى هناك، أحيانا وحيدة ، وأحيانا تصحبها صويحباتها من البنات الأبكار اللائى تبعنها واتخذنها رائدة لهن، وهن (عذارى جبل الزيتون) ومن هذه الزمرة المقدسة تألفت أول جماعة من المتبتلات الطاهرات، أى أن العذراء مريم هى مؤسسة (نظام العذارى)، وظل هذا النظام قائماً طوال العصور الأولى، سابقاً على نظام الشكل الرهبانى، وكان للعذارى فى الكنيسة مكان مخصص لهن عرف بـــ " خورس العذارى" كما تدلنا على ذلك الدسقولية أى تعاليم الرسل (باب١٠، باب٣٥) وكتب الكنيسة القديمة ، وكتابات الآباء الأولين، وكتب المؤرخين القدامى ، ومن بينهم القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم .

ولذلك لا نستطيع أن نحصى الأيام التى قضتها العذراء فى القبر المقدس والمجيد، ولكن آباء الكنيسة يقولون أنها قضت فى بيت يوحنا نحو أربعٍ عشرة سنة (السنكسار تحت ١٦ من مسرى). ولذلك فإن يوحنا الحبيب لم يذهب بعيداً عن أورشليم قبل نياحة العذراء مريم وإنتقالها إلى الأخدار السمائية . ولكن العذراء مريم هى التى ذهبت إلى مدينة برطس لإنقاذ القديس متياس الرسول (أعمال الرسل١: ٢٣، ٢٦) ، فقد كان سجيناً هناك ، فصلت العذراء صلاتها المعروفة بالصلاة " حالة الحديد " فذاب الحديد المصنوعة منه السلاسل التى كان مقيداً بها، وذابت المتاريس والمغالق وخرج القديس متياس، فآمن أهل المدينة ، وتُعَيِد الكنيسة لهذه المعجزة والحادثة فى اليوم الحادى والعشرين من شهر بؤونة (ويقع حاليا فى يوم ٢٨ يونية) .

فيما عدا هذه الرحلة إلى تلك المدينة، والتى أنقذت فيها العذراء بصلواتها متياس الرسول من سجنه، لا تدلنا مصادرنا الكنسية على مناسبة أخرى تركت فيها العذراء ، مدينة أورشليم القدس، إلا حينما حملها الرب يسوع المسيح على السحب، وجاء بها إلى مصر لتدشين كنيسة العذراء الأثرية بجبل قسقام والتى أقيم حولها فيما بعد الدير المعروف بدير العذراء بالمحرق، وتُعَيِد الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر وفى الأقاليم التابعة للكرازة المرقسية، لهذه المناسبة أى لتدشين كنيسة العذراء الأثرية بدير العذراء بالمحرق فى اليوم السادس من هاتور . ولقد نزل المسيح له المجد من السماء لهذا الغرض وصحبه رؤساء الملائكة والملائكة، كما حملت السحب الآباء الرسل المنتقلين منهم والأحياء ليكونوا فى شرف خدمة سيدهم ومُعلّمهم وربهم ، الذى شاء بهذا التدشين أن يرد إعتبار العذراء التى أهانها اليهود بعد قيامته من بين الأموات بأكثر مما صنعوا قبل ذلك .

أما صعود جسد العذراء مريم، فكان ذلك بعد موتها، وهنا يختلف أمر هذا الصعود عن صعود إيليا النبى. فإيليا صعد حياً بجسده إلى السماء، فى مركبة من نار وخيل من نار (٢.الملوك٢: ١١) وأما اخنوخ " فلم يوجد لأن الله أخذه " (التكوين٥: ٢٤)، (العبرانيين ١١: ٥). فإيليا واخنوخ لم يموتا بعد، لكن العذراء مريم ماتت، ودفنوها فى الجثسمانية لكن الملائكة حملت جسدها بعد موتها وصعدت به إلى السماء، بعد ثلاثة أيام من موتها، ولذلك فإن الكنيسة تعيد لموت العذراء ولصعود جسدها بعيدين منفصلين، فتعيد لموت العذراء فى ٢١ من طوبة ، بينما تعيد لصعود جسدها فى ١٦ من مسرى .

أما عن سؤالكم هل العذراء جالسة عن يمين السيد المسيح الآن أم هى فى موضع الانتظار، فجوابنا عليه أن جسد العذراء قد رفع إلى السماء تكريماً له ، وهو محفوظ فى السماء فى الفردوس بمفرده ، إلى يوم القيامة العامة (عن ميمر للقديس كيرلس الأول عمود الإيمان) .

٨- العذراء القديسة مريم من بيت داود ومن سبط يهوذا

سؤال : من الابن الدكتور سمير دانيال الزردقى – ملوى .

يقول ماهى صلة ربنا يسوع المسيح الإله المتجسد بسبط يهوذا، لأن من المعروف أن التجسد يكون من سبط يهوذا، وقد كان لسيدتنا القديسة العذراء مريم الشرف فى أن تكون سلم هذا التجسد، لكن الإنجيليين متى ولوقا لم يذكرا نسب السيدة العذراء، بل نسب خطيبها يوسف النجار، **فما هو نسب القديسة مريم العذراء وما هى صلتها بسبط يهوذا** ، تحقيقاً للنبوءات عن المسيا أنه الأسد الخارج من سبط يهوذا ؟

الجواب : المعروف أن كلا من يوسف النجار خطيب العذراء القديسة مريم، وكذلك العذراء – **هما الإثنان من بيت داود ومن سبط يهوذا** – وكل منهما تناسل من زربابل، فيوسف تناسل من (ابيهود) الإبن الأكبر لزربابل (متى١: ١٣) . **أما مريم فتناسلت من (ريسا) وهو الإبن الأصغر لزربابل** (لوقا٣: ٢٧) .

٩- الإستغاثة بالعذراء وبصلواتها

سؤال : من السيد / م . ع . ح . المنيا .

هل يصح توجيه الصلاة للعذراء القديسة مريم كما فى القطعة الأخيرة من كل صلاة من صلوات الساعات (الأجبية) ؟

الجواب : نحن لا نصلى للعذراء كما نصلى لله ، معاذ الله ! ولكننا نستغيث بالعذراء، ونطلب شفاعة العذراء، وصلواتها، ونلجأ إلى ساحتها مؤمنين بدالتها ومكانتها عند إبنها الحبيب ربنا يسوع المسيح، وهى الملكة أم الملك، هذه التى اصطفاها الرب وفضلها على نساء العالمين . وإذا كانت الإستغاثة بسائر القديسين مشروعة " وإلى أى القديسين تلتفت " (أيوب ٥: ١) ، فكم بالأحرى تكون الإستغاثة بالعذراء أم النور ، مشروعة ! .

نعم إننا نوجه إليها الخطاب ، نمجدها ، ونعظمها ونشيد بمدحها، ونسألها أن تذكرنا أمام ربنا يسوع المسيح ، ليغفر لنا خطايانا، ولكننا لا نصلى إليها كما يصلى المخلوق لخالقه ، حاشا ! .

خذ على سبيل المثال القطعة الثالثة من قطع صلاة باكر:

" أنت هى أم النور المكرّمة ، من مشارق الشمس إلى مغاربها ، يقدمون لك تمجيدات ياوالدة الإله، السماء الثانية، فإنك أنت هى الزهرة النقية غير المتغيرة، والأم الباقية عذراء فإن الآب اختارك، والروح القدس ظللك ، والابن تنازل وتجسد منك . فإسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، وأن ينجيه من التجارب. ولنسبحه تسبيحاً جديداً ، ونباركه، الآن وكل أوان ... " .

فنحن هنا نمجد العذراء ونشيد بمدحها، ونطلب منها أن تسأل الله من أجلنا ومن أجل خلاص العالم. وبعد ذلك نوجه الخطاب إلى الله بقولنا: " ولنسبحه تسبيحاً جديداً.."

خذ أيضا مثالا ثانيا قولنا فى القطعة الثالثة من قطع صلاة الساعة الثالثة : " ياوالدة الإله أنت هى الكرمة الحقانية: الحاملة عنقود الحياة، نسألك أيتها الممتلئة نعمة، وكذلك الرسل، من أجل خلاص نفوسنا. مبارك الرب إلهنا، مبارك الرب يوماً فيوماً، يهيىء طريقنا ، لأنه إله خلاصنا " .

ونحن حينما نسأل العذراء مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا، نعلم أن الخلاص هو عمل الله .. أما العذراء والرسل ، فهم عوننا للحصول على الخلاص بصلواتهم.

وكذلك إذا قلنا " ياوالدة الإله أنت هى باب السماء، افتحى لنا باب الرحمة ، بمعنى أنها بدالتها وبمكانتها وصلواتها، تهيىء لنا حسن القبول أمام الرب ، فتشملنا رحمته بصلواتها .

خذ أيضا مثالاً ثالثاً، القطعة الثالثة من قطع صلاة الساعة السادسة :

" وإذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا ، فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك ياوالدة الإله العذراء، لأن كثيرة هى شفاعتك، مقتدرة ومقبولة عند مخلصنا، أيتها الأم الطاهرة : لا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولدته ، لأنه رحيم وقادر على خلاصنا، لأنه تألم من أجلنا لكى ينقذنا، فلتدركنا رأفاتك سريعاً يارب، لأننا قد تمسكنا جداً ، أعنا ياالله مخلصنا من أجل مجد اسمك. يارب نجنا واغفر لنا خطايانا من أجل اسمك القدوس " .

فى تلك القطعة ومثيلاتها يستغيث المصلى بالعذراء مريم طالباً منها أن تساعده بصلواتها المقبولة، وشفاعتها المقتدرة والقوية، ثم يعود ويوجه الخطاب إلى الله ويطلب منه أن يشمله وجميع الناس بمراحمه العالية ، وأن يغفر له ولهم خطاياهم ، إكراماً لمجد اسمه المبارك والقدوس .

وفى القطعة الأخيرة من قطع : صلاة الساعة السادسة من النهار يقـول المُصلـى " أنت هى الممتلئة نعمة ياوالدة الإله، العذراء ، نغنى بحمدك، لأن من قبل صليب إبنك إنهار الجحيم، وبطل الموت. لقد كنا أمواتا، فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية، ونلنا نعيم الفردوس الأول، من أجل هذا نمجد بشكر المسيح إلهنا لأنه قوى " .

وواضح أننا فى هذا النص أيضا نخاطب العذراء كشفيعة، ولا نصلي إليها كما نصلى إلى الله، وإنما نشيد بمدحها، ونغنى بحمدها، لأنها العذراء أم المخلّص، الذى إفتدانا من حكم الموت، وخلّصنا من هلاك الجحيم، وردنا إلى الفردوس المفقود .

وخذ مثلاً آخر من القطعة الثالثة من قطع صلاة الساعة التاسعة من النهار، حيث يقول المصلى :

" لاتُعرض (حرفيا: لاتتخلّ) ياالله عن الذين جبلتهم بيديك! أظهر محبتك للبشر أيها الصالح! اقبل من والدتك طلباتها من أجلنا نج يامخلصنا شعباً متواضعاً ! لا تتركنا إلى الإنقضاء... ولا تنزع عنا رحمتك ، من أجل إبراهيم حبيبك ، واسحق عبدك ... ".

وهنا فى هذه الصلاة نوجه الدعاء إلى الله ، ونسأله أن يقبل سؤالات العـــذراء وطلباتها من أجلنا، لكن الدعاء موجه إلى الله رأساً .. أما العذراء أم النور، فهى قديسة لها كرامتها ولها دالتها أمام المسيح الإله .

كذلك الأمر عندما يتلو المصلى فى القطعة الثالثة من قطع صلاة الغروب أو الحادية عشرة من النهار ويقول :

" لكل إثم بحرص ونشاط فعلت ، ولكل خطيئة بشوق واجتهاد ارتكبت ... فهيىء لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء! فإليك أتضرع (حرفيا: إياك أسأل) ، وبك أستشفع (حرفيا: أطلب شفاعة منك) ، وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى ، وعند مفارقة نفسى من جسدى إحضرى عندى (حرفيا: كونى معى قبل أن تفارق روحى جسدى)، ولمؤامرة الأعداء إهزمى، ولأبواب الجحيم إغلقى، لئلا أبتلع، ياعروس للختن الحقيقى ، لاعيب فيها " .

والمعنى من تلك الصلاة هو إستغاثة بالعذراء الطاهرة أن تكون للمصلى الأم المعينة والمغيثة بصلواتها ودعواتها ، ورعايتها وحسن عنايتها ، حتى بذلك تتهيأ له أسباب التوبة فيسلك فى طريق السماء بإستقامة... كذلك يطلب المُصلى حضور العذراء معه وملازمتها له فى ساعة الإحتضار، لأنه بحضورها ووجودها معه يقوى على مخاوف تلك الساعة الرهيبة ، وينتصر على حروب العدو الشيطان الذى يقترب منه فى تلك الساعة ليقتنصه فى معيته... فوجود العذراء إلى جانب المصلى وهو فى ساعة الإحتضار كفيل بطرد العدو الشيطان وجنوده الأشرار وهزيمتهم، وخلاصه من هلاك الجحيم الذى يفتح أبوابه ليبتلع الموتى ما لم يرفضوا مشورة الشيطان وقواته الإبليسية وما لم يتحصنوا ضد أسلحته الملتهبة ناراً .

كذلك يقول المصلى فى القطعة الثالثة من قطع النوم (أو الثانية عشرة من النهار) " أيتها العذراء الطاهرة أعينينى أنا عبدك، وأبعدى الأفكار الشريرة عنى، وانهضى نفسى للصلاة والسهر، لأنها استغرقت فى نوم عميق، فإنك أنت الأم المقتدرة والرحيمة والمعينة ، والدة ينبوع الحياة، ملكى وإلهى ، يسوع المسيح، وهو رجائى) .

ولاشك أن المُصلى يطلب معونة العذراء كأم له، حتى تعينه بحنان الأم الرحيمة والمقتدرة، فإن صلوات البار تقتدر كثيراً فى فعلها" (رسالة يعقوب٥: ١١)، وهو يستغيث بطلباتها، ويستغل ما لها من دالة لدى إبنها يسوع المسيح ينبوع الحياة، وهى التى تشرفت بأن تكون الأم والوالدة لذلك الينبوع الواهب الحياة، والذى هو رجاء المتوكلين عليه .

وقل مثل ذلك فى جميع مايرد فى صلواتنا خاصاً بالعذراء مريم، أننا لا نصلى إليها، ولكن للرب الإله . على أننا نستغيث بالعذراء طالبين شفاعتها سائلين معونتها

كأم حنون، مؤمنين بدالتها المقبولة عند ربنا يسوع المسيح وفيما يلى نموذج لتلك الإستغاثة .

" السلام لك ، نسألك أيتها القديسة الممتلئة مجداً، العذراء كل حين، والدة الإله ، أم المسيح، أصعدى صلواتنا إلى إبنك الحبيب، ليغفر لنا خطايانا " .

السلام للتى ولدت لنا النور الحقيقى ، المسيح إلهنا. أيتها العذراء القديسة إسألى الرب عنا، ليصنع رحمة مع نفوسنا ويغفر لنا خطايانا .

السلام لك أيتها العذراء ، والملكة الحقيقية .

السلام لمن هى فخر جنسنا، والتى ولدت لنا عمانوئيل .

نسأل أن تذكرينا، أيتها الشفيعة المؤتمنة عند ربنا يسوع المسيح " لكى يغفر لنا خطايانا " .

١٠- هل تسمى العذراء مريم سيدة ؟

سؤال : من قارىء لم يذكر اسمه .

" هل من الخطأ أن تطلق على العذراء مريم لقب سيدة أو السيدة العذراء " .

الجواب : إن لقب السيدة لايتعارض مع بتولية العذراء الدائمة ، كما لا يتعارض لقب السيد مضافاً إلى المسيح له المجد مع بتوليته .

ذلك أن لفظ السيد أو السيدة يعبر عن التوقير والإحترام والإجلال .

وجدير بالذكر هنا أن اسم مريم نفسه معناه " سيدة " .

على أن كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة تصف العذراء مريم بـــ " السيدة " و " سيدتنا كلنا " .

ففى ترحيم الآباء البطاركة السالفين يرنم الشمامسة لحناً يقولون فى مطلعــــــــه " بصلوات وشفاعات ذات كل قداسة الممجدة الطاهرة المباركة سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم ... " .

وفى الإعتراف الأخير الذى يرتله الكاهن وهو يحمل بين يديه الصينية المقدسة : "... هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه إبنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم .. " .

وفى شهر كيهك فى الحدود تختم الذكصولوجية بهذه العبارة: " بطلبات وشفاعات سيدتنا السيدة مريم " .

وفى تحليل الكهنة بعد صلاة نصف الليل يختتم الكاهن الصلاة " بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات ، سيدتنا كلنا وفخر جنسنا العذراء البتول الزكية مرتمريم " .

ومما يستحق التنويه أن مرتمريم كلمة تتألف من كلمتين الأول " مرت " وهى سريانية الأصل وهى مؤنث " مار" بمعنى " سيدة " والكلمة كلها معناها " السيدة مريم" والسيدة لفظ للدلالة على السيادة وعلو المقام ، وهو لايتعارض مع دوام البتولية .

١١- هل العذراء أول من حل عليها الروح القدس ؟

سؤال : يقول : " الروح القدس يحل عليك" هل العذراء هى أول من حل عليها الروح القدس وأليصابات معها ؟

الجواب : داود النبى يشير، فيقول " روحك القدوس لا تنزعه منى" فى المزمور الخمسين وأيضا فى المزمور ١٤٢ يقول " روحك القدوس" فالروح القدس حل وكان يحل فى الأنبياء والملوك والكهنة بمسحة الميرون، أو المسحة المقدسة التى كانت تستخدم بالنسبة للأنبياء والملوك والكهنة . وذكر فى الكتاب المقدس أن شاول عندما عُين ملكاً أو مُسح ملكاً، حل عليه روح الله بذات الحلول ، نعم هنا نعمة الروح القدس لأن الروح القدس له مواهب متنوعة ، فلا نستطيع أن نقول أن العذراء هى أول من حل عليها الروح القدس، لأن هناك فى العهد القديم كثيراً ممن حل عليهم الروح القدس، كل الأنبياء والملوك والكهنة .

١٢- هل للعذراء مريم أخت ؟

سؤال : من السيد/ محروس نصيف بباوى – دير الميمون – الجيزة .
هل السيدة العذراء مريم لها أخوات شقيقات وأخوة من أبيها يواقيم وأمها حنّة ؟

الجواب : المعروف أن للعذراء مريم أختاً شقيقة لها، أصغر منها سناً، هى التى عُرفت بمريم زوجة كلوبا .

فقد قال الإنجيل للقديس يوحنا :

" وكانت واقفات عند صليب يسوع، أمه ، وأخت أمه، مريم زوجة كلوبا ..." (يوحنا١٩: ٢٥) .

ومريم زوجة كلوبا هذه ، هى أيضا إبنة يواقيم وحنة . ويروى التقليد وتاريخ الكنيسة ، أن حنّة أم العذراء مريم. وقد كانت عاقراً – نذرت لله نذراً، مع زوجها ، أنه إن فتح الله رحمها وحملت وولدت، فالإبن أو الإبنة التى يلدانها يقدمانها لله فى هيكله . فلما استجاب الله صلاتهما، ورزقهما الله بمريم (فى أول بشنس)، قدماها فى الثالثة من عمرها إلى هيكل الرب. وتعيد الكنيسة لهذه المناسبة فى الثالث من كيهك . انظر السنكسار تحت أيام ٧ مسرى (البشارة) – أول بشنس (الميلاد)، ٣ كيهك (التقديم للهيكل) .

وشاء الله أن يهب يواقيم وحنة بعد ذلك بإبنة أخرى، أسمياها أيضا مريم، إذ قالا: إن مريم الأولى من نصيب الرب، فلنسمِّ هذه أيضا مريم، لتكون من نصيبنا نحن، فلما كبرت مريم الصغرى هذه تزوجت برجل اسمه كلوبا، باللغة اليونانية Κλωπᾶς ، وله اسم "حلفى" باللغة الأرامية .

ولقد أنجبت مريم الصغرى من كلوبا أو حلفى، أولاداً: هم يعقوب ، ويوسى، وسمعان، ويهوذا، كما أنجبت منه بنات .[1]

ولذلك دعيت مريم أخت العذراء مريم زوجة كلوبا " (يوحنا ١٩: ٢٥) .

كما دعيت بـــ " مريم أم يعقوب ويوسى" (متى٢٧ : ٥٦) .

" ومريم أم يعقوب ويوسى" (مرقس١٥: ٤٠).

" ومريم أم يعقوب" (مرقس ١٦ : ١) . " ومريم أم يوسى" (مرقس ١٥: ٤٧) .

------

(١) انظر يوسبيوس : تاريخ الكنيسة – (الجزء ٣، فقرة ٣٢ : ٣-٨) .

ولما كان أولاد العمومة والخؤولة يسمون فى بلاد فلسطين وبلاد الشرق، إخوة ، كما لقب أبونا إبراهيم الخليل ابن أخيه لوط ، بأخيه ، " فقال أبرآم للوط : لاتكن مخاصمة بينى وبينك، وبين رعاتى ورعاتك، لأننا نحن أخوان، (التكوين١٣: ٨) . علما بأن لوط هو إبن أخ لإبراهيم (التكوين ١١: ٢٧، ٣١) .

وكذلك تكلم لابان مع يعقوب إبن أخته (التكوين ٢٩: ١٣)، وسماه أخاه وقال لـــه: " ألأنك أخى تخدمنى مجاناً " (التكوين٢٩: ١٥) لذلك قيل عن يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا إنهم : إخوة الرب يسوع .

قال الإنجيل " ولما أتم يسوع هذه الأمثال مضى من هناك. وحين جاء إلى وطنه كان يُعلّمهم فى مجامعهم ، حتى بهتوا وقالوا : " من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات؟ أليس هذا هو ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا " (متى١٣: ٥٣ – ٥٦) ، (مرقس ٦: ٣) .

وإذن فيعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا وأخواتهن – وهم أولاد وبنات مريم زوجة كلوبا (أو حلفى)– هم الذين دعاهم الإنجيل إخوته وأخواته .

قال الإنجيل :

" وجاءت أمه وإخوته ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه. وكان الجمع جلوساً حوله فقالوا له "ها هم أولاء أمك وإخوتك فى الخارج يطلبونك "(مرقس ٣: ٣١، ٣٥)، (متى ١٢: ٤٦–٥٠)، (يوحنا٢: ١٢) .

ويروى القديس أبيفانيوس Epiphanios أسقف سلامينا فى قبرص (نحو٣١٥– ٤٠٣) عن القديس هيجسيبوس Hegesippos وهو من آباء القرن الثانى عن تقليد يهودى قديم .

ἐκ τῆς τῶν Ἰουδαίων παραδόσεως

– إن كلوبا هو أخ شقيق ليوسف خطيب العذراء مريم(١) ولذلك فإن يوسيبيوس كثيراً ما يذكر أن يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أولاد كلوبا، ومريم زوجة كلوبا، بأنهم أقرباء المسيح وأنهم بالنسبة له أولاد خؤولة وعمومة(٢) وجاء أيضا فى السنكسار تحت اليوم التاسع من شهر أبيب القبطى _ وفيه استشهد القديس سمعان الرسول ابن كلوبا – إن كلوبا هذا هو أخ شقيق ليوسف البار خطيب مريم العذراء .

---

(١) كتاب الرد على الهرطقات لأبيفانيوس ٧٨ : ٧ .

(٢) يوسبيوس : تاريخ الكنيسة ، الجزء الثالث ، (فقرة ١١) ، (فقرة ٣٢: ١–٨)، الجزء الرابع ، (فقرة٢٢: ٤، ٥) .

١٣- كيف ولدت العذراء المسيح وهى دائمة البتولية ؟

سؤال : من السيد الشماس سامى سيدهم عبد المسيح – دير أبو حنس مركز ملوى .

يقول : **سمعت أقوالا مختلفة عن كيفية ولادة السيد المسيح من العذراء مريم ، ولذلك أريد أن أعرف الحقيقة فى هذا الموضوع . وهل أزالت الولادة بالمسيح بكارة العذراء مريم ، أم أنه ولد منها من غير أن يفض بكارتها ؟ على نحو ما يحدث فى كل ولادة طبيعية ؟**

الجواب : الحقيقة واحدة كما أعلنها الوحى الإلهى فى الكتب المقدسة فى العهدين القديم والجديد، وفى كتب الكنيسة وأقوال الآباء ، والتقليد المقدس .

وهذه الحقيقة هى أن القديسة مريم كانت عذراء قبل ولادتها للسيد المسيح، وظلت عذراء طوال حياتها، إلى أن أوفت أيامها وانتقلت بالموت إلى فردوس النعيم ، ولذلك فإنها تُلقب فى كتب الكنيسة بأنها (العذراء الدائمة البتولية)، و (العذراء الدائمة البكارة) و (العذراء دائما وكل حين)، و(العذراء العروس التى بغير زواج).

إن كل فتاة لم تتزوج تسمّى (عذراء) . أما مريم فتلقب بـــ (العذراء) معرفة بالألف واللام، أى أنها وحدها بين جميع العذارى التى عذراويتها استمرت كنية عنها، ولقباً دائماً لها، تعرف به على مر العصور والأجيال .

فكل فتاة غير متزوجة تسّمى عذراء، لكنها قد تتزوج، وقد لا تتزوج . أما مريم فهى وحدها بين جميع العذارى التى لم يكن ولن يكون هناك أدنى إحتمال فى تغيرها من عذراء إلى غير عذراء، وإنما هى (العذراء) من غير منازع، ومن غير شك .

ولذلك فإذا قرأت أو سمعت لفظ " العذراء " (معرفة بالألف واللام) أيقنت أنها (مريم) هى بعينها، حتى لو لم يذكر اسم مريم صراحة .

وكما أن اسم (المسيح– معرفاً بالألف واللام) لا يقال إلاّ عن واحد أحد وهو الرب يسوع، كذلك اسم (العذراء) معرفاً بالألف واللام – لايقال إلاّ عن واحدة ، ولا أحد سواها، وهى القديسة مريم والدة الإله الكلمة .

وبهذا اللقب (العذراء) معرفة بالألف واللام ، أشار إليها الوحى الإلهى فى العهد القديم على فم إشعياء النبى، فقد ورد قوله: " ها إن (العذراء) تحبل وتلد إبناً وتدعو اسمه عمانوئيل " (إشعياء ٧: ١٤) . وأورد العهد الجديد هذا النص عينه مبيّنا أنه قيل عن العذراء القديسة مريم فى حملها وولادتها للسيد المسيح وستلد إبناً وتسميه يسوع...

وقد كان ذلك كله ليتم ما قاله الرب بفم النبى القائل : " ها إن (العذراء) تحبل وتلد إبناً ويدعى اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره : الله معنا " (متى١ :٢١- ٢٣) .

وأما الولادة فقد كانت ولادة حقيقية بعد حمل استغرق مدة تسعة أشهر كاملة .

ومع ذلك فقد إنفردت العذراء مريم بأنٍ ولادتها للسيد المسيح لم تخدش بكارتها. ولهذا اعتبرت ولادتها للمسيح له المجد أمراً لايمكن إدراكه، وهو يعلو فى سموه عن كل تصور بشرى، وهذا يدخل فى دائرة المعجزات، وهو برهان على قدرة لاهوت المسيح، فليس لمثل هذه الولادة نظير فى كل التاريخ .

أمام هذا السرّ العظيم وقف آباء الكنيسة حيارى معلنين عجزهم عن تفسيره بغير قدرة لاهوت المسيح .

ولذلك ورد فى كتب الصلوات، وتوجيه الخطاب إلى العذراء مريم بقولنا " نمجد ميلادك غير المدرك " (من صلوات قطع الخدمة الثانية لصلاة نصف الليل) ، وقولنـــا " نمجد ميلادك الطاهر فى كل حين من أجل خلاص نفوسنا " (من صلوات قطع الخدمة الثالثة لصلاة نصف الليل) .

ولاشك أن المقصود بقولنا " ميلادك " ليس ميلادها هى من أمها حنة ، وإنما المقصود هو ميلادها أو ولادتها للسيد المسيح . فميلادها للسيد المسيح هو الميلاد الطاهر، لأنه لم يكن من زرع رجل ، وإنما من روح القدس، فهو **(ميلاد طاهر فى كل حين) ثم هو (ميلاد غير مدرك) لأنه لايمكن إدراكه بالعقل،ولايعبر عنه، Ⲡⲉϫⲓⲛⲙⲓⲥⲓ ⲛ̀ⲁⲧⲥⲁϫⲓ ̀ⲙ̀ⲙⲟϥ ولايوصف إذ لايمكن أن يتصور العقل أن تلد عذراء بمولود، وتحتفظ مع ذلك ببكارتها مصونة، فقد خرج المسيح من مستودع العذراء مريم كما ينفذ شعاع الشمس من زجاج النافذة دون أن يخدشه .**

وقد قال الآباء فى ذلك أن المسيح له المجدٍ خرج من القبر عند قيامته، والقبر مغلق وعليه الختوم (متى٢٢: ٦٤-٦٦)، ودخل العُلية بعد قيامته ، وأبوابها مغلّقة (يوحنا٢٠: ١٩، ٢٦) ، (لوقا ٢٤: ٣٦-٣٩) ، ليبرهن أيضا على أنه خرج من بطن العذراء مريم وختوم البكارة مصونة لم تخدش، كما ينفذ شعاع الشمس من الزجاج ولا يخدشه .

وقال الوحى الإلهى على فم النبى حزقيال فى نبوءته عن العذراء مريم وولادتها للمسيح له المجد " قال لى الرب : **هذا الباب يكون مُغلقاً، لايفتح**، ولايدخل منه إنسان، **لأن الرب إله إسرائيل دخل منه ، فيكون مُغلقاً** " (حزقيال٤٤: ٢) .

جاء فى صلاة القسمة التى تتلى فى القداس فى صوم الميلاد المجيد :

" أيها السيد الرب إلهنا الخالق، غير المرئى، غير المحوى، غير المتغّير، الذى لاتدرك أعماقه " .

" الذى أرسل نوره الحقيقى ، إنه الوحيد، يسوع المسيح ، الكلمة الذاتى" .

" الكائن فى حضنه الأبوى كل حين، أتى وحلّ فى الحشا البتولى غير الدنس ، **ولدته وهى عذراء ، وبكارتها مختومة ...** " .

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: " فأما السيد المسيح ابن الله، مخلصنا الذى ولد من العذراء الطاهرة مرتمريم **ولم يفك بتوليتها، لكنه دخل وخرج والباب مختوم كما قال** حزقيال النبى" (فى العظة عن دخول العذراء الهيكل) .

ويقول القديس يعقوب السروجى " دخل إلى التلاميذ والأبواب مغلّقة غير مفتوحة، ليريهم أنه **لما خرج لم يحل البتولية** ، دخل العُلية كما خرج من البطن لكى لايتعبوا بالفحص كيف ولد ... صور الحكيم الأبواب المغلّقة ببتولية أمه، وعلّمهم بالقريبات البعيدات .. نظر التلاميذ البتولية المختومة بالأبواب المُغلّقة **لأنه لم يفتح لما دخل، ولا أباد ختوم البتولية لما خرج** ... حلّ فى العُلية والمتاريس مغلّقة عند التلاميذ **وخرج من البطن وخواتم البتولية مختومة، خرج من البطن جسدانياً وهى مختومة**، وإن تطلب منى لم أعرف أن أفسر لك هذا أيضا، دخل العُلية المغلّقة..ولم يفتحها. ليس روحاً دخل من الأبواب بل جسداً وعظاماً كما اعترف هو" (فى عظة على أحد توما).

ويقول ماريعقوب السروجى : " إن العذراء مريم ولدت مولودها العجيب وهى بتول ، بنوع يفوق الناموس الطبيعى ، وبشكل لا تستطيع الكلمة وصفه .. إن الطبيعة قهرت بهذه الولادة، ووقفت عن بعد حائرة مذهولة، إذ ليس بحسب الطبيعة ولد لعذراء. فمتى ولدت عذراء فمولودها هو الإله . ذلك **أن الله وحده يستطيع أن يلج العناصر الصماء وهى مغلقة، ولا يحتاج إلى فتح الباب متى دخل، ولا إلى ترك أثر متى خرج . هكذا دخل الله إلى العالم من باب مغلق أى بواسطة عذراء مختومة** . وظهر فى الجسد ولايبحث أمره " (رسالته فى الإيمان) . وقال فى رسالته إلى رؤساء الأديار القسوس مار انطيوخ وصحبه: " فإن الذين ضلّوا ... يقولون أن مريم لم تلبث بكرا بعد ولادتها دون أن يتبصروا رؤيا حزقيال (النبى) الذى تحدث بجلاء عن أمر الفتاة، مشبهاً إياها بالباب المغلق ... **وبديهى أن الله لا يحتاج إلى فتح الباب عند خروجه.** ولأجل هذا فإن الأشقياء لايصدقون أن الباب ظل مُغلقاً، إذ لايؤمنون بأن الذى خرج منه هو الله نفسه . **وكل من آمن بأنه الله ، آمن أيضا بأنه خرج إلى العالم حين جاء إلى العالم، من باب مغلق لم يفتح**" . وقال فى رسالته إلى أوطيخين أسقف

دارا : " تجسد ابن الله من العذراء ... **وظلت العذراء ببتوليتها كنبوءة حزقيال"** . وقال فى رسالته إلى القوميس قورا: " الإله صار إنساناً وظل إلهاً . **وولدته البتول وظلت بتولا** " . لذلك تعرف مريم بأنها بتول حقاً وأم حقاً، وليست إثنتين .. لكنها واحدة ، أى أنها أم وبتول معا " (انظر كتاب " هبة الإيمان" أو البلقان ماريعقوب السروجى أسقف بطنان– تأليف البطريرك إغناطيوس يعقوب الثالث، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق– ١١٧١ صفحة ٥٨ – ٦٠) .

وجاء فى ميمر للقديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم فى القرن الثالث (٣١٥ – نحو ٣٨٦) أنه " عندما شعرت العذراء بقرب وضع الجنين حالاً، أخبرت يوسف ، فأسرع إلى البلدة ليستحضر قابلة لمساعدتها ... ولما وصلا المغارة ودخلا فيها وجدا أن العذراء ترضع إبنها الحبيب ... وسألتها القابلة بقولها : " يا أيتها السيدة ألم ينزل الخلاص (المشيمة) المعتاد للنساء؟ فلم تجاوبها قط ، بل ظلت ساكتة ترضع الطفل. فوضعت القابلة يدها لتنظر، **فلم تجد سوى عذراء بكر بتول كما هى** ، فتعجبت تلك المرأة وتركتها . وقامت مسرعة لتدخل بيت لحم، وقد صادفتها سالومة القابلة الشهيرة، فقصت عليها الخبر من أوله . فقالت : إنى فى شك وعدم تصديق لذلك الخبر الغريب حتى أتوجه وانظر بعينى . وقد كان . وعادتا الإثنتان مسرعتين وبوصولهما نظرت سالومة الطفل وأمه ، وقد تهورت بجسارة ، ومدت يدها تريد أن تكشف العذراء، فوقفت يدها ونشف دمها ، وصارت تستغيث ، وصرخت بصوت عظيم، وقالت : يا إلهى ، ذنبى عظيم، اغفر لى. وسجدت أمام الطفل ، ووضعت يدها عليه ، فشفيت فى الحال ". (عن كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء، على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية) .

١٤- ولدته وبكارتها مختومـــة

سؤال : من أحد القراء .

كيف ولدت السيدة العذراء السيد المسيح وبتوليتها مختومة، رغم العوامل الطبيعية التى تسبق الولادة ؟

وهل يصدق القول أنها ولدته من جنبها ؟

الجواب : تلك معجزة يصعب تفسيرها بمنطق القوانين الطبيعية، وهى البرهان على أن المولود من العذراء مريم لم يكن إنساناً . إنها واقعة لم يحدث لها نظير من قبل ولم تتكرر، ولن تتكرر .

وقد قال آباء الكنيسة فى ذلك إن المسيح عندما قام من بين الأموات خرج من القبر وهو مغلق، وكذلك دخل إلى العلية وأبوابها مغلّقة (يوحنا٢٠: ١٩) ليثبت أنه **خرج من بطن العذراء وختوم البكارة مصونة .**

إن المعروف بالنسبة لكل عذراء أنها إذا ولدت فلا بد أن تزول بكارتها بفعل الجنين عند نزوله من رحمها . أما العذراء مريم فهى وحدها من بين جميع العذارى التى ولدت رب المجد يسوع المسيح ، ولم يخدش بنزوله منها بكارتها، **وذلك مرده إلى قدرة لاهوته المتحد بناسوته، لأن المولود لم يكن مجرد إنسان، بل كان كلمة الله المتجسد** ، (يوحنا١: ١٤) **الله الظاهر فى الجسد** " (١.تيموثيئوس٣: ١٦) .

ولقد قال الرب بفم حزقيال النبى " هذا الباب يكون مغلقاً، لا يفتح، ولا يدخل منه إنسان، **لأن الرب إله إسرائيل دخل منه، فيكون مغلقاً** " (حزقيال٤٤: ٢) . وقال آباء الكنيسة إن هذه النبوءة قيلت عن العذراء مريم ، التى خرج الرب يسوع منها، طفلا ، ولم يثلم بكارتها ولم يجرح علامة عفتها .

وقد جاء فى صلاة القسمة التى تتلى فى القداس فى صوم الميلاد المجيد :

" أيها السيد الرب إلهنا الخالق، غير المرئى ، وغير المحوى ، غير المتغير ، الذى لا تدرك أعماقه .

" الذى أرسل **نوره الحقيقى، إبنه الوحيد ، يسوع المسيح ، الكلمة الذاتى .**

" **الكائن فى حضنه الأبوى كل حين، أتى وحل فى الحشا البتولى غير الدنس** ، ولدته وهى عذراء **وبكارتها** مختومة .. " .

هذا وتؤكد مصادرنا الكنسية أن ولادة العذراء مريم للسيد المسيح كانت ولادة طبيعية، بمعنى أنها ولدته بالمخاض والطلق، وإن كان من غير ألم .

قال القديس أثناسيوس الرسولى عن ولادة العذراء للمسيح، أنها " ولادة بلا دنس، طلقة بلا وجع ".. (إعترافات الآباء . مخطوط رقم ٦٠/ لاهوت ، ورقة رقم ٣٣ بدير العذراء بالمحرق) .

وجاء فى ميمر للقديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم فى القرن الثالث (٣١٥ – نحو ٣٨٦) أنه عندما " شعرت العذراء بقرب وضع الجنين حالاً، أخبرت يوسف، فأسرع إلى البلدة ليستحضر قابلة لمساعدتها ... ولما وصلا المغارة ودخلا فيها وجدا أن العذراء ترضع إبنها الحبيب، ولم تظهر عليها أدنى علامة ولا تعب كبقية النساء ، حتى تعجبت تلك القابلة من هذا المنظر ... وسألتها بقولها : يا أيتها السيدة : ألم ينزل الخلاص (المشيمة) المعتاد للنساء فلم تجاوبها قط ، بل ظلت ساكتة ترضع الطفل . فوضعت القابلة يدها لتنظر، فلم تجد سوى عذراء بكر بتول كما هى، فتعجبت تلك المرأة وتركتها . وقامت مسرعة لتدخل بيت لحم ، وقد صادفتها سالومة القابلة الشهيرة، فقصت عليها الخبر من أوله . فقالت أنى فى شك وعدم تصديق لذلك الخبر الغريب حتى أتوجه وأنظر بعينيٍّ . وقد كان . وعادت الإثنتان مسرعتين وبوصولهما نظرت سالومه الطفل وأمه، وقد تهورت بجسارة، ومدت يدها تريد أن تكشف العذراء، فوقفت يدها ، ونشف دمها ، وصارت تستغيث ، وصرخت بصوت عظيم ، وقالت : يا إلهى، ذنبى عظيم . اغفر لى . **وسجدت أمام الطفل، ووضعت يدها عليه فشفيت فى الحال** .. " (عن كتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء، على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية) .

ولعل هذا مصداق ما قاله الوحى الإلهى بفم إشعياء النبى :

" قبل أن يأخذها الطلق ولدت . قبل أن يأتى عليها المخاض ولدت ذكراً " (إشعياء ٦٦ : ٧) .

١٥- هل غُفرت الخطيئة الجِّدية لمريم العذراء قبل صلب المسيح ؟

سؤال : من أحد الحضور فى الكنيسة .

هل غفرت الخطيئة الجدية لمريم العذراء قبل الصليب ؟

الجواب : كلا البتة . إن مريم العذراء كانت فى حاجة إلى الخلاص من الخطيئة الجِّدية، شأنها فى ذلك شأن جميع الناس من بنى آدم وحواء، ذلك لأنها ولدت بحسب الطبيعة من أب وأم، رجل وامرأة، فكان لابدّ لها من أن ترث حالة الخطيئة الأصلية التى صار فيها آدم وحواء نتيجة مخالفتها للوصية الإلهية بالأكل من الشجرة المنهى عنها، " لأن أجرة الخطيئة هى الموت " (رومية٦: ٢٣)، (التكوين٢: ١٧)، (يعقوب١: ١٥) .

ولما كان دم آدم قد تلوث بالخطيئة، ولما كان آدم لم يلد أولاداً إلاّ بعد أن تلوث بالخطيئة، فكان طبيعياً أن يرث أولاده من دمه لوثة الخطيئة، فيتلوثوا بها إذ أنه " قد صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض كلها " (أعمال الرسل ١٧: ٢٦) . ولما كان كل إنسان يخلق من دم آدم الذى يصل إليه من والده بالزواج، فكان لابدّ أن تصل لوثة الخطيئة الأصلية إلى كل إنسان من خلال دم والده طالما أنه يولد بحسب الطبيعة من رجل وامرأة . وهذا مايعرف بإنتشار الخطيئة الأصلية، قال الكتاب المقدس " بإنسان واحد (وهو آدم) دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة (دخل) الموت . وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم أخطأوا فيه " (رومية٥: ١٢) ، (التكوين٣: ٦) ، (١. كورنثوس ١٥: ٢١) . ومعنى إجتاز الموت إلى جميع الناس، أن الموت – بمعنييه الأبدى والزمنى – قد سرى إلى جميع الجنس البشرى من خلال الدم الملوث بالخطيئة الأصلية والذى تلوث أولا فى آدم، ثم انتقل إلى كل ذرية آدم بالزواج . ولهذا قال النبى داؤد " ها أنذا بالإثم حبل بى ، وبالخطيئة اشتهتنى أمى" (مزمور٥٠: ٥) ، وجاء فى سفر المزامير أيضا " زاغ الخطاة من الرحم، ضلّوا من البطن" (مزمور٥٧: ٣) . وجاء فى سفر إشعياء " ومن البطن سميت عاصياً " (إشعياء ٤٨: ٨) . ويقول العلامة القديس ديديموس الضرير رئيس مدرسة الأسكندرية اللاهوتية فى القرن الرابع (٣١٣- ٣٩٨) " إن خطيئة الأبوين الأولين هى الخطيئة

القديمة التى طهرنا منها يسوع المسيح فى معموديته " (فى الثالوث ٢: ١٢) " إن جميع أولاد آدم قد ورثوها، وقد إنتقلت إليهم بالخلفة (أى بالتوالد) عن طريق المعاشرة الجنسية بين الوالدين وهذا هو السبب فى أن المسيح ولد من عذراء "(فى الرد على المانويين : ٨).

ولهذا السبب ولد المسيح من عذراء لم تعرف رجلاً . فإن الجسد الذى اتخذه الله الكلمة من مريم واتحد به، لم يختلط به زرع رجل ، وإنما تَكوّن بالروح القدس، ولهذا لم يرث المسيح لوثة الخطيئة الأصلية ، لأن الجسد الذى اتخذه لم يأت من دم رجل، فلم تنتقل إليه لوثة الخطيئة الأصلية .

وعلى ذلك فالمسيح، والمسيح وحده ، هو الذى حبل به من غير دنس .

أما العذراء القديسة مريم فقد إنتقلت إليها لوثة الخطيئة الأصلية لأنها ولدت ثمرة لزواج والديها يواقيم وحَنّة .

من ثّم فإن العذراء مريم كانت فى حاجة إلى الخلاص من لوثة الخطيئة الأصلية بدم الفادى الوحيد، والمخلّص يسوع المسيح " لأنه ليس بأحد غيره الخلاص" (أعمال الرسل٤: ١٢)، (١٠ :٤٣) ، (متى١: ٢١)، (١. تيموثيئوس٢: ٥، ٦) .

ولهذا جهرت العذراء الطاهرة بهذه الحقيقة فى تسبحتها التى فاهت بها قائلة " تعظم نفسى الرب، وتبتهج روحى بالله مخلّصي" (لوقا١: ٤٦، ٤٧) .

ولو كان ممكناً أن العذراء مريم تغفر خطيئتها الأصلية التى وصلت إليها من أبويها، قبل الصليب، لكان معنى هذا أن صلب المسيح لم يكن ضرورياً للخلاص. فإذا لم يكن صلب المسيح ضرورة للخلاص، فلا يكون لمجيئه وتجسده معنى، بينما أنه له المجد قال أنه جاء ليُخلّص العالم (متى١: ٢١) ، (يوحنا٣: ١٧) ، (١٢: ٢٧، ٤٧) ، (١. يوحنا ٤: ١٤)، فقد أتى ليخلص من وما قد هلك (متى١٨: ١١) ، (لوقا٩: ٥٦)، (١٩: ١٠)، (أعمال٤: ١٢)، (١٣: ٢٣) ، (١. تيموثيئوس ١: ١٥) ، (العبرانيين ٩: ٢٦) ، (١. يوحنا٣: ٥) .

فالعذراء الطاهرة مريم، نالت الخلاص من الخطيئة الأصلية ، بموت المسيح بدلا من الإنسان ، شأنها شأن كل من ولد من آدم .

١٦- هل العذراء ولدت بلا خطيئة ؟

سؤال : للراهبات الكاثوليك وطالبة قبطية أرثوذكسية ، قالت الرئيس : أن العذراء ولدت بلا خطيئة، ولذلك إستأهلت أن يولد منها رب المجد . أما الطالبة فقد إعترضت على هذا الرأى، وقالت إن العذراء ولدت بالخطيئة كأى بشر، ولكن أعوز الطالبة الأدلة على رأيها، ونظراً لصعوبة الموضوع ودقته ألتمس شرحه مع الشكر .

الجواب : لو قلنا أن العذراء مريم ولدت بلا خطيئة ، لصلحت بهذا على أن تكون مخلِّصة للعالم ، لأن الضرورة التى اقتضت أن الرب نفسه ينزل إلى الأرض هى أن يفدى البشر ، لأنه لم يوجد بين البشر من يمكنه أن يكون الفادى ، لأن جميع البشر أخطأوا وأعوزهم مجد الله . إذن لا إستثناء فى هذه القاعدة " أن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله " . والعذراء نفسها تقول : تبتهج روحى بإلهى مخلصى، فالعذراء تحتاج إلى الخلاص وتحتاج إلى المخلِّص، ولو وجد بين البشر إنسان بلا خطيئة، لما كان هناك داع للرب نفسه، أن يجعل هذه المشقة ويأخذ صورة الإنسان ويقبل المهانة ويموت عن الإنسان، فالعذراء نفسها كأى إنسان آخر فى حاجة إلى الخلاص ، لأنها ولدت بالخطيئة ، ألم تولد العذراء مريم من رجل وأمرأة ؟! المسيح وحده الذى لم يولد من رجل وامرأة ، إنما العذراء ولدت من رجل وإمرأة، فكان لابد أن تكون وريثة للخطيئة الأصلية التى تصل إلينا عن طريق الأب والأم، " بالآثام حبل بى وبالخطيئة إشتهتنى أمى" ولا يوجد نص واحد فى الكتاب المقدس يظهر منه أن العذراء ولدت بغير خطيئة، من أين جاء هذا التعليم ؟ من الذى قال هذا؟ وعلى أى سند يستند الناس أو تستند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى هذا التعليم أن العذراء ولدت بغير خطيئة ؟ من قال هذا ؟ أى نص فى العهد القديم أو فى العهد الجديد يستفاد منه هذا ؟ ولو كان هذا صحيحاً لأردنا أن نعرف لماذا؟ لماذا العذراء بالذات ولدت بغير خطيئة ؟ ولماذا أيضا لا يكون غير العذراء ولد بغير خطيئة ؟ وإذن يكون المسيح جاء بغير سبب ولا داعى لمجيئه ، إذا وجد بين البشر ولو إنسان واحد بغير خطيئة، لكان هذا الإنسان الواحد يصلح لعمل الفداء، ولا داعى بتاتا لمجىء المسيح. والكتاب يقول بصريح العبارة " ليس بأحد غيره الخلاص " المسيح وحده هو المخلص ولا يوجد شريك له فى هذا الأمر، يؤسفنا أن نقول أن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية إخترعت هذا التعليم فى

سنة ١٨٤٩، بناءً على رؤيا رأتها طفلة فى سن الثالثة عشر من عمرها اسمها برناديت، وكانت هذه الطفلة مريضة فى المنطقة التى تسمى لورد بفرنسا، رأت هذه الطفلة المريضة العذراء ظهرت لها وشفتها من مرضها ، وبحسبما ورد فى الكتب الكاثوليكية عن هذه الرؤيا التى رأتها برناديت تقول : أن العذراء قالت لها " أنا الحبل بلا دنس "، لاحظوا هذا التعبير لأنه هو الذى بنوا عليه فكرة أن العذراء حُبل بها بلا دنس ، أولا : لايصح أن يُبنى تعليم على حلم أو على رؤيا، أى إن كانت هذه الرؤيا وإن كان هذا الحلم ضد تعليم الكنيسة فليرفض ، قال الرسول فى رسالته إلى غلاطيـــة " إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما، كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما " (غل١: ٨، ٩) فالرسول بمنتهى الحرص والحفظ والقوة والحدة والحزم يقول إن أتيناكم نحن الرسل مرة أخرى أو إن أتى ملاك من السماء وبشركم بغير التبشير والتعليم الذى قبلتموه لأول مرة، فليكن هذا الملاك أناثيما، وليكن هذا الرسول أناثيما، ليكن محروما، فنحن لا نبنى عقيدتنا أبداً على حلم أو رؤيا رأتها فتاة أو غير فتاة ، حتى لو كان رسولاً أو لو كان ملاكاً من السماء وأتانا بتعليم غير التعليم المقرر فى الكتب المقدسة، والذى تسلمته الكنيسة ، لايمكن أن يقبل من هذا الرسول ، ولا من هذا الملاك بل ليكـــن محروماً. هكذا تشدد الكتب المقدسة والمسيح له المجد، فى سفر الرؤيا يقول " إن كان أحد يزيد – على الكلمات المكتوبة فى – هذا الكتاب يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب، وإن كان يحذف .... يحذف الله نصيبه من سفر الحياة " (رؤ٢٢: ١٨، ١٩) ، هكذا يبلغ تشديد الكتب المقدسة، فى أننا لا نضيف ولا نحذف شيئا، من التعليم الذى تقبلناه، أولاً من الكنيسة ومن الآباء الرسل ومن المعتمدين فى الكنيسة، فإذا جاءت طفلة فى القرن التاسع عشر وتكلمت بكلام، أيليق أن كنيسة رسولية تعتمد على كلام طفلة، لتقرر تعليماً جديداً يعتمده بابا روما، ويصدر به وثيقة رسمية فى سنة ١٨٤٩!، ليقرر أن العذراء حبل بها بلا دنس، هذا كلام لايمكن أن يُقبل، ثم العبارة نفسها كما ترويها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وعملوا بها فيلم سينمائى، تقول أن العذراء قالت لها أنا الحبل بلا دنس، ولماذا لا تفهم ببساطة هذه العبارة " أنا التى حبلت بالمسيح بغير دنس " فيكون المسيح هو الذى حبل به بغير دنس وليس العذراء، العذراء حبلت بالمسيح بغير دنس فيكون المسيح وحده الذى حبل به بغير دنس . نفس التعبير الذى قالته برناديت الموجود فى كتب الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وفى نفس الفيلم الذى عملوه لهذه الحادثة تقول ، أنا الحبل بلا دنس ، أى أنا التى حبلت بالمسيح بلا

دنس، وهذا ماحدث فعلا وهذا ما يتفق مع إيماننا، أن العذراء حبلت بالمسيح بغير دنس، لأن الروح القدس حل عليها وطهر أحشائها فلم يكن فى دمها دنس أخذه المسيح منها، ولذلك قالت حبل به بغير دنس ولم يرث الخطيئة الأصلية كما يرثها أى إنسان آخر، وهنا أهمية تمسكنا بالتعليم السليم، فالفرق ضخم جدا ، إما أن يكون المسيح هو الفادى وحده ، أو أن يكون أى أحد آخر، هذا هو الفرق الضخم جدا وهى مسألة تتصل بقضية الفداء نفسها. وهذا هو الخطر على التعليم ، وهذا هو السبب أننا نرفض رفضاً باتاً أن يكون العذراء حبل بها بغير دنس، لأن هذا يمس قضية الفداء، ويمس مركز المسيح الفادى، لأنه وحده الفادى وليس بأحد غيره الخلاص ، هذا كلام الكتاب نفسه، وأيضا كلام الكتاب " الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله " .

١٧- العذراء تطهرت بدم المسيح

سؤال : هل السيدة العذراء مريم تطهرت بالروح القدس أم بدم المسيح، وهل كان الروح القدس كافياً لتطهيرها دون دم المسيح ؟

الجواب : ما معنى أن القديسة مريم تطهرت بالروح القدس، أولاً كلمة تطهرت صاحب السؤال كوّنها من نفسه، لايوجد تعبير فى الإنجيل يقول أن العذراء تطهرت بالروح القدس. الملاك قال لها الروح القدس يحل عليك، إنما كلمة تطهرت هذا تعبير زائد، الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، لماذا يحل عليها؟ لأن المسيح له المجد اتخذ له من العذراء جسداً اتحد به، اللاهوت اتحد بالجسد أو بالناسوت المتكون من العذراء مريم. أى امرأة تلد لابد أولاً من زرع رجل، أما بالنسبة للعذراء لم يكن هناك زرع رجل، إذن كيف يتكّون جسد للمسيح من دمها، الروح القدس هو الذى أعد من دم العذراء الجسد لأنه لايوجد زرع رجل ، ما معنى الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، هذا الكلام كان إجابة على السؤال الذى وجهته العذراء للملاك عندما قال

لها " ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع " قالت له: " كيف يكون لى هذا وأنـــــا لا أعرف رجلاً "، فجاوبها لكى يحل المشكلة التى فى ذهنها فقال: " الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله " ، فهذه إجابة على سؤال العذراء.

أما التطهير كان بدم المسيح، لأن العذراء لايمكن أن تخلص بغير دم المسيح، لأنه لو خلصت العذراء من غير دم المسيح، يكون المسيح أتى بغير داع، فإذا كان من الممكن أن أحد يخلص من غير دم المسيح يكون المسيح جاء بلا سبب، ثم لماذا تستثنى العذراء؟ آدم، إبراهيم ، اسحق ، يعقوب، موسى، صموئيل، وداود كل هؤلاء استمروا منتظرين يوم الخلاص، لم يستطع أحداً منهم أن يخلص، لأن المسيح لم يكن قد جاء بعد، فكيف تخلص العذراء من غير دم المسيح، مستحيل، الكتاب المقدس يقول : " ليس بأحد غيره الخلاص" (سفر الأعمال١٢: ٤) ، وطبعا بدم المسيح كما قال الرســـول : " كنيسة الله التى إقتناها بدمه "، فكان لابد من دم المسيح لكى تخلص العذراء، وتخلص من ماذا ؟ تخلص من خطيئتها الجدية، فضلا عن الخطايا الفعلية التى كإنسانة لابد أن يكون لها أخطاء فعلية، لأنها ولدت من أب ومن أم فلوثة الخطيئة إنتقلت فى الدم إليها، يقول الكتاب المقدس" " بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم أخطأوا فيه وهو آدم" فمن دم واحد الله خلق الخليقة كلها . فما دام مريم العذراء جاءت حلقة فى السلسلة الطويلة، وجاءت من أب ومن أم، بالآثام حبل بى وبالخطايا أشتهتنى أمى" ويقول النبى إشعياء : ومن البطن سميت عاصيا " (إش ٤٨: ٨) .

المسيح وحده هو الذى حبل به بغير دنس الخطيئة لأنه ولد من عذراء ولم يولد من زرع رجل، وهذا هو السبب لماذا أتى المسيح من عذراء؟ حتى لايرث الخطيئة الأصلية .

فإذن العذراء كأى واحد من القديسين أو القديسات خلصت بدم المسيح ، ولذلك العذراء حبل بها بدنس الخطيئة الأصلية من أب ومن أم، المسيح وحده هو الذى حبل به بغير دنس الخطيئة .

١٨- جسد العذراء فى السماء (١)

سؤال : مافائدة جسد العذراء فى السماء ؟

الجواب : الحقيقة هذا نوع من أنواع التكريم ، فبدلا من أن يكون جسد العذراء فى موضع مهانة، فالله رفعه فوق لكى يكون فى موضع الكرامة بدلا من أن يهان . وهذا فى نفس الوقت يكشف عن نظرة الأرثوذكسية لأجساد القديسين . إن أجساد القديسين يجب أن تُكرم ، لأن هذا الجسد حمل الروح فى رحلتها على الأرض ، كان مسكِن لروح الإنسان ، فما صنعه من الخير صنعه بالروح والجسد معاً ، من هنا نحن نكرم أجساد القديسين ولا نهينها. هناك بعض الناس يحرقوا الأجساد كما فى الهند وفى بعض البلاد مثل أيرلاندا الشمالية .

نحن وجميع الكنائس الأرثوذكسية الأخرى والكاثوليكية أيضا، لا تقر أبدا حرق الجثث لأن هذه إهانة لهذه الأجساد ، وأننا يجب أن ننظر إلى أجساد القديسين نظرة إحترام ، هى كنز لأن أعماله الصالحة يحملها هذا الجسد ، لأن أعماله وأفكاره وعواطفه ومشاعره المقدسة مطبوعة على هذا الجسد، كما قال بولس الرسول " أنا حامل فى جسدى سمات الرب يسوع " . فالجسد يحمل كل شىء ويسجل كل شىء، قد تسمعوا أنه عندما يفتحوا مخ الإنسان، يقدروا أن يعرفوا مخ العالِم من مخ الجاهل عن طريق التجاعيد ، لأن كل الخبرات تطبع على هذا المخ، وأيضاً على هذه اليد وأيضا على هذه العظام، كل حياة الإنسان وكل عواطفه ومشاعره، فاليد اليوم غيرها بالأمس، كل شىء يعمله الإنسان أو يفكر فيه، حتى عواطفه أو مشاعره كلها تطبع على جسده . ولذلك سيدنا له المجد يقول فى سفر الرؤيا " رأيت عرشا عظيماً أبيض... ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله، وانفتحت أسفار... ودين الأموات بما هو مكتوب فى الأسفار" (رؤ٢٠: ١١، ١٢)، ما هذه الأسفار ؟ كل واحد فينا يحمل سفراً، والسفر ليس هو مجرد كتاب أو ورقة ، نحن فى غير حاجة إلى هذا ، هذا الجسد كل شىء مطبوع عليه ، وكل شىء مكتوب فيه ، كل أعمال الإنسان تطبع فى هذا الجسد ، مثل الريكوردر بالضبط ، عندما يقول المسيح " كل كلمة يتكلم بها الإنسان يعطى عنها

---

(١) محاضرة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل – شارونة – مغاغة مساء السبت ١٢ من ديسمبر ١٩٨٧م – ٢ من كيهك ١٧٠٤ ش .

حساباً يوم الدين "، يعنى أن الكلام لايضيع ولكن يحفظ ، ولذلك نقول أنه لابد أننا جميعا نقف أمام كرسيه للقضاء ، لينال كل واحد بحسب ماصنع فى الجسد ، ولماذا أرجىء الدينونة إلى مابعد القيامة ؟ لأن الناس الذين خرجوا من الجسد هم الآن أرواح فقط، والجسد تركوه فى القبور، فالجزاء مرجىء إلى مابعد القيامة ، لماذا ؟ لأن الإنسان صنع الخير بالروح والجسد معا ، وصنع الشر بالروح والجسد معا ، فلا دينونة ولاحساب للروح وحدها ، فلابد أن تلبس الجسد وتقف أمام الله ، لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسيه للقضاء لينال كل واحد بحسب ما صنع . سيدنا يقول: " تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات..." إذن الجسد الذى أودع فى القبر هو بعينه الذى يخرج، لكى يلبس الروح ويقف الإنسان روحاً وجسداً أمام الله، مايزرعه الإنسان إياه يحصد أيضا، هذا هو السبب لماذا الدينونة والحساب بعد القيامة ؟ لأن هذا الجسد المطبوع عليه أعمال الإنسان وأفكاره وعواطفه، ينال الجزاء سواء كان الجزاء الصالح أو العقاب، لأنه زامل الروح ، كان زميلاً لها ، كان مسكنا لها ، تركت أعماله بصمات على هذا الجسد ، " أنا حامل فى جسدي سمات الرب يسوع " .

لذلك نحن نُكَرم أجساد القديسين، ونُقّبل أجساد القديسين، نُقَبل التابوت الذى لهم لأن هذا الجسد كان مسكن للروح، ومسكن لهذا الإنسان فكيف نهينه .

فهنا جسد الست العذراء شاء الله بدلا أن يهان ، هذا الجسد الذى أصبح سماء ثانية للمسيح ، أراد الله أن يُكرِّمه بأن يرفعه إلى السماء وأُصعد . جسد العذراء هو الوحيد بين أجساد القديسين، الذى نال هذا الشرف أنه أُصعد إلى السماء على أجنحة الملائكة وأجنحة رؤساء الملائكة . لا يوجد أحد من القديسين أُصعد جسده ، سيدنا صعد بجسده لأنه هو المسيح ، هو الله الظاهر فى الجسد . إنما بين جميع القديسين العذراء فقط هى التى أُصعد جسدها على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة، كما روى لنا القديس توما الرسول .

يقول مافائدة جسد العذراء ؟

فائدته لمن ؟ هذا جسدها وفى يوم الجزاء الأخروى، سيكون موضع أيضا للتكريم، الكرامة الكاملة بعد يوم الدينونة وبعد يوم الحساب، لأنه لم يدخل أحد من القديسين إلى السماء العليا ، يوم الدينونة يقول "تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعد..." ، الملكوت مُعّد لكن لم يدخل إليه أحد .

١٩- العذراء والأجبية[١]

سؤال: ماهى ضرورة صلاة الأجبية، ولماذا نكرر ذكر السيدة العذراء فيها؟ وهل هى باب السماء، وسور خلاصنا، والكرمة الحقيقية، رغم أن السيد المسيح هــو الكرمة ؟

الجواب : صلاة الأجبية عبارة عن المزامير، ومضاف إليها القطع، وهذا تقليد قديم جاءنا حتى من الكنيسة اليهودية ، ففكرة سبع صلوات هذا ترتيب قديم جداً، أشار إليه داود النبى. بقوله "سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك" . ولكن نحن فى الكنيسة المسيحية، الأوقات السبعة مرتبة على أساس أعمال الخلاص المسيحى، فصلاة باكر تشير أو تعّين الساعة التى قام فيها المسيح من بين الأموات ، والساعة الثالثة (٩ صباحا) هى الساعة التى حُكِم فيها على المسيح بالصلب ، والساعة السادسة هى التى عُلق فيها المسيح على الصليب ، والساعة التاسعة هى التى فيها أسلم الروح، والساعة الحادية عشر هى التى فيها المسيح أُنزل من على الصليب، وهى فى نفس الوقت ساعة غروب الشمس ، والساعة الثانية عشرة هى التى دفن فيها المسيح فى القبر، وفى نفس الوقت هى نهاية اليوم ، ونصف الليل تمثل سيدنا عندما كان فى بستان جثسيمانى وصلى ٣ مرات، لذلك صلاة نصف الليل لها ٣ خدمات، الخدمة الأولى والخدمة الثانية والخدمة الثالثة، وهى تمثل الثلاث صلوات التى عملها المسيح فى بستان جثسيمانى . فصلوات الأجبية مرتبة حسب الكتاب المقدس كما أشار داود النبى " سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك " . الأمر الثانى أنها مرتبة حسب المناسبات السبعة للسيد المسيح لتحقيقه الخلاص .

فنحن فيما نصلى هذه الصلوات نذكر المعانى ونذكر الأوقات التى تمثلها هذه الساعات ، فلماذا نهرب منها ، وهى كلها عبارة عن مزامير، ثم قطع مناسبة جدا بمعانيها ، وممكن أن تضيف إليها صلوات أخرى ، وإخواننا الرهبان خصوصا الموجودين بالأديرة لا تكفيهم مزامير الساعات ، فيضيفوا صلوات أخرى وطلبات أخرى هم فى حاجة إليها ، وأحيانا نفس المزمور يثير فيه معانى فتجده يسرح فى أشياء أخرى فى نفس المزمور وهى الحاجات التى هو يريدها .

---

(١) محاضرة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل – شارونة – مغاغة مساء السبت ١٢ من ديسمبر ١٩٨٧م – ٢ من كيهك ١٧٠٤ ش .

فصلوات الأجبية نموذج للصلاة، وأيضا يظهر فيها أنها تمثل فعلاً كل ماتحتاجه النفس البشرية، فأنت عندما تتأمل صلوات الأجبية تجد فيها كل ماتريده ، كل ماتريده النفس البشرية موجود ، وخصوصا أيضا فى التحليل وهى الصلاة الأخيرة لكل صلاة، تجد فيها معانى جميلة جدا . فهذه لفائدتنا، لو كانت صلوات الأجبية غير موجودة، لكانت الناس طلبت من الكنيسة أن تعلّمهم الصلاة، التلاميذ قالوا للمسيح علمنا أن نصلى ، هم كانوا يصلوا قبل ذلك ، لكن محتاجين صلاة نموذجية ، فعلمهم الصلاة وخصوصا الصلاة الربانية . فبدلاً أن تقول أنا أريد أن أتعلم الصلاة، تعطيك الكنيسة كتاب تصلى به وتأخذ المعانى الجميلة الموجودة فيه، وفى الوقت نفسه هذا لا يغلق الباب أمامك عندما تحب أن تصلى صلوات إضافية حسب الوقت، الرهبان عندهم وقت أطول، صلاة باكر مثلا ١٩ مزمور والصلوات الأخرى كل واحدة ١٢مزمور، فصلوات الأجبية فيها ٧٢ مزمور، إنما بعض النساك لأن عندهم وقت، ولأنه عابد ومتعبد فلا يكتفى بـــ ٧٢ مزمور ولكن يصلى الـــ ١٥٠ مزمور .

هل العذراء هى باب السماء ؟

نعم .. ماذا تعنى باب السماء" ، المسيح عندما نزل دخل إلى العالم ، يقول: " متى أُدخل البكر إلى العالم " فيعتبر التجسد دخول إلى العالم ، فدخل عن طريق العذراء ، والعذراء من هذا المعنى تشير إلى باب السماء، ولهذا السبب فى التسبحة نقول: " النور أشرق من مريم "، النور هو المسيح ، وعندما نقول العذراء أم النور، من النور؟ النور هو المسيح . فهى أم النور، فالنور أشرق من مريم ، فهى باب السماء بهذا المعنى، وأيضا لها معنى آخر باب السماء على أساس أننا محتاجين إلى شفاعتها وإلى صلواتها التى تقربنا إلى الله .

وسور خلاصنا .. ماذا تعنى سور خلاصنا ؟

السور هو دائما الذى يحمينا لكى يمنع من تهدم المبنى أو إعتداءات الآخرين ، فنحن لأننا نؤمن أن العذراء مريم لها معونات ولها كرامات، فنستعين بها ولذلك نقول فى صلاة الغروب للسيدة العذراء نستغيث بها "عند مفارقة روحى من جسدى احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء اهزمى، ولأبواب الجحيم اغلقى" لأن الإنسان فى اللحظات الأخيرة الشيطان يريد أن يعاكسه ويأخذ روحه لأنه رئيس هذا العالم ، فيفتح الشيطان أبواب الجحيم يريد أن يأخذ الإنسان، فنحن نستغيث بالعذراء ونقول لها "عند مفارقة روحى من جسدى احضرى عندى ولمؤامرة الأعداء اهزمى ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى ياعروس بلا عيب للختن الحقيقى" .

فهنا كلمة سور خلاصنا ، السور الذى يحيط بالبيت لكى يحميه من الإعتداءات، كما أننا نعتبر صلوات العذراء ودالتها ومركزها عند الله سور يحمى خلاصنا ، لأن خلاصنا ممكن أن يتهدد بعوامل معينة، ويجعلنا نفقد خلاصنا فنحن نستعين بالعذراء لكى تحمينا وتحمى خلاصنا من أن ينهار أو يضيع .

الكرمة الحقيقية رغم أن المسيح هو الكرمة :

المسيح قال أنا الكرمة وأنتم الأغصان هذا من ناحية، لكن ممكن أن تعتبر العذراء كرمة لأن ثمرها هو المسيح، أنت عنقود الحياة ، هذا كنوع من أنواع إظهار من هو المسيح . فهنا لا تعارض، ولا تعطى معنى مختلف ، المسيح الكرمة عندما نتكلم عن علاقة الكرمة بالأغصان، لكن تعتبر العذراء الكرمة أيضا من حيث أنها حملت بالمسيح . ولكى لا يحدث خلط ولأجل عدم اللبس بين المسيح الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان، فنقول للعذراء أنت هى الكرمة الحقانية، نسبة إلى الحق لأنها خادمة الحق، ولأنها سلكت بحسب الحق، فممكن لعدم اللبس نقول أنت هى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة ، لكن لو قلنا أنها الكرمة الحقيقية أيضا ليس خطأ ، لأنه فى هذه الحالة بإعتبارها أم المسيح ، فهو عنقود الحياة ، وهى الكرمة التى حملت عنقود الحياة .

٢٠- الرؤيا الثانية لصعود جسد العذراء[١]

سؤال : الرؤيا الثانية لصعود جسد العذراء والتى رآها الرسل ماهو تفسيرها ؟ هل نزل الجسد مرة أخرى إلى الأرض ؟

الجواب: لا.. رأوها فقط ، كمنظر رأوه، هى لم تنزل على الأرض مرة أخرى، رأوا رؤيا ، مثل بطرس الرسول عندما كان يصلى وصعد فوق السطح ورأى رؤيا ، ملائة نازلة من فوق وفيها حيوانات الأرض. أو مثل بولس الرسول عندما كان فى طريقه إلى دمشق ورأى المسيح، وقال له " شاول شاول لماذا تضطهدنى" ، الفرق بين الحلم والرؤيا ، الحلم يراه الإنسان وهو نائم ، إنما الرؤيا يراها الإنسان وهو مستيقظ أو وهو يصلى، فهنا الآباء الرسل رأوا جسد العذراء فى رؤيا ، محمولة على أجنحة الملائكة .

---

(١) محاضرة بكنيسة الشهيد مارجرجس بإمبابه – الجيزة – مساء الأحد ١٤ من أغسطس ١٩٨٨م – ٨ من مسرى ١٧٠٤ ش .

٢١- نسبة قرابة العذراء لأليصابات[(١)]

سؤال : ماهى نسبة قرابة العذراء من أليصابات ؟

الجواب : لا أعلم ، فى الغالب لايوجد قرابة، لأن العذراء من سبط يهوذا " وأنت يابيت لحم أرض يهوذا ألست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل " (مت٢: ٦) أليصابات من سبط هارون " وامرأته من بنات هارون واسمها أليصابات "(لوقا١: ٥)، وفى القديم كان غير مسموح بالزواج من خارج السبط لكى يحفظوا الأنسال، ففى الغالب لا يوجد قرابة لحمية، إنما هناك الصداقة والمعرفة .

٢٢- هل النذر موجود الآن؟ [(١)]

سؤال : هل لايزال النذر إلى الآن، نذر الأبناء ؟

الجواب : من جهة النذر حتى الآن هناك أشخاص ينذروا ، ولكن لايوجد النظام القديم بأن الطفل يبقى فى الكنيسة أو فى الهيكل، فلا يوجد النظام القديم للإقامة .

----

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة الرسولين بطرس وبولس (البطرسية) بالعباسية مساء الثلاثاء ١١ من ديسمبر ١٩٩٠م – ٢ كيهك ١٧٠٧ ش .

٢٣- هل للعذراء أخت أكبر؟ [١]

سؤال : هل للسيدة العذراء أخت أكبر منها فى السن ؟

الجواب : لا .. لكن لها أخت أصغر منها ، لأنه بعد أن ولدت حنة العذراء مريم، ولدت بنت أخرى وسمتها مريم أيضا ، قالت مريم الأولى من نصيب الرب، وهذه أسميها مريم لتكون من نصيبى، وهى التى تزوجت فيما بعد حلفا أو كلوبا ، وكما يقول يوسابيوس المؤرخ الكنسى أن حلفا كان شقيق ليوسف، ولذلك يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا يُعّدوا بالنسبة للمسيح أولاد عمومة وأولاد خؤولة فى نفس الوقت ، والكتاب المقدس فى يوحنا ١٩ : ٢٥ يقول " وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا " " حلفا " الاسم الأرامى، و" كلوبا " الاسم اليونانى، إنما هو نفس الرجل الذى جاء منه يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، ويوصفوا أنهم إخوة الرب ، وهم أولاد عمومة وأولاد خؤولة، المهم مريم العذراء كان لها أخت أصغر منها .

---

(١) محاضرة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالصحفيين – الجيزة مساء الإثنين ٧ من أغسطس ١٩٨٩م – أول مسرى ١٧٠٥ ش .

٢٤- نذر بعدم أكل السمك(١)

سؤال : لقد نذرت صوم للعذراء ٢١ يوم ، وقد غُصبت أن آكل سمك فى أحـــــد السنوات ، وكنت نذرت أن لا آكل السمك فى هذا الصوم ؟ وعند أكلى فى هذه المرة شككت فما الذى أعمله ؟

الجواب : الصوم رسمياً هو ١٥ يوم، لكن هناك أشخاص ينذروا أكثر كفضيلة، كتب الكنيسة تقول الذى يصوم أكثر يكون له أجر أكبر ، فيوجد ناس تصوم أسبوع قبل صوم العذراء وناس تصوم بعده، فهذه حاجة إضافية تكون على سبيل النذر. فبالنسبة لهذا الإنسان الذى يقول اضطريت أنى آكل سمك ، وكان قد نذر أن لا يأكل سمك فهو بهذا قد كسر نذره ، ممكن أن يقول هذا للكاهن ويأخذ تأديب وهو تأديب كسر النذر، إنما عموما مفروض أن الصوم أساساً ١٥ يوم . ومن ينذر أنه يصوم زيادة ولا يصوم فيكون كسر النذر، مثل واحد ينذر أنه يقدم خروف فهو نذر الذى نطق به ، فهو مرتبط أن يقدم الخروف، فإن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى . فهذه السيدة أو هذا الرجل يقول هذا الكلام للكاهن ويأخذ الحل .

٢٥- حلول الروح القدس على العذراء(٢)

سؤال : هل حلول الروح القدس على العذراء مريم كان أقنومياً ؟

الجواب : لا .. لا .. حلول الروح القدس على العذراء كان مثل عطية أوموهبة، قوة خارقة من قبل أقنوم الروح القدس لتطهير جسدها، ولأنها حملت بالمسيح بغير زرع رجل ، فالروح القدس هيىء من دمها الجسد الذى حل فيه الكلمة .

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة العذراء بأوسيم – الجيزة مساء الخميس ١٠ من أغسطس ١٩٨٩م – ٩ مسرى ١٧٠٥ ش .

(٢) ألقيت بكنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوى بالكاتدرائية المرقسية الجديدة بدير الأنبا رويس بالعباسية – مساء الخميس ٢٩ من يناير ١٩٨١م – ٢١ طوبة ١٦٩٧ ش .

٢٦- أين العذراء الآن ؟ [١]

سؤال : أين العذراء الآن فى الفردوس أم فى ملكوت السموات ؟

الجواب : معلوماتنا أن ملكوت السموات لايفتح إلاّ بعد يوم الدينونة ، ولذلك عندما ظهرت العذراء فى الزيتون كنا نراها جسد نوراني، وهو عبارة عن جسد أثيرى تُكّونه العذراء مريم ، لكن ليست بالجسد الطبيعى الذى أُصعد إلى الفردوس . فمعلوماتنا أن روح العذراء مريم فى الفردوس وجسدها أيضا فى الفردوس ، لكن باسلوب يعلو على كل تعبير، سيدنا له المجد يتجلى معها ويظهر لها باستمرار ، إذا كان يظهر لها على الأرض فمن باب أولى يظهر لها فى الفردوس، لا يوجد لدينا معلومات تسمح لنا أن نقول أنها فى الملكوت ، لأن الملكوت سيكون بعد الدينونة كما قال الكتاب المقـــــدس: " تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت " ، إذن الملكوت لا يفتح إلاّ بعد يوم الدينونة .

٢٧- العذراء والتبشير [٢]

سؤال : هل كان للسيدة العذراء دور فى التبشير ؟

الجواب : دور العذراء ليس فى التبشير بمعنى أنها كانت تخطب وتعظ بطريقة الرسل، إنما كان من خلال سيرتها المقدسة وحياتها الطاهرة، ومن خلال قيادتها للعذارى اللائى اتخذناها رائدة لهن، وهن عذارى جبل الزيتون، من خلال هذا ومن خلال تصرفات معينة مثل الصلوات، ومثل ماصنعت مع متياس الرسول، ومع غيره، لكن هل العذراء قامت بدور تبشيرى شبيه بدور الرسل لا .. لا .

كذلك العذراء لم تباشر أعمال الكهنوت، وهذا مذكور فى الدسقولية أن العذراء لم يحدث أنها عمدت إنسان، ولا باشرت أى سر من الأسرار لأنه ليس لها كهنوت .

---

(١) ألقيت بكنيسة السيدة العذراء بأرض الجولف – مصر الجديدة – مساء الخميس ٢١-٨-١٩٨٩ م – ١٥ مسرى ١٧٠٥ ش .

(٢) ألقيت بكنيسة السيدة العذراء والأنبا بيشوى بالكاتدرائية المرقسية الجديدة بدير الأنبا رويس بالعباسية – مساء الخميس ٢٩ من يناير ١٩٨١م – ٢١ طوبة ١٦٩٧ ش .

٢٨- نمجد ميلادك الطاهر فى كل شىء

سؤال : من الأخ فيليب فرج صبرى .

إننا معشر الأرثوذكس ننكر على الكاثوليك إعتقادهم بأن القديسة مريم قد " حبل بها بلا دنس" . ولكننا نتلو فى صلواتنا قائلين " ياوالدة الإله المكرمة .. لكى نمجد ميلادك الطاهر فى كل شىء" (القطعة الثالثة – الخدمة الثالثة – صلاة نصف الليل) . فما المقصود من هذا القول ؟

الجواب : الميلاد المقصود هنا هو ميلاد العذراء للسيد المسيح، لا ميلادها هى من أبويها يواقيم وحَنّة . العذراء لم يُحبل بها بلا دنس ، ولكنها حبلت بالمسيح بغير دنس، بعد أن حلّ الروح القدس عليها، وطهر أحشاءها لحلول كلمة الله فيها. " فأجاب الملاك وقال لها روح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك. ولهذا فالمولود منك قدوس، وابن الله يدعى " (لو ١: ٣٥) .

٢٩- " اسم مريم " (١)

سؤال : ما معنى اسم مريم وهذا الأسم من أى لغة أصلا ؟

الجواب : اسم مريم لغة عبرانية وأرامية ، وهى لها أكثر من معنى ، لكن المعنى الثابت هو " سيدة " ومنها كلمة " مار " جرجس يعنى " السيد " جرجس ، فمار باللغة الأرامية، ومنها كلمة " مارت مريم " ، أى السيدة مريم . فمريم هنا معناها السيدة .

------

(١) ألقيت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بالصحفيين – الجيزة مساء الإثنين ٧ من أغسطس ١٩٨٩م – أول مسرى ١٧٠٥ ش .

٣٠- هل صوم العذراء معروف عند الكنائس الأخرى؟[1]

سؤال : هل صوم العذراء معروف عند الكنائس الأخرى ؟

الجواب : هذا الصوم قديم جداً فى الكنيسة، ومعروف فى جميع الكنائس الأخرى، حتى عند إخواننا الروم ويسموه صوم أغسطس، لأنه يقع فى شهر أغسطس . وموجود فى الكتب الكنسية لإخواننا الأروام والروس ويحتفلوا به فى شهر أغسطس ١٥ يوم أيضا. عندنا الأقباط فى الحقيقة من حبهم للست العذراء يصوموا هذا الصوم صوماً نسكياً أكثر من الأصوام الأخرى ، فتجد بعض الناس على الأقل لا يأكل الزيت فى صوم العذراء، أى يصوموا نباتيين وحتى الزيت لا يأكلوه أى صوماً نسكياً، وهذا نوع من أنواع حب العذراء مريم والاستشفاع بصلواتها وببركاتها ، ليس نحن فقط الحقيقة حتى إخواننا المسلمين نجد منهم بعض الناس يصوموا صوم الست العذراء، حتى أنه فى بعض الأحيان عندما يقع صوم العذراء فى وسط صوم رمضان، تجد الناس المتمسكين يصوم صوم العذراء كنباتيين، وبعد ذلك يكملوا صوم رمضان حسب نظامهم ، أريد أن أقول أن هذا الصوم قديم ومحترم ، ويحترموه الأقباط على الخصوص ، ولكن أيضا غير الأقباط من الروم والروس ومن إليهم من شعوب العالم لأنه صوم قديم.

---

(١) ألقيت بكنيسة العذراء بأوسيم – الجيزة مساء الخميس ١٠ من أغسطس ١٩٨٩م – ٤ مسرى ١٧٠٥ش .

٣١- هل سانت فاتيما هى العذراء ؟

سؤال : هل سانت فاتيما هى السيدة العذراء أم لا ؟ وإن كان الأمر كذلك فمن أين جاءت تلك التسمية ؟

الجواب : الحقيقة فاطمة هى بلد فى البرتغال، وسميت باسم فاطمة الزهراء، فى أيام حكم العرب فى القرن الثانى عشر لأسبانيا والبرتغال فسميت هذه البلدة باسم فاطمة وعندما تكتبها بالحروف اللاتينية تنطق فاتيما، وبعض الناس ينطقها فطيمة، إنما هى فاطمة بالضبط هى فاطمة الزهراء، والتسمية كما قلنا ترجع فى التاريخ إلى القرن الثانى عشر عندما حكم العرب أسبانيا والبرتغال، فسموا هذه البلدة باسم فاطمة، وهناك رواية أن فى هذه البلدة رأى ثلاثة من الأطفال، إثنين بنات وولد، ظهرت لهم العذراء ست مرات ، بين كل مرة وأخرى شهر من الزمن ، ولسبب ظهور العذراء فى هذه البلدة فاطمة ، سموها " عذراء فاطمة "، كما سموا لورد " بعذراء لورد " عندما ظهرت العذراء فيها لفتاة اسمها برناديت، لكن هى نفس العذراء مريم هى هى بعينها، لايوجد غيرها، فلا يقصد أى قديسة أخرى ، إنما المقصود هى العذراء مريم نفسها، لأنها ظهرت فى لورد أو ظهرت فى فاطمة .

٣٢- ظهور العذراء وهى تحمل المسيح

سؤال : من ضمن ظهورات العذراء، ظهورها وهى تحمل السيد المسيح الطفل والسؤال هو أليست هذه الصورة كانت فى مرحلة سابقة قبل إنتقال السيدة العذراء ؟

الجواب : نعم، لكن لأننا نحن نعرف أنها العذراء، فتظهر بالشكل المألوف لدينا، هذا السؤال كان سأله أيضا واحد من الصحفيين غير المسيحيين أثناء ظهور العذراء مريم، فقال لماذا تظهر وهى تحمل المسيح وهو طفل ؟ قلت له هى تظهر بالشكل الذى به نعرف أنها هى العذراء مريم، بالشكل المألوف لنا ، المسيح ليس طفل الآن ، المسيح الآن جالس على العرش .

٣٣- هل يجوز أكل السمك فى صوم العذراء ؟[١]

سؤال : إن بعض المسيحيين يأكلون السمك فى صوم العذراء هل يجوز هذا أم لا ؟

الجواب : من جهة يجوز ، يجوز ، لأن صوم العذراء فى تعريف الكنيسة، أنه يعتبر من الأصوام الدرجة الثانية ، لكن مع هذا نجد بعض الأقباط عادة لا يأكلوا ليس السمك فقط ولكن الزيت أيضا ، لكن من جهة يجوز يجوز .. ، هناك ناس يحبوا أن يصوموا هذا الصوم صوماً نسكياً، لا يأكلوا الزيت أو مستخرجات الزيت، ولكن يعيشوا على الماء والملح فى هذه الفترة ، والفضل فى الحقيقة للمرأة ، لأن عذارى جبل الزيتون بدأو هذا مع العذراء لأنها الرائدة لهن ، وهى التى أنشأت نظام العذارى قبل نظام الرهبنة . نظام الرهبنة بالنسبة للبنات جاء فى القرن الرابع للميلاد، ولكن قبل ذلك كان نظام العذارى، وكان لهم خوروس فى الكنيسة، والتى أنشأت هذا النظام الست العذراء، فهى كانت تصلى وتصوم وكانوا يصوموا معها ، ولذلك صوم العذراء بدأ بالعذراء نفسها ، العذراء هى التى كانت تصوم وعذارى جبل الزيتون معها ، وحتى بعد حياة العذراء كان البنات يخرجوا إلى الصحراء ويصوموا هذا الصوم، ولهذا فبسبب المرأة وفضل المرأة أصبح الأقباط يحترموا هذا الصوم إحتراماً كبيراً، ويصوموه صوماً نسكياً، عندنا نسبة كبيرة جدا من الأقباط يصوموا هذا الصوم نسكياً، لايأكلوا سمك ولا زيت . إنما من جهة أنه يجوز يجوز ....

---

(١) أجيب عليه بكنيسة العذراء والأنبا بيشوى بدير الأنبارويس بالعباسية صباح الأحد ١٤-٨-١٩٨٨م - ٨ مسرى ١٧٠٤ ش .

ظهور العذراء ومعجزاتها

❖العذراء فى الزيتون .

❖بيان من المقر البابوى .

❖صدى البيان البابوى فى الصحافة .

❖أهم حدث سماوى فى القرن العشرين .

❖تقارير عن ظهورات العذراء .

❖ظهور العذراء فى كنيسة القديسة دميانة بشبرا .

❖العذراء فى البطاخ .

العـــــذراء[1]

فى الزيتون

تقرير عن وقائع الظهور المتكرر المتوالى

للسيدة العذراء مريم أم النور

بالكنيسة المدشنة باسمها الطاهر بضاحية الزيتون

بالقرب من مدينة القاهرة

مُنذ مساء يوم الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨م الموافق ٢٤ برمهات ١٦٨٤ ش

وَضَعَه

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

ورئيس لجنة تقصى الحقائق فيما يختص بوقائع الظهور والمعجزات

بأمر بَابوى

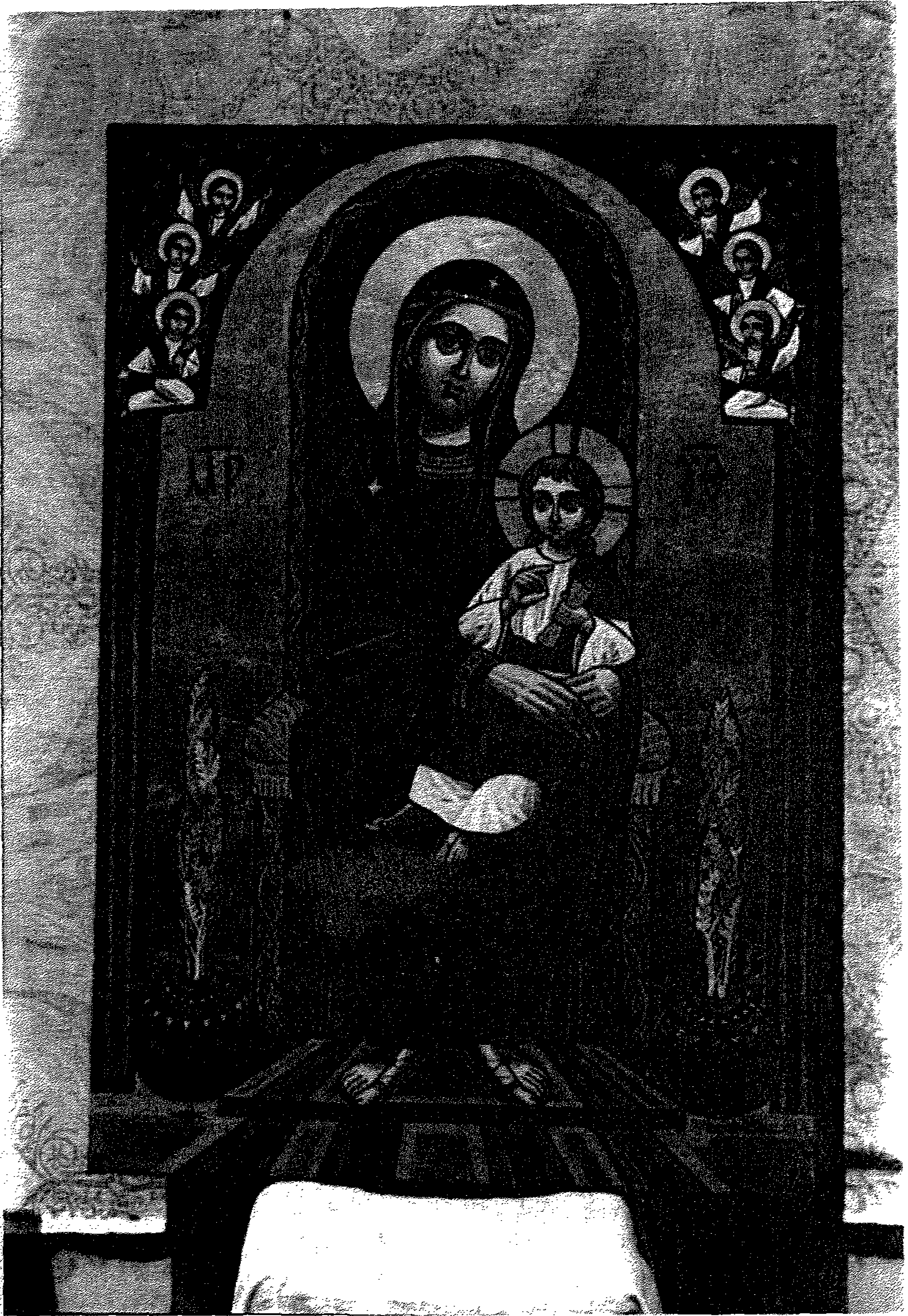
من

صاحب القداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

----

(١) هذا هو الجزء الأول لكتاب العذراء فى الزيتون، ووجدنا الجزء الثانى لهذا الكتاب الذى كان ينوى مثلث الرحمات الأنبا غريغوريوس طبعه ، ورأينا إضافته من صفحة ٥١٣ إلى صفحة ٥٨٤



إيقونة العذراء مريم الملكة عن يمين الملك
بريشة الفنان د. يوسف نصيف و الفنانة بدور لطيف



قداسة البابا كيرلس السادس

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
بالقاهرة

بيـــــــــان
من المقر البابوى بالقاهرة

منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨ الموافق ٢٤ برمهات ١٦٨٤ توالى ظهور السيدة العذراء أم النور فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التى باسمها بشارع طومانباى بحى الزيتون بالقاهرة .

وكان هذا الظهور فى ليال مختلفة كثيرة لم تنته بعد ، بأشكال مختلفة ، فأحياناً بالجسم الكامل وأحياناً بنصفه العلوى ، يحيط بها هالة من النور المتلألىء ، وذلك تارة من فتحات القباب بسطح الكنيسة، وأخرى خارج القباب، وكانت تتحرك وتتمشى فوقها، وتنحنى أمام الصليب العلوى، فيضىء بنور باهر، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وإيماءات رأسها المقدس، كما ظهرت أحيانا بشكل جسم كما من سحاب ناصع أو بشكل نور يسبقه إنطلاق أشكال روحانية كالحمام شديد السرعة. وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة وصلت أحيانا إلى ساعتين وربع كما فى فجر الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ حين استمر شكلها الكامل المتلألىء من الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الساعة الخامسة صباحاً .

وشاهد هذا الظهور آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الأديان والمذاهب، ومن الأجانب ومن طوائف رجال الدين والعلم، والمهن وسائر الفئات الذين قرروا بكل يقين رؤيتهم لها ، وكانت الأعداد الغفيرة تتفق فى وصف المنظر الواحد بشكله وموقعه وزمانه ، بشهادات إجماعية تجعل ظهور السيدة العذراء أم النور فى هذه المنطقـــة ظهوراً متميزاً فى طابعه ، مرتقياً فى مستواه عن الحاجة إلى بيان أو تأكيد .

وصحب هذا الظهور أمران هامان : الأول إنتعاش روح الإيمان بالله والعالم الآخر والقديسين، وإشراق نور معرفة الله على كثيرين كانوا بعيدين عنه، مما أدّى إلى توبة

العديدين وتغير حياتهم . والثانى حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجزى لكثيرين ثبت علمياً وبالشهادات الجماعية .

وقد قام المقر البابوى بجمع المعلومات عن كل ماسبق بواسطة أفراد ولجان من رجال الكهنوت الذين تقصوا الحقيقة وعاينوا بأنفسهم هذا الظهور، وأثبتوا ذلك فى تقاريرهم التى رفعوها إلى قداسة البابا كيرلس السادس .

والمقر البابوى إذ يصدر هذا البيان يقرر بملء الإيمان، وعظيم الفرح، وبالشكر الإنسحاقى أمام العزة الإلهية أن السيدة العذراء أم النور قد والت ظهورها بأشكال واضحة ثابتة فى ليالٍ كثيرة مختلفة لفترات متفاوتة وصلت فى بعضها لأكثر من ساعتين دون إنقطاع ، وذلك إبتداء من مساء الثلاثاء ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٤ برمهات سنة ١٦٨٤ حتى الآن بكنيسة السيدة العذراء القبطية الأرثوذكسية بشارع طومانباى بحى الزيتون فى طريق المطرية بالقاهرة وهو الطريق الثابت تاريخياً أن العائلة المقدسة قد إجتازته فى تنقلاتها خلال إقامتها بمصر .

جعل الله هذه البركة رمز سلام للعالم، ويمن لوطننا العزيز ، وشعبنا المبارك الذى سبق الوحى الإلهى فنطق عنه :

" مبارك شعبى مصر "

السبت ٤ مايو سنة ١٩٦٨ م
٢٦ برمودة سنة ١٦٨٤ ش

المقر البابوى بالقاهرة

تقرير اللجنة التى شكلها قداسة البابا
للتَثَبُّت من صحة ظهور السيدة العذراء

حضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس .

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

بعد الخضوع لسدتكم الرسولية لاثمين أياديكم الطاهرة ملتمسين دعواتكم الصالحة وبعد .

يتشرف أبناؤكم المخلصون القمص جرجس متى والقمص يوحنا عبد المسيح والقمص بنيامين كامل برفع هذا التقرير حول ظهور السيدة العذراء بكنيستها الكائنة بناحية الزيتون .

لقد أسعدنا الوقت الذى فيه اخترتنا قداستكم لنذهب إلى كنيسة السيدة العذراء بالزيتون. فقمنا بالذهاب يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ أبريل سنة ١٩٦٨ وعندما وصلنا أردنا أولا أن نتقصى من أولئك الذين شاهدوا ظهور السيدة العذراء، فدخلنا الجراج المواجه للكنيسة ، وكانت الساعة التاسعة مساء، فبدأنا بالإتصال بعمال هذا الجراج الذى لمؤسسة النقل العام، فأكدوا لنا أنهم رأوا العذراء بأنفسهم وبأعينهم فى أول ليلة شوهدت فيها من أربعة أسابيع مضت، فكان كل واحد منهم يقول أنه ليس هو وحده الذى شاهدها، وإنما رآها فى الوقت ذاته زملاء آخرون من العمال، وعدد كبير من الناس الذين تصادف مرورهم حينذاك . وهذه خلاصة أقوال عمال جراج مؤسسة النقل العام :

١- قال السيد/ مأمونٍ عفيفى مدرّب سائقى النقل العام ويحمل بطاقة رقم ٩٩٣٧ قسم السيدة : " كنت ساهراً بالجراج المواجه للكنيسة ، وفى الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة الثلاثاء الموافق ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ سمعت خفير الجراج الواقف بالباب يصيح بصوت عالٍ " نور فوق القبة " فخرجت بسرعة وشاهدت بعينى سيدة تتحرك فوق القبة ويشع منها نور غير عادى فأضاء ظلمة المكان المحيط بالقبة، ودقّقت النظر إليها، وظل بصرى متعلقاً بها فتبينت أنها العذراء، ورأيتها تمشى فوق القبة الملساء وجسمها شعلة من النور، وكانت تسير فى هدوء فلم أتمالك من أن أهتف : " إن الله اصطفاك وطهّرك وإصطفاك على نساء العالمين " .

٢- أما الخفير ويدعى عبد العزيز بجراج مؤسسة النقل العام أيضاً فقال إنه ما كاد يبصر العذراء جسماً نورانياً فوق القبة حتى أخذت أصيح " نور فوق القبة " وناديت

حسين عواد الذى أسرع ومعه آخرون من العمال، وشاهدوا العذراء وهى تتحرك فوق القبة، وقلت " إن الناس حرموا فى هذه السنة من زيارة العذراء فى القدس، فجاءت إليهم تزورهم بنفسها " . وتكلم حسين عواد وهو حداد بجراج مؤسسة النقل العام بطاقة رقم ٣٣٢٨٩ قسم الجيزة ، فقال " رأيت العذراء فوق قبة الكنيسة جسماً من النور الوهاج يضىء المكان كالشمس. وكانت العذراء تمسك بيدها ما يشبه غصن الزيتون، وبدأت تتحرك والنور يشع من جسمها إلى جميع الجوانب المحيطة بها، وبدأ النور بعد ذلك فى هيئة دائرة تتوسطها العذراء، وهذا المنظر لم أشهد مثله من قبل " .

٣- أما ياقوت على العامل بجراج مؤسسة النقل فهو يصف كيف كانت العذراء تسير فوق القبة فقال " إنها كانت جسماً نورانياً محلقاً فى الفضاء وما كادت قدماها تلامسان سطح القبة حتى تتحركان فى هدوء ، تحيط بها هالة من الوقار والقداسة ، وكان الذين يشاهدونها يقفون فى خشوع وهم مأخوذون من المنظر الباهر إلى أن غاب المنظر داخل القبة " .

هذه ياسيدنا البابا أقوال رجال مؤسسة النقل العام .

وقد أردنا أن نتأكد بأنفسنا، فتوجهنا مرات كثيرة. ففى ليلة شاهدنا السيدة العذراء تظهر أولا بنور سماوى كروى وبداخله العذراء، ثم تظهر بكامل جسمها وتتحرك فوق القبة وتسجد نحو الصليب، وتبارك الجموع الفرحة الصائحة إليها فى تضرعات. وفى ليلة أخرى رأينا حماماً بلونه الفضى اللامع المنير وهو يطير من القبة إلى السماء مباشرة، فمجدنا الله الذى سمح لنا نحن الأرضيين أن نرى مجد السمائيين. وهذا كله يرجع إلى صلواتكم الطاهرة وتضرعاتكم المقتدرة كثيراً فى فعلها من أجل شعبكم يا قداسة البابا المعظم .

نسأل الله أن يديم حياتكم ذخراً وفخراً للكنيسة، وأن يوحد الأمانة الأرثوذكسية على أيديكم .

وتفضلوا بقبول خضوعنا لسدتكم الرسولية . أدام الله لنا ولشعب الكنيسة رئاسة كهنوتكم ودمتم .

٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ م – ٢٢ برمودة سنة ١٦٨٤ ش .

توقيعات

(القمص جرجس متى) مدير الديوان البابوى .

(القمص يوحنا عبد المسيح) سكرتير اللجنة البابوية لشئون الكنائس .

(القمص بنيامين كامل) سكرتير قداسة البابا .



إيقونة السيدة العذراء بالقدس



هالة نورانية تظهر فيها العذراء وهى تميل وكأنها تبارك الجموع

المؤتمر الصحفى
بالمقر البابوى

فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم السبت ٤ مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ م – ٢٦ برمهات سنة ١٦٨٤ ش .

عقدت البطريركية بالمقر البابوى بالأزبكية بالقاهرة، مؤتمراً صحفياً فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم السبت٤ مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ – ٢٦برمهات سنة ١٦٨٤، شهده مائة وخمسون من مندوبى الصحف المصرية والعربية والأجنبية ووكالات الأنباء والإذاعة والتليفزيون فى مصر والخارج، ومندوب وزارة السياحة، أذاع فيه نيافة الأنبا أثناسيوس أسقف كرسى محافظة بنى سويف، بيان صاحب القداسة البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، بإعلان حقيقة ظهور السيدة العذراء بالكنيسة المدشنة باسمها بضاحية الزيتون. وقد حضر المؤتمر أربعة من الأساقفة يمثلون قداسة البابا، هم أصحاب النيافة الأحبار الأنبا ابرآم أسقف كرسى محافظة الفيوم، والأنبا أثناسيوس الذى قرأ البيان وترجمه إلى اللغة الإنجليزية ترجمة فورية ، والأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة والإجتماعية، والأنبا غريغوريـــــوس أسقف الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى. كما حضره عدد من الكهنة والمدنيين المسئولين، من بينهم القمص جرجس متى مدير عام الديوان البابوى، والقمص مرقس غالى وكيل عام البطريركية، والقمص بنيامين كامل سكرتير قداسة البابا، والأستاذ فرح اندراوس السكرتير العام لهيئة الأوقاف البطريركية والمستشار القانونى لقداسة البابا .

وبدأ الأنبا أثناسيوس المؤتمر بالترحيب باسم قداسة البابا كيرلس السادس بمندوبى الصحافة وأجهزة الإعلام المصرية والعالمية، ثم تلا بالعربية بيان المقر البابوى عن ثبوت ظهور العذراء بكنيسة العذراء بالزيتون .

وقد وزع البيان البابوى الرسمى مطبوعا، على أعضاء المؤتمر .

وبعد إذاعة البيان باللغة العربية وترجمته إلى اللغة الإنجليزية ترجمة فورية وجهت إلى ممثلى قداسة البابا من الأساقفة الأسئلة الآتية . وفيما يلى الأسئلة والإجابة عليها :



صورة المؤتمر الصحفى الذى عقد ببطريركية الأقباط الأرثوذكس يوم ٤ مايو سنة ١٩٦٨
وأذيع فيه البيان البابوى معلنا معجزة ظهور السيدة العذراء بكنيسة الزيتون
وحضره مائة وخمسون صحفياً يمثلون الصحف المحلية والأجنبية

سؤال ١ – لماذا لم يوقع قداسة البابا على البيان ؟

الأنبا أثناسيوس : إن الأصل موقع عليه، والبيان بيان صريح صادر من المقر البابوى .

سؤال ٢ – لماذا تَغَّيب قداسة البابا عن الإجتماع ؟

الأنبا أثناسيوس : للبطريركية نظام خاص لتحقيق الأمور بواسطة لجان من الأساقفة والكهنة. أما قداسة البابا فلا ينفرد بعمل من نفسه . وليس هناك تَغَّيب وإنما هذه ساعة صلاة قداسة البابا . وقد رأى قداسته ألا يعلن عن شيء طوال المدة الماضية حتى وردت التحقيقات الثابتة تؤيد ظهور السيدة العذراء .

سؤال ٣– هل دعت الكنيسة علماء من الجامعات لبحث هذه المعجزة وليحققوا فيها؟

الأنبا صموئيل : إن قداسة البابا كيرلس السادس اهتم بأنباء ظهور العذراء بكنيسة الزيتون، وعهد إلى لجان ببحث الأمر وتقديم تقرير عنه، ولم يشأ أن يعلن نتائج البحث إلا بعد تحقيقات ثابتة ومعتمدة .

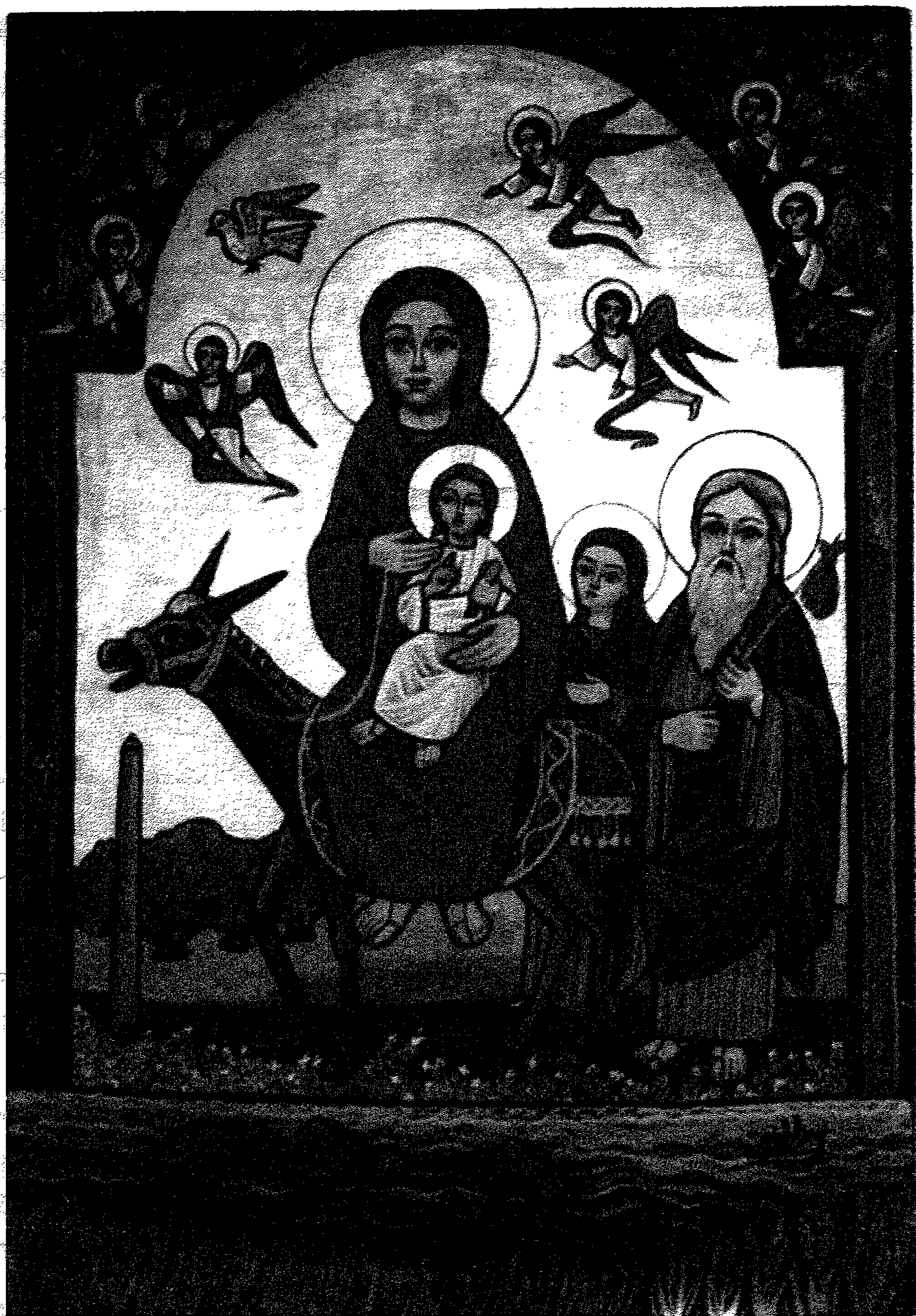
وإن لدينا الآن كثيراً من الوثائق سنطبعها فى كتاب ، يشمل جميع الوقائع والمعجزات وعندما يحين الوقت سنعقد إجتماعاً آخر لعرض مختلف ما لدينا من مجموعات الوثائق عليكم. وقد رجعنا طبعاً إلى نخبة من العلماء لنأخذ رأيهم .

سؤال ٤– هل رأى أحد من الآباء الأساقفة أو الكهنة هذا الظهور ؟

الأنبا صموئيل : لقد شاهدها كثيرون ومنهم الأنبا أثناسيوس الذى استمرت مشاهدته لها ساعتين وربع ساعة، وهى فى ظهور واضح متصل ومتألق .

الأستاذ فرح أندراوس : إن الأنبا أثناسيوس سيروى بنفسه تفاصيل مشاهدته العذراء .

الأنبا أثناسيوس : كما ورد فى بيان المقر البابوى أن الظهور كان بأشكال مختلفة، من أروعها ظهورها بشكلها الكامل مجسّما. وقد رأيتها بنفسى بهذا الشكل الباهر فى الساعة الثالثة إلا ربعاً فجر يوم الثلاثاء الماضى، ورآها معى الكثيرون .. الألوف المؤلفة، وسبق ظهورها إنطلاق حمامتين من الكنيسة، وبدأ ضوء خافت.. ثم رأينا شكلا غازيّاً...كالسحاب ما لبث أن توهج كمصباح الفلورسنت، ومن خلاله ظهر الجسم الغازى الذى وضح على الفور دفعة واحدة كما يقال بالتعبير الدارج " نطق بالنور"،



رحلة هروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر
بريشة الفنان د. يوسف نصيف و الفنانة بدور لطيف

وظل هذا الشكل حتى الساعة الخامسة صباحاً، وكانت العذراء طوال هذه المدة تتحرك إلى اليمين وإلى اليسار وتومىء برأسها، وتبسط يديها للناس كأنها تحييهم وتباركهم. كل الناس رأوها. وفى حركتها الجانبية كنا نرى بروفيل منظرها خطاً من النور... ثم تتجه بوجهها نحونا... إننى أعجز عن أن أصف لكم هذا المنظر... إلى الساعة الخامسة ظلت هكذا واضحة على مدى ساعتين وربعاً، حتى كاد الناس يفقدون عقولهم. ولو حاولنا فى المستقبل أن نأتى بمخرج ليعيد تصوير هذا الظهور لما استطاع . إنه ظهور روحى عالٍ، ملىء بالبركة، ولا يمكن تصويره أو تقليده.. وفى ليلة سابقة ظهرت العذراء فوق القبة الوسطى من الساعة الحادية عشرة والنصف مساء إلى الثانية صباحا، وظهر ضوء فوق الصليب حوّله إلى شعلة من النور... إن المسألة ليست كلاماً.. إننا بشهادتنا هذه فوق كل شك. ولولا أن البطريركية شاءت أن تتحرى الدقة قبل أن تصدر بيانها لما تريثت وتأخرت إلى اليوم، والمعجزة تهز سماء العالم كله منذ أكثر من شهر .

سؤال ٥- كيف كان الظهور ؟ هل كانت هناك ألوان ؟ هل رأيت ألواناً ؟

الأنبا أثناسيوس : عندما ظهرت على القبة مايقرب من ساعتين كانت واضحة المعالم، وثوبها يتحرك متماوجاً مع حركتها الهادئة فوق القبة... لما اقتربت من الصليب أضاء الصليب بنور قوى... كان جسمها كاملاً... وقد رأيتها تحيط بها أحياناً هالة حول جسمها، وأحياناً أخرى هالة فوق رأسها، أما اللون فكان يميل إلى الأزرق الفاتح. وكان ينطلق حمام من عندها ...

المهندس فوزى منصور رئيس الهيئة التنفيذية لبناء الكاتدرائية المرقسية الجديدة بدير الأنبا رويس بالعباسية : إن من بين الذين شاهدوها الدكتور لويس مرقس رئيس قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة عين شمس .

الدكتور لويس مرقس: إننى قدمت شهادتى مكتوبة للبطريركية، سجلت فيها رؤيتى للعذراء بكنيسة الزيتون مرتين : الأولى فى الساعة الرابعة إلا ربعا حتى الساعة الخامسة إلا ربعاً صباح الأحد الماضى الموافق ٢٨ أبريل، وكان منظر العذراء فى شكل نصفى. والثانية فى الساعة الثالثة حتى الرابعة والربع من صباح الثلاثاء الماضى ٣٠ أبريل، وذلك بهيئة عمود من النور أخذ يتشكل بشكل تمثال للسيدة العذراء يشع النور من جسمها النورانى .



البابا كيرلس يعلن : ظهور العذراء حقيقة

بيان رسمي للبابا يؤكد ظهورها عدة مرات في كنيسة الزيتون



" الصفحة الأولى من جريدة الأهرام يوم ٥ مايو سنة ١٩٦٨ "

الدكتور مينا تادرس : لقد شاهدتها وأسرتى، وكان جسمها النورانى واضحاً. وإن طالبة وطالباً فى كلية الطب من أقربائى شاهداها صباح الثلاثاء .

الأستاذ زكى شنوده المحامى، ومدير المؤتمر الأفريقى الأسيوى : توجهت إلى كنيسة الزيتون مساء يوم ١٦ أبريل، ورأيت الجموع هناك تشير إلى موضع فوق قباب الكنيسة، ولكننى قدّرت أن الذى يشيرون إليه أضواء منعكسة من سعف نخلة خلف الكنيسة، واعتقدت أنها مجرد أمنية من الشعب أن يتعزّى برؤية معجزة ظهور العذراء، ولكننى فى يوم الأحد التالى وهو عيد القيامة المجيد اطلعت على التحقيق الذى نشرته جريدة " وطنى " مدعماً بشهادة كثيرين، فقررت أن أبذل مجهوداً آخر لأتحقق بنفسى من هذا الظهور، ورحت أتابع الذهاب إلى الكنيسة ثلاثة أيام متفرقة كنت أمكث فيها من المساء إلى الصباح بجانب الكنيسة. وكانت الجموع تشير إلى مواضع مختلفة من قباب الكنيسة، ولكننى قدّرت كذلك أنها قد تكون مجرد أضواء منعكسة من مصابيح قوية فى الجراج المواجه للكنيسة وقد قلت ذلك لنيافة الأنبا غريغوريوس .

وفى الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ٢٧ أبريل توجهت إلى الكنيسة، ولاحظت أن الجموع المحتشدة تضاعفت عن ذى قبل حتى جاوزت عشرات الألوف. وقد احتل الناس كل موضع قدم فى الشوارع المحيطة بالكنيسة، وعلى الأسوار، وفوق الأشجار، وعلى أعمدة النور. وقد جاءوا من كل بلاد القطر، ومنهم العجوز الذى تجاوز التسعين، والمريض الذى يتوكأ على قريب له، والسيّدة التى تحمل أطفالها الصغار. والكل يقفون فى خشوع متطلعين إلى قباب الكنيسة فى لهفة وضراعة، لم يكلّوا أو يتململوا مايزيد على الإثنى عشرة ساعة مستمرة. وقد ارتفعت الألحان من كل جانب ترتّل للسيدة العذراء، ويحمل بعضهم صورتها تحيط بها الشموع وراحوا يطوفون بها فى هذا البحر الزاخر من البشر. فكان منظراً أعاد إلى ذهنى عصر المسيحية الأولى، عصر القديسين والشهداء . وقد طال ترقّبى حتى بلغت الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل، وإذا ببعض الأشخاص يقبلون من الشارع الجانبى المجاور للكنيسة صائحين أن السيدة العذراء فوق القبة الخلفية، فاندفع الناس إلى ذلك الموضع، واندفعت معهم، وهناك رأيت منظراً لن أنساه طول عمرى... رأيت العذراء متجلية فى صورة واضحة تحيط بها هالة حول جسمها وفوق رأسها، فى صورة ملكة تقف والتاج على رأسها، وقد تلألأت كأنها الشمس الساطعة وسط الظلام، ثم لم تلبث أن بسطت ذراعيها نحو الشعب تحييه وتباركه، وظلت هكذا مايقرب من ساعة ونصف لا تغيب عن أعين عشرات الألوف من الناس، وقد تولانى كما تولى جميع النـــــــاس

بيان رسمي من البابا كيرلس السادس يعلن :

ظهور العذراء في كنيسة الزيتون

البيان يقول : آلاف المواطنين من مختلف الأديان والطوائف قد رأوا بيقين رؤية العذراء واتفق وصفهم بشهادات إجماعية

العذراء ظهرت في ليال مختلفة وأشكال مختلفة وكانت تتحرك وتمشي وتواجه المشاهدين وتباركهم وتشفيهم

آخر خبر

الأخبار

١٠ صفحات ١٥ مليما

رئيس مجلس الإدارة : محمود أمين العالم

مدير التحرير : محمد التابعي

AL-AKHBAR, 5 MAY 1968

" رأس الصفحة الأولى من جريدة الأخبار يوم ٥ مايو سنة ١٩٦٨ "

بيان المقر البابوى يؤكد ظهور العذراء

معجزات الشفاء لمن شاهدوا العذراء

تقرير هام لوزارة السياحة عن ظهورها ومعجزاتها

إرسال التقرير وجريدة وطني إلى سفاراتنا ومكاتبنا السياحية في جميع عواصم العالم

الأحد

صاحب الامتياز : انطون سيدهم

رئيس التحرير : انطون نجيب مطر

وطني لو شغلت بالخلد عنه

جريدة أسبوعية

وطني

تصدرها شركة الجرائد المصرية

WATANI

نازعتني إليه في الخلد نفسي " أحمد شوقي "

ثمن النسخة ١٥ مليما

" رأس الصفحة الأولى من جريدة وطني يوم ٥مايو سنة ١٩٦٨ "

إنبهار بلغ حد الذهول، وراح الناس من شدة التأثر يبكون ويهتفون بصوت عال" السلام لك يامريم، يا أم النور، يا أم المخلص ". وكان كثير من الناس يدقون على صدورهم فى طلب المغفرة، وقد رأيت رجلاً راح يبكى حتى أُغمى عليه، ورأيت كثيراً من العجائز يبكون لأنهم لا يستطيعون من شدة الزحام أن يصلوا إلى الموضع الذى يمكنهم فيه أن يروها، وقد ظلت العذراء متجلية بدون إنقطاع من الساعة الثالثة والنصف إلى الخامسة... وكان الزحام يدفعنى ثم أرجع إلى مكانى الأول ثانية، وظللت كذلك حتى الساعة الخامسة صباحاً.. وأمام هذا المنظر الفريد بحسنه وجماله وروعته أقول مائة فى المائة إن هذه هى السيدة العذراء. وهذه شهادة أعترف بها أمام الله وأتحمل مسئوليتها .

وفى الساعة السادسة مساء الإثنين الماضى ذهب إلى الكنيسة إبنى سيتى وشقيقه مكرم، وظلاً هناك إلى الساعة الثالثة إلا ربعاً صباح الثلاثاء حيث شاهدا العذراء بوضوح بين القبتين الخلفيتين، وظل المنظر مشرقاً حوالى ساعتين، عاد بعدها إبناى إلى البيت يحدّثان بما رأيا، ولم يبدُ عليهما أى عناء. فقد مسحت الرؤيا الباهرة من وجهيهما آثار التعب والسهر إلى الصباح .

ثم تولّى الأستاذ زكى شنوده بعد ذلك ترجمة شهادته إلى اللغة الإنجليزية بنفسه للصحفيين الأجانب .

سؤال ٦- لماذا لم يعلن الفاتيكان عن المعجزة ؟

الأنبا أثناسيوس : كيف يعلن الفاتيكان عن المعجزة قبل أن نعلن نحن عنها ؟!

سؤال ٧- كيف تفسرون ظهور هذه المعجزة وواقعة هذا الظهور فى هذا الوقت بالذات بعد النكسة ؟

الأنبا غريغوريوس : لعل هذا الظهور بشير خير وعلامة من السماء على أن الله معنا، وأنه سيكون فى نصرتنا، ولن يتركنا. نحن نسمع منذ يونية الماضى أن الله تخلّى عنّا... ولكن هذا الظهور أو هذا التجلّى – وقد تمّ ولازال يجرى علناً أمام الألوف من الناس – يرفع روحنا المعنوية، ويبشرنا بأن الله نصير لنا وأنه لن يهملنا. إن بلادنا التى تباركت منذ ألفى عام بدخول المسيح له المجد وزيارة العذراء أم النور، تتبارك أيضاً من جديد بهذا التجلى الذى لم يحدث له نظير من قبل فى الشرق أو فى الغرب .

٤ - الجمهورية — الأحد ٥ مايو ١٩٦٨

ظهور السيدة العذراء فى كنيستها بالزيتون..
كيف شاهد السيدة العذراء لمدة ساعتين ونصف؟

« عنوان مقال ظهر في جريدة الجمهورية يوم ٥ مايو سنة ١٩٦٨ »

الأهرام - ٦٨/٥/٧ - ٣

خلال ٢٤ ساعة بعد بيان البطريرك : التجمع حول كنيسة الزيتون ينقلب إلى زحف عارم

" عنوان مقال ظهر في جريدة الأهرام يوم ٧ مايو سنة ١٩٦٨ "

« الاخبار » ١٩٦٨/٥/٨ - ٣

العذراء ظهرت مرة أخرى أمام الجموع المحتشدة حول الكنيسة
المرضى الذين شفتهم العذراء ..
يروون كل ماحدث
تحديد عدد الزائرين للمنطقة كل يوم .. لمواجهة اشتداد الزحام

" عنوان مقال ظهر في جريدة الأخبار يوم ٨ مايو سنة ١٩٦٨ "

سؤال ٨- لماذا ظهرت السيدة العذراء بالذات ولم يظهر السيد المسيح مثلا ؟

الأنبا غريغوريوس : مَنْ مِن الناس يمكنه أن يجيب على هذا السؤال الذى يبحث عن مقاصد الله ؟! إن هذا الظهور عمل إلهى تحكمه إرادة الله وحدها . ومَن عرف فكر الرب أو صار له مشيراً ؟

غير أننا نعلم من الكتاب المقدس أن للسيد المسيح مجيئين : المجىء الأول ، وقد تمّ منذ ألفى عام عندما ظهر فى الجسد بصورة البشر، وأما ظهوره الثانى فى مجيئه الثانى فسيكون فى اليوم الأخير عندما يجىء للدينونة والحكم والحساب .

سؤال ٩- هل هناك رسالة للعذراء جاءت بها فى ظهورها ؟

الأنبا أثناسيوس : ورد فى بيان المقر البابوى أن الظهور مصحوب بأمرين هامّين ظهرت آثارهما واضحة : الأول إنتعاش روح الإيمان بالله والعالم الآخر والقديسين وإشراق نور معرفة الله لمن كانوا بعيدين عنه، مما أدى إلى توبة المعاندين وتغير حياتهم فى عصر نحن أحوج ما نكون فيه إلى تعميق الإيمان بالله فى نفوس الناس .

والأمر الثانى هو ما اقترن بالظهور من معجزات باهرة لكثيرين بالبرء والشفاء والتوبة والخلاص ثبتت علمياً، وبالشهادات الجماعية . وليست هناك رسالة أعظم أو أهم من هذه .

سؤال ١٠- هل أسرّت العذراء لأحد برسالة شفوية عند ظهورها ؟

الأنبا صموئيل : ليس لدينا رسالة كلامية . إن الرسالة العملية التى أسفر عنها الظهور الإعجازى أقوى من الرسالة الشفوية . إن مجرد الظهور وأثره أعظم من كل رسالة .

سؤال ١١- هل هناك معجزات حسيِّة ملموسة اقترنت بظهور العذراء ؟

الأنبا صموئيل : إن عدد المعجزات أكثر من أن يحصى، وقد كتبت عنها صحف كثيرة، ونحن نجمع الآن المعلومات عن هذه المعجزات .

سؤال ١٢- يقول الذين رأوا العذراء فى كنيسة الزيتون إنها تشبه تماماً الصور التى يرونها منتشرة فى الكنائس ومنازل المسيحيين.. والمعروف أن هذه الصور إستوحاها الفنانون من الخيال، فهى غير صحيحة.. وبالتالى فقد يكون ما رآه الناس غيرحقيقى؟!

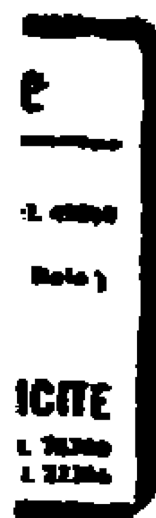
PROGRES DIMANCHE
بروجريه ديمانش

XXème ANNEE No. 17 | 5 MAI 1968 | Prix 15 mms.

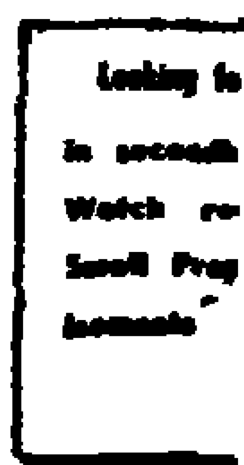
Les apparitions miraculeuses de la Vierge Marie au-dessus de l'église copte "Notre-Dame" à Zeitoun
CONFIRMEES HIER PAR S.S. LE PAPE KYRILLOS VI

"العنوان الذى ظهر فى جريدة البروجرية ديمانش يوم ٥ مايو سنة ١٩٦٨
وهو (الظهورات المعجزية للعذراء مريم فوق كنيسة الزيتون ، كما أكدها أمس البابا كيرلس السادس) "

Four pages — 25 milliemes



The Egyptian Gazette
ذى اجبشيان جازيت



89th Year No. 28345 | Sunday, May 5, 1968

Virgin Mary appeared at Zeitun -- Kyrollos

" العنوان الذى ظهر فى جريدة الاجيبشيان جازيت يوم ٥ مايو سنة ١٩٦٨
وهو(العذراء مريم تظهر فى الزيتون - البابا كيرلس السادس ·

الأنبا غريغوريوس : إن السيدة العذراء تتجلى فى قباب كنيسة الزيتون عادة فى صورة نورانية بهية ليس لها نظير فى بهائها وروحانيتها. وإذا كانت تتجلى أحيانا فى شكل يقارب أو يشابه الصور المعروفة للعذراء فلذلك لكى تبدو فى صورة مألوفة لدينا، حتى نعرفها بها ونتبين أنها هى بعينها العذراء مريم .

على أن الصور المعروفة لدينا عن السيدة العذراء ليست من نسج الخيال، وإنما هي مستوحاة عن صورة أصلية للعذراء من رسم القديس لوقا الإنجيلى، وكان رساماً فناناً. وفى تقليدنا الكنسى أن القديس لوقا رسم للعذراء مريم ثلاثة صور، إحداها فى القدس، والثانية فى دير السريان، والثالثة فى الحبشة. والمعروف أن صورة العذراء المعروفة بالعزباوية – بالقاهرة هى أيضا منقولة عن إحدى هذه الصور الثلاثة التى رسمها القديس لوقا الإنجيلى بنفسه .

سؤال ١٣- ما هى المعجزات التى حدثت خلال ظهور العذراء، وما تفاصيلها حتى الآن ؟

الأنبا صموئيل : عشرات بل مئات من المعجزات، أعداد كبيرة نعمت بالشفاء.. وتقوّى إيمانها.. كتبت صحف كثيرة عن بعضها..لا نريد أن يكون كلامنا بدون تدعيم.. وسنعقد مؤتمراً آخر لإعلان هذه المعجزات بعد تجميعها.. وقد شكلت لجنة برياسة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى لجمع المعلومات من جميع الذين شاهدوا العذراء والذين وقعت لهم معجزات شفاء.. وستطبع بعد التأكد منها بمختلف الطرق، فى كتاب يوزع فى أنحاء العالم ... .

سؤال ١٤- هل هذه الظاهرة مقبولة دينياً وعلمياً ؟

الأنبا غريغوريوس : نعم، فظهور العذراء وتجلّيها ليس جديداً، فقد ظهرت لأفراد مختلفين على طول التاريخ لتطمينهم أو تبليغهم رسالة خير أو شفاء، كما ظهرت سابقاً للبابا أبرآم (الثانى والستين من باباوات الاسكندرية)، لتبشره بأن صلواته قد قبلت وأنه سيتمكن من نقل جبل المقطم كما طلب الخليفة المعز الفاطمى إتماماً لقول الإنجيل : "إن كان لكم إيمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون للجبل انتقل فينتقل"، كما ظهرت للخليفة المأمون العباسى عندما أصدر أمره بهدم كنيسة العذراء بأتريب .

وليست ظهورات القديسين بغريبة أو عجيبة ، فنحن نتمتع بظهورات العذراء مريم فى مناسبات بعض الأعياد، وبظهورات القديس العظيم مارجرجس والقديس الأنبا برسوم العريان وغيرهم من القديسين كما هو معروف .

وأما إن هذه الظاهرة مقبولة علمياً، فأقول نعم، خاصة وأن من العلماء اليوم من يبحث فى ظهور الأرواح واستجسادها فى جسد أثيرى أمكنهم أن يصوّروه فى الأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء .

على أن تجليات العذراء فى الزيتون هى فى الواقع حدث جديد ، فالمعروف علمياً حتى الآن أن الأرواح لا تظهر لجميع الناس بل لبعض الأشخاص فى ظروف خاصة ممن لهم مواهب وساطية، أما العذراء فى الزيتون فتظهر جسماً نورانيا كاملا لعشرات الألوف من كل الناس دون تفريق بين الواحد والآخر سواء من له موهبة الجلاء البصرى أو من ليست له هذه القدرة .

سؤال ١٥- لماذا ظهرت السيدة العذراء فى مصر بالذات ، وفى هذا الوقت ... هل هو إحدى المناسبات الدينية المتعلقة بها ... كذكرى مولدها مثلا أو وفاتها ؟

الأنبا غريغوريوس : أما لماذا ظهرت السيدة العذراء فى مصر بالذات، فهذا فضل من الله وبركة لأرضنا الطاهرة، وشرف لبلادنا المقدسة. ويوم أن هربت العائلة المقدسة من وجه هيرودس، لم تشأ أن تهرب إلى بلد آخر غير مصر. وقد كان ذلك ولا زال بركة من الرب لنا. وقد قال الوحى المقدس عن مصر: مبارك شعبى مصر.. وبعد نحو ألفى عام، بعد أن استولى اليهود على الأماكن المقدسة بالقدس، وبعد أن ضعفت روح التقوى فى كثير من بلاد العالم، شرفت بلادنا مصر أن تكون من جديد المكان الذى تهرب إليه الروحانية ممثلة فى تجليات العذراء مريم أم النور . ولعلنا بذلك ندخل مرحلة حاسمة من مراحل الأيام الأخيرة .

أما لماذا ظهرت فى هذا الوقت بالذات وهل هناك إحدى المناسبات الدينية المتعلقة بها. فالحق أن مساء يوم ٢ أبريل وهو اليوم الأول الذى ظهرت فيه، لا يمثل مناسبة دينية هامة ، مما لها علاقة مباشرة بالسيدة العذراء. ولابدّ أن يكون السبب الحقيقى والمناسبة الحقيقية فى علم الله تعالى وعند السيدة العذراء. ولكن ألا ترى أننا كنا فى حاجة ماسّة إلى هذا الظهور لتثبيت الإيمان فى زمن ضعُف فيه الاستمساك بعرى التقوى ؟

وكان اليهود قد استولوا على الأراضى المقدسة بالقوّة ، وكان أسبوع الآلام والاحتفالات بصلب المسيح وقيامته قد قاربت، وكان الحجاج إلى الأماكن المقدسة يتأهبون فى مثل هذا الوقت من كل عام لرحلتهم المباركة التى حرموا منها بإحتلال إسرائيل لها، فكأن العذراء تهرب إلى مصر كما هربت إليها فى ظروف مماثلة من قبل، تعبيراً عن حزنها وألمها، وتعويضاً لنا عما فقدناه بإحتلال اليهود، وهى لفتة روحانية من السماء لها دلالتها فى رفع روحنا المعنوية، وتوكيداً لرحمة الله بنا، ورعايته لنا، وحدبه علينا .

سؤال ١٦- ما مغزى ظهور العذراء فى الوقت الذى تتأهب فيه الكنيسة القبطية للإحتفال بمرور ١٩ قرناً على إستشهاد القديس مرقس كاروز مصر وأفريقيا .

الأنبا صموئيل : إنها البركات حينما تتجمّع وتتلاقى. فكل هذه الأحداث المباركة هى بشير خير، وهى علامة على تدفّق بركات الله .

سؤال ١٧- هل هناك مشروعات لتحويل ضاحية الزيتون إلى منطقة سياحية ؟

الأنبا صموئيل : إن هذا البيان بداية طيبة لهذه المنطقة. فهو إعتراف بأن هذا المكان أصبح مكاناً مقدساً.. وستُعد المشروعات اللازمة لإقامة المزارات والتذكارات القدسية فيه .

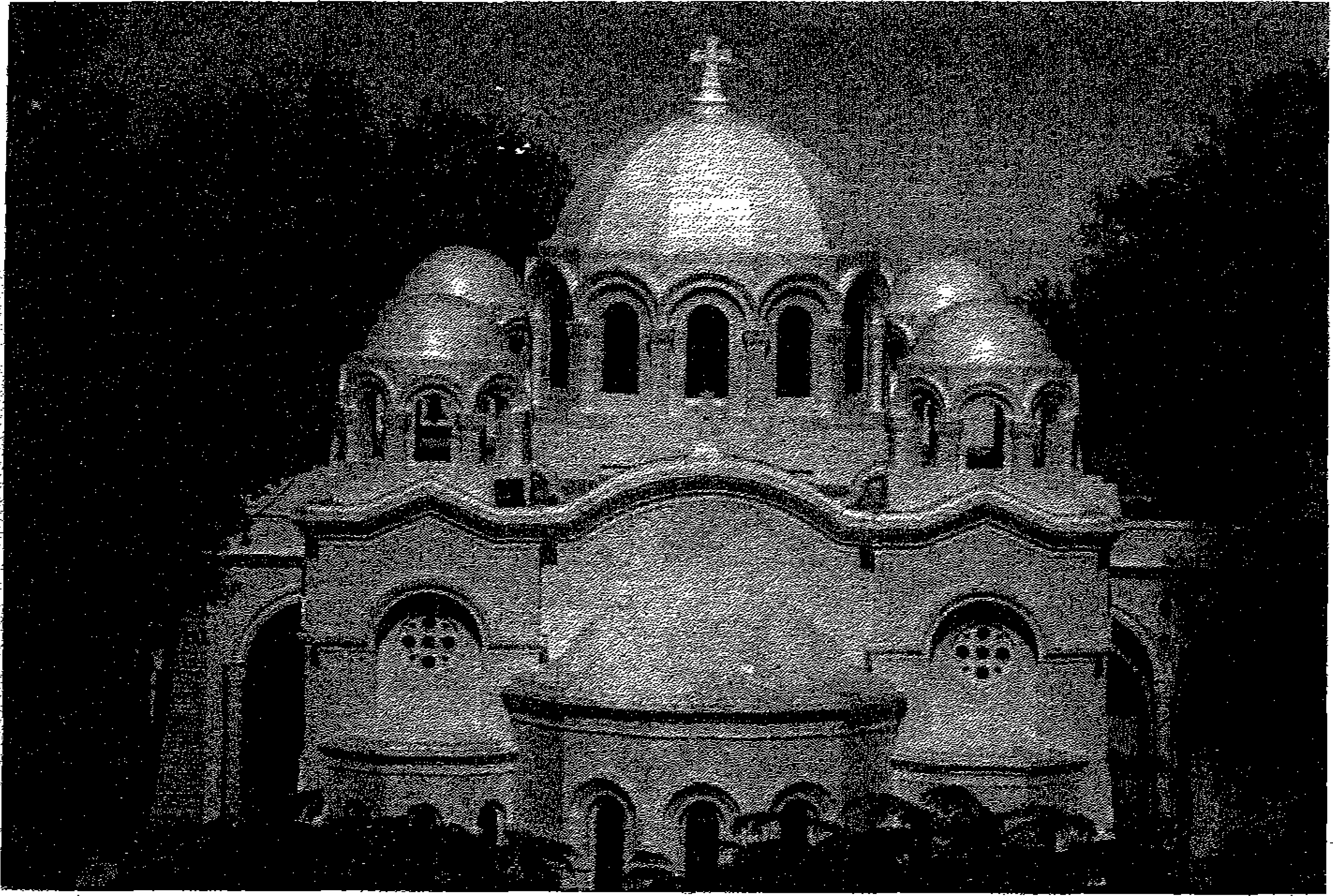
سؤال ١٨- لماذا لم يذهب قداسة البابا كيرلس إلى كنيسة الزيتون بعد أن تلقى نبأ ظهور السيدة العذراء فيها ؟

الأنبا أثناسيوس : لقد انتظر قداسته شهراً كاملا لكى يعلن صحة ظهور العذراء وذلك حتى اكتملت أمامه صورة حقيقية للموقف، وتأكد من عشرات من الآبـــاء المطارنة والأساقفة والكهنة وآلاف المواطنين من جميع الأديان. وإن قداسة البابا – وقد أعلن بيانه بصحة ظهور العذراء – سيزور كنيسة الزيتون قريبا جداً، ويقيم صلاة خاصة لإعلان أن هذا المكان أصبح مكاناً مقدساً .

والخلاصة أن البطريركية قد تيقنت تيقناً كاملا من ظهور العذراء وأن توالى هذا الظهور وتعدُّد مظاهره إنما جاء لتوكيده فى عالم يسوده الشك .

القمص جرجس متى – مدير الديوان البابوى :

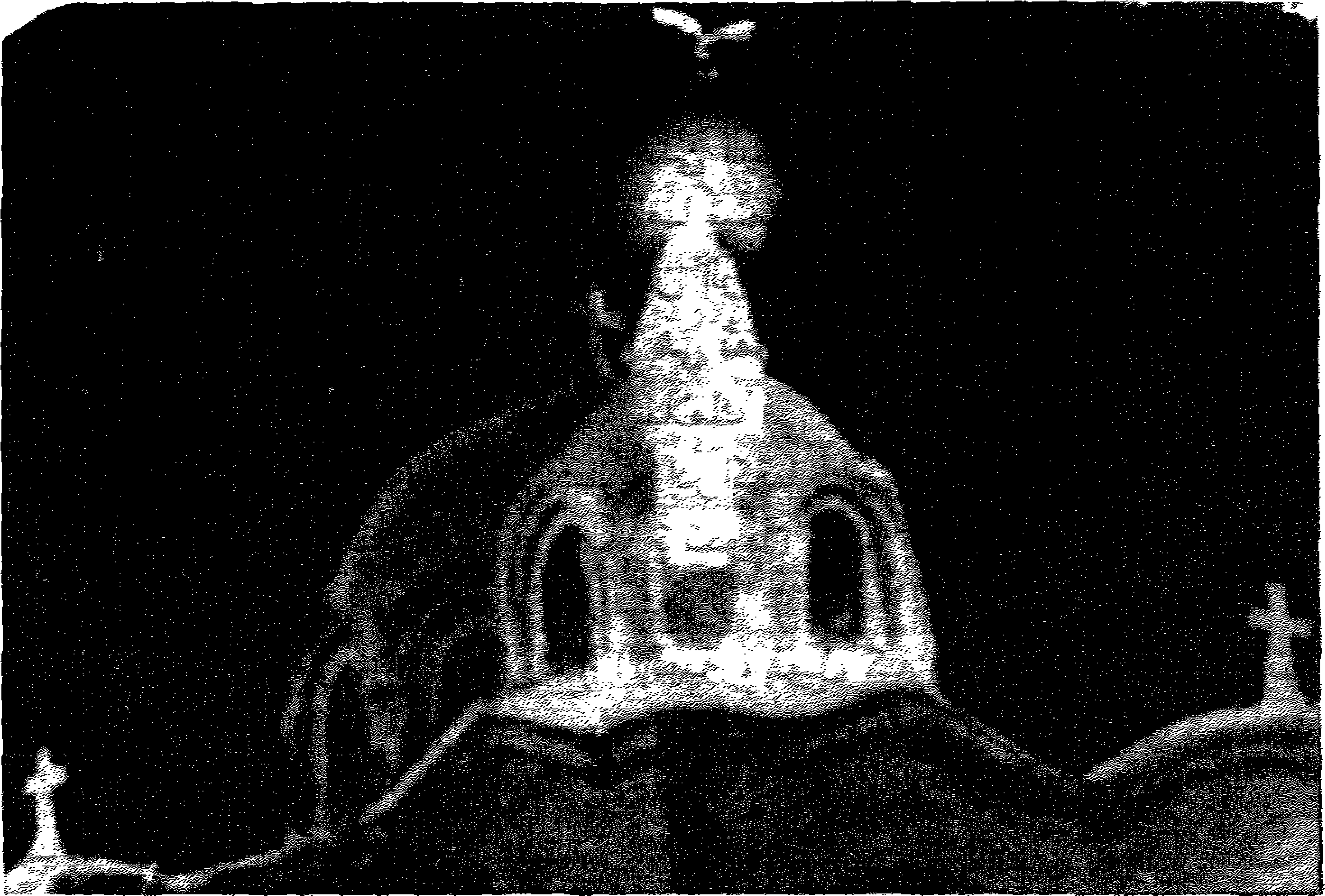
إن الشرق معروف بأنه مهبط الروحيات وموئل الإيمان . وإذا كانت معجزة ظهور العذراء قد جاءت فى هذا العهد ، فلعلها إستجابة للصلوات التى يوالى قداسة البابا كيرلس السادس أداءها يومياً فى الصباح والمساء، والمعجزات تقترن دائماً بالصلوات. ونحن نرقب المزيد منها بصلوات قداسة البابا ، رجل الصلاة .



صورة كنيسة السيدة العذراء فى الزيتون

صدى البيان البابوى فى الصحافة

كان للبيان البابوى الذى أعلن حقيقة ظهور السيدة العذراء فى كنيستها بالزيتون صدى عظيماً فى كل أنحاء البلاد، وكل أنحاء العالم . وقد استقبلته الصحافة المحلية والعالمية باهتمام كبير، ونشرته فى صفحاتها الأولى بعناوين ضخمة، وأسهبت فى تفصيل ما دار فى المؤتمر الصحفى الذى عُقد بهذه المناسبة بالمقر البابوى، كما أسهبت فى وصف مناظر ظهور السيدة العذراء، وما صاحب هذا الظهور من معجزات الشفاء لكثير من المصابين بأمراض مستعصية. وفى الصفحات التالية بعض نماذج من عناوين الصحف، تنم عما كان لهذا الحدث الجليل من أثر يفوق كل وصف.



صورة العذراء كما تجلت وتتجلى خارج القبة الشرقية البحرية

مقدمـــــة

سعدت كنيستنا وبلادنا وشرِّفت بظهور وتجلّى أم النور مريم بصورة لم يُعرف لها نظير فى كل بلاد العالم شرقاً وغرباً . وقد هرع الناس إلى كنيسة الزيتون من كل مكان فى القاهرة وفى كل بلادنا، ومن غير بلادنا، وحملت الإذاعات والصحف ووكالات الأنباء الخبر السعيد إلى كل مكان فى الدنيا، واهتزت له النفوس وانتعشت به الأرواح والأجساد، وتدفقت على كنيسة الزيتون عشرات الألوف من كل لون وجنس ودين ولغة، وأيقن الجميع أنهم أمام ظاهرة خطيرة ولابدّ أن تكون بشيراً بأمر جلل وأحداث لها خطرها بالنسبة لمستقبل كنيستنا وبلادنا، وبالنسبة لمستقبل البشرية كلها .

مرات الظهور السابقة :

إن ظهور العذراء ليس فى ذاته حدثاً جديداً لا سيما فى بلادنا التى نالت منذ القديم بركات وافرة من السماء، اختصها الله بها أكثر مما اختص بلداً آخر فى كل المعمورة. فالعذراء ظهرت مرات فى كل التاريخ المسيحى، ولكن ظهورها فى كل تلك المرات كان :

أولا – ظهوراً لشخص واحد فى حلم أو فى رؤيا لتطمينه ، أو لتبليغه رسالة خير، أو لتنبيهه إلى أمر يخصه هو شخصياً أو يخص أسرته أو يخص الكنيسة أو الأمـــــة بأسرها – وذلك كما حدث للبابا أبرآم ابن زرعة وهو الثانى والستون فى سلسلة باباوات الأسكندرية الذى طلب منه الخليفة المعز الفاطمى (فى القرن العاشر للميلاد) تحويل جبل المقطم من مكانه، برهاناً على صدق قول المسيح له المجد : " لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل "(١) فلما اعتكف البابا بكنيسة العذراء الشهيرة بالمعلقة صائماً بدموع مدة ثلاثة أيام، استجاب الله لصلاته، وظهرت له العذراء من إيقونتها فى فجر اليوم الثالث، وبشرته بأن المعجزة ستتم والجبل سينتقل، وقد انتقل الجبل بالفعل مما يلى تل الكبش بين القاهرة والفسطاط بزلزلة عظيمة ، وكانت الشمس تظهر من تحته على نحو ما سجلته كتب التاريـــــخ وحفظه تراثنا الكنسى .

---

(١) (متى١٧: ٢٠)، (٢١: ٢١)، (مرقس١١: ٢٣)، (لوقا١٧: ٦) .

ثانيا – ظهوراً قصيراً لا يتعدّى بضع دقائق يستغرقها أداء الرسالة التى ظهرت العذراء من أجلها .

ثالثا – ظهوراً لمرة واحدة عادة بالنسبة لكل حدث على حدة . وقد يتكرر مرة أخرى أو مرتين أخريين على أكثر تقدير كما حدث بالنسبة للخليفة المأمون (٨١٤–٨٣٣) م الذى كان قد أصدر أمراً فى القرن التاسع بهدم جميع الكنائس المصرية، فنفَّذ الأمير الحاكم بمصر أمر الخليفة العباسى . فلمَّا أراد هدم كنيسة العذراء بأتريب. واعترض كاهنها الراهب القس يوحنا، وطلب مهلة ثلاثة أيام، وأمهله الأمير، وإعتكف الكاهن القديس بالكنيسة صائماً ومصلياً، فظهرت العذراء للخليفة فى بغداد فى ثلاث ليال متوالية، وطلبت إليه فى الحلم أن يكتب إلى الأمير بوقف هدم كنيسة أتريب وسائر الكنائس فى مصر. ولما صدع الخليفة للأمر وكتب الخطاب ومهره بتوقيعه، إختطفه من يده طائر أبيض وحمله إلى خيمة الأمير فى أتريب وهى مغلقة، وألقاه بين يديه . أو كما حدث فى القدس فى يوم ٢١ يونية سنة ١٩٥٤م حيث ظهرت العذراء بدير الأقباط الأرثوذكس أكثر من مرة فبنى المطران الأنبا ياكوبوس كنيسة فى مكان الظهور .

الظهور فى بلاد الغرب :

وكذلك مرات ظهور العذراء الشهيرة فى بلاد الغرب، مما يرويه من كتبوا عن هذا الظهور فى بلدة " فاطمة " بالبرتغال فى المدة من ١٣ مايو إلى ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٧ وفى " لورد " عام ١٨٥٨ م .

فالملاحظ عن هذا الظهور الأخير بحسب رواية الذين أرّخوا له :

١– **إنه ظهور أو تجلّى ليس للجماهير**، فقد كان الأطفال هم الذين يرون العذراء، ولا يراها غيرهم من ألوف البشر الذين اختلفوا إلى مكان الرؤيا، ليتحققوا من رواية الأطفال . وهذا هو السبب فى أن الفاتيكان لم يعلن الإعتراف بهذا الظهور إلا بعد سنوات مما جمعه من أنباء المعجزات .

٢– **إنه ظهور لزمن قصير** يتراوح بين ١٠، ١٥ دقيقة فى كل مرة .

٣– **إنه ظهور لمرات قليلة** وفى فترات متباعدة .

فالمؤلفون الذين كتبوا عن هذا الظهور قالوا إن ظهور العذراء فى مدينة فاطمة حدث ست مرات (من١٣ مايو إلى ١٣ أكتوبر سنة ١٩١٧) وكان بين كل ظهور والظهور التالى له مدة شهر، ثم توقف الظهور نهائياً بعد المرة السادسة. وكذلك الحال

بالنسبة إلى مدينة لورد، فالذين كتبوا عنه قالوا إنه حدث ثمانى عشرة مرة منذ ١١ فبراير سنة ١٨٥٨ .

مميّزات التجليّات فى الزيتون :

أما تجليّات السيدة العذراء فى الزيتون فتتميَّز بأمور ثلاثة :

أولاً – إنها تجليات لا لشخص واحد أو عدد محدود من أفراد يرونها هم ولا يراها غيرهم، بل هى تجليات لجميع الناس فقد رآها فعلاً عشرات الألوف فى كـــل مرة. ولذلك **فهى تجليات وليست مجرد ظهور .**

ثانياً – إن بعض تجليات أم النور تستغرق وقتاً كافياً قد يطول أحياناً إلى بضع ساعات ، حتى أمكن للبعض أن يراها مرات فى الليلة الواحدة ، فإذا ابتعد عن مكان الرؤيا بسبب ضغط الجماهير وتزاحمها ، كان يجاهد ليعود مرة ومرات ، فكان يتمكن من رؤية أم النور، ثم يفسح المجال لغيره، ثم يعود فيراها من جديد. وكان بعض الناس ممن يراها يجرى إلى بيت قريبه أو صديقه يوقظه من نومه فيرتدى ملابسه ويندفع إلى المكان، فيرى بدوره ما رآه غيره فيرجع مؤمناً بحقيقة الرؤيا .

ثالثاً – إنها تجليات متكررة متوالية – متكررة لأنها :

١– فى الليلة الواحدة تظهر وتتجلى عديداً من المرات، وبمناظر مختلفة، وفى مواضع مختلفة من الكنيسة : فى داخل القبة الشرقية البحرية، وفى خارجها، وفى داخل القبة الغربية البحرية، وفوقها ، وخارجها، وفوق القبة الكبرى والوسطى، وفوق القبتين الغربية القبلية والقبة الوسطى، وفوق النخلة ، وفى الفجوة بين شجرتين بالجهة القبلية للكنيسة .

٢– أنها تظهر أحياناً فى ليالٍ متعاقبة من دون هدنة . وفى بعض الليالى التى لاتتجلى فيها تظهر بعض الظواهر الروحانية ومن بينها الحمام الأبيض الناصع المشع فى تشكيلات مختلفة، والنجوم، والبخور، والسحاب المنير. وفى بعض الليالى لايظهر شيء على الإطلاق. ولكن عدم الظهور فى هذه الليالى يؤكد حقيقة الظهور فى الليالى التى تتجلى فيها أم النور، لأن الظروف الخارجية هى هى بعينها من حيث الإضاءة وغيرها .

ولا يمكن لذلك أن نعطى رقماً صحيحاً لعدد مرات الظهور أو التجليات التى تمت حتى الآن . إنه لايعيها الحصر .

٣- ثم هى تجليات متوالية : لقد مر على بدء الظهور سنة كاملة (من ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ إلى ٢ أبريل سنة ١٩٦٩) ولا زال تجلى العذراء والظواهر الروحية تتوالى، ولا نعرف متى يتوقف هذا الظهور أو التجلى . فإذا قلنا إن تجليات العذراء أم النور بلغت فى هذا العام المنصرم ٣٠٠ أو ٤٠٠ ظهور وتجلى، فهذا التقدير تقدير خاطىء لا شك، وليس منصفاً للحقيقة الواقعة. لأنه إذا كان فى بعض الليالى لا يتم ظهور واحد، ففى ليال كثيرة متوالية كانت تتم عدة تجليات فى الليلة الواحدة وإلى فترة طويلة تعقبها هدنة غير محددة لليلة واحدة أو لبضعة ليال .

من كل ماسبق يتضح لنا أننا فعلا أمام ظاهرة جديدة كل الجدّة لم يسبق لها نظير فى الشرق أو الغرب . وهى ظاهرة ينبغى أن ننظر إليها نظرة جادة غير هازلة، لأنها على قدر ما هى مفرحة ومثيرة، بقدر ما هى جليلة وخطيرة، بل وبشيرة ونذيرة بأحداث متوقعة فى المستقبل القريب لأمتنا وبلاد الشرق الأوسط، وفى المستقبل البعيد للجنس البشرى كله .

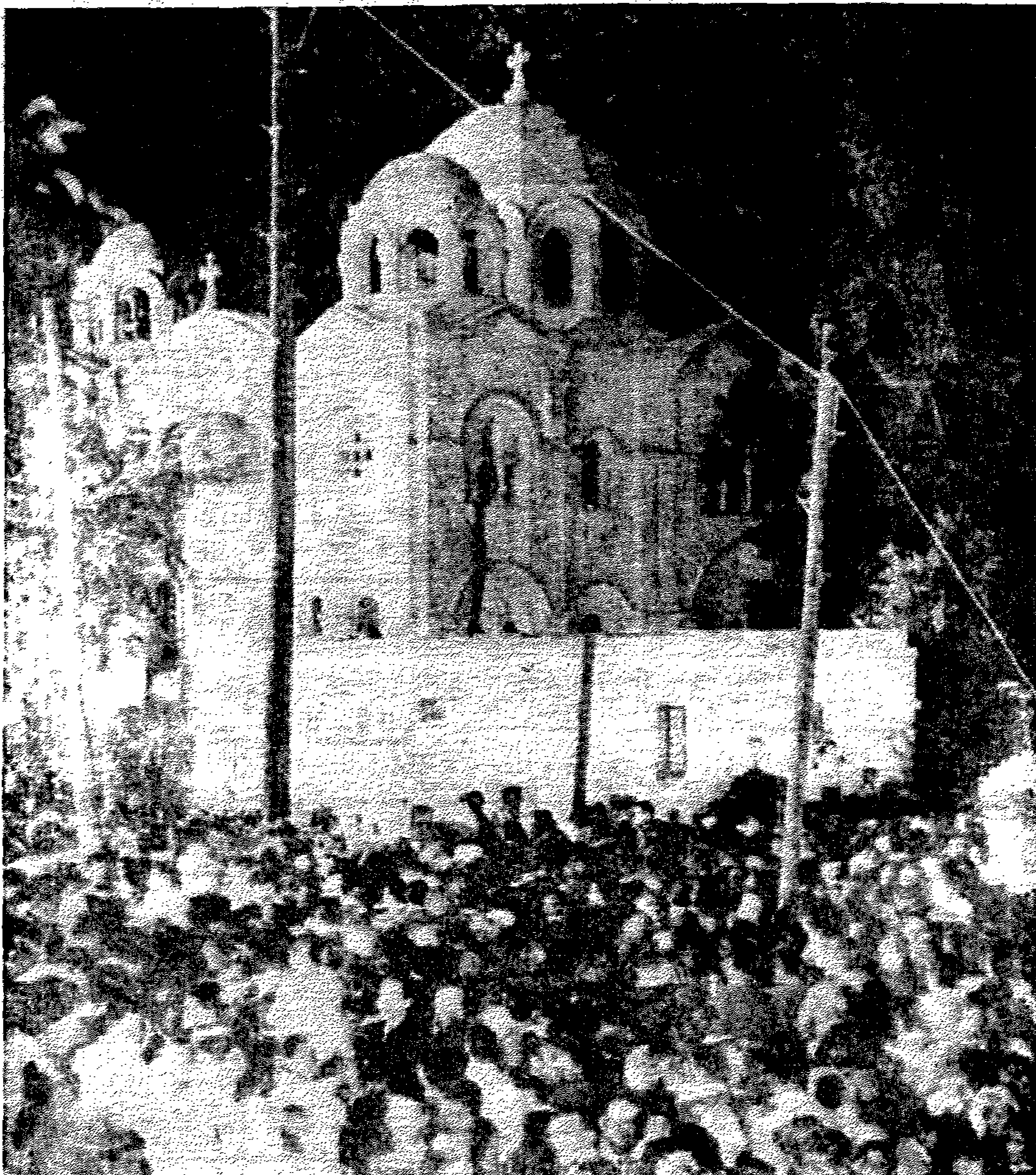
الظهور حقيقة :

أما أن ظهور العذراء وتجلياتها حقيقة مؤكدة فهذا أمر لايرقى إليه الشك بتاتاً .
وكل من شك ذهب ورأى فرجع مؤمناً لا بالظهور وحده، بل عاد مؤمنا بالله وبعالم الأرواح، وبالآخرة، والحساب، والثواب، والعقاب، وبكل القيم الروحية المسيحية .

ولذلك فإنه عندما كان يتصل بنا الصحفيون ومراسلو وكالات الأنباء يستفسرون عن إعتراف الفاتيكان بظهور العذراء فى الزيتون كنت أبتسم متعجباً من إستفسار كهذا وكنت أقول : **هل نحن الذين رأينا ونرى العذراء بعيوننا فى حاجة إلى أن يشهد الفاتيكان بصحة الرؤيا وهو على بعد ألوف الأميال؟! إنه يكفينا أن نقول لكل من يشك ما قاله فيلبس لنثنائيل عن السيد المسيح " تعال وانظر " !**

ومع ذلك لقد جاء كثيرون من الأجانب من مختلف بلاد العالم، وذهبوا إلى الزيتون، ورأوا بعيونهم، وآمنوا، وعادوا إلى بلادهم مؤمنين، ونقلوا إيمانهم وما رأوا لغير المؤمنين أو للمتشككين أو للمتسائلين .

وقد وردت إلى لجنة تقصّى الحقائق عشرات الرسائل من مختلف بلاد العالم : من السويد والدانيمارك وإنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وإيطاليا، والولايات المتحدة الأمريكية ، وبلاد الشرق العربى، وأفريقيا، واستراليا... ورددنا على هذه الرسائل مؤكدين لهم بالبيّنات حقيقة الظهور البتولى .



منظر عام لكنيسة السيدة العذراء بالزيتون وقد احتشدت حولها الجموع
الغفيرة تترقب ظهور السيدة العذراء

ولم يصدر البيان البابوى – من مقر قداسة البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية إلا بعد أن تثبتت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من حقيقة الظهور تحققاً تاماً، وتأكدت من شهادة الشهود الكثيرين الموثوق فى أمانتهم ودقتهم، وبعضهم من المطارنة والأساقفة والكهنة والعلماء وكل الشعب، مسيحيين وغير مسيحيين، مواطنين وأجانب ، مؤمنين وملحدين .

وقد شكّل قداسة البابا كيرلس السادس لجنة من بعض الأساقفة والكهنة للتثبت من رواية شهود الرؤيا، وقد قدمت إليه تقريرها بتاريخ ٣ أبريل سنة ١٩٦٨ .

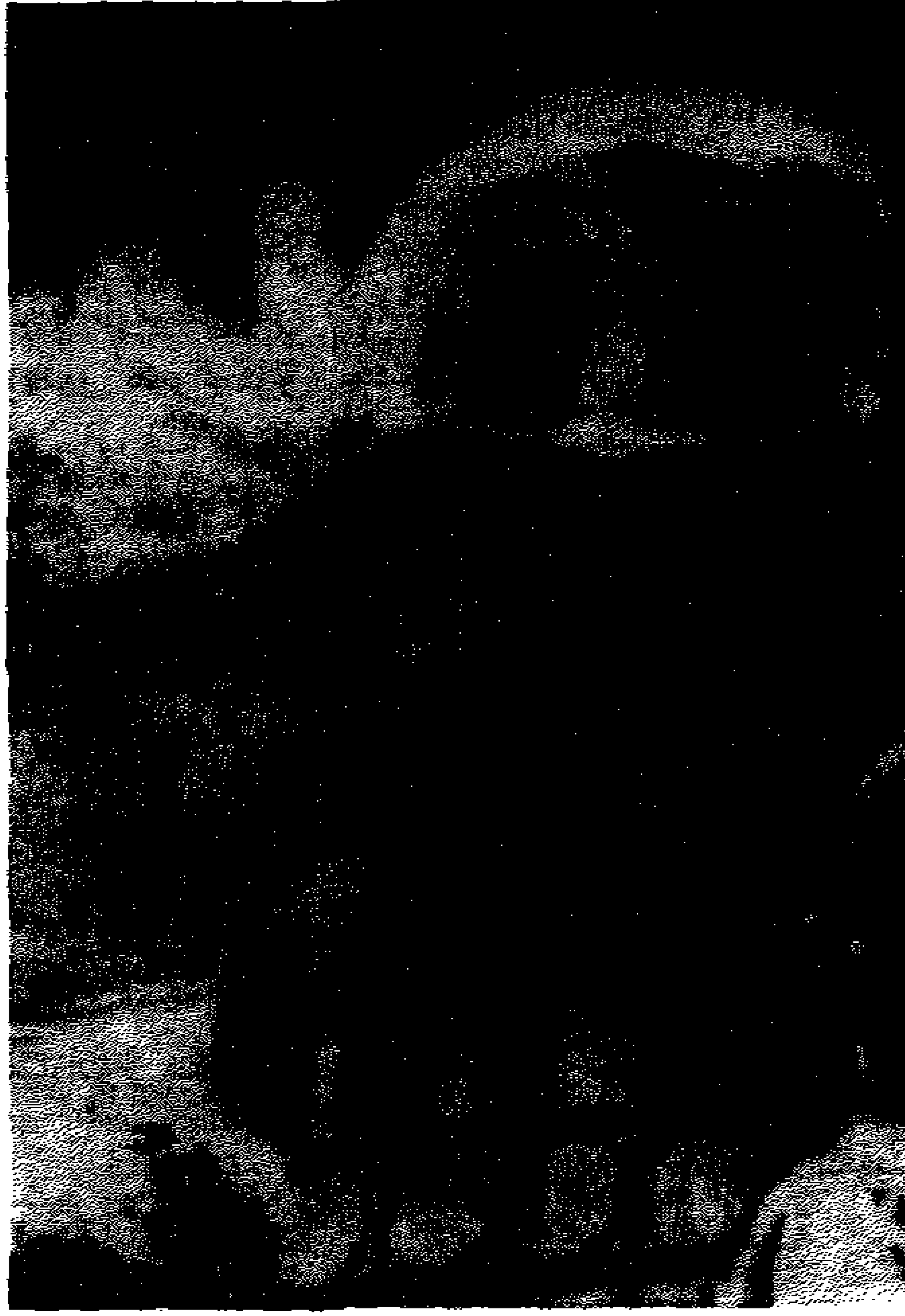
ومع أن أول ظهور وتجلي للعذراء أم النور كان بتاريخ ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ إلاّ أن المقرّ البابوى لم يعلن رسمياً حقيقة الظهور والتجلى إلاّ فى المؤتمر الصحفى الكبير الذى عقد بالمقرّ البابوى بالقاهرة فى يوم السبت الموافق ٤ مايو سنة ١٩٦٨ (– ٢٦ برمودة سنة ١٦٨٤) والذى شهده أكثر من مائة وخمسين من الصحفيين والإذاعيين ومراسلى وكالات الأنباء والصحف المحلية والأجنبية، أى بعد مرور أكثر من شهر على بدء الظهور، وبعد أن صار الظهور حقيقة مؤكدة لا يتناولها الشك من بين يديها ولا من خلفها .

لجنة باباوية لتقصّى الحقائق :

على أن قداسة البابا كيرلس السادس لم يكتف بذلك، بل شكّل لجنة باباوية برياسة أسقف البحث العلمى، لا لتوكيد الظهور الذى أصبح حقيقة واضحة، بل لتجميع الوثائق من شهادات وتقارير الذين رأوا بعيونهم، وتنظيمها وتنسيقها، ثمّ فحص المعجزات الشفائية التى تمّت منذ التجلى الطاهر بمعرفة الأطباء والإخصائيين أعضاء القسم الطبى من لجنة تقصّى الحقائق، ونشر كل ذلك على الناس باللغات العربية والأجنبية .

ولما كانت هذه المهمة العلمية التى عهد بها قداسة بابا الإسكندرية إلى أسقف البحث العلمى وأعضاء لجنة تقصّى الحقائق مهمة جليلة وخطيرة بقدر ما هى شاقة وضخمة، فإنه منذ تاريخ تشكيل اللجنة فى يوم الأحد ٥ مايو سنة ١٩٦٨ – ٢٧ برمودة سنة ١٦٨٤ – واللجنة تواصل عملها بالأمانة والدقة اللتين تقتضيهما مهمتها الشريفة ، وثقة الكرسى الرسولى، من أجل مجد الله ومن أجل الحق والخير . وهذا هو سرّ تأخّر ظهور هذا الكتاب إلى اليوم .

على أن اللجنة رأت أنه مادام الظهور متوالياً، فلا بأس من أن يظهر الكتاب على أجزاء .



تجلى نورانى للعذراء مريم بجوار القبة إلتقطه المصورين



جانب من الجموع المتراصة التى كانت تظل واقفة على أقدامها
من المساء إلى الصباح فى الشوارع المحيطة بكنيسة العذراء بالزيتون ، مترقبة فى لهفة
وفى غير كلل أو ملل أن تسعد برؤية السيدة العذراء

ويسرّ اللجنة أن تضع أمام الله وبين يدى قداسة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ، وكل شعوب الأرض الجزء الأول من تقريرها .

وسيتبعه إن شاء الله الجزء الثانى وفيه تفصيلات للظهور مرتبة بأوقاتها، وفيه أيضاً بعض المعجزات التى تتم تحقيقها .

ونحن نسأل بركة الله على هذا العمل العظيم لخير الناس، كل الناس، ولخدمة الحق، فى جميع الخلق .

وليتولانا الله برحمته ورعايته، بشفاعة ذات الشفاعات معدن الطهر والجود والبركات سيدتنا كلنا وفخر جنسنا العذراء البتول الزكية السيدة مريم العذراء والشهيد الكريم مارمرقس الرسول .

ولله العظمة والمجد والسجود الآن وكل أوان، وإلى دهر الدهور . آمين .

الأنبا غريغوريوس
رئيس لجنة تقصى الحقائق



صورة فوتوغرافية لتجلى العذراء فوق الكنيسة للمصوروجية رزق وقد نشرت فى أغلب الجرائد في الأيام الأولى للظهور

أهم حدث سماوى فى القرن العشرين

تجلِّيات مريم العذراء
على وفى قباب كنيستها بالزيتون

الباب الأول
مناظر التجلى

لم يشهد العالم كله شرقا وغرباً ظاهرة روحانية كهذه الظاهرة التى تجلّت على وفى قباب كنيسة صغيرة فى ضاحية هادئة من ضواحى مدينة القاهرة تسمى حدائق الزيتون، يقطعها القطار الذى يصلها من القاهرة عند محطة كوبرى الليمون فى نحو عشرين دقيقة، فهى تبعد بمسافة ٨ر٥ كيلو مترات شرقى مدينة القاهرة .

فمنذ مساء يوم الثلاثاء الموافق الثانى من شهر أبريل سنة ١٩٦٨ تتجلى العذراء القديسة مريم بهيئة روحانية نورانية مجسّمة منظورة متألقة بالنور والبهاء فى صور ومناظر متباينة أمام الألوف وعشرات الألوف من الناس، مصريين وأجانب، مسيحيين وغير مسيحيين، رجالاً وسيدات وأطفالاً. ويسبق ظهورها ويصحبه تحركات لأجسام روحانية تشق سماء الكنيسة بصورة مثيرة جميلة ترفع الإنسان الطبيعى فوق مستوى المادة وتحلّق به عالياً فى جو الصفاء الروحى .

ومن أهم المناظر التى تجلت فيها أم النور أمام جميع الناس :

المنظر الأول :

منظر العذراء الحزينة

تبدو العذراء فى هذا المنظر(١) فى جسم نورانى كامل فى الحجم الطبيعى لفتاة شابة، وأحياناً أكبر من الحجم الطبيعى للإنسان، رأسها فى السماء، وكأنها شقت السماء ونزلت منها، وقدماها فى الفضاء وكأنها واقفة على أصابعها، تحيط رأسها المقدس وجسمها المضىء طرحة فضية بهيّة، وأحيانا زرقاء سماوية داكنة، والجسم كله نور من نور، يبدو فى الغالب فوسفورياً يميل إلى الزرقة الفاتحة . وأحياناً يبدو الرداء من تحت الطرحة نورانياً أبيض ناصعاً، والرأس من تحت الطرحة منحنية إلى أسفل فى صورة العذراء الحزينة، ونظراتها نحو الصليب الذى يعلو القبة الكبرى فى منتصف سطح الكنيسة .

---

(١) وقد رآه اسقف البحث العلمى وعشرات الألوف من البشر فى عدة ليال، ومنها ليلة الأحد ٥ مايو سنة ١٩٦٨ حيث شوهدت لبضع ساعات منَ التاسعة مساء السبت إلى الخامسة صباح الأحد .

والمنظر يثبت على هذا الوضع حيناً، ويتحرك حيناً فى هدوء وبطء بين القبة الغربية القبلية للكنيسة (ذات القباب الخمس) وبين القبة الوسطى وهى الكبرى، ونظراتها مثبتة نحو الصليب المنتصب فوق القبة الكبرى. والصليب نفسه يضىء ويشع نوراً مع أنه من جسم معتم . ويشعّ من جسم العذراء نور ينتشر فى تدرّج يضىء سماء الكنيسة فى محيط يشغل معظم مساحة السطح .

وقد ترفع العذراء يديها ثم تخفضها، وقد تعقدهما على صدرها كمن يصلّى وهى ملفوفة فى طرحتها البيضاء فى نظرات الهدوء والسكينة والوقار. ويحدد المنظر كله بما يبرزه عن فضاء السماء وكأنها أسلاك من نور ساطع يلمع فى الحدود الخارجية للمنظر مايشبه النجوم بضوء وهاج . وقد نفى صبى صغير كان واقفاً ومشاهداً المنظر وقال " إنى أراها لا نجوما ولكن ملائكة صغار يحيطون بالسيدة العذراء أم النور " .

وقد يظهر من خلفها ملاك أحياناً فارع الطول فارداً جناحيه فوق القبة القبلية وقد تظهر من غيره أحياناً. ويطول ثبات هذا المنظر فى بعض الأحايين إلى بضع ساعات.



العذراء مريم

المنظر الثانى :

العذراء فى هيئة ملكة متوجة فوق الشجر

والمنظر الثانى الرائع(١) تبدو فيه أم النور فى وقفة ملكة عظيمة فى صورة روحانية جميلة تطفح بهاءً وجلالاً وكرامة، كلها نور من نور، أبهى لمعاناً من أى نور طبيعى، تحيط بوجهها هالة بلون أصفر فاتح. وأما أسفل العنق وأعلى الصدر فبلون داكن نوعاً ما، وعلى رأسها تاج ملكى كأنه من الماس يرصع ويلمع، وأحيانا يبدو فوق التاج صليب صغير مضىء . وقوامها الممشوق يرتفع فى السماء فوق شجرة بالجهة القبلية (أى الجنوبية) من الكنيسة، وفى موقفها السامق تحمل المسيح له المجد فى صورة طفل على يدها اليسرى، وعلى رأسه تاج، وتارة تظهر ويداها تضمَّان أطراف ثوبها، وتارة أخرى ترفع كلتا يديها، وكأنها تبارك العالم، وهى تتجه إلى اليمين، وإلى الأمام، وإلى اليسار، فى حركة وقورة متزنة يجللها سمو روحانى لايعبر عنه ولاينطق به، ورداؤها يهفهف من ذيله، وكأنها تظهر ذاتها لجميع الناس فى جميع الإتجاهات مشفقة على الذين لم يستطيعوا لكثرة الزحام أن يصلوا إلى زاوية الرؤيا المواجهة لمدخل الكنيسة فى الحارة الضيقة المسماه حارة خليل .

وفى هذا المنظر تبدو العذراء الطاهرة فى الحجم الطبيعى لعذراء شابة فى قامة صحية مثالية، وجلالة روحانية، كلها جسم نورانى يصعب على الناظر إليها أن يميز تقاطيع وجهها، وإن كان جسمها يبدو واضح الملامح يتميز فيه الرأس المكلل بالتاج عن الرقبة واليدين وكل البدن .

ويقول الأستاذ كامل عطية سليمان المحامى فى تقريره (٢) .

---

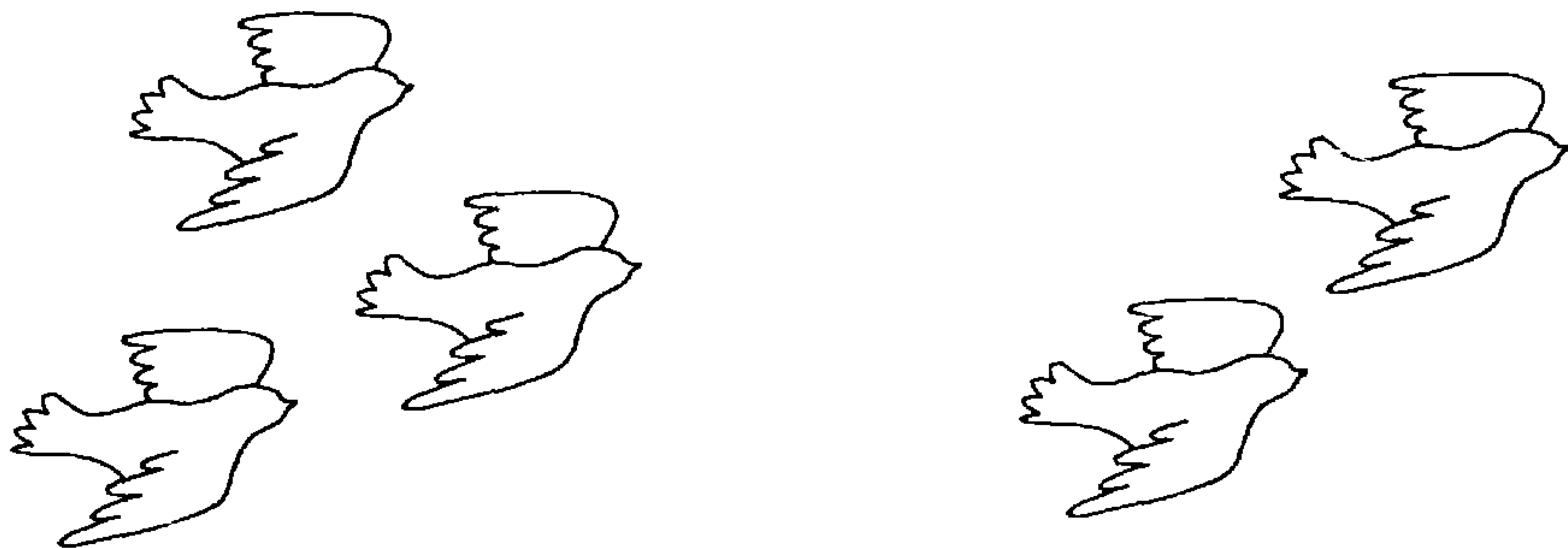
(١) وقد رآه اسقف البحث العلمى وعشرات الألوف من الناس .

(٢) الأستاذ كامل عطية سليمان المحامى " السن ٥٦ سنة والحاصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٣٥ وعلى دبلومى الدراسات العليا للقانون الخاص سنة ١٩٣٦ والقانون العام سنة ١٩٣٧ بطاقة عائلية رقم ١٩٥٨١ الزيتون . المقيم بالمنزل رقم ٣٦ شارع سليم الأول بالزيتون والمكتب بالعمارة رقم ٤ شارع الجوهرى بميدان العتبة الخضراء " – الوثيقة رقم ١٦ .

" رأيتها فيما بين أغصان الشجر فى ضوء القمر وقت السحر ... رأيت منظراً نورانياً لسيدة فارعة الطول، تملأ فراغاً بين شجرتين عاليتين ضخمتين تتشابك أغصانهما وتفترقان عند هذا الفراغ. كان المنظر رائعاً. راعنى عظمة المنظر وماهو عليه من جلال وأبهة وجمال. وأشد ما فى المنظر من روعة إنحناءة الرأس المقدس فى شبه إيماءة حانية . وأقرر أنه لو أن ملكة من الملكات تدرّبت عدة سنوات على يد أساطين العالمين فى فن البروتوكول لما جاءت الإنحناءة والإيماءة بمثل هذا القدر الرائع الذى كانت عليه ملكة الملكات " .

ويروى المهندس مراد يونان يسطس(١) وحرمه الدكتورة نادية فوزى يوسف(٢) قائلين :

" وتطلعنا تجاه الكنيسة فرأينا السيدة العذراء بكامل هيئتها فوق نخلة عالية تتوسط فروعها ومتوهجة بلون فوسفورى وكان يظهر فوقها بين حين وآخر صليب فوسفورى يتلألأ أكثر منها ثم يخبو المنظر كله . وحينئذ يظهر طفل صغير بدون ملابس كأنه ملاك يروح ويجىء عند موطىء قدميها. ثم تعود العذراء وتتوهج ويظهر الصليب فوقها وحينئذ يقف الملاك عن الحركة، إلى أن يخبو ذلك ليعود الملاك إلى الحركة مرة أخرى ... وهكذا دواليك مرات ومرات " .



----

(١) المهندس مراد يونان يسطس (بكالوريوس فى الهندسة من جامعة القاهرة) وهو كبير المهندسين بشركة موبيل أويل (١٠٩٧ كورنيش النيل جاردن سيتى) بطاقة عائلية رقم ١٠٢١٠ قصر النيل - الوثيقة رقم ١٥٥ .

(٢) الدكتورة نادية فوزى يوسف (بكالوريوس فى الطب والجراحة - قصر العينى - جامعة القاهرة) وهى طبيبة بمركز رعاية الطفل والأمومة بمدينة الجيزة بطاقة شخصية رقم ٧٤٢٣ قصر النيل - الوثيقة رقم ١٥٥ .

المنظر الثالث :

العذراء فى هيئة ملكة متوجة
فوق القبة القبلية الغربية

وهنا أترك الأستاذ زكى شنوده المحامى ومدير المؤتمر الأفريقى الآسيوى يصف هذا المنظر الذى رآه عشرات الألوف من البشر، من كل الأديان والملل فى فجر الأحد ٢٨ أبريل سنة ١٩٦٨ .

" طال ترقبّى مع الجموع ساعات طويلة (من الخامسة مساء السبت) حتى بلغت الساعة الثالثة والنصف صباحاً (صباح الأحد). وإذا ببعض الأشخاص يقبلون من الشارع الضيق الذى به مدخل الكنيسة (حارة خليل) صائحين إن السيدة العذراء متجلية فوق القبة القبلية الغربية، فاندفع الناس إلى ذلك الموضع، واندفعت معهم، وهناك رأيت منظراً لن أنساه طول عمرى، وسيظل زادى وذخرى وعزائى فى كل الأيام الباقية لى من الحياة... رأيت السيدة العذراء متجلية فوق القبة فى صورة ملكة تقف، والتاج على رأسها، بحجمها الطبيعى، فى إنتصابة كاملة ومجد عظيم، وقد تلألأت كأنها الشمس الساطعة وسط الظلام ، والنور يشع من جسدها الباهر الضياء فى هالة لايمـــكن أن تصدر عن أى نجم من نجوم السماء، أو مصباح من مصابيح الأرض مهما بلغ سطوعه وتلألؤه، وإنما هو نور إلهى لا نظير له، ويبدو من فرط قوّته وعمقه وصفائه مائلاً إلى الزرقة، ولكنها زرقة لا تنتمى إلى الألوان الأرضية بل تخطف الروح خطفاً إلى ملكوت السماء. والرأس منتصب تحت التاج فى جلال، ومع ذلك يومىء فى عطف وحنان . والجسم فارع ورقيق، تكسوه غلالة من نسيج نورانى حتى القدمين. وقد ظلت الملكة المتجلية هكذا فى وضع ثابت بضع دقائق ثم لم تلبث أن بسطت ذراعيها قليلا من تحت الرداء الفضفاض فى حركة خفيفة إلى الأمام نحو الشعب تحييه وتباركه . ولبثت هكذا ما يقرب من ساعة ونصف لا تغيب عن أعين عشرات الألوف من الناس . وقد تولانى كما تولّى جميع الناس إنبهار بلغ حد الذهول... وقد ظللت أتطلع إلى السيدة العذراء وهى متجلية هكذا منذ الساعة الثالثة والنصف إلى الساعة الخامسة من الصباح ، وهو صباح الأحد ٢٨ أبريل سنة ١٩٦٨. وإننى أشهد بذلـــك

وأقرر أمام الله أن كل ما ذكرته فى شهادتى هذه صحيح والله على ما أقوله شهيد[١] ".

ومما رواه نيافة الأنبا أثناسيوس أسقف محافظة بنى سويف قوله عن الظهور فى فجر يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ .

" رأيتها أعلى من القباب بين القبة الوسطى والقبة القبلية ...وظهرت كاملة بحجم الإنسان الطبيعى... منظر كامل عظيم مشعّ بنور أزرق خفيف سماوى مشوب بقليل من الإحمرار.. مثل التمثال الفوسفورى.. مشع جداً جداً .. وكانت العذراء تتحرك.. تلتفت غرباً وتحرك يديها كأنها تبارك الجموع... وأحياناً تحرك رأسها فى إعادة هادئة. وكانت هالة من النور حولها تجعلها فى صورة سمائية.. كيان يتلألأ... ورأيت هذا النور يتموّج. ثم تظهر نقط مضيئة حولها كأنها النجوم تحيط بها.. والنور مائل إلى الزرقة.. والزرقة تزيد ثم تخف.. وداعة عجيبة .. هدوء وروح سماوية.. المشهد رائع أكثر مما تعبّر عنه الألفاظ .. ولم تكن العينان والأنف والفم وقسمات الوجه مفصّلة، بل تظهر فى شكل ظلال، وكانت اليدان والرجلان تتحركان.. فكانت تحرك يديها.. يداها تقتربان وتبتعدان وكأنها تعطى البركة. أما القدمان فلم أميّزهما تماماً .. ولكن الحركة كانت توضحهما. وكانت العذراء تلبس رداء على الرأس مثل الطرحة. ثم الرداء كاملا وكله طويل يغطيها حتى القدمين.. ولكنه لايغطى الوجه ولا يغطى اليدين[٢] " .

---

(١) من تقرير الأستاذ زكى شنوده المحامى ، ومدير المؤتمر الأفريقى الآسيوى، ومؤلف موسوعة تاريخ الأقباط وكتب أخرى فى السياسة والأدب والتاريخ والقانون وقد ترجم إلى اللغة العربية عديدا من الكتب – وهو عضو اللجنة البابوية لترجمة الكتاب المقدس، ويبلغ من العمر ٥١ عاما . وقد حصل على ليسانس فى الحقوق سنة ١٩٤٠، ودبلوم الدكتوراه فى القانون العام سنة ١٩٤٤ (بطاقة عائلية رقم ١٠١٦٦ المطرية) – الوثيقة رقم ٢١ .

(٢) انظر جريدة وطنى فى عددها الصادر صباح الأحد ٥ مايو سنة ١٩٦٨ (٢٧ برمهات سنة ١٦٨٤) وجريدة الجمهورية فى عددها الصادر فى صباح الثلاثاء ٧ مايو سنة ١٩٦٨ صفحة ٣، ورسالة الكنيسة (لصاحبها القمص ميخائيل جرجس صليب بدمنهور) السنة الخامسة عدد ١٠ (يونية ١٩٦٨ – بؤونة ١٦٨٤) ص ٣٢ – ٣٥ .

المنظر الرابع :

العذراء تطل من القبة الشرقية البحرية

وقد ظهرت فيه العذراء عديداً من المرات فى شكل فتاة ترتدى طرحة بيضاء تطلّ من طاقة فى القبة الشرقية البحرية (الشمالية) وتتحرك بين طاقات هذه القبة تومىء برأسها الملكى أو ترفع كلتا يديها وكأنها تحيى أو تبارك. وتارة تبدو حاملة المسيح له المجد فى صورة طفل على يدها اليسرى وقد تنقله إلى اليد اليمنى، وأحيانا تبدو وفى إحدى يديها أو كلتيهما غصن زيتون .

والملاحظ أنه قبل أن تتجلى العذراء فى هذا المنظر فى إحدى طاقات القبة الشرقية البحرية – والقبة عادة مظلمة حالكة الظلام نظراً لأنها مغلقة تماماً من أسفل بسقف الكنيسة بحيث لاتصل إليها أنوار الكنيسة من الداخل عندما تكون الكنيسة مضاءة – يظهر أولا فى القبة نور خافت لا يلبث أن يكبر شيئا فشيئاً حتى يصير فى حجم كروى تقريباً، ولونه أبيض مائل إلى الزرقة كلون قبة السماء الزرقاء عندما تكون الشمس مشرقة ساطعة. وبعد قليل يتحرك هذا النورفى إتجاه فتحة القبة من الخارج، وفى أثناء تحركه البطىء يتشكل رويدا رويدا بشكل العذراء مريم فى منظر نصفى من الرأس حتى منتصف الجسم، والرأس تحيط بها الطرحة التى تبدو بلون أزرق سماوى متدلية على كتفيها، ويبرز هذا الجسم النورانى متمثلة فيه العذراء، ويطلّ من القبة ويخرج بعض الشيء خارج القبة إلى فضاء الكنيسة .

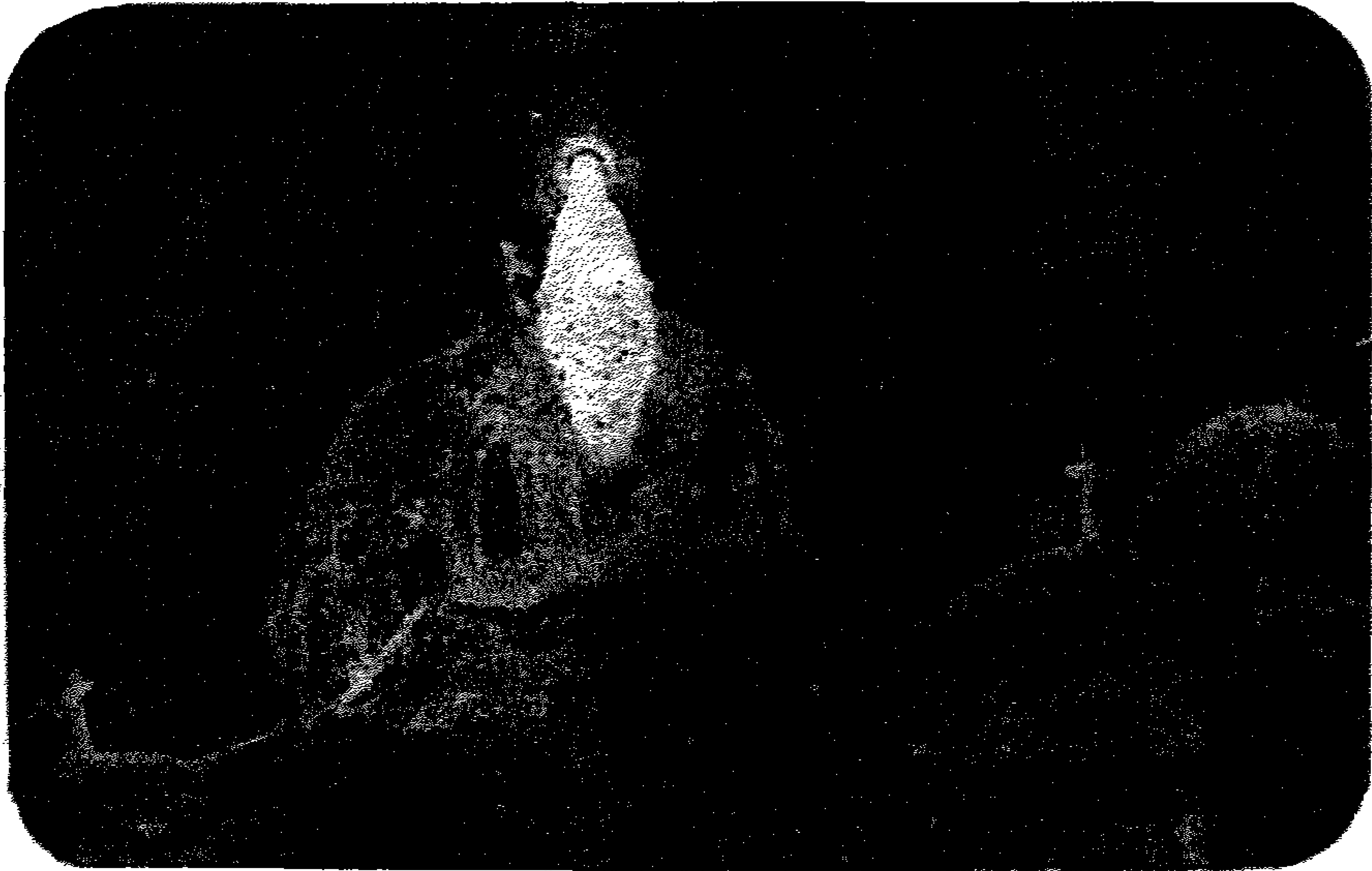
وأحياناً يبقى هذا المنظر دقائق وقد يبقى كذلك من ربع إلى نصف ساعة . وفى أحيان أخرى يتكوّن المنظر ويبرز خارج القبة نحو دقيقتين ثم يتحرك إلى داخل القبة، وحينئذ يبهت شكله ويعود إلى شكله الكروى ثم ينطفىء لبضع دقائق ثم يبدأ أن يتحرك من جديد متشكلاً كالأول، ثم يعود إلى القبة رويدا، ويعود إلى الظهور، كما حدث هذا فى ليلة عيد دخول العائلة المقدسة إلى مصر (٢٤ بشنس) الموافق أول يونية سنة ١٩٦٨ فقد توالى تجلى العذراء فى القبة الشرقية البحرية مرات لايحصى عددها من الساعة العاشرة مساء إلى بزوغ نور الصباح. ولعل هذا المنظر هو أكثر المناظر التى تتكرر أمام عشرات الألوف مرات ومرات ، فى ليال عدة لا حصر لها، وهو المنظر المتواتر الظهور الذى تمتع به أكبر عدد من الناس(١) " .

---

(١) وقد رأى أسقف البحث العلمى هذا المنظر عديداً من المرات كما رآه عشرات الألوف من الناس.



صورة نجح فى إلتقاطها المصور وجيه رزق فى الساعة ٣,٤٠ من فجر يوم السبت الموافق ١٣ أبرايل سنة ١٩٦٨
وقد نشرتها الصحف المحلية والأجنبية وقال عنها كبير مصورى جريدة الأهرام أنها بغير مونتاج
(انظر جريدة الأهرام فى عددها الصادر صباح ٥ مايو سنة ١٩٦٨).



صورة العذراء كما تجلت و تتجلى خارج القبة الشرقية البحرية ،
كما رسمها السيد الدكتور لبيب شنودة الطبيب بالأسكندرية من الذاكرة بعد أن رأى
ظهور السيدة العذراء مع ألوف من الناس .

المنظر الخامس :

العذراء على شكل تمثال نصفى
فى القبة الشرقية البحرية

وقد ظهر هذا المنظر كثيراً فى ليال عدة لعدد من الناس مرات ومرات، فتتجلى العذراء فى إحدى طاقات القبة الشرقية البحرية فى شكل تمثال نصفى، وعلى رأسها غلالة بيضاء ناصعة، وحول الرأس هالة مضيئة باللون الأصفر، يشتد ضوؤه أحيانا أخرى بعض الشيء ويسبق هذا الظهور بدقائق إنطلاق ومضات من النور كالذى تحدثه آلة التصوير الفوتوغرافى عدة مرات فى فترات زمنية متفاوتة [١] .



اللهفة والانفعال لسان حال الآلاف المتراصين طوال الليل

---

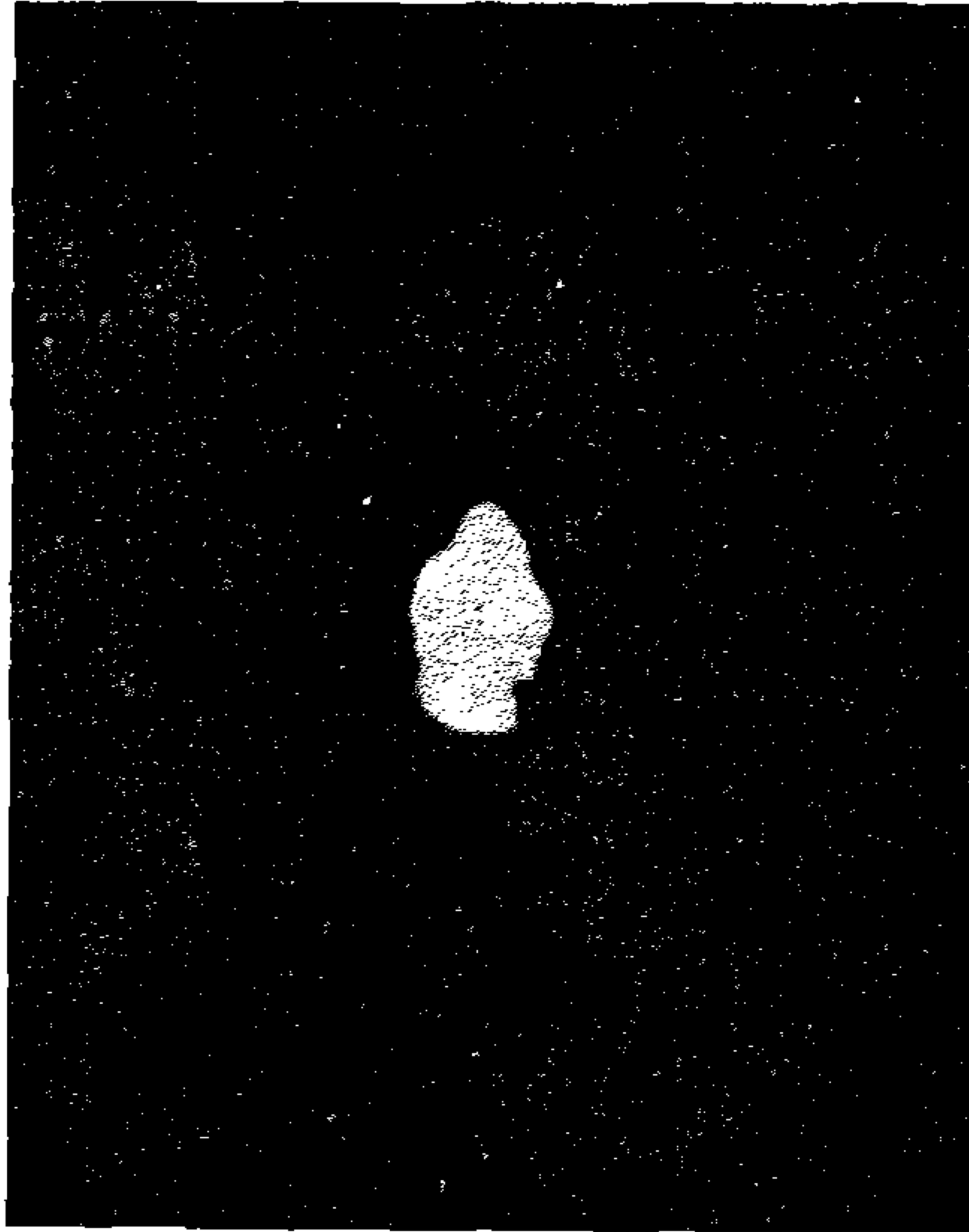
(١) تقرير السيدة زوزو رزق الله ميخائيل مدرسة تربية فنية بمدرسة سراى القبة الثانوية للبنات – الوثيقة رقم ٢٣ .

المنظر السادس :

العذراء على شكل تمثال نصفى
فوق القبة الكبرى

ويبدو المنظر فى مبدأ الأمر كما لو أن سحابة بيضاء تظهر فوق القبة الكبرى وهى الوسطى، وفى منتصف سطح الكنيسة، ولا تلبث السحابة أن تتشكل فى صورة السيدة العذراء فى منظر تمثال نصفى لها، تحيطها هالة نورانية، والتمثال كله من نور باهر. ويسبق هذا التجلى ظهور أسراب من الحمام تطير فوق العذراء أم النور ومن حولها ثم تختفى .

وأحياناً تشاهد العذراء تسير على سطح الكنيسة أمام القبة الوسطى وبين القبتين الصغيرتين الأماميتين (الشرقية البحرية والغربية البحرية) ، وخلف الصليب الأمامي للكنيسة من جهة حارة خليل وهى واقفة، وبيدها شيء قد يكون غصن زيتون أحياناً، وثيابها النورانية ترفرف فى الهواء، وتحرك ذراعيها وترفعهما وتخفضهما فى إتجاه الجماهير، وعلى رأسها إكليل نورانى بأشكال دائرية منفصلة تضيء حول رأسها .

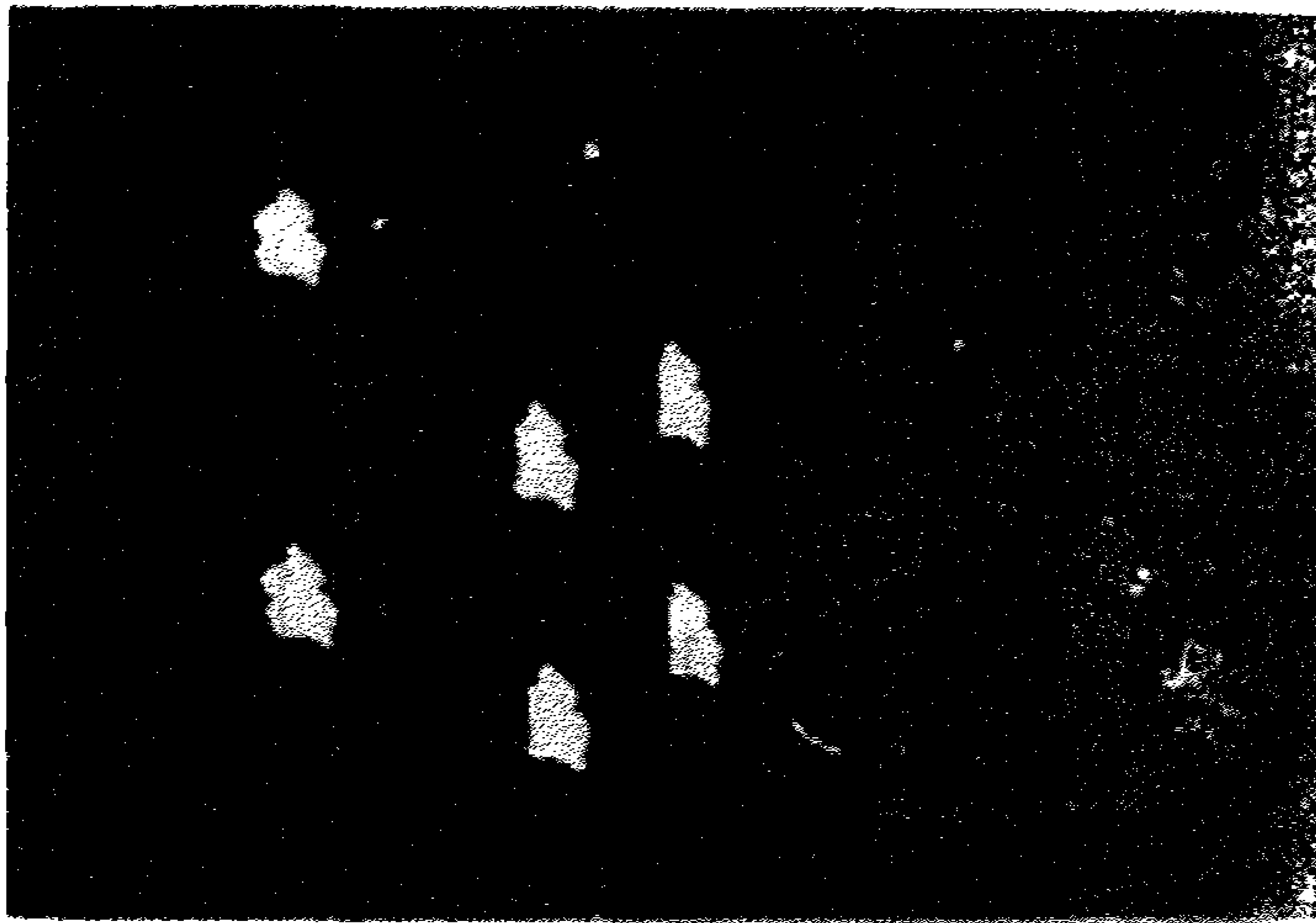


صورة العذراء كما تبدو فى القبة الشرقية البحرية للكنيسة فى منظر تمثال نصفى - إلتقطها المصور الفنان وجية رزق فى الساعة ٤,٣٠ من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢١ مايو ١٩٦٨.

المنظر السابع :

العذراء راكعة أمام الصليب تصلِّى

تظهر أولا كتلة من النور القوى على الصليب المسلح القائم فوق القبة الوسطى والكبرى، مع أنه جسم معتم. ويتشكل هذا النور شيئاً فشيئاً فى صورة العذراء تأخذ فى الوضوح والظهور إلى أن تتجلى تماماً راكعة أمام الصليب وهى تصلى ثم تقف بعد ذلك وتتجلى وهى تحمل السيد المسيح وهو طفل على يدها اليسرى، وتمسك بيدها اليمنى أحد أفرع الأشجار، وربما كان غصن زيتون، وهى تبارك الجماهير من كل جانب من الجوانب الأربعة، الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، وتحيط بها هالة من النور، وتبدو وهى مرتدية طرحة زرقاء قاتمة من فوق ثوب أزرق فاتح، وتعلو رأسها هالة من النور الساطع وكأنها الشمس(١) وجماهير الشعب يهلّلون ويرنّمون ويصرخون بالصلوات والإبتهالات، والبعض يبكى ويستغرق فى البكاء حتى يغمى عليه . ويستمر هذا المنظر نصف ساعة أو يزيد مع شىء من التغير فى الحركة والوضع والتفاصيل .



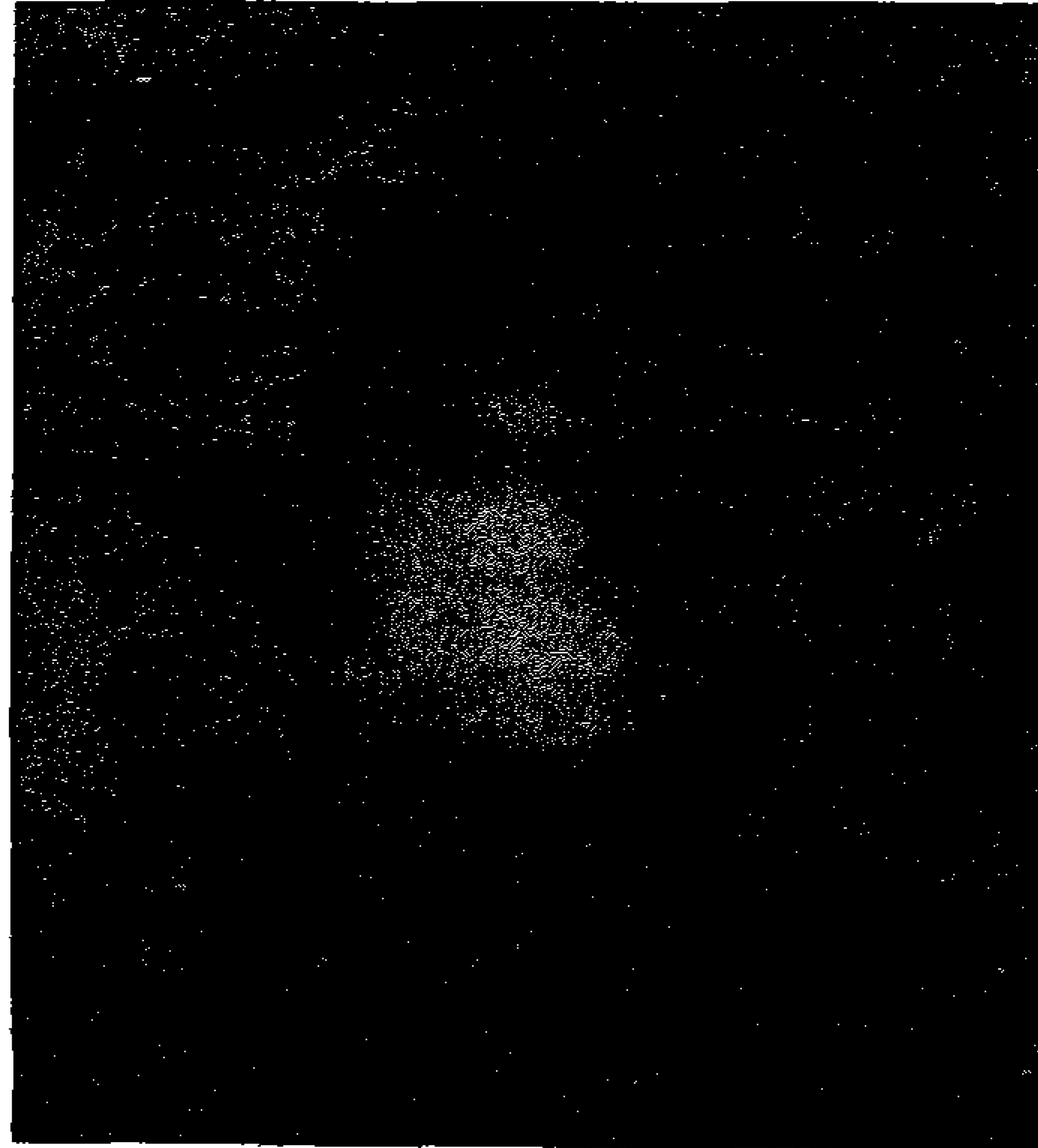
ستة كائنات روحية تطير فى سماء
إلتقطها وجية رزق

---

(١) تقرير السيد ناجى معوض رزق بكلية الهندسة بجامعة القاهرة – الوثيقة رقم ٢٦ .



صورة السيدة العذراء متجلية فوق القبة الكبرى وقد بدا معها شخص آخر
قد يكون هو السيد المسيح له المجد ، أو واحد من القديسين إلتقطها المصور وجيه رزق
فى الساعة ٢,٣٥ من فجر يوم الإثنين الموافق ٦ مايو سنة ١٩٦٨.



صورة العذراء وقد بدت راكعة تصلى ، ويبدو السيد المسيح فى حجرها
إلتقطها المصور الفنان وجيه رزق فى الساعة ٣,١٥ من فجر يوم
السبت الموافق ٢٥ مايو سنة ١٩٦٨.

المنظر الثامن :

العذراء بهيئة تمثال بللورى بقامة كاملة

وتبدو فيه العذراء جسماً بللورياً مضيئاً ناصعاً جداً وهى واقفة وقفة ملكية فى قامة منتصبة ممشوقة، تملأ إحدى طاقات القبة الغربية البحرية فى حجم صغير متناسق، وكأنها تمثال من النور الوضاء المشع الأبيض الناصع البياض، يمتد كاملاً من الرأس إلى القدمين فى كل طاقة القبة، بشكل يريح القلب والنفس ويشيع الأمن والسكينة فى كل الإنسان. ومن يتطلع إلى هذا المنظر لايملك إلا أن يخشع خشوعاً روحياً مع بهجة وفرح سماوى لا يعبر عنه، يجعل الإنسان ينسى حتى وجوده أمامه من فرط ما يتولاه من إنبهار وإنجذاب. وقد تكرر هذا المنظر عدة مرات خصوصا ليلة عيد دخول العائلة المقدسة مصر (٢٤ بشنس) أول يونية سنة ١٩٦٨ (١) .



انتظار وترقب لظهور العذراء

---

(١) وقد رآه أسقف البحث العلمى وعشرات الألوف من البشر وذلك من حارة خليل التى بها مدخل الكنيسة .

المنظر التاسع :

العذراء فوق النخلة تستند إلى أحد فروعها

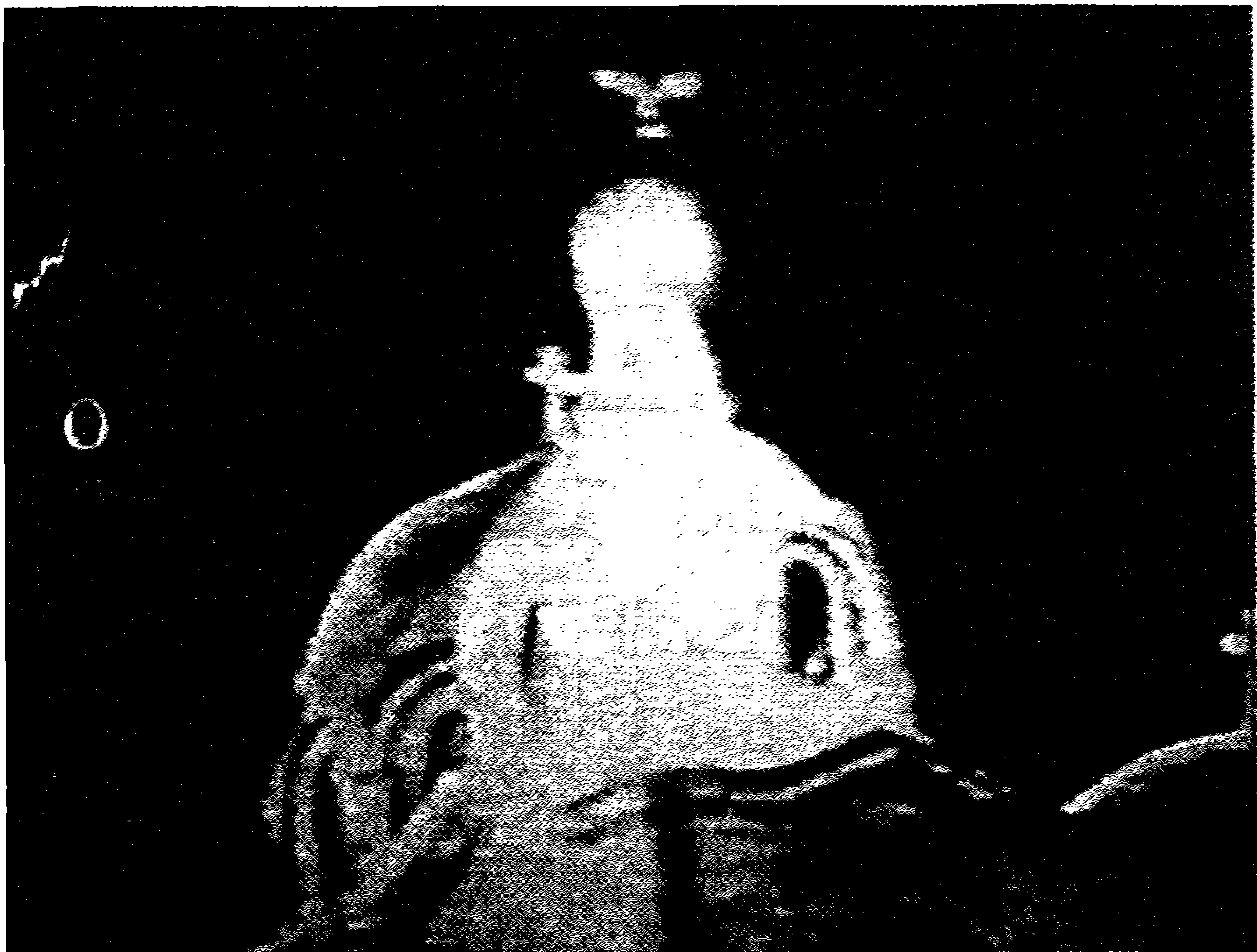
هذا المنظر الغريب العجيب نسجله كما يرويه دكتور رمزى جرجس بسطوروس صاحب ومدير صيدلية النيل بشبرا مصر[١] وحرمه دكتورة سناء بسطا سليمان صيدلية برعاية طفل العسال بشبرا[٢] وكان معهم الأستاذ شوقى عبد الشهيد المدرس بمدرسة التوفيقية الثانوية، ودكتورصلاح كيرلس بالصحة المدرسية بحلوان، وحرم دكتور كامل جرجس... وكان ذلك فى الصباح الباكر ليوم الأحد ٥ مايو سنة ١٩٦٨ الساعة ٥ر٥ صباحاً. كان ذلك أمام فيلا دكتور إدوارد المصرى على ناصية شارعى طومانباى وشارع سنان يقول " رأينا منظر السيدة العذراء من هذه الفيلا واقفة على نخلة متكئة على أحد أغصانها . بدت أولاً مثل نور ليس له شكل معين. ثم وجدنا أنه تشكّل على شكل امرأة تلبس طرحة بيضاء وجلباباً أبيض جالسة على النخلة بوضع جانبى كأنها تستند إلى أحد فروع النخلة بظهرها. كان المنظر غاية فى الوضوح رغم أننا فيما سبق كنا نشك أن السيدة العذراء تظهر فوق الشجرة، وكنا نعتقد أنها إنعكاسات ضوء أو خداع بصر. ولكن فى هذه المرة رأينا إنسانا فعلا يجلس فوق النخلة وبمجرد وصولنا إلى المنزل، رسمت هذا الرسم التوضيحى لما رأيناه حتى لا أنساه.. الوجه يظهر بلون السماء، وكذا المسافة بين الجلباب والقدمين، وقد هيىء لنا أن الأجزاء اللحمية فى الجسد تظهر شفافة فيراها الإنسان بلون السماء الخفية للصورة فتظهر بلون أسود وهو لون السماء. وكانت قدماها ظاهرتين كأنما تلبس حذاء نورانياً أيضاً بلون الجسم والطرحة. صحيح أنهما لم يكونا واضحين تماماً، ولكن المنظر منظر قدمين من بُعد، وكانت (العذراء) تجلس بوضع مائل على النخلة وكان الوجه (الذى يظهر أسود فى وسط النور المنبعث من الطرحة والجلباب) يومىء أحياناً إلى أسفل ثم أحياناً إلى الجانبين الأيسر والأيمن، وكان الجلباب أو الصورة كلها بالأصح ، كأنما يحركـــــها

---

(١) الدكتور رمزى جرجس بسطوروس – صاحب ومدير صيدلية النيل بشبرا مصر – وسنه ٣٦ عاما ويقيم بالمسكن رقم ٣٧ شارع الترعة البولاقية بشبرا مصر تليفون ٧٦٩٠٩– الوثيقة رقم ١١٢.

(٢) الدكتورة سناء بسطا سليمان – صيدلية برعاية طفل العسال بشبرا مصر – وتقيم بنفس المسكن مع زوجها – الوثيقة رقم ١١٢ .

الهواء، فتتحرك حركة حقيقية كأنها نسمة رقيقة تهبّ عليها، وشبّه إليّ أيضاً مثل إنعكاس صورة شيء ما على صفحة مياه، وعند حركة هذه المياه قليلا فإن الصورة تهتز قليلا. وكانت فروع النخلة كأنما تكون مضاءة من الداخل ومظلمة من الخارج وذلك لإنبعاث الضوء من الجسم النوراني الذى فوق النخلة أو على الأصح بداخلها. استمر المنظر منذ الساعة ٥ر٥ إلى الساعة٤٠ر٥ صباحاً تماماً أى مكث ٣٥ دقيقة، وقد مرت علينا كأنها ثوان. والغريب حقاً أنه فى الساعة السادسة إلا ثُلثاً، ابتدأت السماء فى الوضوح من تأثير الشمس التى كانت قد قاربت على البزوغ، وكانت الصورة تزداد وضوحاً للرؤية، ثم رأيناها تختفى شيئاً فشيئاً بالتدريج، وبعد ذلك أصبحت النخلة كلها فى إظلام إلى أن أشرقت الشمس، واستمررنا فى الوقوف أمامها لكى نزداد تأكيداً على تأكيد أننا كنا غير مخدوعين فى هذا المنظر العجيب. وفى يوم الإثنين ٦ مايو سنة ١٩٦٨ ذهبنا إلى نفس المكان لكى نتأكد أن هذا لم يكن خيالاً، فوجدنا النخلة فى ظلام حالك من المساء إلى الصباح .



صورة فوتوغرافية للتجلى النورانى الكامل للعذراء

المنظر العاشر :

العذراء تتجلى فى القبة البحرية الشرقية وهى تحمل السيد المسيح

وتبدو فيه العذراء من إحدى طاقات القبة البحرية (الشمالية) الشرقية أيضا، المطلة على الشارع الكبير طومانباى، فى منظر صورة للعذراء وهى تنظر للسيد المسيح وهو محمول على ذراعها اليسرى، والجسم من لون برتقالى داكن على أرضية الصورة وهى من لون برتقالى فاتح، وأما الرأس فيحيط بها هالة ذهبية جميلة من لون أصفر واضح، مشرّب بقليل من الحمرة الخفيفة، حتى لتبدو الهالة من لون الذهب المصفّى تماماً. والصورة كلها تبدو بارزة على أرضيتها، وكأن الأرضية محفورة لتجعل منظر العذراء وهى تحمل المسيح له المجد واضحة تماماً . وقد يظل هذا المنظر ثابتاً من ربع إلى نصف ساعة، والناظر إليه يغير موضعه يميناً أو شمالا، شرقاً أو غرباً، والمنظر كما هو لا يتغير. وقد يمكن رؤيته بالعين المجردة. وهناك من رآه بالمنظار المقرّب (التليسكوب)، بنفس الوضع ونفس الوضوح وإن كان أقرب مسافة[١] .



---

(١) وقد رأى أسقف البحث العلمى هذا المنظر بالعين المجردة. وبالمنظار المقرب (التليسكوب) أثناء موكب الطواف بإيقونة السيدة العذراء خارج الكنيسة من شارع طومانباى فى مواجهة قبة الكنيسة الشرقية البحرية، ورآه معه كثيرون من الناس، وذلك فى نحو الساعة ٣٠ر٢ من صباح الخميس ١٦ مايو سنة ١٩٦٨ (٨ بشنس سنة ١٦٨٤) .

الباب الثانى

الظواهر الروحية المصاحبة لتجليات العذراء أم النور

ومن الظواهر الروحية المصاحبة لظهور السيدة العذراء وتجلياتها أن هذه التجليات يسبقها أو يصحبها :

أولاً

كائنات روحية تشبه الحمام

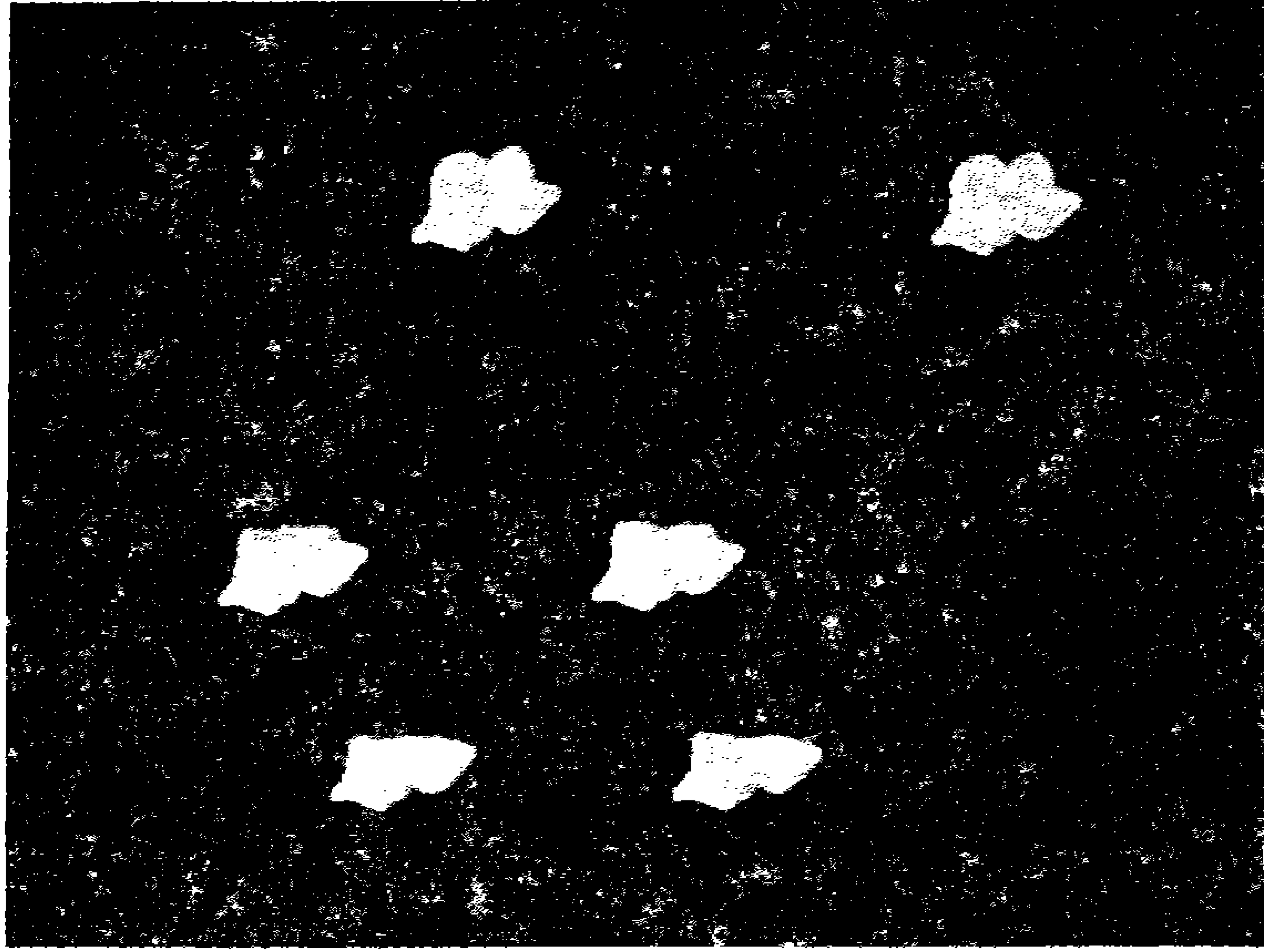
كائنات روحية تشبه الحمام. ولابد أن تكون مختلفة عن طائر الحمام المعروف :

أولا : لأنها أكبر عادة من الحجم الطبيعى للحمام المعروف .

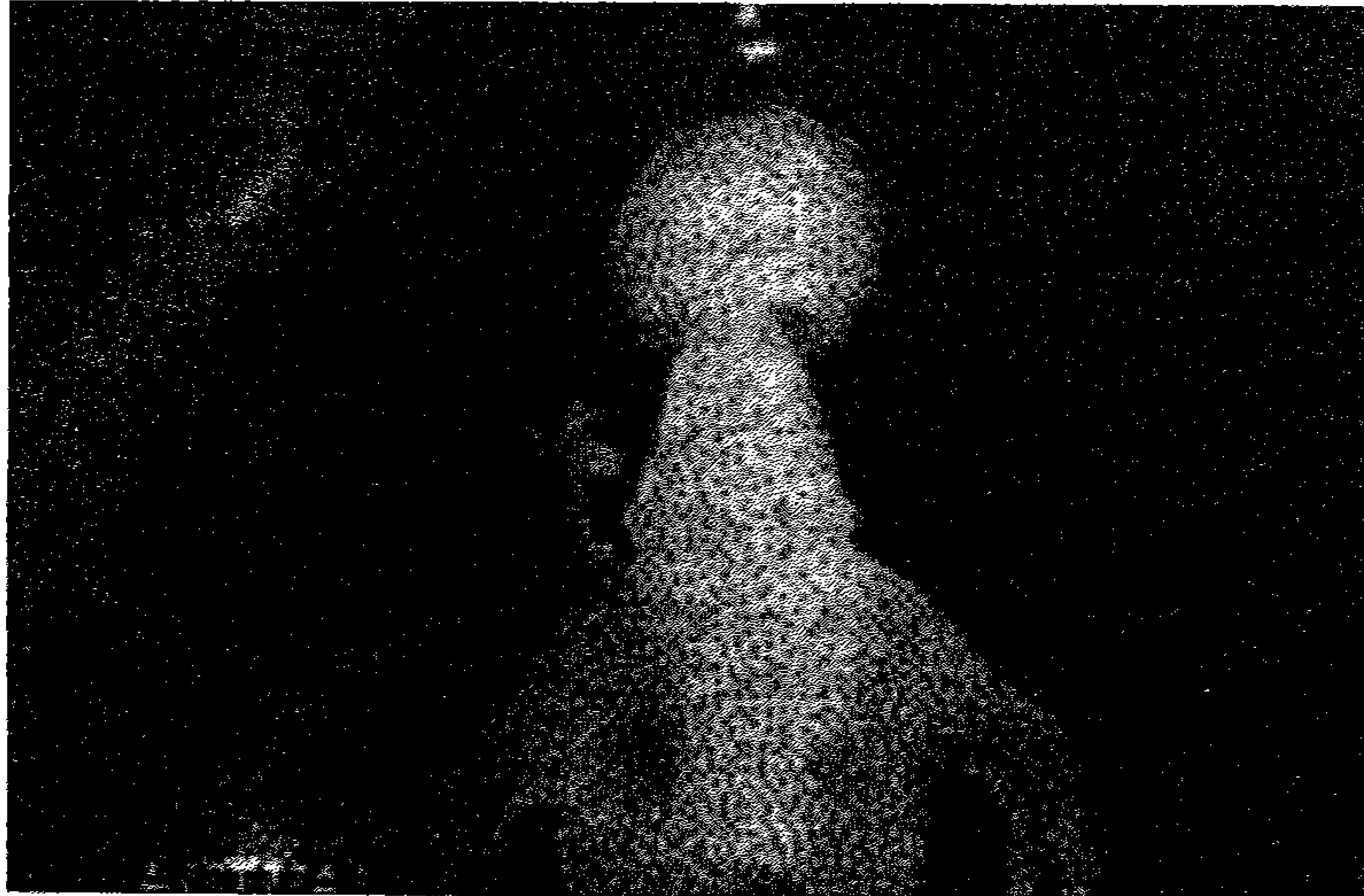
ثانيا : لأنها تظهر ليلاً، نحو منتصف الليل أو بعد منتصف الليل، نحو الثانية أو الثالثة صباحاً، والمعروف أن الحمام لا يطير ليلاً. وقد سئل السيد الدكتور عبد المنعم الميرى المراقب العام لحديقة الحيوان عن طيران الحمام العادى ليلاً، فأكّد أن طائر الحمام بجميع أنواعه لا يطير ليلاً، فإذا أرغمت حمامة على الطيران ليلاً ودفعتها إليه دفعاً، تخبطت فى الظلام، وحطّت على أقرب سطح إليها .

ثالثا : وهذه الكائنات بيضاء لامعة مشعّة بصورة لايوجد لها نظير فى عالم الطيور، خاصة وإنها فى وسط الظلام الحالك متوهجة منيرة من كل جانب ومن فوق ومن أسفل مما يقطع فى أن نورها ليس بفعل أضواء إنعكست عليها .

رابعاً : ثم إنها تتحرك أو تطير فاردة جناحيها من غير رفرفة . إنها تنساب بسرعة شديدة وكأنها سهم يشق سماء الكنيسة .



صورة تمثل تشكيلاً من ستة كائنات روحانية بهيئة الحمام الكبير الناصع البياض
المشع من جميع الإتجاهات إلتقطها المصور الفنان وجيه رزق
فى الساعة ٢,٣٥ من صباح يوم الإثنين الموافق ١٠ يونية سنة ١٩٦٨.



العذراء متجلية فوق قبة الكنيسة ومن أعلى حمامة نورانية.

خامساً : ثم إنها تظهر فجأة فى سماء الكنيسة من حيث لايعرف الإنسان من أين جاءت، وتختفى أيضا فجأة وهى فى مدى الرؤية، بحيث يشعر الناظر إليها أنها تدخل فى أعماق السماء، ويحدث هذا الإختفاء وتكون السماء صحواً من أى سحاب، مما يثير الإنسان فعلا ويدعوه إلى الدهشة والتعجب . وأحيانا ترى وكأنها خارجة من القبة الكبرى وتتجه نحو القبة البحرية الشرقية وتختفى، ثم تعود بعد ثوان فى الإتجاه المضاد تماماً فتظهر وكأنها خارجة من القبة البحرية الشرقية، ثم تختفى عند القبـــة الكبرى الوسطى ذات الصليب .

وأذكر أنه فى ليلة عيد ميلاد السيدة العذراء (وهو أول بشنس الموافق ٩ يونية سنة ١٩٦٨) كنت هناك بين عدد من البشر لايقل عددهم عن ٢٥٠ ألفاً، وظهرت فى سماء الكنيسة حمامتان بيضاوان جداً، وذلك فى نحو الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل. وكانتا ناصعتين لامعتين مُشعتين بالنور، ظهرتا فوق قباب الكنيسة من الشرق ثم إتجهتا فى إنسياب عجيب إلى الغرب وكأنهما سهم يشق السماء. وكانت إحداهما متأخرة عن الأخرى بنحو خمسة سنتيمترات كما يبدو من الأرض، ولكنهما كانتا متزاملتين جنباً إلى جنب، وانطلقتا فى إتجاه الغرب فى إرتفاع كبير لكنه منظور، محتفظتين دائماً بنفس المسافة بين الواحدة والأخرى، وكأن إحداهما مصرّة على تقديم الأخرى عنها فى الكرامة، مع أن المسافة بينهما بسيطة ويمكن إجتيازها بسهولة. وقد حاولت أن أتابع بنظرى هاتين الحمامتين الكبيرتين لأتحقق من كيفية إختفائهما، فرأيت قبيل إختفائهما مباشرة إنهما تحللتا إلى قطع بيضاء صغيرة ناصعة، ثم اختفت هذه القطع السحابية مباشرة بأن دخلت فى السماء. وبغتة، وبعد بضع ثوان، ظهرت الحمامتان مرة أخرى فجأة، وعادتا فى الإتجاه المضاد، من الغرب إلى الشرق، بنفس الشكل والصورة، وبنفس الحجم، وبنفس النصاعة والإشعاع، ومتزاملتين جنباً إلى جنب، ومحتفظتين بنفس الفارق فى تأخر إحداهما عن الأخرى، وكأنها تقدمها عنها فى الكرامة، ثم إختفتا مرة أخرى وهما فى مدى الرؤية، الأمر الذى يجعل الناظر يحكم فى حسم، أن هاتين الحمامتين ليستا من نوع طائر الحمام المعروف وإنما هما كائنان روحيان جاءا من السماء ثم عادا إليها .

وقد تأكد هذا الحكم من الصورة الفوتوغرافية التى إستطاع المصوّر وجيه رزق من إلتقاطها لهاتين الحمامتين لأنهما ظهرتا فى الصورة كائنين مضيئين كل منهما فى شكل صليب مشع بالضوء، لكنه لم يظهر فيهما ما يظهر فى الصورة الفوتوغرافية

للحمام فى المنظر العام أو فى المنقار والريش والذيل وما إلى ذلك من تفاصيل تظهر عادة للحمام إذا أخذت له صورة فوتوغرافية .

على أن هذا الحمام الروحانى يظهر فى تشكيلات وأعداد مختلفة: فتارة تظهر حمامة واحدة ثم تختفى أحياناً فوق القبة الكبرى، أو تظهر وكأنها صاعدة من القبة الكبرى ثم تختفى عند القبة الشرقية البحرية أو العكس، أو تطير فوق سماء الكنيسة من الشرق إلى الغرب ثم تعود فى عكس الإتجاه من الغرب إلى الشرق أو العكس .

وتارة تظهر حمامتان، وتارة تظهر ثلاث حمامات فى شكل مثلث متساوى الأضلاع منتظم المسافات على هذا النحو وهى تحتفظ بهذا الشكل فى كل فترة الطيران ويبدو من الأرض، كما لو أن بين الواحدة والأخرى مسافة نحو نصف متر(١) .

وتارة يظهر سرب من سبع حمامات فى شكل رقم ٧ على هذا النحو(٢)

وقد تتخذ شكل صليب كما يتضح من الصورة التى نجح المصور وجيه رزق فى إلتقاطها . وتارة يظهر سرب من عشر حمامات يتخذ أحيانا شكل صليب(٣) .

وتارة يظهر سرب من إثنتى عشرة حمامة فى تشكيل من صفين متوازيين .

ماذا يكون هذا الحمام ؟

طالما أنه ليس حماماً على الحقيقة، فهو إذن أرواح قديسين . وأما أن الروح تظهر فى صورة حمامة، فلأن الحمام يرمز إلى خفة الروح وسرعتها فى الإنتقال والحركة، وسمّوها وقدرتها على عبور المسافات البعيدة. فالروح القدس ظهر فى نهر الأردن بهيئة جسمية مثل حمامة (متى٣: ١٦)، (مرقس١: ١٠)، (لوقا٣: ٢٢)، (يوحنا١: ٣٢)

---

(١) الوثيقة رقم ٩ والوثيقة رقم ١١ من تقرير السيدة الدكتورة اميلى ارمانيوس طبيبة إخصائية لأمراض العيون بالصحة المدرسية بالقاهرة .

(٢) الوثيقة رقم ١٥٦ – تقرير السيد الدكتور جون القمص جرجس جودة (بكالوريوس كلية طب قصر العينى) المقيم بالمنزل رقم ٣٥ شارع الفرماوى دوران شبرا مصر – حامل جواز سفر سودانى رقم ٨٧٦٠٨ .

(٣) الوثيقة رقم ١١١ – تقرير السيد/ منير اسكندر سعد، مدير شركة الكمال للمانيفاتورة والخردوات (١٧ شارع سليم الأول بالزيتون) ومقيم بالمنزل رقم ٧ أ شارع أمين هندية بالزيتون بطاقة عائلية رقم ٤٠٣٢ الزيتون .

والعذراء توصف فى كتب الكنيسة وطقوسها بأنها الحمامة الحســــــــــــنة ϯϭⲣⲟⲙⲡⲓ ⲉⲑⲛⲁⲛⲉⲥ وحتى المصريون القدماء فى العهد الوثنى صوروا الروح على المقابر والمعابد مثل حمامة .



السيدة العذراء تحمل غصن الزيتون
وقد انطلقت معها سبعة أشكال نورانية فى هيئة الحمام.

ثانياً
النجـــــوم

ومن بين الظواهر الروحية التى تشاهد فى سماء كنيسة الزيتون نجوم فى غير الحجم الطبيعى، أى فى حجم كبير، تهبط من فوق فى سرعة خاطفة على القبـــــة الوسطى والكبرى، أو على سطح الكنيسة أو أمام حائط الكنيسة أو من حولها، ثـــم تختفى وهى لامعة ومضيئة وبرّاقة . وهى كلها تظهر ليلاً وفى الظلمة الحالكة فتضىء وتلمع ثم تختفى .

وفى بعض الأحيان يظهر النجم فى حجم كرة منيرة تهبط من فوق إلى أسفل وقد يتخذ أيضا شكل مصباح مضىء فى حجم متوسط .

ثالثاً
النــــــور

ومن بين الظواهر المتكررة التى شوهدت عديداً من المرات، نور برتقالى اللون يغمر القبة الشرقية البحرية (الشمالية) من فوقها ومن جميع الإتجاهات، ويظل كذلك إلى بضعة دقائق، ثم يتحرك فى إتجاه القبة الوسطى والكبرى ويغمرها من فوق ومن جميع الإتجاهات فترة من الزمن. والناظر إلى هذا النور يستطيع أن يحكم بأن هذا النور سماوى ولا يمكن أن يكون إنعكاساً لنور من مصباح كهربائى، لأن الإنعكاس من أى مصباح يظهر فى جانب من جوانب القبة، ولا يغمرها من فوق ومن جميع الإتجاهات مرة واحدة. وطبيعة الإنعكاس تقتضى أن ينعدم الأثر بزوال المؤثر، لكن هذا الضوء البرتقالى الذى يغمر القبة أو القباب، يظهر فى وسط الظلام كما فى نور المصابيح الكهربائية القائمة فى الشوارع الجانبية. وإذا كان يقال إنه إنعكاس ضوء من (فلاش) آلة فوتوغرافية، فهذا الضوء المنعكس، فضلاً عن أنه يظهر فى جانب من القبة، فإنه لايبقى عادة أكثر من ثوان ثم أنه عادة يكون أبيض ناصعاً . أما الضوء السماوى الإلهى الذى يغمر القبة أو القباب، فهو عادة ذو لون برتقالى ويغمر القبة

البحرية الشرقية من جميع الإتجاهات، لمدة بضع دقائق ثم يتحرك أمام عيون جميع الناظرين وينتقل ليغمر القبة الكبرى أو الوسطى .

وعندما تتجلى العذراء ينير صليب القبة الكبرى أو الوسطى بنور عجيب، مع أنه من جسم معتم غير منير، إنه بناء مجصّص يعلو القبة وفى الليل لايُرى، لكنه عند تجلى العذراء يسطع عليه نور وضاء فيبدو متألقاً يشع منه الضوء فى جميع الإتجاهات.

وقال أحد الثقات أنه مرة رأى القبة الوسطى يشع منها نور أعظم من نور الشمس. ثم أمسك رأسه بكلتى يديه، وهو يروى قصة هذا النور، وقال إنه كلما ذكر هذه الرؤيا يقشعر بدنه وينتصب شعر رأسه. وليس عنده أدنى شك فى أن هذا النور نور سماوى عجيب ليس له نظير. وهو ظاهرة يخشع أمامها الفكر ساجداً .

ويقول الأستاذ اسحق جرجس نجيب المحامى(١) فى تقريره " ثم حوالى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم السبت ٢٧ أبريل سنة ١٩٦٨ رأيت نوراً وهاجاً لونه أزرق فاتح كنور الفلورسنت بطول ما يقرب من متر ونصف، وعرض حوالى أكثر من أربعين سنتيمترا يتحرك ويلتف حول القبة والصليب، واستمر أكثر من ساعة، ثم تركت المكان المقدس الطاهر " .

ويقول دكتور صبحى فريد شوقى(٢) أنه كان يرى السماء تضىء على فترات متقاربة أعلى قباب الكنيسة كمثل البرق وبدون صوت مسموع ، ولمدة لحظات .

وهذا النور قد يلمع أحياناً فى شكل خاطف أشبه بالبرق، ومما يميزه عن أى ضوء آخر يصدر من فلاش كاميرا أو ما أشبه، أنه ضوء أصفر ويغطى الكنيسة كلها فى لحظة فى طرفة عين .

وفى أحيان كثيرة ينبعث من داخل القبة الشرقية البحرية خصوصاً، نور ساطع أبيض مشرّب بشىء من الزرقة، بحيث يبدو بلون قبة السماء عندما تكون الشمس ساطعة، يظهر فى وسط القبة ويشع أحياناً كالبرق . وأحيانا يتحرك من أسفل إلى أعلى، فيبدو كما لو كان معلقاً فى الجزء الأعلى من القبة. وفى أحيان أخرى يظهر فى

---

(١) الأستاذ اسحق جرجس نجيب المحامى ، ويقيم بالمنزل رقم ٨٧ شارع شبرا – الوثيقة رقم ٢٢ .

(٢) دكتور صبحى فريد شوقى طبيب بيطرى، بمجزر القاهرة بمحافظة القاهرة، ويقيم بالمنزل رقم ١٢ شارع المماليك البحرية بالروضة بالقاهرة ، بطاقة شخصية رقم ١٢٥٩٨ مصر القديمة – الوثيقة رقم ٥٧ .

مركز القبة فى شكل مكوّر – أى بشكل الكرة – أو فى شكل بيضاوى من أسفل إلـــى أعلى. وفى بعض الأحيان يتحرك ببطء شديد إلى خارج إحدى طاقات أو منافذ القبة المطلة على الخارج، قبيل أن يتشكل فى صورة العذراء مريم .

ويقول السيد منير اسكندر سعد مدير شركة الكمال للمانيفاتورة والخردوات(١) " إنه رأى نوراً أطلق على شكل صاروخ نحو الشرق من فوق القبة ... واتجه هذا الصاروخ إلى أعلى، وكنت أظن فى مبدأ الأمر أنه فلاش كاميرا فوتوغرافية، غير أن الفلاش لا يظهر من أسفل إلى أعلى، بل من إتجاه جانبى وإلاّ كان لتصوير السماء. وبعد خمس دقائق ظهر صاروخ آخر كالأول تماماً مما أكد أن الصاروخ الأول والثانى نور سماوى وليس ناتجاً عن فلاش كاميرا " .

رابعاً
صليب من نور

يظهر أحياناً نور كبير على القبة القبلية الغربية على هيئة صليب متساوى الأطراف، فى منظر يبلغ حدّ الإبداع والروعة والجمال. من ذلك ما رآه السيد ناجى معوض رزق(٢) وكثيرون معه فى فجر الأحد ٢٨ أبريل سنة ١٩٦٨ .

وتقول السيدة إيفا نجيب فوزى أنها والسيد جورج غطاس، والسيدة نظيرة حنا غطاس، والسيدة سنية حنا غطاس، والسيدة زينب حسين فهمى، قد رأوا فى مساء الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ فوق القبة القبلية الغربية صليباً من النور الأبيـــــض .

---

(١) السيد/ منير اسكندر سعد مدير شركة الكمال للمانيفاتورة والخردوات (١٧ شارع سليم الأول بالزيتون) بطاقة عائلية ٤٠٣٢ الزيتون – الوثيقة رقم ١١١ .

(٢) الوثيقة رقم ١٦ – تقرير للسيد/ ناجى معوض رزق بكلية الهندسة بجامعة القاهرة، ويقيم بالمنزل رقم ٣٠ شارع قبة الهواء بالترعة البولاقية بشبرا مصر – القاهرة .

الناصع شبيهاً بنور النيون فوق فانوس من النور المائل للحمرة[1]

ويقول المهندس مراد يونان يسطس[2] إنه فى فجر الإثنين ٦ مايو سنة ١٩٦٨ كان يظهر فوق السيدة العذراء بين حين وآخر صليب فوسفورى يتلألأ أكثر منها ثم يخبو المنظر كله .. ثم تعود العذراء وتتوهج ويظهر الصليب فوقها... وهكذا دواليك مرات ومرات .

خامساً

البخور العَطِر

وفى بعض الليالى يغمر القبة الوسطى وهى الكبرى، كمية كبيرة من بخور أبيض ينتشر فوق سطح الكنيسة كلها، ويصعد إلى فوق نحو السماء إلى مسافة ٣٠ أو ٤٠ متراً ، علماً بأن القبة الوسطى، وإن كانت مفتوحة من داخل الكنيسة لكنها ليست مفتوحة من خارج، وإنما يحيط بها فى مستديرها زجاج ملوَّن مثبت محكم التثبيت فى جسم القبة بحيث لو صعد بخور من داخل الكنيسة فإنه لا ينفذ إلى خارج القبة . ثم إن كمية البخور التى تنتشر فوق القبة وسطح الكنيسة كمية ضخمة لا يكفى لتصعيدها ألف ألف مبخرة . ولولا أن هذا البخور عطرى الرائحة وأبيض اللون وناصع البياض ، لكان يُظن أنه ناجم من حريق كبير، غير أن دخان الحريق يكون عادة أسود اللون تمتزج به ألسنة اللهب، ثم كيف يكون حريق بهذه الصورة ولا تحترق الكنيسة والمناطق المجاورة. وإنى أشهد أننى لم أرَ فى كل حياتى كمية من البخور بهذا القدر تنتشر فوق قباب أى كنيسة وتصعد فى الجو نحو ثلاثين أو أربعين متراً فى الإرتفاع .

------

(١) الوثيقة رقم ٦١ – تقرير للسيدة إيفا نجيب فوزى، منتجة بشركة الشرق للتأمين، المقيمة بالمنزل رقم ١٢ شارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى – مصر .

(٢) المهندس مراد يونان يسطس ، كبير المهندسين بشركة موبيل أويل (١٠٩٧ كورنيش النيل جاردن سيتى) بطاقة عائلية رقم ١٠٢١٠ قصر النيل – الوثيقة رقم ١٥٥ وحرمه دكتورة نادية فوزى يوسف، الطبيبة بمركز رعاية الطفل والأمومة بمدينة الجيزة – بطاقة شخصية رقم ٧٤٢٣ قصر النيل – الوثيقة رقم ١٥٥ .

إن الصورة الواضحة التي يظهر بها هذا البخور لم ولا تسمح لأى إفتراض آخر غير أن يكون بخوراً روحانياً من نوع لا يُعرف فى الأرض، أى هو نوع من الظواهر الروحانية المصاحبة لظهورات وتجليات أم النور .

ويشهد أسقف البحث العلمى أنه رأى هذا البخور العطر بهذا الوصف تماماً فى فجر الأحد ٢٦ مايو سنة ١٩٦٨، كما كتبا عنه فى تقريرهما[١] المهندس مراد يونان يسطس ، وحرمه الدكتورة نادية فوزى يوسف، إنهما رأياه فى فجر يوم الجمعة ١٠ مايو سنة ١٩٦٨ .

سادساً

السحاب النورانى

وهناك أيضا السحاب الذى يظهر فوق قباب الكنيسة مباشرة، تارة بحجم صغير، وتارة بحجم كبير، وغالباً ما يسبق ظهور العذراء وتجلياتها، إذ لا يلبث السحاب قليلا حتى يتشكل رويداً رويداً فى منظر العذراء أم النور . وأحياناً ينبلج منظر العذراء من بين السحاب كما ينبلج نور لمبات النيون الكهربائية فجأة .

ومع السحاب تظهر أسراب أشكال روحانية كالحمام أو النجوم. والسحاب عادة يتخذ لوناً أبيض براقاً. وأحيانا يتحرك وأحياناً لا يتحرك. وفى كل الأحوال يظهر فوق القباب فجأة بحيث تكون السماء صحواً، ومن دون أن يجيء من مصدر معروف .

من ذلك مايرويه دكتور صبحى فريد شوقى من أنه فى فجر يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ . " قد لاحظت وجود سحابة فى السماء لونها أبيض ناصع متجانسة الشكل وتختلف فى لونها وشكلها عن السحاب الطبيعى، وكان مكانها أعلى السيدة العذراء طوال فترة الظهور مع ملاحظة أن بقية السماء فى هذه المنطقة كانت صافية تماماً طوال ظهور المعجزة .. ولما اختفت العذراء فى الخامسة صباحاً كانت تختفى معها السحابة التى سبق ذكرها[٢] " .

---

(١) المهندس مراد يونان يسطس ، كبير المهندسين بشركة موبيل أويل (١٠٩٧ كورنيش النيل جاردن سيتى) بطاقة عائلية رقم ١٠٢١٠ قصر النيل – الوثبقة رقم ١٥٥ وحرمه دكتورة نادية فوزى يوسف، الطبيبة بمركز رعاية الطفل والأمومة بمدينة الجيزة – بطاقة شخصية رقم ٧٤٢٣ قصر النيل – الوثيقة رقم ١٥٥ .

(٢) الوثيقة رقم ٥٧ .

لماذا ظهرت العذراء فى الزيتون ؟

بماذا نعلل ظهورات العذراء وتجلياتها فوق قباب كنيسة الزيتون بالذات ؟ إن إختيارهذا الموضع لغز محيِّر. ولو أخذت السماء رأى الأرض لكنا نرشح بالطبع مكاناً آخر، كنا نتخيَّر كنيسة أثرية قديمة ككنيسة العذراء الأثرية فى دير المحرق ؛ أو كنيسة العذراء الشهيرة بالمعلقة فى مصر القديمة، أو كنيسة أبى سرجة، أو كنيسة العذراء بحارة زويلة، أو كنيسة العذراء بمسطرد الشهيرة بالمحمّة، أو كنيسة سيدة الكهف بجبل الطير قرب سمالوط، أو كنيسة العذراء بالمعادى. أما أن تتخيّر العذراء لتجلياتها كنيسة حديثة ككنيسة الزيتون فهو أمر لم يكن فى الحسبان . وهذا وحده دليل على أنه أمر لا دخل ليد الناس فيه، وأن الإختيار بتدبير إلهى يفوق تصورات الإنسان وتفكيره وعلى قول الوحى المقدس " يالعمق غنى الله وحكمته وعلمه. ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأن من عرف فكر الرب أو من كان له مشيراً (*) " " فإن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى يقول الرب لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم" (**) .

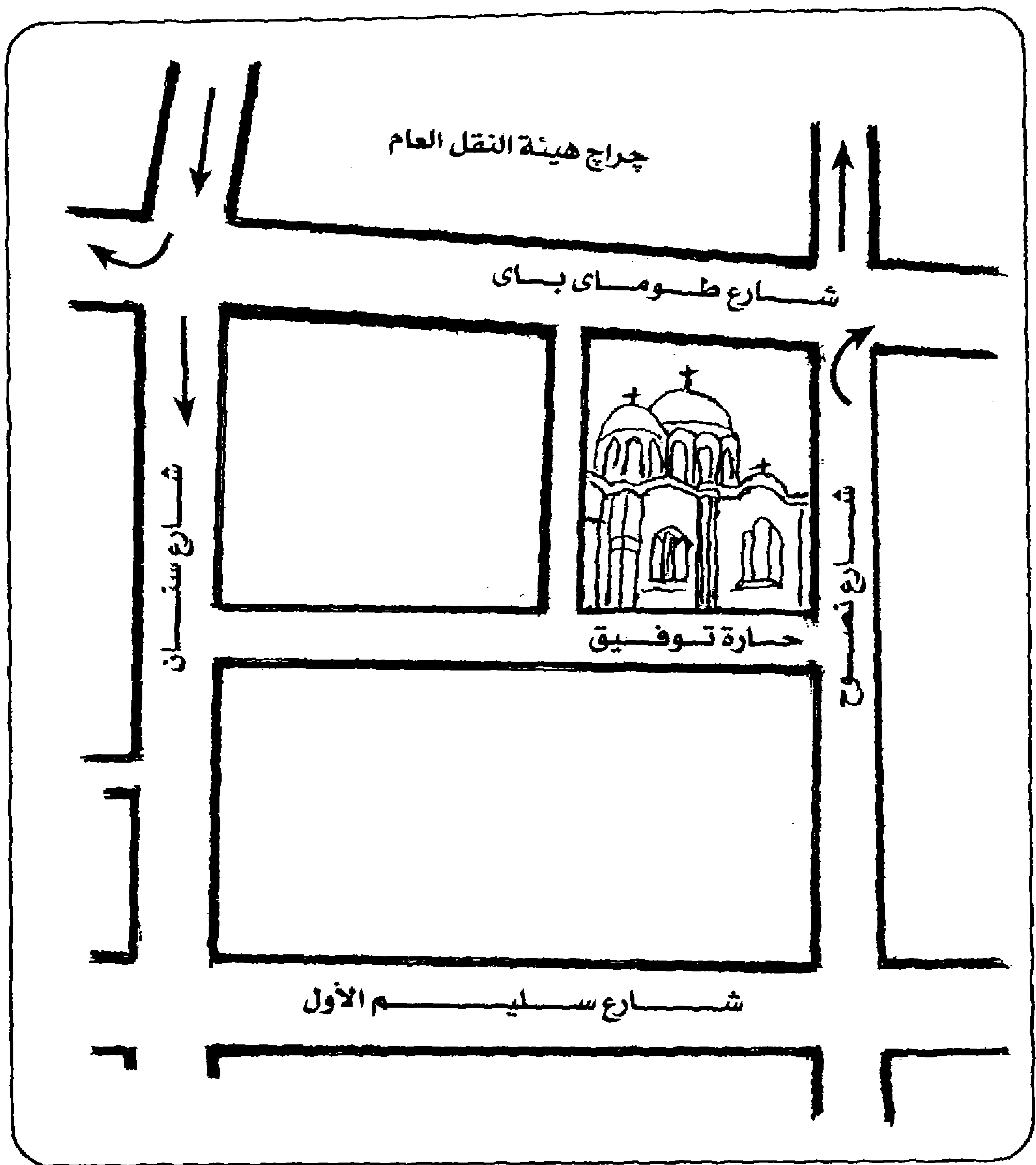
على أنه ينبغى أن لا ننسى أن كنيسة العذراء بالزيتون، هى فعلا فى خط مسيرة العائلة المقدسة من عين شمس إلى المطرية إلى مصرالقديمة. ولا بدّ أن تكون العائلة المقدسة قد مرّت فى هذا المكان فى طريقها ذهاباً وجيئة من فلسطين إلى مصر وبالعكس، وربما مكثت فيه بعض الوقت . وتبعد المطرية عن الزيتون بكيلومتر واحد فقط وكذلك تبعد عنها عين شمس بأربعة كيلومترات .

لكن هل هناك سبب معنوى آخر لظهورها فى الزيتون ؟ ربما . فنحن لا نعلم على وجه الدقة .

ولكن إذا كانت العذراء أول ما ظهرت لعمال الجراج المقابل للكنيسة – وذلك فى الليلة الأولى لظهورها، وهى فجر الثلاثاء الثانى من أبريل سنة ١٩٦٨ – كان بيدها غصن زيتون ، كما روى حسين عواد وهو حدَّاد بجراج مؤسسة النقل العام (بطاقة رقم ٣٣٣٨٩ قسم الجيزة) ، وقال " رأيت العذراء فوق قبة الكنيسة جسماً من النـــــور

(*) رومية ١١: ٣٣، ٣٤ .

(**) إشعياء ٥٥: ٨، ٩ .



خريطة تبين موقع كنيسة السيدة العذراء بضاحية الزيتون.

الوهاج يضيء المكان كالشمس، وكانت العذراء تمسك بيدها ما يشبه غصـــن الزيتون"(١) كما رآها ألوف من الناس بعد ذلك فى ليالى عدة تحمل غصن زيتون(٢) . أفهل لهذه العلاقة تخيَّرت العذراء لتجلياتها كنيسة الزيتون، توكيداً للسلام الذى يرمز إليه غصن الزيتون الذى ظهرت به لأول مرة ؟! يشير هذا كله إلى بشير خير، وعلامة سلام، وإلى تدخل من السماء لإقرار السلام فى المنطقة، وأن الله معنا، وسينصرنا أخيراً على أعدائنا ؟! .



صورة فوتوغرافية لكائنات روحية نورانية تظهر مثل الحمام
وتطير دون أن تحرك أجنحتها

---

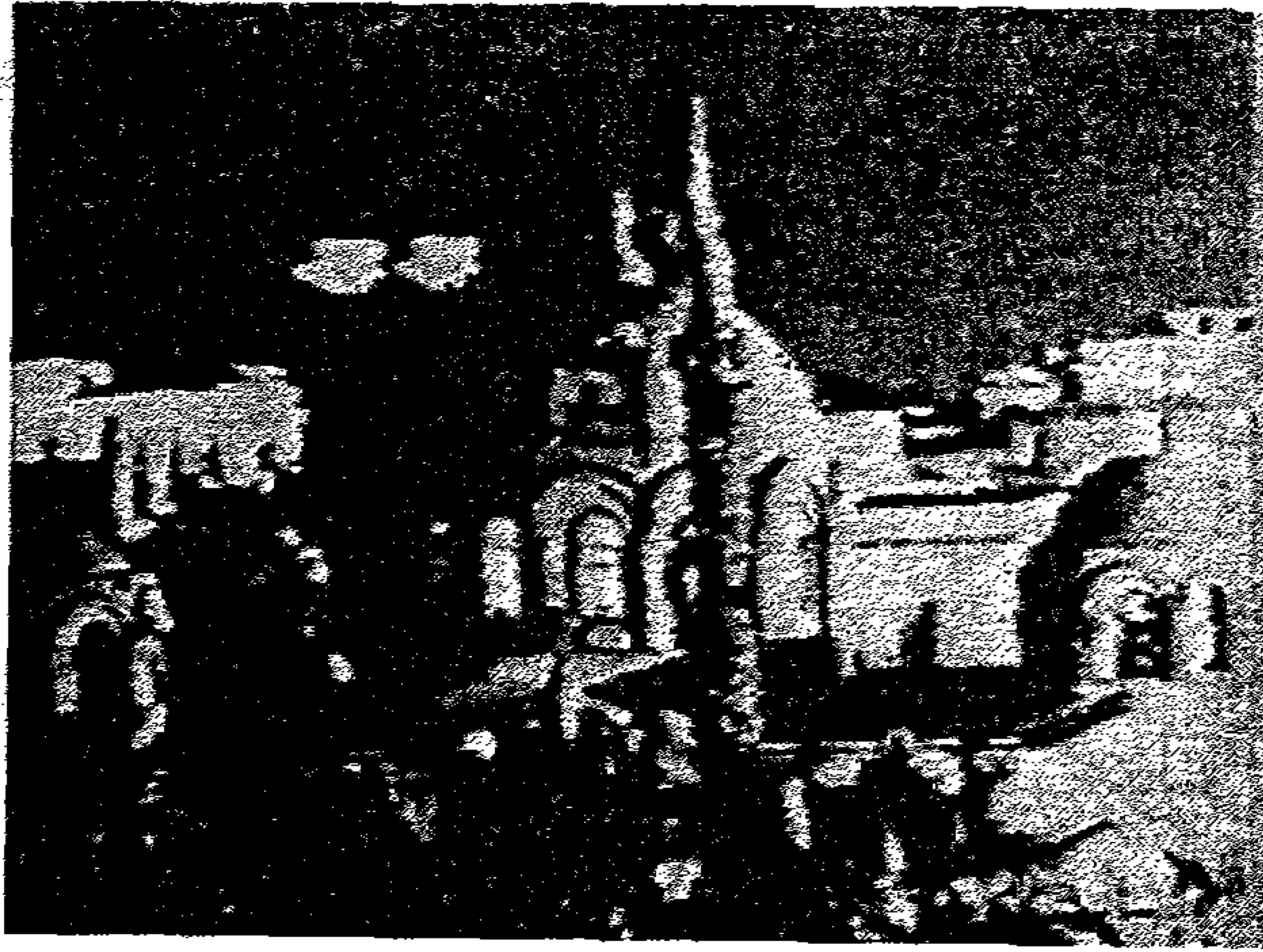
(١) من تقرير لجنة البطريركية المرفوع إلى قداسة البابا بتاريخ ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ .

(٢) من ذلك مثلا ما جاء فى الوثيقة رقم ٥٨ للسيد/ ادوار ثنوده جرجس باشكاتب مكتب الشهر العقارى بالقاهرة، وشقيقته ضابطة لاسلكى بالمطار الدولى بالقاهرة. والمقيمان بالمنزل رقم ١ شارع عبد الرحمن قراعة بمنية السيرج بشبرا بالقاهرة – والوثيقة رقم ٢٢ (تقرير الإستاذ اسحق جرجس نجيب المحامى) .

ظهور مفاجىء[1]

كان هناك ثلاثة أشخاص يريدون أن يعملوا فيلم تسجيلى لهذه الكنيسة (كنيسة السيدة العذراء بالمعادى) كإحدى محطات رحلة العائلة المقدسة، والثلاثة غير مسيحيين، المخرج والمنتج والمصور، فحضروا وبعد أن استأذنوا أبونا دخلوا فى الكنيسة في غير وقت الصلاة ليأخذوا لقطات من الداخل، فإذا بالعذراء تظهر فبهروا، كان واحداً منهم عنده ورم فى يده عبارة عن عظمة بارزة من الطفولة حتى أصبحت كبيرة، وقال لى الدكتور رياض مكرم عبيد، أنه فعلا كان سيعمل عملية لهذا الإنسان فى هذا الأسبوع، فوضع هذا الشخص يده على لوح الزجاج بعد ظهور العذراء، فإذا بهذا الورم يختفى. العظمة اختفت. أما المصور فمما رآه استمر عدة أيام حتى يستطيع أن يتمالك نفسه، كان مخه مرتبك نتيجة الإبهار. الثلاثة حضروا عندى وقصوا على هذا الظهور.

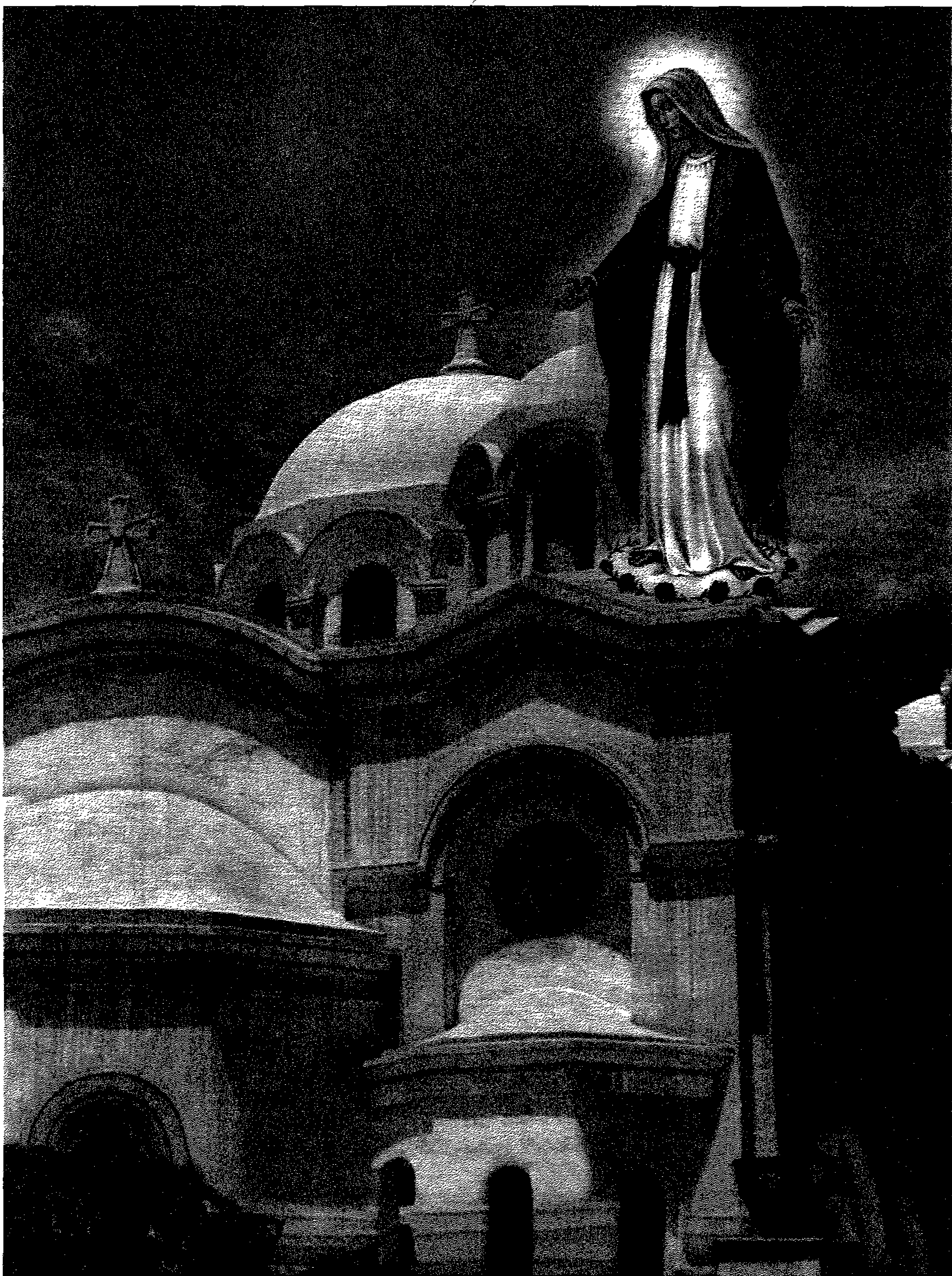
طبعا هناك كنائس أخرى ظهرت الست العذراء فيها ، كل هذه تجليات للست العذراء، إنما هى الآن فى مكان الكرامة والقداسة .



كائنات روحية فى شكل نجوم لامعة فوق الكنيسة

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل – بأم المصريين بالجيزة فى مساء الأحد الموافق ١٩-١١-١٩٨٩م – ١٠ هاتور ١٧٠٦ ش .



تذكار ظهور السيدة العذراء بكنيستها بالزيتون (٢ أبريل ١٩٦٨)

تقاريــــــــــــر (١)

عن

ظهور ومعجزات العذراء بالزيتون

---

(١) وردت بعد طبع كتاب العذراء فى الزيتون – وكان نيافة الأنبا غريغوريوس يرغب أن ينشرها كجزء ثان للكتاب

تقارير عن ظهورات العذراء [١]

[٢]أخذ البعض يفكر فى هذا الحدث وراحوا يستوضحونه مخافة أن يكون فى الأمر خداع، وخافوا أن يكون ذلك نتيجة لإنعكاس أضواء مسلطة من مصابيح كهربائية على نوافذ الكنيسة الملّونة . أرادوا أن يقطعوا الشك باليقين، فسلطوا أضواء كاشفة على الصورة النورانية فازدادت تألقا وظهوراً ، عمدوا إلى تحطيم المصابيح الكهربائية بالشارع والقريبة من الكنيسة، فازداد ظهور مريم فى صورتها النورانية . ولم يكتفوا بذلك بل أطفأوا نور المنطقة كلها، فبدت مريم العذراء فى نورها السماوى أكثر وضوحاً وضياءً . عندئذ تأكد الجميع بأن الفتاة التى أمامهم هى من غير شك مريم العذراء .

علا التصفيق واشتد الصياح والتهليل حتى شق عنان السماء (هى العذراء .. هى العذراء...إنطلقت الحناجر تنشد وترتل وتصلى طوال الليل حتى فجر اليـــــــوم التالى .... الخ.

مساء الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨ .

[٣]الساعة التاسعة مساءً وجدت نور غريب الشكل ينبعث من قبة الكنيسة، ثم تَكَوّر النور وأصبح يمثل شكل آدمى يتحرك، إقتربت من الكنيسة أكثر حتى أصبحت تحت الكنيسة تماماً، كنت أشعر بالخوف فذهبت ودعوت زميلى[٤] السائق، وعندما لاحظ اندهش وكان خائف جداً هو الآخر، واستمرينا مدة ونحن نرى السيدة العذراء وهى تسبح فى نور شديد أبيض ممزوج بزرقة صافية حول القبة، ومكثت أكثر من نصف ساعة، وكان عدد الناس الذين تجمعوا أكثر من مائة شخص، وفى هذه المرة كانت كاملة. ورأيتها مرة أخرى بشكل نصفى والمرة الثالثة نور فقط على شكل آدمى ولكن بدون ملامح، ومرة أخرى كانت باسطة ذراعيها ووجهها متجه إلى السماء، وتطوف ببطء حول القبة وأعلاها.

---

(١) مرتبة حسب تواريخ الظهور من ٢ أبريل ١٩٦٨م حتى ١٠ مايو ١٩٦٩ .
(٢) الأستاذ وليم فريد باسيلى – مدير بوزارة السياحة .
(٣) سيد احمد عبد الموجود – محصل بهيئة النقل العام بالقاهرة .
(٤) السائق محمود مصيلحى – هيئة النقل العام بالقاهرة .

ليلة الثلاثاء ٩ أبريل ١٩٦٨ .

ظهرت العذراء[١] فى الحجم الطبيعى متكئة على قبة الكنيسة الكبرى، داخل هالة من النور الذهبى الفاتح وعلى رأسها تاج، يطير فوقها الحمام ، نظراتها منكسة إلى أسفل لمدة ١٠ دقائق .

فى مساء الثلاثاء ٩ أبريل ١٩٦٨ – الساعة الثامنة مساءً .

تجلت العذراء مريم فى منظرها النورانى، فى القبة البحرية الشرقية منذ الساعة الثامنة مساء، فى صورة العذراء الحزينة. كانت كلها من نور ، ملتحفة بطرحة بيضاء، وأما جسمها فيبدو بلون برتقالى[٢] .

مساء الأربعاء ١٠ أبريل .

[٣]الساعة ٣٠ر٦ مساء رأيت العذراء فى القبة البحرية الشرقية، بصورة العذراء الحزينة ــ كلها من نور ، الطرحة بيضاء والجسم برتقالى .

[٤]وفى المساء عاد إبنى الطالب ببكالوريوس هندسة القاهرة، وذكر لى أن بعض راهبات مدرسة سيدة الرسل الكائنة بشارع سنان بقرب الكنيسة يهرعن نحو الكنيسة لأن السيدة العذراء ظهرت ، فأفدته للتحقيق من ذلك . وعاد إلىّ وأخبرنى بأنه شاهدها فى القبة الشرقية البحرية . فتوجهت فى الحال إلى شارع طومانباى تجاه الكنيسة ، ورأيت صورة نصفية تضىء بلون برتقالى ، وصليت قليلاً وعدت إلى منزلى .

---

(١) من تقرير للسيد/ أمين صليب سليمان ، كاتب آلة كاتبة ، يقيم بالمسكن رقم ٧ حارة نجم الدين من الربيع الجيزى، بالجيزة ، بطاقة رقم ١٥٥٣٥ الأزبكية .

(٢) من تقرير للسيدة/ وديعة اسكندر مسيحة حرم المرحوم الدكتور عزيز لوقا، تقيم فى المنزل رقم ١١٤ شارع طومانباى بحدائق الزيتون ، بطاقة عائلية رقم ٢٦٦٧ .

(٣) من تقرير للسيدة/ وديعة اسكندر مسيحة .

(٤) من تقرير للأب المحترم القمص قسطنطين موسى كاهن كنيسة السيدة العذراء بحدائق الزيتون .

فى فجر وصباح الأربعاء ١٠ أبريل ١٩٦٨

(١)تجلت العذراء فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، فى القبة البحرية الشرقية، وبدت تحمل السيد المسيح طفلاً على يدها اليسرى، وتلفها هالة من النور تحيط بها وبرأس المسيح له المجد، وشعاع من النور كشعاع الشمس يلف مع الهالة .

(٢)بعد ذلك تجلت العذراء أيضا على القبة الكبرى، وكانت فى الحجم الطبيعى لامرأة داخل هالة من النور الذهبى الفاتح، وعلى رأسها التاج والحمام يطير من فوق رأسها .

(٣)رأينا العذراء فى القبة البحرية الشرقية فى شكل صورة وترتدى ملابس بيضاء يظهر منها الرأس والكتفان ويشع منها نور أبيض ساطع، وتتحرك من الخلف إلى الأمام فى بطء .

فجر الخميس ١١ أبريل ١٩٦٨ .

حضرت(٤) من المحلة ووصلت الزيتون الساعة الثانية صباحا ورأيت العذراء فوق سطح الكنيسة من جهة الحارة الواقع بها باب الكنيسة وكانت بطولها متسربلة بحلة من النور يشبه ضوء القمر. وتكرر رؤيتى للعذراء أكثر من مرة ومعى أطباء من الأسكندرية.

وفى النصف الأول من شهر يونية ٦٨ كانت معى زوجتى وإخوتها الدكتور ألبير اسحق والدكتور إميل جرجس اسحق وشاهدنا قبل منتصف الليل وقت وجود وفد من السياح الأجانب السودانيين العذراء أكثر وضوحاً فى نوافذ القبة الرئيسية للكنيسة .

يوم الجمعة ١٢/ أبريل

(٥)رأيت العذراء فى القبة البحرية الشرقية من الشباك البحرى المطل على حارة توفيق خليل كتمثال أبيض يظهر منه الرأس أولا ثم يرتفع حتى يكتمل التمثال كله .

---

(١) من تقرير للسيدة/ وديعة اسكندر مسيحة حرم المرحوم الدكتور عزيز لوقا .

(٢) من تقرير للسيد امين صليب سليمان .

(٣) من تقرير السيد/ وصفى صليب مسعد، رئيس مراقبة المخازن والعهد بمطابع البريد بالقاهرة (حاصل على ليسانس الحقوق)، والسن ٣٠ سنة ويقيم بالمنزل رقم ٣٧ شارع دار السعادة بالزيتون .

(٤) الرائد سمير يونان سليمان – نائب مأمور مركز المحلة الكبرى .

(٥) عن تقرير للسيدة/ وديعة اسكندر مسيحة حرم الدكتور عزيز لوقا .

مساء السبت ١٣/ أبريل ١٩٦٨ .

فى الساعة ٣٠ر٩ مساء تجلت السيدة العذراء بين القبة القبلية الغربية والقبة الكبرى الوسطى، فى منظر نصفى، يبدو نصفها الأعلى مضيئا، كأنها مرسومة فى الفضاء بخطوط من النور الأبيض البراق[١]، وبفضل نورها أضاء الصليب الذى يعلو القبة بضوء باهر أخّاذ، وأخذت تتحرك يمينا ويساراً[٢]، واستمر تجليها فترة غير قصيرة .

مساء الأحد أحد الشعانين ١٤/ أبريل ١٩٦٨ .

تجلّت السيدة العذراء داخل القبة وأخذت ترتفع رويداً رويداً حتى بدا نصفها الأعلى من خلال الأعمدة، ثم اتجهت نحو الصليب[٣] ، وظهرت تتحرك ببطء خلف النخلة وتستدير بعد ذلك إلى مكانها الأول، وكانت تبدو مرتدية ثوباً أزرق فاتحاً يعلوه رداء بنى فاتح[٤] ، وأخذ المنظر يخبو شيئا فشيئا حتى غابت عن الأبصار .

فجر الإثنين ١٥/ أبريل ١٩٦٨ .

[٥]فى نحو الساعة ٣٠ر٢ أو ٣ صباحا – وكنت قادما من مصر الجديدة رأيت السيدة العذراء فى منظر نورانى ربانى، بهيئة إنسانة كاملة ، من داخل القبة وهتفت قائلا :

عشق المكارم وهو مغرم بها *** والمكرمات قليلة العشاق .

وفى تلك الليلة كانت البركة تعم منزلى، والخير المزار الشريق .

---

(١) من تقرير السيد الأستاذ بديع الشماع فرح مفتش الدراسات الإجتماعية ببنى سويف . ومقيم بالمنزل رقم ٢٧ شارع سليم الأول بالزيتون .

(٢) من تقرير للسيدة وديعة اسكندر مسيحة حرم الدكتور عزيز لوقا .

(٣) من تقرير السيد/ نشأت فخرى اسطاوروس ، المقيم بالمنزل رقم ٣٣ أ شارع نصوح بحدائق الزيتون، بطاقة شخصية رقم ٢١٦٤٣ الزيتون – القاهرة .

(٤) من تقرير/ السيد الأستاذ وصفى صليب مسعد . رئيس مراقبة المخازن والعهد بمطابع البريد بالقاهرة .

(٥) من تقرير السيد/ محمود نجيب البكرى، مراسل جريدة الجمهورية بالزيتون – المقيم بالمنزل رقم ٩٠ شارع طومانباى أمام شرطة الزيتون .

مساء الثلاثاء ١٦/ أبريل ١٩٦٨ .

[١]فى القبة جسم خفيف فى لون اليد يتحرك داخل القبة وسط الظلام ليختفى سريعاً ثم خرج من القبة الكبيرة هالة من النور فى إستدارة كاملة حول صورة نصفية ، وكانت فى ظهورها تهل كأنها آتية إلينا فى هدوء عميق مريح ثم تثبت الصورة وهالة النور تشع بنورها كل مدة . أما الصورة ذاتها فلم تكن مضيئة ، لكنها محدودة فى خطوطها الخارجية للوجه والشعر.

ثم تتطلع الرأس إلى فوق وكأنها تصلى ثم تستدير إلى اليمين بهدوء، وتظهر الطرحة واضحة ثم تستدير إلى اليسار بعد مدة نحو القبة الكبيرة .

أرى صحتى الروحية فى نشاط غير عادى .

مساء الأربعاء ١٧/ أبريل ١٩٦٨ .

بدأت السيدة العذراء تتجلى فى داخل القبة البحرية الشرقية ، إبتداء من الساعة الحادية عشرة مساء، وكانت تبدو فى صورة كاملة لسيدة تقف بالنافذة[٢]. ثم تتحرك وتنتقل من الشمال إلى اليمين ، فى رداء أبيض يميل الى الزرقة الفاتحة[٣] ويداها إلى أسفل، ووجهها يبدو أصفر يميل إلى الاحمرار. وكانت تظهر فيشع منها ضوء قوى ثم يأخذ فى الخفوت[٣] ثم تختفى بعد حين لتظهر لفترة محدودة فى شكل آخر، ثم تختفى لتظهر من جديد فى نافذة أخرى من نفس القبة، ويتوالى إختفاؤها وظهورها فى فترات متباعدة[٤] وأحياناً كانت تظهر تحمل السيد المسيح على ذراعها، ورآها بعضهم مرتين تحنو عليه وتقبله[٢] إلى أن إختفت تماما حوالى الساعة٣٠ر١٢ بعد منتصف الليل[٢].

---

(١) من تقرير للسيد الأستاذ اسحق عزيز حنا ، مراجع حسابات بالديوان العام بمحافظة الغربية – المقيم بالمنزل رقم ٦٤ شارع الإمام الشافعى بطنطا (سكن رقم ٦٥) ، بطاقة شخصية رقم ٨٧٧٦ سجل مدنى أول طنطا محافظة الغربية .

(٢) من تقرير للسيد/ جميل شكرى بغدادى، الحاصل على الثانوية العامة (علمى) والبالغ من العمر ٢١ سنة، والمقيم فى المنزل رقم ٥٢ شارع الظاهر بالقاهرة .

(٣) من تقرير السيد/ فريد كامل فريد صاحب مؤسسات الممتازة وفيكس للآلات الكاتبة بالزيتون بالقاهرة .

(٤) من تقرير للسيد نبيل فكرى بشاى مندوب الطرق الجوية البريطانية بالقاهرة بطاقة عائلية رقم ١٨٥٤٢ .

مساء الخميس (خميس العهد) ١٨/ أبريل ١٩٦٨ .

(١)فى الساعة ٩ مساء ظهرت العذراء فى القبة البحرية القبلية ، هالة من النور الأصفر الباهت لم أرَ مثله فى الأضواء الصناعية، وكان هذا النور يظهر قوياً ثم يضعف، أشبه بقطعة الفحم المتوهجة التى تزداد توهجاً عندما ينفخ فيها، فإذا توقف النفخ فيها قلّ توهجها. وقد ظهر من العذراء النصف العلوى لجسمها، وقد رأيتها(١) أربع مرات، فى الساعة ٩ وفى الساعة ٤٥ر٩ ، والساعة ١٥ر١٠، والساعة ٥ر١١، وكان المنظر يدوم فى كل مدة من خمس إلى عشر دقائق .

(٢) " حوالى منتصف الليل شاهدت ضوءاً أصفر مائلاً إلى الإحمرار يشبه ضوء اللهيب فى سقف القبة البحرية الشرقية ... وقد تكرر ظهور هذا الضوء مرة أخرى وبشكل أوضح " .

(٣) رأيت العذراء مريم فى القبة البحرية الشرقية من نافذة القبة المطلة على حارة توفيق خليل. نوراً يلف ويدور فى القبة، تارة يبدأ من أسفل، وتارة أخرى يبدأ من أعلى، ويبدو فى أول الأمر باهتا ثم يتجه إلى الوضوح والإحمرار، ويشع نور العذراء على الناس عدة مرات من كل الإتجاهات، وكأنها تخص به كلا منهم. ورأيت أيضا نور السيد المسيح .

(٤)حوالى منتصف الليل ظهرت حمامة بيضاء كبيرة الحجم كلها مضيئة، كأن جسمها من مصباح كهربائى مرت فوق القبة الكبيرة (وهى الوسطى والكبرى)ثم تلاشت، حتى اعتقدت فى مبدء الأمر أن إضاءتها كانت بفعل نور كشاف ، ولكنى لاحظت بعد ذلك أنها كلها مضيئة ومشعة للنور، وليس الجانب المقابل للجراج (القريب للكنيسة) .

---

(١) من تقرير المهندس الزراعى موريس يوسف نمّور (بكالوريوس زراعة)، بطاقة رقم ١٠٤٠٩ باب الشعرية – القاهرة .

(٢) من تقرير دكتور يوسف عزيز متى، بطاقة عائلية ٤٧١ قسم ثان – طنطا ومعه قرينته السيدة سوزى رزق .

(٣) فى تقرير للسيدة/ وديعة اسكندر مسيحة حرم المرحوم الدكتور عزيز لوقا .

(٤) من تقرير السيدة الدكتورة إميلى أرمانيوس، طبيبة إخصائية أمراض عيون بالصحة المدرسية، وتقيم بالمنزل رقم ٩ شارع الزيتون، بطاقة شخصية رقم ١٥٤٠٩ قسم الزيتون .

وحوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تجلت العذراء من القبة البحرية الشرقية عشرات المرات، حتى الساعة ٤ صباحا، على شكل صورة فى النصف الأعلى من إحدى فتحات القبة، وأحياناً على شكل سحابة ترتعش وتتحرك ببطء ، وأحيانا أخرى على شكل نور متوهج يشع ثم يختفى بسرعة، وأحياناً على شكل طيف يدور داخل القبة. وقد تأكد لى أن مصدره داخلى، فقد كان عندما يظهر من خلف الحائط الذى على يسار الفتحة يراه الذين يقفون على اليمين أولاً، وعلى العكس إذا ظهر من الجهة الأخرى. وكانت توجد ظلال الأنوار الكشافة على الحائط الخارجى للقبة، ولكنها لم تكن تؤثر على الضوء الذى بداخل القبة مما يثبت أن مصدر النور هو من داخل القبة وفى إحدى المرات، تراءى لنا الطيف، وكأنه هو نفسه مصدر مشع للضوء يتلألأ مثل الصواريخ، فتأكد لى أنه ليس من إنعكاس أى مصدر خارجى، وتأكد لى أيضا أنه ليس وهماً أو خيالاً، وكان جميع الناس المحيطين بى على إجماع على رؤية هذا المنظر بنفس الوصف الذى وصفته .

" وفى أحد الظهورات، بدت العذراء أم النور فى هيئة تمثال من نور أبيض، يشغل وسط نافذة القبة وقاعدته تلامس قاعدتها " .

مساء الجمعة الكبيرة ١٩/ أبريل ١٩٦٨ .

(١)نحو الساعة ١٠ مساء _ ظهر فى داخل القبة البحرية الشرقية من جهة حارة توفيق خليل نور أحمر خافت، غير واضح المعالم. ونحو الساعة ٣٠ر١٠ مساء إمتلأت القبة بنور أبيض خافت ومن داخل هذه الهالة ظهرت العذراء بشكل نورانى أبيض كالفسفور. وكانت واضحة المعالم مجسّمة بكامل جسمها يلفها رداء أبيض جميل. وكان الطيف النورانى ممتلئا بالحياة والروح. فقد نظرت إلى المتجمعين نظرة كلها عطف وحنان واستغرقت الصورة حوالى نصف دقيقة إلى دقيقة . ثم انسحبت إلى الداخل بهدوء كما أقبلت بهدوء، ورأى هذه الصورة معى نحو ٧٠٠ شخص منهم زميلى ميشيل عازر سيفين المحاسب بالشركة العامة للبترول . وقد اتفق على وصف المنظر جميع المشاهدين .

---

(١) من تقرير السيد/ المحاسب ميشيل أنيس جرجس، المحاسب لشركة النيل العامة لأتوبيس شرق الدلتا، المقيم بالمنزل رقم ٥ بميدان الحديقة بحدائق شبرا، بطاقة ٣٢١٢٦ قسم الساحل، بالقاهرة . والسن ٢٢ عاماً .

[1]حوالى ٤٥ر١٠ مساء صورة نصفية للسيدة العذراء بداخل القبة، مضيئة بنور أبيض هادىء ، تتحرك ببطء وتتخذ شكل دائرى فى الحركة ثم ظهرت وتكاد تراها عيناى بوضوح كراهبة فوق رأسها هالة من الضوء مكملة لهالة الضوء المحيطة بجسدها الطاهر ثم تلاشت ببطء كصورة تتحرك مرة ثانية .

فجر الجمعة العظيمة ١٩/ أبريل ١٩٦٨ .

[2]من الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ظهر فى السماء بين القبتين الشرقية والغربية للكنيسة ضوء أبيض قوى لمدة دقيقتين تقريباً، ولم يتشكل شيء ثم اختفى وبعد نحو عشر دقائق ظهر فى داخل القبة البحرية الشرقية ضوء متوهج لونه أصفر بلون ضوء الشموع ، لكنه مستدير أشبه بقرص الشمس يلف ويدور[3] لكنه أيضا لم يتشكل بشىء.

[2]نحو ٣٠ر٢ أو ٣ صباحا ظهر فى إحدى فتحات القبة البحرية الشرقية نقط صفراء وسوداء شبيه بما يظهر على شاشة التليفزيون قبل وضوح الصورة، تبدو فيها صورة السيدة العذراء تطل من نافذة القبة، وكانت العذراء تبدو حزينة مكتئبة ، وقد تكرر هذا المنظر نحو أربع مرات .

[4]نحو ٣٠ر٢ صباحا تقريباً رأيت فى القبة البحرية الشرقية صورة جانبية للسيدة العذراء والدة الإله، يبلغ طولها حوالى ٣٠سنتيمترا، وهى من النور الأزرق الباهت والأصفر الباهت، وحول رأسها هالة من نور، وظل هذا المنظر ثابتاً بضع دقائق ثم اختفى، وعاد للظهور والإختفاء عدة مرات حتى الساعة ٤ صباحا.

---

(١) من تقرير الآنسة سهير اسحق (ايزاك) مرقس – (بكالوريوس فى الفنون والتربية) والمعيدة بالمعهد العالى للإقتصاد المنزلى ببولاق بقسم الفن والتصميم .

(٢) من تقرير للسيد الأستاذ نبيل قيصر جاد مدرس اللغة الإنجليزية بمدرسة طما الثانوية للبنين، بطاقة عائلية رقم ٨١٨ أول أسيوط .

(٣) من تقرير السيدة وديعة اسكندر مسيحة حرم الدكتور عزيز لوقا .

(٤) من تقرير للسيد/ سمير موسى حكيم الطالب بكلية الطب جامعة عين شمس، والمقيم بالمنزل رقم ٥١ شارع القائد، بكوبرى القبة بالقاهرة، بطاقة عائلية رقم ١٦٤٨ الوايلى .

فجر الجمعة ١٩ أبريل ١٩٦٨ .

تكررت زيارتى لكنيسة العذراء بالزيتون[١] أكثر من تسعين مرة، وكان تجلى العذراء فيها أكثر من ثلاثين مرة وبتكرار التجلى فى بعض الأيام رأيناها أكثر من خمسين مرة... وكان تجلى العذراء فى كل الحالات باللون البرتقالى أحيانا وكوهج الفلورسنت أحياناً أخرى، كما كانت معظم الحالات فى القبة الشرقية أو بين القباب وأقلها فى القبة الموازية للشرقية على حارة خليل، وفى ليلة عيد النيروز رأيناها متجسدة .

أما بخصوص الظواهر الروحية فقد لاحظنا :

١- ظاهرة الحمام :

رأينا الحمام الناصع البياض كما رأيناه مختلف الأحجام ومختلف فى طيرانه، فبعضه بطىء يرفرف بجناحيه والبعض الآخر ينطلق كالصاروخ دون تحريك للأجنحة إذ تكون مسحوبة للخلف كما كان الإعجاز يبدو فى دقة التشكيل عندما يبلغ عددها إثنتى عشر كما لاحظنا أكثر من خمس أو ست مرات أن قامت حمامتان برشم علامة الصليب فوق منطقة الكنيسة بطيرانهما فى إتجاهين متعامدين فى آن واحد .. أما عن الحمام المضىء فقد رأينا خلال هذه المدة حمامة واحدة فقط مساء المسيرة ٦٨/٦/٢٥.

٢- ظاهرة السحب :

وقد رآها مثلنا كثيرون وكانت لها مناسبات دينية خاصة .

٣- ظاهرة النجوم :

إن أى شخص متوسط الثقافة والذكاء ليدرك تماما أنها ليست ظواهر طبيعية عادية كالشهب مثلا وهذا لايمنع أنه كانت هناك شهبا لا حصر لها إلا أن النجوم التى نعنيها كانت شيئاً آخر يجب أن ينحنى لها القلم قبل أن يصفها... كان معظمها مذنباً عدا أن الحجم الكبير للنجم مع الإرتفاع القليل نسبياً والإشعاع أحياناً بألوان الطيف والإلتزام مع الذنب بالخط الأفقى فى مساره منذ البداية حتى إختفائه .

٤- ظاهرة عمود من النور :

وقد تكررت هذه الظاهرة أكثر من عشر مرات وغالبا ما كان يبدو بجوار شجرة

---

(١) الأستاذ سامى سعد وقرينته برلنت ديمترى وإبنتاه هيلدا وفيفيان – ٧٠ ش الشهيد فريد سميكة مصر الجديدة .

أو نخلة أو فوق الكنيسة بين القباب .

٥- ظاهرة البخور :

كثيرا ما كنا نراه يتكاثف فوق الكنيسة ثم بعد ذلك يعبق الجو برائحته الزكية رغم أننا أحياناً كنا على مسافة بعيدة وضد إتجاه الريح بالنسبة للبخور .

فى فجر الجمعة الموافق ٦٨/٤/١٩ كنا وقوفاً فى شارع طومانباى نتوقع رؤية السيدة العذراء متجسدة فوق القباب حسب الصورة التى وُصفت لنا ممن أسعدهم الحظ برؤيتها وهى تتجلى على تلك الصورة ... ولكن تكرار الصياح فى حارة خليل دفعنا إلى إختراق الزحام حتى مدخل الحارة المذكورة ثم إتجهنا بأنظارنا إلى القبة الشرقية. كانت الساعة تسجل الثالثة تقريبا صباح الجمعة وإذا بإشعاعات زرقاء كالعصى تضرب جوانب القبة من الداخل بسرعة وعنف ثم تختفى لتظهر بعدها كرة ضوئية برتقالية اللون قطرها حوالى أربعون سنتيمتر لتسبح داخل القبة متماوجة بين إرتفاع وإنخفاض ثم إذا بتلك الكرة الضوئية تتجسم ضوئيا فى شكل السيدة العذراء (نصفية) تبارك الجموع المحتشدة وذلك من الفتحة المطلة على الحارة ... تكرر ذلك عدة مرات ولكن فى إحداها تحولت الكرة البرتقالية المضيئة إلى مجرد صورة ذهبية اللون فى نفس الفتحة تلبس تاجاً يعلوه صلبان صغيرة متجاورة عدا المتصدر للجبهة فقد كان حجمه أكبر قليلا وكانت تحمل على يسارها الطفل يسوع ... ولم تثبت هذه الصورة أكثر من ثانية واحدة .

أما ماحدث لنا من معجزات فأسجله فى الآتى :

١- ورم لحق بالساقين والقدمين لقرينتى لازمها أربع سنوات تقريبا وقد تم لها الشفاء أثر إحدى الزيارات للكنيسة .

٢- كانت إبنتى هيلدا تعانى من حالة حساسية لازمتها منذ الطفولة – كانت تظهر من بدء الصيف كلدغ البعوض وإحمرار يشمل الأقدام والسيقان ثم لا تلبث أن تمتلىء بسائل يشبه العرق وتنتفخ لتتحول إلى فقاقيع فى حجم البندق .. كان يعالجها منذ الصغر الدكتور محمد الظواهرى ثم الدكتور نجيب جندى ولأول مرة لم يظهر أى أثر للحساسية منذ بدأ الصيف الماضى وهو توقيت ظهور العذراء .

٣- وأنا شخصياً شفيت شفاءً فورياً أثر زيارة أخيرة تجلت فيها العذراء وذلك من حالة إرتيكاريا حادة كنت أعالج منها بالكورتيزون ومضادات الحساسية .

٤- استلمنا مفتاحا واحداً لسكننا الحالى فى ٦٨/٨/١ مع تحذير من مالك العقار بسرعة عمل مفاتيح إحتياطية لندرة الكالون ولأن باقى المفاتيح فى لندن مع المستأجر السابق الذى إنتقل إلى شقة ١٢ بنفس العقار قبل سفره - وحدث بعد زيارتنا لكنيسة العذراء وكان فجر الأحد ٨/١١ أن اكتشفت قرينتى ضياع المفتاح فإضطررنا للمبيت عند أحد الأقارب وفى الصباح توجهت قرينتى والأولاد إلى الشقة كما اتصلت بمالك العقار لإتخاذ اللازم نحو فتح الباب على مسئوليتى - وقد حدث لحظة وصول قرينتى إلى باب الشقة أن ظهرت لها والدة المستأجر السابق والتى كانت معه بلندن لتهنئها بالمسكن الجديد وتسلمها مفاتيح الشقة كما أخبرتها أنها لسبب ما قطعت أجازتها ووصلت بالطائرة الساعة الحادية عشر والنصف قبل منتصف الليل وكان تعليق زوجتى للسيدة " أنا قلت مش معقول يضيع المفتاح واحنا عند العذراء والعـــذراء تنسانا " .

السبت ١٩٦٨/٤/٢٠ .

رأيت العذراء(١) فى القبة الشرقية تلبس طرحة لونها أبيض كانت تظهر بنصفها ثم ترتفع إلى أعلى حتى تظهر كلها ثم تختفى، ونفس المنظر رأيته يوم ١٩٦٨/٥/٤ ولكن بعد الظهور كانت تصل حتى الصليب وتسجد وتختفى . ثم سافرت وأحضرت والدى ووالدتى وإخوتى من كوم امبو وخاصة أن والدتى كانت مريضة بعدة أمراض وهى : ١- مرض السكر ٢- تورم فى المصران الغليظ ٣- خراج فى ذراعها وممنوعة من عمل عملية فى الذراع لمرض السكر. ورغم أنى طالب وأسكن بسراى القبة على بعد مسافة ثلث ساعة سيراً على الأقدام من كنيسة العذراء وبالتاكسى ثلاث دقائق فأحضرتها بالتاكسى وكانت لا تستطيع أن تقف ، ورأت العذراء وهى واقفة على القبة الوسطى، ثم ذهبت والدتى مرة أخرى بدون تاكسى ورأت العذراء من الشباك الصغير للقبة الشرقية وهى تطلب من العذراء أن تشفيها وذهبت المرة الثالثة وهى مصممة أن العذراء تشفيها والخراج كان مفتوح له مدة شهر يخرج سوائل، وفعلا رأت العذراء على سقف الكنيسة بين القبة الكبيرة والصغيرة وبمجرد رجوعنا المنزل ، وإذ بالخراج يخرج مادة بيضاء طولها ٣ سنتيمتر وشفيت بعدها والدتى .

---

(١) موريس صالح إبراهيم - بكالوريوس علوم وتربية - جامعة عين شمس - القاهرة .

مساء السبت (سبت الفرح) ٢٠/ أبريل / ١٩٦٨ .

[1] نحو الساعة ١٠ مساء ظهر نور داخل القبة (البحرية الشرقية) لونه كلون قرص الشمس لحظة الغروب، ثم ما لبث أن اختفى .

نحو الساعة ١٢ ظهر فى القبة من الداخل طيف نصفى للعذراء لونه مثل لون قرص الشمس لحظة الغروب. وتكرر هذا الظهور فى شكل ومضات على عدة فترات تفصل بينها ثوان بسيطة .

فجر يوم السبت (سبت الفرح) ٢٠/ أبريل/ ١٩٦٨ .

[2] فى الساعة ٢٠ر٢ بعد منتصف الليل ظهرت العذراء بنور قوى وهى ترتدى ثوباً أبيض، وذلك بجوار الصليب الذى يعلو باب الكنيسة مباشرة من الجهة الغربية .

[3] وفى الساعة ٣٠ر٢ صباحا ظهرت صورة العذراء مريم فى القبة البحرية الشرقية بوضوح[4] فى الركن الأسفل من الجهة اليمنى للقبة، وكانت تتحرك من أسفل إلى أعلى ثم إلى اليمين مع نور يملأ نافذة القبة فى شكل إستدارة تعلو إستدارة أكبر منها وكان يظهر أيضا سحاب يرتعش ويتحرك ببطء مثل الروح .

[5]نحو الساعة ١٥ر٣ تجلت العذراء واضحة من القبة البحرية الشرقية. وقبل ظهورها ، رأينا فوق القبة الكبرى التى يعلوها الصليب حمامتين بيضاوين مشعتين طارتا ثم إختفتا وبعد إختفائهما بدقائق ظهرت السيدة العذراء جسما نورانياً أبيض ساطعاً بل ومشعاً، وهى ترتدى طرحة بيضاء، وتثنى ذراعيها على صدرها ، وتومىء لنا برأسها فى إتجاهين مختلفين .

---

(١) من تقرير السيد/ نشأت حنا غبريال ، الطالب بكلية الهندسة ، جامعة عين شمس ، المقيم بالمنزل رقم ١١ شارع ضريح سعد بالقاهرة ، بطاقة رقم ٥٤٣٣ السيدة زينب .

(٢) من تقرير السيد/ فريد كامل فريد – صاحب مؤسسات الممتازة وفيكس للآلات الكاتبة بالزيتون .

(٣) من تقرير للسيدة الدكتورة إميلى ارمانيوس صفحة ٥١٩ هامش رقم (٤) .

(٤) من تقرير للسيد/ أديب نجيب عبد الملك حنا، الطالب بمعهد الآلات الدقيقة والإلكترونيات بدار السلام ، والمقيم بالمنزل رقم ١٠ شارع حنا خليل بالقللى بمنيل الروضة، والسن ١٨ سنة بطاقة رقم ١٥٠١٥

(٥) من تقرير السيد/ لطفى سامى النميرى ، مراجع حسابات برئاسة سلاح الحدود بكوبرى القبة بالقاهرة. والمقيم بالمنزل رقم ٢ حارة هندى، بشارع كوبرى القبة بالقاهرة بطاقة رقم٤٩٤٤ الوايلى.

[1]كنت أطلب من القيّم قربان الحمل، وذلك بعد إنتهاء الصلاة المعروفة بصلاة "أبوغالمسيس". وعندما فتحت النافذة القبلية بخوروس السيدات لأنادى على قيّم الكنيسة، وجدت بجوار فرن القربان صورة ضوئية نصفية للسيدة العذراء على وعاء معد لتسييح الشمع، بلون الضوء العادى، ولكن بنور قوىّ، وعلى رأسها تاج برّاق ، فناديت الابن الأصغر لإبراهيم القيّم واسمه نصيف، وسألته " ما (مذا) الذى (يوجد) على وعاء الشمع " ؟ فقال: " إنها شيكارة جبس" وعندئذ تحققت أنها سيدتنا القديسة مريم العذراء. وقد أخفيت هذا النبأ إلى وقت قريب .

فجر صباح الأحد (عيد القيامة المجيد) ٢١/ أبريل/ ١٩٦٨ .

[2]فى الساعة ٥ر١٢ بعد منتصف الليل ظهر ضوء خفيف فى القبة البحرية الشرقية .

[3]فى الساعة ٣٠ر٢ صباحا تجلت السيدة العذراء فى منظر نورانى مجسم مشع، يضىء أقوى من لمبات الفلورسنت، تحمل السيد المسيح على ذراعها الأيسر، وظل المنظر الأبيض الساطع نحو دقيقة ونصف . وقبيل ظهور المنظر ظهرت حمامتان بيضاوان .

[4]حوالى الثالثة صباحا، ظهرت السيدة العذراء عدة مرات إلى الساعة ٣٠ر٤ وذلك فى القبة البحرية الشرقية، وهى تمشى وتتنقل بلون باهت غير واضحة المعالم من شمال نافذة القبة إلى يمينها ، وكان يشع منها ضوء خافت .

---

(١) من تقرير جناب الأب الموقر القمص قسطنطين موسى كاهن كنيسة السيدة العذراء بالزيتون بتاريخ ١٩٦٨/٦/٧ .

(٢) من تقريرالسيد/ المهندس الزراعى موريس يوسف نمور (بكالوريوس زراعة) – بطاقة رقم ١٠٤٠٩ باب الشعرية . القاهرة .

(٣) من تقرير السيد/ لطفى سامى النميرى مراجع حسابات برئاسة سلاح الحدود بكوبرى القبة . القاهرة .

(٤) من تقرير السيد/ نبيل فكرى بشاى – مندوب الطرق الجوية البريطانية بالقاهرة – بطاقة عائلية رقم ١٨٥٤٢ .

[1]فى الساعة ٣٠ر٣ صباحا رأيناها ووالدتى تتحرك داخل القبة البحرية الشرقية وأحيانا يزداد نور الصورة، وأحيانا تتحرك جهة اليمين أو اليسار وظل الظهور مستمراً إلى نحو الساعة ٣٠ر٤ صباحاً .

[2]حوالى الساعة ٤ صباحا، شوهدت أنوار داخل القبة البحرية الشرقية، ورأيت صورة العذراء مجسمة من داخل نافذة القبة ، وكانت غاية فى الجمال والإبداع وكلما زدنا فى الصلوات والتراتيل إزداد ضوؤها وتلألأ .

[1]فى الساعة ٣٠ر٤ بدت السيدة العذراء باسطة يديها إلى جانبها، وأما رأسها فمغطاة بشبه طرحة روحانية نازلة إلى كل جسمها، ومن حول الرأس هالة نورانية، فى حجم يملأ أكثر من نصف نافذة القبة ، وظلت الصورة ثابتة وواضحة لمدة خمس دقائق على الأقل .

[3]فى الساعة ٣٠ر٥ كان نور السيدة العذراء لايزال يتنقل بين شبابيك القبة البحرية الشرقية، وهى تطل علينا من داخل القبة .

مساء الأحد ٢١/ أبريل ١٩٦٨ (مساء يوم عيد القيامة) .

[4]الساعة ٨ مساء طيف العذراء فى شباك القبة البحرية الشرقية وتحرك هذا الطيف النصفى فى الشباك أمامى، وقد شاهده معى نجلى يسرى ظريف ، وجميع الواقفين معنا فى هذا اليوم .

[5]فيما بين العاشرة، والحادية عشر، شاهدت العذراء داخل القبة البحرية الشرقية عدة مرات، وفى كل مرة كان يبدأ ظهور ضوء خفيف يزداد توهجاً، ثم يبدأ بتكوين صورة العذراء، صورة نصفية أو صورة كاملة جانبية، وتزداد الصورة وضوحـــــــاً

---

(١) من تقرير السيد/ سمير موسى حكيم الطالب بكلية الطب جامعة عين شمس .

(٢) من تقرير السيد/ المهندس فكرى رياض عبده (٦ شارع مراد الشريعى – بمصر الجديدة) .

(٣) من تقرير السيد موريس يوسف نمور صفحة ٥٢٦ هامش رقم (٢) .

(٤) من تقرير للسيد/ ظريف مجلى ، المقيم بالمنزل رقم ٧ شارع جمال بدار السعادة ، بالزيتون محافظة القاهرة .

(٥) من تقرير للسيد/ الدكتور يوسف عزيز متى إخصائى الأطفال بطنطا – بطاقة عائلية رقم ٤٧١ قسم ثان ، بطنطا .

وتظهر لها أبعاد وسمك وأحياناً تبدأ فى الحركة الجانبية أو إلى الأمام بحيث تظهر أكبر حجماً وأكبر وضوحاً ثم تختفى، وكان الضوء فى كل مرة واضحاً جداً بحيث لايمكن أن يختلف فيه إثنان ودون أن يكون هناك أى مجال للشك .

فجر الإثنين ٢٢/ أبريل ١٩٦٨ (شم النسيم) .

[١]من ٣٠ر٣ صباحا – ٥ صباحا العذراء فى القبة البحرية الشرقية تمشى من الشمال إلى اليمين فاتحة اللون غير واضحة المعالم ويشع منها ضوء خافت .

[٢]الساعة ١٥ر٥ صباحا – طيف ناصع البياض فى القبة البحرية الشرقية .

مساء يوم الإثنين (شم النسيم) ٢٢/ أبريل ١٩٦٨ .

[٣]٤٥ر٨ ظهرت العذراء من القبة البحرية الشرقية .

[٤]ما بين ١٠ر٩ – ٣٠ر١٠ صورة العذراء فى القبة البحرية الشرقية بوضوح تام وعلى أشكال مختلفة خلال هذه المدة .

[٥]٣٠ر١٠ ظهرت ٤ مرات – ٣ مرات بلون أصفر باهت بضوء قوى ، ومرة بضوء أبيض ناصع البياض متلألىء – ومهما أصف لايقدر أحد أن يصف هذا الجمال الروحانى الذى لم أر مثله خلال مدة حياتى .

---

(١) من تقرير للسيد/ نبيل فكرى بشاى مندوب الطرق الجوية البريطانية بالقاهرة بطاقة عائلية رقم ١٨٥٤٢ مكتب سجل مدنى الدقى – الجيزة .

(٢) تقرير د. إميلى ارمانيوس صفحة ٥١٩ هامش رقم (٤) .

(٣) من تقرير للسيد/ المهندس الزراعى موريس يوسف نمور ، المقيم بالمنزل رقم ١٣ شارع الجد بالظاهر ، القاهرة ، بطاقة رقم ١٠٤٠٩ ، باب الشعرية – القاهرة .

(٤) من تقرير للسيد/ الدكتور يوسف عزيز متى، إخصاى الأطفال بطنطا .

(٥) من تقرير السيد المهندس الزراعى موريس يوسف نمور .

فجر الثلاثاء ٢٣/ أبريل ١٩٦٨ .

[١]فيما بين ١٢ مساء (الإثنين) والساعة ٢ صباحا (الثلاثاء) تمكنت من رؤية ضوء شاهب على شكل سحاب داخل نافذة القبة البحرية الشرقية وتكرر المنظر حوالى ٧ أو ٨ مرات لمدة ثوان فى كل مرة . فرأيت هالة مستديرة تارة تميل إلى الإحمرار وتارة بيضاء كلون ضوء القمر . وفى آخر مرة حوالى ٢٠ر٢ لمحت هذا السحاب برسم رأس وكتفين ولكن المنظر إختفى بسرعة .

مساء الثلاثاء ٢٣/ أبريل ١٩٦٨ .

[٢]بين الواحدة والثانية صباحا تمكنت من رؤية ضوء شاحب عليٍ شكل سحاب داخل القبة الشرقية، ورأيت منظر رأس وكتفين ولكنه إختفى بسرعة جداً .

[٣]فى القبة البحرية الشرقية . طيف غير محدد متكرر مختلف الأشكال والألوان ودرجة الإضاءة .

فجر الأربعاء ١٩٦٨/٤/٢٤ .

رأيت[٤] نوراً أحمر برتقالى يشع من نافذة القبة الشرقية وأنا واقف بحارة توفيق خليل، ثم ظهرت العذراء بصورة نصفية ملونة ، وتعدد ظهورها حوالى ٨ مرات .

----

(١) من تقرير السيدة/ سونيا سليمان يسى المعيدة بقسم البيانو بالمعهد القومى العالى للموسيقى (الكونسرفاتوار) والمقيمة بالمنزل رقم ٧ شارع البستان بالقاهرة ، بطاقة رقم ٢٣٩٠١ مكتب سجل مدنى – مصر القديمة .

(٢) من تقرير الأستاذة أولجا يسى (وبالميلاد أولجا ابتناغو جندى)، أستاذة بيانو بالمعهد القومى العالى للموسيقى بمدينة الفنون بالهرم (الكونسرفاتوار)، والمتخرجة من كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٩٣٩ والحاصلة على دبلوم Teachers Deploma Trinity College of Music, London, 1954 . بطاقة رقم ١٩٨٦٦ والمقيمة بالمنزل رقم ٧ شارع البستان بالتحرير ، القاهرة .

(٣) من تقرير للسيدة الدكتورة اميلى ارمانيوس طبيبة إخصائية أمراض العيون بالصحة المدرسية بالقاهرة .

(٤) م. أنور كامل خليل – مدير أعمال بمديرية الإسكان والمرافق بمحافظة الشرقية – ١٩ ش الحرية – مصر الجديدة ، بطاقة ع . رقم ٢٩٤٤٣ مصر الجديدة .

مساء الأربعاء ٢٤/ أبريل ١٩٦٨ .

[١]التاسعة مساء صورة للعذراء على القبة البحرية الشرقية، وتنتقل الصورة فى مسافة الفتحات الثلاثة المطلة على الشارع والحارة .

بعد ثلث ساعة صورة تشبه صورة التقويم وكانت تمد يدها فعلاً من الفتحتين المطلتين على الشارع والحاره وتبارك الشعب، وكأنها تودع من بعيد، وكانت تلبس ثوب أزرق فاتح، وطرحة على رأسها من الداخل أبيض ومن الخارج بلون رمادى .

ولاحظت مرة ثالثا وكأن قرصا من الشمس بداخلة صورة للعذراء كأنها الشمس عند الشروق. لونها أصفر ذهبى تدور حول القبة ذاتها ما يقرب من ٣ أو ٤ مرات .

[٢]١٠ مساء العذراء واقفة بين القبتين من جهة حارة خليل – استمر المنظر حوالى ثلثى ساعة .

مساء الخميس ٢٥/ أبريل ١٩٦٨ .

[٣]من ٣–٤ صباح الجمعة لم يظهر إلاّ البرق الذى كان يدخل من فتحات القبة البحرية الشرقية ويخرج من الفتحات المقابلة، ويضيئها بضوء وهاج شبيه بلحام الأكسجين ولكنه لايظهر فى القباب الثلاثة الأخرى .

مساء الجمعة ٢٦/ أبريل ١٩٦٨ .

[٣]٨ مساء – طيف العذراء على شكل تمثال نصفى من الضوء البرتقالى فى الجانب الأعلى الأيمن من القبة البحرية الشرقية .

سيدة إنجليزية روت أنها لأول مرة رأت من خلال منظار مكبر منظر نصفى كامل لتمثال العذراء .

[٣]نحو ٩ مساء ظهر ضوء يملأ فتحة القبة أكثر إشراقا .

---

(١) من تقرير للسيد/ سمير زكى إبرهيم موسى كاتب حسابات جمعية، وطالب بمعهد الدراسات التجارية بجامعة عين شمس – من محافظة المنيا – مركز أبو قرقاص .

(٢) من تقرير للسيد/ فريد كامل فريد، صاحب مؤسسات الممتازة وفيكس للآلات الكاتبة ، الزيتون ، القاهرة .

(٣) تقرير د. إميلى ارمانيوس صفحة ٥٠١ هامش رقم (١) .

[1]الساعة ٢٠ر١١ مساء فى القبة المواجهة للجراج (البحرية الشرقية) العذراء فى شكل نصفى، والصورة لونها أصفر والعذراء تبدو حزينة، وتكرر الظهور مرتين فى نصف دقيقة حيث كانت صاعدة من أسفل القبة إلى أعلاها وظلت كذلك حتى ٥٠ر١١.

[2]نحو ١٢ مساء رأيت العذراء القديسة مريم، أكثر من مرة تظهر بأضواء وأطياف مختلفة على شكل نصف صورة بداخل القبة الأمامية بشارع طومان باى، وعندما رأيتها سررت وفرحت جداً . فقررت أن أسهر حتى الصباح .

مساء السبت ٢٧/ أبريل ١٩٦٨ .

فى القبة البحرية الشرقية

[3]نحو الساعة ٧ مساء تجلت السيدة العذراء فى داخل فتحة القبة البحرية الشرقية فى منظر نصفى وهى ترتدى طرحة بيضاء وتلتفت مطأطئة برأسها نحو الشعب تحييه وتباركه بحركات تعبيرية . ثم تغير إتجاه وجهها، واستمر المنظر يتحرك حوالى ساعتين ونصف دون إنقطاع .. يحيط بها نور عظيم لا أستطيع أن أشبهه بأى نور آخر فى عالمنا هذا إذ أنه يختلف كثيراً عن جميع الأنوار .

[4]حوالى ٣٠ر٨ مساء ظهرت السيدة العذراء مريم فى داخل القبة البحرية الشرقية ، فى منظر نصفى يحيط بها النور، فهلل وصفق الجميع لهذه البركة والنعمة، وقد شاهدتها مع الجميع، وهى تلف حول نفسها ببطء، واستمر ظهورها بعد ذلك فى فترات متقطعة وبأوضاع مختلفة .. فقد ظهرت العذراء وهى تحمل غصن الزيتون، وبعد ذلك ظهرت بجسدها كاملاً .

---

(١) من تقرير للسيد/ رفعت موسى إقلاديوس، بكلية الزراعة بجامعة عين شمس المقيم بالمنزل رقم ٦٤ شارع ابن الكورانى – شبرا مصر ، السن ٢٥ عاماً .

(٢) من تقرير للسيد/ مكرم أنور برسوم واصف، الطالب بكلية الطب جامعة عين شمس والمقيم بالمنزل رقم ٣ شارع عبد الغفار المتفرع من شارع ترعة الجبل بحدائق القبة بالقاهرة، بطاقة شخصية رقم ٤٧٠٥ مكتب سجل مدنى السويس محافظة السويس .

(٣) من تقرير للسيد/ جميل بدير عبد الملاك رئيس مكتب تشغيل عمليات الليفت فان والتخليص بشركة القناة للتوكيلات الملاحية ، توكيل القاهرة للملاحة ، ٥٠ شارع قصر النيل ، البطاقة رقم ٤٢٤٤١ شبرا مصر .

(٤) من تقرير السيد/ يوسف غالى رزق الله – سندبيس ، مركز القناطر الخيرية ، القليوبية، رقم البطاقة ١٨٤٨٥ .

(١)حوالى التاسعة مساء رأيت السيدة العذراء داخل قبة الكنيسة البحرية الشرقية وهى تتحرك فى أوضاع مختلفة منها وضع وهى متشحة بطرحة وحاملة السيد المسيح له المجد ووضع آخر وهى رافعة يدها للشعب تباركه وحاملة فى اليد الأخرى غصن شجرة، يحتمل أن يكون غصن زيتون، واستمرت هذه الأوضاع مدة ما تقرب من ساعة ونصف .

(٢)حوالى ١٠ر٩ مساء أخذت صورة السيدة العذراء تظهر تدريجيا وببطء من أسفل إلى أعلى، طيفا أشبه مايكون بسحاب ثابت بشكل منظر النصف العلوى لامرأة فى حجم أقرب ما يكون إلى الحجم الطبيعى، تلبس طرحة بيضاء مشربة بزرقة خفيفة وتحتها ما هو أغمق لوناً وكنت من حولى نلحظ بوضوح حركة الوجه – الذى لم يمكنا إستجلاء تفاصيله – ذات اليسار وذات اليمين وإلى الأمام بحركة بطيئة .. وقد استمر المنظر حوالى دقيقتين وربما أكثر .

(٣)فى الساعة ١٠ر٩ مساء رأينا ضوءاً خافتاً داخل قبة الكنيسة الصغرى ، القبة التى فوق المعمودية (وهى البحرية الشرقية)، وبالقبة ثلاث فتحات وكانت السيدة العذراء تظهر فى الفتحة المطلة على حارة توفيق خليل. واستمر وقوفها داخل القبة نصف ساعة وأطلت برأسها الطاهر ثلاث مرات من القبة على الشعب الواقف، وكانت تومىء إليهم.. وكان جلبابها سماوياً، وفوق رأسها طرحة بيضاء، وكانت فى بادىء الأمر على كتفيها ثم نزلت حتى قدميها بعد ذلك .. وأمام الفتحة الوسطى فى القبة مكان شديد الانحدار يبعد عن الفتحة البحرية بحوالى متر، فخرجت السيدة العذراء ووقفت عليه، وكانت تحرك يديها الطاهرتين وتبارك الشعب .

---

(١) من تقرير للسيد/ الاستاذ اسحق جرجس نجيب المحامى، المقيم فى المسكن رقم ٨٧ شارع شبرا مصر .

(٢) من تقرير للسيد/ مصطفى محمد القبانى (زوج إبنة الشيخ مصطفى إسماعيل المقرىء المعروف) المحاسب بمؤسسة البترول ، بطاقة عائلية رقم ٢٥٩٧١ الدقى ، المقيم فى المنزل رقم ٦١ شارع محمد رضا – الدقى . ومعه وبصحبته السيد وحيد مصطفى اسماعيل (شقيق زوجته) بطاقة شخصية رقم ٤٦٠٠ / قصر النيل – القاهرة .

(٣) من تقرير للسيد/ الشماس فطين موسى اسكندر، الطالب بالثانوية العامة، وخادم بمدارس التربية الكنسية بكنيسة مارجرجس بمصر الجديدة/ المقيم برقم ٣٨ شارع نخلة المطيعى بمصر الجديدة ، بطاقة شخصية رقم ٢٩٨ قسم النزهة بمصر الجديدة ، السن ١٨ سنة .

(١)حوالى الساعة ١٠ مساء إنبعث نور مضيء أقوى من نور البرق من داخل الكنيسة للخارج بضع مرات متعاقبة. وبعدها بحوالى نصف ساعة ظهرت السيدة العذراء فى داخل القبة البحرية الشرقية هالة مضيئة أضاءت مرتين وإختفت فى لحظات وبعد ذلك أضاءت فى المرة الثالثة . وخلالها شاهدت ظهور العذراء مريم فى لحظة خاطفة . وأول ما شاهدتها كانت فى وضع جانبى تنظر من طاقة هذه القبة المواجهة للجراج مباشرة ، وشاهدتها فى منظرها النورانى الرائع، الهالة المضيئة فوق رأسها بلون أصفر ذهبى ، وطرحتها شفافة بلون أزرق سماوى، وملابسها بيضاء مضيئة بلون قمرى، ووجهها ويداها وكأنها فوسفور أبيض مشع. شاهدتها بعد ذلك تنحنى برأسها تحيى الحاضرين الواقفين أمامها مباشرة، ثم ترفع يديها تباركهم . وعند إنحنائها شاهدت حركة تموّج طرحتها الزرقاء الشفافة كأن ريحاً خفيفة تحركها وكانت الجموع تهلل وتصفق وترفع الدعوات والنساء والفتيات يزغردن، والواقفون حولى يطلبون منها أن تستدير لهم وتنظر إليهم. وبعد حوالى عشر دقائق رأيتها تستدير وتقف فى الطاقة المواجهة لنا تماماً، وبعد لحظات إنحنت برأسها تحيينا، ورفعت يديها النورانيتين المشعتين كالفوسفور لتباركنا. وكانت تلك اللحظات هى أسعد لحظات حياتى كلها . وظلت العذراء تنظر إلينا بوجهها النورانى بإبتسامة فرحة حوالى عشر دقائق، ثم إستدارت لتنظر من الطاقات الأخرى فى نفس القبة البحرية الشرقية المطلة على حارة توفيق خليل . وبعد حوالى أكثر من نصف ساعة اختفى نورها فجأة من هذه القبة البحرية الشرقية لتظهر فى أقل من لمح البصر فى الجهة الغربية بهالة نور قوىّ جداً أضاء الأشجار المجاورة للكنيسة من الجهة الغربية، ولكنى لم أستطع من مكانى الواقع فى شارع طومانباى أن أرى المنظر الذى ظهرت به فى الجهة الغربية .

(٢)حوالى العاشرة مساء إنطلقت من داخل القبة البحرية الشرقية ومضات من النور كالذى تحت آلة الكاميرا أربع مرات على فترات زمنية متفاوتة ، ثم ظهرت السيدة العذراء داخل القبة على شكل تمثال نصفى ، وعلى رأسها غلالة بيضاء ناصعة

---

(١) من تقرير للسيد/ جرجس عبدالله مكسى، نهائى كلية الطب بجامعة عين شمس المقيم بالمنزل رقم ٣ شارع المحروسة بحدائق القبة ، بطاقة رقم ٢٨٢٨٤ - الوايلى .

(٢) من تقرير للسيد/ سمير سليم حنا، الطالب بمعهد الطيران المدنى ، وشماس بكنيسة القديس مارجرجس بمصر الجديدة، المقيم بالمنزل رقم ٢٠ شارع عبد الله أبو السعود، بطاقة رقم ١٩٩٩٢ ، السن ٢٠ سنة .

وحول الرأس هالة مضيئة باللون الأصفر الذى يشتد ضوؤه أحياناً ويخفت أحياناً أخرى .

بعد ذلك شاهدتها بصورة كاملة فوق القبة، وكانت ترتدى رداء فوسفورى اللون وكان نورها يفوق كل الأنوار الموجودة فى المكان . وقبل ظهورها بقليل طارت حوالى ٣ حمامات بيضاوات فى السماء ، ثم إختفت الحمامات عن الأنظار .

(١)فى الساعة ١١ مساء رأينا جميعا نوراً أصفر باهراً يشع من جسد السيدة العذراء استمر حتى سلّط عليه أحد مصورى التليفزيون كشافه ولكن بقى النور الأصفر نور السيدة أم النور – بعد إختفاء نور الكشاف – نحو ثلاث دقائق .

(٢)حوالى الساعة ٢٠ر١١ مساء خرجت السيدة العذراء من طاقة من القبة البحرية الشرقية، ودخلت دفعتين متواليتين، وكانت بكامل هيئتها. فلم أتمالك نفسى، فناديت بصوت عالٍ : يا أم النور ، السلام لك ! وطلبت أن تشفينى أنا وأولادى .. ومكثت أرتل مع الواقفين . وعلى الرغم من شدة الزحام ومع ضعفى وكبرى لم أشعر بأى تعب أو ملل .

(٣)بعد الساعة ١١ مساء ببضع دقائق، نظرت فى القبة البحرية والشرقية، وإذا بنور ساطع من نوع البرق الشديد اللمعان لا مثيل له . لونه يميل إلى الزرقة ، ينبعث من داخل القبة إلى الخارج ، وقد تكرر ظهوره بصورة أوضح وأشد بعد برهة من الوقت، وأنا أهتف للعذراء بقلبى ولسانى مع الجماهير .

(٤)نحو الساعة ٣٠ر١١مساء كنا فى الشارع المجاور للكنيسة (حارة توفيق خليل) فتطلعنا ... وإذا بنور يشرق فجأة ، وبجسم السيدة العذراء البتول أم المخلص يظهر كاملاً على قبة الكنيسة البحرية الشرقية المواجهة لنا فى شكل نور سماوى باهر يميل إلى الزرقة الخفيفة وكانت تضم يديها كأنها تصلّى، وحول رأسها هالة من نجوم ذهبية متألقة براقة تسطع أبهى من اللآلىء النادرة الثمينة، فأخذنا نطوبها ونمجد الله الذى أنعم

---

(١) من تقرير السيد/ فطين موسى اسكندر صفحة ٥٣٢ هامش رقم (٣) .

(٢) من تقرير للسيد/ نجيب غبريال يسطس ، صراف خزينة بإدارة الكهرباء بالمعاش ، المقيم بالمنزل رقم ١٥ شارع الدكتور خليل إبرهيم بحدائق الزيتون، بطاقة عائلية رقم ٤٦٩٤ ، سجل مدنى الزيتون ، محافظة القاهرة .

(٣) من تقرير السيد الدكتور ألفريد عزيز عوض .

(٤) من تقرير السيد/ حنا صبحى جرجس .

علينا بهذه الرؤيا السمائية المباركة.. ثم أخذت السيدة أم النور تدور ببطء حول قبة الكنيسة واستمر هذا المشهد النورانى الذى لن يبرح مخيلتى مدى حياتى.. لمدة بضع دقائق . وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة والنصف بخمس دقائق .

(١)وفى الساعة ٤٥ر١١ اختفت السيدة العذراء مريم من أمام عيوننا، ولكنها لن تختفى من قلوبنا وأفكارنا .. أى ظلت حوالى ساعتين ونصف وخمس دقائق .. وتعتبر هذه الليلة من أطول الليالى التى ظهرت فيها سيدتنا كلنا .. كما ظهرت بنفس الطريقة فى الساعة الثالثة صباحا واستمرت حتى الرابعة .

على القبة الكبرى

(٢)حوالى ٩ مساء رأيت السيدة العذراء فى هيئة تمثال من المرمر المضىء، طوله حوالى متر ونصف لجسمها كاملاً، وهالة من النور الساطع حول رأسها والنور أزرق فاتح يشبه نور النيون وكان واضحاً كأنها تلف حول رأسها طرحة بيضاء، وكانت تلف حول القبة الكبيرة للكنيسة وتدور حول الصليب ثم تظهر وتختفى فى فترات منتظمة ... واستمرت الرؤية حوالى ساعة كاملة، ورأيت فى بعض مرات الظهور، يدها اليمنى تتحرك كمن تحيى الجماهير، ورأيتها أيضا كمن تهز رأسها إلى أعلى وإلى أسفل .

(٣)ثم حوالى الساعة ١١ مساء رأيت نوراً وهّاجا لونه أزرق فاتح كنور الفلورسنت بطول ما يقرب من متر ونصف وعرض حوالى أكثر من أربعين سنتيمترا يتحرك ويلتف حول القبة والصليب، واستمر أكثر من ساعة . ثم تركت المكان المقدس الطاهر وكانت الساعة تقرب من نصف الليل .

فى وعلى القبة الغربية القبلية

(٤)فى الساعى ٢٠ر١٠ مساء – لم نكد نصل (أنا وزوجتى) حتى سمعنا تصاعد الإبتهالات والتضرعات والتصفيق، فتوجهنا إلى أمام مدخل الكنيسة فى حارة توفيق خليل، ورفعنا رءوسنا إلى أعلى فوجدنا شعاع نور خفيف كالضباب أو الغازات خارجاً

---

(١) من تقرير السيد/ فطين موسى اسكندر صفحة ٥٣٢ هامش رقم (٣) .

(٢) من تقرير للسيد/ المحاسب حنا يوسف اندراوس .

(٣) من تقرير السيد/ اسحق جرجس نجيب المحامى صفحة ٥٣٢ هامش رقم (١)

(٤) من تقرير للسيد/ جورج واصف مدير شركة الشرق للتأمين سابقا .

من إحدى فتحات القبة اليمنى التى تعلو مدخل الكنيسة نفسها، القبة القبلية الغربية ، ورويداً رويداً إبتدأ يتضح فى طاقة تلك القبة شكل نصفى للسيدة العذراء وهى متشحة بطرحة بيضاء، والحقيقة أن النور كان شديداً جداً وصورة العذراء كانت واضحة جداً، واستمر المنظر حوالى ٧ دقائق ثم خبا. وإن هى إلاّ دقيقة حتى عاد النور يبدأ فى الظهور مضيئاً سعف النخلة من الجهة العكسية لجراج هيئة النقل العام، ثم إزداد تألقاً حتى أنار المنطقة كلها. ومن خلال توهج النور ظهرت السيدة العذراء كاملة خارج القبة، ومتشحة برداء أبيض، وحول رأسها هالة صفراء من النور، وكان ثوبها يهفهف عن ذيله ، وهى تتحرك بجوار القبة وترجع ثانية وتسير فوق سطح الكنيسة. وقد أومأت برأسها لنا أكثر من مرة، ويداها تضمان أطراف ثوبها وكانت تبارك الحاضرين . وقد ظل هذا المنظر يخفت أحيانا ثم يعود فيتوهج إلى الساعة ٥٥ر١١ مساء إلى أن إختفى نهائياً، ثم تركنا المكان. وكنت قد شككت فى مبدأ الأمر – وأسأل الله والسيدة العذراء أن يسامحانى – فى أن يكون النور مجرد إنعكاسات لأنوار الجراج المقابل للكنيسة ولكنى زال شكى إذ رأيت بنفسى السيدة العذراء تظهر كاملة فى أكثر من موضع ، بالوجه مرة ، وبالجانب مرة أخرى، ورأيتها وهى تحنى رأسها، وهكذا .

(١)رأيت نوراً أبيض ساطعاً يظهر من خلف القبة القبلية الغربية، ويستمر بعض الوقت خلف الصليب الذى فوق الباب الداخلى للكنيسة، لم أتبين فيه أى شكل. كان يوالى الرجوع خلف القبة ثم يعود إلى الصليب.. ولم يكن السعف هو الذى يضىء الصليب بتاتاً لأن الصليب تحجبه القبة الكبرى عن أضواء الكشافات، ولا يمكن لإنعكاس أى ضوء من الكشافات على السعف أن ينعكس على الصليب. كان عند ظهور هذا النور على الصليب كان الضوء على السعف يختفى كلية، ويبدو السعف مظلماً تماماً على الرغم من وجود الكشافات .

(٢) قد رأيت السيدة العذراء فوق النخلة، وحمامة تطير من فوق، ورأيتها كلها من نور، والسماء تشع بالنور حواليها من جميع الجهات .

---

(١) من تقرير د. إميلى ارمانيوس صفحة ٥٠١ هامش رقم (١) .
(٢) من تقرير وديعة اسكندر مسيحة .

(١)حوالى ١٠ مساءً. رأينا من الشارع الجانبى الذى يقع به باب الكنيسة (أى حارة توفيق خليل)، وبعد دقائق من تطلعنا إلى الشجرتين الكبيرتين اللتين تقعان فى نهاية حوش الكنيسة من الناحية الغربية (القبلية) فى أعلى الشجرتين تتعانقان، وبين أطرافهما فجوة خالية، وفجأة ظهر نور فى هذه الفجوة، ولم يكن له شكل معين، ولكنه بعد لحظات أخذ شكل سيدة كالعروس تلبس طرحة طويلة وكلها من النور تشبه الراهبة، وكانت تخرج من بين فروع الشجرة من الناحية الشرقية وتسير فى إتجاه الغرب فى خطوات مستقيمة، وكأنها تسير فوق الماء، فى طريق مستقيم، ثم تلف بحيث تصير الطرحة التى تلبسها خلفها مرفرفة ، وترجع إلى الناحية الشرقية، وتختفى فى الشجرة ولا تظهر بين الفروع. وبعد لحظة تعود بنفس الطريقة الأولى وقد استمر هذا الظهور حتى الساعة ٣٠ر١١ مساء .

فجر السبت ٢٧/ أبريل ١٩٦٨ .

(٢)من الساعة ١-٥ صباحا ظهرت السيدة العذراء بشكل نصفى حاملة السيد المسيح وهى مضيئة متحركة تنظر يميناً ويساراً وكان هذا فى الحارة الخلفية من الكنيسة. وكانت ظاهرة بين القبتين الخلفيتين .

(٣)الساعة ٢ صباحاً – شاهدت فوق القبة الكبرى نوراً أبيض يشبه صورة السيدة العذراء وهى واقفة بكامل قامتها وهى حاملة الطفل يسوع على ذراعيها أمام صدرها. وكانت الصورة تختفى ثم تعود لتظهر مرة أخرى بشكل صورة كاملة أيضا وعلى رأسها تاج من الماس. وقد استمرت الصورة ساعتين وهى تحرك يديها فى بعض الأوقات كمن يصلى أو يبارك الناس .

---

(١) من تقرير للسيدة إيفا نجيب فوزى ، منتجة بشركة الشرق للتأمين ، المقيمة بالمنزل رقم ١٢ شارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى – مصر .

(٢) من تقرير للسيد/ مهندس يوسف عزيز توفيق مهندس بالشركة العامة لمنتجات الجوت ، المقيم بالمنزل رقم ٧ شارع الملك الصالح قسم الساحل ، بشبرا .

(٣) من تقرير للسيدة/ لوريتا زاهر رياض، قرينة الأستاذ نبيل دانيال مكسيموس المقيمان بالمنزل رقم ١٤ شارع النجوم بمصر الجديدة .

[1]نحو الرابعة صباحا طيفا أكثر وضوحاً وبياضاً .

[2]قبل ٦ صباحا نحو ٥ صباحا ظهرت القديسة مريم العذراء، وفرحت جداً، وكان ظهورها على شكل ضوء أبيض مغبش بأحمر خفيف ، وأيضا نصف صورة .

فجر وصباح الأحد ٢٨/ أبريل ١٩٦٨ .

فى القبة البحرية الشرقية

[3]نحو الساعة ٣ صباحا ظهرت السيدة العذراء فى طاقة القبة البحرية القبلية المطلة على حارة توفيق خليل . وأطلت برأسها من طاقة القبة على الشعب .. وكان جلبابها بلون سماوى، وفوق رأسها طرحة بيضاء، واستمر ظهورها حتى الرابعة صباحا .

فى وعلى القبة الغربية القبلية .

[4]نحو الساعة ٣٠ر١٢ تقريبا بعد منتصف الليل ظهرت العذراء وظلت تظهر وتختفى كل ثلث ساعة أو ما يقاربها. ولقد ظهرت ببهاء عظيم جداً وضوء باهر غير عادى، ولم أستطع تحديد ملامح الوجه. فإن كان يبدو شاحب الملامح وبه بعض الإحمرار الخفيف. وقد ظهر هذا المنظر فوق الشجرة التى بالكنيسة... وقد إنتظرت حتى الثالثة صباحاً، وتحققت من هذا .

[5]بعد منتصف الليل، شاهدت القديسة العذراء مريم بكامل صورتها، مضيئة بضوء أبيض شديد جداً من خلف قبة الكنيسة (القبلية الغربية) وتختفى خلف الصليب الموجود فوق مدخل الكنيسة الأمامى الرئيسى .

[6]حوالى الساعة ٢ صباحا، بدأ ظهور نور على أطراف الشجرتين الكبيرتين اللتين بداخل الكنيسة عند جهة حارة توفيق خليل ، ثم فجأة ظهر من القبة الوسطـــــى

---

(١) من تقرير للسيدة/ الدكتورة اميلى ارمانيوس طبيبة إخصائية لأمراض العيون بالصحة المدرسية بالقاهرة .

(٢) من تقرير للسيد/ مكرم أنور برسوم واصف الطالب بكلية الطب جامعة عين شمس .

(٣) من تقرير السيد الشماس فطين موسى اسكندر .

(٤) من تقرير السيد/ جرجس ميخائيل داود .

(٥)من تقرير السيد/ مكرم انور برسوم .

(٦) من تقرير السيد/ الدكتور رمسيس مترى ميخائيل .

للكنيسة شعاع أصغر متوهج مثل العمود، ثم تجسّم فى صورة السيدة العذراء كاملة، ولكن فى حجم مصغر، وكانت واقفة تلتفت ذات اليمين وذات اليسار، وتومىء برأسها إلى الأمام، وكانت طرحتها ورداؤها بلون أصفر فاتح متوهج، واستمرت مدة طويلة، ربما حوالى نصف ساعة، ثم إختفت فجأة بتراجع النور الشديد المشع إلى أسفل، إلى داخل القبة .

(١) حوالى الساعة ٣٠ر٢ ظهرت السيدة العذراء بهيئتها كاملة بين القبة الكبرى والقبة الخلفية، القبلية الغربية ... وكانت تتحرك إلى الأمام وإلى الخلف، واستمر ظهورها نحو ساعتين إلى الساعة ٣٠ر٤ صباحا .

(٢) رأيت صورة للسيدة العذراء تحمل المسيح... ورأيتها تدير رأسها جهة اليسار، ببطء ثم تختفى وتزداد لمعاناً، وتخفض رأسها إلى أسفل .

(٣) رأيتها كاملة ترتدى ثيابا بيضاء كالثلج، وعلى رأسها طرحة بيضاء ترفرف فى الهواء ويحيط بها نور شديد .

(٤) " رأيتها بشكلها الكامل فى حارة توفيق خليل " .

(٥) نحو الساعة ٣٠ر٣ صباحا إبتدأ يظهر ويعلو فى الجو شعاع نور قوىّ يفوق أى ضوء يحيط بالمنطقة وبحجم غير عادى يتخذ شكل السيدة العذراء بطولها، ويبقى كذلك حتى الساعة ٥ صباحاً ... ولم يبالِ أحد بما قاساه فى نظير رؤيته للمعجزة التى هزّت الأبدان .

(٦) فى الساعة ٣٠ر٣ صباحا تقريبا، رأيت أم النور لمدة خمسين دقيقة . كان إتجاهها نحو الشرق. ورأيتها من الحارة الضيقة بجانب الكنيسة (حارة توفيق خليل) ،

---

(١) من تقرير السيد المهندس وديع سوريال جودة، المفتش بالتعليم الصناعى، منطقة شرق القاهرة، بالعباسية – بطاقة شخصية رقم ١٠٩١٩ .

(٢) من تقرير السيدة جانيت كامل داود ، السكرتيرة بمدرسة الفتح الابتدائية بالعمرانية .

(٣) من تقرير السيد/ ماهر عازر مرقص وعنوانه رقم ٢١ حارة درب ذو الفقار بالقاهرة .

(٤) من تقرير السيد/ ينى ميشيل ناشد، ساعاتى، بالمحل رقم ١٨ شارع ابن الرشيد بجزيرة بدران بشبرا مصر، بطاقة رقم ٤٩٤٤٩ ، روض الفرج .

(٥) من تقرير للسيد/ نبيل فكرى بشاى ، مندوب الطرق الجوية البريطانية بالقاهرة، بطاقة عائلية رقم ١٨٥٤٢ .

(٦) من تقرير السيد/ توفيق فؤاد توفيق .

على هيئة إنسان يشع منه النور، الوجه فى اللون البرتقالى يميل إلى الوردى، طويل إلى حدٍ ما، حوله ياشمك أبيض ناصع، وفوق الياشمك طرحة فى ضوء الفلورسنت، لونها مخضر ونازلة على كتفيها بوضوح، وفاردة ذراعيها. كانت تتحرك ببطء شديد جداً، وكانت ترفع وجهها نحو السماء، ثم تخفضه نحو الجموع في الطرف المقابل لنا، فرأيت لطيف وجهها أى شبه البروفيل، ورأيت فوق رأسها نجوماً، ولكنى عرفت ممن حولى أنه تاج، فتحققت بالمنظار المكبر، ورأيت بروزاً أبيض. وفى نهايته النجوم تنخفض وترتفع ببطء أيضا مع حركة الرأس إلى السماء ثم إلى الناس، وتشبه الماس عندما يسلط عليه الضوء. وتأكدت بالمنظار المكبر أننى أمام حنان لا يوصف ووداعة عظيمة على الرغم من أننى لم أرَ عيناً أو فماً لهذا التعبير " .

(١)فى الساعة ٤٠ر٣ صباحا سمعنا أصواتاً خفيفة فى السماء كأصوات قصف الرعد الخفيف، فخافت خطيبتى والحق أقول أننى خفت كذلك، ولكننى شجعتها... وبعد خمس دقائق سمعنا أُناساً من داخل حارة توفيق خليل يصرخون قائلين أن السيدة العذراء مريم قد ظهرت الآن من الحارة، فإندفعنا أنا وخطيبتى وأخواها ميشيل وجوزيف إلى داخل الحارة وسط أفواج من البشر ... وعندما وصلنا إلى منتصف الحارة وواجهنا القباب الصغرى، رأينا منظراً لا تصدقه الأعين، فقد رأينا السيدة العذراء بصورة نصفية تحيط بها هالة النور التى تعتلى رأسها، وقد أضاءت المسافة بين القباب بنور كنور الفلورسنت، أو بالأصح كنور الفوسفور عندما يشع فى ليلة حالكة، وكان نوراً نورانياً أضاء القبة والصليب الذى على يمينها. وكان طولها متران وعرضها متر ونصف تقريبا. ولم أتمالك نفسى فإنطلقت أرنم. أما خطيبتى فإنطلقت تبكى فرحاً. وبلغت مرات رؤيتى لها فى هذه الليلة أكثر من عشر مرات . إلى الساعة ٤٠ر٤ صباحاً .

(٢)رأيت السيدة العذراء فوق قباب الكنيسة . وعلى رأسها تاج من نور كنجوم مرصعه مرصوصة، وظهرت بكامل جسدها، وإرتفعت فوق القباب من الساعة ٥٥ر٣ صباحا حتى الخامسة .

---

(١) من تقرير للسيد/ الدكتور جون القمص جرجس جودة – (بكالوريوس كلية طب قصر العينى – جامعة القاهرة) . جواز سفر سودانى رقم ٨٧٦٠٨ .

(٢) من تقرير السيد/ الإكليريكى مكارى مقار سكرتير الكلية الإكليريكية بالقاهرة .

(1) حوالى الساعة ٤ صباحا، ظهرت السيدة العذراء مريم بكامل هيئتها واقفة بين القباب الخلفية للكنيسة يحيطها نور أزرق باهت، ويحيط رأسها قرص مستدير يشبه قرص الشمس باللون الأزرق الباهت المضيء . وقد استمر هذا المنظر أمام عدد كبير من الناس حتى مطلع الشمس .

(2) رأيتها كاملة ترتدى ثياباً بيضاء كالثلج، وعلى رأسها طرحة بيضاء ترفرف فى الهواء، ويحيطها نور شديد .

(3) فى الساعة ٤ صباحا- شعرنا بحركة الجماهير فى إتجاه حارة توفيق خليل .. فإندفعنا مع الجماهير ورأينا (أنا وشقيقى الأستاذ عبدالله حبيب عضو فنى بمنطقة شمال القاهرة التعليمية) ضوءاً داخل القبة الغربية الجنوبية، بدا قوياً نوعاً ما ثم توهج وأصبح ساطعاً أبيض. بعد ذلك رأينا إلى يسار القبة فى الفضاء نوراً ساطعاً يمثل النصف العلوى من جسم السيدة العذراء متشحة بوشاح من نور لونه داكن قليلاً... ورأينا هذا المنظر لبضع لحظات ، ثم دفعتنا الجماهير إلى داخل الحارة، فحجبته الأشجار العالية الموجودة فى فناء الكنيسة، ولكننا سمعنا نداءات الشعب برؤيتهم للسيدة العذراء حتى ٢٠ر٤ صباحاً .

مساء السبت وفجر الأحد ٢٨/ أبريل ١٩٦٨ .

(4) الساعة الرابعة رأيتها وكان معى زميل فى العمل اسمه محمد مشعل وكيل حسابات، متجلية فى الفضاء بين القبتين الغربيتين على شكل راهبة من نور أبيض ناصع، وكانت تومىء لنا برأسها متجلية، وكانت ثنايا ثوبها ظاهرة واستمر الظهور من الرابعة إلى الخامسة صباحا .

وكنت رأيتها مساء السبت ٤/٢٧ داخل القبة الشرقية البحرية بلون ذهبى برتقالـــى

---

(١) من تقرير السيد/ جميل بدير عبد الملاك رئيس مكتب تشغيل عمليات الليفت فان والتخليص بشركة القناة للتوكيلات الملاحية، توكيل القاهرة للملاحة (٥٠ شارع قصر النيل)، بطاقة رقم ٤٢٤٤١ شبرا مصر .

(٢) من تقرير السيد/ جرجس فهمى يواقيم .

(٣) من تقرير للسيد/ الاستاذ رياض حبيب .

(٤) م. الفونس ميخائيل عبد السيد اخصائى إجتماعى بمستشفى طنطا ش الفاتح - عمارة الجارحى الجديدة رقم ٣ شقة ٤ بطاقة ٢٦٨٧ فى ١٩٦٢/٧/١٩ أول طنطا .

وكانت تحيى الجماهير وتمد يدها بغصن زيتون وكان ذلك الساعة ٣٠ر٧ مساء إلى ٩ مساءً تقريبا .

مساء الأحد ٢٨/ أبريل ١٩٦٨ .

[١]فى الساعة ٨ مساء تقريبا شاهدت السيدة العذراء واقفة فى فتحة القبة البحرية الشرقية .. واستمر وقوفها فى طاقة القبة مدة عشرين دقيقة تقريبا، ثم غابت عنا لمدة عشر دقائق ظهرت بعدها لمدة تزيد عن الساعة، وكان ظهورها فى هاتين المرتين كاملاً برأسها وجسمها كله. وكان الضوء المنبثق من نصفها العلوى أكثر تلألؤا من نصفها السفلى . وكانت تنحنى برأسها يمنه ويسرة . وكدنا نشعر بأنها تباركنا فرداً فرداً. أما عن لون الضوء المنبعث منها فكان يميل إلى الإصفرار أو اللون الذهبى . وكنا فى نشوة هذا الظهور المبارك نرتل مع آخرين تراتيل وتسابيح مريمية .

[٢]من الساعة ١٥ر٨ تقريبا – فى القبة البحرية الشرقية من حارة خليل، رأيت فى فتحة القبة نوراً أصفر خافتاً يظهر قليلاً من الجهة الشرقية . وشاهدت مع الضوء نسمة هواء تمايل أغصان الشجرة الموجودة بحوش الكنيسة، وأخذ النور الأصفر يزداد وضوحاً فأصبح أزرق فاتحاً فرأيت أم النور نصفها العلوى يضىء بهذا النور وعلى رأسها شبه طرحة موضوعة بشبه رقم ٨ وتغطى صدرها، ورأيتها بكامل جسدها الطاهر، والجزء السفلى من جسدها المقدس يضىء بنور خافت أقل وضوحاً من نور صدرها المقدس، ويميل إلى الزرقة، وقد كان يظهر نوراً أصفر شديد الوضوح يضىء القبة من الخارج كأن كشافاً قد سلط عليها. وكان يختفى عند إختفاء السيدة العذراء ويظهر بظهورها ، وكنت أرى عند إختفائها من الجهة البحرية المواجهة لى أن المشاهدين الموجودين بالجهة الشرقية للكنيسة المطلة على الجراج يهللون، فكانت عندما تختفى من الجهة البحرية تظهر من الجهة الشرقية . وقد شاهدت هذا المنظر عدة مرات، ما يزيد على أربع مرات فى كل مرة كانت تستمر حوالى ٣٠ دقيقة تقريباً وقد استمر ظهورها من الساعة ١٥ر٨ إلى حوالى ٣٠ر١١ مساء .

---

(١) من تقرير للسيد/ سليمان ناشد شنوده .

(٢) من تقرير للسيد/ وديع حماية يوسف رئيس مكتب رئيس مجلس إدارة شركة أبى زعبل للكيماويات الحربية والمدنية (مصنع ١٨ الحربى سابقا) .

[1]في الساعة ٧ مساء ظهرت السيدة العذراء بين القبة الكبرى والقبة البحرية الشرقية وهي بكامل هيئتها واقفة وتحمل على يدها اليسرى المخلص، وتلبس على رأسها تاجاً يعلوه شعاع يضيء كالشمس وقد ظلت تظهر وتختفي لمدة ساعتين تقريبا.

[2]في الساعة ٣٠ر٨ مساء تقريبا ظهر في القبة الكبيرة نور أبيض ساطع جداً ، وقد ملأها من الداخل (بينما كانت مظلمة) وتكرر ظهور هذا النور ٣ مرات متتالية . وبعد ذلك بفترة وجيزة ظهرت هالة من النورالأبيض الساطع خلف الصليب الشرقي للكنيسة، ثم تجلت العذراء وكأنها خرجت من هذا النور، بشكلها الكامل .. باسطة يديها، وعلى رأسها تاج مرصع. ونظرت للجموع المحتشدة، وكنا جميعاً مشدوهين من المنظر الذي استغرق دقائق .

[3]في الساعة ٣٠ر٨ مساء شاهدت من حارة توفيق خليل هالة نورانية للسيدة العذراء.. لونها سماوي زاهي يتحرك في وقار وعفة من اليسار إلى اليمين فوق القباب أمام الأشجار التي أمام الكنيسة، وذلك لعدة مرات إلى الساعة ٣٠ر٩مساء، ثم إختفت.. وبعد إختفائها رأيت دائرة من الضوء الذهبي الفاتح الوهاج يحيط بالقبة الكبرى ظهر تدريجياً ثم إختفى تدريجياً .

[4]في الساعة ٣٠ر٨ مساء شاهدت من حارة توفيق خليل ، السيدة العذراء بلون سماوي مضيء، تتحرك من اليسار إلى اليمين ، أعلى قبة الصحن (القبة الكبرى) ومن خلفها الأشجار. واستمر المنظر نحو نصف ساعة يظهر ويختفي لعدة مرات وبعد إختفائه بزغ شعاع ذهبي فاتح حول قاعدة القبة الكبرى تدريجياً وقد لمع شديداً ثم أخذ يخبو تدريجياً .

---

(١) من تقرير للسيد/ نجيب غبريال يسطس .

(٢) من تقرير للسيد/ منصور غطاس لوقا، التاجر بشارع عبد الخالق ثروت رقم ٤٦ بالسويس س.ت.(٦٤٧٠) .

(٣) من تقرير للسيدة الدكتورة ليلى رياض عبد الملك طبيبة الوحدة الطبية الريفية الصحية بمركز أبو المطامير البحيرة .

(٤) من تقرير للسيد الأستاذ رياض عبد الملك صليب، وكيل مديرية الثقافة بالبحيرة، السن ٥٥ سنة – المؤهل (دبلوم المعهد العالي للخدمة الإجتماعية)، العنوان : ١٨ شارع الإسكندراني ، بمحرم بك بالإسكندرية .

مساء الإثنين ٢٩/ أبريل ١٩٦٨ .

[(١)]فى الساعة ٧ مساء ظهرت السيدة العذراء (من القبة البحرية الشرقية) حاملة الرب يسوع طفلاً بين ذراعيها .

[(٢)]حوالى ١٥ر٨ مساء شاهدت من حارة توفيق خليل ، نوراً روحانياً، خارج القبة البحرية الغربية، يمثل صورة نصفية للسيدة العذراء .

[(٣)]حوالى الساعة ١٢ مساء شاهدت فى القبة البحرية الشرقية نجمة تتلألأ وتتحرك من الجنوب إلى الشمال ثم وَقَفَت فوق الكنيسة وبعدها بحوالى ساعة ونصف شاهدت برقة شديدة فى تلك القبة عينها لمدة ثانية .

فجر الثلاثاء ٣٠/ أبريل ١٩٦٨ .

ظواهر ما قبل التجلى – ظهور حمامتين ، وبريق لامع ، وسحاب

[(٤)]فى نحو الساعة ١٢ مساء منتصف ليلة الثلاثاء ٣٠ أبريل ظهرت حمامتان لونهما أبيض تطيران فى السماء من الجهة القبلية إلى الجهة البحرية .

[(٥)]فى الساعة ٥ر١٢ تقريبا رأيت بريق نور لامع قد سطع من داخل القبة إلى خارج ولم يستمر إلاّ لحظات قصيرة جداً، وقد كان هذا مبعث أمل لنا فى ظهور السيدة العذراء فى هذه الليلة .

---

(١) من تقرير للسيد/ ادوارد شنودة جرجس باشكاتب مكتب الشهر العقارى بالقاهرة، وشقيقته ضابطة لاسلكى بالمطار الدولى بالقاهرة. والمقيمان بالمنزل رقم ١ شارع عبد الرحمن قراعة بمنية السيرج بشبرا بالقاهرة – والوثيقة رقم ٢٢ (تقرير الاستاذ اسحق جرجس نجيب المحامى) .

(٢) من تقرير للسيدة/ سميحة فكرى بشاى حرم المهندس الزراعى وهيب اسحق عبيد المفتش بوزارة الزراعة والسيدة سامية نسيم رزق حرم السيد نبيل فكرى بشاى مندوب المبيعات بالطرق الجوية البريطانية .

(٣) من تقرير للسيد سيزوستريس زاهر دانيال، الطالب بكلية التجارة ، جامعة القاهرة ، ويقيم بالمسكن رقم ٢ شارع العزيز بجزيرة بدران بشبرا مصر، السن ٢٤ سنة .

(٤) من تقرير السيد/ دكتور رياض حنا عبد المسيح، مدير بيطرى بالمعاش ، سن ٦٣ سنة، رقم بطاقته العائلية٥٩١ سنورس الفيوم، ومقيم حاليا فى البيت رقم ٦٦٧ شارع بورسعيد بغمرة ، القاهرة.

(٥) من تقرير للأكليريكى برنابا كيرلس جرجس ، الطالب بالسنة الثالثة بالقسم العالى بالكلية الإكليريكية .

(1)رأيت أثناء وقوفى على الناصية البحرية الشرقية عند مدخل حارة توفيق خليل سحاباً مضيئاً فوق القباب كأنه يشع نوراً ، واستمر ذلك نحو ربع ساعة .

(2)فى الساعة ٤٠ر٢ صباحا ظهرت فى السماء حمامتان بيضاوان خرجتا من فوق القبتين الخلفيتين بالجهة الغربية للمذبح وطارتا فى إتجاه واحد إلى الجهة البحرية، ثم إختفتا عن الأنظار .

وفى الساعة ٥٥ر٢ صباحا شب لهيب مشع ومتأجج على الأرض بين القبتين المذكورتين ظنه الناس حريقاً، وصاحوا " حريق – حريق " . وسرعان ما إختفى عن الأنظار فجأة .

(3)وفى نحو الساعة الثانية صباحا تقريبا خرجت حمامتان بيضاوان، ولم أدر من أين جاءتا، لكنهما خرجا من جهة الكنيسة، ولم تكونا من طائر الحمام المألوف، لأن الحمام المعروف لا يطير إلاّ نهاراً . وبعد ذلك توالى ظهور ضوء أبيض... وتكرر هذا الضوء ثلاث مرات متعاقبة، كما رأيت ضوءاً أبيض صادراً من الشجرة التى على يمين القبة الكبرى، ولم أدرِ أن ذلك كله كان تمهيداً لظهور القديسة مريم. وحوالى الساعة ٣٠ر٢ هتفت الجماهير بصوت واحد يشق عنان السماء : العذراء.. العذراء ، وكلهم ينظرون نحو القبة، وأمعنت النظر كثيرا فلم أجد شيئا.. وفى تلك اللحظة جاء أناس آخرون يقولون أنهم رأوها فى الحارة التى بجوار الكنيسة فذهبت إلى حارة (خليل) وتداخلت وسط الزحام الشديد. وهناك فى جوف ظلام السماء وقفت العذراء بكامل جسمها ، من شعر رأسها إلى أخمص قدميها ، بهالة من النور الروحانى.. وقفت فوق فرع من شجرة النخيل ، وكان أعلى فرع فى هذه النخلة . وكانت ترتدى تاجاً من النور فوق رأسها ، وكان فرع النخلة يهتز يميناً ويساراً وفى حركة منتظمة . ولم تكن حركة هذا الفرع صادرة من الهواء ، لأنه الفرع الوحيد الذى

---

(1) من تقرير السيد المهندس فكرى رياض عبده ، ويسكن فى البيت رقم ٦ شارع مراد الشريعى بمصر الجديدة .

(2) من تقرير السيد/ إدوارد شنودة جرجس باشكاتب مكتب الشهر العقارى بالقاهرة، والآنسة أوديت إدوار شنودة ضابطة اللاسلكى بالمطار الدولى بالقاهرة، والمقيمان بشارع عبد الرحمن قراعه رقم ١ بأرض شريف بالقاهرة .

(3) من تقرير السيد/ عازر جرجس عازر، طالب بالثانوية العامة ، بطاقة شخصية رقم ٤٩٩١٦ (روض الفرج) السن ١٨ سنة .

يتحرك دون غيره من فروع النخلة ، ولم يكن نور العذراء صادراً من الجراح... وكان كثير من الناس يرونها من الجانب لعدم تمكنهم من أن يروا وجهها الكامل ... فكانت تتحرك فى إتجاههم فيرونها من جهتهم بكامل هيئتها ، وعندئذ يهتف الجمهور ممجدا العذراء، واستمر ظهورها حتى إنقشع الظلام وقاربت الساعة من الخامسة صباحاً. حينئذ عاد فرع النخلة إلى وضعه الأصلى ولم يعد يهتز مطلقاً .

(١)حوالى الساعة٣٠ر٢ صباحا تمكنا من رؤية السيدة العذراء على فرع عالى لشجرة الكافور القبلية بحوش الكنيسة، وكانت – أشرف السلام عليها – واقفة بقدميها على هذا الفرع المتدلى نحو الكنيسة طوال وقت وقوفها وظهورها وكانت تتمايل وتتحرك يميناً وشمالاً مع إيماءات خفيفة برأسها للأمام. وكان وقوفنا بجنينة فيلا الأستاذ اسماعيل ترك المجاور للكنيسة، وهذا ما سهل لنا مشاهدتنا. وكانت ترتدى الطرحة الزرقاء السماوية الفاتحة، وتحتها الرداء النورانى الأبيض الناصع، ويداها مضمومتان على بعضهما أمام صدرها. وظل هذا الشكل طوال هذا الوقت ، والناس تهتف هتافاتها الصارخة العالية مع طلباتهم وتوسلاتهم. وكانت العذراء تحاول أن تحتجب ولكن الشعب كان يحييها ويصرخ عاليا ويطلب أن لا تختفى عنا، فكانت تظل واقفة حتى يشبعوا من رؤيتها وقداستها الطاهرة وهى تتحرك ذات اليمين وذات اليسار.

(٢)نحو الساعة ٣٠ر٢ ظهرت السيدة العذراء كاملة بالملابس البيضاء فى وسط الشجرة التى بداخل فناء الكنيسة وهى تنظر إلينا ثم تختفى وهكذا استمر هذا المنظر ثلاث إربع ساعة .

(٣)من الساعة ٤٠ر٢ حتى الساعة ٥ صباحا رأيتها ورآها معى ألوف مؤلفة من الناس من جميع الجهات، وقد ظهرت واضحة جدا فى هالة ضوئية بكامل جسمها خلف القبة الأمامية بالكنيسة وبينها وبين فرع الشجرة .

----

(١) من تقرير الدكتور رياض حنا عبد المسيح – صفحة ٥٤٤ هامش رقم (٤) .

(٢) من تقرير للسيد/ المهندس يوسف عزيز توفيق بالشركة العامة لمنتجات الجوت شارع الملك الصالح بشبرا رقم ٧ بقسم الساحل .

(٣) من تقرير السيد/ مكرم انور برسوم يوسف ، الطالب بكلية الطب بجامعة عين شمس ، بطاقة شخصية رقم ٤٧٠٥ – السويس .

[1]فى نحو الساعة ٤٥ر٢ صباحاً سمعت تهليلاً من حارة خليل فتوجهت على الفور، وهناك شاهدت السيدة العذراء بين القبتين، وكانت مجسمة، وبطولها، وترتدى ملابس بيضاء، وكان الضوء الصادر منها ساطعاً، ولونه أصفر يميل إلى الأخضر، وكانت بالحجم الطبيعى تقريبا... وشاهدت مع الناس حمامتين لونهما أبيض تحلقان فوق الكنيسة تماما، وتتبعتهما حتى إختفتا... ودخلت مرة أخرى (فى وسط الحشد) بعد حوالى نصف ساعة، وشاهدت السيدة العذراء وكانت فى هذه المرة فى منظر نصفى.. أقل ضوءاً، وأكبر من الحجم الطبيعى على ما أعتقد .

[2]فى تمام الساعة ٤٥ر٢ كنت فى الشارع الرئيسى (طومانباى) بجوار جراج مؤسسة النقل العام وظهرت حمامتان فى السماء باللون الأبيض الناصع.. ثم إختفتا.. ثم فوجئت بالجمهور يجرى من شارع طومانباى .. فجريت معه، وشاهدت السيدة العذراء من خلف الصليب، وهى مرتدية الملابس البيضاء الناصعة، وفوق رأسها التاج، وهى تتجه نحو الصليب ودفعنى الجمهور، ولكننى شاهدتها مرتين بنفس المنظر، وشاهدتها مرتين وهى لابسة الطرحة وتلوّح بيديها للجمهور، وشاهدتها كذلك مرتين وهى بنصف جسمها، وكان معى ابن اختى يسرى محروس، وابن ابن خالتى أشرف حليم... وآخرون كثيرون. وقد تمكنت من رؤيتها ٦ مرات فى الفترة من ٤٥ر٢ إلى ١٥ر٤ صباحا . وكان زميلى فوزى بنيامين يشكو من الماغوص الكلوى، فلما شاهد السيدة العذراء لم يعد يشعر بألم إلى الآن .

[3]فى الساعة ٤٥ر٢ شاهدت مع العائلة زوجاً من الحمام الأبيض لم تشاهد عيناى مثله، مندفعا كالصاروخ من قبة الكنيسة وعلى إرتفاع شاهق إلى أن إختفى عن النظر، وفى نفس اللحظة تعالت الصيحات : لقد ظهرت العذراء بالقبة الخلفية. واندفع كل الواقفين إلى الشارع المجاور للكنيسة ونحن معهم.. فرأيت السيدة العذراء كاملة فى وضع الصلاة بهيئة النور الفوسفورى المشع خلف الكنيسة .

----

(١) من تقرير السيد/ رمزى سليمان يسى، بالثانوية الموسيقية ، بطاقة رقم ٢٤٢٠٩ مصر الجديدة .
(٢) من تقرير السيد/ حسنى مكين جبران سوريال، البطاقة رقم ٥٩٨١ – السيدة زينب .
(٣) من تقرير للآنسة عفاف مرقص حنا الطالبة بكلية الصيدلة جامعة القاهرة .

(١)اقتربت الساعة من الثالثة إلا ربعاً، فطلبت من صديقى المهندس شنودة جورج أن نتجه نحو الشارع الجانبى للكنيسة، يقال أن السيدة العذراء تظهر فيه بكثرة (حارة خليل)، وذهبنا نحن الإثنين، ولم نكد نصل إلى منتصفه حتى سمعنا تصفيقاً وزغاريد على بعد خطوات منا، فجرينا إلى هناك وتطلعنا إلى الكنيسة لنرى منظراً انتفض له بدنى بشدة، وهزّ إحساسى من الأعماق، إنها السيدة العذراء بنفسها كاملة، وملامحها ظاهرة جداً، والحمام يطير من جانبها، إنها فعلاً السيدة العذراء بنورها الأزرق السماوى الذى يحدد ملامحها، ولم أتحمل أن أرى هذا المنظر وحدى دون إخوتى ووالدتى وأصدقائى، فرجعت فرحا إليهم وإلى جموع الشعب فى شارع طومانباى المزدحم وأنا أؤكد لهم أننى رأيتها بعينى. فكثير منهم صدّق كلامى وذهب إلى الشارع الصغير ليراها . وكل من شك كنت أجذبه من ملابسه وأجعله يراها بنفسه ... وجعلنا نأخذ جموعاً من الناس لم يستطيعوا رؤيتها، ونساعدهم على رؤيتها، وظللنا كذلك أكثر من ساعة ونصف، وقد رأيتها فى خلال ذلك أكثر من عشر مرات... وظهر نور الصباح وكانت العذراء لاتزال ظاهرة وبيدها غصن الزيتون والحمام بين الحين والحين يطير فجأة ومن حولها .

(٢)أشكر العزة الإلهية ساجداً، وأعلن بكل فخر وسرور، أننى قد تمكنت أنا وعائلتى من مشاهدة السيدة العذراء بكنيستها بالزيتون وذلك صباح الثلاثاء الموافق ٣ أبريل ١٩٦٨، وقد تمتعنا بنورها الزاهى الجميل الذى كان يفوق جميع الأنوار الكهربائية حولها، وكان منظرها المقدس يتحرك أمام ناظرينا فى الفضاء خلف قباب الكنيسة من الساعة الثانية ، ٤٥ دقيقة حتى الساعة الخامسة من صباح ذلك اليوم .

(٣)وفى تمام الساعة الثالثة إلاّ ربعاً بدأ ظهورها فوق قبة الكنيسة من الناحية الغربية. وقد سبق هذا الظهور إنطلاق حمامتين بيضاوين من فوق قبة الكنيسة، وظهرت بعد ذلك صورة السيدة العذراء بكاملها إلى القدمين، وعلى ذراعها الأيسر تحمل الطفل يسوع، وهى فى ملابس نورانية، يظهر فيها اللون السماوى الجميل، ويكلل كلاً من رأس السيدة العذراء والطفل يسوع تاج نورانى جميل. وقد استمرت هذه

---

(١) من تقرير السيد/ فايز فرنسيس شلبى، الطالب بهندسة اللاسلكى، بطاقة رقم ١٠٤٤٠ (إمبابة) .

(٢) من تقرير السيد/ أبسخيرون جرجس مرقص المدرس بمنطقة شمال القاهرة التعليمية، بطاقة عائلية رقم ١٠٣٧ شبرا .

(٣) من تقرير الإكليريكى برنابا كيرلس جرجس صفحة ٥٤٤ هامش رقم (٥) .

الصورة تتلألأ أمام الجماهير المحتشدة التى تصلى وتتضرع طالبة شفاعة العذراء، ما يقرب من الساعتين إلا ربعاً أى حتى الخامسة صباحاً .

[١]وفى تمام الساعة ٤٥ر٢ صباحا رأينا حمامتين بيضاوين تحلقان فى أجواء السماء العالية، وسرعان ما اتجهت إلى حيث اندفع الناس فى الحارة الضيقة (حارة خليل) المواجهة لسور الكنيسة، وهنا رأيت هذا المنظر العجيب الذى مهما كتبت لنيافتكم لا أستطيع أن أكتب بالصورة التى هى فى ذهنى الآن، رأيت السيدة العذراء بطولها وبكامل هيئتها بلباس أبيض مائل إلى الزرقة، نورانى شديد الضياء، أمام القبة الصغرى والأشجار، ففرحت فرحا شديداً، وكنت أريد أن لا أتحرك من مكانى، ولكن لمحبتى للأنبا اثناسيوس (اسقف بنى سويف والبهنسا) خرجت وقلت له عما رأيته . ودعوته ليرى السيدة العذراء، وبسبب الزحام الشديد أمسكت بيد نيافته ومشيت بظهرى أفسح له الطريق حتى وقفنا فى مكان يسمح لنا برؤيتها، وسألت نيافته : هل رأيتها؟ فقال : نعم رأيتها . وأخذت أتأمل هذا المنظر العظيم، فالسيدة العذراء واقفة تحيى الآلاف من جماهير شعوب العالم من مختلف الأجناس والأديان والملل الذين أتوا خصيصاً إلى هذا المكان لكى يروها، وكانت تحنى رأسها ثم ترفعها تارة ثم ترفع يدها اليمنى وتخفضها تارة أخرى، ثم ترفع يديها الإثنين وتخفضهما، ثم تنحنى بجسمها إلى أسفل وتعتدل ثم تلف لكى يشاهدها جميع الناس ، ولاحظت أن جميع نجوم السماء اختفت لحظة ظهور السيدة العذراء ماعدا نجمة واحدة (نجمة المشرق) ظلت فوق السيدة العذراء ثم أخذت تتضاءل فى الظهور مع إختفاء ظهور السيدة العذراء .. واستمر هذا المنظر الرائع الجميل من الساعة الثالثة إلا ربعاً حتى الساعة الخامسة .

[٢]فى نحو الساعة ٤٥ر٢ صباحا ظهرت فى السماء ثلاث حمامات بيضاء متجهة من القبة إلى ناحية الشرق بسرعة البرق حيث إختفت عن الأنظار ثم سمعت الناس يهللون ويتدافعون فى إتجاه الشارع المجاور للكنيسة (حارة خليل). فإندفعت وتزاحمت بدورى نحو هذا الشارع حيث رأيت السيدة العذراء بهالتها النورانية فوق القبة الكبرى

---

(١) من تقرير للسيد/ منير إدوارد ميخائيل، أحد شباب كنيسة العذراء بالفجالة، القاهرة، السن ٢٠ سنة، يسكن بالمنزل رقم ٣ عطفة وهبة مشرقى بالظاهر البكرية .

(٢) من تقرير السيدة زوزو رزق الله ميخائيل مدرسة تربية فنية بسراى القبة الثانوية للبنات بالقاهرة، وهى حاصلة على دبلوم المعهد العالى للفنون الجميلة، وهى قرينة الأستاذ وديع حنا رزيق ناظر مدرسة أبو بكر الصديق .

بهيئة تمثال نصفي بنور باهر، رأيتها ثلاث مرات على فترات مختلفة فوق القبة حيث كان الزحام شديداً. ففى كل مرة أخرج فيها من هذا الزحام أعود ثانية إلى نفس المكان لأراها . ثم رأيت الناس يندفعون نحو الحديقة المجاورة للكنيسة بعد أن كسر سور الحديقة من شدة الزحام، ودخلت الحديقة مع المندفعين ، فرأيت نوراً باهراً مضيئاً للسيدة العذراء بكامل طولها، وفوق رأسها هالة من النور فوق أعلى نخلة بحديقة الكنيسة ، وفى وسطها تماماً وكانت تتحرك بتؤدة يمنة ويسرة . وعندما تتجه نحونا – نحن الواقفين بالحديقة – تومىء برأسها قليلاً وترفع يديها قليلاً أيضا تحيى جموع الشعب وتباركهم فيتعالى هتاف الناس بالتسبيح والدعاء والتراتيل والصلوات . وكلما كان يقترب نور الصباح شيئا فشيئا كان بإمكانى رؤية السيدة العذراء بتفاصيل ثوبها تحمل السيد المسيح الطفل، وقد ظهر لى بوضوح التاج فوق رأس كل من السيدة العذراء، والسيد المسيح، حيث أننى أتمتع والحمد لله ، بنظر قوىّ يمكننى من رؤية ذلك . واستمر ظهور السيدة العذراء أم النور حتى بزوغ نور الصباح ... وانصرف الناس والكل فى ذهول وإنفعال من هول ما رأوا لمدة ساعتين مهللين بالتسابيح لأم النور. واكتب هذا تحت مسئوليتى وأمام الله عما شاهدت بعينى رأسى .

[(١)]وفى حوالى الساعة ٤٥ر٢ صباحا رأيت مع الجموع الواقفة مشهداً يعجز الوصف عنه : العذراء كملكة عظيمة بكامل جسمها، والنور يشع من حولها، والتاج على رأسها يشع نوراً قوياً جداً . وفى أثناء ذلك المشهد إذا ببعض الحمام الأبيض يظهر من فوقها ثم يختفى في لحظات . وقد استمر ظهور السيدة العذراء فوق قبة الكنيسة حتى الخامسة صباحاً أى حوالى ساعتين وربع ساعة من الظهور المتوالى بدون إنقطاع، لدرجة أننا ذهبنا لمناداة أحد أقاربنا بجوار الكنيسة، وإرتدى ملابسه وجاء معنا، حتى رأى العذراء وهى ما زالت ظاهرة لجموع الواقفين .

[(٢)]وفى الساعة الثالثة إلاّ ربعاً .. هلل الناس واتجهوا إلى الحارة (حارة خليل)، وجريت إلى هناك حيث شاهدت منظر السيدة العذراء واضحاً جداً بين شجرتين وكانت مجسّمة بطولها، وعلى رأسها تاج متلألىء جداً وملابسها طويلة . وكان الضوء ساطعاً

----

(١) من تقرير السيد/ سامى سيداروس جرجس ، الطالب بالمدارس الثانوية ، بطاقة رقم ٦١٤٣٢ ، الساحل ، القاهرة .

(٢) من تقرير للآنسة سونيا سليمان يسى المعيدة (بقسم البيانو) بالمعهد القومى العالى للموسيقى (الكونسرفاتوار) بالهرم، والحاصلة على دبلوم المعهد المذكور، بطاقة رقم ٢٣٩٠١– مصر الجديدة .

من لون أبيض يميل إلى الإصفرار، والتاج يميل إلى اللون الأخضر، وكانت بالحجم الطبيعى أو أكبر قليلاً ولم أتمكن من مشاهدة تفاصيل أكثر، لأن الزحام دفعنى إلى خارج المنطقة التى تظهر فيها .

(١)حوالى ٤٥ر٢ صباحا رأيت حمامتين تطيران من ناحية القبة الكبيرة إلى الجهة البحرية، فأخذ الشعب يصفق، لعل هذا بدء علامة ظهورها . وبعد ذلك سمعت صراخاً من الواقفين فى الحارة الجانبية الواقعة بجوار الكنيسة ، وتدافع الناس وهم يقولـــون " ظهرت، ظهرت ". فاندفعت وسط الجماهير العارمة، حتى كدت اختنق ، وقلت : ولو فى سبيل رؤية السيدة العذراء... ودخلت الحارة الضيقة ، فرأيتها بين القبة والصليب من أعلى أى بين القبة القبلية والصليب، فلم أتمالك نفسى من التهليل والفرح، ولم أهتمٍ من الإزدحام...رأيتها بكامل طولها فى شكل نورانى، وفى منظر كامل يشع نوراً أزرق سماوى خفيف، وإن لم أتبين بالضبط تقاطيع وجهها .. ربما بسبب .. أمواج الشعب المتدفقة .. ورأيتها فى هذه الليلة خمس مرات .. وفى كل مرة يدفعنى الشعب إلى الشارع الرئيسى ثم أعود مرة أخرى إلى نفس الموقع وهكذا ، لأن تدافع الناس بشكل حماسى ملتهب كان يجعل وقوف أى شخص فى مكانه مستحيلاً .. كان منظر النور فى منتهى الإبداع ، وقد لاحظت أنها كانت تتحرك، وتحرّك يديها كأنها تبارك الشعب ، وكانت فى بعض الأحيان تنحنى أمام الصليب . وكانت فى وسط هالة من النور، والتاج فوق رأسها ، وكانت تلبس رداءً طويلاً يشع نوراً .

(٢)فى الساعة٤٥ر٢ رأيت وأنا واقف خارج الكنيسة دخاناً حول الكنيسة ثم رأيت حمامتين فى السماء لونهما أبيض وإختفتا كما ظهرتا، ثم وصلت إلى باب الكنيسة بشارع خليل، ورأيت السيدة العذراء أم النور متجلية خارج قباب الكنيسة فى السماء وتلامس النخلة العالية داخل حدود الكنيسة، وكان ظهورها بشكل هالة نورانية تحيط بالجسد والرأس، والضوء أبيض لامع جداً، وداخل الضوء لون أزرق غامق، وكان الظهور بالطول الكامل للسيدة العذراء، ولا توجد تفاصيل واضحة للعين المجردة، وكانت أم النور تتحرك وهى ثابتة فى مكانها حركة جانبية، واستمر الظهور حتى الخامسة صباحاً .

---

(١) من تقرير الإكليريكى برنابا كيرلس جرجس صفحة ٥٤٤ هامش رقم (٥) .

(٢) من تقرير للسيد/ رائد متقاعد منير ميخائيل مينا، القوات المسلحة، السن ٣٤ سنة – بطاقة عائلية ٢٩٤٦٣ مصر الجديدة .

وفى حوالى الساعة الثانية والدقيقة الخمسين تقريبا رأيت الجموع تجرى هاتفة نحو الحارة الضيقة المتفرعة من شارع طومانباى والملاصقة لسور حديقة الكنيسة (حارة توفيق خليل). وكان هتاف الجماهير : ظهرت .. ظهرت أم النور، فإتجهت معهم بحركة لا إرادية ، وبصعوبة بالغة ، حتى وصلت إلى مكان فى وسط الحارة تقريبا، فسمعت من الأفراد الذين سبقونى إلى هذا المكان، ومنهم زميلى الدكتور سامى لبيب يوسف، أنهم جميعهم حظوا برؤية حمامتين لونهما أبيض ناصع كبيرتى الحجم نسبياً ، تسبحان فى السماء أعلى قباب الكنيسة دون رفرفة، وإختفتا فجأة كظهورهما فجأة . وذلك نقلاً عن حديث الجموع الحاشدة، ونقلاً أيضا عن زميلى الدكتور سامى لبيب يوسف وهو مصدر ثقة بالنسبة لى .

أما ما حظيت وسعدت برؤيته بنفسى فهو ظهور النصف الأعلى للسيدة العذراء على هيئة ضوء باهر قوىّ يميل إلى الزرقة البيضاء . وقد أخذ الظهور يتضح تدريجياً، وتكتمل باقى معالم الجسم، حتى ظهرت السيدة العذراء بكامل هيئتها وكامل حجمها الطبيعى حاملة الطفل يسوع بين ذراعيها، وتحيط بها هالة من ضوء قوىّ ، لونه أصفر، وكان ظهورها بين القبتين المنخفضة والعالية (القبة القبلية الغربية والقبة الكبرى). وكانت السيدة العذراء منحنية بإيماءة بسيطة فى إتجاه صليب القبة . وقد لاحظت وجود سحابة فى السماء لونها أبيض ناصع متجانسة الشكل، وتختلف فى لونها وشكلها عن باقى السحاب الطبيعى وكان مكانها أعلى السيدة العذراء طوال فترة الظهور، مع ملاحظة أن بقية السماء فى هذه المنطقة كانت صافية تماماً طوال ظهور المعجزة . وقد لاحظت أن الطرحة البيضاء الموجودة على رأس السيدة العذراء والمتدلية على باقى الجسم تنساب فى حركة متموّجة طوال ظهور المعجزة، وكانت حركة الطرحة أكثر وضوحاً فى تموّجها قرب إختفاء المعجزة .. وعند إنتهاء المعجزة فى الساعة الخامسة تقريبا .. كانت السيدة العذراء تتجه مبتعدة بكامل هيئتها تدريجياً نحو قلب سعف إحدى النخيل الموجودة فى فناء الكنيسة التى يرتفع سعفها فى مستوى قباب الكنيسة، وكانت تختفى معها السحابة التى سبق ذكرها .

(١)من الساعة ٣ حتى الخامسة صباحا رأينا السيدة العذراء أم النور بشكلها الكامل وقد سبق ظهورها إنطلاق حمامتين من فوق الكنيسة. وبعدها رأينا السيدة العذراء أنـــا

----

(١) من تقرير السيد/ إبرهيم إلياس غطاس، الموظف بشركة القاهرة للزيوت والصابون. بطاقة عائلية رقم ١٣٤ البدرشين (والمقيم بالمنزل رقم ٣١ شارع نقولا جوليدس بشبرا مصر) .

ومعى زوجتى السيدة سعاد فؤاد تاوضروس المدرسة بمدرسة السلام المشتركة ونجلانا وولدانا فوق أعلى شجرة مجاورة لمدخل الكنيسة وكانت تتحرك يميناً وشمالاً، وتحيى الجماهير التى أخذت تنادى عليها وتدعو طالبة الشفاء ... وكان كثيرون يبكون وكنت واقفاً مع الجماهير بالفيلا المجاورة لمدخل الكنيسة كان قد كسر سورها من شدة الإزدحام .

(١)حوالى الساعة ٣ صباحا رأيت السيدة العذراء كاملة من حارة خليل ، بين الصليب الصغير غرب الكنيسة والقبة التى على يمين الداخل إلى الكنيسة من غرب (القبلية الغربية) ودام الظهور حتى نور الصباح وكنت سأكون من ضحايا الزحام لولا أننى صرخت ليسوع وللعذراء بأن لايتركونى أموت فى الزحام وفعلاً استجاب الله لصلاتى ولم يتركنى.. رأيتها بنور أبيض مائل للخضرة نوعاً ما، وكانت ظاهرة كاملة وعلى رأسها طرحة مضيئة باللون الأخضر الفوسفورى المائل إلى الزرقة الخفيفة، وكذلك باقى جسدها النورانى البتول الطاهر مضىء بنفس اللون ، وكانت تتحرك إلى اليمين واليسار وتبارك الجموع بيدها الطاهرة .

(٢)رأينا حمامتين لونهما أبيض محلقتين فوق الكنيسة من الخلف.. وذهبنا ناحية تحليق الحمام وقد وجدنا السيدة العذراء بضوئها الجميل، وألوانها الخلابة . وبعد نصف ساعة ظهر على كتفها يسوع المسيح، وبعد خمس دقائق لم يكن معها السيد المسيح. وظلت أمام أعيننا حتى الساعة الخامسة صباحا .

(٣)حوالى الساعة ٣ صباحا ظهرت فى كامل هيئتها بحجمها الطبيعى على سطح الكنيسة من الجهة الغربية فى هيئة نورانية تبهر النظر، ويعجز اللسان عن وصفها ، واستمر ظهورها مدة طويلة حوالى أكثر من ساعتين .

---

(١) من تقرير السيد/ سيزوستريس زاهر دانيال الطالب بكلية التجارة ، جامعة القاهرة ، السن ٢٤ سنة، والمقيم بالمنزل رقم ٢ شارع العزيز بجزيرة بدران بشبرا مصر .

(٢) من تقرير للسيد/ مكين ثابت، الطالب بالمدرسة الثانوية النهارية بالفجالة بالقاهرة نجل السيد/ ثابت رزق الله وكيل مفتش بمصلحة المساحة سابقا. المقيم بالمنزل رقم ١٤ شارع طوسون – شبرا مصر . بطاقة رقم ٣٠٧٧٤ قسم روض الفرج .

(٣) من تقرير السيد الأستاذ المحاسب ادوارد ميخائيل إبراهيم (ماجستير فى المحاسبة) مقيد بسجل المحاسبين والمراجعين رقم ٧٣ والمقيم ١٥ شارع القائمقام محمد الزمر بالحى الأول – مصر الجديدة .

[1]ويقول الأستاذ الدكتور خليل مسيحة جرجس فى تقريره .

لما علمت أن سيادتكم تقومون بعمل تحقيق علمى فى موضوع ظهور طيف السيدة العذراء بكنيسة الزيتون وجدت لزاما علىّ أن أرسل لكم تقريراً دقيقاً عما رأيته. وترجع أهمية الموضوع لى بالنسبة لإهتمامى بدراسة ما وراء الطبيعة وعضويتى فى هيئة كاليفورنيا لأبحاث ما وراء الطبيعة California Parapsychology Foundation, Inc. 3580 Adams Ave. Son Diego. Calif. 92116 .

وقد جمعت لذلك أقوال أصدقائى المعتبرين في هذا الموضوع، وعاينت وصورت الكنيسة وأماكن الظهور. وذهبنا مرات عديدة نهاراً وليلاً .

وفى ليلة ١٩٦٨/٤/٣٠ كنت أقف مع زوجتى (السيدة مرجريت إبرهيم) فى حارة خليل إبرهيم مقابل مدخل الكنيسة وسط الزحام ناظرا إلى الصليب الموجود فوق مدخل مبنى الكنيسة ذاتها. وقد لاحظت وزوجتى فى وقت واحد، أن هناك جسماً مضيئاً بدا يتكون فى الفراغ فوق الصليب، ولكنه يبعد عنه للداخل نحو القبة الكبيرة، واتخذ هذا المجسم المضىء شكلاً مغزلياً، وهو يشبه سيدة ملتفة بملاءة، وكأنه مصنوع من سحاب يضىء بلون أزرق خفيف لكنه واضح (لم أرَ تفاصيل ملابس أو وجه فى هذا المجسم). وانطلق من جزئه العلوى شعاعات ذهبية كانت تشتد وتخفت على التوالى، وكان المجسم يتحرك حركة موجبة بطيئة . وتحت هذا المجسم رأيت سحابة مضيئة أيضا يتوسطها ما يشبه سيدة راكعة مضيئة بنفس لون وشدة المجسّم الأول. وقد استمر هذا المنظر نحو عشرة دقائق لا يتغير. وكانت زوجتى (السيدة مرجريت إبرهيم) تصف لى نفس هذا المنظر وبتفاصيل أكثر. وقد قدرت المسافة بيننا وبين المنظر بنحو خمسة وعشرين أو ثلاثين متراً. وختاماً أرجو أن أكون قدمت معلومات مفيدة فى هذا الموضوع .

[2]تعالت الأصوات وتهليل الفرح والتعظيم مع صلوات المؤمنين ، والأعناق تتطلع على الأسوار وعلى أعمدة النور. ولم يكف آلاف الناس من شتى الأديـــــــــــان

---

(١) الأستاذ الدكتور خليل مسيحة جرجس ، أستاذ التشريح بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة، وعضو الجمعية الثيوصوفية بالقاهرة، بطاقة رقم ١٦٧/ الظاهر، والمقيم بالمنزل رقم ٥٤٢ شارع بورسعيد بغمرة القاهرة .

(٢) من تقرير للأستاذ صموئيل حبيب يوسف ، المدرس الأول بدار المعلمين بدمنهور ، السن ٥٦ سنة وسبعة شهور وعنوانه ٤٦ شارع الفتح بفليمنج بالاسكندرية .

والطبقات من الأعماق من الهتاف . ظهرت الملكة النورانية فخر جنس البشر تتلألأ فى النور، وشاهدناها وشاهدها الآلاف.. وإذ كنت أرجع إلى الوراء مدفوعاً بموجات البشر اكتحلت عيناى بمنظر لاينسى أبد الدهر، رائع ومجيد .. ياحسنها ساعة . أنها أروع لحظة فى العمر ، قد لا تتكرر بعد مئات السنين . اشتهى أن يراها ملايين البشر فلم ينعموا بمثلها، من أقصى بلاد العالم يأتون ليروا. الجميع يشيرون العذراء، وكانت بهيئة قديسة ترنو بنظرها إلى أسفل، متعبدة، ومطلة على البشر، وآلاف منهم يسبحون ويشكرون ويصلون ويرتلون، وأبصارهم خاشعة وقلوبهم للعلا . ياله من ظهور أحيا الأمل فى القلوب الخافقة والنفوس المشتاقة .

(١)جريت فى الشارع، كان الوقت حوالى ٣ صباحا. سمعت صوت الناس حوالى ١٠٠ مترا بشكل لم أشهد له مثيلا. أُناس يجرون مأخوذين من هول المشهد وناس يسجدون على الأرض فى الشوارع، وموج من اللحم البشرى يميل يميناً ويساراً فى كتلة واحدة .

كانت الناس تتقاذفنى تارة إلى اليسار فلا أرى شيئا، وتارة إلى اليمين فأرى ضوءا على يمين القبة التى تواجه باب الكنيسة مباشرة (الخارجية) .

اندفعنا داخل الحشد... كان مشهداً رائعاً، بوابة من النور كأنها فتحت فى السماء مستديرة من أعلى مستقيمة الجانبين، والحد الأسفل صورة مكبرة تماماً لمنظر فتحات القباب بطول حوالى ٣ متر نور أبيض ناصع لايمكن وصفه، لا يؤذى العين على الرغم من قوته مهما طال النظر إليه. بداخله يمكن تَبَين ملامح العذراء. الرأس والطرحة واليدين مبسوطتان إلى الأمام فى منظر جانبى يميل فيه الرأس إلى اليسار أى إلى يمين المشاهد.. اللون أزرق مائل إلى الرصاص ولكنه غير معتم مضىء هو أيضا، مثل بوابة النور الأبيض من حوله. وشاهدت وبنفس اللون السيد المسيح فى وضع الطفل الرضيع على اليد اليسرى كانت تمد يديها لتحتويانه وتحنو عليه بإنحناءة الرأس إلى اليسار نحوه، فى أجمل منظر من مناظر الأمومة والوداعة والوقار والحنان شىء لايمكن وصفه .. وكانت تتجه به جهة الصليب على يسارها. وكأنها تقدمه إليه . وكانت الطرحة تغطى كل الجسم وتغطى كذلك معظم الطفل فيما عدا الرأس، وجزءاً من جسمه، وتغطى أرجلها هى نفسها. وتبدو بوضوح ٣ خطوط مائلة من أعلى إلـــى

------

(١) من تقرير للسيدة الدكتورة إميلى أرمانيوس طبيبة إخصائية أمراض العيون بالصحة المدرسية، بطاقة رقم ١٥٤٠٩ قسم الزيتون .

أسفل ومن اليسار إلى اليمين بلون أكثر بياضاً يوضح تموجات الطرحة. لم أتبين بوجه العذراء أية ملامح بأكثر من شكل بيضاوى أكثر وضوحاً من الطرحة التى تعلوه . خرجت من الحشد.. ووقفت فى مواجهة رجل مسلم واستاذ بالجامعة، يجلس على السور كان يبكى ويقول " إنتى بتودعينا.. ياستنا مريم " شعرت معه بأنه مشهد الوداع.

(١)فى الساعة ٣ صباحا ظهرت العذراء مريم أم النور بين سطح القبتين الخلفيتين بالجهة الغربية على النحو الآتى : إطار مستطيل طوله نحو ١٢٠سم وعرضه ٨٠ سم، وكان بداخل هذا الإطار نور أبيض ناصع البياض يشع منه، وفى وسط هذا النور كانت توجد السيدة العذراء واقفة تضم يديها إلى صدرها. وأمام هذه الصورة كان غصن شجرة الزيتون عامودياً، والصورة تعلو إلى فوق ثم تهبط إلى أسفل وبالعكس. واستمر هذا المنظر من الساعة ٣ حتى الساعة ٥ صباحا.. أى مكث أمام عيوننا مدة ساعة وكسور، ثم إختفى عنا وساد سكون تتخلله تراتيل وترانيم كنائسية ... .

(٢)فى الساعة ٣٠ر٣ إندفعت وسط هذه الجيوش، .. ورأيت العذراء تلبس جلباباً أبيض ناصعاً لم أكد أميز تقاسيم وجهها، وكانت تحمل شيئا على ذراعها الشمال لم أستطع أن أميزه لشدة النور، وكانت واقفة بين القباب الأربعة من الخلف بعيدة عن الفتحات. وكان وجهها يلقى ضوءاً على الواقفين، وفى تلك اللحظة رأيت حمامتين تطيران إلى فوق ثم اتجهنا نحو الشمال ولم يطل بهما الطيران إلى أن إختفتا فجأة.. وكان نور العذراء شبه نور القمر فى ليلة ١٤ بل وأسطع منه بكثير ، ووقفت أمامها ما يقرب من ساعة .

(٣)حوالى ٣٠ر٣ صباحا سمعت صراخاً كثيرا وتهليلاً " العذراء .. العذراء.. فدخلت بعد صعوبة فى الحارة التى بها باب الكنيسة الرئيسى، وبعد عناء كثير، رأيت وأنا جسمى يقشعر من صلوات الناس حولى.. السيدة كلية الطهر والدة الإله، وعلى رأسها تاج نورانى، وكانت تحمل طفلها، ربنا يسوع المسيح.ورأيتها فى حالة تصفية

---

(١) من تقرير السيد/ ادوارد شنوده جرجس صفحة ٥٤٥ هامش رقم (٢) .

(٢) عن تقرير للسيد سمير زكى إبراهيم كاتب حسابات، وطالب فى دبلوم معهد الدراسات التجارى بجامعة عين شمس، ومجند بالقوات المسلحة، ويسكن بالمنزل رقم ٧ حارة العدوى شارع سنان – جسر السويس بالزيتون – مصر .

(٣) من تقرير للسيد المهندس الزراعى جمال نشأت فؤاد بهيئة التحكيم وإختبارات القطن ببنها (بكالوريوس زراعة) بطاقة شخصية رقم ٣٩٥٥ .

بلون يشبه لون النيون، وطلبت شفاعتها... ومن كثرة الزحام وجدت نفسى خارج المكان، وعدت بعد مدة ورأيتها مرة أخرى بنفس المنظر .

(١)حوالى الرابعة صباحاً دخلت مرة أخرى لأشاهدها فوجدتها فى هذه المرة فى ملابس راهبة بلون أزرق، ولم يكن على رأسها تاج أو هالة ، وإنما طرحة . ولم يظهر سوى نصفها العلوى، وكانت مطابقة للصورة المعروفة بـــ " المادونا " .

(٢)فى حوالى الساعة ٤ ظهرت سحابة خفيفة بأوضاع مختلفة، وكانت أحياناً تظهر فيها صورة العذراء كاملة، وفى وسط الصورة هالة من الضوء المتعدد الألوان.. وكانت تظهر وسط النخلة التى بجوار الكنيسة .

(٣)حاولت الدخول فى حارة خليل رغم الزحام الشديد، ورأيت صورة العذراء بين شجرتين، ولكننى لم أتمكن من الوقوف من شدة الزحام. وحوالى الساعة الرابعة صباحاً.. دخلت حارة خليل مرة أخرى وكان الزحام قتالاً، ولكننى صممت على الوقوف فى الداخل، فرأيت السيدة العذراء فى ملابس بيضاء ظاهرة بوضوح بجوار الصليب ، وعلى رأسها طرحة، ولم أرَ غير نصفها العلوى، وكان المنظر باهراً .

(٤)فى الساعة ٤ شاهدت إنطلاق ٣ حمامات حلقت فى أجواء السماء العالية .

(٥)ورأيت ٣ حمامات بيضاء جاءت من خلف القبة وطارت عالياً عالياً عالياً حتى بدأت العذراء تختفى ثم إختفت تماماً .

---

(١) من تقرير الآنسة سونيا سليمان يسى صفحة ٥٥٠ هامش رقم (٢) .

(٢) من تقرير السيد/ محمد حسن، بطاقة رقم ١٤٢٦٦ (الأزبكية) ويقيم بالمنزل رقم ١٠ حارة السهاريج شارع الكنيسة المرقسية . والسيد شحاتة منصور شحاته بطاقة رقم ٧٢٠٥ منفلوط أسيوط ، ويقيم بالمنزل رقم ٢١ شارع متولى عويس بالقللى – القاهرة . والسيد/ نادى عبده تادرس ويقيم بالمنزل رقم ٢١ شارع متولى عويس بالقللى – القاهرة .

(٣) من تقرير للسيدة/ أولجا يسى جندى (وبالميلاد أولجا ابتناغو جندى) ، أستاذة بيانو بالمعهد القومى العالى للموسيقى، بمدينة الفنون بالهرم (الكونسرفاتوار) والحاصلة على دبلوم ترينتى للموسيقى بلندن . Teachers Diploma Trinity College of Music, London, ١٩٥٤ ومتخرجة أيضا من كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس عام ١٩٣٩، وتقيم بالمنزل رقم ٧ شارع البستان ، بالتحرير ، القاهرة .

(٤) من تقرير السيد/ منير إدوارد ميخائيل صفحة ٥٤٩ هامش رقم (١) .

(٥) من تقرير السيد/ مكرم أنور برسوم صفحة ٥٤٦ هامش رقم (٣) .

[1] في الساعة ١٠ر٤ شاهدنا ثلاث حمامات بيضاء خرجت فوق القبتين الغربيتين، وإتجهت من القبلى إلى الجهة البحرية، نحو جهة المطرية على شكل نصف دائرة خفيفة، ثم إختفت عن الأنظار، وحصل سكون يتخلله التراتيل والترانيم .

[2] ثم انطلقت ثلاث حمامات بيضاء متجهة ناحية الشرق وإختفت بسرعة .

[3] حوالى ١٥ر٤ صباحا كان ظهرى إلى الكنيسة رأيت ثلاث حمامات بيضاء فى تشكيل منتظم المسافات * * طوال فترة الطيران بين كل حمامة وأخرى فى تقديرى من على الأرض حوالى نصف متر، طارت من فوق السيدة العذراء من خلفى إلى المنزل المقابل ثم تلاشت حوالى الساعة ٣٠ر٤ .

[4] في الساعة ١٥ر٤ شاهدنا خلف القبتين الغربيتين شجرة نخيل المجاورة للكنيسة من الجهة القبلية، وإذا بالسيدة العذراء مريم تقف تجاه غصنٍ من أغصان الشجرة فى شكل نورانى جميل جداً، النصف الأعلى أبيض ناصع جداً، والنصف الآخر أزرق فاتح، وأخذت العذراء ترفع يدها اليمنى إلى فوق ثم تنحنى إنحناءة خفيفة مع يدها اليمنى . أما اليد اليسرى فكانت تضمها إلى صدرها. وأخذت تدور من الشمال إلى اليمين وبالعكس، وهى تحيى الجموع المحتشدة بالألوف.. وبعدها انتقلت من أمام غصن الشجرة إلى وسطها فى أعلاها، وهى تلف يميناً وشمالاً، وهى رافعة يدها اليمنى، ثم تنحنى بها إنحناءة خفيفة وكأنها تقول لهم " سلام لكم " ، واليد اليسرى ضمتها إلى صدرها . وهكذا تكرر هذا المنظر حتى مطلع الفجر بعد الساعة الخامسة صباحا. وما أن ظهرت أشعة الشمس حتى إختفت عن أنظارنا .

[5] في الساعة ١٥ر٤ ذهبت وأيقظت أخى وزوجته ليروا الظهور، وخرجنا.. وفعلاً شاهدوها أكثر من ربع ساعة، وعدت معهم إلى المنزل .

---

(١) من تقرير السيد/ ادوارد شنوده جرجس صفحة ٥٤٥ هامش رقم (٢) .

(٢) من تقارير السيد/ ادوارد شنوده والسيد منير ادوارد والسيدة زوزو رزق الله والسيد/ سيزوستريس زاهر .

(٣) من تقرير د. إميلى أرمانيوس صفحة ٥٥٥ هامش رقم (١) .

(٤) من تقرير السيد/ إدوارد شنوده جرجس صفحة ٥٤٥ هامش رقم (٢) .

(٥) من تقرير السيد/ سمير زكى إبراهيم صفحة ٥٥٦ هامش رقم (٢) .

(١)عند الساعة ٤٥ر٤ خرجت من المنزل لكى أشاهد كيف تودع العذراء الأرض فرأيت أنها إنحنيت ثلاث مرات أمام الصليب . وعلى القبة الغربية البحرية ظهر ما يشبه بسحابة فى لحظة الظهيرة وهى فى أشد حالات الحرّ، وكان لونها رمادى تحيط بالقبة من كل مكان . وأخذت فى الإختفاء لحظة ظهور ضوء النهار .

(٢)حوالى ٣٠ر٤ شاهدتها مرة ثالثة فوق القبة القبلية الغربية على يمين الصليب، وظهر نصفها العلوى أيضا، ولكنها كانت تحمل على كتفها الطفل يسوع، ورأيت على رأسها هالة مستديرة، وعلى رأس المسيح هالة أصغر، وهى صورة السيدة مريم التقليدية، وهى مائلة على الطفل يسوع الذى تحمله، وكانت بالحجم الطبيعى . وكان الضوء فى هذه المرة شاحباً أكثر من المرتين السابقتين إلا أنها كانت واضحة جداً. وفى كل المرات لم أتمكن من تفسير ملامح الوجه، وإنما الهيكل العام والملابس كانت مجسمة، ولم أتمكن من الوقوف مدة طويلة، ولكننى واثقة مما رأيت .

(٣)حوالى الساعة ٣٠ر٤ قال لى الرجل الذى علمت أنه أستاذ بالجامعة ، مسلم ، نروح نشوف تانى ، قلت له هذا مستحيل. قال : إنشالله أموت . وذهب هو وحده وعاد بعد بضع دقائق، وقال لى : روحى شوفى المنظر دلوقت . دخلت فى الحشد حوالى دقيقتين، لاحظت نفس الصورة، ولكن الضوء الأبيض المحيط بالسيدة العذراء تحول فى مطلع الفجر إلى لون الضوء الخافت المائل إلى الإصفرار، مثل ضوء المصباح الضعيف، ومشهد العذراء بداخله بدا أقل وضوحاً .

فجر الثلاثاء ٣٠/ ٤/ ١٩٦٨ .

شاهدت(٤)عمود نور بين القبة الكبرى الوسطى والقبة الصغرى وأخذ عمود النور يتشكل بشكل تمثال للسيدة العذراء يتوهج بالنور .

أما المعجزات التى حدثت معنا فهى الآتى :

---

(١) من تقرير السيد/ سمير زكى إبراهيم صفحة ٥٥٦ هامش رقم (٢) .

(٢) من تقرير الآنسة سونيا سليمان يسى صفحة ٥٥٠ هامش رقم (٢) .

(٣) من تقرير د. إميلى أرمانيوس صفحة ٥٥٥ هامش رقم (١) .

(٤) الأستاذ / أديب صليب محارب – مفتش بوزارة الخزانة . ٨ شارع الدير البحرى مصر الجديدة بطاقة عائلية ٢٧١٧٩ فى ١٩٦٤/١١/٧ .

المعجزة الأولى : حدثت هذه المعجزة للسيدة حرمنا وداد عبد المسيح جرجس وتفصيلها كالآتى :

تزوجنا من حوالى ست سنوات ولم تنجب زوجتى أطفال طوال هذه المدة، ولم تحمل بالرغم من ترددها على كثير من الأطباء المتخصصين، لمعرفة أسباب عدم الحمل والعلاج المستمر، وأن قائمة الأطباء فى خلال تلك السنوات الست تحمل العديد من الأسماء بينهم الأستاذ الدكتور نجيب محفوظ والدكاترة هيلانة سيداروس ومحمد الصادق ومحمد محمد شحاته وناشد عبد المسيح وضياء سيف الدين وفؤاد رخا وكمال عقداوى ومحمد كامل أبو المجد ومحمد فؤاد منير بالأسكندرية وأنور الأتربى وأحمد حاتم عسقلانى ومحمد نور الدين عبد الباقى والدكتور إنصاف يوسف بمغاغة ، وبلغ عدد الأطباء الذين ترددت عليهم نحو خمسين طبيبا وكان كل منهم يكتب قائمة بالأدوية لعلاج العقم لزوجتى، ولكن العلاج لم يسفر عن أى تقدم أو نتيجة، ثم دخلت مستشفى دار الشفاء لعمل التحاليل الطبية واستخراج صور بالأشعة تحت إشراف الدكاترة ضياء سيف الدين ومحمد وفاء ، ومكثت فترة بالمستشفى تحت العلاج والإشراف الطبى، وخرجت من المستشفى لتدخل مستشفى هليوبوليس لتأخذ جلسات كهرباء كأمر الدكتور المعالج ، وذلك لقربها من منزلنا بمصر الجديدة ، وبذلنا كل ما فى وسعنا فى العلاج والأدوية، ولكن ذهبت سدى جميع الجهود التى بذلت لعلاج العقم، كما ضاعت جميع الأموال التى أنفقتها على العلاج، وظلت زوجتى على حالها لا جدوى ولا فائدة فى كل هذا العلاج والدواء .

وعندما بدأت السيدة العذراء تتجلى بكنيستها بالزيتون فأخذت أتردد أنا وزوجتى دائما على الكنيسة بالنسبة لقربها من منزلنا، ورأينا تجلى العذراء فى عدة ليالى والظواهر الروحية وصلينا إلى العذراء وأخذنا نتشفع إليها ونطلب منها بحرارة ، بإيمان كامل، أن يهبنا ما عجز الأطباء أن يهبوه لنا، وترزقنا بالنسل الصالح وتشفيها من العقم، وأخذنا نداوم على حضور القداسات الإلهية بالكنيسة والصلاة بإيمان كامل ونحن على يقين بأن العذراء لن ترجعنا فارغين أبداً .

وفى ديسمبر ١٩٦٨ توجهت أنا وزوجتى فى الصباح الباكر فى يوم أحد إلى الكاتدرائية ، المرقسية الجديدة بشارع رمسيس حيث كان قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس يؤدى صلاة القداس الإلهى، فصلينا وتناولنا من الأسرار المقدسة ودنونا من قداسة البابا نلتمس منه البركة والدعاء لنا، بأن يرزقنا الله بالنسل الصالح بعد هذه الفترة الطويلة، فصلى لى قداسته ودعا لنا بتحقيق أمنيتنا وقال لى بالحرف

الواحد " **إن شاء الله المسيح سيعوض عليك وسترى أولاد أولادك** " ونزل هذا الدعاء برداً وسلاماً على قلوبنا وكأن أبواب السماء كانت فى هذه اللحظة متفتحة لتقبل الدعاء وأحسسنا بفرحة غامرة، وشعرنا بالسكينة تملأ نفوسنا، وبعد ذلك زرنا قبر القديس العظيم كاروز الديار المصرية مارمرقس الرسول، وصلينا وتشفعنا به ليحقق لنا أمنيتنا وقطعنا عهد أمام الله وصممنا على التردد على كنيسة العذراء بالزيتون والإمتناع عن الذهاب إلى الأطباء، وأن نلجأ إلى الله ونتشفع بالسيدة العذراء، ونذرت زوجتى إسورة من الذهب لكنيسة العذراء إذا تحقق رجاؤها وطلبها، وكنا نواصل باستمرار زيارة الكنيسة ونسهر هناك ونشاهد تجلى العذراء فى ليالى مختلفة والظواهر الروحية ، وفى إحدى الليالى من شهر يناير الماضى تراءت السيدة العذراء فى حلم جميل لزوجتى وبشرتها بزوال حالتها المرضية التى حالت دون حملها، وطمأنتها بأن صلاتها وطلباتها قد قبلت وستحمل. وفى يوم ٢٣ مارس ١٩٦٩ أحست زوجتى بأعراض الحمل فذهبنا إلى الدكتور للكشف عليها فهنأها الدكتور وقرر أنه حمل إعجازى فى الشهور الأولى، وذهبنا فوراً إلى كنيسة السيدة العذراء وأعلنا المعجزة وقدمنا الشكر والتمجيد للسيدة العذراء على هذه المعجزة العظيمة، وهى الآن طبيعية جداً والحمل ماشى طبيعى، ونسأل ونطلب من السيد المسيح وبشفاعة العذراء وببركة وصلاة أبينا المعظم الأنبا كيرلس أن يتم لها على خير وتلد بالسلامة .

المعجزة الثانية : أُصيبت والدتى المقدسة منيرة سدرة الساكنة بشارع أبو بكر الصديق بمغاغة بنزيف حَاد فى عينيها اليمنى أثر صدمة فى الطريق العام، وهددها بالعمى وسبب لها إنفجار فى شعيرات وأعصاب العين وتوجهت إلى الأطباء بمدينة مغاغة منهم الدكتور نصحى غبريال الضبع والدكتور فرج سليمان ، وبعد الكشف عليها وجدوا أن الحالة خطيرة وتستدعى سفرها فوراً إلى القاهرة حيث تتوفر وسائل أكثر وإمكانيات كثيرة للعلاج، حيث أنها كانت مريضة بضغط الدم ويوجد إرتفاع فيه ويخشى على عينيها منه. فحضرت إلى القاهرة وتوجهنا أولا إلى كنيسة العذراء بالزيتون قبل ذهابنا إلى الأطباء، وكان عند الوالدة أمل بأن العذراء ستعمل لها معجزة وتشفى من النزيف، وفى الكنيسة تجلت العذراء فى تلك الليلة بالقباب وشاهدتها السيدة الوالدة وأبصرت النور وقالت بفرح عظيم أنها الآن تبصر، وأخذت عينيها تدمع وتتساقط الدموع من عينها وكانت دموع الفرح بحدوث المعجزة لها ، وشكرت السيدة العذراء على هذه المعجزة وزوال ما كانت تشكو منه فى عينيها، وللتأكيد بالشفاء ذهبنا

فى اليوم الثانى إلى الدكتور جورج البياضى وكشف على عينيها ولم يجد أى أثر للنزيف وأن عينيها سليمة وأيد الدكتور إيلى أليشع تقرير الطبيب الأول .

أما عن ضغط الدم وإرتفاعه وما يسبب لها من آلام كثيرة وكانت تعالج منه عند الدكتور يوسف رياض والدكتور منير صبحى والدكتور فؤاد مليكة والدكتور ماهر شنوده بمغاغة وكان من أعراضه النزيف المتقطع من الأنف والدوخان بإستمرار فقد شفيت منه تماما بمعجزة أيضا فى نفس الليلة، وتأكد ذلك بالكشف عليها فى عيادة جمعية دور النصر العلاجية بمصر الجديدة القريبة من المنزل، فوجد الدكتور أن الضغط عادى جداً ولا يوجد أى أثر لإرتفاع الضغط ، وصحتها سليمة مائة فى المائة، وأمرها بالإمتناع عن الأدوية الخاصة بالضغط، وأصبحت تأكل جميع الأطعمة، التى كانت محرومة منها ومجداً وشكراً للسيدة العذراء وعلى معجزاتها العظيمة .

المعجزة الثالثة : هذه المعجزة حدثت لى شخصيا فمنذ حوالى أربع سنوات كنت أشكو ألما شديداً فى جنبى الأيمن وكان يسبب لى صداعا مستمراً، وكنت لا أقدر على المشى أو أى عمل فيه إجهاد لى، وتوجهت إلى الدكتور أحمد شفيق للكشف على ونصحنى بعمل عملية الزائدة الدودية فورا لأنها ملتهبة ، فرفضت عمل العملية وطلبت أن يكتب لى بعض الأدوية المسكنة ولما لم تفلح هذه الأدوية فى إزالة الألم توجهت إلى الدكتور يوسف رياض فشخص لى المرض والألم بأنه ناتج عن المصران الغليظ لا الزائدة الدودية، وطلب عمل تحاليل طبية وعرضت نتيجة التحليل على الدكتور وإتضح أن سبب الألم فعلا هو المصران الغليظ، وكتب لى العلاج اللازم وأخذت أسير على نظام معين فى الأكل ودواء معين ، واستمريت على هذا الحال فترة طويلة بدون تقدم ملموس، أو نتيجة عملية فى إزالة الألم، وعندما ظهرت العذراء فى كنيستها بالزيتون ومع إستمرار زيارتى للكنيسة كنت أشعر براحة نفسية عظيمة وإطمئنان كامل بأننى سأشفى من هذا الألم، وفى أحد الأيام بينما كنت أصلى بالكنيسة وحضور القداس الإلهى وأمام صورة العذراء، شعرت بتنميل خفيف فى جنبى الأيمن فرشمت علامة الصليب مكان التنميل، واستمريت فى الصلاة بالكنيسة إلى أن حان موعد التناول من الأسرار المقدسة، فتناولت منها وعند نهاية القداس وإنتهاء الصلاة، ذهبت إلى منزلى ماشى ولم أشعر بأى ألم فى جنبى الأيمن، وذهبت عند الدكتور للكشف على، فإتضح بأننى طبيعى وزال كل ما كنت أشكو منه بمعجزة ، والآن أحمد الله وأشكر السيدة العذراء على هذه المعجزات العظيمة التى حدثت للأسرة جميعا وأصبحنا متجددين فى الإيمان .

فجر الثلاثاء ٣٠ أبريل ١٩٦٨ .

[١]فى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعون تصاعد دخان حول الكنيسة واشتمت رائحة بخور طاهر ، ثم ظهرت حمامتين لونهما أبيض ناصع خارجتين من ناحية الكنيسة ومتجهتين شمالاً بسرعة عالية وهما ثابتتين الأجنحة . ورأينا العذراء متجلية بالطول الكامل خارج القباب، فى السماء وتلامس النخلة العالية، وكان ظهورها بشكل هالة نورانية من أعلى الرأس حتى القدمين، مع وجود تاج فوق رأسها، وهى تتحرك حركة جانبية وهى ثابتة فى مكانها وتومىء برأسها، وتفرد يديها وتبارك الشعب. واستمر هذا الظهور حتى الخامسة صباحا ومع ظهور ضوء النهار ابتدأ التجلى يختفى رويداً رويداً .

مساء الثلاثاء وفجر الأربعاء ١ مايو ١٩٦٨ .

[٢]الساعة ٣٠ر١٠ رأينا حمامة بيضاء منيرة تطير فوق قباب الكنيسة بسرعة كبيرة، ثم ظهرت بعد ذلك ثلاث حمامات بنفس النورعلى ثلاث مرات، ثم رأينا طيفاً أبيض يتحرك داخل القبة مقبلاً نحو النافذة مكوناً صورة العذراء تحمل الطفل يسوع المسيح على ذراعها الأيسر وتميل برأسها قليلا نحو رأسه، ثم اقتربت من النافذة وكأنها تطل علينا ثم رجعت إلى الخلف ثم عادت إلى الإقتراب إلى الأمام عدة مرات حوالى نصف ساعة.

وحوالى الساعة ٤ صباحا ظهرت العذراء فوق النخلة بالقرب من القبة الثالثة المطلة على ش طومانباى ، وقد ظهرت بشكل نورانى بكامل هيئتها من هامة رأسها إلى أخمص قدميها وهى تلبس طرحة، وبدأ ظهورها تدريجيا من قلب النخلة المذكورة، وعند أعلى غصن النخلة وقفت العذراء بشكل نورانى، ثم بدأ هذا الظهور فى الإختفاء جزءاً جزءاً كالدخان الأبيض عندما ينحل، ثم عادت بنفس الهيئة عدة مرات، شك أحد

---

(١) الرائد منير ميخائيل مينا – رائد متقاعد بالقوات المسلحة . ٧٩ ش الحجاز شقة ٥ مصر الجديدة – بطاقة ع ٢٩٤٦٣ مصر الجديدة وشاركه فى الرؤية زوجته السيدة إبتسام ميخائيل سليمان وإبنته الآنسة أميره – ثالثة كلية آداب القاهرة ، والمقدم سعيد ناشد حنا مأمور مصر القديمة والسيدة سعاد ميخائيل مينا والسيدة ماتيلدة مرقص فهمى والسيدة عنايات وكريمتها الآنسة سونيا كمال ناشد .

(٢)الأستاذ/ لبيب مقار – مدير إدارة المخازن بالبنك المركزى المصرى. ورئيس لجنة كنيسة القديسة دميانة بالعدوية بولاق مصر .

الموجودين بجوارى فى الظهور، فإذ يظهر الشكل النورانى ويأخذ فى الإمتداد إلى أعلا أكثر من المرات السابقة مما جعل العذراء واضحة أكثر مما سبق فصرخ الرجل ممجدا الله .

مساء الأربعاء وفجر الخميس ٢/ مايو ١٩٦٨ .

(١)الساعة ٤٥ر١١ كنت عند كنيسة العذراء بالزيتون وزميل لى وفى أحد الشوارع الجانبية حول الكنيسة إذ فتاة فى حوالى العاشرة تصرخ قائلة " أهى يابابا " فنظرت مع الجميع فرأيت كلية الطهر فى مجد يفوق الوصف، كاملة من الرأس إلى القدم، لامعة بضوء يفوق لمعان القمر بلون أبيض مزرق ترتدى طرحة تغطى حتى قرب القدم، وكانت تتحرك واستمرت حوالى نصف ساعة واختفت ، فغيرنا المكان أنا وزميلى فى الشارع الجانبى الذى به باب الكنيسة وإذ بالعذراء تجلت حوالى الساعة الواحدة إلا دقائق وكانت تتحرك فى بعض الأوقات يميناً ويساراً، وظلت على هذا التجلى حتى إنبثاق نور الصباح وكان إختفائها تدريجياً .

مساء الخميس ٢/ مايو ١٩٦٨ .

(٢)شاهدت تجلى العذراء فوق الشجرة بجسمها الطاهر كاملاً ، بلون أزرق سماوى مرتدية طرحة محاطة بهالة من النور، باسطة يديها الطاهرتين وتتحرك بوقار مهيب يميناً وشمالاً لتبارك الجموع، وكان ذلك واضحاً من ش توفيق خليل .

وفى مساء الأربعاء ٨ مايو ١٩٦٨ رأيت حمامتان مضيئتان، والساعة ٤٥ر٣ فجرا أضيئت فيه الكنيسة فظهرت منها حمامة مضيئة وإختفت .

---

(١) م . جرجس وهبة عوض – مهندس زراعى بالمؤسسة المصرية التعاونية العامة بعمارة شركة مصر للتأمين بميدان الجيزة – بطاقة ٢٩٩١٦ السيدة زينب القاهرة، وزميله م . رؤوف لوقا فرج – وزارة إستصلاح الأراضى بالدقى – ١٢ ش السبع – الظاهر شقة ١٨ .

(٢) د . وديد صادق عبد السيد – صيدلى بمستشفى الشاطبى الجامعى بالاسكندرية ٧ ش شاكر خياط شقة ٩ جليم – اسكندرية .

مساء السبت ٤ مايو ١٩٦٨ .

(١)شاهدت ظهورالعذراء وكان مشهداً عظيماً تخفق له القلوب، وتهتز له المشاعر. وقد شفيت من روماتيزم كنت أشكو منه فى ذراعى الأيسر كان يعاودنى بين حين وآخر منذ أكثر من عشرة سنوات، ولم تفلح فيه الحقن والدهانات، كما شفيت والدتى من إلتهاب شديد فى عينيها اليمنى كانت تشكو منه طيلة ثلاث سنوات رغم الأدوية المختلفة .

فجر الأحد ٥ مايو ١٩٦٨ .

(٢)توجهت لكنيسة الزيتون فوجدت إزدحاماً شديداً، وسمعت أن العذراء ظهرت وبصعوبة استطعت أن أصل إلى شارع توفيق خليل، ويكفى أن تضع نفسك وسط الجماهير فتتحرك مع إندفاع الناس ورأيت العذراء وهى واقفة فوق القبة وهى تلوح بيدها تبارك الحشود واستمر هذا الظهور حوالى ثلاث ساعات .

فجر الأحد ١٩٦٨/٥/٥ .

(٣)رأينا السيدة العذراء على هيئة تمثال فسفورى واقفة على النخلة التى بجوار الكنيسة فى منتصفها، وكانت تتحرك وتبارك الجموع الحاشدة وذلك لمدة نصف ساعة إلى أن ظهر نور الصباح .

فجر الإثنين ٦ مايو ١٩٦٨ .

(٤)ذهبت إلى كنيسة العذراء بالزيتون ومعى صديق(٥) وفى حوالى الساعة الثانية صباحاً سمعنا صياح أن العذراء ظهرت بحارة إبرهيم خليل، حاولنا الزحام فلم نستطع أول الأمر، ثم أخذنا نغالب الزحام حتى وصلنا ورأينا منظر العذراء بطولها أو أكـبر

---

(١) الأستاذ/ أنور اسكندر جرجس – رئيس مستخدمى منطقة تجنيد اسيوط .

(٢) من تقرير م. أنور كامل ميخائيل صفحة ٥٢٩ هامش رقم (٤) .

(٣) من تقرير السيد/ أديب صليب محارب صفحة ٥٥٩ هامش رقم (٤) .

(٤) م . لبشع حبيب يوسف – مطابع البريد – مدينة نصر القاهرة بطاقة عائلية ٥٧٩٦٨ روض الفرج شبرا مصر .

(٥) م . رفعت صابر بشاى – مهندس بجراج هيئة البريد بأرض السبيل بجوار نفق شبرا .

من الحجم الطبيعى ، مرتفعة قليلا عن سطح الكنيسة مابين القبة القبلية الغربية والصليب الموجود بوسط الحائط الغربى، وتبدو من بعيد وكأنها تلبس روب أو متزرة بإزار، عاقدة يدها على صدرها وكأنها تصلّى، تبدو ملامح وجهها جانبيا (بروفيل) واضحة الأنف والذقن والرقبة، والرداء عبارة عن نور فى نور، تتحرك يمنة ويسرة وتميل برأسها قليلا . وخرجت من الزحام فرأيت صديقين[(١)] وعلمت منهم أنهم لم يروا العذراء فأخبرتهم بظهورها الآن ورجعنا معا ورأيناها مرة أخرى .

[(٢)] الساعة الثالثة والنصف صباحاً رأيت جسماً نورانياً فوق الكنيسة بين القبة البحرية الصغيرة والصليب المقام على واجهة الكنيسة ، كانت بشكل نصفى ورأسها تميل إلى الأمام وكان على رأسها طرحة تصل إلى منتصف الجسم، وكانت ثابتة لا تتحرك، وكان نورها يبدو أبيض فضى يرتاح إليه النظر، وكان يشع من حول جسمها شعاع أبيض جميل على شكل هالة .

[(٣)] فى تمام الساعة ٣٠ر٣ فجراً رأيت العذراء الطاهرة متجلية على القبة الوسطى التى تطل على شارع إبراهيم خليل بجوار الصليب بحلتها النورانية البيضاء، وكانت تنظر نحونا بحب وإشفاق ، وكان يعلو صدرها صليب كبير غامق أحنت رأسها الطاهرة عليه واحتضنته بيديها فى منظر صلاة من أجلنا، وفى هذه الليلة جرت معجزات كثيرة أمامنا .

فى الخامسة صباحا رأينا نوراً عظيماً سماوياً خاطفاً مثل البرق بشكل ألسن نورانية على إرتفاع مترين من وراء القبة القبلية الغربية على سطح الكنيسة، وبعد دقيقتين رأينا العذراء بملابس بيضاء واقفة على سطح الكنيسة أمام نفس القبة فى منظر صلاة، وكان وجهها نحو الشرق ، وكان يعلو خلفها شبه بخور كثيف يملأ المكان حتى الصليب .

بعد هذه الرؤيا الثانية رأيت العذراء متسربلة بملابس ملونة بتاجها البهى ظاهرة على الضلع الثالث من القبة الغربية القبلية فى منظر عظيم مهوب، وأخبرت من حولى

---

(١) أ. ناشد اسحق سمعان – كيميائى بشركة النصر للكيماويات الدوائية بطاقة رقم ٣١٥ بنى مزار . وأخيه كامل اسحق سمعان – موظف بمنطقة تجنيد القاهرة بطاقة عائلية رقم ٧٦٠٤٢ شبرا مصر .

(٢) د . منير جرجس حنا – أجزخانة النور بقويسنا .

(٣) حرم المتنيح القمص صرابامون حنا – راعى كنيسة حصة مليج منوفية ٦٤ بالنحاس بطنطا شقة ٤ .

من أقارب وأصدقاء ولكنهم لم يروا شيئاً، فقدمت لها الخضوع والإجلال، ثم فى ذات اللحظة وجدتها واقفة أمامى فى الفراغ الموجود بين القبة الأولى والصليب على جدار الكنيسة عند باب دخول الرجال، وبعد ثلاث دقائق أراها بجوار الضلع الثالث الذى ظهرت عليه أولا، وهى فى سن صغيرة لا يزيد عن ١٧ سنة بتاج بهى، وفى هذه اللحظة المقدسة يظهر من وسط صدرها الطاهر السيد المسيح له المجد بكامل جسده وهو فى سن الطفولة حوالى ٦ أشهر، لابساً من لون ملابسها الطاهرة وأراها تضع يده تحته وتحمله على ذراعها، وكان السيد المسيح يزيد فى النمو بالجسد على ذراعها إلى أن وقف بجوارها على سطح الكنيسة، ووصل فى نموه إلى الثانية عشر وهو ينظر إلى العذراء نظرة حب وتقدير وأخذ يزيد فى النمو حتى وصل إلى الثلاثين وكان السيد له المجد فى منظر إلهى لايقدر أى عقل بشرى أن يصف جمال هيبته ناظرا نظرة حب وبعد نحو دقيقتين يتجهان معا فى قوة إلهية فى حركة تشبه نصف دائرة إلى الناحية الثانية من شمال الكنيسة ناظراً إلى الآلاف الساهرة طوال الليل لنوال البركة، ومن العجيب بعد حركة التحول لشمال الكنيسة أصبحت السيدة العذراء على يمينه وبعد ٨ دقائق انسحبت الرؤيا فى خلال ٤ دقائق وكأن قد مضى على شروق الشمس ١٢ دقيقة.

(١)رأيت العذراءمريم وياليتنى كنت رأيتها من قبل، كنت خاطئاً لدرجة أن الخطيئة حجبت الرؤية بينى وبين حبيبى يسوع، وعندما رأيت العذراء وجدت الروح القدس بداخلى يعمل وكلمت العذراء مريم كلاماً كثيراً لايمكن أن أعرف أن أقوله لو عشت قديساً فى البرارى مدة طويلة. ومن يومها قبل الرب توبتى، وتركت خطيئتى إلى الأبد بعد أن ندمت ندماً شديداً على ما فات، وأصبحت خادما فى كنيسة .. والكنيسة وشبابها وأصدقائى الذين يعرفون عنى كل شىء مندهشون لهذا التحول حتى أسرتى مندهشة لهذا التحول فى حياتى، ولك أن تسأل كهنة وشباب الكنيسة . فشكرا لله وللروح القدس وللعذراء مريم التى بشفاعتها قبل الرب توبتى .

---

(١) ى . ن . ق . الاسم والمؤهل والعنوان ورقم البطاقة الشخصية لدينا . فضلنا عدم كتابته .

فجر الجمعة ١٠ مايو ١٩٦٨ .

(١)الساعة الواحدة بعد منتصف الليل اشتممت رائحة بخور وبعدها ظهر نور ساطع فوق القباب وحوالى ١٥ر٣ ظهرت العذراء بشبه راهبة بملابس بيضاء نورانية وطرحة بيضاء وكانت ملابسها ترفرف وكانت تتحرك وكان ظهورها خمسة وأربعون دقيقة بعدها بدأ النور فى الإختفاء حتى اختفت .

بنتى اسمها مارى سنها ٦ سنين وعندها حالة حساسية صدرية وعالجتها عند أطباء كثيرين منهم د . ميشيل ميخائيل ود . ابراهيم حسن ومستشفى رعاية الأطفال، وكانت ممنوعة من الإستحمام فى الشتاء وعدم أكل السمك والبيض وكانت حالتها سيئة جدا، وعندما ذهبت معى إلى كنيسة العذراء بالزيتون أنعم الله لها بالشفاء بشفاعة أم النور .

(٢) وفى الثالثة والنصف ظهرت فى السماء ثلاث حمامات بيضاء كبيرة الحجم اتجهت من الشرق نحو الكنيسة ثم إختفت بعد أن تجاوزتها .. كنا وقوفاً بالجراج وقد أردت الإنصراف فى الخامسة تماماً فتوسل أولادى للإنتظار قليلاً ولم تمض خمس دقائق استغرقها الجدل حتى أضاءت القبة الخلفية الموازية للشرقية وعلى حارة خليل ثم تشكل الضوء على هيئة السيدة العذراء جلية واضحة ثم تجلت خارج الفتحات المطلة على الحارة بالتوالى تبارك الجموع .. استمر ذلك من الخامسة والخمس دقائق حتى الخامسة والربع ثم إظلمت القبة تماماً ثم انقلب صياح الجماهير هديراً هزّ المنطقة فقد تركت السيدة العذراء القبة لتقف على سطح الكنيسة كاملة .. منحنية قليلاً واليدان ممدودتان نحو الصليب الذى يعلو المدخل بينما تحيط رأسها هالة من النور .. استمر ذلك حتى الخامسة وخمس وعشرون دقيقة وقد رآها معنا ما لا يقل عن ثلاثين ألف شخص داخل الجراج والشوارع المحيطة بالكنيسة وكان عدد المتجمعين فى الليل لا يقل عن مائة ألف شخص .

---

(١) أ . إيراد اسكندر اقلاديوس – الاسكندرية – أرض ربول تفتيش السيوف بطاقة ١٢٣٤٠ الرمل .
(٢) من تقرير السيد/ سامى سعد صفحة ٥٢٢ هامش رقم (١) .

مساء الأحد ١٢ مايو ١٩٦٨ .

(١) فى يوم الثلاثاء ٧/٥/ ١٩٨٦ ذهبت إلى كنيسة العذراء بالزيتون لأرى العذراء، وكنت واقف فوق سطح أحد الأتوبيسات الواقفة بالجراج ، ولما تعبت نزلت داخل الأتوبيس وغلبنى النعاس ونمت ولم أشاهد شيء .

ذهبت يوم الخميس ٩ مايو ١٩٦٨ وشاهدت بخور صاعد من قباب الكنيسة حوالى ٣٫٣٠ صباحا فجر الجمعة وبعد عشر دقائق شاهدت حمامتين لونهما أبيض وحوالى الساعة ٤ رأيت نور قوى ساطع فوق قباب الكنيسة .

وفى يوم السبت ١١ مايو ١٩٦٨ ذهبت بعد الساعة ١١ ومن كثرة الزحام لم أشاهد شيء ورجعت إلى منزلى غضبان وقلت لها لماذا يا ست يا عذراء أذهب ٣ مرات ولا أراك .

وفى يوم الأحد ١٢ مايو بعد أن إنتهيت من عملى فى الزمالك وكان معى صبى (٢) وفى أثناء عودتى للمنزل قابلتنى فى الطريق سيدة كبيرة فى السن وطلبت منى أن أعبر بها الشارع من زحام السيارات ، وكانت تحمل فى يديها حمامتان واحدة لونها أبيض على أسود والثانية أبيض على بنى . وبعد أن عبرت معها الشارع وتركتها دعت لى عدد من الدعوات، وفجأة سمعت الصبى يقول لى يا اسطى يا اسطى شوف قميصك عمل إيه ؟ ونظرت للقميص الذى ألبسه فوجدته كله صلبان زيت وصلبان لونها أسود على صدر القميص، وعندما رأيت القميص وعليه الصلبان إندهشت، ثم حولت نظرى للأمام لكى أمشى فى طريقى فشاهدت أمامى فى الجو صورة السيدة العذراء صورة نصفية وحدث عندى رعشة وجسمى قشعر من المنظر، ورجعت إلى المنزل وأنا أمجد الله .

---

(١) السيد/ إبراهيم عطية إبراهيم – كهربائى مواتير – السن ٢٥ سنه – ٢٨ ش منشية بهيج بالعدوية – بولاق – القاهرة . بطاقة رقم ١١٧٨٤ بولاق فى ٣/١١/١٩٦٣ .

(٢) الصبى متولى محمود – السن ١٦ سنة .

مساء الخميس ١٩٦٨/٥/٢٤ .

[١]وجدنا ما يقرب من المائتى شخص متجهين بأبصارهم نحو القباب، وقد روى الموجودون حادث شفاء تريزا جاد الله من الشلل، وكيف تجلت السيدة العذراء قبل حضورنا ثلاث مرات . وعند سماع ذلك قررنا البقاء فى نفس المكان ... وفى الساعة الثانية والثلث أحاطت مبنى الكنيسة نصف دائرة مضيئة تداخلت فيها القباب وإستحالت باقى السماء إلى لون قاتم ثم بدأ البخور يتصاعد كثيفاً من كلا جانبى الكنيسة ليملأ الفراغ المحدد المضىء وقبل إلتقاء البخور الصاعد من اليمين واليسار صعدت كرة من الضوء حمراء اللون عمودية من أسفل إلى أعلا خلف القبة الكبيرة بسرعة ليست كبيرة وما أن تجاوزت إرتفاع الصليب بثلاثة أمتار تقريبا حتى إختفت لتبدو خلفه السيدة العذراء صاعدة عمودية فى نفس المسار وبنفس السرعة الغير كبيرة ثم وقفت فى السماء برأسها فى مساواة النقطة التى إختفت عندها الكرة المضيئة الحمراء وأعلا من القبة بحوالى مترا تقريبا وعلى رأسها تاج .. كانت ضامة يديها وفى أعلا درجات التجلى الضوئى .. اليدين والرأس وتفاصيل الثوب الذى ترتديه لقد وضَّحته لنا الظلال الدقيقة فبدأ لنا وكأنه يتماوج فى السماء .. سادت الجموع حالة هستيرية وفقد كثيرون وعيهم فسقطوا على الأرض كما تخلخلت سيقان أحد الشرطه فسنده زميله .. بقيت على هذه الحال حوالى عشر دقائق ثم تكرر الظهور بعد ذلك مرتين ولكن دون المقدمات السابق شرحها وقد حدث وهى فى المرة الثالثة وضوئها يتلاشى تدريجياً أن رَجَّاها الموجودون بحرارة " استنى ياعدرا .. استنى ياعِدرا " فعاد ضوئها يسطع وبقيت أكثر من دقيقتين أخريين .. حدثت حالات شفاء ذُكرت فى وطنى عدا حالة تريزا .

فجر الثلاثاء ٢٨ مايو ١٩٦٨ .

[٢]رأيناالعذراء على القبة الكبيرة وهى ساجدة للصليب . وهذه الليلة حدثت لى معجزة شفاء من فتق كنت أشكو منه ، كما أن زوجتى شفيت من حالة تقلصات بالمعدة كانت تؤلمها ولاتمكنها من الجلوس لمدة طويلة، كما أن إبنى كان يشكو من إلتهـــاب

---

(١) من تقرير السيد/ سامى سعد صفحة ٥٢٢ هامش رقم (١) .

(٢) السيد/ عازر أديب مينا – وكيل تلغراف اسيوط .

اللوز وبعد زيارتنا للعذراء أصبح لا يشكو من هذه الحالة بشفاعة وبركة العذراء مريم.

وفى ٢١ أغسطس ٦٨ رأينا العذراء فى كبد السماء الساعة السابعة إلا ربع مساء والشمس ساطعة، ومرة رأيناها متجلية باللون الأرجوانى داخل القبة التى على اليمين عند الدخول من باب الكنيسة، ومرة وهى تبارك الجموع ومرة وهى على الشجرة على يمين المدخل الرئيسى للكنيسة ومرة ظهرت فى القبة على اليمين من الباب الحديد .

أول شهر يونية ١٩٦٨ .

خطاب من الأنبا مرقس(١)

نيافة أخينا الحبيب الروحى الأنبا اغريغوريوس

أسقف البحث العلمى

بعد القبلة الروحية والمصافحة القلبية نتمنى أن تكونوا بخير مع تهانينا بعودتكم من ألمانيا مصحوباً بسلامة الله ورعايته راجياً منه تعالى أن يبارك فى أعمالكم ومجهوداتكم لخير الكنيسة ورفعتها .

لقد أطلعت على ماجاء بكتابكم عن ظهور السيدة العذراء بكنيسة الزيتون بأنكم ستقوموا بطبع الجزء الثانى وعليه نرسل لكم هذه الكلمة لنشرها فى كتابكم الجزء الثانى إذا كانت مناسبة مع الشكر .

نعمة وبركة ربنا يسوع المسيح تشملاننا . ولعظمته الشكر دائما ،،،

Ⲙⲁⲣⲕⲟⲥ

٢/ أبريل ١٩٦٩م – ٢٤ برمهات ١٦٨٥ ش   مطران كرسى أبوتيج وطهطا

شاءت إرادة الله تعالى أن أذهب لزيارة كنيسة السيدة العذراء بالزيتون وذلك فى أوائل شهر يونية ١٩٦٨ ، وقد أخذتنى الدهشة عندما رأيت الألوف من البشر على إختلاف أجناسهم ومذاهبهم رجالاً ونساءاً ، كباراً وصغاراً، من داخل وخارج الكنيسة، شاخصين بأبصارهم إلى فوق نحو قباب الكنيسة، مترقبين ظهور السيدة العذراء الفائقة الطهر أم النور، ونرى البعض باسطاً يديه إلى السماء، بخشوع وإنسحاق قلب طالباً من الله التوبة والغفران، عما حصل منه فى الماضى من الخطايا والزلات ، والبعـــض

------

(١) نيافة الحبر جزيل الإحترام المتنيح الأنبا مرقس مطران كرسى أبوتيج وطهطا .

الآخر يطلب أن يخلصه من الضيقة الحالة به، والآخر يطلب الشفاء له أو لأحد أقاربه من المرض الذي ألم به، هذه كلها مصحوبة بصلوات تراتيل وأناشيد روحية. كما رأيت أيضا عدداً من المرضى والمصابين بأنواع مختلفة ينتظرون الشفاء من الله، بشفاعة السيدة العذراء أم النور .

وفى إحدى الليالى إذ كانت الساعة الثالثة في منتصف الليل، ظهر أسراب من الحمام بلون أبيض ناصع ماراً فوق الكنيسة متجهاً إلى الناحية القبلية، ولم أتبين العدد لسرعة طيرانه. وفى ذات الليلة أيضا شاهدت حمامة واحدة مرت أيضا فوق الكنيسة متجهة إلى الناحية البحرية، وكانت الساعة الرابعة، ولا بد أن تكون هذه الظواهر هى أرواح الشهداء والقديسين أخذت شكل الحمام .

وفى ليلة أخرى من الليالى حوالى الساعة الثانية ظهر بغتة نور ساطع يبهر العيون فوق قبة الكنيسة على مرأى ومشهد من الجميع .

وفى كل ليلة كنت أظل ساهراً حتى الساعة السابعة صباحاً حيث أقيم القداس الإلهى وجموع كثيرة من سيدات ورجال يتقدمون للتناول من الأسرار المقدسة .

نرجو الله تعالى أن يكون هذا الظهور فاتحة خير وبركة للجميع، وسبب خلاص الكثيرين وأن يتولانا الله برحمته ورعايته، بشفاعة السيدة العذراء أم النور والشهيد الكريم مارمرقس الرسول وجميع الآباء الشهداء والقديسين آمين .

Uapxoc

مطران كرسى أبوتيج وطهطــــا

فجر الأحد ٢ يونية ١٩٦٨ .

[١]رأينا العذراء داخل القبة الغربية البحرية بلون ذهبى برتقالى وكانت تمد يدها بغصن زيتون .

---

(١) من تقرير السيد/ الفونس ميخائيل عبد السيد صفحة ٥٤١ هامش رقم (٤) .

٩ يونيه ١٩٦٨ .

[١]وإذا ظهر الحمام فغالباً ما يكون نذيراً بظهور العذراء وتجليها. وأحيانا يظهر أثناء ظهورها وتجليها ويطير فوقها وحواليها، وأحيانا أخرى يظهر الحمام عياناً ولا تظهر العذراء إلاّ لأشخاص معنيين بظهورها أو يراها أُناس من زاوية ولا يراها أُناس من زاوية أخرى ، كما حدث هذا ليلة عيد ميلاد العذراء مريم . أول بشنس (٩ يونيه ١٩٦٧) فقد قال معظم الناس أن العذراء لم تظهر فى تلك الليلة بينما أكد قلة من الناس أنهم رأوها بعد ظهور الحمامتين مباشرة فقد ظهرت لهم على القباب سحابة ثم تشكلت بصورة العذراء مريم فى بهاء وجلال حتى أن السيدة إنشراح محمود النيال غلبها البكاء وهى تصف جمال منظر العذراء مريم وقد تجلّت أمامها وأمام إبنها الواقف إلى جوارها وشفتها من مرضها الخطير، وهو مرض الجلطة الذى تخلف عنه شلل كلى ثم عولج فتحسن وصار شللاً نصفياً تقريباً لازمها لمدة سنتين إلى أن شفيت منه تماماً بظهور العذراء، قلت أن هذه السيدة بكت وهى تصف جمال العذراء عند ظهورها، وقالت بعد أن تمالكت نفسها أننى لا أستطيع بتاتاً أن أقدم صورة صحيحة ودقيقة لما رأيته وقالت إن إبنها نفسه وقع على الأرض من جلال العذراء ولكنه لم يصب بسوء . وأكد هذه الرؤيا فى تلك الليلة رجل آخر يسمى محمد عبد العال ترزى قمصان أفرنجى يسكن بشارع ابن الرشيد رقم ١٩ وكان مصاباً بعرق النسا لمدة عشر سنوات وقد سبب له شللاً فى رجله اليسرى وشفى تماماً بعد أن رأى العذراء، ورجل آخر يسمى فكيه ناشد من مدينة قويسنا كان مصاباً بصمم كلى فى كلتا أذنيه لمدة سبع سنين حتى قال له الأطباء الذين اختلف إليهم أن سماعات الأذنين (الجهاز السمعى) قد أصيبت بتلف كامل فشفاؤه مستحيل، هذا أيضا قد تم شفاؤه فى تلك الليلة ويؤكد أنه رأى العذراء متجلية أمام عينيه قبل أن يناديها بأن تشفيه . وقد شفى فعلاً وعاد يسمع من جديد بعد ٧ سنين قضاها أصمّا . وكان من يريد أن يكلمه يكتب له ما يريده على ورق .

---

(١) صاحب النيافة مثلث الرحمات الأنبا غريغوريوس اسقف الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى .

مساء السبت ٢٢ يونية ١٩٦٨ .

(١)ظهرت فى السماء إثنتى عشر حمامة على هيئة مثلث قادمة من الشرق وفوق طومانباى، كان الإرتفاع والسرعة عاديين وعلى بعد مترين فقط من منتصف قاعدة المثلث نجم كبير جدا مذنب .. طول الذنب حسب الرؤية الأرضية لا يقل عن عشرين مترا وكان كلا النجم والذنب يشعان أضواءً بجميع ألوان الطيف كما كان يلتزم نفس السرعة ونفسِ المستوى الأفقى دون الإخلال بالمسافة التى بينه وبين الحمام ثم تبع السرب حين غيرَّ إتجاهه بعد الصيدلية ثم إختفيا فجأة معاً .

فى مساء الثلاثاء ٢٥ يونيو ١٩٦٨ .

(١)كنا أمام فيلا زيدان حين ظهر عمود من النور فوق شجرة كانت تبدو وكأنها بعيدة خلف الكنيسة .. كان عمود النور يتشكل على هيئة صليب أولا ثم يختفى ذراعاه رويداً ليتشكل على هيئة السيدة العذراء وقد دام هذا المنظر أكثر من ثلاث ساعات وعلى أثر تهلل الجموع غادر بعض من كانوا بالسرادق أماكنهم واختلطوا معنا ورأوا بأعينهم وكان معهم أحد الآباء القساوسة كما مرت حمامة مضيئة على إرتفاع منخفض وبسرعة مذهلة من أمام فيلا زيدان إختفت داخل الكنيسة بمجرد عبورها السور .. كانت وكأن الضوء يتناثر من الأطارف .. المنقار والجناحين والذيل .

الخميس ٢٧ يونية ١٩٦٨ .

(١)كان البخور يتصاعد من قباب الكنيسة ويُكّون سحب على هيئة ملائكة كما نراها مصورة بالكنائس وقد تشكلت سحابة كانت تكبُر وتكبر دون أن تفقد مقوماتها كصورة محددة على هيئة السيد المسيح وهو مصلوب . مرفوع اليدين إلى أعلى، كان وضع الصورة أفقيا وبدون الصليب .. قد تراءت وكأن ضلوع الصدر نافرة تشد الجلد وقد بقيت هذه السحابة وقتا ليس بالقليل فوق منطقة الكنيسة .

---

(١) من تقرير الأستاذ/ سامى سعد صفحة ٥٢٢ هامش رقم (١) .

فجر الجمعة ١٢ يوليو ١٩٦٨ .

(١)ذهبت إلى كنيسة العذراء بالزيتون وكنا نجلس فى مكان جراج الأتوبيس والساعة الثانية بعد منتصف الليل خرجت من داخل الكنيسة من الناحية الشرقية فوق المذبح كرة من نور، لا يمكن لقلم أو لسان أن يصف لمعانه، أضاء كل المنطقة بطريقة إعجازية لا توصف، علما بأن هذه الليلة كان القمر بدراً كاملاً، وبعد قليل ظهرت أم النور على الشباك قبلى الهيكل بصورة العذراء الحزينة، وكانت تنظر عن يمينها ناحية الهيكل والمذبح، والنور ظاهر بلون النيون الأزرق واستمرت لمدة ساعتين بإستثناء لحظات بسيطة جدا كان يخف الضوء، أقول يخف الضوء ولا أقول يغيب ، فكانت تنظر إلى الأمام أو إلى الناحية الأخرى، ومع الدوران كان يخف النور قليلاً ولكن تقاطيع الوجه كانت واضحة جدا جدا فى نظرتها إلى الهيكل ، واستمر التجلى حتى الساعة الرابعة صباحا حيث اختفت .

هناك مرات أخرى كنا نرى أضواء من حين إلى آخر .

صباح الأثنين ١٢ أغسطس ١٩٦٨ .

(٢)فى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل رأيت جسم نورانى كامل للسيدة العذراء، وكان ظاهراً من فتحة القبة الشرقية المطلة على شارعى طومانباى وحارة خليل ، وظهرت أيضا فى نفس الليله الساعة ٤٠ر٢ وقد تحولت حياتى الروحية التى كانت فى ظلام دامس من الخطيئة والقلق بفضل هذا التجلى، بحيث وضعت قدمى بنعمة الله على أول الطريق الروحى السليم .

مساء الأربعاء ٢١ أغسطس ١٩٦٨ .

(٣)توجهت الساعة ٤٠ر٦ مساءً لكنيسة العذراء فى الزيتون فى ليلة عيدها وعند دخولى سمعت صوت تهليل ودعاء من الناس، فالتفت إلى أعلا فشاهدت منظر سحابة مشكلة على هيئة صورة نصفية للسيدة العذراء وهى ترتدى طرحتها وتميل رأسها على

---

(١) الأستاذ/ شوقى سامى الياس – مدير البنك الأهلى المصرى فرع سوهاج .

(٢) د . ف . ا . د . الاسم والعنوان والتليفون موجود بطرفنا فضلنا عدم كتابته .

(٢) م . عريان عزيز سيدهم – مفتش تموين بالأقصر ش كليوباتره – الأقصر .

كتفها الأيسر، والمنظر شبه شفاف، والمنظر يعلو فوق القبة الوسطى متجها ناحية القبة الشمالية من ناحية شارع طومانباى ، ثم شعرت بثلاث قطرات ماء نزلت على ذراعى الأيمن ونظرت فوق فلم أجد مصدراً لهذا الماء ، إذ لم يكن فوقى سوى السماء وهذا التجلى البديع ، كما أن السماء كانت صحواً ولا توجد بها غيوم، ولم يكن فوقى سوى هذه السحابة المشكلة بصورة العذراء وكان معى والدتى وبنات خالى وبنت بنت خالى الطفلة فيبى زكى، وهذه الأخيرة شعرت بقطرات ماء على ذراعها أيضا .

عيد النيروز ١٩٦٨/٩/١١ .

[(١)]وصلنا إلى الكنيسة من ناحية الصيدلية فى الساعة الثانية عشر والثلث بعد منتصف الليل كانت البوابات الثلاث للسرادق تزدان بمئات من المصابيح الكهربائية وبدا لنا سطح الكنيسة والقباب مضاءة تماما فشعرنا باليأس واستبعدنا تجلى السيدة العذراء فى ذلك الضوء . كانت الساعة الثانية عشر والثلث وتوقف ناقوس الكنيسة وفى نفس اللحظة وقبل أن نصل للباب الخلفى للسرادق من ناحية الصيدلية خرجت السيدة العذراء من فتحة قبة الجرس المطلة على النخلة، كانت جسداً حياً ولأول مرة نراها جسداً حياً .. كانت ذات شعر أسود فاتح منسدل على الكتفين وليس بالطويل فى ملابس بيضاء فضفاضة أكمامه واسعة كانت صغيرة الجسم حتى أن الفتحة بدت لنا كبيرة جدا بالنسبة لجسدها الصغير.. كانت تبارك الموجودين بيديها وتتحرك فى نطاق ضيق وبسرعة، وخيل إلينا إنها تقف أحياناً على حافة المبنى ولم يكن يوجد فى ذلك المكان سوى بضعة أشخاص يرقدون بجوار جدار فيلا زيدان ونحن – وكان من المستحيل أن ترى وهى فى ذلك الموضع من أى مكان من السرادق .. بقيت حوالى ثلث ساعة ثم دخلنا السرادق.. وبعد الساعة الثانية بقليل ظهرت فجأة سحابة مستطيلة طولها حوالى ثلاثة أمتار تقريبا – كانت ثابتة دون حركة ودون إتساع أو تلاشى وكان رأس السحابة فوق القبة الشرقية وكانت ملاحظة منا ومن جميع من كانوا بالسرادق عدم وجود أية سحب فى السماء من أى نوع وعلى مدى البصر وفى كافة الإتجاهات.. فقد كانت السماء صافية صفاءً عجيبا وبعد فترة قصيرة تجلت العذراء فى ضـــــوء

---

(١) من تقرير الأستاذ سامى سعد صفحة ٥٢٢ هامش رقم (١) .

برتقالى خافت واقفة فى مواجهة صليب المدخل ضامة يديها تصلى ثم تسجد ثم تنحنى لتقبل الصليب واستمرت فى الصلاة والسجود حوالى ساعة ونصف تقريبا وقد أحصينا عدد الحمام الذى رأيناه فكان واحدة وعشرين حمامة عدا البخور والنجوم ذات الأحجام والألوان والمسارات الغير مألوفة .

الأحد ١٩٦٨/١١/٣ .

(١)كنا فى السرادق ولم ننعم إلا برائحة البخور النفاذة وقد هممنا بالانصراف حين وافت الساعة الخامسة والربع صباحا ثم توقفنا قبل أن نصل إلى الباب الذى يفتح على سنان وإتجهنا بأبصارنا إلى الكنيسة فقد كان يخالجنا شعور دافق أن شيئا ما سوف يحدث .. وقد حدث ، ففى الخامسة والنصف تماما إنطلق أمامنا ومن خلف القبة الكبيرة عمود صغير من النور الوهاج جداً وبسرعة هائلة إنطلق صاعداً فى السماء بزاوية قدرها ٤٥ تقريبا وفى إتجاه العباسية وقد إنطفأ وأضاء ثلاث مرات ثم توهج وإختفى وقد أحسسنا وهو صاعد أنه يشق السماء شقاً كالسكين فى الزبد .

مساء السبت ٢١ ديسمبر ١٩٦٨ .

(١)الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين تجلت السيدة العذراء بصورة نورانية من إحدى فتحات القبة الشرقية المطلة على شارع طومانباى وتكرر التجلى على فترات قصيرة واقترن بكثير من الظواهر الروحية كتحليق ما يشبه الحمام وإندفاعه فى إتجاهات مختلفة من الفضاء كما ظهر فجأة نجم فضى اللون فى سماء الكنيسة ما لبث أن مرق فى الفضاء أعقبه نجم آخر مذنب ذهبى اللون مرق عكس إتجاه النجم السابق أى نحو الكنيسة وفى الساعة الرابعة إلا ربعا شاهدنا العذراء وهى تتجلى مرة أخرى بالقبة نفسها وكانت واضحة وهى تبارك الجموع وقد شاهدها معى أفراد أسرتى .

فى فجر الأحد ١٩٦٩/٢/٢٣ .

(٢)فى حوالى منتصف الليل تجلت العذراء فى نافذة القبة البحرية الشرقية وكانت ترتدى طرحة بيضاء وتتحرك بين طاقات القبة وتومىء برأسها أو ترفع يديها ، وكأنها

---

(١) من تقرير الأستاذ سامى سعد صفحة ٥٢٢ هامش رقم (٢)
(٢) من تقرير الأستاذ أديب صليب محارب صفحة ٥٥٩ هامش رقم (٤) .

تحيي وتبارك الجموع المحتشدة ثم بعدها تجلت العذراء بكامل جسمها النورانى بين فتحتى القبة كأنها تمثال فسفورى منتصب القامة .

فجر الجمعة ١٤ مارس ١٩٦٩ .

(١)رأيناالعذراء متجلية فى الفضاء بين القبتين الشرقيتين، واستمر هذا الظهور لمدة ساعة وكان يصاحب الرؤية مثل الحمام ونجم كان يقف على الكنيسة ويومض .

وقد رأيت بعينى معجزة لطفل فى السادسة من عمره تقريبا، وكانت يده مشلولة ولايستطيع رفعها ، وعند ظهور السيدة العذراء رفع يده مهللا وشفى فى وقتها .

فى فجر الخميس ١٩٦٩/٣/٢٧ .

(٢)رأينا السيدة العذراء فى القبة البحرية الشرقية على هيئة صورة نصفية للسيدة العذراء فى لون برتقالى والرأس يحيط به هالة ذهبية جميلة .

مساء السبت ٥ أبريل ١٩٦٩ .

(٣)الساعة ٤٥ر١١ رأيتنور ساطع شديد على القبة البحرية الغربية غمرها، ظننت فى بادىء الأمر أنه نور سيارة مارة ولكن النور لم يتحرك وبقى ساكناً، وبينما نحن نركز أنظارنا على هذه القبة، وإذا بالسيدة العذراء الطاهرة تظهر من الفتحة الوسطى على هيئة تمثال بطول الفتحة بلون فسفورى شديد اللمعان واضح الظهور، واستمر لمدة خمس دقائق ثم بدا الضوء يخبو ثم يسطع مرة أخرى وهكذا عدة مرات .

ليلة الجمعة العظيمة ابريل ١٩٦٩ .

(٤)الساعة الثانية بعد منتصف الليل رأيت القديسة العذراء بداخل القبة فى شارعى خليل وطومانباى ، ثم خرجت بعد ذلك من نفس القبة وكانت واقفة بصورة نورانيـــة،

---

(١) من تقرير الأستاذ الفونس ميخائيل عبد السيد صفحة ٥٤١ هامش رقم (٤) .

(٢) من تقرير السيد/ أديب صليب محارب صفحة ٥٥٩ هامش رقم (٣) .

(٣) الأستاذ/ إميل عزت – مفتش بمنطقة وسط القاهرة التعليمية – ٨ ش الجيوش شبرا مصر بطاقة شخصية ٥٠٢٣ ميت عمر .

(٤) الأستاذ/ جورج رياض نجيب – ٥٤ ش صفية زغلول – الاسكندرية .

وفى الساعة الرابعة ظهرت فوق القبة التى فوق الباب من ش خليل ، وفى الساعة الخامسة ظهر نور أحمر قوى فوق القبة التى عند مدخل الباب من ش خليل ، واستمرت فى الظهور أكثر من نصف ساعة، وقباب الكنيسة كانت تضىء فترات متقطعة .

مساء السبت ١٠ مايو ١٩٦٩ .

(١)شاهدت تجلى العذراء بالقبة ناصية طومانباى وخليل الساعة ١٠ر٨ أضيئت القبة عدة مرات بنور باهر لثوان ثم ظهرت العذراء بنصفها العلوى بالشباك بالقبة بلون أزرق سماوى ، ثم تجلت مرة أخرى الساعة ٥٠ر٩ على هيئة عمود من النور ثم حوالى الساعة ١١ ظهر عمود نور فى القبة التى على اناصية ثم انتقل عمود النور وأضاء أسفل الصليب بالقبة الوسطى ، وفى المرات الثلاثة كان التجلى يستمر لثوان .

الرسالة المرسلة من العذراء مريم إلى كاترين نورمان(٢) زوجة الراعى كاى نورمان فى النرويج .

" ترجمة للكلمة الإنجليزية المرفقة "

فى ١٧ /١٢/ ١٩٦٩ .

منذ حوالى أسبوع عندما كنت مستلقية فى حالة اليقظة فى أثناء الليل أصلّى إلى الله بعد أن شفيت من مرض طويل. وأصبحت قادرة على الخدمة والدفاع عن مملكة الله على الأرض، حينئذ فجأة ظهرت القديسة مريم وملأت الحجرة مثلما حدث فى حياتى سابقاً فى سنة ١٩٥٣ . وكان الإنطباع الذى حدث لى هو حضور قوى لشخص غير معروف لى فى الحجرة وقد كان غامراً لدرجة أنى جلست فى الصباح التالى فى وقت هادىء أسأل الله ماعسى أن يكون هذا ؟ حينئذ كانت هى هناك حقيقة بنفسها تتحدث إلىّ وهذا ما قالته :

---

(١) من تقرير الدكتور وديد صادق عبد السيد صفحة ٥٦٤ هامش رقم (٢) .
(٢) ترجمة لرسالة العذراء المرسلة إلى كاترين نورمان ويليها نص الكلمة باللغة الإنجليزية .

" اذهبى وأخبرى كل الناس الذين تقابليهم والذين سينصتون لك . أخبرى البروتستانت فى الشمال البارد الذين فقدوا إدراكهم لى. أنى أحبهم وأنهم يستطيعون أن يتكلموا معى كأم وكإمرأة . أنا وإبنى يسوع المسيح نستطيع أن نتحدث معا عن كل شىء . نحن فى السماء معاً كما كنا على الأرض " .

بعد مضى سنوات فى عام ١٩٦٠ ، بعد أن أعطيت هذه الرسالة لعديد من مختلف الناس . طُبعت فى نبذات صغيرة وأُعطيت لحوالى ١٠٠٠ شخص. على الرغم أنه لم تؤسس تنظيمات . فإن البعض منا سمى نفسه " أخوات مريم فى النرويج " .

والذى حدث الآن هو حقيقة بعد صلاتى إلى الله ، كانت هناك الأم القديسة . وفى هذا الوقت لم يكن لدى شك فى ذلك وكان هناك إتصال فى الحال .

وقد سألتها سؤالا لماذا اتصلت (تكلمت) معى فى هذا الوقت ؛ وقد طلبت منى أن أضىء النور وأُحضر مفكرتى وأكتب :

" تذكّرينى فى صلواتك . أنه هام جدا، أنا وقفت هناك فى مصر على الحدود الأمامية ضد قوات العالم وضد الكوارث وأرجعتها للخلف ، كان الخطر عظيماً وكان الشيطان ينفث قوته ويتحكم فى عدد كبير من الجيش البشرى، لأنه كان يملكهم ويقودهم إلى الشر ولكن الله قوى وكلىّ المجد ، أنا وقفت هناك فى البقعة المقدسة حيث كانت كنيسة العذراء مريم، قد بنيت فوق البقعة المقدسة التى استقريت فيها منذ وقت طويل، أثناء هروبى إلى مصر مع يوسف النجار والطفل يسوع، وقد فعلت كل ما أستطيع ، ولكن أحتاج لمساعدة الصلوات من كل المسيحيين الحقيقيين فى العالم ، لمحاربة وهزيمة الهجمات الخفية للشيطان . من فضلك دع هذه الرسالة تذهب بعيداً بقدر ما تستطيعِ أن توصليها " .

والذى لمس قلبى أكثر عندما أتت إلىّ ومعها رسالة أخيرة عميقة فى الليل مباشرة قبل عيد الميلاد، ومعظم لمساتها تناشد كل المسيحيين فى كل العالم ليساعدها فى عملها من خلال الصلوات المتوهجة .

وفى هذه المرة لم تأت إلى كملكة السماء، ولكن مثل فتاة صغيرة مثلما كانت لاجئة فى مصر .

The message sent by Virgin Mary to Kathrine Normann a wife of Rev, kay Normann ; Norway .

17-12-1969 .

About a week ago, when I lay awake in the night and prayed to God that I should be healed after a long sickness, so that I could be able to serve Him, and fight for the kingdom of God on earth then suddenly the Holly Virgin was there, filling all the room, like she had done only once before in my life in the year 1953 . The impression I got then of the presence of a strong and to me unknown personality in the room, was so everwhelming that I had to sitdown the next morning and in a quiet time ask God whom this could be? Then she was actually there herself talking to me.This is what she said : " Go and tell all the people you meet who will listen to you, tell the protestants in the Cold North who has lost the Consciousness of me, that I love them and that they can call on me as mother and woman. My son Jesus Christ and I can talkk to each other about all thinges, we are one in heaven as we were on earth ."

Years later, in 1960 after having brought this message to many different people, it was printed in small pamphlets and has been given to more than 1000 persons . Although there was never founded any organisation, some of us call ourselves the Mariasisters of Nörway " .

What happened now is this : Right after my prayer to God she, the Holly Mother was there. And at this time I had no doubt about who it was, so the contact was there at once .
I asked her why she called me this time? She told me to put on the light, take my note book and write :

" Remember me now in your prayers, it is very important. I stand here in Egypt on an outpost against the world-cisis, the catastrophe impending- and holds back. The danger is great, satan

has immense power , he rules over a great deal of mankind, to whom he is their king, their leader, their inspirater. But God is stronger and almighty. I, standing here on this holly spot, where once a Maria church was built, above the sacred place where I rested so long ago, on my flight to Egypt with Joseph and my little boy Jesus. I do all I can. But I need help through the prayers of all true Christians in the world, to fight and conquer the foul and hidden attacks of satan. Please let this message go out as far as you can reach ."

What touched my heart most when she came to me her last message deep in the night, Just before Chrismas, was and most touching appeal to Christians all over the world, to assist her in her work through fervent prayers .

She did not this time come to me as the Queen of Heaven, but like young slight woman she was once when she sought rofuge in Egypt .

من أول من شاهد ظهور العذراء
وما هو مغزاه

في مساء مثل هذا اليوم من سنة ١٦٨٤ للشهداء الموافق الثلاثاء الثانى من شهر أبريل سنة ١٩٦٨ لميلاد المسيح، وهى السنة التاسعة لحبرية البابا كيرلس السادس المائة والسادس عشر من باباوات الاسكندرية بدأت سيدتنا كلّنا وفخر جنسنا مريم العذراء تتجلّى فى مناظر روحانية نورانية فى وعلى قباب الكنيسة المدشنة باسمها الطاهر فى حدائق الزيتون من ضواحى مدينة القاهرة . وقد توالى هذا التجلّى في ليال متعاقبة بصورة لم يعرف لها نظير فى الشرق أو فى الغرب، ويطول هذا التجلّى فى بعض الليالى إلى بضع ساعات دون توقف أمام عشرات الألوف من البشر، من جميع الأجناس والأديان، والكلّ يراها بعيونهم ويشيرون إليها ويستشفعون بها فى ترتيل وإبتهال ودموع وصياح وصلاة، وهى تنظر إلى الجماهير نظرة حانية ترفع أحيانا كلتا يديها لتباركهم من جميع الإتجاهات .

وأول من لاحظ هذا التجلّى هم عمال جراج مؤسسة النقل العام بشارع طومانباى الذى تطلّ عليه الكنيسة، وكان الوقت مساء، فرأى الخفير عبد العزيز على المكلّف بحراسة الجراج ليلا جسماً نورانياً متألقاً فوق القبة فأخذ يصيح بصوت عالٍ " نور فوق القبة " ونادى على عمّال الجراج فأقبلوا جميعا وشهدوا أنهم أبصروا نوراً وهّاجا فوق القبة الكبرى للكنيسة، وأحدقوا النظر فرأوا فتاة متشحة بثياب بيضاء جاثية فوق القبة وبجوار الصليب الذى يعلوها، ولمّا كان جدار القبة مستديرا وشديد الإنحدار فقد تسمّرت أقدامهم وهم يرقبون مصير الفتاة، مضت لحظات شاهدوا بعدها الفتاة الجاثية وقد وقفت فوق القبة، فارتفعت صيحاتهم إليها مخافة أن تسقط ، وظنّها بعضهم يائسة تعتزم الإنتحار فصرخوا لنجدتها وأبلغ بعضهم شرطة النجدة، فجاء رجالها على عجل، وتجمّع المّارة من الرجال والنساء. وأخذ منظر الفتاة يزداد وضوحاً ويشتدُّ ضياءً وظهرت الصورة واضحة لفتاة جميلة فى غلالة من النور الأبيض السماوى تتشح برداء أبيض وتمسك فى يدها بغصن أخضر من أغصان شجر الزيتون، وفجأة طار سرب من الحمام الأبيض الناصع البياض فوق رأسها، حينئذ أدركوا أنَّ هذا المنظر روحانى سماوى، ولكي يقطعوا الشك باليقين سلّطوا أضواء كاشفة على الصورة النورانية فازدادت تألقاً ووضوحاً، عمدوا إلى تحطيم المصابيح الكهربائية القائمة

بالشارع والقريبة من الكنيسة، فلم تختف الصورة النورانية، فأطفأوا أنوار المنطقة كلّها، فبدت الفتاة فى ضيائها السماوى وثوبها النورانى أكثر وضوحاً وأخذت تتحرك فى داخل دائرة من النور يشع من جسمها إلى جميع الجهات المحيطة بها، عندئذ أيقن بأنّ الفتاة التى أمامهم هى دون شك مريم العذراء. فعلا التصفيق والصياح والتهليل حتى شقّ عنان السماء : هى العذراء .. هى أم النور .. ثم انطلقت الناس تنشد وترتل وتصلّى طوال الليل حتى صباح اليوم التالى .

ومنذ هذه الليلة، والعذراء الطاهرة تتجلّى فى مناظر روحانية مختلفة أمام الألوف وعشرات الألوف من الناس، مصريين وأجانب، مسيحيين وغير مسيحيين رجالاً وسيدات وأطفالاً، ويسبق ظهورها ويصحبه تحركات لأجسام روحانية تشق سماء الكنيسة ، بصورة مثيرة جميلة ترفع الإنسان الطبيعى فوق مستوى المادة وتحلق به عالياً فى جو من الصفاء الروحىّ .

لعل هذه المناظر التى تجلّت بها السيدة العذراء على وفى قباب الكنيسة المدشنة بإسمها فى ضاحية الزيتون، والظواهر الروحانية المصاحبة لتلك التجلّيات. لعلها بشير ونذير بأحداث جليلة خطيرة فى المستقبل القريب والبعيد. ولعلّها نفحة روحانية من السماء تشير إلى رعاية الله لكنيستنا وشعبنا وبلادنا وعنايته بنا، مما نعتزّ به ونفخر متهللين، وبإنسحاق وندامة على خطايانا نتوب إلى الله راجعين تائبين ، ولعلنا بهـــذه " العلامات المهولة فى السماء " (لوقا ٢١: ١١) نكون قد دخلنا مرحلة هامة من مراحل الأيام الأخيرة ، وربما كانت بداية النهاية .

ظهور العذراء
فى كنيسة القديسة الشهيدة دميانة بشبرا (١)

ظهور العذراء فى كنيسة القديسة دميانة بشبرا ليس حدثاً جديداً فى ذاته . إنه حلقة من حلقات ظهورها المتكرر منذ الثانى من أبريل لسنة ١٩٦٨ فى الزيتون .

وقد ظهرت بعد ذلك ظهوراً واضحاً فى كنيسة العذراء بالمعادى ــ ثم بعدها ببضع سنين فى كنيسة العذراء شارع مسرة فى شبرا .

كما ظهرت أيضا ظهوراً متكرراً فى كنيسة بلدة البطاخ ــ بالقرب من سوهاج .

وظهرت أيضا بعد ذلك فى كنيسة العذراء فى ادفو .

وللعذراء مريم ظهور آخر فى بعض البيوت وقد تركت بعد ظهورها علامة وبركة: زيتا يتساقط من صورتها بصورة تقطع كل شك .

وقد تبيناً وتحققنا من هذا الظهور ولقد رأيتها بنفسى عدداً من المرات فى كنيسة العذراء بالزيتون فى عام ١٩٦٨، رأيتها بالليل كما رأيتها بالنهار.. وكان ظهورها فى كل مرة لبضع ساعات . وقد رآها الألوف والملايين مصريين وأجانب ، مسيحيين وغير مسيحيين .

أما الظهور فلا شك فيه .

وعندما أبلغنى كثيرون أن العذراء تظهر بكنيسة القديسة دميانه بشبرا، لم أنفعل بهذا الخبر كأنه أمر جديد . ولم أجد مبرراً للشك، وخصوصا لأن شهود الرؤيا كثيرون وفى أيام مختلفة .

ومع أن أخبار ظهور العذراء فى كنيسة القديسة دميانة ــ تواترت منذ أكثر من شهر، لكنى لم أذهب بنفسى طوال هذه الفترة على الرغم من إلحاح الكثيرين علىّ بالذهاب .

والمهم عندى قبل كل شىء هو تفسير هذا الظهور.

وعندى أن ظهور العذراء فى كنيسة القديسة دميانة ــ بأرض بابا دوبلو ــ بشبرا هو حلقة أخرى من حلقات متتابعة بدأت فى عام ١٩٦٨ فى كنيسة العذراء بالزيتون .

---

(١) كُتب فى ٢٨ من أبريل – نيسان لسنة ١٩٨٦م .

ولما كنت آنذاك المسئول عن " لجنة تقصى الحقائق فيما يختص بوقائع ظهور العذراء مريم، فقد ذهبت مع أعضاء اللجنة عديداً من المرات، وسهرنا الليالى إلى الصباح .

ومما تحققناه عشرة مناظر مختلفة للعذراء غير ظهورها المتكرر فى كل منظر من المناظر العشرة . فى هذه العشرة المناظر المختلفة جميعها ظهرت العذراء حزينة، أو راكعة تصلّى ــ وهو نذير بأحداث غير سارة فى الشرق الأوسط وفى العالم كله ــ متاعب وحروب وشرور متلاحقة، وقد حدث بعض منها فى لبنان وفلسطين ومصر .

قلت إن ظهور العذراء فى كنيسة الشهيدة دميانة حلقة من سلسلة حلقات ظهورها منذ عام ١٩٦٨ فى الزيتون، على أننى أرى أن هذا الظهور له هدف أكبر من مجرد الظهور، وأكبر من معجزات الشفاء التى تمت ...

إن معجزات الشفاء هى مجرد برهان على حقيقة الظهور، أما الظهور نفسه فهدفه التنبيه إلى الأحداث الكونية الخطيرة وهى أحداث مصيرية بالنسبة للعالم بأسره . وفضلاً عن ذلك فإن العذراء بمجيئها مرة أخرى بعد رحلتها الأولى إلى مصر منذ ألفى سنة إنما لكى تهيىء وتُعِّد قلوب الناس للمجىء الثانى للمسيح له المجد .

وكما أرسل الله ــ جل جلاله ــ القديس يوحنا المعمدان ليهيىء الطريق ويُعّد القلوب لمجىء المسيح الأول، فالعذراء مريم مرسلة هذه المرة لإعداد الناس وإعداد قلوبهم ونفوسهم للمجىء الثانى للمسيح . فإن علامات الساعة ناطقة بقرب المجىء الثانى للمسيح .

الأنبا غريغوريوس
اسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

العذراء فى البطاخ

فى بلدة البطاخ، بالقرب من سوهاج، وعلى بعد نحو عشرين كيلو مترا منها، بدأ ظهور العذراء على منارة كنيستها منذ مساء الخميس الحادى عشر من شهر مارس الماضى١٩٧٦م، ويصاحب تجلّى العذراء بعض الظواهر الروحية، ومنها على الخصوص إنتشار بخور كثيف، يخرج من أعلى المنارة، كما يشاهد حمام كبير الحجم يظهر فى أعلى المنارة ويدور من حولها، ثم يختفى كما يظهر، وفى الحالين لا يستطيع أحد أن يتبين من أين جاء وإلى أين يذهب. إنه يظهر فجأة ويختفى فجأة، ولا يرفرف، كما أنه يظهر فى الليل على غير عادة الحمام، إذ المعروف عن الحمام أنه لا يطير ليلاً .

ولقد قمنا بزيارة بلدة البطاخ وكنيستها مساء يوم شم النسيم ٢٦ من أبريل الحالى، واستمعنا إلى شهود كثيرين من شباب مثقف ورجال ناضجين، كما استمعنا إلى شهادة كاهن الكنيسة . وأثناء وجودنا بالكنيسة، جاء شابان يجريان ويلهثان، وشهدا بأنهما عند وصولنا إلى الكنيسة رأيا العذراء متجلية على منارة الكنيسة ، شاهدها كل منهما من شباك منزله، ورأياها واقفة فى قامتها، ثم إنحنت نحو الصليب. وبعد أن استمعنا إلى عدد من الشهود، صعدنا إلى سطح الكنيسة حيث يمكن رؤية منارة الكنيسة العالية . وبعد قليل رأينا البخور يخرج من الجزء الأعلى من منارة الكنيسة، بكميات وافرة، متجهاً فى سماء الكنيسة والبلدة، إلى الجهة الغربية البحرية ، وبعد وقت غير قليل كانت فيه أصوات الشباب والرجال من أهالى البلدة تدوّى بالصلوات والهتافات، رأينا ثلاث حمامات منيرة، ظهرت مضيئة فوق منارة الكنيسة، ودارت حول صليب المنارة والمنارة ، دورة واحدة ، ثم إختفت فجأة كما ظهرت فجأة، على غرار ما حدث بكنيسة العذراء بالزيتون . ولاحظنا أن الحمام كان بحجم كبير، وأنه كان يطير بغير رفرفة الجناحين، وبسرعة. وقد كان هذا نحو الساعة التاسعة مساء. والمعروف أن الحمام لايطير ليلاً.

وقد كان جميلاً منظر المنارة ومن فوقها الصليب، والبخور يخرج منها، والمنارة كلها وخصوصا جزؤها الأعلى ومن فوقه الصليب تحوطها هالة روحانية سمائية غير عادية، تملأ القلب سعادة ورضى، وتثير الروح للصلاة، وتنقل الإنسان إلى عالم ماوراء المادة .

الأنبا غريغوريوس

مسيرة العائلة المقدسة

البحر الأبيض المتوسط
البحر الأبيض المتوسط
اسكندرية
رشيد
سخا
بلطيم
بحيرة البرلس
دمياط
بورسعيد
بحيرة المنزلة
العريش
البيلوزيوم
شبراخيت
سمنود
منية سمنود
المحلة
طنطا
تل بسطه
الزقازيق
بلبيس
بنها
وادي النطرون
مسطرد
(المحمة)
عين شمس
بابليون
البدرشين (منف)
إلى البهنسا
الوجه البحري
مقياس الرسم
كيلومتر

البهنسا
المنيا
الأشمونين
ملوي
ديروط (فيليس)
ميره
القوصية
الدير المحرق
(جبل قسقام)
أسيوط
أبنوب
الوجه القبلي
مقياس الرسم
كيلومتر

هذه الخريطة من عمل الفنان ميخائيل جاب الله

الفهـــــــارس

١- فهرس النصوص المقتبسة من الكتاب المقدس.

سفر عزرا :

(٣: ٢) .

سفر نحميا :

(٨: ١) .

سفر أيوب :

(٥: ١)، (٤٢: ٨) .

سفر المزامير :

(١٠: ١٧)، (٣٣: ١٥)، (٣٩: ٧، ٨)، (٣٩: ٩)، (٤٤: ١)، (٤٤: ٧)، (٤٤: ٩)،(٤٤: ١٢، ١٣)، (٤٤: ١٤)، (٤٥: ١–١٧)، (٤٥: ٩)، (٥٠: ٥)، (٥١: ١٠)،(٥٧: ٣)،(٦٦: ١٢)، (٧٩: ١)،(٨٩: ٤٨) ، (١٠٤: ٣)، (١٠٨: ٧)، (١١٨: ١٩، ٢٠)، (١٣١: ١٠)، (١٤١: ٣)، (١٤٣: ١٠)، (١٤٤: ١٨) .

سفر الأمثال :

(١٥: ٨)، (١٥: ٢٩)، (٢١: ٢٧)، (٢٦: ١١)، (٢٨: ٩)، (٣١: ٢٩) .

سفر الجامعة :

(٣: ١)، (٣: ١٧)، (٨: ٦) .

سفر نشيد الأناشيد :

(١: ٣) .

سفر الحكمة :

(٤: ٨، ٩) .

سفر يشوع بن سيراخ :

(٢٦: ١٨)، (٢٨: ٢٩) .

سفر نبوءة إشعياء :

(٧: ١٤)، (٧: ١٥)، (٩: ٦)، (١٩: ١)، (١٩: ١٣)، (١٩: ١٨) ، (١٩: ١٩–٢١)، (١٩: ٢٥) ، (٣٣: ١٤)، (٤٠: ٣)، (٤٨: ٨)، (٥٣: ٢) ، (٥٥: ٨، ٩) ، (٥٧: ١٥) ، (٦٦: ٢) ، (٦٦: ٧) ، (٦٦: ١٥) .

سفر نبوءة إرميا :

(٢: ١٦)، (١٥: ١)، (٣١: ٢٢)، (٤٤: ١) ، (٤٦: ١٤، ١٩) .

سفر نبوءة حزقيال :

(٣٠: ١٣، ١٦)، (٣٠: ١٧)، (٤٤: ٢) .

سفر نبوءة دانيال :

(٢: ٤٤)، (٧: ١٣)، (٩: ١١) .

سفر ميخا :

(٥: ٢) .

سفر نبوءة زكريا :

(٤: ٩) ، (١٢: ١) .

سفر نبوءة ملاخى :

(٣: ١)، (٤: ٤) .

سفر المكابيين الثانى :

(٧: ٢٧) .

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس متى :

(١: ١٣)، (١: ١٨)، (١: ١٨–٢١)، (١ :١٩)، (١: ١٩، ٢٠)، (١: ١٩–٢٤)،(١: ٢٠)،(١: ٢١)،
(١: ٢١–٢٣)، (١: ٢٢، ٢٣)، (١: ٢٣)، (١: ٢٤)، (١: ٢٤، ٢٥) ، (١: ٢٥)،(١: ٣٤)،(٢: ٢ ،
١١)، (٢: ٦)، (٢: ١٣)، (٢: ١٤)، (٢: ١٩)، (٢: ١٩–٢١)، (٣: ١٦)، (٥: ١٤)، (٧: ٢٢–
٢٧)، (٨: ٢٠)، (٩: ١٥)، (١٠: ٣٨)، (١٠: ٤١، ٤٢)، (١١: ١٠، ١١)، (١٢: ٤٦)، (١٢: ٤٦
– ٥٠)، (١٢: ٥٠)، (١٣: ١٧)، (١٣: ٥٣–٥٦)، (١٣: ٥٥، ٥٦)، (١٦: ١٦)، (١٦: ٢١)، (١٦:
٢٧)، (١٧: ٢٠)، (١٨: ١١)، (٢٠: ٧–١٩)، (٢٠: ٢٠)، (٢١: ٢١)، (٢٢: ٦٤–٦٦)، (٢٦: ٦–
١٣)، (٢٦: ١٠–١٣)، (٢٦: ١٢)، (٢٧: ٥)، (٢٧: ٥٦)، (٢٧: ٦١)، (٢٨: ١) .

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس مرقس :

(١: ٢–٤)، (١: ١٠)، (١: ١٦–٢٢)، (٢: ٢٠)، (٣: ٣١، ٣٥)، (٣: ٣٢)، (٦: ١)، (٦: ١–٦)،
(٦: ٣)، (٨: ٢٩)، (٨: ٣١)، (١٠: ٣٢–٣٤)، (١١: ٢٣)، (١٢: ٤١–٤٤)، (١٤: ٣–٩)، (١٤:
٤، ٥)، (١٤: ٨، ٩)، (١٤: ٩)، (١٤: ١٥)، (١٥: ٤٠)، (١٥: ٤٧)، (١٦: ١) .

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس لوقا :

(١: ١–٢٥)، (١: ٢، ٣)، (١: ٥)، (١: ٧)، (١: ١٨–٢٠)، (١: ٢٠)، (١: ٢٥)، (١: ٢٦–٣٣)،
(١: ٢٦–٣٨)، (١: ٢٨)، (١: ٢٨–٣٠)، (١: ٢٨، ٤٢)، (١: ٢٩)، (١: ٣٠)، (١: ٣١)، (١:
٣١، ٣٢)، (١: ٣١–٣٥)، (١: ٣٤)، (١: ٣٥)، (١ :٣٨)، (١: ٣٩–٥٦)، (١: ٤١)، (١: ٤١–
٤٣) ، (١: ٤١–٤٥)،(١: ٤٣–٤٥)، (١: ٤٥)، (١ :٤٦، ٤٧)، (١: ٤٦–٤٨) ، (١: ٤٦–٥٢) ،
(١: ٤٨)، (١: ٦٧)، (١: ٧٦)، (٢: ٢–٧)؛ (٢: ٥)، (٢: ١٤)، (٢: ١٩)، (٢: ١٩، ٥١) ، (٢:
٢٢)، (٢: ٢٥، ٢٦)، (٢: ٢٥–٢٨) ، (٢: ٢٦)، (٢: ٢٨–٣٠)، (٢: ٢٨–٣٥)، (٢: ٢٩، ٣٠)،
(٢: ٢٩–٣٢) ، (٢: ٣٤، ٣٥) ، (٢: ٣٥)، (٢: ٥١) ، (٢: ٥٢)، (٣: ٢٢) ، (٣: ٢٧)، (٥: ٣٣
–٣٥)، (٥: ٣٥)، (٧: ٩)، (٧: ٢٦–٢٨)، (٨: ٢، ٣) ، (٩: ٢٠)، (٩: ٢٢)،(٩: ٥٦)، (٩: ٥٨)،
(١٠: ٣٨)، (١٠: ٣٨–٤٢)، (١٠: ٤٢)، (١١: ٢٧)، (١١: ٢٧–٣٦)،(١١: ٢٨)،(١١: ٣٧–٥٢)،
(١٧: ٦)، (١٨: ٩–١٤)، (١٩: ٥) ، (١٩: ١٠) ، (٢٠: ٩–١٩) ، (٢١: ١١)، (٢٢: ١٢)، (٢٣:
٤٩، ٥٥)، (٢٤: ١٠)، (٢٤: ٣٣–٤٩)، (٢٤: ٣٦–٣٩)، (٢٤: ٣٩) .

إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس يوحنا :

(١: ١-١٣)، (١: ٤)، (١: ٩)، (١: ١١-١٣)، (١: ١٤)، (١: ٣٢)، (٢: ١)، (٢: ١، ٢)،(٢: ١-١١)،(٢: ٤)، (٢: ٥)، (٢: ١٢)، (٣: ٧)، (٣: ١٤، ١٥)، (٣: ١٦)، (٣: ١٧)، (٥: ١-١٤)،(٥: ١٤)، (٦: ١٢)، (٦: ٤٩)، (٦: ٥١)، (٦: ٥٣)، (٦: ٦٩)، (٨: ٥)، (٩: ٢٥)، (٩: ٣١) ، (١٠: ١-١٦) ، (١٠: ٢٨)، (١١: ٢٥)، (١١: ٢٧)، (١٢: ٥)، (١٢: ٢٧، ٤٧)، (١٣: ٤-٣٨)، (١٤: ٦) ، (١٥: ١)، (١٥: ١٣)، (١٥: ٢٠)، (١٩: ٧)، (١٩: ٢٠-٢٩)، (١٩: ٢٥)، (١٩: ٢٦)،(١٩: ٢٦، ٢٧)، (١٩: ٢٧)، (١٩: ٢٨)، (١٩: ٢٩)، (١٩: ٣٤)، (٢٠: ١٩)، (٢٠: ١٩، ٢٦) ، (٢٠: ٢٤، ٢٥) ، (٢٠: ٣٠، ٣١) ، (٢١: ٢٥) .

أعمال الرسل :

(١: ١-١٤)، (١: ١٣، ١٤)، (١: ١٣-٢٦)، (١: ١٨)، (١ :٢٣، ٢٦)، (١: ٢٣-٢٦)،(٢: ١-٤)، (٢: ٤)، (٣: ١٥)، (٤: ٨)، (٤: ١٢)، (٤: ٣١)، (٥: ١٧-٤٢)، (٧: ١)، (٧: ٢٢)،(١٠: ٤٣)، (١٢: ٢)،(١٢: ٤)، (١٢: ١٢)، (١٣: ٢)، (١٣: ٩)، (١٣: ٢٣)، (١٧: ٢٦)، (٢٠: ٢٢- ٢٤).

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية :

(٢: ٦)، (٣: ٩-١٢)، (٥: ١٢)، (٦: ٢٣)، (١١: ١٦)، (١١: ٣٣، ٣٤)، (١٢: ٦) .

رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس :

(٣: ٨) ، (٣: ١٧)، (١٢: ٤)، (١٥: ٢١) .

رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس :

(١٢: ٢، ٣) .

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل غلاطية :

(١: ٨، ٩) ، (٤: ٤) .

رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل كولوسى :

(١: ١٥) .

رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالونيكى :

(١: ٨) .

رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى القديس تيموثيئوس :

(١: ١٥)، (٢: ٥، ٦) ، (٣: ١٦) .

رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى القديس تيموثيئوس :

(٣: ١٠-١٢) .

رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين :

(٢: ٤)، (٦: ١٠) ، (٩: ١-١٢)، (٩: ٢-٤)، (٩: ٤)، (٩: ٢٦)، (٩: ٢٧)، (١٠: ٥)،(١١: ٣)، (١١: ٥) ، (١١ :٨)، (١٢: ٢٩)، (١٣: ٧) .

رسالة القديس يعقوب الرسول :

(١: ١٢)، (١: ١٥)، (١: ١٧)، (٣: ٢) ، (٥: ١١) ، (٥: ١٦)، (١٢: ١) .

رسالة القديس بطرس الرسول الأولى :

(١: ١٥) .

رسالة القديس بطرس الرسول الثانية :

(١: ٢١)، (١: ٢٢) ، (٢: ٢٢) .

رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى :

(٣: ٥) ، (٣: ٢٢)، (٤: ١٤) .

رسالة القديس يوحنا الرسول الثانية :

(١ : ١) .

سفر الرؤيا :

(١: ١٠) ، (١١: ٧)، (١٩: ١٦) ، (٢٠: ١١، ١٢) ، (٢٢ : ١٨ ، ١٩) .

٢- فهرس الموضوعـــات

الموضـوع رقم الصفحة

الموضـوع	رقم الصفحة

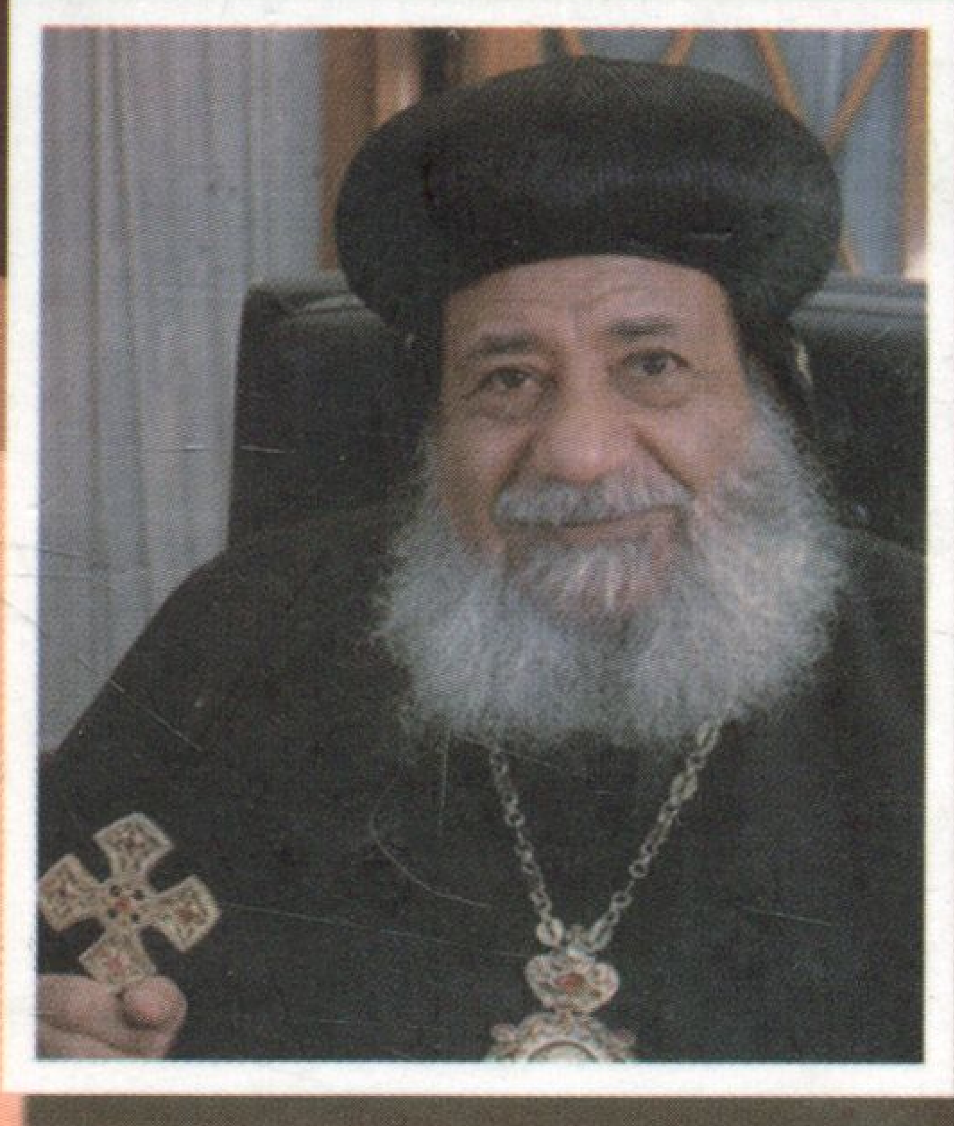
الموضــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	**رقم الصفحة**

الموضـــوع	رقم الصفحة



« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »..
كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته..
كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....
كان أنبا غريغوريوس عالماً ، إذا كتب يستفيض في الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد.. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه واستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستق العلم على يديه استقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، .. كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر .

له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ...
هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية .. هو مثل من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير.. »

قداسة البابا شنوده الثالث